

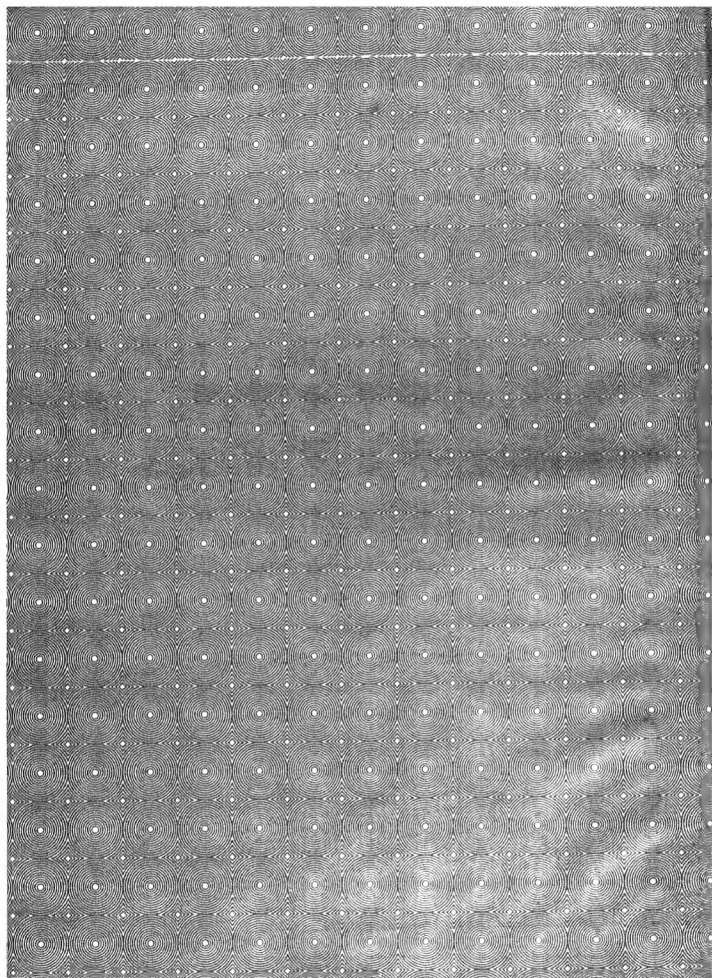
مركز البحوث
وزارة الأوقاف
البحر الأحمر على شاطئ البحر الأحمر

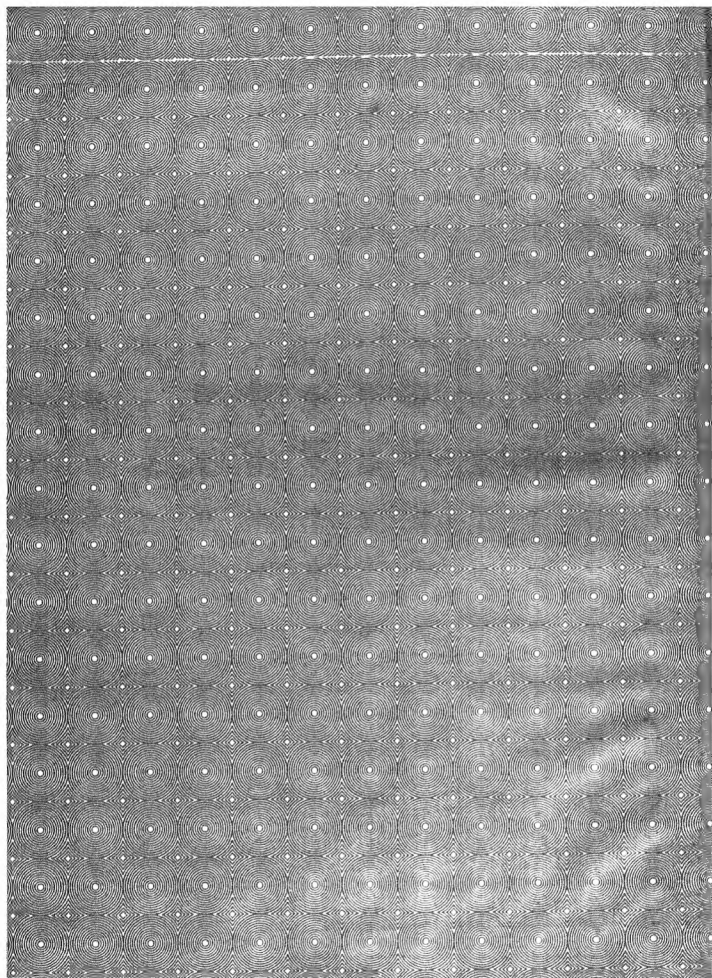
المنتخب

في تفسير القرآن الكريم

الطبعة الثانية عشرة

الطبعة - ١٩٨٦ - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦





جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

المنتخب

في تفسير القرآن الكريم

الطبعة الثانية عشرة

أشرف على إصداره
فضيلة الدكتور محمد أحمد عيسى أبو السنود
وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

(إهداء)

رقم التسجيل ٧٧٢٤١

القاهرة - ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ - يناير ١٩٨٦

لجنة القرآن والسنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الأحدي أبو النور
وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعززوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون .

ويعد

فقد امتن الله علينا بما أنزل إلينا من كتاب ومن حكمة ، وأمرنا أن نذكر ما في ذلك من نعمة كبرى على الفرد والمجتمع ، في الدنيا والآخرة ، وصدق الله حيث يقول :
(وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُعْظِمُ بِهِ) .

ولم لا يكون القرآن نعمة كبرى ؟ وهو الهداية للتي هي أقوم في العقيدة والتشريع والمعاملة والسلوك ، والقيم والأخلاق ، والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدولية .

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَتَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝) .

ولم لا يكون القرآن نعمة كبرى ؟ وهو الذي يخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والتخلف ، إلى نور العلم والإيمان والتقدم ؛ وصدق الله : (كَتَبْنَا نُورًا لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝) .

(١) سورة البقرة

(٢) سورة الإسراء

(٣) سورة إبراهيم

ثم لم لا يكون القرآن مئة عظمى ؟ وهو الحريص على سعادة البشر حتى وهو ينذر المشركين والمنحرفين عن سنن الفطرة السوية بسوء العاقبة في الدنيا والآخرة .
فلو لم يكن الكتاب العزيز حريصاً على حسن المآب للناس جميعاً لما قرأنا في تضاعيفه ما احتواه من وعد ووعد ، وترغيب وترهيب ، وتبشير وإنذار ؟
لقد كان ذلك كذلك ليثبت المستقيم ، وينقذ المنحرف ، ليزيد الذين اهتدوا هدى ، ويأخذ بيد الضالين إلى الصراط السوى .

* * *

ولو لم يكن الكتاب العزيز مئة عظمى حتى في إنذاره المشركين ، وترهيبه المبطلين لما صدر الحديث عن إنزال الكتاب العزيز بالحمد لله ، بينما جاء الحديث عنه ككتاب أنزل لينذر بأساً شديداً ، وعذاباً أليماً لمن أشرك بالله أو ضل فادعى اتخاذه - سبحانه - ولداً .
ولنقرأ - معا في تدبر - قوله تعالى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (١) وقوله سبحانه :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) (٢) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا لِمَنِ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) (٣) مَكِينٍ فِيهِ أُهْدَى) (٤) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) (٥) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) (٦)

* * *

وكيف لا يكون الكتاب العزيز مئة كبرى ، وهو الكتاب الحكيم ، وهو النور المبين ، وهو شفاء الصدور ، وغذاء العقول ، وسراج النفوس ، وسبيل الرحمة ، وطريق الفلاح ، وأساس الأمن ، وسفينة النجاة ، ويريد السعادة ، وسفير الهداية ، وبشير الخير والعزة في الأولى والآخرة (قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ آلِيهِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (١٢٥)

(١) سورة الفرقان

(٢) سورة الكهف

(٣) سورة الاعراف

وقوله : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٥٥) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ٥٦)

لقد امتن الله علينا بإنزال كتابه ، حيث كان كتابه الكريم منة عظمى من تلك الجوانب العديدة ومن غيرها (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ٥١ لَا يَأْتِيهِ الْبِطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَبِيدٍ ٥٢)

ولقد استفاد الحديث في القرآن عن وجوه الإنعام به ليكون ذلك حفزاً للهمم أن تدبر آياته ، وأن تفهم حقائقه وعظاته ، كي تستبين معانيه وغاياته ، وكى تلتقى على ما فيه من حق ، وتتهدى إلى ما به من نجى ، وكى تعدل به فى الحكم ، وتصدق به فى القول ، وتؤدى به فى الأمانة ، وتقى به فى العهد ، وتبر به فى العلاقة ، وتنشط به فى العمل ، وتتقن به فى الأداء ، وتنمى به الفرد ، وتطور به المجتمع ، وتهدى به إلى السنن اللائق والصراط السوى . .

ومع هذا فقد أكد القرآن هذه المفاهيم بالدعوة الصريحة إلى التدبر فى آياته والتفكر فى سورة ، والادكار بعظاته ، وذلك فى مثل قوله (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالٌ ٦٦)

وقوله : (كَتَبْنَا نُزْلَهُ لِيَاكُ مَبْرُكٌ لِيَذَرُوا عَائِنَتَهُ وَلِيَذَكَّرُوا أَوَّلُوا الْأَلْبَابِ)

وقوله : (وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِي فَهَلَ مِنْ مَذَكِّرٍ)

وقوله سبحانه فى بيان وظيفة الرسول بالنسبة للكتاب : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ مِمَّا أُرْسَلُكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ٥٩)

(وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لَتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَفَوْا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٦٠)

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٦١)

(٥) سورة القمر

(٦) سورة النساء

(٧) سورة النحل

(٨) سورة النحل

(١) سورة يونس

(٢) سورة فصلت

(٣) سورة محمد

(٤) سورة ص

والعلماء ورثة الأنبياء ، في العلم والبيان .

إن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا ديناراً ؛ وإنما ورثوا العلم ؟! ومن هنا أمضى العلماء جهوداً مضنية في تفسير الكتاب العزيز كما عرفوه ، وكما تلقوه عن نبيهم ، أو عن تلقاه عن نبيهم ، إذ هو عليه السلام مصدره عن الله ؛ حيث كان ﷺ يبين كتاب الله عن بيان الله له .

أولم يكفل الله له أن يبين سبحانه وحيه ؟

بل ! ثم عرف نبيه أن ينقل هذا البيان الإلهي لذلك الوحي إلى الناس .
وذلك ما ينبيء عنه قوله تعالى : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا نِزْلَهُ) .
مع قوله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ الَّذِي كَرَّمْنَا النَّاسَ مَا نَزَّلَ لِلْجِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

* * *

وعلى هذا السنن مضى العلماء مع الأنبياء .

بل لقد أخذ الله العهد والميثاق على العلماء أن يبينوا للناس ما أوحى الله إلى أنبيائهم من كتاب وأن لا يكتموا ما عندهم من علم ، وأن لا يتقاعسوا عن بيانه للناس كما قال سبحانه : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِبَيِّنَتِهِمِ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُوهُ) .

* * *

ومنذ نزل الوحي وما معه من بيان - حيث كان جبريل ينزل بالوحي وبالسنة المفسرة له - نشط الصحابة في تلقي الكتاب وبيانه عن المعصوم ﷺ ثم تواتر النقل عنهم جيلاً بعد جيل ، وعبر أربعة عشر قرناً أو تزيد ؛ حتى كان لدينا هذا التراث الهائل في القرآن وعلومه ، وفي السنة وعلومها ، وهذا وذاك هو زاد المسير في تفسير الكتاب العزيز .

* * *

ويقدر عمق إيمان المرء تعظم رغبته في قراءة القرآن الكريم وعلومه بصفة عامة ، وتفسيره بصفة خاصة . بل إن الرغبة في الاطلاع على القرآن وعلى تفسيره تهم دائماً أولئك المشتغلين بالدراسات الدينية المقارنة ، كما تعنى بصفة خاصة أولئك الذين أسلموا حديثاً ،

(١) سورة القیامة

(٢) سورة النحل

(٣) سورة آل عمران

أو الذين يريدون أن يبدأوا مسيرتهم مع الإسلام ليتابعوا هذه المسيرة، إن أول ما ينبغي أن تقع أعينهم عليه. حيث أن القرآن الكريم بعد أن شرح الله صدورهم للإسلام ، ويكون أول واجباتنا نحو هؤلاء وهؤلاء أن نقدم لهم تفسير الكتاب العزيز في الصورة التي تروقهم وتروعههم وتزيدهم إيماناً وإقبالاً على كتاب الله وسنة نبيه ؛ وذلك قياماً بالأمانة ، ووفاء بالعهد ، وأداء للواجب ، نحويان الكتاب ، ونشر السنة ، وامتداداً للمسيرة العلمية في خدمة القرآن وعلومه ، منذ عصر النبوة إلى يوم الناس هذا ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهذه صورة من صور بيان الكتاب العزيز وجلة متقاة من علومه وهي :

المتخبط في تفسير القرآن الكريم

في طبعته الحادية عشرة . بعد أن نفذت طبعاته العشر ، وبعد أن دل نفاذها على مدى إقبال الخاص والعام على قراءتها والإفادة منها .

بل كان هذا بمثابة استفاء على نهج هذا التفسير وعلى إطاره وصياغته . ذلك أنه إن يكن للتفسير مناهجه وطرائقه ، وإن يكن للمفسرين خطوطهم وجهودهم التي تختلف مشاربهم فيها باختلاف ثقافتهم ومعارفهم ، ومذاهبهم ، ومناهجهم ، وغاياتهم التي يتغياها كل منهم في تفسيره .

ثم إن يكن لكل منهم - كذلك - أسلوبه العلمي في التأليف ، وإطاره الفني الذي يخرج فيه تفسيره ، فكم يتمنى الكثيرون أن يكون بين أيديهم تفسير للقرآن الكريم يعتمد على أصول التفسير وقواعده ، كما يشتمل على أهدافه ومقاصده ، دون أن يخوض بهم في لغة المصطلحات ، أو يفنوس معهم في بحار الدلالات ، أو يتابع أوجه الإعراب والقراءات ، أو يراجع مختلف الأسانيد والروايات ، أو يقارن بين المذاهب في الأصول أو في الفروع .

إن ذلك كله أمر لا بد منه ، ولا معدى عنه ، لكن لمن ؟ ذلك ضرورة لازمة ، وطريق حاتم إلى تفسير الكتاب العزيز لمن لديه القدرة ، والخبرة ، والرغبة ، والوقت .

فقد يضيق وقت الراغب في التفسير عن أن يتدارس هذه العلوم ، أو يراجع

مصادرها ، أو يطالع واحدا من المراجع الكبيرة أو ذات النهج الخاص ، أو تلك المصادر التفسيرية التي التزم مؤلفوها خط الاستيعاب لتلك العلوم بين دفتيها كالطبرى ، والألوسى والرازى ، والقرطبي ، والزحشرى ، وابن الجوزى ، وابن كثير ، وأبى حيان ، والطبرسى ، والبقاعى .

وقد يكون الراغب فى قراءة التفسير غير متخصص فى تلك العلوم التي يصدر عنها أولئك المفسرون ، أو يلتزمون بإيراد ما يقتضيه التفسير منها .

بيد أن أولئك وهؤلاء سوف يثلج صدورهم - ولا ريب - أن يكون بين أيديهم تفسير للكتاب العزيز لا يفرض على قارئه أن يستوعب تلك العلوم ، أو يستقرئ تلك المناهج ، وإنما يخلص به مباشرة إلى معانى الآيات ومقاصد السور .

إن كثيراً من قراء التفسير - سيما فى العصر الحديث - يهمهم أن يقرأوا ما يمكن أن نطلق عليه : « التفسير المصفى » ذلك التفسير الذى يستخلصه العلماء خلال رحلتهم العلمية بين علوم القرآن والسنة والفقه والأصول والمنطق واللغة والسيرة والتاريخ والحضارة والطب والطبيعة والكيمياء والفلك وسائر العلوم الإنسانية . على أن يكون ذلك التفسير بالأسلوب الذى يروق ويشوق ، ويسهل تناوله وتداوله ، ويزداد به الطالب علماً ، والباحث إدراكاً ، والذين آمنوا إيماناً .

إن هذه النوعية من الراغبين فى تفسير القرآن الكريم يرومون - إذاً - أن يلتقوا بالمفسرين فى آخر المطاف حيث يكون الجنى - دائماً - داني القطاف ، شهى المذاق ، ندى الثمر ، سخى الأثر .

وكذلك أوعبت اللجنة العلمية التي قامت بتأليف هذا « المنتخب فى تفسير القرآن الكريم » .

وأحسب أنها ارتادت طرقاً وعرة ، فى تلك العلوم والفنون لا يستعذبها إلا أولو العزم والنهى من العلماء المؤمنين .

وأحسب - كذلك - أن اللجنة بذلت جهوداً جبارة بين مصادر الدين والعلم ، ونظمت فى قلادة التفسير - بين الحين والحين - درة من درر العلم الحديث وحقائقه ، استهداء بنحو

قوله تعالى :

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (١)

وقوله سبحانه :

(سُبُّهُمْ ءَايَاتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَقْبِضَ اللَّهُ لَهُمُ الْحَقَّ أَوْ لَا يُكَفِّرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)

وقوله سبحانه :

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (٢) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٣) قَوْرَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَخَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (٤)

* * *

إن هذا التفسير - بعد هذا الجهد - وبعد هذه المعاناة ، وبعد هذا الاستهداف يقدم لقرائه - فيما أرجو - كما يقدم الرحيق المختم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

* * *

ويقدر إحسان اللجنة في الانتقاء من تلك العلوم والفنون ، ويقدر إحسانها في مجال الصياغة والبيان ، ويقدر إخلاصها عملها لمن أنزل كتابه العزيز هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان أسأل المولى أن يحسن جزاءها قدر إحسانها بلاءها ، وقدر انتفاع قرائها بعملها ، فقد قضى المولى سبحانه أنه : (مَلَّ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ) (٥)

* * *

ولعل القراءة الواعية لهذا التفسير تزيدنا علماً ومعرفة بالكون وهو كتاب الله المنظور وبالقُرآن وهو كتاب الله المسطور ؛ لتزداد - بعد - إيماناً بوجود عمارة هذا الكون وإثراء حضارة الإنسان بنهج هذا الكتاب .
ولأنه ليهدي إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض
إلا إلى الله تصير الأمور .

الدكتور محمد الأحمد أبو النور

ووزير الأوقاف

(١) سورة آل عمران

(٢) سورة فصلت

(٣) سورة الذاريات

(٤) سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم لجنة القرآن والسنة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد :

فالقرآن كلام الله المنزل على محمد ﷺ للتحدى والإعجاز المتعبد بتلاوته المنقول إلينا تواتراً، المجموع بين الدفتين من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس، أنزله الله تعالى على خاتم رسله ليكون آخر الكتب المنزلة إلى الناس كافة، مشتملاً على ما فيه إسعاد البشرية وإصلاح حالها في عاجلها وأجلها ودنياها وآخرتها، تنزل منجماً مرقفاً آيات وسوراً على حسب الوقائع والحوادث، في مدى ثلاث وعشرين سنة من حياة الرسول ﷺ، فزل بعضه قبل هجرته من مكة إلى المدينة، ونزل بعضه الآخر بعد هذه الهجرة، وقد نزلت الآيات والصور المكية وهي تشتمل غالباً على أصول العقائد من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ثم نزلت الآيات والصور المدنية وهي تشتمل على العبادات والفروع والأحكام الشرعية.

فيه نبأ من قبلنا وخبر ما بعدنا وحكم ما بيننا.

فيه نبأ من قبلنا من الأمم السابقة والقرن الماضية، فيه من قصص الأنبياء والمرسلين، والأمم والجماعات والأشخاص والحوادث والكائنات والمسيرة التاريخية للجماعة البشرية ما فيه عبرة لمن اعتبر، وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وينطق بسنة الله التي لا تتخلف في إهلاك الضالين

الظالمين ، ونجاة المهتدين الراشدين ، وأن دنيا الناس على طول العصور والدهور لا تصلح بغير دين الله ، وأن الإنسانية أينما كانت لا تتحقق سعادتها المنشودة إلا إذا استضاءت بهدى الله ورسالاته .

وفيه خبر ما بعدنا من أحوال اليوم الآخر ، وحياة الدار الآخرة يوم يقوم الناس لرب العالمين « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » الأمر الذى تضافرت على بيانه أدلة النقل وبراهين العقل .

وفيه حكم ما بيننا من المشاكل والمسائل التى تحتاج فيها إلى بيان وإرشاد من المسائل الاعتقادية والفكرية ، والمسائل الأخلاقية والسلوكية والمعاملات المالية ، وفروع العبادات والأحكام الشرعية شخصية وغير شخصية « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا »^(١) « وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَبْنِيَانَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ »^(٢) ما من حكم شرعى دينى ، أو قضية أو مشكلة تلامس دنيا الناس وحياتهم ، أو تتعمقها إلا وله فى كل ذلك عرق ينبض ، أو معين لا ينضب ، وله هدى وبيان وإرشاد إما بالنص أو الاستنباط « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم »^(٣) .

نعم ، لقد كان هذا القرآن العظيم مشعل هداية على طريق الإنسانية أضاء لها ، فأخرجها من الظلمات إلى النور ، وأخذ بأيديها إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، وكان نقطة تحول فى تاريخها الطويل ، وانتقل بها من حياة الإثم والفساد والضلال إلى حياة الخير والحق والرشاد ، وأحدث فى العالم كله من القيم

(١) سورة النسا الآية ١٧٤

(٢) سورة النمل الآية ٨٩

(٣) سورة المائدة الآية ١٥

والمفاهيم والمعايير ما صعد بالإنسانية من دركها الأسفل إلى أبعج صورها، وأسمى كمالاتها .

الهدايات والمعاني التي تضمنها القرآن، وسبقت الإشارة إليها لا يمكن معرفتها إلا بواسطة التفسير لنصوص القرآن وآياته، والتفسير هو الكشف عن مراد الله تعالى، ومعرفة هذا المراد من خلال كلماته في هذا القرآن على قدر الطاقة البشرية، وقد نشأ علم التفسير شيئاً فشيئاً، ونما رويداً رويداً حتى اكتمل عقده وبلغ تمام نموه، فصار على الصورة الرائعة التي نعرفها اليوم، ففي عصر نزول القرآن، وحياة الرسول لم تكن الحاجة ماسة إلى وضع تفسير، ولا تدوين علم تفسير، لأن القرآن في مجمل أمره كان واضحاً مفهوماً للرسول ولأصحابه، وبرغم ذلك كان للنبي ﷺ تفسيرات لبعض الآيات والألفاظ التي قد يخفى المراد منها، وكان للصحابة والتابعين وتابعيهم كذلك تفسيرات لكثير من الآيات التي تختلف في فهمها الأنظار، ويدور حولها جدال لأى سبب من الأسباب التي لا بد من حدوثها في فجر أمة ناهضة فتية اتسعت أمامها الفتوحات، واعتورت حياتها الأحداث التاريخية، والجدالات المذهبية، والخلافات الفقهية والسياسية .

كان القرآن ولا يزال محوراً للثقافة الإسلامية، والمحركات الفكرية وسائر النشاطات العقلية، وقد حرصت آياته على النظر فيه والتأمل فقال تعالى: « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب »^(١) وقال « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »^(٢) وقال « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها »^(٣) وما تفسيره إلا نتيجة للتأمل والتدبر، وقد اختلفت أنظار المفسرين وطرقهم ومشاربهم في تفسيره، فمنهم من غلبت عليه الزعة الفكرية العقائدية الجدلية فتوسع توسعاً كبيراً في شرح الآيات

المتصلة بهذه المعاني ، وغلبت على تفسيره هذه الظاهرة ، ومنهم من غلبت عليه الزعة اللغوية والبلاغية والأسلوبية الأدبية ، فتوسع توسعاً كبيراً في هذه النواحي ومنهم من غلبت عليه الزعة الفقهية الشرعية ، فتوسع فيها وهكذا كان من توسع في القصص والأخبار ومن توسع في الأخلاق والتصوف والمواظع وآيات الله في الأنفس والآفاق ونحو ذلك ، كذلك كان من المفسرين من أطال حتى أمل ، وكان منهم من اختصر حتى أخل ، ومنهم من توسط بين هذا وذاك ، وكان منهم من يميل إلى التفسير بالمأثور ، ومن يميل إلى التفسير بالرأى ، ومن يمزج التفسير بعلوم أخرى كثيرة وكان منهم من كتب تفسيره بأسلوب غامض ، ومن كتب بأسلوب واضح وكان من جميع هؤلاء وهؤلاء وبما تركوه وألفسوه من الكتب ثروة علمية ضخمة ، وحركة فكرية تنتزع الإعجاب والتقدير وتستوجب الثناء على أمة خدمت كتاب ربها بما لم يخدم به أى كتاب عرفه وجه الأرض حفظاً وضبطاً ، وشرحاً واستنباطاً ، واستهداء وإعزازاً وتقديساً على مدى أربعة عشر قرناً من الزمن ، تتلوها قرون أخرى كثيرة من الزمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »^(١) « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »^(٢).

الأفكار في تجدد والثقافات تتلاقح ، والحياة في تطور ، والمحصيلة الفكرية لبني البشر يعترها كل يوم جديد ، والبشر كلما تقدم بهم الزمن تقاربوا وامتزج بعضهم ببعض ، ووسائل الاتصال والعرمان البشرى ساعدت على ذلك ، كأنما تريد أن تفسر عملياً قول هذا القرآن « يأبها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »^(٣).

(١) سورة الحجر الآية ٩

(٢) سورة فصلت الآية ٤١

(٣) سورة الحجرات الآية ١٣

والعكوف على ما قاله الأولون دون تجسيد وابتكار جمود وتغلف ، والاقتدار على الحركة والتصرف ، وتمييز الغث من السمين ، وتنازع البقاء ، وبقاء الأصلح ، علامة الحياة ، ومنطق الوجود وسنة الله في خلقه ، وكتاب الله بحر لا ساحل له لا يدرك عمقه ولا يسبر غوره .

لا يسأمه البحث والتأمل ولا ينتهى فيه الفكر والتطور :

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً

هذا هو الذى فتح ولا يزال يفتح المجال لكل ما يجد من التفسير والمفسرين .

وهذا هو الذى حدا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية إلى أن يشكل هذه اللجان العلمية من جهابذة العلماء وفطاحل الباحثين والمفكرين ، ليتوفروا على تأليف هذا التفسير بأسلوب عصرى سهل مبسط واضح العبارة ، وجيز لا يحل ولا يمل ، بعيد عن الخلافات المذهبية ، والمصطلحات الفنية والحشو والتعقيدات اللفظية ، حتى يكون على حالة مرضية من الصلاحية لترجمته إلى اللغات الأجنبية التى يرمى للمتكلمين بها أن يطلعوا على ما فى هذا القرآن من العقائد والمبادئ والتعاليم التى يبتدون بهديها ، إنجازاً للواجب الملقى على عاتقنا نحن المتكلمين باللغة العربية . من وجوب ترجمة معانى القرآن إلى غير العربية ، فيتنسئ للرسالة المحمدية أن تكون كافة للناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم فإن الله تعالى يقول : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم »^(١) ويقول المفسرون : إذا كانت رسالة الرسول عامة إلى الناس ، وهو عربى بلسان قومه العرب فإن رسالته

تبلغ إلى غير العرب عن طريق الترجمة التي تقوم مقام الأصل ، وهذه الترجمة الدقيقة الصحيحة التي تراعى فيها الأمانة ، وتقوم على إدراك وعى المترجم عنه ، والمترجم إليه نسد الطريق أمام كثير من الترجمات الزائفة المغرضة المحشوة بالتخريف والأباطيل .

وسوف يتلو هذا التفسير الوجيز تفسير آخر وسيط في شئ من البسط ، يعنى فيه بمزيد من البحث والنظر ، واستخلاص العبر والآداب والتعاليم ، والتوجيهات التي تأخذ بيد المسلمين لينهضوا ويكيفوا حياتهم على ما تقتضيه آيات هذا الذكر الحكيم من الأخذ بأسباب القوة والعزة والكرامة ، ويشار فيه إلى ما ترشد إليه الآيات من نواميس الحياة وأسرار الكون وقائمه العلمية التي لم تعرف إلا في العصور الأخيرة عصور الكشف العلمي ، ولا يمكن أن يكون القرآن قد أشار إليها لأنه ليس من كلام بشر ، ولكنه من كلام خلاق القوى والقدر ، الذي وعد بذلك في محكم هذا الكتاب فقال « سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد »^(١) والله ولى التوفيق .

لجنة القرآن والسنة





بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفاتحة

هذه السورة مكية، نزلت في مكة قبل الهجرة، وسميت الفاتحة لأنها أول السور في ترتيب المصحف الشريف. وهي أول سورة نزلت بتمامها، وهي تستعمل على مجمل مافي القرآن، وكأنها اجمال مجلو بهذه التفصيل.

ومقاصد القرآن هي: بيان التوحيد، وبيان الوعد والبشرى للمؤمن الحسن، وبيان الوعيد والانهذار للكافر والمسيء، وبيان العبادة، وبيان طريق السعادة في الدنيا والآخرة، وقصص الذين أطاعوا الله ففازوا، وقصص الذين عصوه فخابوا.

والفاتحة تشتمل، بطريق الایجاز والاشارة، على هذه المقاصد، ولذلك سميت «أم الكتاب».

١ - تنديء باسم الله الذي لا يمبود بحق سواء، والمنصف بكل كمال، المُنْعَمُ عن كل نقص، وهو صاحب الرحمة الذي يفيض بالنعيم جليلها ودقيقها، عامها وخاصها، وهو المنصف بصفة الرحمة الدائمة.

٢ - التناء الجميل بكل أنواعه وعلى كل حال لله وحده، وتنقي عليه التناء كله لأنه منشؤه المخلوقات والقائم عليها.

٣ - وهو صاحب الرحمة الدائمة ومصدرها. ينعم بكل النعم صغيرها وكبيرها.

٤ - وهو وحده المالك ليوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة، يتصرف فيه لا يشاركه أحد في التصرف ولو في الظاهر.

٥ - لا نعبد إلا إياك، ولا نطلب المنة إلا منك.

٦ - نسألك أن توفقنا إلى طريق الحق والخير والسعادة.

٧ - وهو طريق عبادك الذين وفقهم إلى الايمان بك، ووهبت لهم نعمتي الهداية والرضا، لا طريق الذين استحقوا غضبك وضلوا عن طريق الحق والخير لأنهم أعرضوا عن الايمان بك والاذعان لهديك.

سورة البقرة

هذه السورة مدنية نزلت بالمدينة بعد الهجرة وهي أطول سورة في القرآن الكريم، حسب ترتيب المصحف، وقد ابتدأت هذه السورة بتفصيل ما انتهت إليه سورة الفاتحة فقد ذكرت أن القرآن هو مصدر الهدى، وذكرت الذين أنعم الله عليهم بالرضا، والذين غضب عليهم من الكفار والمنافقين.

وقد تحدثت السورة عن صدق القرآن، وأن دعوته حق لا ريب فيها، ثم تحدثت عن أصناف الناس الثلاثة: المؤمنين والكافرين والمنافقين، وعن الدعوة إلى عبادة الله وحده. وعن انذار الكافرين وتبشير المؤمنين، ثم غصت بنى اسرائيل بالدعوة والمرابطة، وجاء فيها تذكيرهم بأيام الله وعبادتهم مع موسى عليه السلام، وتذكيرهم كذلك



بإبراهيم وإسماعيل وبنائهما الكعبة، واستغرق ذلك نحو نصف السورة، وتخلله حديث موجه إلى المؤمنين للاعتبار بما حدث لليهود والنصارى.

وانتقل الحديث إلى خطاب أهل القرآن بذكر ما هو مشترك بين قوم موسى وقوم محمد من فضل إبراهيم وهدايته ونسبه، وبذكر مسألة القبلة وغيرها.

ثم جاء الحديث عن التوحيد والتذكير بآيات الله الدالة عليه، وجاء الحديث عن الشرك، وعن المحرمات من الطعام، وأن التحريم والتحليل من حق الله وحده.

وتعرضت السورة لبيان أصول البر. وذكر بعض أحكام الصيام والوصية وأكل أموال الناس بالباطل، والقصاص والقتال والحج والخمر والميسر والتكاح والطلاق والرضاع والعدة وغيرها، كما تعرضت للحديث عن العقائد العامة كالرسالة والتوحيد والبعث، وتحدثت عن الانفاق والربا والتجارة وكتابة الدين، ثم ختمت السورة بدعاء من المؤمنين لربهم أن ينصرهم ويؤيدهم.

وقد تضمنت هذه السورة عدة قواعد منها:

ان اتباع سبيل الله وإقامة دينه هما الموجبان للسعادة في الدنيا والآخرة، وأنه لا يليق بعاقل أن يدعو إلى البر والفضيلة وينسى نفسه، وأنه يجب إثبات الخير على الشر، وترجيح الأعلى على الأدنى.

وأن أصول الدين ثلاثة، وهي: الإيمان بالله، والإيمان بالبعث، والعمل الصالح.
وأن الجزاء على الإيمان والعمل معاً، وأن شرط الإيمان هو الإذعان النفس والتسليم القلبي لكل ما جاء به الرسول، وأن غير المسلمين لن يرضوا عن المسلمين حتى يتبع المسلمون دين هؤلاء..
إن الولاية العامة الشرعية يجب أن تكون لأهل الإيمان والعدل، لا لأهل الكفر والظلم. وأن الإيمان بدين الله كما أنزله يستلزم الوحدة والاتفاق وأن ترك الاهتداء بذلك يورث الاختلاف والشقاق، وأن تحقيق الأمور الجلية يستعان عليه بالصبر والصلاة، وأن التقليد الأعمى باطل يؤدي إلى الجهالة والمصيبة.

وأن الله أحل لعباده الطيبات من الطعام، وحرم أشياء خبيثة محدودة، ولا يجوز لعير الله أن يحل أو يحرم، وأن الهرمات تباح للمضطر لأن الضرورات تبيح المحظورات وتقدر الضرورة بقدرها، وأن الدين مبنى على اليس ورفع الحرج فانه لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولا يأمر عباده إلا بما يطيقون. وأن لقاء النفس إلى التهلكة حرام لا يجوز وأن الأشياء تطلب بأسبابها ووسائلها المؤدية إليها، وأن الإكراه في الدين ممتنع، وأن القتال مشروع في الاسلام للدفاع، ولتأمين حرية الدين، وتأمين سيادة الاسلام في مجتمعه.

وأن للمسلم أن يطلب حفظه من الدنيا، كما يؤدي واجبه نحو الآخرة، وأن سد الذرائع وتقرير المصالح من مقاصد الشريعة.

وأن الإيمان والصبر سببان لنصرة القلة العادلة على الكثرة الباغية، وأن أكل أموال الناس بالباطل حرام. وأن الإنسان مجزى بعمله لا بعمل غيره، وأن حكمة التشريع يدركها العقل السليم لما فيها من الحق والعدل ومصالح العباد.

١ - ألف لام ميم: هذه حروف ابتدأ الله سبحانه وتعالى بها ليشير بها إلى إعجاز القرآن الكريم المؤلف من حروف كالحروف التي يؤلف منها العرب كلامهم، ومع ذلك عجزوا عن الاتيان بمثل القرآن، وهي مع ذلك تتلوى على تنبيه للاستماع تميز جرسها.

٢ - هذا هو الكتاب الكامل وهو القرآن الذي نزل به ليرتاب عاقل منصف في كونه من عند الله، ولا في صدق ما اشتمل عليه من حقائق وأحكام، وفي الهداية الكاملة للذين يستمدون طلب الحق، ويتوقنون الضرر وأسباب العقاب.

٣ - وهؤلاء هم الذين يصدقون - في حزم وإذعان - بما غاب عنهم، ويعتقدون فيها وراء الحسوس كاللائكة واليوم الآخر، لأن أساس الدين هو الإيمان بالغيب، ويؤدون الصلاة مستقيمة، يتوجه إلى الله وغشوع حقيق له، والذين ينفقون جانباً مما يرزقهم الله به في وجوه الخير والبر.

٤ - والذين يصدقون بالقرآن المنزل عليك من الله، وبما فيه من أحكام وأخبار ويعملون بمقتضاه ويصدقون بالكتب الإلهية التي نزلت على من سبقك من الأنبياء والمرسل كالطورا والإنجيل وغيرها، لأن رسالات الله واحدة في أصولها - يتميزون بأنهم يعتقدون اعتقاداً جازماً بمجيء يوم القيامة وبما فيه من حساب وتواب وعقاب.

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَإِلَهِهِم آخَرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامِنُونَ وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

٥ - هؤلاء الموصوفون بما سبق من صفات ، متكون من أسباب الهداية الالهية ، مستقرون عليها ، أولئك هم وحدهم الفائزون بمطلوبهم ومرغوبهم ثوابا لسعيهم واجتهادهم وامتناعهم الأوامر واجتنابهم النواهي .

٦ - هذا شأن المهتدين ، أما الجاهلون الذين فقدوا الاستعداد للإيمان اعراضا منهم وعنادا فلن يستجيبوا لله ، فيستوى عندهم تخويفك لهم وعدم تخويفك .

٧ - هؤلاء قد تمكن الكفر منهم حتى كأن قلوبهم مخنوم عليها بحجاب لا يدخلها غير ما فيها ، وكأن أسمعهم مخنوم عليها كذلك ، فلا تسمع وعده الحق ، وكأن أبصارهم قد غشها غطاء فهي لا تدرك آيات الله الدالة على الإيمان ، ولذلك استحقوا أن ينالهم العذاب الشديد .

٨ - ومن الكافرين قوم آخرون من الناس يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، يظهرون الإيمان فيقولون : اننا آمنّا بالله ويوم القيامة ، وليسوا بصادقين في قلوبهم ، فلا يدخلون في جماعة المؤمنين .

٩ - انهم يخدعون المؤمنين بما يصنعون ويظنون انهم يخادعون الله ، إذ يتوهمون أنه غير مطلع على خفاياهم . مع أنه يعلم السر والنجوى ، وهم في الواقع يخدعون أنفسهم لأن ضرر عملهم لاحق بهم ، عاجلا وأجلا ، ولأن من يخدع غيره ، ويحسبه جاهلا - وهو ليس كذلك - إنما يخدع نفسه .

١٠ - هؤلاء في قلوبهم مرض الحسد والمقد على أهل الإيمان مع فساد العقيدة ، وزادهم الله على مرضهم مرضا ينصره للحق ، إذ كان ذلك مؤذيا لهم بسبب حسدهم وحقدهم وعنادهم ، ولهذا عذاب أليم في الدنيا والآخرة بسبب كذبهم وجحودهم .

لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ السَّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قَالُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِكُمْ شَيْطِينُهُمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ قَبْلِ وَجْهِ تَحْزِينِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُ قَوْمٍ الَّذِينَ اسْتَوْفَدُوا نَارًا فَلَبَّ أَعْصَابُهُمْ حَبَاقٌ مَنُورَةٌ اللَّهُ يَتُورُهُمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ

١١ - وإذا قال أحد من المهتدين هؤلاء المنافقين : لا تفسدوا في الأرض بالصد عن سبيل الله ، ونشر الفتنة وإيقاد نار الحرب يرموا أنفسهم من الفساد ، وقالوا ما نحن الا مصلحون وذلك لقرط غرورهم ، وهذا شأن كل مفسد خبيث مغرور يزعم فسادا اصلاحا .

١٢ - ألا فتنوا أيما المؤمنين الى أنهم هم أهل الفساد حقاً ، ولكنهم لا يشعرون بفسادهم لغرورهم ولا ينسوه العاقبة التي ستصيبهم بسبب هذا النفاق .

١٣ - وإذا قال قائل لهم بتصحيحهم ويرشدهم : أقبلوا على ما يجب ، وهو أن تؤمنوا بإيماننا مخلصنا مثل إيمان الناس الكاملين المستجيبين لصوت العقل سخروا وتكفوا وقالوا : لا يليق بنا أن نتبع هؤلاء الجهلاء ضحاف القول ، فرد الله عليهم تطاولهم وحكم عليهم بأنهم - وحدهم - الجهلاء الحق . ولكنهم لا يطمئن علماً يقينا أن الجهل ونقص الادراك محصور فيهم ومقتصور عليهم .

١٤ - وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين المخلصين ، قالوا : آتينا بما أنتم به مؤمنون من صديق الرسول ودعوته ، ونحن معكم في الاعتقاد ، وإذا انصرفوا عنهم واجتمعوا بأصحابهم الذين يشبهون الشياطين في الفتنة والفساد ، قالوا لهم : انا معكم على طريقتكم وعملكم ، وإنما كان قولنا للمؤمنين ما قلنا استخفافاً بهم واستهزاء .

١٥ - والله سبحانه يجازيهم على استهزائهم ، ويكتب عليهم الهوان الموجب للسخرية والاحتقار ، فيعاملهم بذلك معاملة المستهزء ، ويعلمهم في ظلمهم الفاحش الذي يجعلهم في عسى عن الحق ثم يأخذهم بعذابه .

١٦ - وهؤلاء اذ اختاروا الضلالة بدل الهداية كانوا كالتاجر الذي يختار لتجارته البضاعة الفاسدة الكاسدة فلا يربح في تجارته ، ويضيع رأس ماله ، وهم في عملهم غير مهتدين .

لَا يَبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بُكْرٌ عَمَى قَهْمٌ لَا يَرِجُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَهُمْ فِي أَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مِشْوَاهُيه وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبَادًا رَبِّكَ الَّذِي سَخَّرَ لَهُمُ الدِّينَ مِنَ قَبْلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ

١٧ - حال هؤلاء في نفاقهم كحال من أوقد نارا لينتفع بها مع قومه . فلما أنارت ماحولة من الأشياء ذهب الله بنورهم وترك موقديا في ظلمات كثيفة لا يصرن معها شيئا . لأن الله قدم إليهم أسباب الهداية فلم يتمسكوا بها فصارت أبصارهم مطموسة . فاستحقوا أن يبقوا في الحيرة والضلال .

١٨ - هؤلاء كالصم . لأنهم قد فقدوا منفعة السمع . إذ لا يسمعون الحق سماع قبول واستجابة وهم كالمكتم الحرس . لأنهم لا ينطقون بالهدى أو الحق وهم كالذين فقدوا أبصارهم لأنهم لا ينتفعون بها في اعتبار أو انزعاج . فهم لا يرجعون عن ضلالتهم .

١٩ - أو حالهم في حيرتهم وشدة الأمر عليهم وعدم ادراكهم لما ينفعهم ويضرهم . كحال قوم نزل عليهم مطر من السماء ورعد وصواعق . يضعون أطراف أصابعهم في أذانهم كي لا يسمعوا أصوات الصواعق . خائفين من الموت . زاعمين أن وضع الأصابع بمنعهم منه .

وهؤلاء إذا نزل القرآن - وفيه بيان لظلمات الكفر والوعيد عليه . وبيان الإيمان ونوره المتأني . وبيان النذر وألوان العذاب - أعرضوا عنه وحاولوا الخلاص منه زاعمين أن اعراضهم عنه سيجلبهم من العقاب . . ولكن الله علم بالكافرين مسيطر عليهم من كل جهة يعلمه وقدرته .

٢٠ - ان هذا البرق الشديد النذر يكاد يحطف منهم أبصارهم لشدة . وهو يضئ لهم الطريق حينما فيسيرون خطوات مستعجيين بضوئه حين ينقطع البرق ويشد الظلام يقفون متحيرين ضالين . وهؤلاء المنافقون تلوح لهم الدلائل والآيات فتبهتهم أضواؤها فيهمون أن يتعدوا . ولكنهم بعد قليل يعودون الى الكفر والنفاق .

واسع القدرة إذا أراد شيئا قبله . لا يميزه شيء في الأرض ولا في السماء .

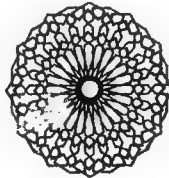
٢١ - يأيتها الناس اعبدوا ربكم الذي أنشأكم وخلقكم وثابكم كما خلق الذين سبقوكم . فهو خالق كل شيء . ولعلكم بذلك تمدون أنفسكم وتهيئونها لتعظيم الله ومراقبته . فتظهر بذلك نفوسكم وتذعن للحق . وتخاف سواه العاقبة .

الْأَرْضَ فِرْعَانًا وَالنَّمَاءَ يَنُكُّ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَلَيُصْرِجَ بِهِمِ الْغُرَيْرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

٢٢ - انه وحده هو الذى مهد لكم الارض بقدرته ، وبسط رقعته ليهللكم الاقامة فيها والانتفاع بها ، وجعل ما فوقكم من السماء أجرامها وكواكبها كالبنان المشيد ، وأمدكم بسبب الحياة والنعمة - وهو الماء - أنزله عليكم من السماء فيجعل سببا لاختراج النباتات والأشجار المثمرة التى رزقكم بفوائدها ، فلا يصح مع هذا أن تتصوروا أن الله نظراء لعباده كعبادته لأنه ليس له مثل ولا شريك ، وأنتم بفطرتكم الاصلية تعلمون أنه لا مثل له ولا شريك . فلاحرقوا هذه الطبيعة .

٢٣ - وان كنتم فى ريب من صدق هذا القرآن الذى تتابع أنزلنا له على عبدنا محمد . فليدرككم المحسنة الطاهرة التى تبين الحق لكم فحاولوا أن تأتوا بسورة مماثلة من سور هذا القرآن فى بلاغتها وأحكامها وعلومها ورسائل هدايتها ، ونادوا الذين يشهدون لكم أنكم أنتم بسورة مماثلة له فاستمعوا لهم ولن تجدهم ، هؤلاء الشهاداء هم غير الله لأن الله يؤيد عبده بكتابه ويشهد له بأفعاله هذا إن كنتم صادقين فى ارتيابكم فى هذا القرآن .

٢٤ - فإن لم تستطيعوا الاتيان بسورة مماثلة لسور القرآن - ولن تستطيعوا ذلك بحال من الأحوال لأنه ليس من طاقة المخلوقين ، إذ القرآن كلام الخالق - فالواجب عليكم أن تتجنبوا الأسباب التى تؤدى بكم الى عذاب الآخرة ، وهو النار التى سيكون وقودها وحطبها من الكافرين ومن الأصنام ، وقد هيئت هذه النار لتعذيب المجاحدين المعاندين .



وَيَبْرِئَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَمَّا بِهِ مَثْنً بَدِئًا وَلَهُمْ فِيهَا أَنْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً لَكِنَّهُ أَكْبَرُ قَوْلُهَا قَالَا الَّذِينَ آمَنُوا يَقُولُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْآفِيقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَكْسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ

٢٥ - وإذا كان هذا عقاب النجار المباحدين فالجنة متوى المؤمنين ، فأخبر الذين صدقوا بالله ورسوله وكتابه ، وأذعنوا للحق دون شك أو ارتياب وعمِلوا الأفعال الصالحة الطيبة أخبرهم بحجر يبرهم ويشرح صدورهم ، وهو أن الله أعِد لهم عند جنات ثمرته تنخلها الانهار الجارية تحت أشجارها وقصورها ، كلما رزقهم الله وهم في هذه الجنات رزقا من بعض ثمارها قالوا : ان هذا يشبه مارزقنا من قبل ، لان هذه الثمرات التي ينالونها تشابه أفرادها في الصورة والجنس ولكنها تهايز في الطعم واللذة ، ولهم فيها أيضا زوجات كاملات الطهارة لبس فيهن ما يعاب . . . ومسيقون في هذه الجنة في حياة أبدية لا يخرجون منها .

٢٦ - يضرب الله الأمثال للناس لبيان الحقائق العالية ، ويضرب بصفاة الاحياء ، وكبار الأشياء ، وقد عاب من لا يؤمنون ضرب المثل بصفاة الاحياء كالذباب والعنكبوت ، فبين الله سبحانه أنه لا يقتره ما يفتري الناس من الاستحياء ، فلا يمنع أن يصور لعباده ما يشاء من أمور بأى مثل مهما كان صغيرا ، فيصح أن يجعل المثل بعوضة أو ما فوقها والذين آمنوا يعلمون وجه التمثيل وأن هذا حق من الله ، والذين كفروا يتلقونه بالاستنكار ويقولون : ما الذي أَرَادَ الله بهذا المثل ؟ وأن هذا المثل يكون سببا لاضلال الذين لا يطلبون الحق ولا يريدونه ، ويكون سببا لهداية المؤمنين بالحق الذين يطلبونه ، فلا يضل به الا المنحرفون المتمردون .

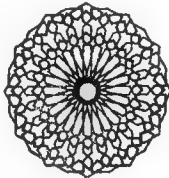
٢٧ - الذين ينقضون عهد الله ، وهم الذين لم يلتزموا عهد الله القوي الذي أنشأه في نفوسهم بمقتضى الفطرة موقفا بالعقل المدرك ومؤيدا بالرسالة ويقطعون ما أمر الله به أن يكون موصولا كوصل ذوى الأرحام ، والتواد والتعارف والتراحم بين بنى الانسان ، ويفسدون في الأرض بسوء المعاملات وباتارة الفتنة وايقاد الحروب وانفساد العمران ، أولئك هم الذين يخسرون بافسادهم فطرتهم وقطعهم ما بينهم وبين الناس ما يجب أن يكون من تواد وتعاطف وتراحم ، ويكون مع ذلك لهم الحزنى في الدنيا والعذاب في الآخرة .

تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَشْوَاثًا فَلْيُحْيِئْكُمْ اللَّهُ مِمَّا كَفَرْتُمْ إِنَّكُمْ بِعِندِ اللَّهِ لَمَكِينُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ جِيعًا ثُمَّ وَسَّوْنَاهُ إِلَى الْمَسْلُوكِ مَسِيرًا ﴿٢٩﴾ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ فَسِيحٌ بِحَدِّكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ وَعَدَّ آدَمَ الْأَتَمَّةَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ

٢٨ - ان حالكم تثير العجب ! كيف تكفرون ولا توجد شبهة تتمدنون عليها في كفركم ؟ ونظرة إلى حالكم تأتي هذا الكفر ولا تدع لكم عفوا فيه ، فقد كنتم أمواتا ، فخلقكم الله ووهبكم الحياة وحسن التوفيق ، ثم هو الذي يعيدكم أمواتا عند انتهاء أجلكم ، ثم يمشكم أحياء مرة أخرى للحساب والعقاب ثم إليه ، لا إلى غيره ، تصيدون فيعاصيكم ويجازيكم على أعمالكم .

٢٩ - وإن الله الذي يقبب عبادته واطاعته هو الذي نفضل عليكم فخلق لمنفعتكم وفائدتكم كل النعم الموجودة في الأرض ، ثم قد توجهت إرادته مع خلقه الأرض بمنافعها إلى السماء فجعل منها سبع سموات منتظفات فيها مائرون وما لا ترون ، والله محيط بكل شيء عالم به .

٣٠ - بين سبحانه أنه هو الذي أحيا الإنسان ومكن له في الأرض ، ثم بين بعد ذلك أصل تكوين الإنسان وما أودع فيه من علم الأشياء وذكره به . فاذكر يا محمد نعمة أخرى من ربك على الإنسان ، وهي أنه قال للملائكة : اني جاعل في الأرض من أمكنة منها وأجعل له صاحب سلطان فيها وهو آدم وذريته ، استغفروهم الله في عبارة الأرض واذكر قول الملائكة أنجيل فيها من يفسد فيها بالمعاصي ومن يسفك الدماء بالعدوان والقتل لما في طبيعته من شهوات . بينا نحن ننزهك عما لا يليق بعظمتك ، ونظهر ذكرك ولعبدك ، فأجابههم ربهم : اني أعلم ما لم تعلموا من المصلحة في ذلك .



إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَفَادَمُ
أَنْفُسُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ أَنْعَمْتُ عَلَى الْأَرْضِ وَلَا عِيبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا عِلْمَ مَا يَدِينُونَ وَمَا كُنْتُمْ
تَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾
وَقُلْنَا يَتَفَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَآوَزَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَتَرَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ
مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَخَلَقَ آدَمُ مِنْ رِبِّهِ عَظْمًا مَكِينًا فَكَانَ عَلَيْهِ الْإِمْرُ أَنْ هُوَ التَّوْبَابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا

٣١ - وبعد أن خلق الله آدم وعلمه أسماء الأشياء وخواصها ليتمكن في الأرض وينتفع بها، عرض الله هذه الأشياء على الملائكة وقال لهم: أخبروني بأسماء هذه الأشياء وخواصها إن كنتم صدقتم في ظنكم أنكم أحق بمخالفة الأرض ولا يوجد أفضل منكم بسبب طاعتكم وعبادتكم.

٣٢ - وقد ظهر للملائكة عجزهم فقالوا: اننا ننزهك يا ربنا التزوية اللائق بك، ونقر بمجزنا وعدم اعتراضنا، فلا علم عندنا إلا ما وهبنا إياه، وأنت العالم بكل شيء الحكيم في كل أمر تفعله.

٣٣ - قال الله لآدم: أخبر الملائكة يا آدم بهذه الأشياء، فأجاب وأظهر فضله عليهم، وهنا قال الله لهم مذكرا لهم بأحاطة علمه: ألم أقل لكم إلى أعلم كل ما غاب في السموات والأرض ولا يعلمه غيري، وأعلم ما تظهرون في قولكم وما تخفون في نفوسكم.

٣٤ - واذكر أيها النبي حين قلنا للملائكة: اخضعوا لآدم فحيه له وإقرارا بفضله، فأطاع الملائكة كلهم إلا إبليس، امتنع عن السجود وصار من العصاة له، والكافرين بنعم الله وحكته وعلمه.

٣٥ - ثم خلق الله آدم وزوجته وأمرها أن تعيش في جنة النعيم فقال له: اسكن أنت وامرأتك الجنة وكلا منها ما تشاءن أكلًا هنيئًا وأمرًا بلا تعب من أي مكان أو غير تزيان، ولكن الله ذكر لها شجرة معينة وحذرهما الأكل منها وقال لها: لا تدنوا من هذه الشجرة ولا تأكلا منها، والا كتبنا من الظالمين العصاة.

٣٦ - ولكن إبليس الماخذ لآدم، الماخذ، أخذ يفتال عليها ويغريها بالأكل من الشجرة حتى زلا فأكل منها فأخرجها الله مما كانا فيه من النعيم والتكريم، وأمرها الله تعالى بالزول إلى الأرض ليعيشاها وذريتها فيها، ويكون بعضهم لبعض عدا بسبب المنافسة واثواء الشيطان، ولكم في الأرض مكان استقرار وتيسير للمعيشة، وتنتهي باتهاء الأجل.

٣٧ - وأحسن آدم هو وزوجته يخطئها وظلمها لأنفسها، فألم الله تعالى آدم كلمات يقولها للتوبة والاستغفار، فقلنا، فتقبل الله منه وغفر له لأنه كثير القبول للتوبة، وهو الرحيم بعباده الضعفاء.

مِنْهَا جَمِيعًا فَلَمَّا بَأْتَيْنَكُمْ مَتًى هَدَىٰ قَلْبَ هَدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَذَّبُوا بِإِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ وَمَعْدِدُكُمْ إِلَيَّ فَارْجِعُونَ ﴿٤٠﴾ وَهَلِّغُوا بِمَا آتَيْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ بِهِ وَلَا تُشْرِكُوا بِعَابَتِي فَمَا قَلِيلًا ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَكُونُونَ إِلَّا نَسِيبًا

③

٣٨ - وقتلنا آدم وزوجته ومن سيكون من ذريته وإبليس: اهبطوا الى الأرض وستكفون تكليفات فيها ، فان جاءكم ذلك من عندي - وسياأتكم هنا - فالذين يستجيبون لأمرى ويتبعون هداى لا يشعرون بخوف ، ولا يصيبهم حزن لفوات ثواب ، لأن الله لا يضع أجر من أحسن عملا .

٣٩ - والذين جحدوا وكذبوا برسلى الله وكتبه ، أولئك أهل النار ، يظنون فيها أبدا لا يخرجون ولا يفتنون .

٤٠ - يا بني اسرائيل اذكروا نعمتى التى تفضلت بها عليكم أنتم وأباؤكم بالتفكير فيها والقيام بواجب شكرها وأوفوا بعهدى الذى أخذته عليكم وأقرقوه على أنفسكم ، وهو الايمان ، والعمل الصالح ، والتصديق بى بعسى بعد موسى من الأنبياء ، حتى أوفى بوعدى لكم وهو حسن الثواب والتعميم المقيم ، ولا تخافوا أحدا غيرى ، واحذروا من أسباب غضبى لكم .

٤١ - وصدقوا بالقرآن الذى أنزلت مصدقا لما عندكم من كتب ، وعلم من التوحيد وعبادة الله ، والعادل بين الناس ، ولا تسارعوا الى جحود القرآن فتكونوا أول الكافرين به من حيث ينبغى أن تكونوا أول المؤمنين به ، ولا تتركوا آيات الله لتأخذوا عن ذلك عوضا قليلا زائلا من متاع الحياة الدنيا ، وخصوصا بالخوف فاتبعوا طريقى ، وأعرضوا عن الباطل .

٤٢ - لا تخطئوا الحق للزلل من عندى بالباطل المفتى من عندكم ، حتى لا يشبهه هذا بذاك ، ولا تكموا الحق ومته صدق محمد ، وأنتم تعلمون أنه حق وصدق .

٤٣ - واستجيبوا للايمان ، فأدوا الصلاة مستقيمة الأركان ، وأعطوا الزكاة لسنحتها ، وصلوا مع جماعة المسلمين لتنالوا ثواب الصلاة وثواب الجماعة وهذا يستلزم أن تكونوا مسلمين .

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِذْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ مُتْلِفُوا رَبِّهِمْ وَأَتَتْهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَذِّنِّي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نَعْمَ أَنِّي آتَمَمْتُ عَلَيْكَ وَأَنِّي فَضَّلْتُكَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنَ الْيَمِّ فَرَغُونَ يُسْمُونَكَ سَوَاءَ الْعَذَابِ يَلْعَنُونَ أَبْنَاءَكَ وَسَتَحِينَ نِسَاءَكَ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾

٤٤ - أتطلبون من الناس أن يتوسعوا في الخير، وأن يلتزموا الطاعة ويتجنبوا المصيبة، ثم لا تعلمون بما تقولون، ولا تلتزمون ما تطلبون وفي ذلك تضيق لأنفسكم كأنكم تتسوها، مع أنكم تفرعون التوراة وفيها التهديد والوعيد على مخالفة القول للصل، أليس لديكم عقل يردعكم على هذا التصرف النميم؟

٤٥ - واستعينوا على أداء التكليفات بالصبر وحبس النفس على ما تكره، ومن ذلك الصوم، وبالصلاة العظيمة الشأن التي تنق القلب وتنتهي عن الفحشاء والمنكر، ولذلك كانت ثقيلة شاقة إلا على الخاضعين للطاعة، الذين أطمأنت قلوبهم لذكر الله.

٤٦ - أولئك الخاضعون المطمئنة قلوبهم، الذين يؤمنون باليوم الآخر ويوقنون بأنهم سيقاؤون ربهم عند البعث، وأليه وحده يعودون لحسابهم على ما قدمت أيديهم وشيئهم عليه.

٤٧ - يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت بها عليكم، من إخراجكم من ظلم فرعون وهدايتكم وتكليمكم في الأرض بعد أن كنتم مستضعفين فيها، واشكروا واهبها بطاعتكم له، واذكروا أنني أعطيت أبادكم الذين انحدرتم منهم مالم أعطه أحدا من معاصريكم. والخطاب لجنس اليهود. ويملهم الماصرين للرسول.

٤٨ - وخافوا يوم الحساب الشديد: يوم القيامة الذي لا تدفع فيه نفس عن نفس شيئا، ولا تنفي فيه نفس عن نفس أخرى شيئا، ولا يقبل من أي نفس تقديم أي شفيع، كما لا يقبل عرض تغدي به الذنوب، ولا يستطيع أحد أن يدفع العذاب عن مستحقه.

٤٩ - واذكروا أن نعمنا عليكم أن نجيناكم من ظلم فرعون وأعدائه الذين كانوا يذيقونكم أشد العذاب، فهم ينجون الذكور من أولادكم لتوهم أن يكون منهم من يذهب بملك فرعون ويستيقن الاناث، ليستخدموهن، وفي هذا العذاب والتعرض للفتنة ابتلاء شديد من ربكم واختبار عظيم لكم.

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَمْلَأْنَكُمْ فَسَاحًا فَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعَهْدَ مِنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ يَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ فَإِذَا هُمْ شَاقِقِينَ ﴿٥١﴾ فَنَزَّلْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ بِآيَاتِنَا وَقَالُوا لِمَ أَتَانَا بِالْحَبْزِ الْأَيْمَنِ الْيَمِينِ وَالْقُرْآنِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَنْفُسُكُمُ الْمَخَذُورَةُ الْيَوْمَ تَقُولُونَ لَا بَرْكَ بِرَبِّكُمْ فَأَقْلَحُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّكُمْ مِنْ بَرِّكُمْ فَطَبَّ عَلَىٰكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْوَاثِقُ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْحَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٤﴾ ثُمَّ يَسْأَلُكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٥﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِنْ تَحْتِهَا مَآرِقُكُمْ شَرْبًا وَمَا ظَلَمُوكُمْ وَلَكِن تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾

٥٠ - واذكروا كذلك من نعم الله عليكم حين شققنا لكم ومن أجلكم البحر - وفصلنا ماؤه بعضه عن بعض لتسيروا فيه - فتخلصوا من ملاحقة فرعون وجنوده ، وبفضلنا نجوتهم ، وانتقمنا لكم من عدوكم ، فأغرقناهم أمام أبصاركم - فأنتم ترونهم وهم يفرقون والبحر ينطلق عليهم عقب خروجكم منه .

٥١ - واذكروا حين وعد ربكم موسى أربعين ليلة لناجاته ، فلما ذهب إلى مجاهده ، وعاد وجدكم قد انحرفتم واتخذتم المعجل الذي صنعه السامري معبودا لكم ، وكنتم ظالمين بالخذاكم شريكا لله الذي خلقكم ونجاكم .

٥٢ - ثم عفونا عنكم ونحونا عقوبتكم حين تبتهم واستغفرتكم من الذنوب ، لعلكم تشكرون ربكم على صفحه وعفوه وفضله .

٥٣ - واذكروا حين أنعمنا عليكم فأزلنا على نبيكم موسى كتابنا التوراة وهو الذي يفرق بين الحق والباطل ، ويميز الحلال من الحرام ، لكي تسترشدوا بنورها وتبتعدوا من الضلال بتدبير ما فيها .

٥٤ - واذكروا يوم قال لكم رسولكم موسى يا قومى ، لقد ظلمتم أنفسكم بالخذاكم عجول السامري معبودا ، فتوبوا إلى ربكم خالقكم من العدم ، بأن تقضيوا على أنفسكم الشريرة الآمرة بالسوء وتذلوها ، لتتجدد بنفسو مطهرة فأعانكم الله على ذلك ووفقكم له وكان ذلك خيرا لكم عند خالقكم ، ولهذا قبل توبتكم ودعا عنكم ، فهو كبير التوبة على عباده ، واسع الرحمة بهم .

٥٥ - واذكروا قولكم لموسى : أننا لن نفر لك بالإيمان حتى نرى الله جهارا عيانا بحاسة البصر لا بحجبه عنا شيء ، فانقضت عليكم صاعقة نار من السماء زلزلكم جزاء عنادكم وظلمكم وطلبكم ما يستحيل وقوعه لكم ، وأنتم تنظرون جالكم وما أصابكم من بلاء وعذاب في الصاعقة .

٥٦ - ثم أيقظناكم من غشيتكم وهمودكم ، وعلمناكم لكي تشكروا نعمتنا في ذلك ، وتؤدوا حق الله عن طريق هذا الشكر .

كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ حُبْدًا وَقُولُوا
حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ رَبِّهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مِمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ * وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ
الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيبًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُتُوبًا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ
مُقْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَهُودُؤُا نَبِيُّكُمْ عَلَى طَعَامٍ وَحِدٍ قَادِعٌ لَنَا بِكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنْتِثُ الْأَرْضُ مِنْ

٥٧ - ومن فضلنا عليكم أننا جعلنا السحاب لكم كالظلة ليصونكم من الحر الشديد ، وأنزلنا عليكم المن ، وهو مادة حلوة لزجة كالعسل تسقط على النشجر من طلوع الشمس ، كما أنزلنا عليكم السلوى وهو الطائر المعروف بالسنان ، فهو بأنبيكم بأسراه بكرة وعشيا لتأكلوا وتتمتعوا ، وقلنا لكم كلوا من طيبات رزقنا - فكفر هؤلاء بالنعمة ، ولم يكن ذلك بضارتنا ، ولكنهم يظلمون أنفسهم لأن ضرر العصيان واقع عليهم^(١).

٥٨ - واذكروا يابني اسرائيل حين قلنا لكم ادخلوا المدينة الكبيرة التي ذكرها لكم موسى نبيكم ، فكلوا مما فيها كما تشاءون ، كثيرا واسعا ، على أن يكون دخولكم بمشروع وخضوع من الباب الذي سماه لكم نبيكم ، واسألوا الله عند ذلك أن يفر لكم خطاياكم ، فن فعل ذلك باخلاص نفجر له خطاياه ، ومن كان محسنا مطيعا زدناه نوابا وتكريما فوق العفو والمغفرة .

٥٩ - ولكن الذين ظلموا خالفوا أمر ربهم ، فقالوا غير ما أمرهم بقوله ، استهزاء وتقردا ، فكان الجزاء أن أنزل الله على الظالمين عذابا من فوقهم جزاء فسقهم وخروجهم على أوامر ربهم .

٦٠ - واذكروا يابني اسرائيل يوم طلب نبيكم موسى السقيا لكم من ربه حين اشتد بكم العطش في التيه ، رحناكم وقلنا لموسى : اضرب بعصاك الحجر فانفجر الماء من اثنتي عشرة عينا فصار لكل جماعة عين وكانوا اثنتي عشرة جماعة فعرفت كل قبيلة مكان شربها ، وقلنا لكم كلوا من المن والسلوى واشربوا من هذا الماء المتفجر ودعوا ما أنتم عليه ، ولا تنصرفوا في الانقصاد في الأرض بل امتنعوا عن المعاصي .

(١) في قوله تعالى « وأنزلنا عليكم المن والسلوى » ذكر حقيقة علمية كشفها العلم أخيرا وهي ان المواد البروتينية التي تكون من أصل حيواني كلهم الحيوانات والطيور ، ومنها السنان (السلوى) أفضل في تغذية الإنسان من بروتينات البقول النباتية من حيث التمثيل الحيوي واستفادة الجسم كما أن المن أساسه مواد سكرية تد من أهم أسباب قوى النشاط والحركة لجسم الإنسان .

بَقِيلَهَا وَقَتْلَهَا وَتُؤْمَهَا وَعَسِيَهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ يَأْتِي هُوَ خَيْرٌ أَمْطِرُوا مَصْرًا فَإِن لَّكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَصُرِّتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ وَبَابِتِ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّبِيَّانَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ يَقْوَةٌ وَأَذْكُرُوا مَا لَيْلِي لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ قَتَلْنَا لَهُمْ

٦١ - واذكروا أيها اليهود أيضا يوم سيطر البطر على أسلافكم - ولم يؤدوا لنعمة الله حقها فقالوا موسى : اننا لن نصبر على طعام واحد (وهو المن والسلوى) فادع لنا ربك كي يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقولها وقتلها وعسها وتومها وبصلها ، فتعجب موسى من ذلك ، وانكره عليهم فقال لهم : أنفضلون هذه الاصناف على ما هو أفضل وأحسن ، وهو المن والسلوى . . فازلوا آذن من سيناء وادخلوا مدينة من المدن فانكم ستجدون فيها ما تريدون وبسبب ذلك البطر والعداء أحاطت بهؤلاء اليهود المذلة والفقر والمحنوع واستحقوا غضب الله عليهم لما ألوه من العناد والعصيان ، وماجروا عليه من الكفر بآيات الله وقتلهم الأنبياء مخالفين بذلك الحسب الثابت المقرر وقد جأهم على ذلك الكفر وهذا القتل ، ماركب في نفوسهم من التردد والعدوان ومجاوزة الهدى في المعاصي .

٦٢ - ان الذين آمنوا بالأنبياء من قبل ، واليهود والنصارى ، ومن يقدسون الكواكب والملائكة . ومن آمن برسالة محمد بعد بعثته ، ووجد الله تعالى وآمن بالبعث والحساب يوم القيامة . وعمل الأعمال الصالحة في دنياه فهوؤلاء هم نوابه المحفوظ عند ربه ، ولا يلحقهم خوف من عقاب . ولا يبالهم حزن على فوات ثواب ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

٦٣ - اذكروا حين أخذنا عليكم العهد والميثاق رافعين جبل الطور ، وجعلناه بقدرتنا كالظلة فوقكم حتى خفتم وأذعنتم وقتلنا لكم : خذوا ما آتيناكم من هدى وارشاد مجيد واجتهاد ، واذكروا ما فيه ذكر من يستنجب له ويعمل به كي تصونوا بذلك أنفسكم من العقاب .

٦٤ - ثم انكم أعرضتم بعد ذلك كله ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته وتأخير العذاب عنكم لكانت من الضالين المهالكين .

كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٥﴾ جَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنِّي أَنَا إِلَهُكُمْ فَأَعِزُّوهُ لِيُخْرِجَهُمْ مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ أَفَافَرِصٌ وَلَا يَكْفُرُ حَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا لَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ سَوْدَاءٌ تَقِيعُ لُونَهَا أَلَمْ تَرَ أَنَّ الظُّرَّيْرَ ﴿١٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ

٦٥ - وأنتم بلارب قدعرفتم أولئك الذين تجاوزوا الحد منكم في يوم السبت ، بأن صادوا السمك فيه مع أنه يوم راحة وعيد ، والعمل محرم فيه ، فسبح الله قلوب الضالّين ، وصاروا كالقردة في نزواتها وشهواتها ، وجعلناهم مبغضين من رحمة الله ، مطرودين كالكلاب ينفر الناس من مجالستهم ويشتمرون من مخالطتهم .

٦٦ - وقد جعل الله هذه المحال التي آلا إليها عبثاً وتحذيراً لغيرهم من أن يفعلوا مثل فعلهم جعلها عبثاً لمعارضهم ومن يأتي بعدهم ، كما جعلناها موعظة للذين يتقون ربهم ، لأنهم هم الذين ينتفعون بنذير العظات والعبر .

٦٧ - واذكر حين قال موسى لقموه وقد قتل فيهم قتيلا لم يعرفوا قاتله ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة ليكون ذلك مفتاحا لمعرفة القاتل، ولكنهم استغفروا ان تكون هناك حلة بين قتل القتيلا وذبح البقرة قائلين: أنسخر منا يا موسى، فرد عليهم قائلا: اني أعصم بتأديب الله لي أن أكون من الجاهلين الذين يستهزئون بعباده.

٦٨ - هنا قالوا لموسى مترددين في أمر البقرة ، اطلب لنا من ربك أن يبين لنا صفة تلك البقرة فقال لهم : ان الله أخبرني بأنها ليست كبيرة وليست صغيرة ، بل هي وسط بين الكبر والصغر ، فنذروا ما أمركم الله به .

٦٩ - ولكنهم استمروا في ترددهم فقالوا : اطلب لنا من ربك أن يبين لنا لون هذه القرة ، فأجابهم موسى : بأن الله يقول : انها بقرة صفراء شديدة الصفرة مع صفاء ، تعجب الناظر اليها لصفاء لونها ووضوحه .

٧٠ - ثم لجوا في أسئلتهم فقالوا : ادع لنا ربك يبين لنا شأن هذه البقرة . لأن البقر تشابه علينا . ومنتهدى إليها عشيّة الله .

لَا تَقُولُ مِيرَ الْأَرْضِ وَلَا تَتَّبِعِ الْحَرْثَ سُلَّةً لَا شَيْءَ فِيهَا تَأْكُلُوا الْقِنْ جَثَّ الْحَقِّ فَلَجُوعًا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٦﴾
وَلَمَّا قَتَلْتُمْ نَفْسًا قَادَرْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ خَرَجَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٧﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ
الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً
وَلَئِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَلَئِنْ مِنْهَا لَمَا يَنْشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَلَئِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٩﴾ * أَفَتَعْمَلُونَ أَنْ يُمْرَأُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْحَرِفُونَ

٧٦ - فقال لهم : ان الله يقول انها بقرة لم تذلل بالعمل في حرث الأرض وعلبها للزراعة ، ولا في سق الأرض
المهيأة للزراعة لوما فيها من نبات وهي بريته من العيوب سالة من الآفات لا لون فيها يخالف سائر جسدها فقالوا
له الآن جثت بالبيان الواضح ، وبخسوا عن البقرة النصفه بهذه الأوصاف فذبحوها وقد قاربوا ألا يفعلوا ذلك
لكثرة أسلئهم وطول لجأهم .

٧٧ - اذكروا يوم قتلتم نفساً وتحاصصتم وتدافعت المجرمة ، فاتهم بعضهم بعضاً بقتلها ، والله يعلم الحقيقة وهو
كاشفها ومظهرها مع كائنكم لها .

٧٨ - فقلنا لكم على لسان موسى : اضربوا القليل بجزء من هذه البقرة ، ففعلتم فأحيا الله القليل وذكر اسم
قاتله ، ثم سقط ميتاً وكانت معجزة من الله لموسى^(١) .

لأن الله قادر على كل شيء ، وبقدرة هذه يحيى الموتى يوم القيامة ، ويريك دلائل قدرته لعلكم تعقلونها
وتعتبرون بها .

٧٩ - ثم إنكم بعد هذه الآيات كلها لم تستجيبوا ولم تستجبوا ، ولم تلن قلوبكم أو تخشع ، بل غلظت
وتصلبت وبقيت على قسوتها ، بل انها أشد قسوة منها ، لأن الحجارة قد تتأثر وتنفلت . فهناك أحجار تنفجر منها
الماء الكثيرة فتجرى أنهاراً ، وهناك أحجار تشقق فيخرج منها الماء عيوناً فواررة ومنها ما يتأثر بقدرة الله وينفاد
لمشيئته فيتردى من أعلى الجبال انقياداً لما أراده الله تعالى به ، أما قلوبكم أيها اليهود فإنها لا تتأثر ولا تلين ولكم
الويل على ذلك ، فالله ليس يناقل عن أعمالكم وهو سيؤدبكم بألوان النقم ، اذا لم تشكروا أنواع النعم ..

(١) ذكر بعض الكتاب في عصرا الماضي ، وهو المرحوم عبد الوهاب التتار ان قوله تعالى : « اضربه ببعضها » المراد به
بعض أجزاء القليل ، والمراد بأحيائها القصاص له ، لأن الضرب بعض أجزاء القليل يصل القاتل على الاعتراف ، وكثيرا ما تكون رؤية
القتيل باعثة على الاعتراف ، وتكون هذه القصة منفصلة عن الامر بالذبح وأمر الله تعالى بالذبح ، وأن أمر الله تعالى لم بأن يذبحوا بقرة
كان ليأكلوها ، وفي ذلك تربية نفسية لهم . لانه كانوا مع المصريين الذين يقدس البقر ، وكانت فيهم بقية من هذا الضديس بدليل أنهم
عبدوا قتال السجل من بعد ذلك ، فكان لا بد لاحتلاخ هذه البقية من نفوسهم بتكليفهم ذبح البقرة ، فكان ذلك الأمر بالذبح ، وكان لذلك
المجادة والحكمة منهم فذبحوها سأكلموا يتوبون بالذبح .

مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُدُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا
 أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَكِّمَ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ
 وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ قَوْلِ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ
 الْكِتَابَ بِإِيسِهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْرَوْا بِهِ نَحْنًا قَلِيلًا قَوْلِ لَهُمْ تَمَّا كَتَبَ آيَاتِهِمْ وَوَيْلَ لَهُمْ تَمَّا
 يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا أَنْ تَمْسَسَ النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةٌ قُلِ الْحُكْمُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُمْ أَمْ يَقُولُونَ

٧٥ - ما كان ينبغي لكم أيها المؤمنون أن تطمعوا في أن يؤمن اليهود بدينكم وينقادوا لكم وقد اجتمعت في
 مختلف فرقهم أئسنا الرذائل التي تباعد بينهم وبين الإيمان بالحق ، فقد كان فريق منهم (وهم الأحيار) يسمعون
 كلام الله في التوراة ويفهمونه حق الفهم ثم يتعمدون تحريفه وهم يعلمون أنه الحق ، وأن كتب الله الميزة لا يجوز
 تغييرها .

٧٦ - وكان فريق من منافقيهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بدينكم على الحق وأن محمداً هو
 النبي الذي جاء وصفه في التوراة ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض عاتبهم الفريق الآخر على غفلتهم ، إذ نزلت
 السنتهم في أثناء خداعهم للمؤمنين بعبارة تغيب خصومهم ولا يستدعيها الخداع فيذكرون لهم ما ورد في التوراة من
 أوصاف محمد ويصطوبهم بذلك حجة عليهم يوم القيامة .

٧٧ - وهل غاب عن هؤلاء وأولئك أن الله ليس في حاجة إلى مثل هذه الحججة لأنه يعلم ما يخفون
 وما يبدون .

٧٨ - ومن اليهود فريق جهلة أميون لا يعرفون عن التوراة إلا أكاذيب تتفق مع أمانيتهم ، لفقها لهم أحيارهم
 وألقوا في ظلم أنها حقائق من الكتاب .

٧٩ - فالهلاك والعذاب لهؤلاء الأحيار الذين يكتبون كتباً بأيديهم ثم يقولون للأميين هذه هي التوراة التي
 جاءت من عند الله ، ليصلوا من وراء ذلك إلى غرض نافعه من أغراض الدنيا فيشترؤا هذا التافه بمن هو
 الحقيقة والصدق ، فويل لهم مما يقولوه على الله ، وويل لهم مما يكسبون من ثمرات افترائهم .



عَلَى اللَّهِ مَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ عَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ قَوَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَصِيدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هُنَا لَا تَقُولُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فِرْيَانَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ
تُظَاهِرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقُولُوا هُوَ حَرَجٌ مِّنْكُمْ فَأَرْسَلُوهُم فَمَا لَهُمْ بَعْضُ
الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْتُمُونَ بَعْضٌ لِّمَا جَاءَهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَمَا أُولَٰئِكَ إِلَّا بِغَيْرِ حَقٍّ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ أَشَدِّ

٨٠ - ومن اختلافهم هذه ما يلقونه من أحبارهم من أن النار لن تمس يهودياً مهما ارتكب من المصايب
إلا إيماناً مبدوءة ، فقل لهم يا محمد ، هل تصادهم مع الله على ذلك ، فاطمانتم لأن الله لا يخلف وعده ، أم أنكم
تفترقون الكذب عليه ؟

٨١ - الحق أنكم تفترقون الكذب على الله . فعلمكم الله النام نافذ في خلقه جميعاً لا فرق بين يهودي وغير
يهودي ، لأن من ارتكب سيئة وأحاطت به أنامه حتى سدت عليه منافذ الخلاص ، فأولئك أصحاب النار هم فيها
خالدون .

٨٢ - والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة لأنهم آمنوا وأدوا ما يفرضه عليهم إيمانهم من
صالح الأعمال ، فهم فيها خالدون .

٨٣ - وأن لكم مشر اليهود بجانب هذا كله ماضياً حافلاً بالاثم ونقض المواثيق ، وتدعى ما وضعه الله لكم
من حدود ، فلتذكروا إذ أخذنا عليكم في التوراة ميثاقاً ألا تعبدوا إلا الله . وأن تحسنوا إلى الوالدين والأقربين
واليتامى والمساكين ، وتستغفروا في حديثكم مع الناس القول الطيب الذي يؤلف بينكم وبينهم ولا ينفرهم منكم ،
وتؤدوا ما فرض عليكم من صلاة وزكاة ، ولتذكروا ما كان من مسلككم حيال هذا الميثاق إذ نقضتموه وأعرضتم
عنه إلا قليلاً منكم ممن أذعن للحق .

٨٤ - وإذ أخذنا ميثاقاً عليكم في التوراة ألا يسفك بعضكم دماء بعض ، ولا يخرج بعضكم بعضاً من
ديارهم ، وهو ميثاق تقرر أنه في كتابكم وتشهدون على صحته .

الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ يَنْفَعُ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْفَظُهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٨٦﴾ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَيْنِهِمُ الرُّسُلَ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتَ وَإِذْ نَبُوءُ الْقُدِّسِ أَفْكَاهُ بِمَا كَرِهَ رُسُولُ رَبِّهِ لَا تَهْوِي أُنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ قَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ

٨٥ - وهانئ أولاء يقتل بعضهم بعضاً ، ويخرج فريق منكم آخر من ديارهم متعاونين في ذلك عليهم مع غيركم بالآثم والعنوان ، ثم ان وقع فريق منكم أسرى لدى من يتعاونون معهم يعملون على انقاذهم من الأسر باقتنائهم ، وان سئلتم عما حكمكم على اقتنائهم قتلتم لأن أسفارنا أمرتنا أن نفدى أسراننا من اليهود أو لم تأمركم أسفاركم كذلك ألا تسفكوا دماء اخوانكم ، وألا تخرجوهم من ديارهم ؟ اقتدعوني لبعض ما جاء في الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردهم الله المطلاع على اعمالهم وسرائرهم الى أشد العذاب ^(١) .

٨٦ - وذلك لأنهم قد آثروا أعراض الدنيا الزائلة على نعيم الآخرة الدائم ، وكانوا بهذا كمن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة ، فلن يخفف عنهم عذاب جهنم ، ولن يجودوا من ينقذهم منه .

٨٧ - ولتذكروا كذلك معشر اليهود مواقفكم الضالة الآثمة حيال موسى ومن بعثناه من بعده اليكم من المرسلين . فلقد ارسلنا اليكم موسى وآتيناه التوراة وبعثنا اليكم على آثاره عدة رسل ، منهم ، عيسى ابن مريم الذي امددناه بالمعجزات وايدناه بروح القدس وهو جبريل رسول الوحي الأمين . فكنتم كلما جاءكم رسول من هؤلاء بما لا تهوى أنفسكم تستكبرون عن اتباعه ، فريق كذبتموه وفريق آخر قتلتموه .

٨٨ - وكذلك كان موقفكم حيال رسولنا محمد خاتم النبيين . فلقد قتلتم له حيناً دعامكم إلى الاسلام : ان قلوبنا مغطاة بأغشية لا تنفذ اليها دعوتك فلا تكاد نفقه شيئاً مما تقول ولم تكن قلوبهم كما يزعمون . ولكمهم استكبروا وآثروا الضلالة على الهدى ، فلعنهم الله بكفرهم وأوهن يقينهم وأضعف إيمانهم .

(١) كان بالمدينة قبل الاسلام قبيلتان هريتان متعاديتان : هما الاوس والخزرج ، وطائفتان من اليهود هما بنو قريظة وبنو النضير . وكان بنو قريظة حلفاء للاوس وكان بنو النضير حلفاء للخزرج ، وكان اذا انتقلت القبيلتان المدينتان انضم الى كل قبيلة حلفاؤها من اليهود وانشركوا معها في قتال القبيلة الاخرى وقتال من انضم اليها من اخوانهم في الدين ولم ينفكوا جهدا في سفك دماهم والسمل على اخراجهم من ديارهم . ولكن كلا من الطائفتين من اليهود كانت تسمل على الفصد من كان يقع في أيدي حليفها من أسرى الطائفة الاخرى فلما سئلوا : كيف تفديهم وقد كانوا يقاتلون مع اعدائكم ؟ قالوا : لأن الله أمرنا في التوراة أن نفدى أسرى اليهود . ويتجاهلون ان الله أمرهم كذلك في التوراة الا يسفك بعضهم دماء بعض . ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم فهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض .

وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْهِمُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا مَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾
 بَلَسَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا آتَاهُ اللَّهُ بِقَآءٍ أَنْ يَتَزَلَّ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَبْلَهُمْ
 يَغْضِبُ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ هَاتُوا بُرْهَانَ مَا آتَاهُ اللَّهُ قَالُوا نَحْنُ مُؤْمِنُونَ ﴿٩١﴾
 عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ عُورَاهُمْ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ لِمَ تَقُولُونَ أَنِّي آتَيْتُهُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٢﴾
 * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ رَاقِنَا فَوْقَكَ

٨٩ - ولما جاءهم رسولنا بالقرآن وهو كتاب من عند الله مصدق لما أنزل عليهم من التوراة، وعرفوا من التوراة نفسها صدق ما في هذا الكتاب، كفروا به عناداً وحسداً لأنه قد جاءهم به رسول من غير شعبيهم بنى إسرائيل مع أنهم كانوا من قبل إذا اشتهبوا مع المشركين في صراع حربي أو جدلي ذكروا أن الله سينصرهم بارسال خاتم النبيين الذي بشر به كتابهم، والذي تتفق صفاته كل الاتفاق مع صفات محمد... ألا لعنة الله على أمثالهم من الماعدين الجاحدين.

٩٠ - ولبس ما باعوا به أنفسهم بقاء وعدواناً، اذ مالوا مع أهوائهم وتنصبهم لشعبيهم فكفروا بما أنزلنا، نالين على غيرهم أن خصهم الله دونهم بارسال رسول منهم منكرين على الله أن يكون له مطلق الخيرة في أن يضل من فضله على من يشاء من عباده، فباهوا بغضب على غضب لكفرهم وعنادهم وحسدكم، ولتلهن من الكافرين عذاب مذل يؤلم.

٩١ - هذا هو ما كانت تنطوي عليه نفوسهم، ولكنهم كانوا يبررون أمام الخلق عدم إيمانهم بالقرآن حينما يطلب اليهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون إلا بما أنزل عليهم هم ويكفرون بغيره ولقد كذبوا فيما يدعون من إيمانهم بما أنزل عليهم من توراة لأن كفرهم بهذا الكتاب المصدق لما في كتابهم هو كفر بكتابهم نفسه، ولأنهم قد قتلوا الأنبياء الذين دعوا إلى ما أنزل عليهم وقتلهم هؤلاء، أقطع دليل على عدم إيمانهم برسالتهم.

٩٢ - بل لقد كفرتم أيها اليهود كفراً صريحاً بكتيكم، ورجعتم إلى الشرك في عهد موسى نفسه فلقد جاءكم موسى بالبينات والمعجزات الناطقة بصدقه لكنه لم يلبث أن تغيب لئلا حاجة ربه حتى عيدهم العجل ورجعتم إلى سابق وتنيكم وأنتم ظالمون مبطلون.

الطَّورُ خَلَدُوا مَاءَ أَيْتَنَظُّكُمْ قُوَّةً وَاسْتَمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ لَسْنَا بِأَمْرٍ م بِهِ
 يَعْنَتُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَمَنَّهُوا أَبَدًا إِنَّمَا قَدَّمَتْ آيَاتِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَمَنَّيَنَّاهُمْ أَرَصَ النَّاسُ
 عَلَى حِمْلَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَجَّجٍ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ إِنَّ يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصِيرُ
 بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى
 لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا

٩٣ - وحيثما جاءكم بالوفاة ، وأبنت ما فيها من تكاليف شاقة ، فاستثقلتم أعباءها وارتميت فيها ، أراكم الله آية على صدق هذا الكتاب وفائدة تعاليمه لكم ، فرقع جبل الطور فوق رؤوسكم حتى صار كأنه ظلة وظننت أنه واقع بكم ، وحيثما أعلنته القبول والطاعة ، فأخذنا عليكم ميثاقاً ألا يأخذكم هوى في الاستئثار لما جاء في هذا الكتاب ، فقلتم : أمانا وسمنا ، ولكن أعمالكم تكشف عن عصيانكم وتتردكم ، وأن الإيمان لم يخاطب قلوبكم ، ولا يمكن أن يكون الإيمان قد خالط قلوب قوم شفقوا حباً بعبادة العجل فلبس ما البه إيمانكم الذي تزعمون .

٩٤ - ولقد زعمتم أن الله سيخصكم من بين سائر الناس بنعيم الجنة بعد المات ، فإن كنتم مؤمنين حقاً بما تقولون فليكن الموت محبباً إليكم ، ولتصنعوه حتى لا يبطئ عنتكم هذا النعيم الذي تدعون .

٩٥ - ولكنهم في الواقع لا يرغبون في الموت أبداً لما افتقدوا من ظلم لا يلقى أمره على الله ، ويعلمهم أنهم كاذبون فيما يدعون ، وأن النعيم يوم القيامة للمتقين لا للفجار أمثالهم .

٩٦ - بل انك لتجدنهم أحرص الناس جميعاً على حياتهم على أى شكل عزيزة أو ذليلة ، وحرصهم أكثر من حرص المشركين الذين لا يؤمنون ببسب ولا جنّة ، ولذلك يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ، ولن يبعد عنه تعميره مهما طال ما ينتظر من عذاب الله أنه عليم بالظالمين وسيذيبهم جزاء ما افتقدوا .

٩٧ - ولقد زعم بعضهم أنهم يعادونك ويكفرون بكتابتك لأنهم اعداء لجبريل الذي يبلغك هذا الكتاب فقل أيها النبي لهم : من كان عدواً لجبريل فهو عدو لله ، لأن جبريل ما يجيء بهذا الكتاب من عنده وإنما ينزله بأمر الله مصدقاً لما سبقه من الكتب السابقة .. ومصدقاً لكتابتهم أنفسهم .. وهدى وبشراً للمؤمنين .

٩٨ - فمن كان عدواً لجبريل أو ميكائيل أو لى ملك أو رسول من ملائكة الله ورسوله الذين لا يفعلون ولا يبلغون إلا ما يأمرهم به الله ، فانه بذلك يكون عدواً لله وكافراً به ، والله عدو الكافرين .

إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلَّمَا هَاهُنَا عَهْدًا بَيْنَهُمَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ عَلَى أَكْثَرِهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَسْلُوا الشَّيَاطِينَ عَلَىٰ مَلِكٍ مُّسْلِمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْدُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقَّ يَقُولَا إِلَّا غِنًى فَلَمَّا تَكَفَّرَ فَيَتَلَوْنِ مِنِّمَا مَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْلَمُونَ مَا يُمْرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُورَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

٩٩ - وما ينزل جبريل على قلبك إلا بآيات بينات لا يسع طالباً للحق إلا الايمان بها ، وما يكفر بتلها الملعونون الخارجون عن سنة الفطرة .

١٠٠ - وكما تذبذبوا في العقيدة والإيمان ، تذبذبوا كذلك فيما يبرمونه من عهود ، فكانوا كلما عاهدوا المسلمين وغيرهم عهداً نبذوه فريق منهم . لأن معظمهم لا يؤمن بمجرة عهد ولا بقناعة ميثاق .

١٠١ - ولما جاءهم رسول من عند الله مطابقة لأوصافه لما في أسأفرهم وهو محمد عليه السلام ، نبذ فريق منهم ما ذكر في كتبهم عن هذا الرسول ، كأنه لم يرد فيها ولم يعلموا شيئاً عنه .

١٠٢ - ولقد صدقوا ما تنقله شياطينهم وفجرتهم على ملك سليمان ، إذ زعموا أن سليمان لم يكن نبياً ولا رسلاً ينزل عليه الوحي من الله ، بل كان مجرد ساحر يستمد العون من سحره ، وإن سحره هذا هو الذي وطد له الملك وجعله يسيطر على الجن والطير والرياح فتسبوا بذلك الكفر لسليمان وما كفر سليمان ولكن هؤلاء الشياطين الفجرة هم الذين كفروا ، إذ تقولوا عليه هذه الأقاويل ، وأخذوا يعلمون الناس السحر من عندهم ومن أنار ما أنزل ببابل على الملكين هاروت وماردوت مع أن هذين الملكين ما كانا يعلمان أحداً حق يقولوا له إنا نعلمك ما يؤدى إلى الفتنة والكفر فأعرفه واحذره وتوق العمل به . ولكن الناس لم ينتصحووا بهذه النصيحة ، فاستخدموا ما تعلموه منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه . نعم كفر هؤلاء الشياطين الفجرة إذ تقولوا هذه الأقاويل من أقاويلهم وأساطيرهم ذريعة لتلبيس اليهود السحر وما هم بضارين بسحرهم هذا من أحد ، ولكن الله هو الذى يأذن بالضرر إن شاء ، وأن ما يؤخذ عنهم من سحر ليضر من تلطمه في دينه ودنياه ولا يفيد شيئاً ، وهم أنفسهم يعلمون حق العلم أن من اتبعه هذا الاتجاه لن يكون له حظ في نعيم الآخرة . ولئس ما اختاروه لأنفسهم لو كانت بهم بقية من علم .

١٠٣ - ولو أنهم ءامنوا بالحق وحافظوا مقام ربهم لأنابهم الله نواباً حسناً . ولكان ذلك خيراً مما يلقيسونه من أساطير ويضمره من خبث لو كانوا يميزون النافع من الضار .

يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رِعَا وَفَعَلُوا أَنْظَرْنَا وَاسْمَعُوا وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ * مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلْتُمْ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَبْدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

١٠٤ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خذُوا حذرَكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ فَلَا تَقُولُوا لِلرَّسُولِ حَيْثُ يَتْلُو عَلَيْكُمْ الْوَحْيَ : (رَاعِنَا : فَاغْدِينَ أَنْ يَهْلِكُمْ مَوْضِعُ رِعَايَتِهِ ، وَيَهْلِكُ عَلَيْكُمْ فِي تِلَاوَتِهِ حَتَّى تَعْمُو وَتُخَفِظُوهُ ، لِأَنَّ خِشْيَةَ الْيَهُودِ يَتَظَاهَرُونَ بِمَحَاكَاتِكُمْ فِي ذَلِكَ ، وَيُلَوِّنُونَ السِّتْمَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ حَتَّى تُصِيرَ مُطَابِقَةً لِكَلِمَةِ سَبَابٍ بِمَرْفُوعَتِهَا وَيُوجِّهُونَهَا لِلرَّسُولِ لِيَسْخَرُوا مِنْهُ فِيهَا بَيْنَهُمْ ، وَلَكِنْ اسْتَخْدَمُوا كَلِمَةً أُخْرَى لَا يَجِدُ الْيَهُودُ فِيهَا عِجَالاً لِحُبَّتِهِمْ وَسَخَرَتِهِمْ ، فَقَالُوا : (أَنْظَرْنَا) وَأَحْسِنُوا الْأَصْفَاءَ إِلَى مَا يَتْلُوهُ عَلَيْكُمْ الرَّسُولُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَاباً أَلِيماً لِهَؤُلَاءِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالرَّسُولِ .

١٠٥ - وَلَتَعْلَمُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ لَا يَرْجُونَ إِلَّا ضَرْبَكُمْ وَلَا يُودُونَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ خَيْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يَقِيمُ زَوْناً لِمَا يَرْجُونَ وَمَا يَكْرَهُونَ فَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

١٠٦ - وَلَقَدْ طَلَبُوا مِنْكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا مُوسَى وَأَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَحَسِبْنَا أَنْتَا أَبْدَنُكَ بِالْقُرْآنِ ، وَأَنْتَا إِذَا تَرَكْنَا تَأْيِيدَ نَبِيٍّ مُتَأَخِّرٍ بِمُعْجَزَةٍ كَانَتْ لِنَبِيِّ سَابِقٍ ، أَوْ أَنْسَيْنَا النَّاسَ أَنَّ هَذِهِ الْمُعْجَزَةُ قَاتِنَاتُ نَاقٍ عَلَى يَدَيْهِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى صِدْقِهِ ، فَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

١٠٧ - وَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ مُلْكُوتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَيْسَ لَكُمْ أَيْهَا النَّاسُ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ بِعَيْنِكُمْ وَلَا مُسْتَدِيرٌ .

١٠٨ - لِمَلِكِكُمْ تَرِيدُونَ بِاقتِرَاحِكُمْ مُعْجَزَاتٍ مُعَيَّنَةٍ عَلَى رَسُولِكُمْ مُحَمَّدٍ ، أَنْ تُحَاكُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُعَاَصِرِينَ لِمُوسَى ، إِذْ طَلَبُوا إِلَيْهِ مُعْجَزَاتٍ خَاصَّةً ، أَنْ اقْتَرَحَ هَذَا لِيَخْشَى رَأَاهُ الْعَنَادَ وَالْجَنَاحَ إِلَى الْكُفْرِ ، كَمَا كَانَ يَخْشَى ذَلِكَ اقْتِرَاحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى رَسُولِهِمْ وَمَنْ يُوَثِّرُ الْعَنَادَ وَالْكُفْرَ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلْحَقِّ وَالْإِيمَانِ ، فَقَدْ حَسَدَ عَنْ الطَّرِيقِ السَّوِيَّ الْمُسْتَقِيمِ .

لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَدِلِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَدِلِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقُلُوا أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِنْ أَرَادَ مَنْ سَكَانَ هَذَا أَوْ تَصَرَّى تَكْ أَمَانِيهِمْ قُلْ مَا تَوْأَمْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَانِي عَلَى نَبِيِّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَانِي لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى نَبِيِّهِ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

١٠٩ - ولقد نبى كثير من اليهود أن يردوكم - أي المسلمون - إلى الكفر بعد إيمانكم ، مع أنه قد تبين لهم من كتابهم نفسه أنكم على الحق ، وما ذلك إلا لأنهم يحدونكم ويخسئون أن ينتقل إليكم السلطان وفلت من أيديهم فاعرضوا عنهم ، واعفوا واصفحوا حتى يأذن الله لكم بمسلك آخر حياهم فهو القادر على أن يكتكم منهم ، وهو على شيء قدير .

١١٠ - وحافظوا على شعار دينكم ، فأقيموا الصلاة ، واعطوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من أعمال طيبة وصدة تجودوا ثوابها عند الله أن الله بما تعملون عليم ، علم من يهتد ويرى .

١١١ - ومن أباطيل اليهود والنصارى وأمانهم الكاذبة ، ما يزعمه كل منهم من أن الجنة لن يدخلها إلا من كان على دينه . فلتطلبوا اليهم أن يأتوا ببرهان على ذلك أن كانوا صادقين .

١١٢ - ولن يجودوا على ذلك برهاناً ، فالحق أن الذين يدخر لهم الله تعالى نعيم الجنة ويبيهم يوم القيامة ويقيم الحظوف والحزن هم الذين يخلصون لله ويتبعون الحق ، ويصنون ما يؤدونه من أعمال .

١١٣ - ومن عجب أنهم كما يعادون الإسلام يعادى بعضهم بعضاً ، فيقول اليهود : ليست النصارى على شيء من الحق ، ويقول النصارى في اليهود مثل ذلك ، وكلاهما يستدل بأسفاره ، ويقول المشركون من العرب الذين لا يعلمون شيئاً عن الكتب المنزلة في اليهود والنصارى معاً ما يقوله كلاهما في الآخر ولقد صدقوا جميعاً في ذلك ، فليس منهم فريق على حق ، وسيتبين ذلك حيناً يحكم الله بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ
لَهُمْ فِي الدُّنْيَا نَزَىٰ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَفِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قَابِضَاتٌ تُؤَلِّفُنَّ بِهِمَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَمَّا سُبْحَتْ بَلَ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْبَتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ
أَوْ يَنْزِلُنَا آيَةً كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾

١١٤ - ومن مظاهر عداوتهم لبعض ، وعدائهم للمسلمين ، أن بعض طوائفهم خربت معابد الطوائف الأخرى ، وأن المشركين منعوا المسلمين من المسجد الحرام ، وليس ثمة أحد أشد ظلاماً ممن يحول دين ذكر الله في أماكن العبادة ويسمى في خرابها ، فأولئك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . وما كان لهم أن يقرءوا مثل هذا الجرم الخطير ، وإنما كان ينبغي أن يحفظوا للمعابد حرمتها ، فلا يدخلوها الا خاشعين ، ولا ينعصوا غيرهم أن يذكر فيها اسم الله .

١١٥ - وإذا كان المشركون قد منعوا المسلمين من الصلاة في المسجد الحرام . فلن يمنهم هذا من الصلاة وعبادة الله ، فجميع الجهات وجميع البقاع في الأرض لله ، وأن الله ليتقبل من المسلم صلاته ويقبل عليه برضاه أيًا كانت البقعة التي يؤدي فيها عبادته ، فإله واسع لا يضيق على عباده ، وهو عليم بنية من يتوجه إليه .

١١٦ - ومن كان هذا شأنه ، وكان جميع ما في الكون مسخراً لأمره ، خاضعاً لمشيئته ، فهو أرفع وأجل من أن يحتاج لنسل أو يتخذ ولداً كما يقول هؤلاء اليهود والنصارى والمشركون .

١١٧ - وكيف يحتاج لنسل أو يتخذ ولداً من أبدع السموات والأرض وأذن كل ما فيها لارادته فلا يستعصى شيء عليه ، وإذا أراد أمراً فماذا يقول له : كن ، فيكون ؟ .

١١٨ - هذا ويمعن المشركون من العرب في عنادهم لمحمد ، فيطلبون إليه مثل ما طلبته الأمم السابقة من أنبيائهم . فقد قالوا : أنهم لن يؤمنوا به إلا إذا كلمهم الله وجاءتهم أية حسية تدل على صدقه ، كما قال بنو إسرائيل لموسى : لن نؤمن لك حتى نرى الله ويكلمنا ، وكما طلب أصحاب عيسى إليه أن ينزل عليهم مائدة من السماء . وما ذلك إلا لأن قلوب الكفار والمعادنين في كل أمة متشابهة ، وأنه لا يستبين الحق الا من صفت بصائرهم وأذعنت عقولهم لليقين ، وطلبت الحق .

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَإِنْ تَرَىٰ عِنْدَ الْيَهُودِ وَلَا النَّصَارَىٰ حَقَّ تَبَيُّعٍ فَلْتِمَّ بِهِمْ وَلَا تَهْدِ اللَّهُ هُوَ الْهَادِي وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِتِلْكَ الْكُتُبِ يَتْلُوهُوا حَقَّ تِلَاوَةٍ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلِي فُضِّلْتُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَأَنْتُمْ لَا تَحْزَنُونَ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْعًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ * وَإِذِ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ دَبَّرَ بُكْيَاتٍ فَأَتَاهُمُ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتَظِرُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾

— ٥ —

١١٩ - وقد ارسلناك بحقائق يقينية بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين ، وليس عليك الا تبليغ رسالتنا ، ولن تسأل عن عدم ايمان من لم يؤمن بك من اصحاب الجحيم .

١٢٠ - فلا تزهق نفسك في استرضاء المماندين من اليهود والنصارى ، فان هؤلاء لن يرضوا عنك حتى يتبع ملتهم التي يزعمون انها الهدي ، وليس ثمة هدى الا هدى الله في الاسلام ، ومن يتبع أهواء هؤلاء من بعد أن علم ما أنزلنا اليك من الحق ، فلن يكون له يوم القيامة من دونه الله ولي بعينه ، ولا نصير يدفع عنه العذاب .

١٢١ - غير أن ثمة فريقاً من اليهود والنصارى قد نفقوا في أسفارهم الأصلية ، وتلواها حق التلاوة ، وفضلوا الى ما دخلها من تحريف ، فأولئك يؤمنون بحقائقها ويؤمنون تبعاً لذلك بالقرآن ، ومن يكفر بكتاب منزل فأولئك هم الخاسرون .

١٢٢ - يا بني اسرائيل آمنوا ، واذكروا نعمتي العظيمة التي أنعمت بها عليكم باخراجهكم من ظلم فرعون واغراقه ، واعطائكم المن والسلوى وبعث الأنبياء فيكم وتعليمكم الكتاب وغير ذلك مما نرفقكم به ، وأني فضلتكم وقتاً من الزمان على الناس في جعل مصدر النبوات منكم .

١٢٣ - وخافوا عقاب الله في يوم لا تدفع فيه نفس عن نفس شيئاً ، ولا يقبل منها فداء ، ولا تنفعها شفاعة ، ولا يجيد فيه الكافرون نصيراً لهم من دونه الله .

١٢٤ - واذكروا اذ ابلى الله جدكم ابراهيم بتكاليف فقام بها على أم وجهه ، فقال له : اني جاعلك للناس اماماً ، يتبعونك ويتبنون بك ، فطلب ابراهيم من ربه أن يجعل من ذريته أمة كذلك ، فأجابته بأن هذا لن يصل اليه منهم الظالمون ، وأنصار أنه سيكون من ذريته الأبرار والنجار .

وَأَدَّ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ

١٢٥ - واذكروا كذلك قصة بناء ابراهيم مع ابنه اسماعيل لبیت الله الحرام بحكة . وفي هذه القصة عظة بالفة لمن كان له قلب سليم . فلذكروا اذ جعلنا هذا البيت ملاذاً للخلق وأماناً لكل من بلغأ اليه . واذ أمرنا الناس بأن يتخذوا من موضع قيام ابراهيم لبناء الكعبة مكاناً يصلون فيه . وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن يصونا البيت بما لا يليق بحرمته . وأن يهتيا تهية صالحة لمن يؤمه من الطائفتين والمتكفين والمصلين .

١٢٦ - واذكروا اذ طلب ابراهيم الى ربه أن يجعل البلد الذي سينشأ حول البيت بلداً آمناً . وأن يرزق من ثمرات الأرض وخيراتها من آمن من أهله بالله واليوم الآخر . فأجابه الله بأنه لن يضرن على الكافر نفسه بالرزق في أثناء حياته القصيرة . ثم يلجئه يوم القيامة الى عذاب جهنم . وليس المصير . . مصير هؤلاء .

١٢٧ - واذ يرفع ابراهيم هو وابنه اسماعيل قواعد البيت وهما يدعوان الله : ربنا يا خالفنا وبارئنا تقبل منا هذا العمل الخالص لوجهك . فأنت السميع لدعائنا العليم بصدق نيائنا (١) .

١٢٨ - ربنا وفقنا واجعلنا مخلصين لك واجعل من ذريتنا جماعة مخلصه لك . وعلمنا طريفة عبادتنا لك في بيتك الحرام وما حوله . وتب علينا ان نسينا أو أخطأنا إنك أنت كثير القبول لتوبة عبادك . الفافر لهم بفضلك ورحمتك .

١٢٩ - ربنا وابعث في ذريتنا رسولاً منهم يقرأ عليهم آياتك ويعلمهم ما يوحى اليه به من كتاب وعلم نافع وشرية بحكمة . ويظهرهم من ذنب الأخلاق . إنك أنت الغالب القاهر الحكيم فاعل نعم وأمر به وما تنهى عنه .

(١) الكعبة بيت الله الحرام بحكة أقدم الأماكن المقدسة وكان العرب يمجون إليها قبل الاسلام منذ عهد ابراهيم . والمتواتر في أمر البيت ان ابراهيم واسماعيل هما أول من رفع قواعد وقيل ان أول بنه بنته الملائكة من اسجار الجنة عند هبوط آدم الى الأرض وظلت الكعبة على بناء ابراهيم واسماعيل الى ان جدعها قصى بن كلاب الجد الخامس للنبي المصطفى محمد ﷺ ثم جددت بعد ذلك في العصور الاسلامية غير مرة وكان آخرها البناء الذي حدث سنة ١٠٤٠ هجرية الموافق ١٦٣٠ ميلادية وهو الذي يطوف به المسلمون الآن .

فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ
بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَنبِيُّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهِكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَيَسْمَعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّهَا
وَاحِدَةٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

١٣٠ - ولعمري ما فعله ابراهيم وما دعا الله به ، وما اتبعه من ملة قوية ، وأنه لا يعرض عن ملة ابراهيم الا من
امتن : انسانيته وعقله ، ولقد اصطفاه الله في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين المقربين .

١٣١ - ولقد استجاب لأمر ربه حينما طلب الله اليه أن يذعن فقال : أذعنت لرب العالمين جميعاً من جن
وانس وملائكة .

١٣٢ - ولم يكتف بذلك بل أوصى بنيه بأن يسلموا على هديه ، وحاساك حفيده يعقوب : فأوصى هو الآخر
بنيه كذلك أن يتبعوا هذه السنن ، وبين لأبنائه أن الله اصطفى لهم دين التوحيد وأخذ عليهم العهد ألا يموتوا الا وهم
مسلمون ثابتون على هذا الدين .

١٣٣ - ولقد زعمتم أيها اليهود أنكم تسلمون على الدين الذي مات عليه يعقوب ، فهل كنتم تشهداء إذ
حضره الموت ففرقتم الملة التي مات عليها ؟ الا فلتعلموا أن يعقوب وأبنائه كانوا مسلمين موحدين ولم يكونوا يهوداً
مثلكم ولا نصارى ، وأن يعقوب حينما حضره الموت جمع بنيه وقال لهم : ما تعبدون من بعدى ؟ فأجابوا : نعبد الهك
وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الهاً واحداً ونحن له خاضعون .

١٣٤ - ثم ما كنتم أيها اليهود والجدل في هؤلاء ؟ فأولئك قوم قد مضوا لسبيلهم ثم هم وحدهم ما كسبوا في
حياتهم ، فلن تسألوا عن أعمالهم ، ولن يفيدكم شيء منها ، ولن يكون لكم إلا ما كسبتم أنتم من أعمال .

١٣٥ - ولكنهم لا ينفكون ، يمتحنون في لجساجهم ويزعم كل فريق منهم أن ملته هي الملة المثل ، فيقول لكم
اليهود ، كونوا يهوداً تهتدوا إلى الطريق القويم ، ويقول النصارى : كونوا نصارى تهتدوا إلى الحق المستقيم ، فلهذا
عليهم بأننا لا تتبع هذه الملة ولا تلك ، لأن كلتيها قد حرفت وخرجت عن أصولها الصحيحة ، ومازجها الشرك ،
وبعدت عن ملة ابراهيم ، وإلما نتبع الاسلام الذي أحيا ملة ابراهيم نقية طاهرة .

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ لَكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِمْ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُمْ عَالِمُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلِ الْمُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُكُمْ وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ خَاصِمُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلِ ءَانْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كُفٍّ شَهِدَ أَنْ عِنْدَ مَنْ أَفْهَى وَأَمَّا اللَّهُ فَخَلَّيْ عَنْكُمْ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ

١٣٦ - قولوا لهم : آمنا بالله وما أنزل إلينا في القرآن ، وآمنا كذلك بما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل ويعقوب وبنيه الأسباط ، وبالتوراة التي أنزلها الله على موسى غير محرقة ، والإنجيل الذي أنزله الله على عيسى غير محرف . وبما أوتى جميع النبيين من ربهم . لا نفرق بين أحد منهم ، فنكفر ببعضهم ونؤمن ببعض . ونحن في هذا كله مذلون لأمر الله .

١٣٧ - فان آمنوا إيماناً مطابقاً لإيمانكم فقد اهتدوا ، وان غادوا في عنادهم وأعراضهم فإنا هم في نزاع مستمر وخلاف معكم ، وسيكفيكم الله أمرهم بأمر النبي ، ويربككم من لجابهم وشقاقهم ، فهو السميع لما يقولون ، العليم بما عليه صدورهم .

١٣٨ - قولوا لهم : ان الله قد هدانا بهدائه ، وأرشدنا إلى حجته ، ومن أحسن من الله هداية وحجة ، وإننا لا نخضع إلا لله ، ولا نتبع إلا ما هدانا وأرشدنا إليه .

١٣٩ - قولوا لهم : اتجادلونا في الله زاعمين أنه لا بهسطين أنبياء الا منكم ؟ وهو ربكم ورب كل شيء ، لا يختص به دون قوم ، يهيب برحمته من يشاء ، ويميز كل قوم بأعمالهم ، غير ناظر إلى أنسابهم ، ولا أحسابهم وقد هدانا الطريق المستقيم في أفعالنا ، ورزقنا صفة الاخلاص له .

١٤٠ - قولوا لهم : اتجادلونا في ابراهيم واسماعيل ويعقوب وأبنائهم الأسباط ، زاعمين أنهم كانوا يهوداً أو نصارى مثلكم ، مع أننا ما أنزلنا التوراة والإنجيل اللذين قامت عليهما اليهودية والنصرانية الا ما بعد هؤلاء ، وقد أخبرنا الله بذلك ، فأنتم أعلم أم الله ، بل إن الله قد أخبركم أنتم بذلك في أسفاركم ، فلا تكتموا الحق المدون في أسفاركم هذه ، ومن أظلم ممن كتم حقيقة يعلمها من كتابه ، وسيجازيكم الله على ما تلجسون فيه من باطل ، فإنا الله بغافل عما تعملون (١) .

(١) تماثل القوانين الرضعية في مختلف الدول على شهادة الزور وهي قول غير الحق ويعاقب عليها القرآن أيضاً ولكن هذه الآية تجعل مجرد كتمان الشهادة إلماً وظلماً وهي جريمة ليس لها حد أى عقوبة معينة في التريعة الاسلامية والعقاب عليها متروك لولى الأمر فعسى مخالفة في باب العزير .

وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ * سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الْبَيْتِ كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ الْقِبْلَةُ لِمَنْ آمَنَ مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ يَدَى مَنْ يَشَاءُ لَكَ مَرْجِعٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٥٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَكُونُ لَكُمْ رُكْنًا وَهُوَ رَحِيمٌ ﴿١٥٢﴾ قَدْ تَرَى قُلُوبَنَا فِي السَّلَاطَةِ فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَى بِقَوْلِ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ



١٤٩ - ثم ما لكم أيها اليهود والنصارى والجدل في هؤلاء ؟ فأولئك قوم قد مضوا لسبيلهم ، لم ما كسبوا في حياتهم ، ولن تسألوا عن أعمالهم ولن يفيدكم شيء منها ، ولن يكون لكم إلا ما كسبتم أنتم من أعمال .

١٥٠ - إن ضعاف العقول الذين أضلّتهم أهوائهم عن التفكير والتدبر من اليهود والشركيين والمنافقين ، سينكرون على المؤمنين قولهم من قبله بيت المقدس التي كانوا يصلون متجهين إليها ويحتشدون أنها أحق إلى قبله أخرى وهي الكعبة فقل لهم أيها النبي : إن الجهات كلها لله ، لا فضل لجهة على أخرى بذاتها ، بل الله هو الذي يختار منها ما يشاء ليكون قبله للصلاة ، وهو يهدي بمن يشاء كل أمة من الأمم إلى طريق قوم يختاره لها ويخصها به ، وقد جاءت الرسالة المهدية فنسخت ما قبلها من الرسائل ، وصارت القبلة المحقة هي الكعبة (١)

١٥١ - وهذه المشيئة هديتكم إلى الطريق الأقوم وجعلناكم أمة عدولاً خياراً بما وفقناكم إليه من الدين الصحيح والعمل الصالح لتكونوا مقررى الحق بالنسبة للشرائع السابقة ، ويكون الرسول مهيمناً عليكم ، يسدكم بأمره في حياته ، وبهيمته وسنته بعد وفاته ، وأما قبله بيت المقدس التي شرعناها لك حيناً من الدهر فاعلمنا أنها امتناعاً للمسلمين ليشير من يدعون فيقبلوها عن طواعية ، ومن يفلب عليه هوى تعصبه العسرى لترات إبراهيم فيصير أمر الله ويضل عن سواء السبيل . ولقد كان الأمر بالتوجه إلى بيت المقدس من الأمور الشاقة إلا على من وفقه الله هديته ، وكان استئصال هذا الأمر من أركان الايمان ، فن استقبل بيت المقدس حين الأمر باستقباله فلن يضيع عليه إيمانه وعبادته رافة من الله ورحمة .

(١) كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة على رأس خمسة عشر شهراً من مقدم النبي ﷺ إلى المدينة .

وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ ۖ فَمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنْ آتَيْتَ أَهْلَ الْأَرْضِ إِذْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ هَانَتْ فِيهِمُ الْكِبَرُ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وُجْهٍ هُوَ مُوَلِّيًا ۖ فَاسْتَغِثُوا اللَّهَ عِزًّا ۖ أَيْنَ مَا تَكُونُوا

١٤٤ - ولقد رأينا كيف كنت تتطلع الى السماء عسى أن ينزل الوحي بغير قبلة بيت المقدس الى الكعبة التي نجها لأنها قبلة ابراهيم ابي الأنبياء ، وأبى اليهود والعرب ، وبها مقام إبراهيم ، فهي لذلك القبلة الجامعة وإن كانت تخالف قبلة اليهود ، فهالحن أولاء تؤتيك سؤلك فاستقبل في صلاتك المسجد الحرام ، واستقبلوه كذلك أيها المؤمنون في أى مكان تكونون . وأن أهل الكتاب الذين ينكرون عليكم التحول عن قبلة بيت المقدس قد عرفوا في كتبهم أنكم أهل الكعبة ، وعلموا أن أمر الله جار على تخصيص كل شريعة بقبلة ، وأن هذا هو الحق من ربهم ، ولكنهم يريدون فتنكم وتشكيكم في دينكم ، والله ليس غافلاً عنهم وهو يجزيهم بما يعملون .

١٤٥ - وما كان انكار أهل الكتاب عليكم لشبهة تزيلها الهبة ، بل هو إنكار عناد ومكابرة فلئن جئهم أجمعاً الرسول بكل حجة قطعية على أن قبلك هي الحق ما تبعوا قبلك ، وإذا كان اليهود منهم يطمعون في رجوعك الى قبلتهم ويطلقون اسلامهم على ذلك فقد خاب رجائهم وما أنت بتابع قبلتهم ، وأهل الكتاب أنفسهم يتمسك كل فريق منهم بقبلته : فلا النصارى يتبعون قبلة اليهود ولا اليهود يتبعون قبلة النصارى . وكل فريق يعتقد أن الآخر ليس على حق ، فانبت على قبلك ولا تتبع أهوامهم ، فن اتبع أهوامهم بعد العلم بطلانها والعلم بأن ما عليه هو الحق فهو من الظالمين الراسخين في الظلم .

١٤٦ - وأن أهل الكتاب ليعلمون أن التحويل الى القبلة حق ، ومسلمون انك النبي المنعوت في كتبهم بنعوت من جئتها أنه يصل الى الكعبة ومعرفتهم نبوتك وقبلك كمعرفتهم أبناءهم في الوضوح والجلال ، ولكن بعضهم يظنون هذا الحق على علم اتباعاً لأهوامهم ، وتعضباً باطلاً لمثلهم حفظاً على سلطانهم ، ويحاولون تضليلكم .

١٤٧ - وإنما الحق هو ما صدر لك من الله تعالى لا ما يضلل به أهل الكتاب ، فكفوا على يقين منه . ولا تكونوا من أهل الشك والتردد ، ومن ذلك الحق أمر القبلة فامضوا عليه ولا تبالوا المعارضين .



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَلِئَلَّكَ لِلَّهِ مِنَ دَرْكٍِّ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمَنْ حَيْثُ نَزَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْزَنُوا وَاعْتَصِمُوا
بِرَبِّكُمْ إِنَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تُهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكَ رَسُولًا بِمَا لَا تَهْتَكُ عَلَيْهِ أَفْتَانًا وَبِزَكَاةٍ وَعِلْمٍ

١٤٨ - ان هذه القبلة التي حولك اليها هي قبلك و قبله أمتك . وكذلك لكل أمة قبلة تتجه اليها في صلاتها
حسب شريعتها السابقة وليس في ذلك شيء من التفاضل ، وانما التفاضل في فعل الطاعات وعمل الحسنيات ،
فسارعوا الى الحيرات وتنافسوا فيها ، وسبحانكم الله على ذلك فانه سيجمعكم يوم القيامة من أى موضع كنتم ،
ولن يفلت منه أحد ، ويهده كل شيء بما في ذلك الأمانة والاحياء والبعث والنشور .

١٤٩ - فاستقبل المسجد الحرام في صلاتك من كل مكان كنت فيه ، سواء أكان ذلك في حال اقامتك ام في
حال سفرك وخروجك من مكان اقامتك . وإن هذا هو الحق الموافق لحكمة ربك الرقيق بك ، فاحرص عليه أنت
وأمتك ، فان الله سيجازيكم أحسن الجزاء والله عالم علما لا يخفى عليه شيء من عملكم .

١٥٠ - والتزم أمر الله في القبلة واحرص عليه أنت وأمتك ، فاجعل وجهك في ناحية المسجد الحرام من كل
مكان خرجت اليه في أسفارك ، واستقبلوه حيث كنتم من أنظار الأرض مسافرين أو مقيمين ، لينقطع ما يحاجكم به
الخالقون ويحادلونكم به اذا لم تقتلوا لأمر هذا التحويل ، فيقول اليهود : كيف يصل محمد الى بيت المقدس والنبي
المنعوت في كتبنا من أوصافه التحول الى الكعبة ؟ وسيقول المشركون العرب ، كيف يدعى ملة ابراهيم ويضاف
قبلته ؟ على أن الظالمين الزائمين عن الحق من الجاهليين لن ينقطع جدالهم وضلالهم ، بل سيقولون : ما نحصل الى
الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحيا لبلده ، فلاتبالوا بهم فان مطاعهم لاتضركم ، واخشون فلا تخالفوا أمرى ، وقد
اردنا بهذا الأمر أن تم النعمة عليكم وأن تكون هذه القبلة التي وجهناكم اليها ادعى الى تباتكم على الهداية
والتوفيق .



الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلِمُكُمْ مَا لَا تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُوا فِي أذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿١٥٢﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَشْيَةِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ وَالْعَمَلِ وَالصَّبْرِ وَالصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِلَيْهِ رَجِعُونَ ﴿١٥٦﴾
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ * إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ

١٥١ - وأن توجيهكم الى المسجد الحرام هو بارسالنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آيات من اقام نعمتنا عليكم كما اقمنا عليكم النعمة - القرآن - ويظهر نفوسكم عمليا من دنس الشرك وسوء الأخلاق والصادات ويحكمكم عمليا بعارف القرآن والعلوم النافعة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ، فقد كنتم في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء .

١٥٢ - فاذكروني أيها المؤمنون بالطاعة أذكركم بالثواب ، واشكروا لي ما أسبغت عليكم من النعم ولا تفجدهوا هذه النعم بعصيان ما أمرتكم به .

١٥٣ - واستعينوا أيها المؤمنون في كل مآتئون وماتفرون بالصبر على الأمور الشاقة والصلاة التي هي أم العبادات ، ان الله بقدرته القاهرة مع الصابرين فهو وليهم وناصرهم .

١٥٤ - ولن يؤدي الصبر الا الى الخير والسعادة في الدارين ، فلا تفقدوا عن الجهاد في سبيل الله ، ولا تهربوا الموت فيه ، فن مات في الجهاد ليس يبيت بل هو حي حياة عالية وان كان الاحياء لا يحسون بها .

١٥٥ - والصبر درع المؤمن وسلاحه الذي يتغلب به على الشدائد والمشاق ، وسيصايفكم كثير من الشدائد فتصمتنكم بكثير من خوف الأعداء والجوع وقلة الزاد والنقص في الأموال والأنفس والجرات ، ولن يصمكم في هذا الامتحان القاسي الا الصبر ، فيسر يأبى الله (الصابرين) بالقلب وباللسان :

١٥٦ - الذين اذا نزل بهم مايؤلمهم يؤمنون أن الخير والشر من الله ، وأن الأمر كله لله فيقولون : انا ملك لله تعالى ، وارجعون اليه ، فليس لنا من أمرنا شيء ، وله الشكر على العطاء وعلينا الصبر عند البلاء ، وعند الموتى والجهنم .

١٥٧ - فهؤلاء الصابرون المؤمنون بالله هم البشارة الحسنه بفران الله واحسانه وهم المهتدون الى طريق الخير والرشاد .

فَمَنْ حَاجَّ الْيَئِتِ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَيُحْسِنُونَ كِتَابَتِهِمْ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُ بَعْدَ مَا يَنْزِلُ إِلَيْهِمْ لِنُنْزِلَ أُولَٰئِكَ يَكُونُ لَكَ بِهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْلَٰئِكَ أَتُوبٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُكَ إِنَّهُ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

—(3)—

١٥٨ - وكما أن الله رفع شأن الكعبة بجمعها قبلة الصلاة ، رفع أمر الجبلين اللذين يشارفانها وهما الصفا والمروة فجعلها من مناسك الحج ، فيجب بعد الطواف السعي بينهما سبع مرات ، وقد كان منكم من يرى في ذلك حرجا لانه من عمل الجاهلية ، ولكن الحق أنه من معالم الاسلام ، فلا حرج على من ينوي المسح أو العمرة أن يسعى بين هذين الجبلين ، وليأت المؤمن من الخير ما استطاع فان الله علم بعمله ومثبه عليه .

١٥٩ - وأولئك الذين أنكروا عليكم أمر دينكم فريقان : فريق من أهل الكتاب الذين يعرفون الحق ويخفونه على علم وعناد ، وفريق المشركين الذين عميت قلوبهم عن الحق ، فاقضوا أربابا من دين الله ، فأهل الكتاب الذين عرفوا براهين صدقك ، تبنوا الحق في كذبك ثم أخفوا هذه الدلائل وكتموها الناس ، أولئك يصب الله عليهم غضبه ويبعدهم عن رحمته ، ويدعو عليهم الداعون من الملائكة ومؤمنى التفلين بالطرد من رحمة الله .

١٦٠ - ولا يستثنى منهم الا من تاب وأحسن فرجع عن الكيان وتدارك أمره باظهار ماكان يخفيه من وصف الرسول والاسلام فان الله يتقبل توبته ويحو ذنبه ، فهو الذى يقبل التوبة من عباده رأفة منه ورحمة .

١٦١ - اما الذين استمروا على الكفر ، وماتوا على ذلك دون توبة ولانهم ، فيجزاؤهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

١٦٢ - وسيستمررون في هذه اللعنة وفي النار ، لا يخفف عنهم العذاب ، ولن يهلوا ويؤخروا ، ولو طلبوا الالهال والتأخير لم يجابوا اليه .

١٦٣ - ان الحكم الذى ينفرد بالعبودية واحد ، فلا إله غيره ، ولا سلطان لسواه ، ثم هو قد اتصف بالرحمة فهو رحيم بعباده في انتسابهم وتكوينهم .

وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالْفُلُوكُ فِي الْبَحْرِ يَمِينَ يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَالْحَيَاءُ فِي
 الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَذِيقُ
 لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ
 وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ
 اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَسْمَعُ
 مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَلَّا لَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَ النَّاسَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٧﴾ وَيَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا

١٦٤ - وقد أقام دلائل وآيات لكل ذى عقل على وجوده والوحيته ، ومن ذلك السموات التى ترونها تسير
 فيها الكواكب بانتظام دون تراحم ولا صدام تبعث الحرارة والنور لهذا العالم ، والأرض وما فيها من البر والبحر ،
 وتعاقب الليل والنهار وما فى ذلك من المنافع ، وما يجرى فى البحر من السفن تحمل الناس والمتاع ، ولا يسيرها
 الا الله فهو الذى يرسل الرياح التى يسير بها المطر ينزل فيحيى الحيوان ويسقى الأرض والنبات ، والرياح وهبها
 فى مهاجها الخفيفة ، والسحاب المعلق بين السماء والأرض . أقامت هذه الأشياء كلها بهذا الاتقان والاحكام من
 تلقاها نفسها أم هى صنع العليم القدير ؟ (١)

١٦٥ - ومع هذه الدلائل الواضحة اتخذ بعض الناس من ضلت عقولهم أربابا غير الله يطيعونهم ويعبدونهم
 كعبادة الله ويحلمونهم مثل الله ، والمؤمن يسلم القيادة لله وحده وطاعته له لا تنقطع ، أما هم فإن ولاهم لأهتهم
 يتزلزل عند التوائب فيلجئون الى الله سبحانه ، وهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم لو عابنوا ماسيناهم من العذاب يوم
 الجزاء ، حين ينكشف ملك الله وتكون الطاعة له وحده ، لانتهوا عن جرمهم وأقلعوا عن انهم .

١٦٦ - فى ذلك اليوم يرجو الاتباع أن ينجيهم رؤسائهم من الضلال فينتكرون لهم ويتبررون منهم ويقولون :
 مادعوناكم لطاعتنا فى معصية ربكم وانما هو هواكم وسوء تصرفكم ، وتنقطع بينهم الصلات والمودات التى كانت
 بينهم فى الدنيا ويصير بعضهم ليعصى عدوا .

١٦٧ - وهنا يتبين الاتباع أنهم كانوا فى ضلال حين اتبعوا رؤسائهم فى الباطل ويتمنون أن يعودوا الى الدنيا
 فينتكروا لرؤسائهم كما تبرءوا منهم فى هذا اليوم ، وتبدو لهم السيئة فتكون حسرات عليهم ويندمون ، وقدأنق
 بهم فى النار فلا يبرحونها .

(١) سقت هذه الآية ما مره العلم من أن الكون المرئ يبع بأمره مملوءة وتوجه الآية نظر الانسان الى ما الى الوجود من حقائق
 علمية ينظرى منها خلق أجرام السماء المتباينة والنظم التى تحكمها والافلاك التى تسير فيها وكذلك دوران الأرض حول صورتها مما يسبب
 تتابع الليل والنهار . ثم تشير الآية الى المواصلات المائية على الأرض ، وإلى الماء الذى ينزل من السماء فى دورات متتالية تبدأ بتبخر ماء
 البحر ثم تكاثفه ثم هطوله وهو ما يسبب الحياة على الأرض وكذلك تشير الآية الى الرياح ودورانها وأن الدارس هذه الحقائق لابد أن
 يلمس قدرة الله تعالى .

بِمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّكُمْ لَعندهُ مِنْهُ ۖ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ
كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْعًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۖ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْإِنْسِيِّ بَيْنَمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءًا وَنِدَاءً
مِمَّنْ بِكَرْهٍ فَمَنْ هُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۖ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ۖ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أِهْلٍ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرُّكُمْ بِبَإِغٍ وَلَا عَادٍ

١٦٨ - يا أيها الناس كلوا مما خلق الله في الأرض من الحلال الذي لم ينزل تحريمه ، المستطاب الذي تستبجه
النفوس ، ولا تتبعوا وراء الشيطان الذي يزين لكم أكل الحرام أو تحريم الحلال ، فقد علمت عداوة الشيطان ،
وبأن قبيح ما يأمركم به .

١٦٩ - وإنما يزين لكم الشيطان ما هو سعيه في ذاته ، ويضركم في عاقبتكم وما يبيع فعله ؛ وتسيرون بسببه
وراء الظنون والأوهام ، فتسبون إلى الله من التحريم والتحليل ما لم يأت دليل عليه من العلم اليقين .

١٧٠ - وقد اعتاد الضالون عن سبيل الهدى أن يتمسكوا بما توارثوا عن آباءهم عن العقيدة والعمل ، وإذا
دعوا إلى ما جاء من هدى الله قالوا : لا نعدل عما وجدنا عليه آباءنا ، ومن أكبر الجهل ترجيع اتباع الآباء على
اطاعة الله واتباع هدايته ، فكيف إذا كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يستنبطون بنور الهداية والإيمان ؟ .

١٧١ - وأن مثل ما يدعو أولئك الكافرين الجاهدين إلى الحق والهدى فلا يستجيبون له ولا يقفون ما يدعوهم
إليه كمثل راعي الغنم يتابعها ، فلا تفرقه منه شيئا ولا يقرع سمعها إلا الصوت ولا تسمى غيره ، فهم كذلك عن الحق
صم الأذان ، عمى البصائر ، غرس الألسنة ، لا ينطقون بخير ، ولا يصدرون عن عقل .

١٧٢ - لقد أوجعنا للناس كل حلال^(١) خلقناه لهم في الأرض ، ونهيناهم أن يتبعوا خطوات الشيطان ، فإن
فعلوا اعتدوا ، وإن أبوا فانا نحصى المؤمنين بهدايتنا ونبين الحلال والحرام ، فأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا
رئيسكم منكم ، فأنشروا ، فأنشروا الله على ما أولاكم من نعمة التمكن من الطيبات وإباحتها ومن نعمة
الطاعة والامتثال لأمره لتتم عبادتكم .

(١) سبق القرآن الكريم الطب الحديث بتحريم الميتة لأن ما يورثه من مرض يكون موته بسببه مواد سامة ضارة تصل إلى من
يأكله ، وغرق ذلك فإن الموت بالاختناق ، أو المرض ينحس في الدم ، وفيه مواد ضارة كثيرة ينشغل عليها العرق والبول ، والتحذير ينقل
الأمراض الخطيرة مثل التيفوس كما أنه المثير الوحيد الذي يصاب بالتركيبات التي تصيب أمه إذا أكله .

قَلَّا لَمْ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيُسْتَرُونَ بِهِ تَمُنَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكْفِهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يَزِيدُهُمْ وَلَمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ زَلَّ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ * لَيْسَ إِلَهٌ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْإِلَهَ إِلَهٌ إِلَهٌ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَالْمَلَكُ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّالِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ

١٧٣ - وليس المهرم مازعهم المشركين ومازعه اليهود، وإنما المهرم عليكم أيها المؤمنون البينة التي لم نذبح من الحيوان، ومثله في التحريم لحم الخنزير، وما ذكر على وجه غير اسم الله من الوزن ونحوه، على أن من اضطر (١) إلى تناول شيء من هذه المظهورات لجوع لا يجد ما يدفعه غيرها أو لا كراه على أكله فلا بأس عليه، ولينجنب سبيل الجاهلية من طلب هذه المحرمات والرغبة فيها ولا يتجاوز ما يسد الجوع.

١٧٤ - هذا وقد كان من المألوف بما أنزل الله فريق يخفى بعض الوحي لقاء عرض من أعراض الدنيا؛ فإن اليهود كتموا كثيرا مما جاء في التوراة من نعت الرسول خشية أن يسلم أهل ملتهم فيزول أمرهم وتضع مكانهم ولذيذ مطاعهم، وإن مطاعهم من هذا السبيل هي كالنار يأكلونها، لأنها ستقودهم إلى النار، وسيعرض الله عنهم يوم القيامة، ولا يطهرهم من دنسهم، وأمامهم عذاب شديد موجع.

١٧٥ - وأولئك هم الآخون الذين اختاروا الضلالة على الهدى فاستحقوا العذاب في الآخرة بدل الغفران، فكانوا كمن يشتري الباطل بالحق، وما فيه ضلال بما فيه هداية، وأن حالهم لدعو إلى العجب، إذ يصبرون على موجبات العذاب ويستطيرون ما يؤذيهم إليه.

١٧٦ - ولقد استوجبا ما قدر لهم من الجزاء لكفرهم بكتاب الله الذي أنزله بالحق والصدق، ولقد اختلفوا فيه اختلافا كبيرا، دفع إليه حب الجدول ومجانبة الحق والانقياد للهوى، فحرفوه وأفسدوه وقسروه بغير معانيه.

(١) حال الاضطرار تنوع ما يحرم لأن الموت المؤكد أقصد من الضرر المحتمل ولأن الجماع تنبه أجهزة حواسه فيغلب على المراد الضاعة ولذلك لا يصح للمفسر أن يتجاوز حد الضرورة، ولا يبيح ما اضطر إليه.

يَمَهِّمُهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالْفُرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كِتَابٌ عَلَيْكَ أَقْصَاصٌ فِي الْفَتْلِ الْحُرِّ وَالْمُحْرَرِ وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عَنِ لَوْمَةٍ أَيْخِشَتْ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاكَ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكَ وَرَحْمَةٌ مِّنْ عَتَدْتَ

١٧٧ - لقد أكثر الناس الكلام في أمر القيلة كأنها هي وحدها الخير. وليس هذا هو الحق، فليس استقبال جهة معينة في المشرق أو المغرب هو قوام الدين وجماع الخير، ولكن ملاك الخير عدة أمور بعضها من أركان العقيدة الصحيحة، وبعضها من أمهات الفضائل والعبادات، فالاول هو: الايمان بالله و يوم البعث والنشور والحساب وماينبج يوم القيامة، والايمان بالملائكة وبالكب المنزلة على الانبياء وبالانبياء أنفسهم. والثاني هو: بذل المال عن رغبة وطيب نفس للفقراء من الأقارب واليتامى، ولن اشتدت حاجتهم وفاقتهم من الناس، وللأسافرين الذين انقطع بهم الطريق فلا يجدون مايلتفهم مقصدهم، وللسائلين الذين ألجأهم الحاجة إلى السؤال ولغرض عتق الأرقاء وتحرير رقابهم من الرق: وثالثها: المحافظة على الصلاة. ورابعها: اخراج الزكاة المفروضة. وخاسها: الوفاء بالعهد في النفس والمال. وسادسها: العسر في الأدنى ينزل بالنفس أو المال، أووقت مجاهدة العدو في مواطن الحروب. فالذين يجمعون هذه العقائد والأعمال الحسنة هم الذين صدقوا في ايمانهم، وهم الذين اتقوا الكفر والذنابل وتجنبوها.

١٧٨ - ومن الشرائع التي فرضناها على المؤمنين، أحكام القتل الممد، فقد فرضنا عليكم القصاص بسبب القتل، ولأنأخذوا بظلم أهل الجاهلية^(١) الذين كانوا يقتلون الحر غير القتائل بالعبد. والذكر الذي لم يقتل بالأُنْثَى، والرئيس غير القتال بالرموس القتال دون مجازاة القتال نفسه، فالمر القتال يقتل بالمر القتول، وكذلك العبد بالعبد والأُنْثَى بالأُنْثَى، فأساس القصاص هو دفع الاعتداء في القتل بقتل القتال للنش والبقى، فان تمت نفوس أهل الدم ودفعوا بالتي هي أحسن فأثروا المقو عن اخوانهم وجب لهم دية قتلهم، وعلى أولياء الدم اتباع

(١) كان العرب في الجاهلية لا يسمون بين الاعتراف والخطأ فلما قتل زعيم لا يتكف بقائه بل قد يترك القتال لقتل من جميع قبيلة القتال فالعالم منهم ليست متساوية والنفس ليست واحدة وما كان الاسلام ليسع بهذا بل شرع القصاص فالنفس بالنفس لمن قتل قتل فالمرأيا كان يقتل بالمر والعبد يقتل بالعبد والاني يقتل بالاني فهذا موجب المساواة في العناء ليس هناك من أزرع شريف وم غير شريف. وقد يفهم بالاشارة ان العبد لا يقتل بالمر أو الحر لا يقتل بالعبد ولكن صريح العبارة في أية أخرى في احاديث نبوية تبين ان القصاص فيه التمس بالنفس وهي شريعة خالدة كانت في التوراة والانجيل والقرآن لقد قال تعالى: «وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس» وراجع سورة المائدة. والتي يقول «للسلمون تنكأنا دملهم» ويقول: «النفس بالنفس».

ولاحظ ان الاسلام في القصاص للقتل نظر الى أمر لم ينظر اليه القانونيون وهو انه جعل القصاص حقا لأولياء الدم شفاء لعجز نفوسهم ومنعاً لاجسادهم من برىه ولذلك كان لهم حق العفو أو القصاص ولم يمنع ولي الأمر من ان يقتل تزيماً اذا رأى في ذلك مصلحة. ولم ينظر الاسلام الى البواعث لان القتال ظالم منها تكن البواعث وقد أدى النظر في البواعث الى الرأفة بالجان وأعمال الجنى عليه مما أدى الى عادة الأخذ بالتأثر وتسلسل جرائم القتل لانه لم يشف أولياء الدم وان هذه النظرية الاسلامية تدور الآن في الجامعات الأوروبية.

بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَكَرِ فِي الْقِصَاصِ حِكْمَةٌ بَيِّنَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٠﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا ضَرَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ أَنْ تَرَكَ خَيْرَ الْوَصِيَّةِ لِلزَّوْجَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨٢﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٣﴾ يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

هذا الحكم بالتسامح دون اجهاد للقاتل أو تعنيف ، وعلى القاتل أداء الدية دون معاملة أو بفس ، وفي حكم القتل الذى فرضناه على هذا الوجه تخفيف على المؤمنين بالنسبة الى حكم التوراة الذى يوجب في القتل القصاص ، كما فيه رحمة بهم بالنسبة إلى الذين يدعون إلى العفو من غير تعرض للقاتل ، فمن جاوز هذا الحكم بعد ذلك فله عذاب أليم في الدنيا والآخرة .

١٧٩ - وإن رحمة الله بكم عظيمة في فرض القصاص عليكم ، فيفضل القصاص عليكم بتحقيق للمجتمع حياة أمنة سليمة ، وذلك أن من يرم القتل إذا علم أن في ذلك هلاك نفسه لم ينفذ ما هم به ، وفي ذلك حياته وحياة من هم يقتله ، وإذا قتل الرئيس بالرموس وغير المذنب بالذنب ، كما هو شأن المجاهلية كان ذلك مثارا للفتن واختلال النظام والأمن . فيتبدل أولو العقول مزية القصاص فان ذلك يحلهم على ادراك لطف الله بهم الى سبيل التقوى وامثال أوامر الله سبحانه .

١٨٠ - وكما شرعنا القصاص لصالح الأمة وحفظ المجتمع ، كذلك شرعنا شريعة فيها صلاح الأسرة وحفظ كيانها وهى شريعة الوصية . فعل من ظهرت أمارات الموت وعلم أنه ميت لا محالة ، وكان ذا مال يعتد به أن يجعل من ماله نصيبا لمن يدرك من والديه وأقاربه - الأقربين غير الوارثين - وليراع في ذلك ما يحسن ويقبل في عرف العقلاء فلا يعطى الفنى ويدع الفقير ، بل يؤثر ذوى الحاجة ولايسوى الا بين المتساوين في الفاقة ، وكان ذلك الفرض حقا واجبا على من أثر التقوى واتباع أوامر الدين .

١٨١ - وإذا صدرت الوصية عن الموصى كانت حقا واجبا لا يجوز تغييره ولا تبديله ، الا اذا كانت الوصية مجافية للعدل ، فمن بدل هذا الحق تغير الوصية العادلة القوية بعد ما علم هذا الحكم وثبت عنده فقد ارتكب ذنبا عظيما ينال عقابه ، وقد برىء الموصى من تبته ، ولا يظن أحد أن يفعل ذلك ولا يجازى عليه ، فان الله سميع عليم لا تخفى عليه خافية .

١٨٢ - أما اذا كانت الوصية زائفة عن العدل وعن الصراط القويم الذى يبناه بأن حرم الموصى الفقير وأعطى الفنى ، أو ترك الأقربين وراعى الفقراء غير الوارثين الأجانب ، فسعى ساع في سبيل الخير وأصلح بين الموصى اليهم ليرد الوصية إلى الصواب ، فلا إثم عليه فيما يحدته من تغير الوصية وتبديلها على هذا الوجه ، ولا يؤاخذ الله على ذلك ، فان الله غفور رحيم .

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ سَكِينٍ مَنْ قَطَعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ قَعِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِلَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلِّهِمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِنَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ مِنْ لَيْسَ

١٨٣ - وكما شرعنا لكم القصاص والوصية لصالح مجتمعكم، والمحافظة على أسركم، شرعنا فريضة الصيام تذبذبا لنفوسكم، وتقربا لشهواتكم، وتفضيلا لكم على الحيوان الاعجم الذى يتفاد لفرأته وشهوته، وكان فرض الصيام^(١) عليكم مثل ما فرض على من سبقكم من الأمم فلا يشق عليكم أمره . لأنه فرض على الناس جميعا ، وكان وجوب الصيام والقيام به ، لتتقرب فيكم روح التقوى ، وتبقى وجدانكم ، وتتهذب نفوسكم .

١٨٤ - وفرض عليكم الصيام في أيام معدودة قليلة لئلا يملأ الله لأطال مدته ، ولم يكلفكم في الصوم ما لا تطيقون ، فمن كان مريضا مرضا يضر معه الصوم ، أو كان في سفر ، فله أن يفطر ويقضى الصوم بعد برئه من المرض أو رجوعه من السفر ، أما غير المريض والمسافر من لا يستطيع الصوم الا بشفقة لغيره دائم تسيطره ومرض لا يرجى برؤه فله الفطر حينئذ ، وعليه أن يطعم مسكينا لا يجد قوت يومه ، ومن صام متطوعا زيادة على الفرض فهو خير له ، لأن الصيام خير دائما لمن يعلم حقائق العبادات .

١٨٥ - وهذه الايام هي شهر رمضان الجليل القدر عند الله ، لقد أنزل فيه القرآن يهدي جميع الناس الى الرشاد ببياناته الواضحة الموصلة الى الخير ، والفاصلة بين الحق والباطل على مر العصور والأجيال ، فمن أدرك هذا الشهر سليا غير مريض ، مقيا غير مسافر فعليه صومه ، ومن كان مريضا مرضا يضر معه الصوم أو كان في سفر ، فله أن يفطر وعليه قضاء صيام ما أفطره من أيام الصوم . فان الله لا يريد أن يشق عليكم في التكليف وإنما يريد لكم اليسر ، وقد بين لكم شهر الصوم وهداكم اليه لتكملوا عدة الأيام التى تصومونها وتكبروا الله على هدايته اياكم وحسن توقيفه .

١٨٦ - وإنى مطلع على العباد ، علم بما يتنون وما يفترون ، فإذا سألك يا محمد عبادى قائلين : هل الله قريب منا بحيث يعلم ما نطق وما نعلم وما نترك ؟ فقل لهم : ائى أقرب اليهم بما يظنون ، ودليل ذلك أن دعوة الداعى تصل فى حينها ، وأنا الذى أجيبها فى حينها كذلك ، وإذا كنت استجبت لها فليستجيبوا هم لى بالايان والطاعة فان ذلك سبيل ارشادهم وسدادهم .

(١) عللة على فوائد الصيام الروحية والتبئية فقد أثبت الطب الحديث أن للصيام فوائد طبية عدة فهو يفيد فى علاج كثير من الأمراض كخضط الدم المرتفع وتصلب الشرايين والبول السكرى . ويصلح الجهاز الهضمى ويهبط القلب والتهاب الفواصل رطوبى الجسم والأسجة فرصة للراحة والتخلص من كثير من الفضلات الضارة بالجسم كما أنه وقاية من كثير من الأمراض المختلفة .

لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِّهِنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَاوْنَ أَنْ يُفْسَدَ قَبَابٌ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْقَنَ بَشَرُهُمْ
وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَطِيئَةَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَطِيئَةِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ
ثُمَّ انْمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْبَيْتِ وَلَا تَبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَقَدْ لَبِثْتُمْ فِيهَا
مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِغْمَ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوْتِيَتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَيَّةُ وَلَيْسَ الْيَتِيمُ

١٨٧ - أحل الله لكم ليلة الصوم اتيان نساتكم لاختلاطكم بهن واختلاطهن بكم في الحياة
والمبيت ، وعسر ابتعادكم عنهن وتغفيفا عليكم . وقد علم الله أنكم كنتم تنقصون حظ نفوسكم
وتظلمونها ، فتحرمون عليها اتيان النساء في ليل رمضان فتأب عليكم من الغلو وعفا عنكم . والآن وقد
تبين لكم حل ذلك فلا تتخرجوا من مباشرتهن ، وتقموا بما أباحه الله لكم وكلاوا واشربوا في ليل
رمضان حتى يظهر لكم نور الفجر ، متميزا من ظلام الليل ، كما يتميز الخطيط الأبيض من الخطيط
الأسود ، وإذا ظهر ذلك فصوموا وانموا الصيام الى غروب الشمس .

وإذا كان الصيام من العبادات التي يجب التفرغ لها والتجرد من شهوات النفس ومقاربة النساء في
نهار الصوم ، فكذلك عبادة الاعتكاف في المساجد وملازمتها توجب الخلو لها وعدم التفتع بالنساء مادام
المرء ملتزما بها . وماشرعنا لكم في الصوم والاعتكاف حدودا وضمعها الله لكم فحافظوا عليها
ولاتقربوها لتتجاوزوا أوامرها ، وقد أوسع الله في بيانها للناس على هذا النحو ليتقوها ويتجنبوا تبعاتها .

١٨٨ - وقد حرم عليكم أكل مال غيركم دون وجه من الحق دائما فلا يستحل أحدكم مال غيره
إلا بوجه من الوجوه التي شرعها الله كالإيراث والهبية والعقد الصحيح المبيع للملك (١) وقد بنزع أحدكم
أغاه في المال وهو مبط ، ويرفع أمره الى الحاكم أو القاضي ليحكم له وينزع من أخيه ماله بشهادة باطلة أو بينة
كاذبة ، أو رشوة خبيثة ، فليس مايفضل ومايعير على نفسه من سوء الجزاء .

(١) هذه الآية الكريمة إشارة إلى جريمة الرشوة وهي أخطر الجرائم التي تروى بالأثم . وفي نص الآية جميع الأركان لهذه الجريمة من
رائس صاحب حاجة يرضى وهم أحد الحكام ذوى السلطان يبيع سلطاته الوظيف ليطي الرائي مالي له به حق أو يسطل على صاحب
الحق منه لصلة الرائي .

بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْيَمِينَ أَتَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَيْبَاهَا وَأَمَّا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُفْحَرُونَ ﴿١٨٨﴾
 وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٨٩﴾ وَأَقْلُومٌ حَيْثُ يُفْتَنُوهُمْ
 وَأُخْرُجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أُخْرِجُوا أَشَدَّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عَدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ
 فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩٠﴾ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩١﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى

١٨٩ - ويسألك قوم عن الحلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى ، ثم لا يزال ينقص حتى
 يعود كما بدأ ، ولا يكون على حالة واحدة كالشمس ، فإدراك هذا التغير ، حتى صار في كل شهر هلال وصارت
 هناك أهلة ؟

فقل لهم : إن لتكرار هذه الأهلة واختلاف غيرها حكماً ومصالح دينية ودنيوية ، فهي إشارات تحدد أوقات (١)
 المعاملات في معاشكم ، وتبين أوقات الحج الذي هو من أركان دينكم ، ولو استقر الحلال على حاله كالشمس
 ما استقام لكم توقيت معاشكم وحجكم ، وليس جهلكم بحكمة اختلاف الحلال مدعاة للشك في حكمة الخالق . وليس
 من البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ، متميزين بذلك عن الناس ، ولكن البر هو تقوى القلوب وإخلاصها بأن
 تأتوا البيوت من أبوابها كي يأتي كل الناس ، وأن تطلبوا الحق والدليل المستقيم ، فاطلبوا رضا الله واتقوا عذابه
 وارجموا بذلك فلاحكم وفوزكم ونجاتكم من عذاب النار .

١٩٠ - ومن تقوى الله تحمّل المشاق في طاعته وأشدّ المساق على النفس هو قتال أعداء الله (٢) ولكن إذا
 اعتدى عليكم فقاتلوا المعتدين ، وقد أذن لكم برد اعتداءهم ، ولكن لاتعدوا ببيادتهم أو يقتل من لا يقاتل
 ولا رأى له في القتال فإن الله لا يحب المعتدين .

١٩١ - واقتلوا أولئك الذين يداؤكم بالقتال حيث وجدتموهم ، وأخرجوكم من مكة وطنكم ، الذي جعلكم على
 الخروج منه ، ولا تخرجوا من ذلك فقد فعلوا ما هو أشد من القتل في المسجد الحرام إذ حاولوا فتنه المؤمنين عن
 دينهم بالعتيذ في مكة حتى فروا بدينهم من وطنهم ، ولكن للمسجد الحرام حرمة فلا تنتهكوها إلا إذا انتهكها هم
 بفثالكهم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم وأنتم الغالبون بفضل الله ، وكذلك جزاء الكافرين يفعل بهم ما يفعلونه بغيرهم .
 ١٩٢ - فإن رجعوا عن الكفر وانقادوا إلى الإسلام فإن الإسلام يجيب ما قبله ، والله يغفر لهم ما سلف من
 كفرهم بفضل منه ورحمة .

(١) إن القمر يمسك ضوء الشمس من الأرض من أجزاء سطحه المرئية وللضبط فظهر الأهل فلذا كان القمر في (الافتراق) أي
 بين الشمس والأرض فهو في الحاق ويبدأ ميلاده الحلال الجديد لجميع سكان الأرض وإذا كان في الاستقبال أي للجهة الشمالية للشمس
 بالنسبة للأرض يظهر بدرًا ثم يأخذ في التناقص حتى الافتراق الثاني وتم الدورة الافتراقية أي الشهر المعرف في مدى ٢٩،٥٣٠٩ يوماً
 وعلى ذلك فانه يمكن تعيين التاريخ الفري من ساعة الحلال وشمدة إصابته فلذا ضوّد الحلال خطأ فربما عند الأتق الفري وغرب بسم
 الغروب يوضح دقائق تكن الرزّة بعد هذا الغروب وتثبت بداية الشهر وييسر تعيين التاريخ من هذا الشهر للشمس . ودورة القمر هي التي
 علمت الناس حساب الشهور وبنها شهر الحج وبما به .

(٢) أتم الإسلام بأنه قام بعد السيف وهذه الآية واحدة من الآيات القرآنية الكثيرة التي تدعش هذا الزعم وهي تتضمن أمراً
 صريحاً للمسلمين بأن لا يبدأوا بقتال حتى يقاتلهم الغير وسلوك هذا السبيل اعتداء مكروه من الله لأنه لا يحب المعتدين وهذه الآية تأتي أية
 نزلاً على الوحى من آيات القتال الأولى أية ٣٩ من سورة الحج وهي « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » =

لَا تَكُونُوا فَتَنَةً وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
وَالْحَرُمَتُ فَصَاصٌ قَبْلَ اعْتَدَائِي عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيَّ بِمِثْلِ مَا عَنَيْتُ عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

١٩٣ - وقاتلوا هؤلاء الذين حاولوا قتلكم وصدكم عن دينكم بالإيذاء والتضييق، حتى تستأصل جنود الفتنة وتخلص الدين لله. فان انتهوا عن كفرهم فقد نبهوا أنفسهم وخلصوا من العقاب، فلا ينبغي الاعتداء عليهم حينئذ وإنما العدوان على من ظلم نفسه وأوبقها بالمحاصي وتجاوز العدل في القول والفعل.

١٩٤ - فإذا اعتدوا عليكم في الشهر الحرام فلا تقصدوا عن قتالهم فيه فإنه حرام عليكم، كما هو حرام عليكم، وإذا انتهكوا حرمة عندكم فقاتلوا ذلك بالدفاع عن أنفسكم فيه، وفي الحرمات والمقدسات شرع القصص والمعاملة بالمثل فن اعتدى عليكم في مقدساتكم فادفعوا هذا العدوان بثلثه واتقوا الله فلا تسرفوا في المجازاة والقصاص، واعلموا أن الله ناصر المتقين.

١٩٥ - جهاد الكفار يكون ببذل النفس كما يكون ببذل المال، فأتفقوا في الأعداد للقتال، واعلموا أن قتال هؤلاء قتال في سبيل الله، فلا تقصدوا عنه، وابتدأوا الأموال فيه فانكم ان تقاعدتم وتغلبم ركبكم العدو وأذلکم فكأنما أنفسمك بأيديكم إلى الهلاك، فافعلوا ما يجب عليكم باحسان واتقان، فان الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يجتهد.

= وموجز الدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى باسم رسوله طريق الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن. ثم أمر أن يدهو الناس إلى الأيمان عن طريق العقل بالنظر إلى بديع صنعه وظل الرسول يدهو بالمحسنى ثلاثة عشر عاماً فقاموا في مكة لم يخرع فيها شيئاً ولم يرق مما لم يرد على ما أخفاه الكفار به وبأنبأه من أنى بل أمرهم بالمجسرة إلى الحبشة فراراً بينهم ثم تابعت قريش بن عاتق وعبد المطلب وهم خاصة أهل رسول الله وأزهرهم بالخروج من مكة أو يسلمون بمحدد إليهم ليقتلوه فلما أبوا ذلك قاموا بأهم أميال الحرب إذ حاصروهم في شعب بنى هاشم وبكة وكتبوا بذلك رسالة فلقوا في جوف الكعبة فاجتمعوا فيها بالألبيهم ولا يتأهبون منهم ولا يزوجههم ولا يتزوجون منهم. ولست الحصار ثلاث سنوات اشتد فيها الكرب على المسلمين حتى أكلوا الحشائش الجافة وكادوا يهلكون جوعاً. وهناك أذن الرسول لهم أن ينزلوا ليلاً فيهاجروا فرأى إلى الحبشة مرة ثانية ولما سمروا أن الرسول اعتمر المجسرة إلى المدينة تأمروا على قتله بواسطة جماعة تحمل عصاف القنابل بحيث يتسرق منه في القنابل. ولما أفلت من المؤامرة تنبهوه فقصروا الله وأصمى أعينهم عن مكان الفار فلزادوا حشفاً واشتدوا بالأذى وقبل أن يرحل المشركين ميدان القتال بعد على أنبأه فقصروا إرسالاً إلى المدينة تاركين خلفهم أسوأهم وديارهم وفراجم فلما استقر المسلمون بالمدينة، كانت حالة الحرب التي أعلنتها قريش رغم عدم الحصار قائمة وظل كل فريق يهدد الهجرة بمرصد طريق الآخر ويستمع أخباره. فترصد المسلمون قافلة إلى سليمان فأصرت قريش رغم عدم المساس بالمقاتلة على أن تخرج بعضها وتعضيها لتقتل على الإسلام والمسلمين بالمدينة. فكان لابد للمسلمين من رد الاعتداء وهناك أذن الله لهم بالقتال ففازت أول آيات القتال «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير» الآيات ٣٩، ٤٠، ٤١ من سورة الحج وهي صريحة في أن القرشيين بالقتال جلد معلاً بأن الكفار يقاتلونهم ظلماً وبغياً. ثم وصف الله المسلمين بأنهم الذين أغرخوا من ديارهم بشير حق إلا أن يقولوا ربنا الله. وقبل أن يرحل المشركين ميدان القتال بعد هزيمتهم يدر نكدي كيهيم (الحرب) يامهد سجال وموعدا الصام لالتقال في أحد فكان ذلك استمراراً لحالة الحرب المعلقة من جانب قريش ودفاعاً من جانب المسلمين. ورجعوا بجيش جرار إلى أحد وهي على بعد ستة أميال من المدينة وبها كانت غزوة أحد المسلمون إلى حفر خندق حولها واستمرت الحروب بين طرسها حيث أشرف جيش الكفار وبقية الأعراب على ساكن المدينة فاضطر المسلمون إلى حفر خندق حولها واستمرت الحروب بين طرسها اعتماد من قريش ودفاعاً من المسلمين. ولما استتب الأمر للإسلام في الجزيرة العربية أرسل الرسول رسلة إلى اللخود والأعراب في أنحاء المسورة يدعوهم إلى الإسلام فزك كسرى كتاب الرسول وأرسل من يأتي برأس عمده وبذلك أعلنت القرش الحرب ضد المسلمين فحاضروها حرباً دفاعية فتح الله بها ملك كسرى وأنبأه من ملوك العرب «الثائرة».

أما كسرى بن عمرو الفصلي أمير الفساسنة في الشام الذين كانوا يتبعون دولة الروم فقد قتل حامل كتاب رسول الله وهو في طريقه إلى هرقل ثم قتل المسلمين الذين أسلموا من رعاياه وعياً جيشاً لقتال دولة الإسلام في الجزيرة العربية فدافع المسلمون وأوردتهم على ملك دولة الروم الشرقية وهكذا لم ينزع الإسلام شيئاً إلا رداً على اعتدائه أو تأنيهاً للدعوة الإسلامية وصدق الله إذ يقول «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي» سورة البقرة آية ٢٥٦.

وَأَمَّا الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ لِلَّهِ فَإِنَّ أَحْسَنَ مَا اسْتَسْرَمَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ
 فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ ۚ فَلَمَّا أَتَيْتُمْ مِنْ تَحْتِ
 بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَسْرَمَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ فَإِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ
 كَامِلَةٌ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ لَرَّ يَكُنْ أَهْلُهُ حَازِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾
 الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَتٌ ۚ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
 يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۚ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا

١٩٦ - وأداء الحج والعمرة لله على وجه التمام والكمال قاصدين بها وجه الله، ولا تفصلوا بها إصابة عرض ديني من شهرة ومجراها. وإذا قصدتم الحج والعمرة وأحسرتكم بها فتمتكم عدد في الطريق فلكم أن تتحللوا من أحرامكم بخلق رموسكم، ولكن عليكم قبل ذلك ذبح مائيس لكم - من شاة أو بعير أو بقرة - والتصدق به على المساكين، ولا تحلقوا رؤوسكم حتى تقوموا بهذه النسك، ومن كان مريضا وأذاه شعر رأسه لمرض أو هوام في رأسه فلا بأس أن يحلق رأسه، وعليه حينئذ أن يفدى عن ذلك بصيام ثلاثة أيام، أو التصدق على ستة مساكين بقوت يوم أو ذبح شاة والتصدق بها على الفقراء والمساكين. وإذا كنتم في دار الأمان والسلام ولم يفرض طريقكم عدد، وقصدتم الحج والعمرة وتعمتكم أولا بالعمرة إلى أن يبين وقت الحج فتحرروا، فليكم ذبح شاة لمساكين الحرم وفقرائه، فمن لم يجد شاة أو لم يقدر على فئها صام ثلاثة أيام في مكة وسبعة أيام إذا رجع إلى أهله، وهذا على من لم يكن من أهل مكة، فمن كان من أهلها فلا شيء عليه إذا تمتع.

١٩٧ - والحج يقع في أشهر معلومة لكم، إذ كان أمره معروفا عندكم من عهد إبراهيم عليه السلام، وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة، فمن فرض الحج على نفسه في هذه الأشهر ودخل فيه فليراع آدابه، ومن آداب الحج أن ينتزه الحرم عن مباشرة النساء، وعن المعاصي من السباب وغيره وعن الجمدل والمراه مع رفقته في الحج، وعن كل ما يجير إلى الشجاعة والمخاض حتى يخرج الحرم مهذب النفس، وليجتهد في فعل الخير وطلب الأجور من الله بالعمل الصالح فان الله عليم بذلك ومجاز عليه، وتزودوا لآخرتكم بالتقوى والافتار بأوامر الله واجتناب نواهيه، فان ذلك خير الزاد واستنمروا خشية الله في تأتئين وماتنزون كما هو مقتضى العقل والحكمة، فلا تشوبوا شيئا من أفعالكم بدواعي الهوى والغرض الدنيوى.

مِنْ رَبِّكَ فَلَمَّا أَفْضَسْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذَرُوا اللَّهَ حَيْثَ الْمَشْرِ الْحَرَامَ وَأَذَرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ ﴿١٩٩﴾ ثُمَّ أَفْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ فَلَمَّا قَضَيْتُمْ مِنْسِكَكُمْ فَأَذَرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠٢﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٣﴾ * وَأَذَرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْلُودَةٍ فَمَنْ تَحْمِلُ فِي يَوْمَيْنِ

١٩٨ - ولقد كان منكم من يجد حرجا في مزاوله التجارة وابتغاء الرزق في موسم الحج ، فلاحرج عليكم في ذلك ، بل لكم أن تزاولوا التكسب بطرقه المشروعة وتبتغوا فضل الله ونعمته ، وإذا صدر الحاج من عرفات بعد الوقوف بها ووصلوا المزدلفة لبله عبد التحرف فليذكروا الله عند هذا المشعر الحرام ، وهو جبل المزدلفة ، بالتهليل والتلبية والتكبير ، وليهيموا وليحمسوا على هدايته ايلهم الى الدين الحق والعبادة القوية في الحج وغيره ، وقد كانوا من قبل ذلك في ضلال عن صراط الهدى والرشاد .

١٩٩ - وقد كان قوم من العرب وهم قریش لا يفتنون مع الناس في عرفات مع علمهم أنه موقف أبيهم ابراهيم ، وذلك ترفعا أن يساوا غيرهم وهم أهل بيت الله وقطان حرمه ، وزعما منهم أن ذلك تعظيم للحرم الذي لا يريدين الخروج منه الى عرفات ، وهي من الحلال لامن الحرام ، فطالبيهم الله بأن يقلعوا عن عادات الجاهلية ويقفوا بعرفات ويصدروا عنها كما يصدر جمهور الناس ، فلافضل لأحد على الآخر في أداء العبادة ، وعليهم أن يستغفروا الله في هذه المواطن المباركة فذلك أدعى أن يغفر الله لهم ما فرط منهم من الذنوب والآثام ويرحمهم بفضله .

٢٠٠ - وإذا فرغتم من أعمال الحج وعبادته فدعوا ما كنتم عليه في الجاهلية من التفاضر بالآباء وذكر ماثرهم ولكن ذكركم وتعبديكم لله فاذكروه كما كنتم تذكرون آباءكم ، بل اذكروه أكثر من ذكر آبائكم لانه ولي النعمة عليكم وعمل آبائكم ، ومواطن الحج هي المواطن الدعاء وسؤال الفضل والخير والرحمة عند الله ، وقد كان فريق من الحاجاج يقصر دعاءه على عرض الدنيا وخيراتها ولا يلقى بالا للآخرة فهذا لا يناسب له في الآخرة .

٢٠١ - ومن الناس من وفقه الله فاتجه بقلبه الى طلب خيرى الدنيا والآخرة . ودعا الله أن ينجيه شر النار وعذابها .

٢٠٢ - فهؤلاء يظنون ما قدر لهم بما كسبوه بالطلب والركون الى الله والله يجزى كلا بما يستحق وهو سريع الحساب والمجازاة .

فَلَا إِلَهَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَلْتَمِزْ فَلَا إِلَهَ عَلَيْهِ لِيَنِ اتَّقَى وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلْفِصَامٌ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ إِلَهُهُمُ بِالْمُحَادِّثِينَ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْخَلُوا فِي السِّلَاسِ كَأَنَّهُمْ لَا يُخْرَجُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٠٨﴾

٢٠٣ - واذكروا الله بالتكبير وغيره في أيام معدودات هي أيام رمى الجمار بمي وهي: الحادى عشر، والثانى عشر، والثالث عشر، وليس بلازم لان قوام الخير تقوى الله، لامقدار العدد، واتقوا الله دائما واعلموا انكم اليه تحشرون ومسؤولون عن افعالكم.

٢٠٤ - واذا كانت تقوى الله هي الاساس فالخير لفرق من الناس، يختلف الذى تضمه قلوبهم عن الذى تنطق به ألسنتهم، اوتوا حلاوة في صوغ الكلام، يعجبك قولهم فيا يمثالون به على جلب المنفعة في الحياة الدنيا، ويؤيدون لك زعمهم بأن الله يعلم صدق قلوبهم فيا تقوله ألسنتهم، وأنهم لأشد الناس خصومة لك وأقسامهم عليك.

٢٠٥ - واذا تولى ولاية يكون له فيها سلطان لا يكون سعيه للإصلاح، بل للانفساد واهلاك الزرع والنسل، والله لا يحببه، لان الله تعالى لا يحب الفساد.

٢٠٦ - واذا نصحت له حينئذ بالخوف من الله ثارت في نفسه الحمية ووطن ذلك هداما لعزته، وحمله على ارتكاب الإثم فيا نهته عنه لجاجة وعنادا، فحسبه على ذلك عذاب جهنم وليس المستقر.

٢٠٧ - فا أبعد الفرق بين هؤلاء المنافقين وبين المؤمنين الصادقين الذين يبيع أهدم نفسه في سبيل مرضاة الله واعلاء كلمة الحق ويكون هذا القسم مقابلا للقسم الاول، ويكون توليه أمرا من أمور الناس من رافة الله بعباده، والله تعالى يرحمهم بجعل الولاية هؤلاء ليدفع بهم أذى الأشرار.

٢٠٨ - يأبى الذين آمنوا كونوا جميعا مسالمين فيا بينكم ولا تتبروا المصيبات الجاهلية وغيرها من أسباب النزاع والخلاف، ولا تسبوا في طريق الشيطان الذى يدفعكم الى الشقاق فانه لكم عدو مبين^(١).

(١) هذا النص القرآنى فيه دعوة عامة من المؤمنين إلى السلام، وتفيد أن الحرب والنحاص هي من الشر وراء الشيطان، وأنها تدعو عامة المؤمنين إلى أن يكثروا مسالمتهم مع غيرهم، وسالمتين في داخل أنفسهم، لا حرب مع غيرهم، ولا حرب فيا بينهم. وأن هذا النص يدل على أن الأصل في العلاقة بين الدول الإسلامية وغيرها هي السلم، وأن ذلك هو مبدأ الأديان الساهرة كلها، ففى الوقت الذى كان قانون الغلبة هو الذى يحكم بين الدول، وهو الذى يحدد العلاقات بينها، اتقى بأكل الضعيف جاء الإسلام بمبدأ المبدأ السامى، وهو أن العلاقة هي السلم، وإذا كان القتال، فانه لدفع الاعتداء، أى لملء المصداق على أن يكون مسالما، فالغلب الذى شرعها الإسلام، وشرعنا الأديان هي لتثبيت دعائم السلم، وتحقيق العدل، فهي حرب السلام، لاستقرار العدل والسلام.

فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاذْعَبُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُمٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ وَتُغْصَى الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ هَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُمٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ وَتُغْصَى الْأُمُورُ ﴿٢١١﴾ هَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُمٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ وَتُغْصَى الْأُمُورُ ﴿٢١٢﴾ هَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُمٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ وَتُغْصَى الْأُمُورُ ﴿٢١٣﴾

٢٠٩ - فإن انحرَفتم عن هذا الطريق الذى دعيتم اليه جميعا من بعد ظهور الحجج القاطعة على أنه طريق الحق، فاعلموا أنكم مؤاخون بهذا الانحراف لأن الله عزيز يعاقب من يعرض عن سبيله، حكم يقدر العقوبة بقدرها.

٢١٠ - وهل ينتظر هؤلاء المرضون عن الاسلام ليقنعوا أن يروا الله تعالى جهرة في غمام مسائر مع الملائكة وقد قضى الأمر بقطع مطالبهم، لأن الشئون جميعا في قبضة الله يعرفها هو حيث يشاء وقد قضى فيها قضاءه الذى سينفذ لامحالة.

٢١١ - هل يأتى اسرائيل كم سقنا اليهم الأدلة القاطعة على صدق الرسول، وفي ذلك نعمة هدايتهم الى الله فكفروا بهذه الأدلة وعمدوا بتكذيبهم لها الى تبديل الغرض منها، فيبعد أن وضعت للهداية أصبحت بالنسبة لكفر هؤلاء بما سببا في زيادة ضلالهم والهم، ومن يبذل نعم الله بهذه الصورة يحق عليه العذاب لأن الله شديد العقاب.

٢١٢ - وأن السبب في الانحراف والكفر هو طلب الدنيا، فقد زين للذين كفروا شهوات الحياة الدنيا ففشا يسفرون من الذين آمنوا لا تشغلهم بالحياة الآخرة - والله جاعل الذين آمنوا أعلى مكانا منهم في الآخرة. فأما زيادة هؤلاء الكفار بالمال والزينة في الدنيا فلا يدل على أفضليتهم لأن رزق الله لا يقدر على حساب الايمان والكفر بل يجرى تبعا لشئته، فمن الناس من يزداد له الرزق استدراجا ومنهم من يقلر عليه اختبارا.

٢١٣ - وأن الناس طيبة واحدة فيها الاستعداد للضلالة، ومنهم من تستولى عليه أسباب الهداية، ومنهم من تغلب عليه الضلالة ولذلك اختلفوا فيعت الله اليهم الانبياء هداة ومبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب مشتملة على الحق، لتكون هي الحكم بين الناس فينتظم التنازع، ولكن الذين انتفضوا يهدى البين هم الذين آمنوا فقط، الذين هداهم الله في موضع الاختلاف الى الحق والله هو الذى يوفق أهل الحق اذا احصلوا.

الْجَنَّةَ وَمَا يَأْتِيكُمْ مِنْهُنَّ خَلَوْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَنْصُرُهُ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَلِِلَّذِينَ آمَنُوا وَلِلْيَتَامَى وَلِلْبَنَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرِهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْعًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْعًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُبْتَغُونَكَ حَتَّى يَرُدُّوكَ عَنْ دِينِكَ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكَ عَنْ دِينِهِ فَمَا كُفِّرْ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْلَىٰ أَكْرَمُ

٢١٤ - فهل حسبتم أن تدخلوا الجنة بمجرد اقراركم بكلمة الاسلام بدون أن تصابوا بمثل ما أصاب الذين من قبلكم، فقد أصابهم الشدائد والنوازل وزلزلوا حتى بلغ يسم الأمر أن قال رسوله نفسه وقالوا معه: متى نصر الله؟ فيرد ربه بوعده فيجيبون عندهن بأن نصر الله قريب.

٢١٥ - يسألك المؤمنون في شأن الاتفاق فنقل لهم: ان الاتفاق يكون من المال الطيب، ويصطى للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين ومن انقطع عن ماله وأهله، وما تفصلوه من عمل خير فان الله يعلمه وهو يبيحكم عليه.

٢١٦ - فإذا كان في الإتفاق على اليتامى والمساكين وغيرهم حماية للمجتمع في داخله فان القتال حماية له من أعدائه في الخارج، ولذلك فرض عليكم أيها المسلمون القتال لحياة دينكم والدفاع عن أنفسكم، وأن نفوسكم بحكم جيلتبا نكره القتال كرهًا شديدًا ولكن ربما كرهتم ما فيه خيركم وأحببت ما فيه شركم، والله يعلم ما غاب من مصالحكم عنكم، وأنتم لا تعلمون فاستجيبوا لما فرض عليكم.

٢١٧ - وقد كره المسلمون القتال في الشهر الحرام فسألك عنه، فنقل لهم: نعم ان القتال في الشهر الحرام (١) اثم كبير، ولكن أكبر منه ما حدث من أعدائكم من صعد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، وإخراج المسلمين من مكة، وقد كان إيذاؤهم للمسلمين لاخراجهم من دينهم أكبر من كل قتل

(١) الأشهر الحرم أربعة وردت عنها في سورة التوبة حيث قال سبحانه وتعالى: «ان عدة الشهور عندنا إثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم» الآية ٢٥ التوبة. وقد حدد الرسول ﷺ هذه الأشهر الأربعة بأسمائها في حديثه الشريف الذي أخرجه البخاري عن خطبه في حجة الوداع حيث قال: «أيها الناس ان الله زاد في الكفر يحل به الذين كفروا يطرونه علما ويحرمونه علما ليواطروا عدة ماحرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله. وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وأن عدة الشهور اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وربيع حرم الذي بين جدلي وشعبان، وكانت قبيلة ربيعة تستغل القتال في رمضان لشدة الحرارة فكانت تسميه رجب وتحرره ولذا حدد الرسول رجب الحرام بأنه رجب قبيلة مضر الذي بين جدلي وشعبان، وحكمة تحريم القتال في الأشهر الحرم أن جعلها الله هذه إيجابرية (يُحَلِّدُ) الناس فيها إلى الراحة والهدوء والقيام على أمور معاملتهم من زراعة وتجارة وعقد المهرمة ثلاثة مفروضة منذ عهد إبراهيم عليه السلام، ومنذ فرض الله على الناس جمع بيته «الكعبة» والوقوف بمسرات في اليوم العاشر من ذي الحجة فيحرم القتال في هذا الشهر فالشهر الذي قبله والشهر الذي بعده راحة من الله بعباده واليمن للمجاهد على أنفسهم وأرواحهم في هذا الموسم ومنذ

رَحِمَ اللَّهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ
 وَلَهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا * وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَوْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكَ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ * وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحُهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِنِخَالِطُوكُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ
 مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَهَنْتُكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَرِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَئِمَّا
 يُؤْمِنُوا غَيْرَ مِنْ مُشْرِكِيكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ

ولذلك أباح القتال في الشهر الحرام لقمع هذه الشرور فهو عمل كبير يتق به ما هو أكبر منه . واعلموا ،
 أيها المسلمون ، أن سبيل هؤلاء معكم سبيل التجنى والظلم . وأنهم لا يقبلون منكم الصلح والمنطق ،
 ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم أن استطاعوا ، ومن يضعف أمام هجماتهم ويرتد عن دينه
 حتى يموت على الكفر ، فأولئك بطلت أفعالهم الصالحة في الدنيا والآخرة ، وأولئك أهل النار هم فيها
 خالدون .

٢١٨ - وأن الذين آمنوا إيماناً صادقاً دفعهم إلى الهجرة لنصرة الدين والجهاد لإعلان كلمته فأولئك ينتظرون
 عظم ثواب الله لهم ، وإن قصروا في شيء ، لأن الله غفور يفرغ الذنوب ، رحيم يرحم عباده بالهداية والتواب .
 ٢١٩ - ويسألك يا محمد عن حكم الخمر والقمار ، فقل أن فيها ضرراً كبيراً من إفساد الصحة وهواب
 العقل والمال وإثارة البغضاء والصودان بين الناس ، وفيها منافع كالنسيئة والربح السهل . ولكن ضررها أكبر من
 نفعها فاجتنبوها . ويسألك عما يتفقون ، فأجبهم أن يتفقوا في ذات الله السهل اليسير الذي لا ينشق عليكم
 اتفاقه ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فيما يعود عليكم من مصالح الدنيا والآخرة (١) .
 ٢٢٠ - ويسألك بشأن اليتامى الذي يوجب الإسلام حيالهم ، فقل أن الخير لكم وفيهم في إصلاحهم . وأن
 تضمومهم إلى يوتكم . وأن تخالطوهم بقصد الإصلاح لا الفساد . فهم اخوانكم في الدنيا يستعدون منكم هذه
 مخالطة ، والله يعلم المفسد من المصلح منكم فاحذروا . ولو شاء الله لمتسق عليكم ، فأؤمركم رعاية اليتامى من غير
 مخالطة لهم ، أو تركهم من غير بيان الواجب لهم ، فيربون على بغض الجماعة ويكون ذلك إفساداً لجماعتكم واعتاتاً
 لكم ، إذ أن قهرهم ونهم يجعل منهم المبغضين للجماعة المفسدين فيها . وأن الله عزيز غالب على أمره ، ولكنه حكم
 لا يشرع إلا بما فيه مصلحتكم .

١- أن يخرجوا من ديارهم قاصدين مكة إلى أن يعودوا إليها بعد أداء مناسك الحج والصوم ثلاثة أشهر متواليات حرم الله فيها القتال ليس
 الأيمن والسلام جميع الناس من خرج منهم حاجاً ومن لم يخرج لما أشهر الرابع وهو رجب فهو وسط بين بلية أشهر العام .

من أجل الجهاد في الأشهر الحرم المحكم في ذلك أتزه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بالهجر إلى كان دعوا لاعتداء ، والمتأسفة
 التي نزل فيها الرضى بهذا الحكم في سرية عبد الله بن جشم وحاصل الخبر أن الرسول بعته وسلمه كتاباً أمره ألا يقبضه إلا بعد مسبة
 يبين ، ثم يقرأه على رفاقه ولا يكون أحد على السير معه بعد أن يعطهم بجيشه وهي « أن تبرع من ينكح حتى تأتى بطن غيلة - مكان
 بين نجد والطفيل - فرصد جا حيد قريش وتعلم لنا من أخبارهم » والكتاب صريح بعدم القتال ولذا استطاع حركات العدو ولكن الذي
 حدث بعد قرينة كتاب التي أن التبين من رجال عبد الله بن جشم ذهباً يطلبان بهما لها شل فاستربتيا قريش ، وهما سجد بن أبي وقاص
 وعنتية بن هزوان ثم نزل الركب بنحلة فرت بهم عبر قريش تحمل تجارة عليها عمرو بن الحضرمي وكان ذلك في آخر شهر رجب ، وكانت
 قريش قد حوزت أموال بعض المسلمين في مكة عند الهجرة منهم بعض من كان في سرية ابن جشم فقتلوا في قتال أهل الخير وساروا
 لها يستعين أن تركوا البرح غشي ليلتها لتستطع بالبرح وفاقهم تعرضى ماجزته قريش في هذه الفرصة ، وأن قاتلوا أهلها فاطلوعهم في شهر
 حرام هو شهر رجب ولكنهم انتقموا للقتال فقتلوا عمرو الحضرمي وأسرروا رجلين شرعيين وأصابوا بعض الغنائم ، فلما رجسوا إلى المدينة
 وقعدوا لرسول الله ﷺ الحس من غنيمته فأباه واستكر حملهم وقال لألتركم بقتال في الشهر الحرام . وسامت مقابلتهم من أهل المدينة

وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُدْعُونَ إِلَى الْتِبَارِ وَاللَّحْنَةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِأَيْتِهِ وَيَبْنِي عَابَتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَيْحِيسِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا إِلَيْهِ فِي الْمَيْحِيسِ وَلَا تَقْرَبُوا حَتَّى يَطْهَرُوا
فَإِذَا طَهَرُوا فَاتَّوَهُنْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ سَأَوْكَرْ حَرَتْ لَكَ
فَاتَّوَحَّرْكَ أَنْ شِئْتَ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوْنَ وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ

٢٢١ - وإذا كانت مخالطة النبايا لا حرج فيها فإن الحرج في مخالطة أهل الشرك، فلا ينكح المؤمن مشركة لا تدين بكتاب سماوي ولا يحمل المرء منكم على زواج المشركة ما لها وجهها وحسبها ونسبها. فالؤمنة التي وقع عليها الرق خير من المشركة الحرة ذات المال والجمال والحسب والنسب، ولا يزوج المرء منكم من له عليه ولاية من النساء شركاً لا يؤمن بالكتب السماوية، ولا يمت أحدكم على ابتزاز المشرك غناه وشرفه، فخير منه العبد المؤمن فأولئك المشركون يجذبون عشارهم إلى المعصية والشرك فيستوجبون النار. والله إذا يدعوكم إلى اعتزال المشركين في النكاح يدعوكم إلى ما فيه صلاحكم ورشادكم فتألمن إلى الجنة والمغفرة، وتسيرن في طريق الخير يتيسر، والله بين شرائعه وهدى للناس لهم يرفلون صلاحهم ورشادهم.

٢٢٢ - ويسألونك عن إتيان الزوجات زمن الميض، فأجبهن أن الميض أذى فامتنعن عن إتيانهن مدته ولا تأتوهن حتى يطهرن، فإذا تطهرن فاتوهن في المكان الطبيعي، ومن كان وقع منه شيء من ذلك فليتب فان الله يحب من عباده كثرة التوبة والطهارة من الأثام والنقض.

٢٢٣ - زوجاتكم هن موضع النسل كموضع البذر ينبت النبات، فباح لكم أن تأتوهن على أي طريقة تشاءن إذا كان ذلك في موضع النسل، واتقوا الله أن تصبوه في مخالطة المرأة واعلموا أنكم ملاقوه مسؤولون عنه، والمبشرى للذين يقفون عند حدوده تعالى فلا يتعدونها.

== إلى أن نزل الوحي بالآية الكريمة: « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ».

(١) هذه الآية تقر حقيقة نابتة هي أن للفساد والميسر منافع عرسية، كما أن فيها الماكير وأن هذا الأثم أكبر مما يتردى فيها من منافع، فنسارب الخير ينتفع ببعض الثمرة التي تتطلب إلى خود يتردى شرها بعد ذلك إلى إصابته بمختلف الأمراض التي تقود شاربها إلى الايمان عليها ويندى ضررها ذلك إلى الاضرار بكثير من أجهزة الجسم المختلفة كالجهاز الهضمي والوصي والدوري والدموي وفي تجارتها منافع مادية ولكن هذه النافع لا تسمى شيئاً بجانب الاضرار الجسدية التي يصحبها ترويضها بين الناس.

واليسر والمكر، فالثمرة التي يشرى بها القمار هي على حساب أصحابه والريح التي يرميها قد يفسح في جلسة واحدة أو في مرات تالية بل قد يعصيه ادمانه بالافلاس والقوات المادية التي يرميها أصحاب دور القمار لا تسمى شيئاً بجانب الاضرار الجسدية التي تصب من نشر هذه الجريمة بين الناس.

عُرْضَةً لِأَيْمَنِكُمْ أَنْ تَبَرُوا وَتَتَّبِعُوا بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفَتْحِ وَلَا بِالسِّجْنِ ۚ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَيَعْلَمَنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

٢٢٤ - لا تعجلوا اسم الله معرضاً لكثرة الحلف به ، لأن ذلك ينافي تعظيم اسم الله ، وأن التصون عن كثرة الحلف باسم الله يؤدي الى البر والتقوى والقدرة على الإصلاح بين الناس ، اذ يكون المتصون جليل القدر في أعين الناس موثقاً به بينهم فيقبل قوله ، والله سميع لأحوالكم وإيمانكم عليم بنياتكم .

٢٢٥ - عفا الله عنكم في بعض الأيمان ، فما جرى على الألسنة من صور الايمان ولم يصحبه قصد ولا عقد قلب ، أو كان يحلف على شيء يعتقد حصوله وهو لم يحصل فان الله لا يؤاخذكم عليه ، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم من عزم على ايقاع فعل أو عدم ايقاعه . وعلى الكذب في القول مع التوثيق بايمين ، فالله غفور لمن يتوب ، حلیم يغفر عما لا يكتسبه القلب .

٢٢٦ - وهؤلاء الذين حلقلوا الا يقربوا نساهم أربعون أشهر ، فان أتوا نساهم في اثنتائها استمر الزواج وعليهم كفارة اليقين وغفر لهم ويقبل الكفارة رحمة بهم .

٢٢٧ - وان لم يأتوا نساهم في هذه المدة كان ذلك اضراً بالمرأة ، فليس الا الطلاق ، والله سميع لايمانهم عليم بأحوالهم ومحاسنهم على ذلك يوم القيامة .

٢٢٨ - وعلى المطلقات أن ينتظرن دون الطموح الى زواج يستأنف مدة ثلاث حيضات ^(١) ، استبراء للرحم ^(٢) ، وفسحة لاحتمال المراجعة ولا يحمل لمن أن يكتن ما يكون في ارحامهن من جنين أو دم حيض ، وذلك شأن المومنات بالله ولقائه في اليوم الآخر ، وأزواجهن لهم الحق في ارجاعهن للزوجة ثانياً مدة العدة ، وعلى

(١) تنبيهان :

الأول ، جرى التعبير في محل المدة ثلاث حيضات على تفسير كلمة « الفرة » الواردة في النص القرآني بالمحيض ، وهذا رأى جمهور الفقهاء ، وليس التامس « الفرة » بالطهر بين الحيضتين ، فمثل ذلك تكون المدة عنده ثلاثة أشهر .
الثاني ، بقية أنواع العدة وأحكامها ستأتى في أماكن أخرى .

(٢) شرعت العدة استبراء للرحم أولاً ، وذلك ان الاستبراء للرسم من الحمل لا يكون مؤكداً الا بعد ثلاث حيضات ، والحامل لا يحيض عادة ، وان حاضت فان ذلك يكون مرة أو اثنتين على الأكثر اذ أن الجنين يكون قد ما بعد هذه المدة الى درجة ملامحها بجوهر الرحم فيستنزول دم الحيض ، ذلك تقدير الله في خلقه وما كان سطوياً عند السرب ، وما كان للهي الامن أن يطله ولكن الله انزل عليه القرآن لمعلمه وعلم أمته ، وشرعت العدة ثانياً ليكون عند الطلاق فرصة للمراجعة لزواجه اذ قد يكون طلق امرأته التي دخل بها تحت تأثير نوبة غضب جالدة فلذا نادى اليه وقده ندم على ما فعل فحينئذ يجد رحمة الله واسعة ، وشرعه حكماً ، قد اعطاه الحق في ان يسقط (واجتماعاً) لقعود اليه وزوجه ولكن تحسب عليه الطلقة من ثلاث طلقات .

دَرَجَةً وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٩﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ فَلَيْسَ كَمَنْعُكُمْ عَلَيْهِمْ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخْلُفَا أَلَا يُخْلِفَا أَلَا يَقْبِضَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِمْ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأَنَّ لِلْعَاطِلِينَ ﴿٢٣٠﴾ فَإِنْ عَلَّقَهَا فَلَا

الأزواج عند استعمال هذا الحق أن يفصلوا إلى الإصلاح والمصلحة وللزوجة من الحقوق مثل ما عليهن من الواجبات بما لا ينكره (١) الشرع الشريف وللرجال عليهن درجة الرعاية والمحافظة على الحياة الزوجية ونشون الأولاد، والله سبحانه فوق عبادته يشرع لهم ما يتفق مع الحكمة.

٢٢٩ - الطلاق مرتان (٢) يكون للزوج بعد كل واحدة منها الحق أن يمسك زوجته يرجعها في العدة أو أعادتها إلى عصمته بمقتضى جديد، وفي هذه الحال يجب أن يكون قصده الاستمرار بالعدل والمعاملة بالمحسنى، أو أن ينهى الحياة الزوجية مع المعاملة المحسنة وأكرامها من غير جفافاة. ولا يحل لكم أيها الأزواج أن تأخذوا ما أعطيتهمون شيئاً إلا عند خشية عدم إقامة حقوق الزوجية التي بينها الله سبحانه وتعالى، وألزم بها. فإن خفتم بأعسر المسلمين ألا يؤدي الزوجات حقوق الزوجية سليمة كما بينها الله فقد شرع للزوجة أن تقدم مالا في مقابل إفراقها عن زوجها. وهذه هي أحكام الله المقررة فلا تخالفوها وتتجاوزوها لأن من يفعل ذلك ظالم لنفسه وظالم للمجتمع الذي يعيش فيه.

(١) جعل الله تعالى للمرأة من الحقوق بقدر ما عليها من واجبات وجعل للزوج درجة الرعاية والمحافظة وعليه واجب العدالة وأن التمسوا في الحقوق الزوجية بالنسبة للمرأة بين الحق والواجبات مبدأً يمكن عند الأمم المتقدمة، فكانت المرأة عند الرومان أمّة في بيت زوجها عليها واجبات وليس لها حقوق وكذلك كانت في فارس وقد سبق الإسلام بهذه العدالة.

(٢) شرع الله سبحانه وتعالى الطلاق وجعله بيد الرجل ابتداءً وقد توهم بعض الناس أن ذلك يؤدي إلى الإصرار بالحياة وإلى سهرقة الحلال الأسرية وذكرنا كلامهم بأن نسبة الطلاق في مصر قد بلغت نحو ٢٤٠ أو تزيد وأن هذا أدى إلى كثرة التفرد والواجب عليها أن تتكلم في أصناف الحق للزوج ثم فيها لديها أنه قريب عليه.

(٣) أما أصناف حق الطلاق للزوج فهو في بسط ذلك الحق غير مقيد بل فيه بقوله نصية وقبوله عدية بالنسبة للزوجة التي دخل بها زوجها وتلك النصية هي:

أولاً - لا يطلق إلا طلاقاً واحدة رجعية أي يكون له حق الرجعة في أثناء العدة لما أن يرجع في العدة ولما أن يتركها ويكون هذا دليلاً على كمال التفرد ولا يصبح بقاءه زوجية مع عدة التفرد.

ثانياً - أن لا يطلقها في وقت الحيض لأنها تكون في حالة عسية ولا يكون له إقبال عليها وقد تكون هذه الحال الصارفة بسبب هذه الفترة التي لا تستند للاطلاق إلا عند الحيض.

ثالثاً - لا يطلق في طهر قد دخل بها فيه لأن ذلك يفسد التفرد تكون لصمد وجود الرغبة فيها فإذا كانت هذه الأمور فإن الطلاق يكون في حالة نفرة شديدة وانقطاع المودة الباقية.

(ب) وأما إحصاء زيادة نسبة الطلاق بنحو ٢٤٠ في التسليم بما تكون أقل مما عند الانجليز والأمريكان والفرنسيين على أنه ليس كل طلاق يوجب انفصالاً وأن الطلاق قبل الدخول لا يوجب كرامة زوجية بل يعد منها لكثرة ولكن نسبة عدد الرجعات وعدد

الطلاق من قبل الدخول وعدد الطلاق يتراضى الزوجين وعدد الزواج الذي استوفى بعد الطلاق ولو استعمل هذا كله لحسبت النسبة هيوطاً وإحصاءاً إلى درجة أن يكون الطلاق الذي أدى إلى الانفصال التام نادر وقد افنا هذه التجربة في بعض المحاكم التي

يكثر فيها الطلاق لوجودها نسبة الطلاق الذي يوجب انفصالاً بمعدل أسبوعاً استعمل ذلك الحق تهيئ إلى نحو ٢٥ أو ٢٠.

(ج) وأما بالنسبة للتفرد فقد أثبتت الإحصاءات أن الطلاق يقل عند وجود الولد ويكثر إذا لم يكن وقد أثبتت الإحصاءات أن ٢٥ من وقائع الطلاق تكون في أعقاب أي ولد وإن كان ١٧٪ من وقائع الطلاق بعد أعقاب ولد واحد ثم تهيئ النسبة بعد ذلك كلما كثر الأولاد حتى إذا وصل العدد إلى خمسة أولاد هيئت النسبة حتى تصل إلى ربع في المائة من وقائع الطلاق فيقبل

يرجع برهانه أقوى من هذا يدل على أن التفرد ليس سببه الطلاق إنما سببه الحق هو ضعف الرقابة على الولد على النفس الذي يقوم بتربية الأطفال ورعايتهم على أن الإحصاء بالنسبة لبرامج الأحداث أثبت أن الانفصال الجسدي ويهمل الأب للبيت أكثر من الطلاق تأهلاً.

يَحِلُّ لَكُم مِّنْ بَعْدِ حَتَّى تَسْكِبَ زَوْجًا غَيْرُهُ فَإِن طَلَقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَلَكِن حُدُودُ اللَّهِ يَبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَيْسَ كُفُّهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ عَظَّمَ نَفْسَهُ وَلَا تَهْدِلُوا ؕ إِنِّي أَنَا اللَّهُ مُرَوًّا وَآذِكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَرْزَلُ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعْظَمُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَيْسَ أَجَلُهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَكَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ * وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ حَوْلَئِهُنَّ حَوْلَتَيْنِ حَكِيمَتَيْنِ لِّمَن أَرَادَ أَن يُنْمِ الرِّضَاعُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ

٢٣٠ - فان طلق الزوج امرأته مرة ثالثة بعد التلطين السابقتين فلا تحل له حينئذ الا بعد أن تزوج زوجاً غيره ويدخل بها . فان طلقها من بعد ذلك الزوج الثاني وصارت أهلاً لأن يعقد عليها عقداً جديداً فلا ممانع عليها ولا على زوجها الأول في أن يستأنفا حياة زوجية جديدة بعقد جديد ، وعليها أن يحترما إقامة حياة زوجية صالحة تراعى فيها كل الأحكام الشرعية التي حددتها الله سبحانه وتعالى ، وقد بينت هذه الحدود لمن يؤمن بالشرع الاسلامي ويريد العلم والعمل به .

٢٣١ - وإذا طلقتم النساء فصارفن انتهاء عدتهن ، فلكم أن تراجعوهن قاصدين إقامة العدل وحسن الصحبة وعدم المضارة ، ولكم أن تتركوهن لتتقضى عدتهن ملاحظين المعاملة اللائقة عند الفراق من غير جفوة ولا يجوز أن يكون القصد من المراجعة مضارة المرأة وتطويل عدتها ، ومن يفعل ذلك فقد حرم نفسه سعادة الحياة الزوجية وفقه الناس به واستحق سخط الله عليه ، ولا تتخذوا أحكام الله في الأسرة التي جاءت بها الآيات وجعلت زمام الأسرة بيد الوكيل مخفية وهواً وعبثاً . تطلقون لغير سبب وترجعوهن مضارة وإيذاء . واذكروا نعمة الله عليكم بتنظيم الحياة الزوجية تنظيماً عالياً وأزلاً يعلمكم من كتاب مبین للرسالة المحمدية والعلوم النافعة والأمثال والقصص التي بها تتعلمون وتهتدون ، ولتقنوا ببنكم وبين غضب الله وقاية واعلموا أن الله يعلم سرهم وجهرهم ونياتكم وأعمالكم وهو مجازيكم بما كنتم تعملون .

٢٣٢ - وإذا طلقتم النساء وأتممت عدتهن ، وأرادت احداهن أن تستأنف زواجاً جديداً من المطلق أو من رجل آخر غيره ، فلا يحل للأوليه ولا للزوج المطلق أن يمنعتن من ذلك ، وإذا تراضى الطرفان على عقد جديد وإرادة حياة كريمة تؤدي إلى حسن العشرة بينهما ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم ادعى إلى تنمية العلاقات الشريفة في مجتمعكم وأطهر في نفوسكم من الأدناس والعلاقات المريبة ، والله يعلم من مصالح البشر وأسرار نفوسهم ما يجهلون الوصول إليه .

رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدَيْهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُسْقِطُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنكُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِذْنٍ يَرْبِعُونَ أَنفُسَهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَ الْإِنثَى فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضَتْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ

٢٣٣ - وعلى الأمهات أن يقمن^(١) بإرضاع أولادهن مدة عامين تامين مراعاة لمصلحة الطفل، إذا طلب أحد الوالدين أو كلاهما استيفاء مدة الرضاعة تامة لاحتياج الولد إليها، ويلزم الوالد - باعتبار الولد منسوباً إليه - بالانفاق على الأمهات حينئذ بإطعامهن وكسوتهن على قدر طاقته بلا إسراف ولا تقصير. فانه لا يلزم إنسان إلا بما يقدر عليه ويستطيعه. ولا ينبغي أن يكون سبباً في إلحاق الضرر بأمه بأن يحرم حقها أو نفقتها أو حضانتها ولدها، كما لا ينبغي أن يكون الولد سبباً في إلحاق الضرر بأبيه بأن يكلف فوق طاقته أو يحرم حقه في ولده، وإذا مات الأب أو كان فقيراً عاجزاً عن الكسب كانت النفقة على وارث الولد أو كان له مال، فإن رغب الوالدان أو كلاهما في طعام الطفل قبل تمام العامين وقد تراضيا على ذلك ونظراً إلى مصلحة الرضيع فلا تيمة عليها، وإذا شتم أيها الآباء أن تتخذوا مراضع للأطفال غير أمهاتهم فلا تيمة عليكم في ذلك، ولتدفعوا إليهن ما أنفقن عليه من الأجر بالرضا والمهاتمة، وراقبوا الله في أفعالكم، واعلموا أنه مطلع عليها ويجازيكم بها.

٢٣٤ - والذين يتوفون منكم أيها الرجال ويتركون زوجات لهم غير حوامل فليهن أن يمكن بصدقهم دون تعرض للزواج مدة أربعة أشهر هلالية وعشر ليال يأيامها استبراء للرحم وحداداً على الأزواج. فإذا انتهت هذه المدة فلا تيمة عليكم أيها الأولياء لو تركتموهن يأتين من شريف الأفعال التي يرضاهما الشرع ليصلن بها إلى الزواج. فلا ينبغي أن تمنعهن من ذلك ولا يجوز هن أن يأتين من الأفعال ما ينكره الشرع ويأباه فإن الله مطلع على سرائركم ويعلم أفعالكم فيحاسبكم على ما تعملون.

(١) النص القرآني يستر وجوب الإرضاع على الأم ولا يكون الاسترضاع الإلزامي لا يكتفي بالإرضاع وقد اتفق الفقهاء على وجوب الإرضاع عليها صيانة لأن الإرضاع هو الطعام الطبيعي للمولود إذ لبن الأم يلائم حياة الطفل كل الملائمة فيزيد حماً بزيادة جسم المولود وتتدرج معتبراته حسب حاجاته والرضاعة تزيد الأم ولا تضرها إلا في أحوال شاذة إذ أن الرضاعة تعمل على تحسين الحالة الصحية العامة للمرضع بتنشيط الجهاز الهضمي وحمله على العمل للحصول على المواد الغذائية اللازمة للمولود وذلك فوق ما يتيده الرضاعة في الجهاز التناسلي إذ تجهد إلى أوضاعها الطبيعية بعد عملية الولادة والنظام الطبي يكون تدريجياً ويجوز أن يضبط الصغير لائل من عديدين من ولادته إذا كانت صحته تتواءم على ذلك أما إذا كانت صحته لا تتواءم ولا يستطع الطعام الحاربي فانه يستمر حولين كاملين ويصدها يمكن أن يستغنى الطفل استفادة كمالاً عن لبن الأم.

أَتُكْنِمُ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَدَّ كُرُونَهُ وَلَكِنَّ لَا تُؤَاعِدُونَهُمْ مِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَزِمُوا عَقْدَةَ الْإِنكِاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُنَّ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصِفْ مَا قَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يُعْطُونَ أَوْ يُعْطُوا الَّذِي يَسْلُكُ عَقْدَةَ الْإِنكِاحِ وَأَنْ تَتَوَفَّوْا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى

٢٣٥ - ولا اثم عليكم أيها الرجال في مدة الصدة إذا لمستم للمتحدثات من وفاة بالزواج أو أضرمن ذلك في قلوبكم ، فإن الله يعلم أنكم لا تصبرون عن التحدث في شأنهن ليل الرجال إلى النساء بالفسطة ، وهذا أباح لكم التلويح دون التصريح ، فلا تطهون وعدا بالزواج إلا أن يكون ذلك إشارة لا نكر فيها ولا فحش ، ولا تبهموا عقد الزواج حتى تنتفي الصدة ، وابتقوا أن الله مطلع على ما تخفونه في قلوبكم ، فخافوا عقابه ولا تقدموا على ما نهاكم عنه ، ولا تأسوا من رحمة أن خالفتكم أمره فانه واسع المغفرة يقبل التوبة من عباده ويغفر عن السيئات ، كما أنه حلیم لا يجعل بالمعصية لمن انتهك المحرمات ...

٢٣٦ - ولا اثم عليكم أيها الأزواج ، ولا مهر إذا طلقتم زوجاتكم قبل الدخول بين وقيل أن تقدروا لمن مهرًا ، ولكن اعطوهن عطية من المال يشتمن بها لتخفيف آلام نفوسهن ولكن عن رضا وطيب خاطر وليدفعها الفقى بقدر وسعه والفقر بقدر حاله ، وهذه العطية من أعمال البر التي يلزمها نور المروءات وأهل الخير والاحسان .

٢٣٧ - وإذا طلقتم النساء قبل الدخول بين بعد تقدير مهورهن ، فقد وجب لمن نصف المهر المقدر ويدفعه الزوج ، إلا إذا تنازلت عنه الزوجة ، كما انهن لا يعطين أكثر من النصف إلا إذا سمحت نفس الزوج فأعطاهما المهر كله ، وصاحبة كل من الزوجين اكرم وارضى عند الله والى بأهل التقوى فلا تتركها ، واذكروا ان الحسير في الفضل وحسن المعاملة ، لأن ذلك أجلب للعودة والتحاب بين الناس ، والله مطلع على ضامركم وسيجازيكم على ما تفعلون .

وَقَوْمًا لِلَّهِ قَتِيلِينَ ﴿٣٣٨﴾ فَإِنْ عَصَيْتُمْ قَرْبَالًا أَوْ رَجُلًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنكُمْ ذَيْفُونَ وَيَتَرَوْنَ زَوْجًا وَنِسَاءً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَمًا إِلَى الْحَسُولِ غَيْرِ خَرَجٍ فَإِنْ تَرَجَعْنَا فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي مَا فَعَلُوا إِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٤٠﴾ وَلَمَّا طَلَّقْتِ مَتْنَعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٣٤١﴾ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٤٢﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَرَجَعُوا مِنْ دُبُرِهِمْ وَهُمْ أَوْفَ حَذَرِ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أُنْفِثَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

٢٣٨ - احرصوا على إقامة الصلوات كلها ، وادعوا عليها ، واحرصوا على أن تكون صلواتكم هي الصلاة الفضلى بإقامة أركانها والاخلاص الكامل لله فيها ، وأقروا طاعة الله تعالى وذكره مخلصين له خاشعين لجلاله .

٢٣٩ - فإذا أدركتم الصلاة وأنتم خائفون فلا تتركوها بل صلوا كما استطعتم مشاة أو راكبين فإذا زال الخوف عنكم فصلوا الصلاة مستوفية الأركان كما علمتموها ذاكرين الله فيها شاكرين له ما علمكم إياه وما من به عليكم من نعمة الأمن .

٢٤٠ - والذين يتوفون منكم ويتركون زوجات لهم ، فقد أوصى الله بهن أن يقمن في بيت الزوجية عاماً كاملاً مواساةً لهن وإزالةً لوحتنهن . ولا يحق لأحد أن يخرجهن ، فإن خرجن بأنفسهن في أثناء العام فلا إثم عليكم أيها الأولياء أن تتركوهن يتصرفن في أنفسهن بما لا ينكره الشرع الشريف عليهن ، وأطيعوا الله في أحكامه واعملوا بما شرع لكم فإنه قادر على أن ينتقم من يخالف أمره ، وهو ذو حكمة بالغة لا يشرع لكم إلا ما فيه المصلحة وإن غابت حكمتها عن علمكم .

٢٤١ - وللنساء اللاتي يطلعن بعد الدخول حق في أن يعطين ما يشمتن به من المال جبراً لحاظهم ، يدفع اليهن بالمعنى على قدر غنى الزوج وفقره لأن ذلك مما توجبه تقوى الله ويلزم به أهل الإيمان .

٢٤٢ - يمثل هذه البيانات والتشريعات الواضحة المحققة للمصلحة ، بين الله لكم أحكامه ونعمه وآياته لتدبروها وتصلوها بما فيها من الخير .



لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّهِمْ أَهَبْ لَنَا مِثْلًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ كَفَالًا أَنْ تَقْتُلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَنْ نَقْتُلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مِثْلًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ

٢٤٣ - تنبه إليها النبي إلى القصة العجيبة واعلمها، وهي حالة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الجهاد خشية الموت فيه وهم ألوف كثيرة ففضى الله عليهم بالموت والهوان من أعدائهم، حتى إذا استبسلت بقيتهم وقامت بالجهاد أحميا الله جماعتهم به، وأن هذه الحياة العزيزة بعد الذلة المميتة من فضل الله، الذي يستوجب الشكران، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ..

٢٤٤ - وإذا علمت أن الفرار من الموت لا ينجى منه، فجاهدوا وابدلوا أنفسكم لاعلاء كلمة الله، وأبقتوا أن الله يسمع ما يقول المتخلفون وما يقول المجاهدون، ويعلم ما يضر كل في نفسه فيجازي بالخير خيراً وبالشر شراً ..

٢٤٥ - والجهاد في سبيل الله يحتاج إلى المال فقدموا أموالكم، فأى امرئ لا يبذل أمواله لله طيبة بها نفسه وقد وعد الله أن يردها عليه مضاعفة أضعافاً كثيرة، والرزق بيد الله فيضيق على من يشاء ويوسع لمن يشاء لما فيه مصلحتكم وإلى مصيركم فيجازيكم على ما بذلتم، ومع أن الرزق من فضل الله وعنايته وأنه هو الذي يسطي ويضع، سمى المتخلف مرفضاً للث على الاتفاق والتعجب فيه، وتأكيد الجزاء المضاعف في الدنيا والآخرة.

٢٤٦ - تنبه إلى الثأب العجيب عن جماعة من بني إسرائيل بعد عهد موسى طلبوا من نبيهم في ذلك الوقت أن يجعل عليهم حاكماً يجمع شملهم بعد تفرق ويقودهم تحت لوائه اعلاء لكلمة الله واسترداداً لمزتهم، سألهم ليستوفى من جدهم في الأمر: ألا ينتظر منكم أن تجهبوا عن القتال إذا فرض عليكم؟ فأنكروا أن يقع ذلك منهم قاتلين، وكيف لا نقاتل لاسترداد حقوقنا وقد طردنا العدو من أوطاننا .. فلما أجاب الله رغبتهم وفرض عليهم القتال أحجموا إلا جماعة قليلة منهم، وكان أحجامهم ظليلاً لأنفسهم ونبيهم ودينهم، والله يعلم ذلك منهم وسيجزيهم جزاء الظالمين.

بَسْطَةِ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَأَنَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ قَسَرُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ

٢٤٧ - وقال لهم نبيهم ان الله استجاب لكم فاختار طالوت حاكماً عليكم ، فاعترض كبرائهم على اختيار الله قائلين : كيف يكون ملكاً علينا ونحن أولى منه ، لأنه ليس بنبي نسب ولا مال ، فرد عليهم نبيهم قائلاً ان الله اختاره حاكماً عليكم لتوافر صفات القيادة فيه ، وهي سعة الهمة بشئون الحرب وسياسة الحكم مع قوة الجسم والسلطان بيد الله يعطيه من يشاء من عباده ولا يعتمد على وراثته أو مال ، وفضل الله وعلمه شامل ، يختار ما فيه مصالحكم .

٢٤٨ - وقال لهم نبيهم ان دليل صدق على أن الله اختار طالوت حاكماً لكم هو أن يعود اليكم مستنقون التوراة الذي سلب منكم تحمله الملائكة ، وفيه بعض آثار آل موسى وأل هارون الذين جاؤوا بعدها - وفي احضاره تطمئن قلوبكم ، وان في ذلك لدليلاً يدفعكم الى اتباعه والرضا به ان كنتم تدعون للحق وتؤمنون به .

٢٤٩ - فلما خرج جيم طالوت قال لهم ان الله يختبركم بنهر فمن شرب منه فليس مني الا من لم يشرب منه أكثر من ذلك فليس من جيشنا ولا من جئنا لخروجه عن طاعة الله ، ولن يصحبي الا من لم يشرب منه أكثر من غرقة ، فلم يصيروا على هذا الاختيار وشربوا منه كثيراً الا جماعة قليلة ، فاصطحب هذه القلة الصابرة واجتاز بها النهر ، فلما ظهرت لهم كثرة عدد عدوهم قالوا : لن نستطيع اليوم قتال جالوت وجنوده لكثرتهم وقتلتنا ، فقال نفر منهم - ثبت الله قلوبهم لرجائهم في ثواب الله عند لقائه - لا تخافوا فكثيراً ما انتصرت القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، فاصيروا فان نصر الله يكون للصابرين .

٢٥٠ - ولما تقدم المؤمنون لقتال جالوت وجيشه فجهاوا الى الله ضارعين داعين له أن يلاهم بالصبر ، ويقوى عزائمهم ويثبتهم في ميدان القتال ، وأن ينصرهم على أعدائهم الكافرين .

لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
مُعَذِّبُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّكَ رَبُّكَ فَزَعَوْا أَنَا اللَّهُ الْمَلِكُ إِذْ قَالَ رَبُّكَ رَبَّنَا لَئِنْ لَمْ يَنْجِنِي
وَعِثَّتْ نَارُهَا نَاصِيحِي وَلَمْ يَتَّخِذْ لَنَا آيَةً قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ مَا كَانَ لِلنَّاسِ أَنْ يَتَّخِذُوا لَهُ سَكَنًا لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَهُ الْخَلْقُ الْأَوَّلُ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

٢٥٥ - الله هو الذي يستحق أن يعبد دون سواء ، وهو الباقى القائم على شئون خلقه دائماً ، الذى لا يفضل
أبداً ، فلا يصيبه غور ولا نوم ولا ما يشبه ذلك لأنه لا ينصف بالنفس في شيء ، وهو المخلص بملك السموات
والأرض لا يشاركه في ذلك أحد ، وبهذا لا يستطيع أى مخلوق كان أن يشفع لأحد إلا بإذن الله ، وهو سبحانه
وتعالى محيط بكل شيء عالم بما كان وما سيكون ، ولا يستطيع أحد أن يدرك شيئاً من علم الله إلا ما أراد أن يعلم
به من يرضيه ، وسلطانه واسع يشمل السموات والأرض ، ولا يصعب عليه تغيير ذلك لأنه المتصل بالكلية عن التنقص
والعجز ، العظيم بجلاله وسلطانه .

٢٥٦ - لا إكراه لأحد في المخول في الدين ، وقد وضع بالآيات الباهرة طريق الحق ، وطريق الضلال ، فمن
اعتدى إلى الإيمان وكفر بكل ما يطهى على العقل ، وبصره عن الحق ، فقد استمسك بأرئق سبب ينمسه من
التردى في الضلال كمن تسلك بصره متينة بحكمة الرباط تنمسه من التردى في هوة . والله سميع لما تقولون ، عليم
بما تفعلون ويجازيكم على أفعالكم (١) .

٢٥٧ - الله متولى شئون المؤمنين وناصرهم يخرجهم من ظلمات الشرك والمجسم إلى نور الحق والاطمئنان ،
والكافرون بالله تستولى عليهم الشياطين ودعاة الشر والضلال ، فهم يخرجونهم من نور الإيمان الذى فطروا عليه
والذى وضع بالأدلة والآيات إلى ظلمات الكفر والفساد ، هؤلاء الكافرون هم أهل النار مخلدون فيها .

(١) سبق التطبيق عليها من ناحية القاتن الدولى عند التطبيق على آيات القتال من ٢٩٠ - ٢٩٥ من سورة البقرة .

كُفِّرَ^١ وَآلَهُ لَا يَدْرِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ^٢ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَيَّنَّهُ^٣ قَالَ كَرِهْتَ^٤ قَالَ لَيْتَ^٥ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ^٦ قَالَ بَلْ لَيْتَ^٧ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ^٨ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَأَبَيِّنَنَّ^٩ وَانْظُرْ^{١٠} إِلَى جَلَدِكَ وَلَجَعَلَكَ آيَةً^{١١} لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا^{١٢} ثُمَّ نَكْسُوهَا^{١٣} حَسْمًا فَنُثَبِّتُ^{١٤} هُنَّ قُلُوبًا لَّيْسَ^{١٥} لَهُ قَوْلٌ^{١٦} أَكْثَمُ^{١٧} أَنَّهُ^{١٨} قَالَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ وَفَدِيرٌ^{١٩} ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ^{٢٠} إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي^{٢١} الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ^{٢٢} قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيَعْلَمَ^{٢٣} قُلُوبِي قَالَ فَخَذَ^{٢٤} أَرْبَعَةً^{٢٥} مِنَ الطَّيْرِ فَصَرَفَهُنَّ^{٢٦} إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلَ^{٢٧} عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ^{٢٨} مِّنْهُنَّ جِزَاءً^{٢٩} ثُمَّ أَدْعَاهُنَّ^{٣٠} يَا بُنَيَّ^{٣١} سَمِعَا^{٣٢} وَأَعْلَمَ^{٣٣} أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ^{٣٤} حَكِيمٌ^{٣٥} ﴿٢٦٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُبْغِقُونَ^{٣٦} أَمْوَالَهُمْ

٢٥٨ - ألم تر إلى من عصى عن أدلة الإيمان وجادل إبراهيم خليل الله في الوعية ربه ووجدانيته، وكيف أخرجه غروره، ولكنه الذي وهبه ربه من نور الفطرة إلى ظلام الكفر فعندما قال له إبراهيم: إن الله يحيي ويميت، ينفخ الروح في الجسم وإخراجها منه، قال أنا أحیی وأميت بالعضو والقتل فقال إبراهيم ليقطع مجادلته: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب إن كنت إلها كما تدعي، فتحير وانقطع جدله من قوة الحججة التي كشفت عجزه وغروره، والله لا يوفق المصريين المعاندین إلى اتباع الحق.

٢٥٩ - ثم تدبر في مثل هذه القصة العجيبة، قصة الذي مر على قرية متهدمة سقطت سقفوها وهدمت حيطانها وهلك أهلها، فقال: كيف يحيي الله أهل هذه القرية بعد موتهم؟ فأما الله وأبقاه على موته مائة عام ثم بيته ليظهر له سهولة البعث ويحول استيعاده ثم سئل أي مدة مكنتها ميتاً؟ قال: غير شاعر بطول المدة -: يوماً أو بعض يوم، قيل له بل مكنت على هذه الحالة مائة عام، ثم لفت الله نظره إلى أمر آخر من دلائل قدرته فقال له: فانظر إلى طعامك لم يفسد، وإلى شرابك لم يتغير، وانظر إلى حمارك أيضاً، وقد فعلنا ذلك لتعاین ما استبعدته من أحياء بعد الموت ولنجعلك آية ناطقة للناس تدل على صدق البعث، ثم أمره الله أن ينظر إلى عجيب خلقه للأحياء، وكيف يركب عظامها، ثم يكسوها لحماً، ثم ينفخ فيها الروح فتتحرك، فلما وضحت له قدرته تعالى وسهولة البعث، قال أعلم أن الله قادر على كل شيء.

٢٦٠ - واذكر كذلك قصة إبراهيم، إذ قال إبراهيم: رب أرني كيفية إحياء الموتى، فسأله ربه عن إيمانه بأحياء الموتى ليجيب إبراهيم بما يزيل كل الشك في إيمانه، فقال الله له: أولم تؤمن بأحياء الموتى، قال: إلى أين أنت ولكي طلبت ذلك لإثبات أطمئنان قلبي، قال: فخذ أربعة من الطير المحي فضعها إليك لتصرهن جيداً، ثم جزلهن بعد ذبحهن، واجعل على كل جبل من الجبال المجاورة جزءاً منهن، ثم نادهن فسيأتينك ساعيات وفيهن الحياة كما هي، وأعلم أن الله لا يسعز عن شيء، وهو ذو حكمة بالغة في كل أمر^(١).

(١) ذكر التفسير الرأزي وغيره أن هناك رأياً آخر في تفسير النص الكريم وهو أن إبراهيم لم ينجسهم ولم يغير بالذبح وأنه أمر بضمهم إليه ترويضاً لمن على البلاد عندهم ثم قسمهن فجعل على كل جبل واحدة من الأربع ثم دعاهن فجاءن إليه وهذا تصوير لحق الله تعالى للاهتمام من أنها تكون بمره للقرية كن فيكون كما دعاهن فجيئن إليه.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَتَلِ حَبَّةً أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبِيلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٥﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَا وَلَا أَدْبَارًا لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٦﴾ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٧﴾ بَنَاتُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَتَّخِذْنَ أَسَدًا لَكُمْ صَدَقَتُكُمْ بِالْعَمَلِ وَلَا ذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٦٨﴾ وَمَنْ لَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَيَقْبَلُونَهَا أَنفُسُهُمْ كَمَثَلِ جَذْءٍ رَرِيَةٍ أَصْلَابُهَا وَإِبِلٌ فَاقَتْ أَكْثَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَرُ يُصَبَّهَا وَإِبِلٌ فَكُلُّهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٩﴾ يُؤَدُّ أَحَدُكُمْ كُرْآنًا تَكُونُ لَهُمْ

٢٦٦ - ان حال الذين يبذلون أموالهم في طاعة الله ووجوه الخير، وبالتالي على ذلك ثواب الله المضاعف أضعافاً كثيرة، كحال من يبذر حبة في الأرض طيبة فتنبث منها شجيرة فيها سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، وهذا تصوير لكثرة ما يطيع الله من جزاء على الإنفاق في الدنيا، والله يضاعف عطائه لمن يشاء فهو واسع الفضل، علم من يستحق ومن لا يستحق.

٢٦٧ - ان الذين ينفقون أموالهم في وجوه البر المشروعة دين من أو تفاخر أو تطاول على المحسن إليه . لهم أجورهم العظيم الموعود به عند ربهم، ولا يصيبهم خوف من شيء ولا حزن على شيء .

٢٦٨ - قول تطيب به النفوس وتستر معه حال الفقير فلا تذكر لغيره، خير من عطاء يتبعه إيذاء بالتبول أو الفعل، والله سبحانه وتعالى غني عن كل عطاء مصحوب بالأذى، ويمكن الفقراء من الرزق الطيب، ولا يجعل بقوته من لا يعطي رجاء أن يبتدى إلى العطاء.

٢٦٩ - لا تضيقوا ثواب صدقاتكم أيها المؤمنون - باظهار فضلكم على المحتاجين وإيذائهم فتكونوا كالذين ينفقون أموالهم بدافع الرغبة في الشهرة وحسب التناء من الناس، وهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فإن حال المرائي في نفقته كحال حجر أمس على تراب، هطل عليه مطر شديد فأزال ما عليه من تراب . فكأن أن المطر الغزير يزيل القرب المحصب المنتج من الحجر الأمس، فكذلك المن والأذى والرياء تبطل ثواب الصدقات . فلا ينتفع المنتفعون بشيء منها، وتلك صفات الكفار فتجنّبوها، لأن الله لا يوفق الكافرين إلى الخير والارشاد.

٢٦٥ - حال الذين ينفقون أموالهم طلباً لمرضاة الله وتثبيتاً لأنفسهم على الإيمان، كحال صاحب بستان بأرض خصبة مرتفعة (١) يفيدته كثير الماء وقليله، فإن أصابه مطر غزير أفر مثلث، وإن لم يصبه المطر الكثير بل القليل فإنه يبقى لاثماره لجودة الأرض وطيبها، فهو مثمر في الحالتين - فالمؤمنون المحضون لا يتورعوا عنهم، والله لا يخلق عليه شيء من أعمالكم.

(١) في تفسير القرآن الكريم بكلمة روية رعى الأرض الخصبة المرتفعة إشارة إلى ما كتبه العلم الحديث لأنها بارترافعا تبرد عن المياه الجوفية فيعوض البوص الجفري في التربة من غير ماء يضره، وتتضاعف عدد التسمعات المناسبة لكثير كمية من الفضل لسيفان البوص الجفري فيضاعف الحصول للواابل من الأساطير فائدة فرق الضفدية إذ أنه يخبب بعض المواد التي تحتاج إليها النباتات ويضللها بما يعمل نوعاً كما يفسلها من الآفات.

جَنَّةٍ مِنْ نَحِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعُفٌ فَلَمَّا بَلَغَا
 لِعُمَارِهِمْ فِيهِ نَارًا فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا
 مِنْ طِبَقَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِعَافِيهِ إِلَّا أَنْ
 تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٣٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يُعَذِّبُ الْمُفْقِرَ وَيَأْمُرُكَ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ
 وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا
 أَوَّلَ الْأَلْبَابِ ﴿٣٦٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٣٧٠﴾ إِنْ تَبَدُّوا

٣٦٦ - انه لا يجب أحد منكم أن يكون له بستان من نجيل وأعناب تجري خلالها الأنهار وقد أفر له البستان من كل الثمرات التي يريد (١) واصابه ضعف الكبر وله ذرية ضعاف لا يقدرين على الكسب ولا يستطيعون له الكبر شيئاً، وجف بستانه في هذه الحال العاجزة بسبب ريع شديدة فيها نار فأحترقت، وهذا البستان هو ما يكون إليه، وكذلك شأن من ينفق ويتصدق ثم يقب النفقة والصدقة بالبن والأذى والرياء فيبطل بذلك ثواب نفقته ولا يستطيع أن يتصدق من بعد ذلك طيبة نفسه، ومثل هذا البيان يبين الله لكم الآيات لتفكروا فيها وتعملوا بها.

٣٦٧ - يأيا المؤمنين أنفقوا من جيد ما تحصلونه بميلكم، وما يتيسر لكم إخراجها من الأرض من زروع ومعادن وغيرها، ولا تصعدوا الانفاق من ردىء المال وخبيثه مع أنكم لا تأخذونه لو قدم إليكم إلا على اغماض وتساهل صارفين النظر عما فيه من خبث وردامة، واعلموا أن الله غني عن صدقاتكم، مستحق للحمد بما أُرشدكم إليه من خير وصلاح.

٣٦٨ - الشيطان يخوفكم من الفقر ويثنى عن كل عمل صالح ليصرفكم عن الانفاق في وجوه الخير ويخريكم بالمعاصي، والله واسع المغفرة قادر على إغناكم، لا يلحق عليه شيء من أموركم.

٣٦٩ - يعطى صفة الحكمة من أصابة الحق في القول والعمل من يشاء من عباده، ومن أعطى ذلك فقد نال خيراً كثيراً لأن به انتظام أمر الدنيا والآخرة، وما ينتفع بالظفة والاعتبار بأعمال القرآن إلا ذوو العقول السليمة التي تدرك الحقائق من غير طغيان الأهواء الفاسدة.

٣٧٠ - وما أنفقتم من نفقة في الخير أو الشر، أو التزمت بنفقة في طاعة، فإن الله يعلمه وسيجزىكم عليه، وليس للظالمين الذين يتفقون رياء أو يؤذون في نفقتهم أو يتفقون في المعاصي، أعوان يدفعون عنهم عذاب الله في الآخرة.

(١) يفسر العلم الحديث الانحصار بأنه اضطراب جوي يتميز برياح شديدة يصحبها رعد وبرق وأسطار وقد يكون فيه نار إذا كان ملقحاً بتفريغ شحنات كهربائية من السحب أو يحمل قنابل نارية من بركان نائر قريب تلك ماحولها من أشجار وافرما والنص القرآن يشير إلى كل هذه الحاقق.

الْصَّدَقَتِ فِيمَا هِيَ ۖ وَإِنْ تُخَفُّوهَُا وَتُؤْتُوهَُا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ * لَيْسَ عَلَيْكَ جُنَاحٌ أَنْ يَبْسُطَ اللَّهُ يَدَيْهِ مِنْ بَشَاءٍ ۖ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُنْفِكُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لِأَنْبَاءٍ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِّلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْبَبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ يَسْتَطِيعُوا ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسَمَائِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۚ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَنْ رَآهُ

﴿٢٧١﴾

٢٧١ - وإن تظهروا صدقاتكم خالية من الربا فذلك محمود لكم مرضى منكم، ممدوح من ربكم، وإن تعطوها الفقراء سرّاً لمخرجهم وخشية الربا فذلك خير لكم، والله يفر لكم من ذنوبكم بسبب إخلاصكم في صدقاتكم، والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ويعلم نياتكم في إعلانكم وإخفائكم.

٢٧٢ - ليس عليك يا محمد هداية هؤلاء الضالين أو حلهم على الخير، وإنما عليك البلاغ، والله يهدي من يشاء، وما تبدلونه من معونة لغيركم ففائدته عائدة إليكم، والله مثيبكم عليه، وهذا إذا كنتم لا تفسدون بالانفاق إلا رضاء الله وأى خير تنفقونه على هذا الوجه يعود إليكم، ويصلكم ثوابه كاملاً دون أن ينالكم ظلم.

٢٧٣ - وذلك الاتفاق والجلل يكون للفقراء الذين كانوا بسبب الجهاد في سبيل الله غير قادرين على الكسب، أو لأنهم أصيبوا في الجهاد بجراحات أقضت من السعي في الأرض، وهم متفقون عن السؤال بحسبهم الجاهل بمأهل أغنياء، ولكلك إذا تعرفت حالهم عرفت هذه الحالة بسلامتها. وما تبدلونه من معروف فإن الله عليم به، سيجزيكم عليه الجزاء الأوفى.

٢٧٤ - الذين من شأنهم الاتفاق تسخو نفوسهم في الليل والنهار وفي العلانية والسر، لهم جزاؤهم عند ربهم، لا ينالهم خوف من أمر مستقبلهم، ولا حزن على شيء فاتهم.

جَاءَهُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ فَاتَّخَذْتُمْ فِيهِ مَآسَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ فَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَحْسَبُ اللَّهُ الْإِبْرَءَا وَبَرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

٢٧٥ - الذين يتعاملون بالربا لا يكونون في سعيهم وتصرفهم وسائر أحوالهم إلا في اضطراب وخلل . كالذي أسد الشيطان عقله فصار ينثر من الجنون الذي أصابه . لأنهم يزعمون أن البيع مثل الربا في أن كلا منها فيه معاوضة وكسب . فيجب أن يكون كلاهما حلالاً وقد رد الله عليهم زعمهم فيبين لهم أن التحليل والتحريم ليس من شأنهم . وأن القائل الذي زعموه ليس صادقاً . والله قد أحل البيع وحرم الربا ، فمن جاءه أمر ربه بتحريم الربا واعتدى به ، فله ما أخذ من الربا قبل تحريمه . وأمره موكول إلى عفو الله . ومن عاد إلى التعامل بالربا باستغلاله بعد تحريمه ، فأولئك يلازمون النار خالدون فيها (١) .

٢٧٦ - إن الله ينهب بالزيادة المأخوذة من الربا ويبارك في المال الذي تؤخذ منه الصدقات ويثيب عليها أضعافاً مضاعفة : والله لا يحب الذين يصرون على تحليل الهرمات كالربا ، ولا الذين يستمرن على ارتكابها .

٢٧٧ - إن الذين آمنوا بالله ، وامتثلوا أوامره فعملوا الصالحات التي أمر بها ، وتركوا الهرمات التي نهى عنها ، وأدا الصلاة على الوجه الأكمل ، وأعطوا الزكاة لأهلها ، لم تولىهم العظم المدخر عند ربهم ، ولا خوف عليهم من شيء في المستقبل ، ولا هم يحزنون على شيء فاتهم .

(١) الربا المذكور في الآية هو ربا الجاهلية وهو الزيادة في الدين في نظير الاجل وهو حرام في قوله وكثيره . وقال الامام أحمد « لا يسع مسلماً ان ينكره » ويقال له ربا البيع وهو ثابت بالنسبة في قوله عليه السلام : « البر بالبر مثلاً بثل يد بيد والصمير بالصمير مثلاً بثل يد بيد والذهب بالذهب مثلاً بثل يد بيد والفضة بالفضة مثلاً بثل يد يد ، والقر بالقر مثلاً بثل يد يد فن زل أو استزاد فقد أدى » .

وقد اتفق الفقهاء على تحريم الزيادة عند الجاهلية مع اتحاد الجنس في هذه الاشياء وابهاسوا الزيادة اذا اختلف الجنس ولكن حرموا التأجيل من هذه الاصناف واختلفوا في قياس غيرها عليها اختلافاً طويلاً واقرب الآراء ان يقاس عليها كل ما هو مضمون قابل للتأخير ورا الجاهلية لا خلاف فيه لشكره كافر . وان ربا الجاهلية يصيب آكله ومزاوله باضطرابات نفسية وعصبية نتيجة ارهاقه وتركيز ذهنه في المال الذي اقرضه أو أخذه فالتدائن في قلق بسبب انحصار ذهنه وفراغ نفسه من كل عمل وللمدين في هم وفقر من ألا يسدده . وقد أسند بعض كبار الأطباء كثرة خبط الدم والتلازمات العقلية إلى كثرة التعامل بالربا .

وتحرم الربا في القرآن كما هو في كل الديانات السابوية تنظم الاقتصاد ويطلق التحريم مع ماقرره الخلافة ذلك لان التقه لا يلد التقه والاقتصاديين يقررون أن طرق الكسب اربعة : ثلاثة منها منتجة ، والرابعة غير منتجة فالثلاثة المنتجة : العمل وبيعه الصناعة والزراعة والمخاطرة في التجارة لأنها ينقل الاشياء من مكان استهلاكها تنعش لهاطر ولايتها تزيد قيمتها بهذا الانتقال وذلك في ذاته انتاج . أما الرابعة فهي الفائدة أو الربا وهذه للمخاطرة فيها لأن القرض لا يتعرض للفسارة بل له الكسب دائما ولأنه لا إنتاج إلا الصل المقرض فالفائدة نتيجة لقيمة القرض .. ولذا كان السبب هو القرض فهو يتوسط فيه من غير تعرض للفسارة . والطبيسي ان كان ينتج بنفسه ويقرض ذلك فان شريع الكسب بالفائدة يؤدي إلى تحكم رؤوس الاموال في العمل ويؤدى إلى فراغ وهطل فيكون الاضطراب والكسل .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ إِن لَّ تَعْمَلُوا فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . وَإِن تَتَّبِعْتُمْ فَلَكُمْ رَهْءُوسٌ أَمْوَالُكُمْ لَا تَفْظِلُونَ وَلَا تَفْظِلُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَقَابَلْتُمْ يَدَيْنِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بِيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْعًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيحًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتِطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَن يَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ . ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْقَىٰ لَّا تَزْنَبُوا . إِلَّا أَن تَكُونَا بِحَضْرَةٍ مَّا تَبَرَأُ بِهَا بِشَرِّ

٢٧٨ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خَلُّوا اللَّهَ وَاسْتَشْعِرُوا هَيْبَتَهُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَاتْرَكُوا طَلَبَ مَا بَقِيَ لَكُمْ مِنَ الرِّبَا فِي

نِعْمَةِ النَّاسِ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ حَقًّا .

٢٧٩ - فَإِن لَّمْ تَعْمَلُوا مَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ تَرْكِ الرِّبَا فَكُونُوا عَلَىٰ يَمِينٍ مِنْ أَيْدِيكُمْ فِي حَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِمَا نَدَّبَكُمْ لِأَمْرِهِ . فَإِن أَرَدْتُمْ تَوْبَةً مَّقْبُولَةً فَلَكُمْ رَهْءُوسٌ أَمْوَالُكُمْ فَلَا تَأْخُذُوا بِزِيَادَةِ عَلَيْهَا قِلْتُ أَوْ كَثُرَتْ وَأَيًّا كَانَ سَبَبُ الدِّينِ وَمَصْرَفِهِ . لِأَنَّ الزِّيَادَةَ الَّتِي تَأْخُذُونَهَا ظَلَمٌ لِّفَرِيكُم ، كَمَا أَنَّ تَرْكَ جِزَاءٍ مِنْ رَهْءُوسِ الْأَمْوَالِ ظَلَمٌ لِّكُمْ .

٢٨٠ - وَإِن وَجَدَ ذُو عُسْرَةٍ فَاذْنُوا لَهُمْ وَأَمْهَلُوهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ أَجَلِ الدِّينِ إِلَىٰ وَقْتِ مَيْسَرَتِهِ ، وَتَصَدَّقْكُمْ عَلَيْهِ بِالنِّزَالِ عَنِ الدِّينِ أَوْ بَعْضُهُ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ لِحُطَابِ اللَّهِ الَّتِي يَعْطِيكُمْ الْمَرْوَةَ وَالْإِنْسَانِيَّةَ .

٢٨١ - وَخَافُوا أَمْوَالَ يَوْمِ تَعْوَدُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ، ثُمَّ تَتَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ جِزَاءَ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرِّ .

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُمُوا^{٢٨٢} وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّحُوا فَإِنَّهُمْ فُسُوقٌ يَكْرَهُ^{٢٨٣} وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعِظْكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِيَّمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ^{٢٨٤} اللَّهُ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَمَالِكُ الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ

٢٨٢ - يأها الذين آمنوا إذا دأب بكم بعضا بدين مؤجل إلى أجل، ينبغي أن يكون الأجل معلوما، فاكتموه حفظا للحقوق وتغاديا من النزاع وعمل الكاتب أن يكون عادلا في كتابته، ولا يمنع كاتب عن الكتابة، شكرا لله الذي علمه ما لم يكن يعلم، فليكتب ذلك الدين حسب اعتراف المدين وليخش المدين ربه ولا ينقص من الدين شيئا، فإن كان المدين لا يحسن التصرف ولا يقدر الأمور تقديرا حسنا، أو كان ضعيفا لصر أو مرض أو شيخوخة، أو كان لا يستطيع الإملاء لحرس أو عقدة لسان أو جهل بلغة الوليقة، فلينب عنه وليه الذي عينه الشرع أو الحاكم، أو اختاره هو في إملاء الدين على الكاتب بالمدل التام. وأشهدوا على ذلك الدين شاهدين من رجالكم، فإن لم يوجد فليشهد رجل وامرأتان تشهدان معا لتؤدبا الشهادة معا عند الانكار، حتى إذا نسبت أحدهما ذكرت الأخرى، ولا يجوز الامتناع عن أداء الشهادة إذا ما طلب الشهود - ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا مادام مؤجلا لأن ذلك أعدل في شريعة الله وأقوى في الدلالة على صحة الشهادة، وأقرب إلى دره الشكوك بينكم، إلا إذا كان التعامل على سبيل التجارة الحاضرة، تتعاملون بها بينكم، فلا مانع من ترك الكتابة إذ لا ضرورة إليها. ويطلب منكم أن تشهدوا على المبايعة حسبا للنزاع وتفسدوا أن يلحق أي ضرر بكتاب أو شاهد، فذلك خروج على طاعة الله وخافوا الله واستحضروا هيئته في أوامره ونواهيه، فإن ذلك يلزم قلوبكم الانصاف والعدالة، والله يبين مالكم وما عليكم، وهو بكل شيء عليم - من أعالكم وغيرها - عليم (١).

٢٨٣ - وإذا كنتم في سفر فلم تجدوا من يكتب لكم الدين، فليكن ضمان الدين رهنا بأخذه الدائن من المدين، وإذا أودع أحدكم آخر رديعة تكون أمانة عنده، وقد اعتمد على أمانته، فليؤد المؤتمن الأمانة عند طلبها، وليخش الله الذي ربه وتوكله بالعناية حتى لا يقطع عنه نعمته في الدنيا والآخرة. ولا تكتُموا الشهادة عند طلبها، ومن يكتمها فهو إيم قلوب، والله بما تعملون عليم، سيجزيكم عليه حسب ما تستحقون.

(١) من لفق المسائل القانونية في جميع القوانين الحديثة قواعد الاتيات وهي الطرق التي يثبت بها صاحب الحق حقه إذا ما لجأ إلى القضاء يطلب من خصمه.

يرجع القرآن على الناس الانصاف والمعدل ولو انصف الناس لاستراح القاضي ولكن التمسوس البشرية بما جبلت عليه من غلط الطباع من طمع إلى حب للبال وإلى شره إلى إثرة إلى نسيان إلى رغبة إلى الانقراض كل ذلك جعل الحقوقي يبتا محتازا على اختلاف فيها فوجب أن تكون هناك قواعد ثابتة تكون وسيلة في تبيين وجه الحق.

ولازرع أن الكتابة عند الخلف هي اقوى الأدلة لأن عند عدم الخلف قد يفرق الزعم بحق خصمه فلذا ينه أو أجبرته أو دأبته وجب أن يثبت كل ذلك بالكتابة ولو فعل كل الناس ذلك لضاعت شقة الخلف بينهم. ولكن وقد تقدم السرمان والسيكت مصالغ الناس صعدوا إلى وسائل السرعة فاصبحت العقائد التجارية تسبح للتاجر في لندن أن يحدد خصما كبير القيمة برسالة تليفونية أو لاسلكية في نيويورك مرها على أن لا يجم الكتابة في صفحته التي قد تصل إلى الملايين فلذا ما اختلف الماخذان على الصلقة وبذا إلى القضاء اهاج لها.

أَوْ يُخَفِّرْهُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَيَغْفِرَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ الرَّسُولُ
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِنْ رُسُلِهِ ؕ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لِمَا
كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

٢٨٤ - واعلموا أن الله ما في السموات وما في الأرض قد أحاط به قدرة وعلما ، وسواء أظهرتم ما في
أنفسكم أو أخفيتموه فإن الله علم خبير ، سبحانه بكم عليه يوم القيامة فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو
تعالى على كل شيء قدير ..

٢٨٥ - إن ما أنزل إلى الرسول محمد هو الحق من عند الله ، وقد آمن به وآمن معه المؤمنون كل منهم آمن
بالله وملائكته وكتبه ورسوله ، وهم يسوون بين رسل الله في الإيمان بهم وتعظيمهم قائلين : لا نفرق بين أحد من
رسله ، وأكدوا إيمانهم القلبي بقوله اللسان متجهين إلى الله في خطاياهم : ربنا سمعنا بتزيك الحكم واستجبنا لما
فيه ، فامتنعنا اللهم مغفرتك ، وإليك وحده المصير والمرجع .

٢٨٦ - إن الله لا يكلف عباده إلا ما يستطيعون تأديته والقيام به ، ولذلك كان كل مكلف مجزيا بعمله : إن
خيرا فخير وإن شرا فشر ، فاضرعوا إلى الله أيها المؤمنون داعين : ربنا لاصابقنا إن وقتنا في النسيان لما كلفتنا
إياه ، أو تعرضنا لأسباب يقع عندها الخطأ ، ربنا ولا تشدد علينا في التشريع كما تشددت على اليهود بسبب تعنتهم
وظلمهم ، ولا تكلفنا ما لا طاقة لنا به من التكليف ، واعف عنا بكرمك ، واغفر لنا بفضلك ، وارحمنا برحمتك
الواسعة أنك مولانا ، فانصرتنا يارب - من أجل إعلاء كلمتك ونشر دينك - على القوم المجاهدين .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلَمْ نَكُنْ اِلهًا لَا اِلَهَ اِلَّا هُوَ اَلْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَاَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ قَبْلُ هَدَىٰ قُلُوسًا وَاَنزَلَ الْفُرْقَانَ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِآيَاتِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَّاللّٰهُ عَزِيْزٌ ذُوْ اِنْتِقَامٍ ﴿٣﴾ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى الْاَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاءِ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ

يتحدث القرآن الكريم من خلال ما يذكره من قصص عن سفين الله الكونية، وعن العبرات والعبر التي تستنتج، وبين في أثناء القصة الكثير من العقائد والأحكام والأخلاق. وقد ذكر في السورة السابقة طرفاً من سيرة بني إسرائيل صور فيه الكثير من المصروف، وفي هذه السورة يذكر جوانب أخرى من ضلالهم والمصروف، ويرشد إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن في عقيدته وسلوكه وبين حقيقة الدين السابى، ويشير إلى آداب المجادلة، ويذكر العادات في الانتصار والنشل أحياناً، وبين مقام الشهداء يوم القيامة والمجزاء وعمومه للذكر والأنثى وطريق الفلاح، وتبتدى هذه السورة الكريمة بما ابتدأت به السورة السابقة.

١ - الم، حروف صوتية سبقت ليان أن القرآن المعجز من هذه الحروف، ولتنبههم فيسموا.

٢ - الله واحد لا إله غيره، وكل ما في العالم من تسبيح وإبداع يشهد بذلك، وهو الحى الذى لا يموت، القائم بأمر العالم يديره ويصرفه.

٣ - نزل عليك بالحمد القرآن مشتملاً على الحق في كل ما تضمنته من أصول الشرائع السابوية في الكتب السابقة، ولقد أنزل الله من قبله التوراة على موسى والإنجيل على عيسى.

٤ - أنزلها قبل القرآن هداية الناس، فلما المصروف أنزل القرآن فارقاً بين الحق والباطل، ومبيناً الرشد من الغي، فهو الكتاب الصادق الدائم، وكل من ترك ما أنزله الله فيه وكفر بآياته فله عذاب شديد، والله قادر لا يغلبيه شيء، منتقم ممن يستحق الانتقام.

٥ - إن الله علم بكل شيء، فهو لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، صغيراً كان أو كبيراً، ظاهراً أو باطناً.

فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالْكَافِرُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَمِيعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَّبَ هَٰؤُلَاءِ فَرَعَوْهُمُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ

٦ - وهو الذى يصوركم وأنتم أجنة فى الأرحام بصورة مختلفة حسب بريد ، لا إله إلا هو العزيز فى ملكه ، الحكيم فى صنعه ^(١) .

٧ - وهو الذى أنزل عليك القرآن ، وكان من حكمته أن جعل منه آيات محكمات محددة المسمى بينة المقاصد ، هى الأصل والىها المرجع ، وأخر متشابهات يلقى معناها على أذهان كثير من الناس ، وتشبه على غير الراغبين فى العلم ، وقد نزلت هذه التشابهات لتبني العلماء على العلم والنظر ودقة الفكر فى الاجتهاد ، وفى البحث فى الدين ، وشأن الزائغين من الحق أن يتبعوا ما تشابه من القرآن رغبة فى إثارة الفتنة ، ويؤولها حسب أهوائهم . وهذه الآيات لا يعلم تأويلها الحق إلا الله والذين تبتوا فى العلم وتكثروا منه - وأولئك المتكثرون منه يسألون إنا نؤمن بأن ذلك من عند الله ، لا نفرق فى الإيمان بالقرآن بين محكمه ومتشابهه ، وما يعقل ذلك إلا أصحاب العقول السليمة التى لا تخضع للهوى والشهوة .

٨ - وأولئك العلماء العاقلون يقولون : ربنا لا تجعل قلوبنا تنصرف عن الحق بعد إذ أُرشدتنا إليه ، وامنعنا اللهم رحمة من عندك بالتوفيق والتثبيت إنك أنت المانع المبطى .

٩ - ربنا إنك جامع الناس ليوم لا شك فيه لتجازى كلا على ما فعل ، فقد وعدت بذلك وأنت لا تخلف الميعاد .

١٠ - إن الكافرين لن تدفع عنهم فى هذا اليوم أموالهم مهما عظمت ، ولا أولادهم مهما كثرت ، وسيكونون حطباً للنار تشتعل بهم .

(١) - تشير الآية الكريمة الى وجه من الوجوه المميزة لقدرة البارئ للصور وهو تحول البويضة المصعبة وهى خلية واحدة ضئيلة الحجم الى انسان سوى بكل ما يحويه جسمه من أجهزة وأعضاء وانسجة بخلايا وأبناى فى البيان والوظيفة . وسوف نتوالى فى القرآن الكريم آيات تفصل بعض اطوار النمو الجنينى . ولكن الذى تدر به هذه الآية الكريمة على وجه الخصوص هو النسبة الالهية المطلقة فى تصوير الجنين اذ ان الله يودع فى البويضة الدقيقة الحجم جميع المورثات الجينية التى تحدد جنس المولود وخصيه من المخصصات الجسدية بل ومواهب العقلية والنفسية والسمات الرئيسية فى تكوين الشخصية الموروثة وان كانت تسير على قوانين ثابتة الا ان هذا التحديد لكل فرد بذاته من التقاد بويضة بعينها وحيوان منى بعينه من بين الملايين من أفراده هو من دلائل النسبة المطلقة حتى انه لا يخلل فردان فى الصام تماثلا كاملا اللهم الا فى توام البويضة الواحدة تكاد تنطبق .

اللَّهُ يُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ١١ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْرٌ وَلَهُمْ فِي جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْيِهَادُ ١٢
 قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَفَتَا فِتْنَةٌ تَمُوتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِمَّا قُتِلَ مِنْهُمْ مِثْلِيَّةٌ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ
 بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ١٣ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ١٤ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
 الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ
 عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ١٥ قُلْ أُوذِيْتُ بِكُم بِحَيْرٍ مِّنْ ذِكْرِ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ١٦ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا فَاغْفِرْ

١١ - وبأن هؤلاء شأن قوم فرعون والمعادين من قبلهم ، كذبوا بآيات الله مع وضوحها فنكل الله بهم بسبب ما ارتكبه من الذنوب ، والله شديد العقاب .

١٢ - قل أيا التي هؤلاء الذين كفروا ، إنكم في الدنيا ستزيمون وفي الآخرة ستستزين ، وتكون جهنم فراشا وبئس الفراش .

١٣ - لقد كان لكم آية بينة وعبرة ظاهرة طائفتين من المهاجرين النقي يوم بدر ، إحداهما مؤمنة تحارب لإعلاء كلمة الله ونشر الحق ، والأخرى كافرة تحارب في سبيل الأهواء والشهوات ، فكان من تأييد الله للمؤمنين أن جعل الكافرين يردتهم ضعف عددهم الحقيقي ، وبذلك وقع الرعب في قلوب الكفار فانهزموا . والله يمنح نصره لمن يشاء . وإن في ذلك لعبرة لأصحاب البصائر الرشيدة التي لا تتعرف في إدراكها عن الحق .

١٤ - إن البشر جلولوا على حب الشهوات التي تتمثل في النساء ، والبنين والكثرة من الذهب والفضة ، والحيل الحسن الملعنة ، والأصنام التي منها الإبل والبقر والغنم ، وتتمثل أيضا في الزرع الكثير . لكن ذلك كله متاع الحياة الدنيا الزائلة الفانية ، وهو لا يعد شيئا إذا قيس بإحسان الله إلى عباده الذين يجاهدون في سبيله عند أوبتهم إليه في الآخرة .

١٥ - قل يا أيها النبي ، أخبركم بما هو خير من ذلك الذي زين للناس في الدنيا ، إن للذين اتقوا نواها مضموئا عند ربهم ، هو جنات تجري من تحتها الأنهار ، يتمتعون بالحياة الطيبة فيها لا يساورهم خوف من زوال نصيبها إذ كتب لهم المخلود فيها . وأزواج طاهرة نقيه من كل ما يشين نساء الدنيا ، ورضاء من الله يشعرون في ظنه بنعيم أكبر . والله مطلع على أحوال عباده ، لا يخفى عليه أمر أوسر من أمورهم وأسراهم .

لَنَا قُوَّةٌ مِمَّا عَذَابَ النَّارِ ۝ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَفْزِينَ بِالْأَعْمَارِ ۝ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ حَنِدَ اللَّهُ إِلَّا نَجْنَمٌ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُولُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهَا يَنْتَبِئْ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ شَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعِيَ ۚ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ احْتَمَدُوا وَإِنْ قَوْلُوا فَاغْمًا عَلَيْكَ الْبَلْغُ ۚ وَاللَّهُ بِصِعْرٍ بِالْعِبَادِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ

— — — — —

١٦ - ينال هذا الجزء أولئك الذين ملأ الأيمان قلوبهم وأعلنوا ذلك بألسنتهم فقالوا ضارعين إلى الله : ربنا اتنا أمنا استجابة لدعوتك فاعف عن ذنوبنا ، واحفظنا من عذاب النار .

١٧ - والذين يتعملون المشقة في سبيل الطاعة وتجنب المعصية واحمال المكروه ، الذين يصدقون في أقوالهم وأفعالهم وبناتهم ، المداومون على الطاعة في خشوع وضراعة الباذلون ما يستطيعون من مال وجاه وغيره في وجوه التأمل والتفكير في عظمة الخالق .

١٨ - بين الله بما يث في الكون من دلائل وآيات لا ينكرها ذو عقل ، أنه واحد لا شريك له ، وأنه قائم على شئون خلقه بالعدل ، وأقرت بذلك ملائكته الأطهار ، وعلمه أهل العلم موثقين به ، وأنه جل شأنه المنفرد بالألوهية الذي لا يغلبه أحد على أمره ، وشملت حكمته كل شيء .

١٩ - ان الذين الحق المرضي عند الله ، هو التوحيد والخضوع لله في اخلاص ، وقد اختلف كل من اليهود والنصارى في هذا الدين فحرفوا وبدلوا ولم يكن اختلافهم عن شبهة أو جهل إذ جاءهم العلم ، بل كان للتحاسد والتناول ، ومن يجهد بآيات الله فليتنظر حساب الله السريع .

٢٠ - فلن جادلك هؤلاء في هذا الدين بعد أن أثبت لهم المصحح ، فلا يجارهم في الجدل ، وقل أخلصت عبانق لله وحده أنا ومن اتبعني من المؤمنين وقل لليهود والنصارى ومشركي العرب قد بانت لكم الدلائل فأسلموا ، فإن أسلموا فقد عرفوا طريق الهدى واتبعوه ، وإن اعرضوا فلا تبتة عليك في إعراضهم ، فليس عليك إلا أن تبلغهم رسالة الله ، والله مطلع على عبادته لا يخفى عليه شيء من أحوالهم وأعمالهم .

تُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ شَاءَ
وَبَعِيرٌ حَسَابٌ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَخَذُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُكَفِّرِينَ وَلَا الضَّالِّينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ
فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُ تُقَاتُوا وَيَحْذَرُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ تَحْفَوُا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ
تُبَدُّوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَحْجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَعْمِلَتْ
مِنْ خَيْرٍ مَحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تُوَدِّعُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا عِيدًا وَيَحْذَرُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾
قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ

٢٧ - وأنت بما أنشأت ووضعت من الأسباب والسبب، تدخل من الليل في النهار ما يزيد به النهار طولاً،
وتدخل من النهار في الليل ما يزيد به الليل طولاً، وتخرج النصف بظاهر الحياة من فائقها، كما تخرج فائد الحياة
من الهى المتكبر من أسباب الحياة، وتب عطائك الواسع من تنسأ كما تريد على نظام حكمتك، فلا رقيب
بحاسبك، ومن كان هذا شأنه لا يجهز أن يمنح رسوله وأصفياه، السيادة والسلطان والغنى واليسار كما
وعدهم^(١).

٢٨ - إذا كان الله سبحانه وتعالى هو وحده مالك الملك، ويمز ويذل، ويبدع وحده الخير والخلق والرزق،
فلا يصح للمؤمن أن يجعلوا لغير المؤمنين ولاية عليهم، متجاوزين نصرته المؤمنين. لأن في هذا خذلانا للدين
وإيذاء لأهله، واضعافاً للولاية الإسلامية، ومن يسلك هذا المسلك فليس من ولاية الله مالك الملك في شئ،
ولا يرضى مؤمن بولايتهم إلا أن يكون مضطراً لذلك، فيقت أنهم بإظهار الولاء لهم، وعلى المؤمنين أن يكونوا في
الولاية الإسلامية دائماً وهى ولاية الله، وليحذروا أن يخرجوا إلى غير ولايته، فيقتل عقابهم بنفسه بكتابة الذلة
عليهم بعد العزة، وإليه وحده المصير فلا مفر من سلطانه في الدنيا ولا في الآخرة.

٢٩ - قل - أي النبي - إن تحفوا ما في صدوركم أو تظهروه في أفعالكم وأقوالكم فإن الله يعلمه، ويعلم جميع
ما في السموات وما في الأرض ما ظهر منه وما استتر، وقدرته نافذة في جميع خلقه.

٣٠ - فليحذر الذين يخالفون أمره يوم تجد كل نفس عسلاً من الخير لها قل مشاهدتها حاضراً، وما اقترفته
من سوء تمنى أن يكون بعيداً عنها بعداً شامعاً حتى لا تراه استقباحاً له وخوفاً من الوقوع في مقبته، ويحذركم الله
عقابه إذا خرجتم من ولايته التي هى رافته ورحمة بالصباح.

٣١ - قل - إن كنتم صاصدين في دعوكم أنكم تحبون الله وتريدون أن يحبكم الله - فاتبعوني فها أمركم به
وأناكم عن الله، لأن مبلغ عن الله، فإن ذلك يحبكم الله به، يتيبكم الله عليه بالاحسان اليكم والتجاوز عن
خطاياكم، والله كثير الغفران والرحمة لعباده.

(١) «دورة الحياة والموت هى معجزة الكون وسر الحياة نفسها. والنيات الرئيسية في هذه الدورة أن الله وإلى أكسيد الكربون
والنيتروجين والاملاح غير العضوية في التربة تتحول بفضل طاقة التنسج والنباتات الخضراء وأنواع معينة من البكتريا إلى مواد عضوية
هى مادة الحياة في النبات والحيوان أما في النسق التالى من هذه الدورة فتصود هذه المواد إلى عالم الموت في صورة نفايات الاحياء وتراجع
أضبطها وتفسدها.

ثم في صورة اجسامها كلها عندما تموت وتستسلم لحوامل الاتصال البكتيرى والكافورى التي تعيدها إلى مواد غير عضوية بسيطة مهابة
للدخول في دورة جديدة من دورات الحياة وهكذا في كل لحظة من الزمان يخرج الخلق القدير حياة من الموت وموتاً من الحياة وهذه الدورة
الشكورة لا تتم الا في وجود كائن أودعه الله سر الحياة كبقرة النباتات مثلا.

والآية الكريمة تذكر أولى الالباب بالمعجزة الاولى وهى خلق الحياة من مادة الارض اليتة ثم تكرر الدورة كما سبق. وهكذا جاء في
الآية الكريمة اخراج الهى من اليت سابقاً لاجراء اليت من الهى وهذا هو الاجزاء بيته».

وَأَرْسُولٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ * إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ إِنِّي لَكِ هَذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

٣٢ - قل : أطعوا الله ورسوله ، فإن أعرضوا عنك فهم كافرون بالله ورسوله ، والله لا يحب الكافرين .

٣٣ - كما اصطفى الله محمدا لتبليغ رسالته ، وجعل اتباعه وسيلة لحب الله ومغفرته ورحمته ، ذكر أنه اصطفى آدم وجعله من صفوة العالمين ، واصطفى نوحا بالرسالة ، واصطفى ابراهيم وآله اسماعيل واسحاق والأنبياء من أولادها ، ومنهم موسى عليهم السلام ، واختار آل عمران واختار منهم عيسى وأمه ، فبعض جعله الله رسولا لبني إسرائيل ، وبمريم جعلها أما لعيسى من غير أب .

٣٤ - اختارهم ذرية طاهرة ، فهم يتوارثون الطهر والفضيلة والخير . والله سميع لأقوال عباده عليه بأفعالهم وما يكتنه صدورهم .

٣٥ - واذكر أيا التي حال امرأة عمران إذ نذرت وقت حملها تقديم ما تحمله خالصا لعبادة الله وخدمة بيته ، قائلة يارب : اني نذرت ما في بطني خالصا لخدمة بيتك فاقبل مني ذلك ، انك السميع لكل قول ، العليم بكل حال .

٣٦ - فلما وضعت حملها قالت مضطرة تناجي ربا . اني ولدت أنثى والله علي يا ولدت ، وأن مولودها وهو أنثى خير من مطلوبها وهو الذكر . وقالت : اني سميتها مريم وانى أسألك أن تحصنها هي وذريتها من غواية الشيطان الرجيم .

٣٧ - فتقبل الله مريم لأمرها ، وأجاب دعائها ، فأنبتها نباتا حسنا ، وربها في خير ورزقه وعنايته تربية حسنة مقومة لجسدها ، وشأنه أن يرزق من يشاء من عباده رزقا كثيرا . وكلما دخل عليها زكريا في معبدها وجد عندها رزقا غير معهود في وقته . قال متعجبا يا مريم : من أين لك هذا الرزق ؟ قالت : هو من فضل الله ، وجعل زكريا عليه السلام كافلا لها . وكان زكريا بغير عدد ولا إحصاء .

أَنْتُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بَكْلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا فَضَضَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَعَلَيْهِ اتَّكِنَبَ وَالْحِكْمَةُ وَالتَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِعَاقِبَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَنُفِخُ فِيهِ فَيَكُونُ عَصًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِى الْمُؤْمِنِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِعَاقِبَةٍ مِنْ

٤٤ - ذلك الذى قصه القرآن عليك يا محمد من الأخبار العظيمة عن اصطفاها الله ، هى من الغيب الذى أوحى الله به إليك . وما كنت حاضرا معهم وهم يقرعون بالسهم ليعلم بالقرعة من يقوم بشئون مريم ، وما كنت معهم وهم يختصمون في نيل هذا الشرف العظيم .

٤٥ - اذكر - أيها النبي - إذ بشرت الملائكة مريم بولود خلفه الله بكلمة منه على غير السنة العادية في التوالد ، اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وقد خلقه الله ذا مكانة في الدنيا بالنبوة والبراءة من العيوب ، وفي الآخرة بعلو درجته مع الصفوة المقربين إلى الله من النبيين أولى العزم .

٤٦ - وميزه الله بخصائص ، فكان يكلم الناس وهو طفل في مهده كلاما مفهوما حكما ، كما يكلمهم وهو رجل سوى ، من غير تفاوت بين حالتي الطفولة والكهولة . وكان ممن منحهم الله الصلاح .

٤٧ - قالت مريم متعجبة من وجود الولد على غير نظام التوالد : من أين يكون لي ولد ولم يمسسني رجل ؟ فذكر الله تعالى لها أن الله يخلق ما يشاء بقدرته غير مفيد بالأسباب العادية ، فإنه إذا أراد شيئا أوجده بتأثير قدرته في مراده من غير افتقار إلى موجب آخر .

٤٨ - والله يعلم هذا الوليد الكتابة ، والعلم الصحيح النافع ، والتوراة (كتاب موسى) والإنجيل الذى أوحاه الله إليه .

٤٩ - ويهتد رسولا إلى بنى إسرائيل ، مستنلا على صدق رسالته بمعجزات من الله ، هى أن يصور لكم من الطين صورة مثل صورة الطير ، ينفخ فيها فتتحل فيها الحياة وتتحرك طائرا بإرادة الله ، ويشق بتقدير الله من ولد أعمى فيبصر ، ومن به يبرص فيزول برصه ، ويجد الحياة إلى من فقدتها . كل ذلك بإذن الله وإرادته . ويخبرهم بما يدخرون في بيوتهم من مأكول وغيره ، ويقول لهم ان هذه الآيات التى أظهرها الله على يدي حجة على أن رسالتى حق ان كنتم ممن يذعنون له ويصدقون به .

رَبِّكَ ط فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٥٠ إِنَّ اللَّهَ رَفِيعُ دَرَجَاتٍ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٥١ ﴿ قَلِيلًا أَحْسَنَ عِيسَى مِنْهُمْ الْكَفَرُ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ط قَالَ الْخَوَارِجُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٥٢ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ٥٣ وَكُفُّوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِيرِينَ ٥٤ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَسْعَىٰ إِلَىٰ مَوْعِدِكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمَطْعُوكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ط ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَاحْكُم بَيْنَكُمْ فِيهَا كُنْتُمْ فِيهِ تَحْتَفِلُونَ ٥٥ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعَذِّبْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ٥٦ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُم وَاللَّهُ لَا يَجِبُ

٥٠ - وأرسلت إليكم مصدقا للشرية التوراة التي نزلت على موسى ولأبج لكم بأمر الله بعض ما حرم عليكم من قبل ، وقد جئتمكم بأية من الله على صدق رسالتي . فأتقوا الله وأطيعوا .

٥١ - لأن الله مغيض على وعليكم أولوا إحسانه . فرباني ورباكم ، فأخلصوا العبادة له ، فإن هذا هو الطريق الذي لا عوج فيه .

٥٢ - ولما جاء عيسى عليه السلام ، دعا قومه إلى الصراط المستقيم ، فأبى أكثرهم ، فلما علم منهم ذلك اتجه إليهم متناديا : من يناصري في هذا الحق الذي ادعو إليه ؟ فأجابه خاصة المؤمنين بالله وبه : نحن نؤيدك وننصرك لأنك داع إلى الله واشهد بأننا مخلصون لله متفادون لأمره .

٥٣ - ونحن نقول : يا ربنا ، صدقتنا بكتابك الذي أنزلته على نبيك ، وامتثلنا أمر رسولك عيسى عليه السلام ، فاجتبتنا من الشاهدين لرسولك بالتبليغ ، وعلى بني إسرائيل بالكفر والجحود .

٥٤ - أما المجاهدون فقد دبروا تدبيرا خفيا يحاربون به دعوة عيسى ، فأبطل الله كيدهم فلم ينجحوا فيما أرادوا ، والله أحكم المدبرين وأقواهم .

٥٥ - واذكر أيها النبي إذ قال الله يا عيسى افي مستوف أجلك ، ولا أتمكن أحدا من قتلك ، وإنى رافعك إلى محل كرامتي ، ومنجيك من أعدائك الذين قصدوا قتلك ، وجاعل التجهين لك ، الذين لم ينحرفوا عن دينك ، ظاهرين بالقوة والسلطان على الذين لم يتدنوا بعبادتك إلى يوم القيامة . ثم إلى مصيركم في الآخرة فأقضى بينكم في الذي تنازعتم فيه من أمر الدين .

٥٦ - فأما المجاهدون ، فأنزيتهم عذاب المخرى والنكال بتسليط الأمم عليهم في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأخزى . وليس لهم من يفتنهم من عذاب الله .

الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ لَمَّا حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَكُمْ وَأَنفُسَهُمْ ثُمَّ لَا تَكُنْ فِتْنَةً يُفْتَنُ لَكَ بِهَا عَمَلُكَ فَتَقُولَ سَوَاءٌ مَّا قَالَ آلَ الْكُفْرِ بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ هَٰذَا لَمُوءَالِفٌ بِحِجَابٍ مِّنَ اللَّهِ لِيُفْتِنَ الَّذِينَ عَمِلُوا الْفِتْرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا تَوَلَّوْا اللَّهَ عِلِمٌ مِّنَ الْمُنْجِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ عِدَّةَ يَوْمٍ يُفْتَنُونَ ۚ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ۚ أَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَاتُ الْكِتَابِ ۚ تَعَالَوْا إِنَّا كَلِمَةٌ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا

٥٧ - وأما المهتدون يهدي الله، العاملون على سنن الخير، فيمطيهم الله جزاء أفعالهم وإفيا . وثأن الله أنه لا يمنح ثوابه المتجاوزين لحمود الله الطاغين على دعوته وأحسانه، ولا يرفع لهم قدرا .

٥٨ - ذلك الذي قصصناه عليك، من الحجج الدالة على صدق رسالتك، وهو من القرآن الكريم، المشتغل على العلم النافع .

٥٩ - ضل قوم في أمر عيسى، فزعموا أنه ابن الله لأنه ولد من غير أب، فقال الله لهم، ان شأن عيسى في خلقه من غير أب كشأن آدم في خلقه من تراب من غير أب ولا أم، فقد صورته وأراد أن يكون فكان بشرا سويا .

٦٠ - هذا البيان في خلق عيسى هو الصدق الذي بين الواقع بأخبار رب الوجود قدم على يقينك، ولا تكن من الشَّاكِين .

٦١ - فن جادلوك بأبها النبي في شأن عيسى من بعد ما جاءك من خير الله الذي لا شبهة فيه . فقل لهم قولا يظهر علمك اليقيني وباطلهم الزائف، تعالوا يدع كل منا ومنكم أبناءه ونسائه ونفسه، ثم نضرع إلى الله أن يجعل غضبه ونقمته على من كذب في أمر عيسى من كونه خلق من غير أب وأنه رسول الله وليس ابن الله .

٦٢ - وذلك هو الحق الذي لا مرية فيه، فليس في الوجود إله إلا الله الذي خلق كل شئ وأنه هو المنفرد بالعزة في ملكه والحكمة في خلقه .

٦٣ - فإن أعرضوا عن الحق بعدما تبين لهم، ولم يرجعوا عن ضلالهم فهم المفسدون، والله عليم بهم .

مُسْلِمُونَ ﴿٦٥﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَحَاجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ؕ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾ هُنَا نَمَّ هُنَا لَا حُجَّتُمْ فِيكُمْ بِهِ ؕ عَلِمَ عَلِمَ مُحَاجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٩﴾ وَدَّتْ مَلَائِكَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٠﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ

٦٤ - قل - يأيا النبي - يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة عادلة جامعة نحمر بيننا ونذكرها على السواء ، وهي أن نعص الله بالعبادة ولا نجعل غيره شريكا له فيها ، ولا يطبع بعضنا بعضا وينقاد له في تحليل شيء أو تحريمه ، تاركا حكم الله فيها أهل حرم ، فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الحققة فقولوا لهم : أشهدوا بأننا متفادون لأحكام الله ، مخلصون له الذين لا ندعو سواه .

٦٥ - يا أهل الكتاب لماذا تتنازعون وتجادلون في دين إبراهيم : كل منكم يدعى أنه على دينه . في حين أن إبراهيم سابق في الوجود على التوراة والإنجيل بشرية خاصة ، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ، فكيف يكون على شريعة واحدة منها . أليست لكم عقول تدركون بها بطلان هذا الكلام الذي يناقض الواقع ؟

٦٦ - هأنتم يا هؤلاء جادلتم في أمر عيسى وموسى الذي لكم به معرفة - كما تزعمون - فكيف تجادلون في كون إبراهيم يهوديا أو نصرانيا وليس لكم بذلك علم ، والله يعلم حقيقة ما تنازعتم فيه ، وأنتم لا علم لكم بذلك .

٦٧ - إن إبراهيم عليه السلام ما كان على دين اليهود ولا على دين النصارى ، ولكن كان منصرفا عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق ، متقادا لله ، مخلصا في طاعته وما كان من الذين يشركون مع الله غيره في العبادة .

٦٨ - إن أحق الناس بالانتساب إلى إبراهيم ودينه للذين أجابوا دعوته واهتدوا بهديه في زمنه ، وكذا محمد ﷺ ومن آمن معه ، فإنهم أهل التوحيد المحالص وهو دين إبراهيم ، والله يحب المؤمنين وينصرهم لأنهم أولياؤه ، ويجازيهم بالمحسن وزيادة .

٦٩ - إن فريقا من أهل الكتاب يتمنون اضلال المؤمنين وقتلهم عن دينهم ، بالقائه الشبه التي توهم الاعتقاد . وهم في علمهم هذا لا يضلون إلا أنفسهم بإصرارهم على الضلال الذي يهتدي بهم وحدهم ولا يعلمون أن عاقبة سعيهم هذا لاحقة بهم ولا تضر المؤمنين .

تَشْهَدُونَ ٧٠ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٧١ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا بآخِرِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٧٢ وَلَا تَقْرَأُوا لَهُمْ لِقَاءَ رَبِّكَ قُلْ إِنَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ بَيِّنَاتٍ مِّنْ نَّبِيِّهِ مَن يَأْتِيهِ مَن يَسْأَلُ ٧٣ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ٧٤ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٧٥ * وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأَمَّنْتَ بِيَقِينٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَهُمْ مَن إِنْ تَأَمَّنْتَ بِيَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُوتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٧٦

٧٠ - يا أهل الكتاب لم تكذبون بآيات الله المنزلة الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ : وأنتم تعلمون أنها حق .

٧١ - يا أهل الكتاب لم تخطئون الحق الذي جاء به الأنبياء ونزلت به الكتب بالسجلات الواهية ، والتأويلات الباطلة ، ولا تذكرون الحق صريحا واضحا بعيدا عن التخليط ، وأنتم تعرفون أن عقاب الله على مثل هذا الفعل عظيم .

٧٢ - وأن أهل الكتاب - في سبيل اضلال المؤمنين - قالوا لاصواتهم آمنوا بالقرآن الذي نزل على محمد واتبه فيه المؤمنون أول النهار ، واکفروا في آخره . لعلكم تستطيعون بهذا فتنهم بيت الرب والشك فيهم ، فيرجعوا عن دينهم .

٧٣ - وقالوا أيضا : لا تدعونا إلا لمن نبع دينكم ، خشية أن يدعى أحد أنه أوفى مثل ما عندكم ، أو يخرج عليكم باذعانكم عند ربكم . قل لهم أيها النبي - ان الهدى ينزل من عند الله ، فهو الذي يفيض به ويختار له من يشاء وقل لهم - أيها النبي - ان الفضل من عند الله يعطيه من يريد من عباده ، وهو واسع الفضل ، عليم بمن يستحقه ومن ينزله عليه .

٧٤ - فهو يمنح من يشاء النبوة والرسالة ، ومن خصه بذلك فانما هو محض فضله ، والله صاحب الفضل العظيم ، لا ينازعه فيه غيره ، ولا يصير عليه في عطائه .

٧٥ - هذا سلوك أهل الكتاب في الاعتقاد أما سلوكهم في المال ، فمنهم من ان استأمنته على قطار من الذهب أو الفضة آذاه اليك لا ينقص منه شيئا ، ومنهم من ان استأمنته على دينار واحد لا يؤدبه اليك إلا اذا لازمته وأحرجته ، وذلك لأن هذا الفريق يزعم بأن غيرهم أمين ، وأنهم لا ترعى لهم حقوق ، ويدعون أن ذلك حكم الله ، وهم يعلمون أن ذلك كذب عليه سبحانه وتعالى .

بَلْ مِنْ أَوْفَىٰ بِهِمْهُدًى وَأَتَقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يَجِبُ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَيْدِ اللَّهِ وَأَعْتِمِيتِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكْسِبُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَلَمْ يَنْفَعِهِمْ لَقَرِيضًا يَلُونُ أَلَيْسَتْ لَهُمْ لِكُتُبِهِمْ أَنْصَبُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبِيَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ اللَّهُ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُغْلِبُوا الْمُلْكُ وَالنَّبِيَّةَ أَرْبَابًا بِأَمْرِهِمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَ النَّبِيِّينَ لَمَّا أَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحْيَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ

٧٦ - حقا لقد افتروا على الله الكذب ، فإن من أدى حق غيره ووفاه في وقته كما عاهد عليه وخاف الله فلم ينقص ولم يخالط ، فإنه يفوز بحجة الله لأنه اتقاه (١) .

٧٧ - إن الذين يتركون عهد الله الذي عاهدكم عليه من أداء الحقوق والقيام بالتكليفات ، ويتركون إيمانهم التي أقسموا بها على الوفاء - لكن قليل من أعراض الدنيا مها عظم في نظره لا نصب لهم في منافع الآخرة ، ويعرض عنهم ربحهم ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة نظرة رحمة ، ولا يفر لهم ألامهم ، ولهم عذاب مؤلم مستمر إلى الأبد .

٧٨ - وإن من هؤلاء فريقا يملكون السهم فينطقون بما ليس من الكتاب ، يحاولون أن يكون شبيها له ، ليحسبه السامع من الكتاب وما هو منه في شيء ، ويدعون أن هذا من عند الله وما هو من الوحي في شيء وهم بهذا يكذبون على الله ، وهم في أنفسهم يطمعون أنهم كاذبين .

٧٩ - وما كان مقصولا ولا سائفا ليشير ينزل الله عليه الكتاب ، ويؤتيه العلم النافع والتحدث عن الله - أن يطلب من الناس أن يعبدوه من دونه الله .

ولكن المعقول والواقع أن يطلب منهم أن يكونوا خالصين لربهم الذي خلقهم بمقتضى ما علمهم من علم الكتاب وما يدرسونه منه .

٨٠ - ولا يمكن أن يأمركم بأن تجعلوا الملائكة أو النبيين أربابا من دونه الله ، وإن ذلك كفر ليس من المعقول أن يأمركم به بعد أن عرّفتم مسلمين وجوهكم الله .

(١) توجب الآية الوفاء بالعهد وفي الوفاء بالعهد آيات أخرى سبقت فيها (٢٧) من سورة « البقرة » ولقد اتهم الاسلام والسلمون بأنهم لا يبرعون العهد ولا يقيمون معاهدة الا الحاجة مؤقتة وينقضوها كلما حانت لهم الفرصة وقد مر الرد على هذه الفرية من جوامع كلم الامام علي بن ابي طالب ماورده في كتابه للاشتر النخعي - وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو البسه منك ثبة فسطع عهدك بالوفاء وادع فمك بالامانة واجعل نفسك جنة ممن ما اعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الناس اتشد اجمعاعا عليه مع تفرق لغواتهم من تطيع الوفاء بالعهد فلا تلغين بفتك وفخت بهدك ..

وحدثت من احد قواد المسلمين رد الى معاوية الجزية التي اقتضاها حاله منهم لا أحس بعلم قدرته على الدفاع عنهم وكان ذلك ترفعا من شروط العهد .

وَلَنُصَرِّفَهُنَّ قَالَ أَفَأَمَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ أَصْرِي قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾
 لَمَّا تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ قَاوِلُكُم مُمُ الْقَسِيبَاتِ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾
 وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
 بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أَوَلَيْكَ جَزَاءُكُمْ

٨١ - واذكر لهم أيها النبي أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبي أنزل عليه الكتاب وآتاه العلم النافع ، انه إذا جاءه رسول توافق دعوته دعوتهم ليؤمنوا به وينصروه . وأخذ الاقرار من كل نبي بذلك العهد ، وأقروا به وشهدوا على أنفسهم وشهد الله عليهم ، ويلفوه لأمرهم ، إن ذلك العهد يوجب عليهم الايمان والنصرة ان ادركوه وإن لم يدركوه ، فحق على أمهم أن يؤمنوا به وينصروه وفاء واتباعا لما ألزم به أنبياءهم .

٨٢ - فمن أعرض عن الايمان بالنبي بعد هذا الميثاق المؤكد ، فهو الفاسق الخارج عن شرع الله ، الكافر بالانبياء أولهم وآخرهم .

٨٣ - أبطلبون ديننا غير دين محمد وهو دين الانبياء - وهو وحده دين الله - الذي خضع له كل من في السموات والأرض طوعا بالارادة والاختيار ، أو كرها بالخلق والتكوين ، وإليه وحده يرجع الخلق كله .

٨٤ - أكد الله وحدة الألوهية والرسالة ، فأمر نبيه ومن معه بأن يقولوا صدقنا بالله المعبود وحده ، ومرسل رسله ، ءامنا بما أنزل الله علينا من القرآن والشريعة ، وما نزله من كتب وشرائع على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وأولاده الأسباط الاثني عشر ، وما أنزل الله على موسى من التوراة وعيسى من الانجيل ، وما أنزل على سائر النبيين لا فرق في الايمان بين أحد منهم . ونحن بذلك قد أسلمنا وجهنا لله .

٨٥ - من يطلب بعد مبعث محمد ﷺ ديناً وشريعة غير دين الاسلام وشريعته ، فلن يرضى الله منه ذلك ، وهو عند الله في دار جزائه من الذين خسروا أنفسهم فاستوجبوا العذاب الأليم .

٨٦ - إن الله لا يوفق قوما شهدوا بأن الرسول حق ، وجاءتهم الأدلة على ذلك ، ثم بعد ذلك كفروا به ، ويمجزئته ، فكان ذلك ظلماً منهم ، والله لا يوفق الظالمين .

أَنَّهُمْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَسْلَمُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَنْ تُغْفَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ قَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ﴿٩١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩٢﴾ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٣﴾ * كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِيَّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ الْتَّوْرَةُ قُلْ فَأَقُوا بِالتَّوْرَةِ فَإِنِّي لَأَكُونُ مِنْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ لَقَدْ أَفْرَقْنَا عَلَى

٨٧ - أولئك عقوبتهم عند الله ، استحقاق غضبه عليهم ، ولعنته ، ولعنة صفوة الخلق جميعا من ملائكة وبشر .

٨٨ - لا تغفرهم اللعنة ، ولا يخفف عنهم العذاب ، ولا هم يهلون .

٨٩ - لكن الذين أفلحوا عن ذنوبهم ، ودخلوا في أهل الصلاح وأزالوا ما أنسدوا ، فإن الله تعالى يغفر لهم برحمته ذنوبهم ، لأن المغفرة والرحمة صفتان من صفات ذاته العلية .

٩٠ - وأن قبول التوبة والرحمة بالفقران ، شرطها الاستمرار على الإيمان ، فالذين يبعدون الحق بعد الانزعان والتصديق ، ويزدادون بهذه الردة جمودا ونسادا وإيذاء للمؤمنين ، فلن يقبل الله سبحانه وتعالى توبتهم لأنفسا . لا يمكن أن تكون صادقة خالصة ، وقد صاروا بهملهم . يبعدون عن الحق متصرفين عنه .

٩١ - وإن الذين جمعوا الحق ولم يذهبوا له واستمروا عليه حتى ماتوا وهم جاحدون ، فلن يستطيع أحدهم أن يفتدى نفسه من عذاب الله سبحانه وتعالى شيئا ، ولو كان الذي يقدمه قديما له ، ما يملأ الأرض من الذهب إن استطاع ، وعذابهم مؤلم شديد الإيلام .

٩٢ - لن تنالوا ألبا المؤمنين الخير الكامل الذي تطوبونه ويريضه الله تعالى ، إلا إذا بذلتم عما تحبون وأنفقتوه في سبيل الله المتنوعة ، وأن الذي تنفقونه قليلا أو كثيرا ، نفيسا أو غيره ، فإن الله يعلمه لأنه العليم الذي لا يخطئ عليه شيء في الأرض ولا في السماء ،

٩٣ - اعترض اليهود على استباحة المسلمين بعض الأطعمة كلحوم الايل وألبانها ، وادعوا أن ذلك حرمة شريعة ابراهيم . فرد الله سبحانه دعواهم ببيان أن تناول كل المصطومات كان مباحا لبق يقبض من قبل نزول التوراة ، إلا ما حرمه يقرب على نفسه لسبب يختص به فحرموه على أنفسهم . وأمر الله نبيه أن يطلب منهم أن يأثروا من التوراة بدليل يثبت أن شريعة ابراهيم تحرم ذلك ان كانوا صادقين ، فمجزوا وأفصحوا .

اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ حَيْثُ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ لِمَنْ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ لِمَنْ قَصَدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ تَبَيَّنَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

٩٤ - وإذا ثبت عجزهم، فمن اختلق منهم الكذب على الله من بعد لزوم الحجة فهم المستمرين على الظلم المتصفون به حقا.

٩٥ - وبعد تمييزهم أمر الله النبي أن يبين لهم أنه بعد إفعالهم ثبت صدق الله فيما أخبر، فاتبعوا شريعة إبراهيم التي يدعوكم إليها وتكذبون عليها، فهذا بعيد عن الأديان الباطلة، فليس من أهل الشرك بالله.

٩٦ - وإن من اتباع ملة إبراهيم، الاتجاه في الصلاة إلى البيت الذي بناه والمصح إليه، وقد بين الله تعالى ذلك فذكر: إن أول بيت في القدم والشرف جعله الله متعبدا للناس هو الذي في مكة، وهو كثير المحيرات والقرات، وأودع الله سبحانه وتعالى البركة فيه، وهو مكان هداية الناس بالمحج والاتجاه في الصلاة إليه (١).

٩٧ - وفيه دلائل واضحات على حرمة ومزيد فضله، منها مكان قيام إبراهيم للصلاة فيه، ومع دخله يكون أمنا لا يتعرض له بسوء، وصح هذا البيت واجب على المستطيع من الناس، ومن أي تقرر على أمر الله وجحد دينه، فالغسران عائد عليه، وإن الله غني عن الناس كلهم.

٩٨ - أمر الله سبحانه وتعالى رسوله بتوبيخ أهل الكتاب على استمرارهم على الكفر والضلال والتضليل فقال: قل لهم: يا أهل الكتاب لا وجه لكفركم، فلائى سبب تكفرون بدلائل الله الدالة على نبوة محمد وصدقه، والله مطلع على أعمالكم ويجازيكم عليها.

٩٩ - يأهل الكتاب كيف تحاولون صرف من آمن بالله ورسوله وأذعن للحق عن سبيل الله الحق المستقيمة، وتحاولون أن تصوروها موجبة، وأنتم عالمون أنها حق، وليس الله غافلا عن أعمالكم وسيجازيكم عليها.

(١) «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة الكعبة أول بيت وضع للناس لعمادة الله الواحد القهار بنا بقية الصنوب والقبائل في سائر أنحاء الأرض كانوا يبنون البيوت لعمادة الاصنام والتماثيل فالمرصين كانوا يبنون آلهة متعددة تارة في وقت واحد وتارة في أوقات متعده. فمن عبادة الشمس إلى عبادة الصور إلى عبادة الآلهة الثلاثة أوزوريس وإيزيس وإنيها حوريس وألقاموا لذلك التماثيل. وكان الآشوريين يبنون بعل مشعوش. أي اله الشمس ويصنعون له صفا على نحو أي الحول له رأس إنسان وجسم أسد وله أجنحة. وكان الكنعانيين يبنون البعل وهو على وصف أي الحول ولا يزال تماثيل الكنعانيين موجودا. وإن كان مشوحا حتى اليوم ببعلبك. وبكة هي عين مكة. ومن الظن أن بعض القبائل العربية تبدل الأباء بها وبالعكس. فيقولون مكان (بكان) وفي بكر (مكر) وتوجد في بعض جهات الاقليم الجنوبي الصعيد من جمهورية مصر العربية آثار من ذلك حتى اليوم.

يُنَاسِبُ الَّذِينَ آمَنُوا لَنْ تَطْعَمُوا قُرْبَانًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّكُمْ بَعْدَ إِعْنَتِكُمْ كَثِيرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ مَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَسَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ۖ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ

١٠٠ - وقد حذر الله المؤمنين عما يثيره بعض أهل الكتاب من شبهة قائلا : ان تطعموا بعض أهل الكتاب فما يوثقه من الشبهة في دينكم، تعودوا إلى الضلال بعد الهداية، ويردوكم جاحدين بعد الإيمان.

١٠١ - ونصروا حاكمكم المعجبة وأنتم تضلون وتكفرون بعد الإيمان، والقرآن ينزل عليكم، ورسول الله بينكم، يبين لكم ويدفع الشبه عن دينكم، ومن بلغا إلى ربه ويستمسك بدينه فنصم ما فعل، فقد هداه ربه إلى طريق الفوز والفلاح.

١٠٢ - وإن باب النار مفتوح إذا لم تتقوا الله، فيا أيها الذين آمنوا خافوا الله الخوف الواجب بامتثال الأمور واجتناب النهيات، وديموا على الإسلام حتى تلقوا الله.

١٠٣ - وتمسكوا بدين الله مجتمعين عليه، ولا تفعلوا ما يؤدي إلى فرقتكم، وتذكروا نعمة الله عليكم حين كنتم في الجاهلية متعادين، فألف بين قلوبكم بالإسلام فصرت متحابين - وكنتم بسبب كفركم تفرقكم على طرف حفرة من النار فخلصكم منها بالإسلام، جعل ذلك البيان البديع بين الله لكم دائما طرق الخير لتدوموا على الهدى.

١٠٤ - وإن السبيل للاجتماع الكامل على الحق في ظل كتاب الله ورسوله، أن تكونوا أمة يدعون إلى كل ما فيه صلاح ديني أودنيوي، ويأمرون بالطاعة، وينهون عن المعصية، أولئك هم الفائزون فوزا كاملا.

١٠٥ - ولا تكونوا بإهالككم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين يجمعانكم على الخير والدين الحق، كأولئك الذين أهملوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تفرقوا شيئا، واختلفوا في دينهم من بعد ما جاءهم الحجج الواضحة المبينة للحق، وأولئك المتفرقون المختلفون لهم عذاب عظيم.

وَجُوهُهُمْ أَكْفَرُهُمْ بَعْدَ عَمَلَتِكُمْ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْعَذَابِ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ
فَفي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ هَآئِلُ الَّذِينَ أَتَوْا عَذَابَكَ بِإِلْحَاقِ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ عَلَماً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلِلَّهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ إِنْ يَحْكُورْكَ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْطِعُوكَ يَوْكُورْكَ أَدْبَارُكُمْ لَا يَنْصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْقُلَّةُ
أَنْ يَأْتُوا بِنَافِلَةٍ إِلَّا بِجَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَجَبَلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءَ وَغَضِبَ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانُوا يَكْفُرُونَ وَهَآئِلُ الَّذِينَ يَمُوتُونَ الْأَنْبِيَاءُ بغيرِ حَقِّ ذٰلِكَ وَمَا عَصَاوْا كَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ * لَيْسُوا سَوَآءٌ

١٠٦ - ذلك العذاب العظيم في اليوم الذي تبيض في السرور فيه وجوه المؤمنين ، وتسود بالكآبة والحزن وجوه الكافرين ، ويقال لهم توبخوا : أكفرتم بعد أن فطرتهم على الايمان والاذعان للحق وجاءتكم البينات عليه ، فنفقوا العذاب بسبب كفركم .

١٠٧ - وأما الذين ابيضت وجوههم سرورا ، ففي الجنة التي رحمهم الله بها هم فيها خالدون .

١٠٨ - وإن تلك الآيات الواردة بجزء الحسن والمسي تنلونها عليكم شتملة على الحق والعدل ، وما الله يريد ظلما لأحد من الناس والجن .

١٠٩ - والله وحده ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا وتصرفا وإليه مصير أمورهم ، فيجازى كلا بما يستحقه .

١١٠ - أنتم بأمانة محمد أفضل أمة خلقها الله لنفع الناس ، ما دمتم تأمرون بالطاعات وتنهون عن المعاصي ، ومؤمنون بالله إيمانا صحيحا صادقا ، ولو صدق أهل الكتاب في إيمانهم مثلكم لكان خيرا لهم مما هم عليه ، ولكن منهم المؤمنون وأكثرهم فاسقون عن حدود الايمان وواجباته .

١١١ - لن يضركم هؤلاء الفاسقون بضرر ينالونكم به ، ويكون له أثر فيكم ، وإن كان قد يحصل منهم أذى لا يبق له أثر ، وإن يقاتلوكم يهزموا فارين من لقاءكم ، ثم لا تكون لهم نصرة عليكم ما دمتم متمسكين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

١١٢ - وأخبر سبحانه بأنه الزمهم المهانة في أي مكان وجدوا فيه ، إلا بعقد النمة الذي هو عهد الله وعهد المسلمين . وأنهم استوجبوا غضب الله والزمهم الاستكانة والخضوع لغيرهم ، وذلك بسبب كفرهم بآيات الله الدالة على نبوة محمد ، ورضاهم من قبل بقتل الأنبياء الذي لا يمكن أن يكون بحق ، بل هو عصيان منهم واعتداء .

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ فَإِنِ آتَاهُ الْبَلَاءُ دَمًا يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْحَسَنَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَقُولُوا
مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا بِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ
أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ بَنَاءُ الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تُغْنِيهِمْ بَطَانَةٌ مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأُولُوكُمْ خَبَالًا وَدُؤَا مَاعِيَتِهِمْ قَدْ بَغَتِ الْبَغْيَاءُ مِنْ أَقْوَمِهِمْ وَمَا تُحِثُّ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَئَانَتْ أَوَّلَافُ مُجْرِمِيهِمْ وَلَا يُجِيرُوكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ عَلَيْهِ وَإِذَا أُلْقُوا

١١٣ - وان أهل الكتاب ليسوا متساوين ، فإن منهم جماعة مستقيمة عادلة يقرءون كتاب الله في ساعات الليل وهم يصلون .

١١٤ - ويصدقون بوجود الله ووحدانيته وبالرسل - لا يعبدون الا الله - وجميع يوم القيامة وبأمرهم بالطاعات وينهون عن المعاصي ، ويباعدون إلى فعل الحسنة ، وهؤلاء عند الله من عداد الصالحين .

١١٥ - وما يفعلوا من خير فلن يجزوا ثوابه والله يحيط بأحوالهم ويجازيهم عليها .

١١٦ - إن الذين كفروا ، لن تدفع عنهم أموالهم لو افتدوا بها أنفسهم ، ولا أولادهم لو استعاضوا بهم شيئاً ولو يسيراً من عذاب الله في الآخرة . وهؤلاء الملائمون للنار ، الباقون فيها .

١١٧ - إن حال ما يتفقه الكفار في الدنيا صدقة أوقرية في ضياعه في الآخرة ، كحبال زرع قوم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي ، أصابته ريح فيها برد شديد فأهلكته عقوبة لهم . وما ظلمهم الله بضياع أجور أعمالهم ، ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما أوجب ضياعها ، وهو جمود دلالات الايمان والكفر بالله .

١١٨ - بأنهم الذين آمنوا : لا تتخذوا أصدقاء تستعينون بهم من غير أهل دينكم ، تظلمونهم على أسراركم ، لأنهم لا يتصرفون في إفساد أموركم . إذ هم يودون أن يرهقوكم ويضروكم أشد الضرر . وقد ظهرت أمارات البغضاء لكم من قللت السنتهم ، وما تضمره قلوبهم أعظم مما بدا قد أظهرنا لكم العلامات التي تميز بها الولي من العدو ان كنتم من أهل العقل والادراك الصحيح .

قَالُوا هَٰمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْمِنُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
 إِنْ تَسْكُرُوا حَسَنَةً سَئُومٌ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْروا وَتَتَّقُوا لَا يُضْرَكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ إِنَّ اللَّهَ
 بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّتْ
 طَافَتَانِ مِنَكَ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَىٰ آلِهِ ظَلَمُوا كُلَّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا
 اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ يَقُولُ لِلمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 مُزَكَّيْنَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَلَّا يُمَدِّدَكُمُ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

١١٩ - هَانَتْ أولاه أي المؤمنون تحبون هؤلاء الكفار المنافقين لقراءة أو صداقة أو مودة، ولا يميزونكم لتصميم لدينهم، وأنتم تؤمنون بجميع كتب الله المنزل، وإذا لقوكم أظهروا الإيمان خداعا لكم، وإذا فارقوكم عضوا لأجلكم أطراف الأسابيع غيظا وأسفا. قل أيها النبي: دوموا على غيظكم إلى الموت، وأن الله عليا بما تخفيه الصدور، ويجازيكم عليه.

١٢٠ - إن جلدتكم نعمة كسر وغثيمة - تحزنهم، وإن تصيبكم مساءة كجذب وهزجة يسروا بأصابتكم، وإن تصبروا على أذاهم وتتقوا ما نهيت عنه من الموالاة، لا يضركم مكروهم وعداوتهم أى ضرر، لأنه تعالى عالم بما يعملونه من الكيد فلا يصحزه رده عنكم.

١٢١ - واذكر أيها النبي حين خرجت ميكرًا من عند أهلك إلى أحد قاصدا إزالا المؤمنين في مراكز القتال والله صميع لأقوالكم، عليم بنياتكم.

١٢٢ - حين خطر لظافنتين من المؤمنين أن تفسلا وترجعا، فصممهم الله فنبوا وضسوا للقتال لأنه متولى أمرها بالعصمة والتوفيق، فليأخذ المؤمنون من هذا عبرة، وليتوكلوا عليه لينصرهم.

١٢٣ - ذكر الله المؤمنين بنعمة النصر في غزوة بدر^(١) حين صبروا، فأكد لهم أنه نصرهم فيها وهم قليلو العدد والعدة، وطلب منهم طاعته لشكر هذه النعمة.

١٢٤ - وكان النصر حين قال الرسول للمؤمنين: ألن يكفيكم في طمأنينة نفوسكم إعاية ربكم بإياكم بثلاثة آلاف من الملائكة مرسلين من عند الله لتقويكم.

(١) بدر على مسيرة نحو ١٢٠ ميلا من الجنوب الغربى للمدينة وكان القتل فيها بين المسلمين وقريش في يوم الثلاثاء الموافق ١٧ من رمضان من السنة الثانية للهجرة (١٣ مارس سنة ٦٢٤ من الميلاد المسيحى) وكان خروج النبي ﷺ في اصحابه من المدينة قان خلون شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة (٥ مارس سنة ٦٢٤ للميلاد المسيحى) وكان عدد المقاتلين من المسلمين . . في هذه الغزوة ثلاثمائة رجل أو يزيدون قليلا، وعدد المشركين ثلاثة ائلاف وقد أئجز الله في هذه الغزوة وعدة وكان النصر مالا تخله القوة المادية. وكان النصر الجين في هذه الغزوة سببا في أن صارت كلمة الايمان هي العليا اذ كانت مقدمة لانتصارات بعدها ولدت ظل الاسلام الى الجزيرة العربية كلها. ثم لما واصلها بعدها.

وَالْكُفَّيْنِ الْفَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ غَلَبُوا
 أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ وَمِنْ غَيْرِ الذُّنُوبِ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَافَعَلُوا وَمِمَّنْ يَمْلِكُونَ ﴿١٣٥﴾
 أُولَٰئِكَ بِرَأْوِهِمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾
 قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ
 وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ وَلَا تَخَفُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمَسُّكُمْ كَرْحٌ فَقَدْ
 مَسَّ الْقَوْمَ كَرْحٌ مِّمَّنَّهٗ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ تَدَاوَلَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ هَامَرُوا وَيَخَذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

١٣٤ - الذين يتفنون أموالهم ارضاء لله في أحوال الرخاء واليسر، والقدرة والضعف، والسر، وبخسهم عن أن يؤدي غيظهم إلى إزال عقوبة بين أساء إليهم خاصة. ويتجاوزون من السوء، انهم بهذا يعدون محسنين، والله تعالى يثبت المحسنين ويرضى عنهم.

١٣٥ - والذين إذا فعلوا خطيئة كبيرة، أو تحملوا ذنبا صغيرا، تذكروا الله وجلاله، وعقابه وغوايه، ورحمته ونعمته، فندموا، وطلبوا مغفرته، وأنه لا يغفر الذنوب إلا الله، ولم يقيموا على قبيح فعلهم وهم يعلمون قبحه.

١٣٦ - أولئك المتصفون بهذه الصفات أجبرهم مغفرة عظيمة من ربهم مالك أمرهم، وجنات تجري الأنهار بين أشجارها لا يبرحونها. ونعم ذلك ثوابا للعاملين بأمر الله.

١٣٧ - قد مضت من قبلكم أيام المؤمنين سنن الله في الأمم المكذبة، بامثالهم، ثم أخضعهم بذنوبهم، فأناموا كيف كان عاقبة أمر المكذبين.

١٣٨ - وهذا المذكور من صفات المؤمنين وسنن الله في الماضين، فيه بيان للناس وإرشاد لهم إلى طريق الخير وزجر عن طريق الشر.

١٣٩ - ولا تضعفوا عن الجهاد في سبيل الله بسبب ما يتالكم فيه، ولا تخفوا على من يقتل منكم، وأنتم بتأييد الله وإيمانكم، وقوة الحق الذي تدافعون عنه، الأعلون، ولكم القلب ان صدق إيمانكم ودمتم عليه.

الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِبِئْسَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَحْمَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّالِحِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ مَعَنَ الْمَوْتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقُولَ قَدْ رَأَيْنَاهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يُؤْمِنُ مَنْ قُتِلَ أَنْفَلَيْكُمْ عَلَىٰ أَهْلِكُمْ وَمَنْ يُقَلِّبْ عَلَىٰ عَفْئِهِ فَلَنْ يُضِرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَدَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾



١٤٠ - إن يكن قد مسكم «بأحد» قتل أو جراح عميقة في أجسامكم، وأثرت في نفوسكم، فلا تنزعوا ولا تحزنوا، لأنه قد أصاب خصوسكم مثله يوم بدر. وإن أوقات النصر بصرها الله بين الناس، فيكون النصر هؤلاء أحيانا ولأولئك أخرى، اختبارا للمؤمنين، ولجيز الله النابئين على الايمان وليكرم قوما بالاستشهاد في سبيله، والله لا يحب المشركين الظالمين ولو ظفروا بنصر من غيرهم.

١٤١ - وينق الله بهذه الهزيمة الوقتية جماعة المؤمنين. ويظهرهم من مرضى القلوب وضعفاء الايمان، ودعاة الهزيمة والتردد، ويستأصل بذلك الكفر وأهله.

١٤٢ - لا تظنوا أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة دون أن يبين منكم المهاددون الصابرون الذين تظهروهم المحن والتدائد.

١٤٣ - لقد كنتم تطلبون الموت في سبيل الله من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا هوله، فقد رأيتم الموت حين قتل اخوانكم بين أيديكم وأنتم تنظرون.

١٤٤ - لما أتبع قتل محمد في غزوة أحد، هم بعض المسلمين بالارتداد فأنكر الله عليهم ذلك قائلا: ليس محمد إلا رسول قد مات من قبله المرسلون أمثاله، وسيموت كما ماتوا، وسيبعض كما مضوا، فلن مات أو قتل رجعت على أعقابكم إلى الكفر، ومن يرجع إلى الكفر بعد الايمان فلن يضرب الله شيئا من الضر، ولما يضرب نفسه بتعرضها للمذاب، وسيثيب الله الشاكرين لنصه.

١٤٥ - لا يمكن أن تموت نفس إلا بإذن الله، وقد كتب الله ذلك في كتاب مشتمل على الآجال، ومن يرد منافع الدنيا يؤته منها، ومن يرد جزاء الآخرة يؤته منها، وسيجزى الله الذين شكروا نعمته فأطاعوه فيما أمرهم به من جهاد وغيره.

وَكَايْنِ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرًا وَهُوَ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١١٠﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١١١﴾ فَغَاثَهُمُ اللَّهُ تَوَابًا دُنْيَا وَآخِرَةً وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٢﴾ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١١٣﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْمَوْلَىٰ سَنُفِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَهُ يَنْزِيلٌ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا وَهُمْ بِالنَّارِ وَلَيْسَ مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ أَخَذْتُمُ بِعَاقِبِهِ حَتَّىٰ إِذَا قِيلَ لَهُمْ وَاتَّعِزُّوا فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أُرْسِلْتُمْ مَأْخُوضٍ مِنْكُمْ مِنْ بُرُودِ الْأَعْرَةِ ثُمَّ سَفَكْتُمْ عَنِمَ لِبَنِيكُمْ

١٤٦ - وكم من الأنبياء قاتل مع كل منهم كثير من المؤمنين المخلصين لرؤسهم ، فاجبت قلوبهم ولا فقرت عزائمهم ، ولا خضعوا لأعدائهم بسبب ما أصابهم في سبيل الله ، لأنهم في طاعته والله يشب الصابرين على البلاء .

١٤٧ - وما كان قولهم عند شدائد الحرب إلا أن قالوا: ربنا تجاوز عما يكون منا من صفات الذنوب وكبائرنا، ولبتنا في مواطن الحرب وانصرنا على أعداء دينك، الكافرين بك وبرسالة رسلك.

١٤٨ - فأعطاهم الله النصر والتوفيق في الدنيا، وضمن لهم الجزاء الحسن في الآخرة، والله يثيب الذين يحسنون أعمالهم.

١٤٩ - يأتيا الذين آمنوا ان تطيعوا الكفار أعداءكم الذين أعلنوا الكفر أو أخفوه ، فما يدعونكم إليه من قول أو فعل ، فليوكم إلى الكفر فتضربوا الدنيا والآخرة .

١٥٠ - والله هو ناصركم، ولا تخشوهم لأن الله أعظم الناصرين.

١٥١ - ولا يضيقكم ما أصابكم يوم أحد فستقذف الخوف، والفرع في قلوب أعدائكم، لا شراكم بالله ألهة لم ينزل الله عبادهما حجة، لأنها لا تنفع ولا تضر، ومستقرهم النار في الآخرة وبس هذا المكان للظالمين مقام.



وَلَقَدْ عَفَا عَنْكَ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥١﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَارْأَوْا سَيْدَوْكُمْ فِي أَمْرِكُمْ فَأَتْبَبَكُمْ خَائِبِينَ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٢﴾ ثُمَّ أَوْرَثَكُمْ مِنَ الْغَنَمِ أَمْنَةً نَعَامًا يَفْشَى طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مَتَرَكُمْ يَوْمَ

١٥٢ - وان نصر الله محقق واقع، ولقد صدقكم الله الوعد بالنصر حين قلتم كثيرين منهم أول الأمر بإرادته، حتى إذا ضعف رأيكم في القتال، واختلفتم في فهم أمر النبي إياكم بالقام في مراكزكم، فرأى بعضهم ترك موقفه حيث ظهر النصر، ورأى البعض البقاء حتى النهاية، وعصى فريق منكم امر الرسول فضى لطلب الغنمة من بعد ما أراكم ما يحبون من النصر، وصرحتم فريقين منكم من يريد متاع الدنيا، ومنكم من يريد لواب الآخرة، لما كان ذلك، منكم نصره ثم ردكم بالهزيمة عن أعدائكم، ليختبركم فيظهر الخلف من غيره، ولقد تجاوز عنكم لما ندمتم، والله ذو الفضل عليكم بالغفر وقبول التوبة.

١٥٣ - اذكروا أيها المؤمنون حالكم وقت أن كنتم تتمدون في الأرض هارين، ولا تلتفتون لأحد من شدة الحرب، والرسول يتأديبكم من وراءكم لترجعوا، فبمازاكم الله حزنا غامرا كالغمة، توالى على نفوسكم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الغنمة وما أصابكم من الهزيمة، والله عليم بمقاديركم وأعمالكم.

١٥٤ - ثم أسبغ الله عليكم من بعد الغنمة أمان، وكان منظرها نعاسا يفسى فريق الصادقين في إيمانهم وتفضيهم لله، أما الطائفة الأخرى فقد كان همهم أنفسهم لا يعنون إلا بها، ولذلك ظنوا بالله الظنون الباطلة كلان الجاهلية، يقولون مستكبرين: هل كان لنا من أمر النصر الذي وعدنا به شيء؟ قل - أيها النبي - الأمر كله في النصر والهزيمة لله، بصرف الأمر في عباده ان اغفوا أسباب النصر، أو وقعوا في أسباب الهزيمة. وهم إذ يقولون ذلك يخفون في أنفسهم أمرا لا يبدونه. إذ يقولون في أنفسهم لو كان لنا اختيار لم نخرج فلم نغلب. قل لهم. لو كنتم في منازلكم وفيكم من كتب عليهم القتل لخرجوا إلى مصارعهم فقتلوا. وقد فعل الله ما فعل في أحد لصالح جمة، ليختبر ما في سرائركم من الاخلاص وليظهر قلوبكم، والله يعلم ما في قلوبكم من الخفايا علما بليفا.

الَّتِي أَجْمَعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِأَخَوْتِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمْغْفِرَةً مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَكُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ فِقْطًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا تَفْضَحُونَ مِنْ حَوْلِكُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَرَكَ عَلَى اللَّهِ إِنَّا اللَّهُ يَحِبُّ الْمُتَرَكِّينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَسْرِعْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكَ وَإِنْ يَمْدُدْكَ اللَّهُ فَلَا تَزِلَّ قَدْرُكَ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَصْرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَن يَغْلُ يَأْتِ

١٥٥ - إن الذين انصرفوا منكم عن النبات في أمكنهم - يامضو المسلمين - يوم التي جمعكم وجمع الكفار للقتال بأحد ، إنما جرهم الشيطان إلى الزلل والخطأ بسبب ما ارتكبوا من مخالفة الرسول ، ولقد تجاوز الله عنهم لأنه كثير المغفرة واسع الحلم .

١٥٦ - يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا في فساد أخوانهم إذا أهدوا في الأرض لطلب العيش فاتوا أو كانوا غزاة فقتلوا ، لو كانوا مقيمين عندنا ما ماتوا وما قتلوا ، فقد جعل الله ذلك القول والظن حسرة في قلوبهم ، والله هو الذي يحيي ويميت ، ويبدع مقادير كل شيء ، وهو مطلع على ما تعملون من خير أو شر ، وبما نذكركم عليه .

١٥٧ - ولئن قتلتم في الجهاد أو مِتُّم في أثنائه ، لمغفرة من الله لذنوبكم ورحمة منه لكم ، خير مما تجمعونه من منافع الدنيا لو بقيتم .

١٥٨ - ولئن مِتُّم أو قُتِلْتُم في الجهاد فلن تضاعف أعمالكم ، بل ستعشرون إلى الله فيثيبكم على جهادكم وإخلاصكم .

١٥٩ - كان رحمة من الله بكم ولم تفلح في القول بسبب خطيئهم ، ولو كنت جسيما الماملة قاسى القلب ، لتفرقوا من حولك ، فتجاوز عن خطيئهم ، وأطلب المغفرة لهم ، واستغفرهم في الأمر متصرفا أراهم ما لم يبادل عليك فيه وحى ، فإذا عقدت عزيمتك على أمر بعد المشاورة فامض فيه متوكلا على الله ، لأن الله يحب من يفوض أموره إليه (١) .

١٦٠ - أن يرزقكم الله بنصره - كما حصل يوم بدر - فلن يغلبكم أحد - وإن قدر لكم الخذلان لعدم اتفادكم أسباب النصر - كما حصل يوم أحد فلا ناصر لكم سواء ، وعلى الله وحده يجب أن يعتمد المؤمنون ويفوضوا أمرهم إليه .

(١) الثوري أصل أسير ولكن ركين في الإسلام ولقد قيل لمطلب من استغار ولا ند من استغار والقرآن على نهجه في التشريح يشرح مجربات الآسي والقرارد ويدع التماسيل للجماعة بسبب ظروف الزمان والمكان فقد يكون النظم التأييد في الحكم والثوري صالحا لبلاد مدينة كالبغداد وفرنسا بحيث يكون رجال الحكومة مسئولين أمام البرلمان . لانهم تنسأوا على ذلك ويرجع الأمر عندهم تاريخيا يتفق مع البيئة التي هم فيها . وقد يكون نظام الوزارات كما هو حادث في فرنسا البرلمانية حيث لم تكن الوزارة قبل الحرب الاخيرة تتفق اكثر من ثلاثة اشهر وقد تكون الثوري على نظام وسط بين الرئاسي والبرلماني كما هو الحال في جمهورية مصر العربية . ٢ لكل دولة وكل جماعة لما اثن طريق الثوري وفق ظروفها أو تاريخها وبيئتها ولهم ان يبدأ الثوري يكون موجودة غشية تسلط الفرد وقلقه وطمعانه ولذلك اتفق القرآن بالتس على المبدأ منذ أربعة عشر قرنا سابقا بذلك كل الدنيات العصرية التي تتشقق بالحربة .

بِمَا عَلَّيَوْمَ الْفِتْنَةِ ثُمَّ تُنْفِكُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَلَا اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كُنْ بَاءَ يَسْخَرُ
 مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرَ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ يُصِيرُ مِمَّا يَشَاءُ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
 مِنْ قَبْلُ لَنْ يَهْتَدُوا غَيْرَ سَبِيلٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمْ أَصْابَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَابَتْكُمْ مِثْلُهَا قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ
 إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصْبَحَكُمْ يَوْمَ النِّقَى أَجْمَعِينَ فَيَا ذُنَّ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ
 نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا قُنُوتُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْادِفُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قَتَلْنَا لَأَبِيعْتُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ اقْرَبُ

١٦١ - ما صحت لني أن يحسن في المفسر كما أنشأ الكاذبون ، لأن الحباية تنال النبوة ، فلا تظنوا به ذلك ، ومن يحسن يأتي يوم القيامة بأثم ما خان فيه ، ثم تملأ كل نفس جزاء ما عملت وأثامها ، وهم لا يظلمون بنقصان الثواب أو زيادة العقاب .

١٦٢ - ليس من سعى في طلب رضا الله بالعمل والطاعة ، مثل الذي بآء بغضب عظيم من الله بسبب العصية . ومصير العاصي جهنم ويس ذلك المصير .

١٦٣ - ليس الفرقان سواء ، بل هم متفاوتون عند الله تفاوت الدرجات والله عالم بأحوالهم ودرجاتهم ، فيجازيهم على حسبها .

١٦٤ - لقد تفضل الله على المؤمنين الأولين الذين صحبوا النبي ، بأن يبعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آيات الكتاب ، ويظهرهم من سوء العقيدة ، ويعلمهم علم القرآن والسنة . وقد كانوا من قبل بعثه في جهالة وحريرة وضياح .

١٦٥ - أجزعهم وقذارتهم ، وقتلهم مستغربين حين أصابكم مصيبة يوم أحد قد أصبتم ضعيفا يوم بدر : من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله فينا ؟ قل : الذي أصابكم من عند أنفسكم بسبب تخلفكم عن الرسول والله قادر على كل شيء ، وقد جازاكم بما عملتم .

١٦٦ - إن الذي أصابكم أيها المؤمنون يوم النقي جمعكم وجمع المشركين بأحد واقع بقضاء الله ، وليظهر للناس ما علمه من إيمان المؤمن حقا .

مِنْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ يَقُولُونَ يَا قَوْمِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لَا تَنْحِرُوا ۖ فَعَلُوا
لَوْ أَطَاعُوا مَا قُتِلُوا ۖ قُلْ قَادَرُوا عَلَىٰ أَنْ فُتِنُوا لَئِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا
بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ۖ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۖ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ
أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ وَلَئِنْ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أُولَئِكَ
عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

١٦٧ - وليظهر نفاق الذين نافقوا ، وهم الذين قيل لهم حين انصرفوا يوم أحد عن القتال : تعالوا قاتلوا لأجل طاعة الله أو قاتلوا دفاعاً عن أنفسكم قالوا : لو نعلم أنكم ستلقون قتالاً لنهينا بكم - وهم حين قالوا هذا القول أقرب للكفر منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم : ليس هناك حرب ، مع أنهم يمتدقون في قلوبهم أنها واقعة ، والله أعلم بما يضمر من النفاق ، لأنه يعلم نتيجة أسرارهم .

١٦٨ - وانهم هم الذين تخلفوا عن القتال وقصدوا عنه ، وقالوا في شأن اخوانهم الذين خسر جرحوا وقتلوا : لو أطاعونا وقعدوا كما قعدنا لنجوا من القتل كما نجونا . قل : فادنسوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين في أن الحذر كان ينصركم من القدر .

١٦٩ - ولا تظن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل هم أحياء حياة استأنف الله بطلهم ، يرزقون عند ربهم رزقاً حسناً يعلمه هو .

١٧٠ - يتألق السرور بالبشر من وجوههم بما أعطاهم الله بسبب فضله من المزايا ، ويفرحون بأخوانهم الذين تركوهم في الدنيا أحياء مقيمين على منهج الإيمان والجهاد ، وبأنه لا خوف عليهم من مكروه ، ولا هم يحزنون لفوات محبوب .

١٧١ - تتألق وجوه الشهداء بما من الله به عليهم من نعمة الشهادة ونعيم الجنة وعظيم الكرامة ، وبأنه لا يضيع أجر المؤمنين .

١٧٢ - الذين لبوا دعوة الرسول إلى اشتفاف الجهاد من بعد ما أصابهم في غزوة أحد من المجرع العميق وبذلك أحسنوا واتقوا عصيان أمر الله ورسوله فاستحقوا الأجر العظيم في دار الجزاء والنعيم .

١٧٣ - الذين خوفهم الناس بأن قالوا لهم : إن أعداءكم قد جمعا لكم جيشاً كثيفاً فخافوهم ، فاضطربوا وما هنوا ، بل ازدادوا إيماناً بالله وثقة بنصره ، وكان ردهم : الله كافيها ، وهو المتولى أمورنا ، وهو نعم من يفيض إليه الأمر كله .

فَأَقْبَلُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضَّلُوا لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزَنَكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَا يُكْفُرُوا بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهَا تَأْتِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا تَأْتِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِيمَانًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ يُسْرِعَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَذِرَ الْعِلْمِ مِنَ الْغَيْبِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ لِيُطْلِعَكُمُ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَنِي مِنْ رُّسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَقَانُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَئِنْ تَوَلَّيْتُمْ لَنَنْقُصَنَّكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْغُلُونَ إِيمَانًا أَنَّهُمْ لَن يَضُرَّ

١٧٤ - ثم خرجوا للجهاد ولقاء الجيش الكثيف، ولكن الشركين جنوا عن اللقاء، فعاد المؤمنون فاتزين بنعمة السلامة مع الرغبة في الجهاد، وفوزهم بنوابه، وفضل الله عليهم في اللقاء الربحى قلوب عدوهم فلم ينلهم أذى، وابتغوا رضوان الله فصاروا أملاً لفضله، والله صاحب الفضل العظيم.

١٧٥ - بين الله سبحانه للمؤمنين أن أولئك الذين يخوفونكم بأعدائكم لتجنبوا عن لقاءهم ليسوا إلا أعوانا للشيطان الذى يخوف اتباعه فيجملهم جنباء ولستم منهم. فلا تحفلوا بتخويفهم وخافوا الله وحده إن كنتم صادق الايمان، فالجبن بما يفرضه عليكم هذا الايمان.

١٧٦ - لا تحزن - أيها النبى - إذا رأيت الذين يزدادون كفرا ويسرعون بالانتقال من سى' إلى أسوأ، فهم لن ينالوا الله بأى ضرر، لأنه القاهر فوق عباده، بل يريد الله ألا يجعل لهم نصيباً من نواب الآخرة، ولهم فوق حرمانهم هذا الثواب الكريم، عذاب عظيم.

١٧٧ - إن هؤلاء الذين استبدلوا الكفر بالايمان، فابتغوا الكفر وتركوا الايمان، لن يضروا الله شيئاً، ولهم فى الآخرة عذاب مؤلم شديد الالام.

١٧٨ - لا يحسبن هؤلاء الكافرون أن إيهالنا لهم حين غد فى اعمارهم ونهى' لهم أسباب التعصم فى حياتهم الدنيا، خير لهم. فإن اطالة العمر وسعة الرزق يفضيان بهم إلى الاستمرار فى اكتساب الاثم واستحقاق ما أعد الله لهم من عذاب مهين.

١٧٩ - ما كان الله ليرتكبكم بامعشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالنافق، حتى يميز بينكم بالهتة والتكاليف لتقروا بالنفاق الخبيث والمؤمن الطيب، ولم تجر سنة الله باطلاع أحد من خلقه على شئ' من غيبه. ولكن الله يصفى من رسله من يشاء باطلاعه على ما يشاء من غيبه، وان تؤمنوا وتتقوا ربكم بالتزام طاعته بدخلكم الجنة جزاء، ونعم الجزاء إذ هى جزاء عظيم.

هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ بَلْ هُمْ شَرُّكُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا مَجَّلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أُيُودِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُا إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَيِّنَاتٍ نَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ وَإِلَادِي قُلْتُمْ قَلَمْ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتِ وَالزَّبِيرُ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ

١٨٠ - لا يظن الذين يبيعون بما أنعم الله عليهم من المال نفصلا منه ، ولا يبدلون في الواجبات وسبل الخير ، ان البخل خير لهم ، بل انه شر سي العاقبة عليهم ، وسيجزون عليه شر الجزاء يوم القيامة ، وسيكون العذاب ملازما لهم ملازمة الطوق للنعق . وإن كل ما في الوجود يؤول لله سبحانه وتعالى وهو المالك له ، وهو سبحانه يعلم كل ما تعملون ، وسيجازيكم عليه .

١٨١ - ومع أن الله له ملك السموات والأرض وميراثها ، فقد قال بعض اليهود متكئين ان الله فقير يطلب منا أن نقرضه بالانفاق ، ونحن أغنياء ننفق أولا ننفق ، لقد سمع الله قولهم هذا وسجل عليهم ذلك القول كما سجل عليهم قتلهم الأنبياء ظلما وعدوانا وسيقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب النار المحرقة .

١٨٢ - وذلك العذاب بما قدمت أيديهم من الآثام ، وعقاب الله لا يكون إلا عدلا ، فهو لا يظلم العباد أبدا .

١٨٣ - انهم هم الذين قالوا ان الله أمرنا في التوراة الا نؤمن مذعنين لرسول إلا إذا دلل على صدقه بأن يأتينا بشئ يقربه لوجه الله وتنزل نار من السماء فتأكله ، فقل لهم أيها النبي : ان رسلا من الله قد جاءوا من قبل بالأدلة الواضحة ، وجاءوا بما اقترحتم ، ومع ذلك كذبتموهم وقتلتموهم . فلم فعلتم ذلك إن كنتم صادقين في وعدكم بالآيمان عندما يتحقق ما تريدون ؟

١٨٤ - وإن كذبوك أيها النبي ، فلا تحزن ، فقد سبق قبلك كثيرون كذبهم أقوامهم نعمتنا وعدنا - مع أنهم جاءوا بالأدلة الساطعة والكتب الساوية الدالة على صدق رسالتهم .

يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَن زُجِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾
 * لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَ مِنَ الَّذِينَ أَتَوَا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَكْثَرَ كَثِيرًا
 وَلَمَّا قَصَرُوا وَيَتْلَوْا فَانْصَبْ لَهُمْ قُرْآنَ الْفَجْرِ وَقَدْ خَلَّى لُحْيُهُمُ الْعُنُقَ وَذَكَرْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ كَيْفَ كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ
 لِلنَّاسِ وَلَا تَكُونُ لَهُمْ عِشْوَةً وَرَأَى ظُهُورَهُمْ وَرَأَى عُلُوقَهُمْ أَشْرَقُوا بِهِ ثُمَّ قَالَ قَلِيلًا مِّمَّا يَشْتُرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ
 يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجَاهِدُونَ أَن يُمَيَّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾
 وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي حَقِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِذِينَ

- - - - -

١٨٥ - كل نفس تذوق الموت لا محالة ، وإذا أصابتكم آلام في الدنيا فاعلموا أنكم نوابكم كاملاً يوم القيامة .
 ومن قارب النار وزجر عنها فقد نال الفوز . وما الحياة الدنيا إلا متاع زائل يفر ولا يبقى .

١٨٦ - تأكدوا أيها المؤمنون أنكم ستمحزون في أموالكم بالنقص أو الانساق ، وفي أنفسكم بالجهاد
 وبالأفراض والآلام . وأنكم ستسمعون من اليهود والنصارى والمشركين كثيراً مما يؤذيكم من السب والطمع ، وإن
 تغلبوا ذلك بالصبر وتقوى الله ، فإن ذلك من الأمور الصالحة التي يجب العزم على تنفيذها .

١٨٧ - واذكر أيها النبي ، إذ أخذ الله العهد المؤكد على أهل الكتاب أن يوضحوا معانيه ، وألا يفضوا شيئاً من
 آياته عن الناس ، فألقوه وراء ظهورهم نايذين له ، واستبدلوا به متاع الدنيا طالبيين له ، ومتاع الدنيا مهما يكن
 كاللحم الخسيس الحقير في مقابل الهداية والارشاد فقيها لما فعلوا .

١٨٨ - لا تظن الذين يفرحون دائماً بما يأتون من أفضال قبيحة وعيون التناء بما لم يفعلوه ، لا تظن هؤلاء
 بمنجاة من العذاب ، لأن من شأنهم أن يفلتوا على أنفسهم باب الإيمان والحق كاليهود ، ولهم عذاب مؤلم يوم
 القيامة .

١٨٩ - الله وحده هو المالك لأمر السموات والأرض ، وهو القادر على كل شيء ، فيؤاخذ المذنبين بذنوبهم
 ويثيب المحسنين على إحسانهم .

الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُرْعًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ قِنَّا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩٠﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ قَدْ

١٩٠ - إن في خلق الله للسماوات والأرض مع ما فيها من ابداع واحكام ، واختلاف الليل والنهار نورا وظلمة وطولا وقصرا ، لدلائل بينات لأصحاب العقول المدركة على وحدانية الله وقدرته (١) .

١٩١ - وشأن أولى الألباب أنهم يستحضرون في نفوسهم عظمة الله وجلاله في كل مكان ، قائمين وقاعدين وعلى جنوبهم ، ويتدبرون في خلق السماوات والأرض وما فيها من عجائب قائلين ربنا ما خلقت هذا إلا بحكمة قدرتها وأنت مازر عن النقص ، بل خلقته دليلا على قدرتك ، وعنوانا لبالغ حكمتك ، فاحفظنا من عذاب النار بتوفيقك لنا إلى طاعتك .

(١) « إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب » .

« في هذا النص تنبيه إلى حقائق كونية تدل على عظمة الخالق . ذلك أن الساء هي آية من آيات الله بدت لنا بظاهر الاسم المسمى على الغلاف الجوى الذى يحيط بالأرض . فعندما تسقط هذه الاسم على فترات العناصر الكيوية التى يتألف منها الجو وعلى ما يسميه هذا الجو من آتربة دقيقة عالقة به ينعكس من هذه الفترات وتلك الآتربة تشتت في جهات مختلفة ومن المعلوم أن الضوء الأبيض يتألف من جميع الألوان المرئية . وإن هذه الفترات تخص بعض الألوان من بعضها الآخر .

وقد انتضح من تجارب واختبارات خاصة بظلمته . أن اللون الأكثر تشتتا هو اللون الأزرق ويصل هذا بصورة أوضح عندما تكون الشمس في سمت الرأس . وتتناقص زرقة هذا اللون شيئا فشيئا حتى إذا بلغت الشمس الأفق أى وقت الغروب أو الفروق . فإن أصغرها يتبقى جو الأرض في مسافات أطول بكثير .

ولهذا فإن اللون الأحمر يظهر تشتته أكثر من غيره .

وصفوة القول : أن ضوء النهار يتطلب الامتصاص التامى وكمية متناسبة من الغبار الجوى والدليل على ذلك ما حدثت سنة ١٩٤٤ حيث اظلمت السماء فجأة في وضع النهار . ولشدة ظلمتها صار النهار كأنه الليل . وظل الامر كذلك زمنا وجيزا . ثم تحولت السماء إلى لون أحمر ثم تدرج إلى لون برتقالي خافت . حتى عادت السماء إلى حالتها الطبيعية بعد حوالى ساعة أو أكثر .

وقد تبين فيما بعد أن هذه الظاهرة نتجت من تشتت مرتب من السماء فاستحال إلى رمال وحلته الرياح إلى مسافات بعيدة من أواسط افريقية إلى شمالها ولجأوزت إلى غربي آسيا حيث شوهت هذه الظاهرة في إقليم سوريا .

وتفسير ذلك أن الغبار المعلق في الهواء قد حجب نور الشمس فلما قلت كثافته أخذ الضوء في الإحمرار والاصفرار الخ . .

ولو ارتفع الإنسان في الفضاء فانه سوف يرى بطيقات حموية تختلف خصائصها وكمياتها عن بعض فهو يتساهد السماء تأخذ في الزرقة الشديدة شيئا فشيئا حتى إذا ما بلغ هيئة الفضاء الخارجى الخالية من المواد التى يتألف منها الغلاف الجوى والآتربة العالقة به بدت له السماء متممة كأنها ليل على الرغم من وجود الشمس فوق الأفق والخلاصة أن هناك سموات متطايرة في هيئة قباب تختلف في خصائصها وألوانها وتقتل إلى أقصى اعلى الفضاء وهذا مظهر من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى التى تتجلى في خلقه كل ماق السماوات والأرض .

وضوء النهار يتطلب سقوط الأسمدة الشمسية فترات من الغلاف الجوى الذى يعمل جسيات من الغبار بكميات متفاوتة وضوء النهار يبلغ من الشدة حدا بحيث يسبب الإحراق الحادة للنباتات من النجوم أو من احتكاك الشهب والنيازك بالغلاف الجوى .

وعندما تخفى أشعة الشمس تحت الأفق يساقط بعيدا فإن أخواء النجوم الخافتة تظهر لبعدها التاسع عنا قليلة التأثير على الغلاف الجوى بحيث لا تحدث نورا يشبه نور النهار .

وينشأ تعاقب الليل والنهار من دوران الأرض حول محورها ويرجع التفاوت الزمنى بين الليل والنهار هو دورة الأرض حول الشمس ويميل محورها عن مستوى مدارها فتختلف الفترات الزمنية باختلاف الفصول وعروض البلاد .

ومن حكمة جلست قدرته أن التعاقب بين الليل والنهار وتراوحهما على فترات قصيرة يؤدى إلى اعتدال في درجة الحرارة والمناخ وصية البيئة الصالحة للحياة والامحاء . ولهذا فإن اللون الأحمر يظهر بسبب التشعب الناجم عن الغبار المجوى .

أَخْزَيْنَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْآبِرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٌ عَمِلَ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ
مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودِعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغْرُنَكَ
تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ رِيسَ الْإِهَادِ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا رَبَّهُمْ هُمْ

١٩٢ - يا خالفتنا والقائم على أمورنا ، والحافظ لنا . إن من يستحق النار ويدخله فيها فقد أخزئته وليس
للظالم الذي استحق النار من نصير يحميه منها .

١٩٣ - يا خالفتنا والقائم على أمورنا ، والحافظ لنا اتنا سمعنا برسولك يدعو إلى الإيمان بك فأطعناه وآمنا به ،
ربنا اغفر لنا كبائر ذنوبنا وامنح عنا صفائر سيئاتنا واجعلنا بعد وفاتنا مع عبادك الأخيار .

١٩٤ - يا خالفتنا ، والقائم على أمورنا ، والحافظ لنا ، اعطنا الذي وعدتنا على ألسنة رسلك من نصر وتأيد
في الدنيا ، ولا تدخلنا النار فتخزنا - فستأنك ألا تخلف الميعاد .

١٩٥ - فأجاب ربه دعاءهم ، مبينا لهم أنه لا يضيع على عامل منهم ثواب عمله . سواء أكان ذكرا أم أنثى ،
فالأنثى من الذكر والذكر من الأنثى . فالذين هاجروا يريدون وجه الله وأخرجوا من ديارهم ، ونالهم الأذى في
سبيل الله وقتلوا وتعرضوا للقتل ، وقتل منهم من قتل ، كتب الله على نفسه أنه سيمحو عنهم سيئاتهم ، ويدخلهم
جنان تجري من تحتها الأنهار جزاء كريما عاليا من عند الله ، والله - وحده - عنده الثواب الحسن الجميل .

١٩٦ - لا تتأثر - أيها النبي - بما ترى فيه الذين كفروا من تقلب في النعم والتصرف في التجارة والمكاسب .

١٩٧ - فإن ذلك متاع ، زائل ، وكل زائل قليل ، ثم يكون المأوى الذي ينتهون اليه جهنم ريس منزلا

جهنم .

جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا تَزُلَّ عَنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ بَرَّارٍ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَسْتَرْوْنَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ كُنَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسِيرُوا وَصَارُوا وَرَاطِبُوا وَأَنْفُوا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٢٠٠﴾

١٩٨ - ذلك جزاء الكافرين أما الذين آمنوا وخافوا ربهم فلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، نازلين في كرم الله سبحانه وما عند الله خير للأبرار مما يتقلب فيه الكافرون من متاع زائل .

١٩٩ - إن بعض أهل الكتاب يؤمنون بالله وما أنزل على محمد وما أنزل على الرسل من قبله . تراهم خاضعين لله ضارعين إليه ، لا يستبدلون بالبينات الظاهرة عرضاً من أعراض الدنيا مما عظم فهو قليل . هؤلاء هم الجزء الأول في دار الرضوان عند ربهم والله سريع الحساب لا يمجزه احصاء أفعالهم ومحاسنهم عليها . وهو قادر على ذلك وجزاءه نازل بهم لا محالة .

٢٠٠ - أيها المؤمنون تمسكوا بالصبر ، وغالبوا أعداءكم به ، ولازموا الثغور لحمايتهم ، وخافوا ربكم ، فني كل ذلك رجاء فلاحكم .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ الْبَنِيَّ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَقْبَلُوا الْحَبِيثَ وَالْفَاطِيحَ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا فِي الْبَيْنَةِ فَاذْكُرُوا مَا طَلَبَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّ وَتِلْكَ وَرِيعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَمْلُوكَتٌ أَوْ امْتَنِكُمْ ذَلِكَ أَقْسَى الْأَعْيُنِ ﴿٣﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ النَّبِيَّ صِدْقَيْنِ نَحْلَةً فَإِنْ طَلِقَ لَكَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ

١ - يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي أَوْجَدَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَأَنْشَأَ مِنْ هَذِهِ النَّفْسِ زَوْجَهَا، وَمِنْهَا نَشَأَ الْوَجَدُ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، فَأَنْتُمْ جَمِيعًا تَسْتَعِينُونَ إِلَى تِلْكَ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَعِينُونَ بِهِ فِي كُلِّ مَا تَحْتَاجُونَ وَيَسْأَلُ بِاسْمِهِ بِضَاعَكُمْ بَعْضًا فِي تَبَادُلٍ مِنْ أُمُورٍ، وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ فَلَا تَقْطَعُوا قَرِيبَهَا وَبَيْعَهَا، إِنَّ اللَّهَ دَائِمُ الرِّقَابَةِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، لَا تَغْلِبْ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أُمُورِكُمْ وَمِجَازِيكُمُ عَلَيْهَا.

٢ - وَامْلِكُوا الْبَنِيَّ مَا يَسْتَعِينُ مِنْ مَالٍ، وَاحْفَظُوهُ لَمْ، وَلَا تَعْطُوهُمُ الرِّدَى وَتَحْرِمُوهُمْ الْجَيِّدَ، وَلَا تَأْخُذُوا أَمْوَالَهُمْ وَتَضَيِّفُوهَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عَظِيمًا كَبِيرًا.

٣ - وَإِنْ شَرَعْتُمْ بِالْخَوَافِ مِنْ ظُلْمِ الْبَنِيَّ لِأَنَّهُ ذَنْبٌ كَبِيرٌ، فَخَافُوا كَذَلِكَ أَلَمْ نَسْأَلَكُمْ بِعَدَمِ الْعَدْلِ بَيْنَهُنَّ، وَالزَّيْنَةِ عَلَى أَرْبَعٍ، فَتَزَوَّجُوا مِنْهُنَّ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا إِذَا وَقَفْتُمْ بِالْقُدْرَةِ عَلَى الْعَدْلِ، فَإِنْ خِفْتُمْ عَدَمَ الْعَدْلِ فَتَزَوَّجُوا وَاحِدَةً، أَوْ اسْتَمْتَعُوا بِمَا تَمْلِكُ أَيْدِيكُمْ مِنَ الْإِمَاءِ ذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَى عَدَمِ الْوُقُوعِ فِي الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ (١) وَأَقْرَبُ الْإِلَّا تَكْثُرُ عِيَالُكُمْ فَتَمْجُرُوا عَنْ الْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ.

(١) لَمْ تَعْرِضِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنْ بَيْنِ الرِّثَائِطِ الْمَسَاوِيَةِ بَدَأَ تَعْدُدُ الزَّوْجِيَّاتِ، فَشَرِيعَةُ التَّوْرَةِ تَتَبَتِ أَنَّهُ يُبَاحُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْ نِسَاءٍ، وَهِيَ تَذَكِّرُ أَنَّ الْإِنْبِيَاءَ كَانُوا يَتَزَوَّجُونَ مِنَ النِّسَاءِ بِالْمُنْرَاتِ لَا بِالْأَحْدَادِ. وَالتَّوْرَةُ هِيَ كِتَابُ الْمَهْدِ الْقَدِيمِ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْ عَدَمِ التَّصَارُفِ مَالٍ يَرِجِدُ نَحْصٌ قَدْ جَاءَ فِي الْإِنْجِيلِ أَوْ رِسَالَتِ الرِّسْلِ بِعَاقِلَتِهَا، وَلَمْ يَرِجِدْ نَحْصٌ صَرِيحٌ فِي الْمَسَافَةِ، وَالْكَنِيسَةُ كَانَتْ تَأْخُذُ بِالتَّصَدِّقِ وَلَا تَعَارِضُ فِيهِ فِي الْقُرُونِ الْوَسْطَى وَمَاجِدُهَا، وَمَلُوكُ أَوْرُوبَا الْقَدِيمِ عَدَدُوا الزَّوْجَاتِ مَعْرُوفِينَ فِي تَارِيخِهَا. وَإِنَّمَا كَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ انْفَرَدَ بِشَيْءٍ فِي هَذَا الْمَقَامِ، فَالْقُلُوبُ انْفَرَدَ بِهِ أَنَّهُ قَدْ تَعَدَّدَ، فَهُوَ أَوَّلُ شَرِيعَةٍ سَمَوِيَّةٍ قَدِمَتْ التَّصَدِّقَ صَرَاحَةً، فَقَدْ قَدِمَتْهُ بَثَلَانِ أُمُورٍ: أَوَّلُهَا أَلَّا يُزِيدَ عَنْ أَرْبَعٍ، وَثَانِيًا أَلَّا يَكُونَ فِيهِ ظُلْمٌ لِأَحَدٍ مِنْهُنَّ، وَثَالِثًا أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى الْإِنْفَاقِ. وَالنَّطْرَانُ الْآخِرَانِ لِإِمْزَانٍ فِي كُلِّ زَوْجٍ وَلَوْ كَانَ الْأَوَّلُ، فَقَدْ قَرَّرَ قَهْرًا الْمُسْلِمِينَ عَلَى اخْتِلَافِ فِرْعَهِمُ بِالْإِحْرَاقِ أَنَّهُ يَجْرِمُ الزَّوْجَ عَلَى مَنْ يَتَأَكَّدُ أَنَّهُ لَا يَجِدُ مَعَ زَوْجَتِهِ إِذَا تَزَوَّجَ غَيْرَ أَنْ ذَلِكَ التَّحْرِيمُ دِينِي لَا يَتَّقِ تَحْتَ سُلْطَانِ الْقَضَاءِ. لِأَنَّ الْعَدْلَ أَمْرٌ نَفْسِي لَا يَسْلُمُ إِلَّا مِنْ رَجْمَتِهِ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْإِنْفَاقِ أَمْرٌ نَفْسِي لَا يَتَّقِ بِيْزَانٍ وَاحِدٍ، وَلِذَلِكَ تَرَكْنَا الْأَمْرَ فِيهَا إِلَى تَقْدِيرِ الشَّخْصِ وَهُوَ أَمْرٌ عَلَيْهِ الْعَقَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَخْلُوهُ، لِأَنَّ الظُّلْمَ أَوْ الْعِزَّ عَنْ الْإِنْفَاقِ أُمُورٌ تَتَلَقَّى بِالسُّلْطَانِ، وَالْقَهْرُ لَا يَتَّبِعُ صَحْتَهَا عَلَى أُمُورٍ مَوْثِقَةٍ، بَلْ تَتَّبِعُ عَلَى أُمُورٍ وَاقِعَةٍ، وَالظُّلْمُ قَدْ يَكُونُ عَدْلًا، وَالْمَسَاجِرُ =

هَيْبًا مَرِيضًا ۖ وَلَا تَقُولُوا السُّفَهَاءُ أَمْوَالُكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۖ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ اسْتَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا

٤ - وأعطوا النساء مهرهن عطية خالصة ، وليس لكم حق في شيء من هذه المهور ، فإن طابت نفوسهن بالنزول عن شيء من المهر فخذوه وانتفعوا به طيبا محمود العاقبة .

٥ - ولا تقطعوا ضعاف العقول ممن لا يحسنون التصرف في المال أموالهم التي هي أموالكم ، فإن مال اليتيم وضعيف العقل مالكم ، يمينكم أمره وإصلاحه حتى لا يضيع المال ، فقد جعله الله قوام الحياة ، وأعطوهم من ثمراتها النصيب الذي يحتاجون إليه في الطعام ، واكسوهم وعاملوهم بالحسنى ، وقولوا لهم قولاً يرضيهم ولا يؤذيهم ولا يذلهم .

في المال قد يكون قادراً ، فخلال هذا ورائع ، ومع ذلك قرر الإسلام أن الرجل إذا ظلم امرأته أو عجز عن الانفاق عليها كان لها طلب التفريق ولكن لا ينسحب منها من العقد إذا دخلت راضية بغيره في انشائه .

والإسلام أنه قد فتح باب التمسك مع التصديق فيه على ذلك التحول قد دفع أموال إجماعية ؛ فأولاً - قد ينقص عدد الرجال الصالحين للزواج عن عدد النساء الصالحات للزواج ، وخصوصاً عقب الحروب المنيعة . فقد لوحظ في بعض الدول الأوروبية أن عدد الرجال الصالحين بعد الحرب يقل واحد إلى سبع من النساء فيكون من كرامة المرأة أن تكون زوجة ولو مع أخرى بدل أن تكون حائرة بين أحضان الرجال .

وثانياً - قد يكون بين رجل وامرأة مالا يستطيعان معه إلا تكون بينهما علاقة سريعة أو آفة ، فيكون من المصلحة الإجماعية أن تكون سريعة . وغير للمرأة أن تكون زوجة من أن تكون خلية تنتقل بين أحضان الرجال ، وإذا كانت هذه صورة شوهاء للتعدد ، فانه فيها خير من عدم التعدد فإن التعدد على إقبح صورته يدفع شراً إجماعياً أعظم منه .

وثالثاً - لا يمكن أن تقبل امرأة الزواج من متزوج إلا إذا كانت مضطرة إلى ذلك اضطراراً ، فإذا كانت الزوجة الأولى يتألمها ضرر بالزوج بالثانية ، فإن الثانية يتألمها ضرر أشد بالمرء أن تحوت أنوثتها أو تكون ضياعاً بين الرجال والضرر الكبير يدفع بالضرر القليل . رابعاً - قد تصاب الزوجة بمرض لا تكون معه صالحة للعلاقة الجنسية ، أو تكون عقيمة ، فيكون من المصلحة الإجماعية والتسخية الزوج من أخرى .

لهذا المال ولنفسها فتح الإسلام الباب مضيقاً ، ولم يخلقه قاسماً .

أن الإسلام شرعية الله التي يعلم كل شيء ، فهو العلم الحكيم .

إِسْرَافًا وَيَذَارًا أَنْ يَكْبُرُوا^٦ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعِفْ^٧ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ^٨ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
أَمْوَالَهُمْ فَأَتْبِعُوا عَلَيْهِمْ^٩ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا^{١٠} لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ
مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ^{١١} نَصِيبًا مَفْرُوضًا^{١٢} وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا^{١٣} وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً
ضَعِيفًا خَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَلْيَقُولُوا لِلَّهِ عِلَقًا^{١٤} وَإِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى غُلَبًا^{١٥} إِنْ يَأْكُلُونَ
فِي بَطُونِهِمْ ذَرْأًا وَيَصَّوِلُونَ سَعِيرًا^{١٦} يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى^{١٧} فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً
فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ^{١٨} وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنِهَا الثُّدُسُ^{١٩} مِمَّا تَرَكَ
إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ^{٢٠} فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الثُّدُسُ^{٢١} مِنْ

(١٠ - ٦)

٦ - واختبروا عقول اليتامى وبنينا أحوالهم وصرقهم بالنصرف قبل البلوغ، حق إذا أصبحوا صالحين
للزواج وتبينت رندتهم وسداهم فادفعوا إليهم أموالهم، ولا تأكلوها سرفين مستعجلين الانتفاع بها قبل أن يبلغوا
وترد إليهم، ومن كان من الأوصياء عليهم غنيا فليستعفف عن أموال اليتامى، ومن كان فقيرا فليكتف بقدر
ما يكفيه عرفا، فإذا سلمتموهم أموالهم فاضهدوا عليهم، وافه من ورائكم هو الحاسب والمراقب، وكفى به حسيبا
ومراقبا.

٧ - للرجال نصيب من الأموال التي يتركها الوالدان والأقربون - ميراثا - وللنساء أيضا نصيب مما ترك
هؤلاء دون منع أو حبس، وهذه الأنصبة الثابتة مفروضة ومقدرة قلت الأموال أو كثرت.

٨ - وإذا حضر قسمة التركة بعض الأقارب الذين لا يرثون من اليتامى والمساكين، فاعزموهم بإعطائهم
شيئا من هذه التركة تطييبا لنفوسهم، ونزعا للحد من قلوبهم، وبمعنى أن يشفع هذا العطاء بين القول وحسن
الاعتذار.

٩ - وعلى الناس ألا يظلموا اليتامى، وليخافوا على ذريتهم الضعاف أن ينالهم من الظلم ما يفعلونه مع
اليتامى، وليتقوا الله فيهم، وليقولوا قولا مسددا نحو الحق، غير ظالم لأحد.

١٠ - إن الذين يظلمون اليتامى يأخذ أموالهم في غير حق، إنما يأكلون ما يؤذيهم إلى النار، فسيظهر يوم
القيامة بنار شديدة الايلام.

بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَعْمًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ * وَلَكُمْ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ آزُوجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دِينٍ ؕ وَمَنْ تَرَكَ مِمَّا تَرَكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوْصَوْنَ بِهَا أَوْ دِينٍ ؕ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَّةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُنَّ آخُ الْأَوْثَانِ فَلِكُلٍّ وَحِدٌ مِمَّا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ غَيْرِ مَضَارٍ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ

١١ - بأمركم الله في شأن توريث أولادكم وأبويكم - إذا تم - بما يحقق العدل والإصلاح وذلك بأن يكون للذكر مثل نصيب الانثيين إذا كان الأولاد ذكورا وإناثا . فإن كان جميع الأولاد إناثا يزيد عددهن على اثنتين فلهن الثلثان من التركة . ويفهم من مضمون الآية أن الانثيين نصيبها كنصيب الأكثر من اثنتين . وإن ترك بنتا واحدة فلهما نصف ما ترك . وإن ترك أبا وأما فلكل منهما السدس إن كان له ولد معها . ولد ذكر أو أنثى . فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فقط فلهما الثلث والباقي للأب . فإن كان له فلهما السدس والباقي للأب ولا شيء للأخوة . تعطى هذه الأنصبة لمستحقها بعد أداء ما يكون عليه من دين ، وتنفيذ ما وصى به في حدود ما أجازاه الشارع ، هذا حكم الله فإنه عدل وحكيم ، وأنتم لا تدرون الأقرب لكم نفعاً من الآباء والأبناء . والخير فيما أمر الله ، فهو العلم بمصالحكم الحكيم فيما فرض لكم . -

١٢ - للزوج نصف ما تركت الزوجة إن لم يكن لها ولد منه أو من غيره فإن كان لها ولد فلزوجها الربع من بعد وصية يوصي بها أو دين . وللزوجة - واحدة أو متعددة - الربع مما ترك الزوج إن لم يكن له منها أر من غيرها ولد ، فإن كان له منهن أو من غيرهن فللزوجة أو الزوجات الثمن من بعد وصية يوصي بها أو دين ، وولد الابن كالولد فيما تقدم . وإن كان الميت رجلاً أو امرأة ولا ولد له ولا والد وترك أخاً لأم أو أختاً لأم فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث يستوى في ذلك ذكرهم وأنثاهم بمقتضى الشركة من بعد أداء الدين التي عليه وتنفيذ الوصية التي لا تضر الورثة وهي التي لا تتجاوز ثلث الباقي بعد الدين ، فالزموا أيها المؤمنون ما وصاكم الله به فإنه علم بين جبار أو عدل منكم ، حليم لا يعاجل الجائر بحقوة .

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ
يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُؤَبَّدٌ ﴿١٤﴾ وَالَّذِي يَأْتِيَنَّاهُ فَاسْتَغْنُوا عَنْهُ ۚ أَرْبَعَةَ مِائَاتٍ
فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَكُنْ لَهُنَّ فِي الْيَوْمِ حَتَّى يُتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَّاهُ مَنكَرٌ

١٣ - تلك الأحكام المذكورة في بيان الموارث وما سبقها، ترائع الله التي حددتها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها، ومن يطع الله ورسوله فيها حكم به كان جزاؤه الجنة التي تجرى فيها الأنهار خالدا فيها وذلك الفوز العظيم^(١).

١٤ - ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدود ما شرعه مستبيحا ذلك التعدى، يميزه نارا مخلدا فيها، يصيب بها بدنه، إلى جانب عذاب مهين تتألم به روحه.

١٥ - واللاقي يأبين الزنا من النساء أن تشهد عليهن أربعة من الرجال العادلين يسكن في البيوت محصافة عليهن ودفعاً للفساد والشر حتى يأتينهن الموت أو يفتح الله لمن طريقا للغياء المستقيمة بالزواج والتوبة.

(١) نظام الميراث الذي بيته القرآن الكريم أحصل نظام للتوريث عرف في كل قوانين العالم، وقد اعترف بذلك كل علماء القانون في أوروبا، هو دليل على أن القرآن من عند الله، إذ أنه لم يكن مثله ولا قريب منه معروفا عند الفرس ولا عند الرومان، ولا في أي شريعة أخرى قبله، وقد اتفق فيه النظم المعادلة الآتية:

أولاً - أنه جعل التوريث يتنظم بالتسارع لا بارتداء المالكة، من غير أن يجعل هذه الإرادة، بل جعله في الوصية بالمصرف في الثلث ليتدارك نقصها دينها فاته، فتركوات لم يتعدا، أو ليعين بعض ذوي الحاجة من تربط به صلة مودة أو قرابة لا تستحق ميراثا، ومنع الوصية إذا كان الباعث عليها مصعباً أو مخرضا على الاستمرار في مصعبه، وتولى التسارع توزيع الثلثين أن كانت وصية، أو توزيع الكل إذا لم تكن وصية، أو كانت بأقل من الثلث فوزيع التسارع الباقي.

وثانياً - أنه في توليه سبحانه توزيع الثلثين أعطى الأقرب للأقرب من غير تفرقة بين صغير وكبير، ولقوله كان الأولاد أكثر حظا من غيرهم في الميراث، لأنهم امتداد لشخص المالكة، ولأنهم في الغالب ضحايا، ومع ذلك لم يستأثروا بالميراث، بل يشاركهم الأم والجدة، والأب، والجد، وإن كانوا يأخذون أقل من الأولاد.

وثالثاً - أنه يلاحظ في التوريث مقدار الحاجة، ولقوله كان نصيب الأولاد أكبر، لأنهم أكثر احتياجا، إذ هم معقلين على الحياة، والآباء والأمهات مدبرون عنها.

وإن ملاحظة الحاجة هي التي جعلت نصيب المرأة على النصف من نصيب الرجل في أكثر أحوال الميراث، إذ إن التفكيكات المالية التي يطالب بها الرجل أكبر، فهو المطالب بنفقة الأولاد وأصلحهم، وهو المطالب بنفقة المرأة، إذ أن الفطرة الإنسانية هي التي جعلت المرأة قراة على البيت وتديره، ورعاية الأولاد، وتربية راحتهم، وجعلت للرجل كادما يعمل خارج البيت، ويقدم المال المطلوب ليزانية الأسرة.

وإن الاصطاد على مقدار الحاجة هو العدل، والمساواة مع تفاوت الحاجة هي الظلم. وراعيها - أن الشرع الإسلامي في توزيعه للثروة يتجه إلى التوزيع دين التجميع، فلم يجعلها لأولئك البكر، ولم يجعلها للأبناء دون البنات، ولا للأولاد دون الآباء، ولم يحرم من ليسوا من عود النسب، كالأخوة والأعمام وأبناء الأعمام وإن يسموا، فألغيت يند إلى ما يقارب القبيلة، ولكن يأخذ الأقرب للأقرب، ولا يريد في مسائل الميراث أن يتفرد به واحد إلا نادرا. وخامسها - أنه لم يحرم المرأة من الميراث كما كان يجرى عند العرب، بل لها ميراث، وفي ذلك احترام للمرأة - واعتناؤها حقوقها. وفقر ذلك لم يمنع الإسلام قرابة المرأة من الميراث، بل ورت القرابة التي تكون من جانبها، كما ورت القرابة التي تكون من جانب الأب، فالأخوات والأخوة لأم يأخذون عندما يأخذ الأشقاء، بل في بعض الأحيان يأخذ الأولاد لأم ولا يأخذ الأخوة والأخوات، وهذا بلا شك تكريم للأموه، واحتراف بقرابته، ولم يكن ذلك معروفا من قبل، ولكنها شريعة الله العظيم الحكيم.

فَعَذَّبْنَاهُمْ فِيْهَا وَاصْلًا فَاَتَمَرُضُوا عَنْهَا اِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيْمًا ﴿١٦﴾ اِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ
السُّوْءَ بِغَهْلٍ ثُمَّ يَتُوْنُ مِنْ قَرِيْبٍ فَاُولٰٓئِكَ يَتُوْبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيْمًا حَكِيْمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ
لِلَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ السُّوْءَاتِ حَتّٰى اِذَا حَضَرَ اَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ اِنِّىْ تَبْتُ الْفَنَنْ وَلَا الَّذِيْنَ يَمُوْنُوْنَ وَهُمْ كُفَّارٌ
اُولٰٓئِكَ اَعَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا ﴿١٨﴾ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا يَحِلُّ لَكُمْ اَنْ تَرْتَوُوْا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوْهُنَّ لِتَذْهَبُوْا
بِبَعْضِ مَا اَتَيْتُمُوْهُنَّ اِلَّا اَنْ يَّاتِيَنَّ بِفَنْحَسَةٍ مُّبِيْنَةٍ وَعَاشِرُوْهُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ اِنَّ كَرِهْتُمُوْهُنَّ فَعَسَى اَنْ
تَكُوْنُوْا شَيْعًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيْهِ خَيْرًا كَثِيْرًا ﴿١٩﴾ وَاِنْ اُرْدُمُ اسْتَبْدَالَ زَوْجٌ مَّكَانَ زَوْجٍ وَاَتَيْتُمْ اِحْدٰىهُنَّ فَنَقَارَا
فَلَا تَاْخُذُوْا مِنْهُ شَيْعًا اَتَاْخُذُوْهُنَّ يَبْنٰى وَاِنَّمَا مِثْلُهَا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَاْخُذُوْهُنَّ وَقَدْ اَفْضٰى بَعْضُكُمْ اِلَى بَعْضٍ وَاُخْذَنَ

١٦ - والرجل والمرأة اللذان يزنيان وهما غير متزوجين فلها عقوبة محددة - إذا ثبت الزنا بشهادة شهود أربعة عدول - فإن تابا بعد العقوبة فلا تذكروها بما ارتكبا ولا تعيروها به . إن الله يقبل برحمة توبة التائبين .

١٧ - إنما التوبة مضمونة عند الله للذين يعملون السيئات في حال الحفاقة والطيش وعدم التبصر ، ثم يبادرون بالتوبة قبل حضور الموت ، فهؤلاء يقبل الله توبتهم وهو عليم لا يخفى عليه صدق التوبة ، حكيم لا يجهل في تقدير .

١٨ - وليس قبول التوبة للذين يرتكبون الذنوب ثم لا يبادرون بالندم عليهما ، إلى أن يحضر أحدهم الموت فيقول : ائني أعلن الندم والتوبة الآن ، كما لا تقبل التوبة من الذين يموتون على الكفر ، وقد أعد الله للفريقين عذابا مؤلما في دار الجزاء .

١٩ - يا أيها الذين آمنوا لا يجوز لكم أن تعجلوا النساء كالنخاع ، فترهقن زوجات لكم من غير صداق ، وهن كارهات ، ولا تعظلهن بالتضييق عليهن ليزلن عن بعض ما أتيتوهن من مهور ، ولا تضيقوا عليهن لتستردوا بعض ما أتيتوهن من مال إلا أن يرتكبن إلما بينا بنشوز أو سوء خلق أو فجور ، فلكم أن تضيقوا عليهن أو تأخذوا بعض ما أتيتوهن عند الفراق ، وعليكم أيها المؤمنون أن تحسبوا عشرة نسائك قولا وعملًا فإن كرهتموهن لبيب في الخلق أو الخلق أو غيرهما فاصبروا ولا تنجلوا فراقهن ففى أن يجعل الله في المكروه لكم خيرا كثيرا وعلم الأمور كلها عند الله .

٢٠ - وإن أردتم أن تستبدلوا زوجة مكان أخرى واعطيتم واحدة منهن مالا كثيرا فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه على وجه البطلان والاثم المين ؟ .

مِنْكُمْ مِثْلًا غَلِيظًا ۝ وَلَا تَسْكُبُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنْ كَانَ فَحِشٌ وَمِمَّا وَسَاءَ سَبِيلًا ۝ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُ النِّسَاءِ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهُنَّ نِسَاءُكُمْ وَرَبِّبُكُمْ الَّتِي فِي جُودِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بَيْنَ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَالٌ بَيْنَهُمَا الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِذَا لَكُمْ مَاوراءَ ذَلِكَ أَنْ تُنْفِقُوا بَأْسَاطُكُمْ عَلَى مَحْصَنِينَ غَيْرِ مُسْفِعِينَ ۚ لَمَّا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِمْ مِنْهُنَّ فَفَاتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ

٢١ - وكيف يسوغ لكم ان تستردوا ما أعطيت من مهر وقد امتزج بضمكم ببعض وأخذن منكم عقدا فويا موقفا أهل الله به العشرة الزوجية.

٢٢ - ولا تتزوجوا - أيها الأبناء - ما تزوج آبائكم من النساء ، انه كان أمرا فاحشا للتيق ، يحقته الله والناس ، وهو أسوأ سبيل ومقصدا ، وان الله يغفر عما قد سلف منكم في زمن الجاهلية^(١).

٢٣ - حرم الله عليكم أن تتزوجوا أمهاتكم وبنااتكم وأخواتكم وعمااتكم وخالاتكم وبناات الأخ وبناات الأخت وأمهااتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضااعة ، وأمهاات نسااتكم ، والمهرماات لغير النسب : أمهاات الرضااعة ، والأخواات من الرضااعة^(٢) ، وأمهاات الزوااات وبناات الزوااات من غير الأزوااا إذا دخل بين ، وزواااات أباااا الصلب ، والجمع بين الأختين ، وما سلف في الجاهلية فإنه مغفور عنه . إن الله غفور لما سلف قبل هذا النهج ، رحيم بكم فيما شرع لكم .

(١) كان عند العرب في الجاهلية عادات ليس فيها تكريم للمرأة بل فيها ظلم شديد ، وفيها قطع العلاقة التي تربط بين الأسرة ، فكان الرجل إذا مات أبوه وكان متزوجا غير أنه يرضى عليها زواجاها منه ، أو يورث زواجا أبيه من غير عقد ينفقه عليها جديدا ، وكان الرجل إذا طلق امرأته وقد دخل بها يسترد كل ما أعطها من مهر ظلالا مستغنيا . ومنهم من كان يصل على نفسها من الزواج بفسهه مستغنيا أبا ، ولا يصير لها في ذلك الوسط ، فجاء الاسلام ، ووقع عنها ذلك الظلم البين ، ونهى عن أن يورث زواجا النساء ، وان يسترد فوه من المهر ، ولو كان قطارا ، ونهى عن الفضل وهو منع المرأة من الزواج أو إيقاعها لحملها على طلب الطلاق بحال تطليه .

وكان من الجائز عندهم ان الرجل يتزوج من زوجها أبوه ، واقترع عنها بطلاق أو نحو ، ونهى الاسلام عنه ، ومما قلنا ، لأنه أمر فاحش للتيق ، يحقته الله ، ويقتضيه أهل الفضول المستقيمة ، فذلك عدل الله .

(٢) اخضعت شريعة القرآن من بين التراجيح القاطعة بالتحريم بسبب الرضااعة ، لأن الرضيع ينفق من جسم المرضع كما ينفق من جسم أمه في طفلها فكلاهما يكون أجزاء جسمه ، ولا فرق بين تكوين في الحميم ، وتكوين في اللبن ، وفي التحريم بالرضااعة تكون المرضع إذ تكون كلاما في التحريم ، وفي هذا تشجيع على الارضاع التي هو الغذاء الطبيعي للأطفال في الهده .

تسبق هذه الآية الشريفة علم الروااة فيما قرره من تحريم زوااا الاقارب ، وقد ثبت علميا أصحرا ان زوااا الاقارب يسبب فرية

وَلَقَدْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَتَّبِعُهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَآ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ۖ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا وَعَدَاوَةً فَلِسُوفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ يَجْنِبُوا كِبَارَ مَا تَهْتُونَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سِيفَانِكُمْ وَقَدْ خَلَّكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَسِعِلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلِّ شَيْءًا وَعَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكَ فَعَاوَهُمْ نَصَبِيهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَشِيدًا ﴿٣٣﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ وَمَا

٢٨ - يريد الله أن ييسر عليكم بشرع مافيه سهولة لكم . وتخفيف عليكم . وقد خلق الله الانسان ضعيفا أمام غرائزه وميوله . فيناسبه من التكاليف مافيه يسر وسعة . وذلك هو ما يكلف الله عباده فضلا وتيسيرا .

٢٩ - يأبأ الذين آمنوا لا يأخذ بعضهم مال بعض بغير الحق . ولكن تجوز لكم التجارة بالتراضي منكم . ولا تهلكوا أنفسكم بمخالفة أوامر ربكم . ولا يميني أهدكم على أخيه فانما هي نفس واحدة . ان الله دائم الرحمة بكم .

٣٠ - ومن يقدم على فعل ما حرم الله اعتداه وتحاوزا لحقه . فسوف ندخله نارا يحترق فيها . وكان ذلك على الله هينا ميسورا .

٣١ - ان تبتعدوا عن الذنوب العظيمة التي ينهاكم الله عنها نزع عنكم مادونها من السيئات والصفائر مادمتم باذلين جهدكم في الاستقامة . ونزلكم في الدنيا والآخرة منزلا فيه احسان لكم وتكريم .

٣٢ - ولا يتطلع الرجال الى ما ميز الله به النساء . ولا النساء الى ما ميز به الرجال . فان لكل فريق حظا ملائما لما طبع عليه من العمل وما أضيف اليه من المفضل . فليتجه كل الى رجاء الاستزادة من فضل الله بنتمية مواهبه والاستقامة على ما نيط به . ان الله كان علما أتم العلم بكل شيء . وقد اعطى كل نوع ما يصلح له .

٣٣ - ولكل من الرجال والنساء جعلنا مستعفين لتركهم يكونون خلفاء لهم . وهم الوالدان والأقربون والذين عقد المتوفى لهم عقدا مقتضاه أن يرثوه اذا مات من غير قرابة . وينصروه اذا احتاج الى نصرتهم في مقابل ذلك . فأتوا كل ذي حق حقه ولا تنتقصوه شيئا . ان الله كان رقيقا على كل شيء . حاضرا مكمم . يشهد ما تنصرفون به .

فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَلَا صَلَاحَ لَهُ تَلَكَّتْ حَفِظْتَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ
وَالَّتِي تَخَافُونَ نُزُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاجْهَرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَعْرِضُوهُنَّ فَإِنَّ أَعْيُنَكُمْ فَلَا تَبْصُرُ عَلَى سَبِيلِ
إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٥﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَنْبِئُوا حَكَامَ مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَامَ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا
يُوقِفُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيًّا خَبِيرًا ﴿٣٦﴾ * وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
إَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُجُورًا ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ يَخْلَوْنَ بِأَمْوَالِ الْإِنْسَانِ وَالْبَعْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا لَهُمْ مِنْهُمْ

٣٤ - الرجال لهم حق الصيانة والرعاية للنساء ، والقيام بشؤونهن بما أعطاهم الله من صفات تهيئهم للقيام بهذا الحق ، وبسبب أنهم هم الذين يكدون ويكسبون المال الذي ينفقونه على الأسرة ، فالصالحات مطيعات لله ولأزواجهن ، حافظات لكل مايلبى عن أزواجهن بسبب أمر الله بهذا الحفظ وتوفيقه لهن . والزوجات اللاتي تظهر منهن براءد المصيان ، فانصحوهن بالقول المُر ، واعتزلوهن في الفرائض . وعاقبهن بضرب خفيف غير مبرح ولا مهين عند الفرد ، فان رجعن الى طاعتكم في أى سبيل من هذه السبل الثلاث ، فلا تطلبوا السبيل التي هي أشد منها بغيًا عليهن ، ان الله فوقكم وينتقم منكم اذا أذنبتموهن أو بغيتم عليهن .

٣٥ - وان حدث خلاف بين الزوجين وخفتم منه حدوث انشقاق بينها يعرضها للانفصال ، فاختاروا حكيم . أحدهما من أهله والآخر من أهلها ، ان يريدَا إصلاحًا يوقِفُ الله بينهما في الوصول الى ما هو خير للزوجين من معاشرة بالمعروف أو تسريح باحسان . ان الله كان مطلعًا على ظواهر العباد وبواطنهم .

٣٦ - واعبدوا الله وحده ، ولا تجعلوا معه شريكا في الألوهية والعبادة ، وأحسنوا الى الوالدين احسانًا لانتصير فيه ، والى اقرباتكم والى اليتامى ، والذين افتقروا بسبب عجزهم او ذهاب الكوارث باموالهم ، وبالجار القريب النسب والجار الأجنبي ، والرفيق لك في عمل أو طريق أو جلوس ، والمسافر المحتاج الذى لا قرار له في بلد معين ، وبما ملكتم من الأرقاء فتيانًا وفتيات . ان الله لا يحب من كان متعاليًا على الناس : لاتأخذه بسم رحمة . كثير اتحدح بنفسه .

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيعًا النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ۝ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأُنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۝ إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ۝ يَوْمَ يَدْعُ الْأُولَىٰ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ ۖ لَوْ أُسْوَىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ۝ يُنَادِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَارِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَنْسَمَ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا

٣٧ - أولئك الذين يضمنون إلى التكبر والتباهي البخل بأموالهم وجهودهم عن الناس، ويدعون الناس إلى مثل صنيعهم من البخل، ويخفون نعمة الله وفضله عليهم فلا ينفقون أنفسهم ولا الناس بذلك، وقد أعدنا للجاحدين آتاهم عذابا مؤلما مذلا.

٣٨ - والله لا يحب الذين يبذلون المال للرياء قاصدين أن يراهم الناس فيحمدوهم ويصلوهم، وهم غير مؤمنين بالله ولا يوم الجزاء، لأنهم اتبعوا الشيطان فأضلهم، ومن يكن الشيطان صاحبه فيبس صاحب.

٣٩ - ألا قبحا لهؤلاء، لما الذي يضرهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر، وبذلوا مما آتاهم الله استجابة لهذا الايمان، وما يقتضيه من اخلاص النية ورجاء الثواب. والله عالم كل العلم بواطن الأمور وظواهرها.

٤٠ - ان الله لا يظلم أحدا شيئا فلا ينقص من أجر عمله ولا يزيد في عذابه شيئا، وبضائع للمحسن ثواب حسنة منها قلت، ويعطى من فضله عطاء كبيرا غير مقابل بالمحسنات التي يضاعفها.

٤١ - فكيف يكون حال هؤلاء الباطلين والمعرضين عما أمر الله به، إذا جئنا يوم القيامة بكل نبي شهيدا على قومه، وجئنا بك - يا أيها النبي - شهيدا على قومك وفيهم المانعون والمعرضون؟

٤٢ - يوم يحدث هذا، يود الجاحدون المعرضون لو يغيثون في الأرض كما يغيث الأموات في القبور، وهم لا يستطيعون أن يحفظوا عن الله أى شأن من شؤونهم، ويظهر كل أحوالهم وأعمالهم.

يُجْهِدُكَ وَيَذِيكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُسْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن يُضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَوْنِي بِاللَّهِ وَكِفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يَحْرِفُونَ الْحَرَامَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ سَمْعٍ وَرَاعِنَا لَبِئْسَ بِالنَّاصِينَ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ بَنَاتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا

٤٣ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْتُوا الصَّلَاةَ فِي الْمَسَاجِدِ حَالٍ سَكْرَمٍ حَتَّى تَفْقَهُوا مَا تَقُولُونَ ، وَلَا تَدْخُلُوا الْمَسَاجِدَ وَأَنْتُمْ عَلَى جَنَابَةٍ إِلَّا إِذَا كُنْتُمْ عَابِرِينَ الْمَسَاجِدَ عِوَارًا دُونَ اسْتِقْرَارٍ فِيهَا ، حَتَّى تَطَهَّرُوا بِالْإِغْتِسَالِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى لَا اسْتَطِيعْتُمْ اسْتِعْمَالُ الْمَاءِ خَشْيَةَ زِيَادَةِ الْمَرَضِ أَوْ يَطَّءُ الْبَرَاءُ ، أَوْ سَافِرِينَ يَشِقُّ عَلَيْكُمْ وَجُودُ الْمَاءِ ، فَاقْصِدُوا الْقَرَابَ الطَّيِّبَ ، وَكَذَلِكَ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ مِنَ الْمَكَانِ الْمَحْدُودِ لِقَاءَ الْحَاجَةِ أَوْ أَنْتُمْ النِّسَاءُ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً تَطَهَّرُونَ بِهِ لِفَقْدِهِ ، فَاقْصِدُوا تَرَابًا طَيِّبًا فَاضْرِبُوا بِهِ أَيْدِيَكُمْ ، وَاسْمَعُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنْ اللَّهَ مِنْ شَأْنِهِ الْعَفْوُ الْعَظِيمُ وَالْمَغْفَرَةُ .

٤٤ - أَلَا تَعْجَبُ مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُوتُوا حِطًّا مِنَ الْكِتَابِ السَّابِقَةِ ، يَتَوَكَّنُونَ الْهَدْيَ وَيَتَنَزَّهُونَ الضَّلَالَةَ فِي شَأْنِ أَنْفُسِهِمْ ، وَيُرِيدُونَ مَنَافِعَ أَنْ يَتَّبِعُوا مِثْلَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَهُوَ صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ .

٤٥ - وَاللَّهُ أَعْرَفُ بِكُمْ بِأَعْدَائِكُمُ الْحَقِيقِينَ ، وَأَخْبَرُ بِمَا تَطْرُقُ عَلَيْهِ نَفْسُكُمْ ، وَوَلَايَةُ اللَّهِ تَحْمِيكُمْ وَتَكُلُومُكُمْ وَتَكْفِيكُمْ ، فَلَا تَطْلُبُوا وَلَايَةَ غَيْرِ وَلَايَتِهِ وَتَكْفِيكُمْ نَصْرَتِهِ فَلَا تَسْتَعِينُوا بِسِوَاهِ .

٤٦ - مِنَ الْيَهُودِ فَرِيقٌ يَمِيلُونَ الْكَلَامَ عَنْ مَعْنَاهُ ، وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِلَّهِ : سَمِعْنَا الْقَوْلَ وَعَصَيْنَا الْأَمْرَ . وَيَقُولُونَ أَسْمِعْ كَلَامَنَا - لَا سَمِعْتَ دَعَاءَ - يَدْعُونَ بِذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ وَيَقُولُونَ (اِسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ) فَالْإِغْلَظُ بِسُوءِ قَوْلِهِمْ وَمَرَادِهِمْ مَعْنَى الدَّعَاءِ عَلَيْهِ ، وَيُوهِنُونَ أَنْ مَرَادَهُمُ الدَّعَاءُ لَهُ .

وَيَقُولُونَ (رَاعِنَا) يَلْوُونَ بِمَا أَلَسْتُمْ بِهِمْ يَوْهِنُونَ أَنْهُمْ يُرِيدُونَ « أَنْظُرْنَا » فَيُظْهِرُونَ أَنْهُمْ يَطْلُبُونَ رِعَابَتَهُ وَيَطْلُبُونَ وَصْفَهُ بِالرَّعُونَةِ ، وَيَطْلُبُونَ بِذَلِكَ فِي الَّذِينَ لَوْصَفَ بِمِثْلِهِ بِالرَّعُونَةِ .

وَلَوْ أَنَّهُمْ اسْتَقَامُوا وَقَالُوا (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) بِدَلِّ قَوْلِهِمْ (سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) وَقَالُوا (اِسْمِعْ) دُونَ أَنْ يَقُولُوا (غَيْرَ مَسْمُوعٍ) ، وَقَالُوا (أَنْظُرْنَا) بِدَلِّ (رَاعِنَا) لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ بِمَا قَالُوهُ وَأَعْدَلَ مِنْهُ سَبِيلًا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ طَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ بِأَعْرَاضِهِمْ فَلَا تَجِدُ مِنْهُمْ مَنِ اسْتَجَابَ لِدَعَايِ الْإِيمَانِ إِلَّا عِدَدًا قَلِيلًا .

عَلَىٰ أَذْيَبِهَا أَوْ تُلْعَنَ لَهَا سَبْعَ سَبْعِينَ مِائَةً وَإِنَّ لَهَا فِي جَهَنَّمَ حَافِظًا ۝٤٧ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْرَأُ بُرْكَ بِهٖ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَن يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ فِثْلًا ۝٤٩ أَنْظِرْ كَيْفَ يَقْرَوْنَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَيْفَ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٠ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاتِ وَالطُّغُرَتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۝٥١ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن مَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۝٥٢ أَمْ هُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ

٤٧ - يأبى الذين أوتوا الكتاب الذى أنزله الله آمنوا بما أنزلنا من القرآن على محمد مصدقا لما معكم ، من قبل أن نزل بكم عقابا تنمحي به معالم وجوهكم فتصير كأقنيتها ، لا أنف فيها ولا عين ولا حاجب ، أو تطردكم من رحمتنا كما طردنا الذين خالفوا أمرنا بفعل مااتوا عنه من الصيد يوم السبت . وكان قضاء الله نافذا لا مرد له .

٤٨ - ان الله لا يغفر الاثراك به . ويفوقها دون الاثراك من الذنوب لمن يشاء من عباد ، ومن يشرك بالله فقد ارتكب - مفترقا على الله - ذنبا كبيرا لا يستحق معه الغفران .

٤٩ - لاتعجب من هؤلاء الكافرين الذين يفترون بأعياهم ، فتبين لهم سوء عملهم فيرونه حسنا ، ويثنون على أنفسهم مزيين لها ، والله وحده هو الذى يعلم الحبيث من الطيب ، فيزكى من يشاء ولا يظلم أى انسان قدره مها كان ضئيلا .

٥٠ - كيف يختلفون على الله الكذب بهذا ومثاله ، وكفى بالكذب على الله ذنبا واضحا يكشف عن خبيث طويته .

٥١ - ألامعجب من أمر هؤلاء الذين أوتوا حظا من علم الكتاب ، يرضون عبدة الأصنام والشيطان ويقولون عن الذين عبدوا الأوثان انهم أهدى من أهل الايمان طريقا .

٥٢ - أولئك الذين خنلهم الله وطردهم من رحمة ، ومن يخذله الله ويطرده من رحمة فليس له من ينصره ويحميه من غضب الله .

٥٣ - لقد حرم هؤلاء نعمة الاذعان للحق ، كما حرموا السلطان ، ولو أوتوه مانقصوا الناس به بأى قدر ولو كان ضئيلا .

إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلْبًا تَصْجَتُ جُلُودُهُمْ بِدَلْسِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا قَائِلُونَ ﴿٥٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِهِ أَنْ تَأْتُوا الْأَمْنَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا بِعَظَمِكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ بَنِيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَوَدُّهُ

٥٤ - كيف يستكثر هؤلاء على العرب ما آتاهم الله من فضله بعث النبي منهم ، مع أن الله قد آتى إبراهيم وآله - وهو أبوكم وأبوه - الكتاب المنزل والنبوة والملك العظيم .

٥٥ - فن الذين بعث فيهم إبراهيم وآله من آمن بالكتاب المنزل اليهم ، ومنهم من أعرض عنه ، وحسب هؤلاء المعرضين عن دعوة الحق جهنم تكون نارا حامية .

٥٦ - ان الذين جحدوا حججنا البينات ، وكذبوا الأنبياء ، سوف ندخلهم النار التي تكوى بها جلودهم ، وكلما فقدت الاحساس بالعذاب بدلم الله جلودا غيرها جديدة ليستمروا في ألم العذاب ، ان الله تعالى غالب على أمره ، حكيم في فعله ، يعذب من جحد به وأصر على ذلك حتى مات^(١) .

٥٧ - والذين صدقوا بما جاءهم من ربه وعملوا الأعمال الصالحة ، سنثيبهم على إيمانهم وعملهم ، فندخلهم جنات تجري تحت أشجارها الأنهار ، لانتهى حياتهم فيها أبداً ، لهم فيها أزواج مطهرة من العيوب والآداس . ونحييهم حياة ناعمة في ظل ظليل من العيش الطيب والتعيم المقيم .

٥٨ - ان الله يأمركم أيها المؤمنون أن توصلوا جميع ما أئتمتم عليه من الله أو الناس إل أهله بالعدل ، فلا تهوروا في الحكم ، هذه موعظة من ربكم فاحرصوا عليها ، فنعمت الموعظة التي يعظكم بها . ان الله دائما مهيئ لما يقال ، بصير بما يفعل ، فيعلم من أدى الأمانة ومن خان ، ومن حكم بالعدل أو جار فيجازي كلا بعمله .

(١) تدل الآية الكريمة على ندة العذاب الذي يتعرض له اصحاب النار بدليل ما تقرر الحقيقة العلمية من أن الاعصاب المنتشرة في طبقات الجلد هي أكثر الاعصاب حساسة لطيف المؤثرات من حرارة وبرودة .

إِلَى اللَّهِ وَالرُّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا إِلَى الْإِلَهِاتِ مُتَقَبِّلِينَ وَأَمَّا آيَاتُ الْكِتَابِ فَهُمْ يُخَوِّفُونَ ۚ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ أَنْزَلْ إِلَيْنَا اللَّهُ أَلَيْسَ لِلَّهِ الْإِلَهِاتُ كُلُّهَا قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۚ ﴿٦١﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مَا يَفْعَلُونَ بِالَّذِينَ نَبَايَا ۚ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۚ فَإِذَا صَبُّوا ضُرًّا مِنْهُ سَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْبُكُورِ وَالْآخِرِ ۚ إِنَّهُمْ مُخْلِصُونَ لَهُم مَقَالِدَهُمْ ۚ وَإِذَا تَوَلَّى سَوَآءُ الْأُفُقِ الْأَيْمَنِ فَكَانَ لِمِيقَاتِنَا يَوْمِ الْحَكِيمِ ﴿٦٢﴾ أَتُفَكِّرُونَ وَلَمْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ إِنَّهُمْ مُكِيدُونَ ۚ ﴿٦٣﴾

٥٩ - يأبى الذين صدقوا بما جاء به محمد أطيعوا الله وأطيعوا الرسول والذين يلون أمرهم من المسلمين القائلين بالحق والعدل والمتقين الشرع ، فإن تنازعتم في شئ فهو بينكم فاعرضوه على كتاب الله وعلى سنة رسوله لتعلموا حكمه ، فإنه أنزل عليكم كتابه وبينه رسوله ، وفيه الحكم فيها اختلفتم فيه ، وهذا مقتضى إيمانكم بالله واليوم الآخر ، وهو خير لكم ، لأنكم تهتدون به الى العدل فيها اختلفتم فيه ، واحسن عاقبة ، لأنه يمنع الخلاف المؤدى الى التنازع والضلال .

٦٠ - ألا تعجب - أيها النبي - من الذين يدعون أنهم صدقوا بما أنزل عليك من الكتاب وما أنزل من قبلك من الكتب ، يريدون أن يتحاكوا في خصوماتهم الى ما فيه الضلال والفساد وحكم غير الله ، وقد أمرهم الله أن يعبدوه ولا يتحاكوا اليه ، ويريد الشيطان ان يصددهم عن طريق الحق والهدى ، فيضلهم عنه ضلالا بعيدا .

٦١ - وإذا قيل لهم أقبِلوا على ما أنزل الله من قرآن وشرية ، وعلى رسوله ليبين لكم ، رأيت الذين يناقضون يعرضون عنك اعراضا شديدا .

٦٢ - فكيف تكون الحال اذا نزلت بهم نازلة بسبب غيب نفوسهم وسوء اعمالهم ، ولم يجيدوا ملجأ الا اليك ، فجاءوك يقسمون بالله بين يديك أنهم لا يريدون بأقوالهم وتصرفاتهم الا الاحسان وطلب التوفيق .

٦٣ - أولئك الذين يقسمون أنهم لا يريدون الا الاحسان والعمل الموفق ، يعلم الله حقيقة ما في قلوبهم وكذب قولهم ، فلا تلتفت الى كلامهم وادعهم الى الحق بالموعظة الحسنة ، وقل لهم قولا حكيا بالفا يصل الى أعناق نفوسهم .

وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَلَّا يُرْسِلَ اللَّهُ تَوَابًا رَحِيمًا ﴿٦٥﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٦﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا قَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبَيُّنًا ﴿٦٧﴾ وَإِذَا لَا يَتَذَكَّرُ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٨﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٩﴾ وَمَن يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٧٠﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ

﴿٧٠﴾

٦٤ - وما أرسلنا من رسول الا كان الشأن في رسالته ان يطاع ، وان تكون طاعته بان من الله وان من يناقض أو يكذب أو يخالفه يكن ظالما لنفسه ، ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم رجعوا الى الهدى فجامعوك وطلبوا المغفرة من الله على ما قدموا ، ورجعت المغفرة لهم بمقتضى رسالتك وما رأيت من تغير حالهم ، لوجدوا الله سبحانه وتعالى كثير القبول للتوبة رحيا بعباده .

٦٥ - فوريك لا يبدون مؤمنين بالحق مذعنين له ، حتى يحكموك حكما فيما يكون بينهم من نزاع ، ثم لا تضيق نفوسهم أى ضيق بما قضيت ، ويدعوا لك ادعاء المؤمن المصدقين .

٦٦ - ولو أننا فرضنا عليهم المشقة البالغة بأن أمرناهم بالجهاد المستمر ، وأن يعرضوا أنفسهم للطف ، أو ينفروا من ديارهم مجاهدين دائما ، ما أطاع الا عدد قليل . ولكن الله سبحانه وتعالى لا يكلف الا ما تحتمله الطاقة ، ولو أنهم فعلوا وقاموا بحقه لكان في ذلك خير الدنيا والآخرة لهم . وهو يؤدي الى تثبيت الايمان . والاستقرار والاطمئنان .

٦٧ - وإذا قاموا بحق التكليف الالهى الذى يكون في وسمهم ، لأعطاهم الله على ذلك الثواب العظيم من فضله .

٦٨ - ولكانوا بسبب اطاعتهم فيما يطبقون . قد هداهم الله الى الطريق المستقيم الذى لا افراط فيه ولا تفريط .

٦٩ - ومن بطع الله والرسول بالتسليم لأمرها والرضا بحكمها ، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق في الدنيا والآخرة من أنبيائه وأتباعهم الذين صدقوهم واتبعوا مناهجهم والشهداء في سبيل الله ، والصالحين الذين صلحت سريرتهم وعلانياتهم ، وما أحسن هؤلاء رفقاء لا يشق جليسهم ، ولا يمل حديثهم .

وَكُنَّ لِلَّهِ عَظِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا بُنْيَاتٍ أُوتُوا رَافِقًا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ أَصَبْتُمْ مَوْبِعَهُمْ ﴿٧١﴾ وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضَلَّ مِنْ اللَّهِ لَئِقُولَنْ كَانَ لَرَّ تَكُنَّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ بَلَّيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٢﴾ * فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ وَمَا تَكُنْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أُهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٤﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَقْتُلُونَ

٧٠ - تلك الميزة العظيمة لمن أطاع الله ورسوله هي الفضل الكبير من الله ، وهو علم بالأعمال ومثب عليها ، ويكني المؤمن علم الله بحاله ، وهو يقوم بطاعته ويطلب مرضاته .

٧١ - يا أيها الذين آمنوا كونوا في حذر دائم من أعدائكم ، وخذوا الأبهة لرد كيدهم ، واخرجوا لقتالهم جماعات متفرقة ، جماعة بعد جماعة ، أو اخرجوا لهم مجتمعين .

٧٢ - واحذروا المشيطين الموصفين فان من يعيش معكم من شيط عن القتال ويتخلف عنه ، فان أصابكم نكبه في الجهاد ، قال ذلك الفريق المتخلف شامتا : قد أنعم الله على اذم أشهد معهم هذا القتال .

٧٣ - وان جاءكم فضل من الله بالنصر والفوز بفنائم القتال ، قال ذلك الفريق - متحسرا تمنيا الأمانى - باليتى كنت معهم في هذا القتال فأفوز بظيم الفنائم ويقول هذا القول وكأنه لا رابطة من المودة تربطه بكم .

٧٤ - اذا كان منكم من يعوق أو يبطئ ، لضعف في ايمانه ، او خور في عزيمته . فليقاتل في سبيل اعلاء كلمة الله والحق الذين يبيعون الحياة الدنيا طالين الحياة الآخرة ، ومن يقاتل في سبيل اعلاء كلمة الله والحق فسينال احدى الحسنين فاما أن يقتل فينال فضل الاستشهاد في سبيل الله ، أو ينتصر فينال فضل الفوز في الدنيا ، وهو في كلتا الحالتين يؤتيه الله أجرا عظيما في الآخرة .

٧٥ - كيف يسوغ لكم ألا تقاتلوا في سبيل الله . مع أن المستضعفين من الرجال والنساء والذرية يستغيثون ويستنصرون ضارعين الى أن يقولون : ربنا اخرجنا من ولاية هؤلاء الظالمين ومكنا بفوتكم ورحمتك من أن نكون تحت ولاية المؤمنين ، واجعل لنا من عندك نصيرا نصرتنا .

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ الْمَلُوتِ فَقَتَلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾
 أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
 يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقُلُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَّا أَجَلَ قَرِيبٍ ﴿٧٧﴾
 الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تَطْلُبُونَهَا فَمَا لَمْ تَكُونُوا بِدُرُكِكُمُ الْمَوْتِ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رُوحٍ
 مُشِيرَةٍ وَإِنْ نُصِبْتُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَلْ لَنَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نُصِبْتُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَلْ لَنَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قُلْ كُلٌّ
 مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَكُلِ مِمَّا كَادُوا يَفْقَهُونَ حَيْثُ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ
 مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَوْنُ بِآلِهِ شَهِيدًا ﴿٧٨﴾ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ

٧٦ - الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له يقاتلون في سبيل إعلاء كلمة الله والعدل والحق والذين جحدوا
 أو عاندوا يقاتلون في سبيل الظلم والفساد وبذلك كانوا أولياء الشيطان، فإليها المؤمنين قاتلهم لأنهم أعوان
 الشيطان وأتصاره واعلموا أنكم منتصرون عليهم بتأييد الله، لأن تدبير الشيطان مها عظم فساده ضعيف، والعلية
 للحق.

٧٧ - ألم تنظر يا محمد فتعجب إلى الذين رغبوا في القتال قبل أن يبعيهم إلا أن به قتلهم لم يأت وقت
 القتال: فكفوا أيديكم عنه، واحرصوا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فلما فرض الله عليهم القتال إذا طائفة
 منهم يخافون الناس كخوف الله أو أشد. وقالوا مستغربين: لم كتبت علينا القتال؟ متوهين أن في فرضية القتال
 تعجلاً لأجلهم، ولذلك قالو: هلا أخرتنا إلى زمن قريب نستمتع فيه بما في الدنيا؟ فقل لهم: تقدموا للقتال
 ولو أدى إلى استشهائكم، ففان الدنيا مها عظم قليل بيجوار متاع الآخرة، والآخرة غير وأعظم لمن اتق الله
 وستجزون على أعمالكم في الدنيا ولا تنقصون من الجزاء شيئاً مها صغر.

٧٨ - ان الموت الذي تفرق منه ملائكتكم أينما كنتم، ولو كانت اقامتكم في حصون مشيدة وأن هؤلاء المخاضرين
 لضعف أيمانهم يقولون: ان أصابهم فوز وغنيمة: هي من عند الله، وان أصابهم جلد أو هزيمة يقولوا لك يا محمد
 هذه من عندك، وما كان يشركك. فقل لهم: كل ما يصيبكم مما تحبون أو تكرهون فهو من تقدير الله ومن عنده
 اختيار وإتلاء، فما هؤلاء الضعفاء لا يتركون قولاً صحيحاً يتحدث به إليهم.

٧٩ - ما يصيبك - أي النبي - من رضاء ونعمة وعافية وسلامة فمن فضل الله عليك، يتفضل به إحساناً منه
 إليك، وما أصابك من شدة وشقة وأذى ومكره فمن نفسك بسبب تقصير أو ذنب ارتكبته. والمخطاب للنبي لتصوير
 النفس البشرية وان لم يقع منه ما يستوجب السيئة، وإرسالناك رسولاً من عندنا للناس جميعاً، والله شهيد على
 نبيك وعلى أجاتهم، وكفى به علياً.

وَمَنْ تَوَلَّى فَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِنَّا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ
وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْهِنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَقَانُ ۚ وَلَوْ كَانَ
مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
الرَّسُولِ وَلَمْ أَكُنِ الْأَمْرُ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَمِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَفُتِنْتُمْ بِالْأَشْيَاءِ
الَّتِي آتَتْكُمْ ۖ فَبَقِيَ الَّذِينَ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ أَسْوَاقُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ أَسْوَاقُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ أَسْوَاقُهُمْ ۖ



٨٠ - من يطع الرسول فقد اطاع الله ، لأنه لا يأمر إلا بما أمر الله به ، ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه . فكانت طاعته في الامتثال والاتباع طاعة لله . ومن أعرض عن طاعتك ، فإنا أرسلناك إلا بشيرا أو نذيرا حفيظا ومهيما عليهم ، تحفظ عليهم أعمالهم ، إن ذلك لنا لا لك .

٨١ - ويقول هذا الفريق المتردد : أمرنا طاع ، وليس لك منا إلا الطاعة فيما تأمر وتنهى ، ولكن إذا خرجوا من عندك واعتدوا عنك دبرت طائفة منهم أمرا وبهتة ، غير الذي تقول أنت لهم من أمر ونهى ، والله سبحانه وتعالى يخصهم عليهم ما يدبرونه في خفاء . فلا تلتفت إليهم ، وأعرض عنهم . وفوض أمرك إلى الله ، وتوكل عليه وكل أن يكون الله وكيلا وحافظك تفوض إليه جميع أمورك .

٨٢ - أفلا يتدبر أولئك المنافقين كتاب الله فيعلموا حجة الله عليهم في وجوب طاعته واتباع أمره ، وأن هذا الكتاب من عند الله لا اختلاف معانيه وأحكامه ، وتأيد بعضه لبعض . فهذا دليل على أنه من عند الله ، إذ لو كان من عند غيره لتناقضت معانيه ، واختلقت أحكامه اختلافا كبيرا .

٨٣ - وإذا اطلمت - هذه الطائفة النافقة - على أمر يتعلق بقوة المسلمين أوضاعهم ، أشوشه ونشروه ، جاهرين به ، للتفريز بالمسلمين أو الفاء الرعب في قلوبهم ، أو توصيل أنبيائهم إلى أعدائهم ، ولو أن هؤلاء المنافقين المذمومين ردوا أمر الأمن والخوف إلى الرسول وإلى أولى الأمر من القواد وكبار الصحابة ، وطلبوا معرفة الحقيقة من جهتهم لعلم أولئك الذين يمحاولون استخراج الوقائع وإذاعتها ، الحق من جانب الرسول والقادة ، ولولا فضل الله عليكم بثبت قلوبكم على الإيمان ، ومنع الفتنة ، ورحمته بتثبيتكم من أسباب الظفر والانتصار ، لاتباع أكثركم إغواء الشيطان ، ولم ينج من اغوائه إلا القليل .

كُفِّرُوا^{٨٤} وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا^{٨٥} مَن يَسْفَحْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَّهٗ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَسْفَحْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَّهٗ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيبًا^{٨٦} وَإِذَا حُيِّمَ^{٨٧} بَرَّخِيوْا بِأَحْسَنِ مَا أُورِدْهَا^{٨٨} إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا^{٨٩} اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعََنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا^{٩٠} * لَمَّا لَكَ فِي الْمُنَافِقِينَ قِسْطٌ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن يَهْدُوا مَن أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَن يَهْدِي^{٩١} وَدَّوْا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَخْذَلُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهْجُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَطُودُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَخْذَلُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا^{٩٢}

٨٤ - وإذا كان بينكم أمثال هؤلاء المنافقين فأعرض عنهم ، وقاتل في سبيل كلمة الله والحق . فلست مسئولاً إلا عن نفسك ، ثم ادع المؤمنين الى القتال وحثهم عليه ، لعل الله يدفع بك ويهم شدة الكافرين ، والله مؤيدكم وناصرهم ، وهو أشد قوة وأشد تنكيلاً بالكافرين .

٨٥ - وان هؤلاء المنافقين يتناصرون الفساد ، واهل الايمان يناصرون الحق ، ومن يناصر في أمر حسن يكن له نصيب من ثوابه ، ومن يناصر أهل السوء يكن عليه وزر من عقابه والله مقتدر على كل شيء ، يحيط به .

٨٦ - وإذا حياكم أحد أيا كان بتحية من سلام أو دعاء أو تكريم أو غيره ، فردوا عليه بأحسن منها أو بثلثها ، فان الله يحاسب على كل شيء كبيراً كان أو صغيراً .

٨٧ - الله الذي لا اله الا هو ولا سلطان لغيره سيحكمكم حتماً من بعد مماتكم ، وليحضرنكم الى موقف الحساب ، لاسمك في ذلك . وهو يقول ذلك فلا تنسكوا في حديثه ، وأنى قول أصدق من قول الله .

٨٨ - ماكان يسوغ لكم أيها المؤمنون أن تختلفوا في شأن المنافقين الذين يظهرن الاسلام ويبطنون الكفر ، وما يسوغ لكم أن تختلفوا في شأنهم : أهم مؤمنون أم كافرون ؟ ويقتلون أم ينظرون ، وهم قابلون لأن يكونوا مهتدين أم لا ترجى منهم هداية ، انهم قلبت مداركهم بما اكتسبوا من أعمال ، جعلت الشر يتحكم فيهم وما كان لكم أن تتوقعوا هداية من قدر الله في علمه الأزلي أنه لن يهدي ، فان من يكتب في علم الله الأزلي ضلاله ، لن تجدوا طريقاً لهدايته .

٨٩ - انكم تودن هداية هؤلاء المنافقين ، وهم يودن ان تكفروا مثلهم فتكونوا متساوين في الكفر معهم ، وإذا كانوا كذلك فلا تتخذوا منهم نصراء لكم ، ولا تتبرؤهم منكم ، حتى يخرجوا مهاجرين ومجاهدين في سبيل الاسلام . وبذلك تزدل عنهم صفة النفاق ، فان أعرضوا عن ذلك وانضموا الى اعدائكم فاقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتبرؤهم منكم ولا تتخذوا منهم نصراء .

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى اللَّهِ قَوْمٌ يَنْتَكُمُ وَيَنْتَكُمُ مِثْقَى أَوْ جَاءُوا حَصْرَتٌ مُدَوَّرَةٌ أَنْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكَ فَلَقْتُلُوكَ فَإِنْ اعْتَرَفُوكَ فَلَمْ يَقْتُلُوكَ وَالْقَوْلَ الْبِكْرِ السَّلْمَ مَا جَلَّ اللَّهُ لَكَ عَلَيْهِمْ مَبِيلًا ⑩ سَيَجِدُونَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يُبَايَعُوا بِمَا مَدَّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِفُوا بِالْبِكْرِ السَّلْمِ وَيَكْفُرُوا بِأَيْدِيهِمْ لِحُدُودِهِمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مَبِينًا ⑪ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٌّ لَكَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ يَبْغُونَ وَيَنْتَكُمُ مِثْقَى فِدْيَةٍ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ لَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ⑫ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا لَئِنْ لَمْ يَنْفُتْ بِهِ

٩٠ - استثنى من المتأففين الذين يستحقون القتل لافسادهم لجماعة المؤمنين... أولئك الذين يرتبطون بقوم بينهم وبين المؤمنين ميثاق يمنع قتل المتضمن لأحد الفريقين، أو كانوا في حيرة أيقظان مع قوبهم الذين هم أعداء المسلمين وليس ثمة ميثاق أم يقاتلون مع المؤمنين؟ فإن الأولين يمنع قتلهم لأجل الميثاق، والآخرين يمنع قتلهم لأنهم في حرج، وإن الله تعالى لو شاء لعلهم يماربونكم فإن أنروا الموقف السلي وسالمكم فليسوغ لكم أن تقتلوه، لأنه لايسوغ لذلك.

٩١ - فإن ظهرهم على الشرك كانوا محكم، وإن ظهر المشركين على الاسلام كانوا مع المشركين فهم يريدون أن يأمنوا المسلمين ويأمنوا قوبهم من المشركين - وهؤلاء في ضلال مستمر ونفاق فإن لم يعتزلوا قتالكم ويعتزلكم بالأمن والسلام فاقطعوه حيث وجدقوبهم، لأنهم يعلم اعتزالهم القتال، قد مكثوا المؤمنين من قتلهم، وجعل الله تعالى للمؤمنين حجة بينة في قتالهم.

٩٢ - إن تقسيم المتأففين ذلك التقسيم للاحتياط، حتى لا يقتل مؤمن على ظن أنه منافق وإن قتل المؤمن لايسوغ إلا أن يقع ذلك خطأ غير مقصود، وفي حال قتل المؤمن خطأ إن كان يعيش في ولاية الدولة الاسلامية فإنه تدفع الدية لأهله تعويضاً عما فقدوه، وتبقى رقية مؤمنة ليصوص جماعة المؤمنين عما فقدت، لأن عتق الرقية المؤمنة احياء لها بالحرية فكانه يكتفى بتحرير رقية مؤمنة ليصوص المؤمنين عن فقدته^(١) وإن كان يقتل لقوم بينهم وبين المسلمين معاهدة سلم، فإنه يجب تحرير رقية مؤمنة، وتسليم الدية لأهل المقتول، لأنهم لعهدهم لايتصلها ولايذاء المسلمين، وإذا كان القتال خطأ لايبعد رقية مؤمنة بعتقها، فإنه يصوم شهرين متتابعين لايفطر يوماً فيها، لأن ذلك يكون تضييماً لنفسه وتربية لها على الاحتراس والله سبحانه وتعالى عالم بالنفوس والنيات، وحكيم يضع العقوبات في مواضعها.

(١) لم يصر الشارع بن عقوبة القتل الخطأ والقتل العمد ذلك لأن الجاني في القتل العمد تمتد العصيان بالقتل والقتل وعلى ذلك فحريمه مطلقاً بما يتناسباً بسند العقوبة أما في القتل الخطأ فإن الجاني لم يمتد العصيان بقتله بل يظل تحت العصيان بقتله وهذا من التريسة الاسلامية تتروح للمسئولية الجنائية بحسب نوع العصيان.

والآية الكريمة بينت مايقع على القتال خطأ فذكرت الكفارة وهي تحرير رقية مؤمنة والصيام عند علم وجود الرقية المؤمنة والكفارة بدور بين العقوبة والمباينة، ولما كان الذي يتصل هذه الكفارة هو الجاني وهذا فيه إيلام له وتضييخ وتقريب الى الله حتى يتوب عليه عما فعل.

وتفلا عن الكفارة في القتل الخطأ الدية، والدية مبدحة من الشارع وهي لا تختلف في قليل دتن قتل وفي هذا أمى مايكون من

التصية بين الناس، وتكون الدية على العاقلة لأن العاقلة هي أهل نصرة الجاني فإذا انشكروا في العزم فاقسم لاسلك مأمونه من ارتكاب

ماقد يندم عنه العزم وهذا النوع من الاشتراك في المسئولية يدفع الى تقليل الجرائم

خَلِيدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٠﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَافٌ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ لَمَنِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩١﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۖ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٢﴾ دَرَجَتٌ مِنْهُ وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ

٩٣ - ان من يقتل مؤمنا قتلا عدوانا متعمدا مستحلا ذلك القتل ، يكون جزاؤه يكافئ جريمته ان يدخل جهنم ويستمر فيها ، ويغضب الله عليه ويطرده من رحمته وقد أعد الله له في الآخرة عذابا عظيما ، فان هذه أكبر جريمة في الدنيا .

٩٤ - الاحتراس من قتل المؤمن واجب في حال الفوز ، فاذا سافرتم مجاهدين في سبيل الله تعالى فتعرفوا شأن الذين تقاتلوهم قبل القتال ، أهم أسلموا أو لا يزالون على الشرك ، ولا تقولوا لمن أتى اليكم السلام وشارة الأمن لست مؤمنا ، تريدون بذلك الأموال والغنائم ، بل اقبلوا منهم السلام ، فان الله أعد لكم مغام كثيرة . وأنتم أيها المؤمنون كنتم على الكفر قبل ذلك وهداكم الله ، فتبينوا أمر الذين تلقونهم وان الله عليهم علما دقيقا لا يخفى عليه شيء ، وأنه محاسبكم بمقتضى علمه .

٩٥ - وأن الجهاد مع هذا الاحتراس فضله عظيم جدا ، فلا يستوى الذين يقعدون عن الجهاد في منازلهم والذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم ، فقد جعل الله للمجاهدين درجة رفيعة فوق الذين قصدوا الا اذا كان القاعدون من ذوى الأعذار التي تمنعهم من الخروج للقتال ، فان عندهم يرفع عنهم اللامة ومع أن المجاهدين لهم فضل ودرجة خاصة بهم ، فقد وعد الله الفريقين المنزلة الحسنى والمعاية الطيبة .

٩٦ - وهذه الدرجة التي اختص بها المجاهدين درجة عظيمة رفيعة ، حتى كأنها درجات للتفاوت الكبير بينها وبين ما عداها ، وان لهم مع هذه الدرجة مغفرة كبيرة ورحمة واسعة .

« وهذا كله لا يتع ولا الامر من تميز الجاني بالضرورة التي يرادها اذا وجد في ذلك مصلحة اذ الجرم في القتل الخطأ ثابت حتى من الآية الكريمة فقد جاء في نهايتها عطفه من الله على ان الاجزاة الواردة من كفارة ودية مشروعة من العمل القدير لقبول التوبة من الله تعالى وفي هذا انذار في ما وقع فيه القاتل خطأ من تصدير بترك الاحياط ولذلك يغفل الفقهاء أن القتل الخطأ لا يأثم اثم القتل والما يأثم اثم ترك الصبر والمبالغة في التثبت لان الاحمال للمبالغة لا تجوز مباشرتها الا بشرط ان لا تؤذى أحدا . فاذا أتى أحدا لقد تحقق ترك الصبر ليأثم القاتل (الريلى ج ٦ ص ١٠١) .

ويقول ان القتل الخطأ ولكن الاستعاضة عنه بالتكليف والجهاد الكسالى ج ٧ ص ٢٥٧ . وهذه الاجزاة جميعا تنفق مع ما يستعمل في القتل الخطأ من ضرر جسم يدعو الشارع لوضع الزواجر عليه وبشارة ذلك بالتنبيهات الوضعية بعد البين ناسما حتى أن الناس لم يحدوا بجماعين الضابط عما أدى لكثرة هذا النوع من الجرائم وبمصول حوادث صارخة دفعت الكثير الى أن يتخذوا بتشييد عقاب القتل الخطأ ، ولو اتبع الناس تنبيه القرآن لأدى ذلك الى تحريض أهل القتل بما يخفف عليهم الآلام النفسية والمخسرة المادية والى زجر الجاني بما يهذل من كفارة فضلا عن الدية التي عليه وحمل المائلة والى دفع الناس الى منع بعضهم بعضا من ارتكاب الخطأ الذي قد يسبب القتل .

قَالُوا كَمَا مُسْتَخَفِّينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْكَ مَاؤُنْهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاعَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَخَفِّينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِجْلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ قَالُوا لَيْكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْعُو عَنْهُمْ قَدْ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٩﴾ * وَمَنْ يَكُفِّرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافَعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا أَعْدَاؤُكُمْ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَلَّتْ لَهُمُ الصَّلَاةُ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكُمْ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِلَّائِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكُمْ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ

٩٧ - وأن المسلم عليه ان يهاجر الى الدولة الاسلامية ولا يعيش في ذل ، فان الملائكة تسألهم : فيم كنتم حتى ارتضيتهم حياة الذل والهوان ؟ فيجيبون : كنا مستضعفين في الأرض بذلنا غيرنا فنقول الملائكة : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها بدل الذل الذي تقيمون فيه ، وأولئك الذين يرضون بالذل مع قدرتهم على الانتقال ، مأواهم عذاب جهنم ، وانما أسوأ مصير فالسلم لا يصح أن يعيش في ذل ، بل يعيش عزيزا كريما .

٩٨ - غير أنه يقع من هذا العقاب من لا يستطيعون الانتقال من الضفاء من الرجال والنساء والأطفال ، فهؤلاء لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا للخروج .

٩٩ - وأولئك يرجي الله عنهم ، والله تعالى من شأنه الطور والغفران .

١٠٠ - ومن يهاجر طالبا بهجرة مناصرة الحق وتأييده ، يجد في الأرض التي يسير فيها مواضع كثيرة يرغب بها أنف أعداء الحق ، ويجد سعة الحرية والاقامة العزيزة ، وله بذلك الثواب الأجر العظيم ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى موطن الدولة العزيزة التي هي دولة الله ورسوله ، ثم يدركه الموت قبل أن يصل فقد ثبت أجره ، وتكرم الله فجعل الأجر حقا عليه ، وغفر له ورحمه ، لأن من شأنه الغفران والرحمة .

١٠١ - الصلاة فريضة محكمة لا تسقط في السفر ، ولكن لا أهم على من يقصرها فيه عن الحضر . فالذين يخرجون مسافرين ان خافوا أن يتعرض لهم الكافرون بما يكرهون ، لم أن يقصروا الصلاة ، فالصلاة التي هي أربع ركعات يصلونها اثنتين ، وان الحذر من تعرض الكافرين واجب لأتباع أعداء ، عداوتهم واضحة .

مَيْلَةً وَحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ إِنْ كَانَ بِكَ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ
 إِنْ أَتَاكُمْ عَسَاةٌ أَلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُوا لِلَّهِ قِيَامًا وَرُكُوعًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ
 فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْثُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي بَيْتِهَا الْقَوْمَ إِنْ تَكُونُوا تَأْمِنُونَ
 فَلَهُمْ بَالُ الْمَوْتِ كَمَا تَأْمِنُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

١٠٢ - وإذا كنت أيتها النبي الأمين فيهم وقامت صلاة الجماعة، فلا تنسوا الحذر من الأعداء وذلك بتفسيح المسلمين إلى طائفتين: إحداهما تبدأ الصلاة مقتدبة بك، وتكون الأخرى قائلة على الأسلحة والأمتعة لحراستها، فإذا أتممت نصف الصلاة ذهب التي صلت وراءك وجاءت الأخرى فصلبت بها الباقي، ثم تصل ما فاتها وتصل الأولى بقية الصلاة، وتسمى لأحقة^(١) والأخرى مسبقة، إذ تؤدي أول الصلاة، والأحقة تؤدي آخرها، وذلك للتفطيم لكي لا تفوت الصلاة، وللحذر من الكافرين الذين يريدون أن تغفلوا عن أسلحتكم واستعتمكم فيميلون عليكم دفعة واحدة، وينقضوا عليكم وأنتم في الصلاة، وأن قتال المشركين مستمرا واجب، ولكن لا اثم عليكم أن تسكنوا إذا كان بكم مرض أو نزل مطر عاق عن القتال، ولكن على أن تكونوا على حذر دائم وهذا عقاب الله للكافرين في الدنيا، وفي الآخرة أعد لهم عذابا مهينا مثلا.

١٠٣ - وإذا أتممت صلاة الحرب التي تسمى صلاة الخوف فلا تنسوا ذكر الله دائما فاذكروه قائمين محاربين واذكروه وأنتم قاعدون، واذكروه وأنتم تائمون، فإن ذكر الله تعالى يقوى القلوب، وبه اطمئنتها، فإذا ذهب الخوف وكان الاطمئنان، فأدوا الصلاة كاملة فإن الصلاة قد فرضت على المؤمنين موقوفة بأوقاتها.

١٠٤ - لاضغطوا في طلب القوم الكافرين الذين أعلنوا عليكم الحرب، وحاولوا أن يغيروا عليكم من كل مكان. والحرب بلا شك ألم، فإذا كنتم تألمون من جراحها وما يكون فيها، فاتهم بالؤمن أيضا، والفرق بينكم وبينهم أنهم لا يطلبون الحق ولا يرجون عند الله شيئا، وأنتم تطلبون الحق وترجون رضا الله والتعصم الدائم. والله علم أفعالكم وأعمالهم حكم يميز كلا بما يعمل.

(١) الاحقة: هي التي تصل مع الايام أول الصلاة وتضطر للتخلف باقيها، ثم تؤدي الباقي منفردة، والمسبق هو الذي يؤدي آخر الصلاة جماعة ثم يؤدي الأول منفردا.

لِيَحْكُرَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْتَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيماً ۝١٠٥ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ۝١٠٦
وَلَا تَحْجِدْ عَنِ الَّذِينَ يَحْتَمِلُونَ أَنْفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاتاً أَثِيماً ۝١٠٧ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا
يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ ۚ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ حَظِيماً ۝١٠٨ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَرةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُبَدِّلُ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمَّ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝١٠٩ وَمَنْ
يَعْمَلْ سُوْءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ۝١١٠ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ
عَلَى نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ۝١١١ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا

— ٢٥ —

١٠٥ - أنزلنا إليك القرآن حقاً وصدقاً، مشتملاً على كل ما هو حق، مبيناً للحق إلى يوم القيامة ليكون مناراً في الحكم بين الناس، فأحكم بينهم ولا تكن مدافعاً عن الخائبيين.

١٠٦ - وعند الحكم بين الناس لقمه إلى الله وتذكر عظمته وأطلب مغفرته ورحمته، فإن المغفرة والرحمة من شأنه سبحانه وتعالى.

١٠٧ - ولا تدافع عن الذين يخونون ويبالغون في إخفاء الحيانة في أنفسهم، فإن الله لا يحب من يكون من شأنه الحيانة وارتكاب الذنوب.

١٠٨ - يحفظون ويستترون بحجياتهم من الناس، ولا يمكن أن تحقق على الله وهو معهم دائماً خياناتهم، وهم يتفقون ليلاً على ما لا يرضى الله من القول من رمي التهم على الأبرياء، والله تعالى يعلم علماً لا يخفى منه شيء مما يعملون.

١٠٩ - إذا كنتم تدافعون عنهم في الدنيا فلا يماقون عقاب الدنيا، فلا يوجد من يدافع عنهم يوم القيامة أمام الله تعالى، بل من يقول أن يكون ولياً عليهم ناصراً لهم.

١١٠ - وإن باب التوبة مفتوح، فمن يعمل أمراً سيئاً في ذاته أو يظلم نفسه بارتكاب المعاصي ثم يطلب مغفرة الله تعالى، فإنه يجد الله تعالى قابلاً لتوبته غافراً له، لأن من شأنه المغفرة والرحمة.

١١١ - وإن الذنوب مضارها على نفس من يفعلها، فمن يكسب ذنباً فإنما هو ضد نفسه، ومضته على نفسه، والله سبحانه وتعالى يعلم ما ارتكب ويعامله بمقتضى حكمته، فيعاقب أو يفر على حسب ما تقتضيه الحكمة.

وَأَمَّا سُبْحَا ۖ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْا وََمَا يُضْلَوْنَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَاتَّقِ اللَّهَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَيْكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۖ * لِأَخِيرِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَجْهُولِهِمْ إِلَّا مَنْ أَمْرٌ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ اتَّخَذَ مَرْضَاتٍ اللَّهُ فَسَوْفَ نُوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَمَنْ يُسَاقِ الرَّسُولُ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَفُضِّلَ بِهِمْ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۖ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۚ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۖ ۝ إِنَّ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ۚ إِلَّا إِنَّا وَإِنْ يَدْعُونَ

١١٢ - ومن يرتكب أخطاء تحيط بالنفس وذنوباً ثم يتهم بهذه الذنوب بريئاً لم يرتكبها ، كمن يسرق شيئاً ويتهم غيره بسرقة ، فقد وقع عليه وزران : أحدهما الكذب والافتراء بالتهام الأبرياء ، والثاني : الذنب الواضح البين .

١١٣ - ولولا أن الله فضل عليك بالوحي ورحمك بالادراك النافذ ، لأرادت طائفة منهم أن يضلوك ، ولكنهم لا يضلون إلا أنفسهم ، لأن الله مطلق ، وبهيرتك نافذة إلى الحق ، لا ضرر عليك من تدبيرهم وتضليلهم ، وقد أنزل عليك القرآن الكريم الذي هو ميزان الحق ، وأودع قلبك بالحكمة وعلمك من الشرائع والأحكام ما لم تعلمه إلا بوحى منه ، وإن فضل الله عليك عظيم دالماً .

١١٤ - أن الذين يخفون أحاديث يمدنون بها أنفسهم أو يتحدثون بها فيما بينهم ، لا خير في هذه الأحاديث في الكثير ، لأن الشر يفرخ في الخفاء لكن إذا كان التحدث للأمر بصدقة يعطونها ، أو للصرخ على القيام بعمل غير مستنكر ، أو تدبير إصلاح بين الناس ، فإن ذلك خير ، ومن يفضل طلباً لرضا الله سبحانه فإن الله تعالى يعطيه جزاء كبيراً على عمله في الدنيا والآخرة .

١١٥ - وإن الذي يكون في شقاق مع الرسول من بعد أن يتبين طريق الحق والهداية ، ويتبع طريقاً غير طريق المؤمنين ، ويدخل في ولاية أعداء أهل الإيمان ، فإنه يكون منهم إذ اختارهم أوليائه ، وسيدخله الله تعالى النار يوم القيامة .

١١٦ - وإن هذا المصير المؤلم لمن هم كذلك ، لأثم أعداء الاسلام ، ومثله مثل من أشرك بالله وأن كل ذنب قابل للغفران إلا الشرك بالله ، وعبادة غيره ، ومعاندة رسوله في الحق ، فإن الله من شأنه المغفرة إلا أن يشرك به في عبادة ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وأن من يشرك بالله في عبادته وولائه فقد تاه عن الحق وبعد عنه كثيراً ، لأنه أفسد عقله ونفسه .

١٢٢ - هذا مصير أتباع الشيطان. أما مصير أتباع الله فالخير، وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة، ولم يسروا وراء أهواء كاذبة. فإن الله تعالى سيخلّصهم يوم القيامة جنات فيها أنهار تجري تحت ظللالها، وهي أكبر من أعظم جنات الدنيا وأن ذلك مؤكد، لأنه وعد الله، ووعد الله لا يكون إلا حقا، لا غرور فيه. إذ هو مالك كل شيء ولا يتصور أن يكون أمد في الوجود أصفق من الله وعدا وقولا.

يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٢﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثْنَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٤﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٥﴾ وَاسْتَفْتَيْنَاكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتَكِرُ فِيهِنَّ وَمَا يَتْلُو عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَذَكَّرُ فِي نَفْسِ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تَقُوتُهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبْنَ أَنْ تَكِيهُنَّ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ يَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ

١٢٢ - ان الجزء ليس هو ما يتمناه ويعلم به الانسان من غير عمل طيب مشر ، فليس الجزء بما تتمنون ايها المسلمون ، ولا بما يتمناه ويعلم به أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وإنما الجزء والنجاة من العذاب بالإيمان والعمل الصالح ، ومن يعمل سيئاً يجز به ، ولا يجد له من دُونِ اللَّهِ من يواليه أو ينصره .

١٢٤ - ومن يعملون الأعمال الصالحة بالقدر الذي يستطيعونه وهم مؤمنون بالله ورسوله ، فإنهم يدخلون جنة النعيم ولا ينقصون أى مقدار ولو كان ضئيلاً . ولا فرق في الجزء بين الذكر والأنثى ، لأن الأنثى مكلفة . لها جزء الخير ، وعليها عذاب الشر .

١٢٥ - وأن أساس عمل الخير منبثق من الاعتقاد السليم ، وأحسن الدين أن يخلص لله تعالى ، فيجمل وجهه وعقله ونفسه لله لا يطلب سوى رضا الله سبحانه ، وبذلك تستقيم مداركه فيدرك رسالة الرسل ، وأن يقوموا بصفة مستمرة بأحسن الأعمال ، ويتبعوا في ذلك آبا الانبياء ابراهيم عليه السلام ، فدينه هو دين الله ، وهو الدين الذى يتجه إلى طلب الحق دائماً . وأن ابراهيم هو الذى تلتق عنده الوحدة الدينية للمسلمين واليهود والنصارى ، فاتبعوا طريقه ، وأن الله أكرم ابراهيم فسماه خليلاً .

١٢٦ - وأن الاخلاص لله واسلام الوجه اليه ، هو اخلاص لمن أنشأ هذا الوجود وملكه ، فله كل ما فى السموات والأرض ، من مجرم وأفلاك وشمس وقر وجبال ووهاد وصحارى ومزارع ، وهو مستعين كل شيء ، وهو الذى يعلم علم احاطة بكل ما يعمل الانسان ، ويجازيه بالخير خيراً وبالشر شراً .



خَيْرَ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنَّ أُمَّةً خَلَفَتْ مِنْ بَیْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمِغْلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يَغْضُ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَسیًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِذَا كُنَّ أَنْفُسُكَ اللَّهُ وَإِنْ

١٢٧ - قد استغنى الناس التهي في شأن النساء وكن ولا يزلن ضعيفات، فبين الله لنيه أن يبين حال النساء وحال الضعفاء في الأسرة من الولدان واليتامى، وذكر أن يتامى النساء اللاتي يزوجن ولا يأخذن مهورهن والأولاد، واليتامى، كل هؤلاء يعاملون بالعدل والرحمة والرعاية، وأن كل ما يفصل من خير فإن الله يعلمه وهو الذى سيجزى به .

١٢٨ - وأن الزوجة إذا خافت من زوجها اهتالا لشئون الأسرة أو اعراضا عنها وعدم اقبال عليها، فلا اثم عليها في أن يحاول اصلاح ما بينها بالصلح الجميل والتقريب، والعافل منها يبدأ به والصلح خير دائما لا شر فيه، وأن الذى يمنع الصلح هو تمسك كل من الزوجين بحقوقه كاملة، إذ يسيطر الشح النفسى، ولا سبيل لعودة المودة إلا التساهل من أحد الجانبين وهو المحسن المتق، ومن يعمل العمل الحسن ويتق الله، فإن الله خير بعمله ويمجازه عليه .

١٢٩ - وأن العدل مع النساء بالحبة الدافئة التى لا تنسويها شائبة، والمساواة بين محبتها بحيث يبادلها ما تبادلها، أمر غير ممكن دائما، وغير ممكن كذلك المساواة في المحبة بين الزوجات إذا كان عنده أكثر من واحدة ولكن إذا حرصن فلا يجوروا عليها وتقبلوا كل الميل إلى غيرها وتركوها لاهى ذات زوج ولا هى مطلقة، ويجب أن تصلحوا أنفسكم وتقيموا الأسرة على الصلاح من غير افساد، وتتقوا الله فإن الله يفر لكم ويرحمكم إذ من شأنه المظفرة والرحمة .

١٣٠ - وإذا لم يمكن الاصلاح واستحكمت التفرقة، فإن التفريق لازم وأن يتفرقا بغض الله كل واحد منهما من سعة رحمته وفضله، والأزواج بيد الله، والله واسع الرحمة والفضل، وهو حكيم يضع الأمور في مواضعها .

تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنَّ بَشَرًا يَدْعُوكُمْ إِلَى الْإِنْسَانِ وَيَلْتَمِسُ عِلْمَ رَبِّهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يَرْيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٥﴾ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَرْتُمْ أَوْ عَرِضْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۚ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ

۱۳۱ - ان لب الدين هو المظنوع لمشيء الكون ذي الجلال والاکرام والاعتراف بسلطانه المطلق فله كل ما في السموات والأرض، وهذا السلطان المطلق قال: وصينا أهل الديانات الساهوية من أهل الكتاب - وأنتم معشر المسلمين - بأن تغافوه وتعبده، والا تكفروا بعبادته، فهو صاحب السلطان الأكبر في الأرض والسموات، لا يجل بسلطانه شيء، وهو غنى عنكم، ومع ذلك يحمد لكم أيمانكم، لأن من شأنه الغنى، وأن يحمد مع ذلك فصل الخير من عباده.

۱۳۲ - لله سبحانه وتعالى تدبير كل ما في السموات والأرض فهو المسيطر والمسير والمدير وكفى أن يكون هو المتولى أمر الكون لينتظم، وأمر الناس ليعبده، ويفوضوا أمورهم إليه ويتقوه.

۱۳۳ - انكم معشر العباد في سلطان الله، وهو القادر القاهر، ان يشأ يتحكم ويأت بأخرين، وهو ذو الجلال، قدبر على ذلك وعلى كل شيء.

۱۳۴ - وان الناس إذا طلبوا نعيم الدنيا ومنافعها الحلال من طريق الحق المستقيم، فإن الله يصطفيهم نعيم الدنيا والآخرة، وهو وحده الذى يملك التميمين.

۱۳۵ - ان العدل هو نظام الوجود، وهو القانون الذى لا يختلف النظر فيه، فإليها الذين أذعنتم لله الحق، ولدعوة رسله، كونوا مرايين لأنفسكم في الأذعان للعدل، ومراقبين للناس، فانصفوا المظلوم، وكونوا قافين لا رغبة غنى أو لطف على فقير، لأن الله هو الذى جعل الغنى والفقير وهو أولى بالنظر في حال الغنى أو الفقير. وأن الهوى هو الذى يميل بالنفس عن الحق فلا تتبعوه لتعدلوا وان تتولوا إقامة العدل أو تعرضوا عن اقامته فإن الله يعلم ما تعملون علما دقيقا، ويجازيكم بحسبكم، ان خيرا فخير، وان شرا فشر.

وَمَلِكَيْهِ وَكُتِبَ عَلَيْهِ وَرُسُلُهُ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّيْسَ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيُعَذِّبَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِيرَ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَخْلُدُونَ فِي الْكَفَرِ مِنْ أُولِيَاءِ مَنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَقُونَ عِنْدَ الْعِزَّةِ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾
وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا
فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ

١٣٦ - وان الرسائل الساوية واحدة لوحدة مرسل الرسل . وهو الله ، فيأبى الذين آمنوا أذعنوا له وأخلصوا له ، وصدقوا رسوله محمدا وصدقوا ما جاء في كتابه الذي أنزله عليه واعملوا به ، وصدقوا بالكتب التي نزلت من قبله كما أنزلها الله من غير تحريف ولا نسيان . آمنوا بكل ذلك ، فإن من يكفر بالله خالق الوجود ، والملائكة ، وعالم الغيب ، وكتب الله ورسله ، وينكر اليوم الآخر ، فقد تاه عن الطريق المستقيم ، وأوغل في طريق الضلال وأبعد فيه .

١٣٧ - ان الايمان اذعان مطلق وعمل مستمر بالحق ، فالمرتدون المضطربون ليسوا يؤمنون ، فالذين يؤمنون ثم يكفرون ، ثم يؤمنون ثم يكفرون ، وهذا يزدادون كفرا ، ما كان الله غافرا لهم ما يفعلون من شر ، ولا يهديهم إلى الحق ، لأن غفران الله يقتضى توبة واقلاعا عن الشر ، وهدايته تكون لمن يتجهون إلى الحق ويطلبونه .

١٣٨ - يأبى الرسول الكريم أنذر المنافقين بأن لهم عذابا يوم القيامة مؤلما .

١٣٩ - وان أولئك المنافقين يعملون الولاية عليهم للكافرين ويتركون المؤمنين ، فهل يطلبون العزة من هؤلاء الكافرين ؟ ان العزة لله وحده ، يطعها عباده المؤمنين ، ومن اعز بالله عز ، ومن اعز بغيره ذل .

١٤٠ - وقد نزل الله عليكم في القرآن الكريم أنكم كلما سمعتم آية من الكتاب كان منكم الايمان ، وكان من الكافرين المجهود بها والاستهزاء ، وإذا كانت تلك حال الكافرين والمنافقين وصحت استهزائهم فلا تصدوا معهم حتى ينتقلوا إلى حديث غير حديث الاستهزاء وانكم ان لم تفعلوا وصحت استهزائهم كنتم مثلهم في الاستهزاء بالقرآن وأن العاقبة وخيمة على الكافرين والمنافقين ، فإن الله جامعهم جميعا في النار يوم القيامة .

يَرَى صَوْنٌ يَكْرُفَانِ كَانَ لَكَ فَتَحَ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ تَسْتَحِذُوا عَلَيْهِمْ وَنَعَمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۖ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ مُدْبِرِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَهْدِيَهُ ۖ أَلَمْ تَرَ سَبِيلًا ۚ يَتَّيِبُ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا لَا يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُوا أَنْ

١٤٩ - وَأَنْ أُولَئِكَ الْمُنَافِقِينَ يَنْتَظِرُونَ انْتِظَارَ الْحَاقِدِ الْحَاسِقِ الَّذِي يَتَمَنَّى السُّوءَ لَكُمْ إِذَا كُنْتُمْ فِي حَرْبٍ مَعَ الْأَعْدَاءِ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفُتِحَ لَطَرِيقُ الْحَقِّ ، قَالُوا لِلْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ أَنْعَلَهُمُ النَّصْرَ الَّذِي نَصَرَ اللَّهُ بِهِ أَهْلَ الْإِيمَانِ : أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ بِاعْتِبَارِنَا مِنْ جَمَاعَتِكُمْ ؟ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ مِنَ الْغَلَبِ فَجَاهُوا إِلَيْهِمْ وَقَالُوا لَهُمْ : أَلَمْ نَغْلِبْ أُمُورَكُمْ عَلَيْنَا حَتَّى صَارَتْ أُمُورُنَا وَأَلَمْ نُنْجِمْكُمْ مَوَدَّتَنَا وَفَتْحَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ، وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ سَبِيلًا لِلْغَلَبِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامَ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى صِفَةِ الْإِيمَانِ الْحَقِّ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ .

١٤٨ - أَنْ الْمُنَافِقِينَ يَتَفَقَّهُمْ بِحُسُونِ أَتَمِّمْ يُخَادِعُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَيُخْفُونَ عَنْهُ حَقِيقَةَ أَنْفُسِهِمْ ، وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ خَادِعُهُمْ ، فَيَمْهَلُهُمْ وَيَتْرَكُهُمْ يَرْتَمُونَ فِي شَرِّهِمْ ، ثُمَّ يَحْاسِبُهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ، وَأَنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ مَظْهَرًا حَسْبًا ، وَمَظْهَرًا نَفْسِيًّا ، فَالْحَسْبُ أَنَّهُمْ يَقْرَمُونَ إِلَى الصَّلَاةِ كَسَالَى مُتَبَايِعِينَ ، وَصَلَاتِهِمْ رِيَاءٌ لَا حَقِيقَةَ . وَالْمَظْهَرُ النَّفْسِيُّ أَنَّهُمْ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا أَسْيَانًا نَادِرَةً ، وَلَوْ ذَكَرُوهُ لَفَرَّقُوا الْتِفَاقَ .

١٤٧ - وَأَنْ الْمُنَافِقِينَ مُتَرَدِّدِينَ ، مُضْطَرِبِينَ ، لَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا هُمْ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ مِنْهُمْ وَذَلِكَ مِنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ وَضَعْفِ النَّفْسِ ، وَمِنْ الضَّلَالِ عَنِ الْحَقِّ وَمِنْ يَكْتَبُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي عِلْمِهِ الْأَوَّلِيِّ الضَّلَالَةَ ، فَلَنْ يَهْدِيَ سَبِيلًا لِهَدَايَتِهِ .



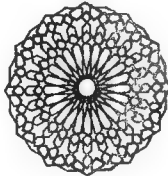
تَجَلَّوْا لِلَّهِ عَلَيْهِ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَابِرِينَ ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَا يُنَازِكُ إِنَّ شُكْرَكُمْ وَءَامَنُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ * لَا يُجِبُ اللَّهُ الْبَلْهَرَ وَالسُّوءَ

١٤٤ - وان من أسباب النفاق أن المنافقين جعلوا لأهل غير الإيمان ولاية لهم ونصرة ، فتجنّبوا هذا أياها المؤمنين ، ولا تتخذوا الكافرين نصراء ذوى ولاية عليكم تخضعون لهم ، وأنكم أن فعلتم ذلك كان لله حجة عليكم بيّنة ، فتدخلون مع المنافقين وتذلون ، لأنكم لا تهملون عزركم من الله ، ومن الحق ، ومن العمل الصالح .

١٤٥ - ان المنافقين بسبب نفاقهم يكونون في أعماق جهنم ، فهم في أسفل مكان فيها ، وأحط درجاتها ، ولن تجد لهم نصيرا يدفع عنهم العذاب .

١٤٦ - إلا الذين يتوبون منهم ويهتدون إلى الله تعالى ، ويتصمون به وحده ، ويخلصون ويسلمون وجوههم له ، ويعملون الصالحات ، فإنهم بهذا يكونون من المؤمنين وهم جزاء المؤمنين وقد أعد الله تعالى جزاء عظيما للمؤمنين في الدنيا والآخرة .

١٤٧ - وان الله تعالى لا مطلب له منكم إلا الإيمان به ، وشكر نعمته ، وإذا كنتم كذلك فلا عذاب لكم ، ولكن جزاء على الخير والشكر ، وان الله تعالى شاكر لعباده عمل الخير ، وعليم بعلوم كل حالهم من خير وشر .



مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ عَلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَهِيدًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ خَفَوْهُ أَوْ تَقَوُّوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّبِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ بِسْمِ اللَّهِ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِأَنفُسِهِمْ فَمُتُوا ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْجَبَلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَرْقَاتُ فَمَقُونَا عَنْ ذَلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِ هَيْكَلٍ ۖ وَقَالُوا لِمَ أَتَيْنَا هَٰذَا بَشَرًا وَقَالُوا

١٤٨ - ينهى الله عبادته عن قول السوء ، إلا من وقع عليه ظلم ، فيباح له أن يشكو ظالمه ، ويذكر ما فيه من سوء ، والله سبحانه يسمع لكلام المظلوم علم يظلم الظالم ، ويجازيه على عمله ^(١) .

١٤٩ - أن تطهروا قلوبكم وتسروا ، أو تصفحوا عن سيئ إليكم ، يتكلم الله لتخلفكم بأخلاقه - تعالى - من العفو من كمال القدرة ، والله سبحانه عظيم العفو كامل القدرة .

١٥٠ - إن الذين لا يؤمنون بالله ورسوله ، والذين يريدون التفرقة في الإيمان بالله ورسوله ، ويقولون : نؤمن ببعض الرسل دون بعض ، فيؤمنون ببعضهم ، ويكفرون ببعضهم ، والواجب الإيمان بالجميع ، لأن الإيمان لا يقبل أن يتجزأ .

١٥١ - هؤلاء جميعاً هم المعنون في الكفر الذين ، وقد أعد الله لهم ولأمثاله عذاباً شديداً مبدلاً .

١٥٢ - وأما من آمنوا بالله ورسوله ، ولم يكذبوا بأحد منهم ، فإن الله يشيهم على كامل إيمانهم الثواب العظيم ، والله غفور للذاتين رحيم بعباده .

١٥٣ - بسألك - أيها الرسول - أهل الكتاب من اليهود ، متعتين . أن تقم دليلاً على صدق نبوتك ، فتأنيس بكتاب خاص ، ينزل عليهم من السماء بصدق رسالتك ، ويدعوهم إلى الإيمان بك وطاعتك ! فإن استكثرت ما سألوها فلا تعجل ، فقد تمت أسلافهم فسألو موسى أكبر من ذلك ، فقالوا : أرنا إله عياناً . فتأنيسهم على تمتهم وظلمهم بصاعقة أهلكتهم !! ثم أذكر هؤلاء جرماً أشد وأفظع ، وهو أنهم اتخذوا الجبل إلهاً لهم من دون خالقهم ، بعد ما عاينوا الأدلة التي أظهرها موسى لفرعون وقومه ! ثم وسعهم عفو الله بعد إتابتهم إليه ، وأيد الله موسى بالمجبة الواضحة والكلمة النافذة .

(١) يجمع القرائن الواضحة أي إنسان أن يظهر بخاصة القول أو سيئه يرجعه إلى آخر والباطل في ذلك لدى تلك القرائن من حاية إصاح الناس من أن تتأني من مثل هذا الجهر وحاية أخلاقهم من أن تتسبب اليأس تلك القرائن لأن في ذلك أنى أن وجه إليه هذا السوء ويقول القرآن الكريم في حنا « لا يجب الله الجهر بالسوء » ولو انتهت الآية عند لفظ السوء بأن كانت « لا يجب الله الجهر بالسوء » لتسببت أيضا جرعة القتل الفاضح الملقى ومنها أن يكشف الإنسان عن عورته في مكان عام أو أن يكشف لياب امرأة تظهر عورتها لكن تحجب السوء حنا بأنه من القول امتنع منه السوء من القتل ، وهذا القتل الفاضح الملقى وهذه الجرعة متعمد عليها في آية أخرى هي الآية الخامسة عشرة من سورة التوبة أن الذين يحسنون أن تتبج النافذة في الذين آمنوا لهم عذاب الله في الدنيا والآخرة » ، سيحبه الكلام من

لَهُمْ لَا تَقْتُلُوا فِي السَّبْتِ وَأَعِدْنَا مِنْهُمْ مِثْقًا عَظِيمًا ﴿١٥٤﴾ فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِنْهُمْ وَيَكْفُرُهُمْ بَيِّنَاتٍ اللَّهُ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَيِّنَاتٍ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٥﴾ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَنَّا عَلَيْهَا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَيُظْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحْلَتْ لَهُمْ وَبِصَلْبِهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ

١٥٤ - ورفع الله الجبل فوق بني اسرائيل ، تهديدا لهم لانتاعهم عن قبول شريعة التوراة ، حتى قبلوا ، وأخذ عليهم الميثاق ، وأمرهم أن يدخلوا القرية حاضمين لله ، وألا يتجاوزوا ما أمرهم بالتزامه من العبادة في يوم السبت ، ولا يحتدوا فيه ، وقد أخذ عليهم في كل ذلك عهدا مؤكدا .

١٥٥ - غضب الله عليهم ، بسبب نقضهم هذا الميثاق ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء طائعين (ولا يكون ذلك إلا ظاهرا) ، وأصرارهم على الضلال بقولهم قلوبنا محجوبة عن قبول ما ندعى إليه ، وليسوا صادقين في قولهم ، بل طمس الله على قلوبهم بسبب كفرهم ، فلا يؤمن منهم إلا فئة من الناس .

١٥٦ - وغضب الله عليهم بسبب كفرهم وإفترائهم على مريم افتراء كبيرا .

١٥٧ - وغضب الله عليهم بسبب قولهم مستخفين ، إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، والمنحرفين الذين أنهم ما قتلوه ، كما زعموا وما صلبوه كما ادعوا . . ولكن شبه لهم ، فظنوا أنهم قتلوه وصلبوه ، وإفترائهم وصليوا من شبهه . وقد اختلفوا من بعد ذلك في أن المقتول عيسى أم غيره ، وأنهم جميعا لفي شك من أمره . . والواقع أنهم يقولون ما لا علم لهم به إلا عن طريق الظن ، وما قتلوا عيسى قطعا .

١٥٨ - بل رفع الله عيسى إليه وأنقذه من أعدائه ، ولم يصلوه ولم يقتلوه ، والله غالب لا يقهر حكم في أفعاله .

١٥٩ - وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليدرك حقيقة عيسى قبل موته وأنه عبد الله ورسوله ، ويؤمن به إيماناً لا ينقعه نفوات أروانه ، ويوم القيامة يشهد عليهم عيسى بأنه بلغ رسالة ربه وأنه عبد الله ورسوله .

هذه الآية في مناسبة أخرى ، وما اصطلمت عليه اجتمعت التوازين الوضعية في جوامع كتبه دنا السب والقتل احباط الخلاف مسطورا اذا ما تدره لهم بالسب والقتل للفتاح غرد سببا وقلنا بخلف وقد نصت الآية في بنية ما على غير من الأختلاف القانونية أما كلمة كلفه فهي لا يجب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وهذا الاستثناء لمن ظلم ان يجهر بالسوء مادام غير باغ ولا حاد .
وام تعد الآية هنا بان يكون الاعتداء بالقول كما حدد السوء بانه من القول ، وهذا الاطلاق قد يبطل الظلم فضلا لخلق القول والقول فهنك مسطورا لذا ، وغير مستحق لعقاب لو علم بتهال عليه الغير بالضرب وجو أيضا من يتنص على ماله والراى في ظلمه معنى الآية أن من اهدى عليه ظلمًا وعدوانا بالقتل أو القول فخلط غرد الظلم بسبب أو سبب فلا م عليه ، وبطل الاستثناء هنا الى ان الآية الخالية مباشرة استغركت لا قد يتشأ من تطرف في فهم قدر الاستغناء فصحت على ان الظلم من السوء غير من ربه السوء بسوء لكي لا تتسحق الفتنة بين الناس فقللت « ان تهدوا خيرًا أو كفروا أو كفروا عن سوء فلان الله كان عفوا غفورا » .

كثيراً ١٦٠ وَأَخْنَعِمُ الرِّبَا وَقَدْ نَبَأَهُ وَعَظَّمَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالنَّيْلِ^١ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ١٦١
لَكِنَّ الرُّسُلَ فِي أَعْلَمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ
الزُّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً ١٦٢ * إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا
إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ
يُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَبُوراً ١٦٣ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ١٦٤ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ١٦٥ لَكِنَّ اللَّهَ يُشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ الْمُبَشِّرُ

١٦٠ - فبسبب ما وقع من اليهود من ظلم ، عاقبهم الله ، فحرم عليهم أروانا من الطيبات كانت حلالا لهم ،
وكان من هذا الظلم منهم كثيرا من الناس من الدخول في دين الله .

١٦١ - وبسبب تعاملهم بالربا - وقد حرمة الله عليهم - وأخضعهم أموال الناس بغير حق ، كان عقاب الدين
بتحريم بعض الطيبات . وقد أعد الله لمن كفر عذابا مؤلما .

١٦٢ - لكن المؤمنين في العلم من اليهود ، المؤمنين من أمك - أيها النبي - يصدقون بما أوحى إليك وما أوحى
إلى الرسل من قبلك . والذين يؤدون الصلاة حق الأداء ، ويعطون الزكاة ، ويصدقون بالله وبالبعث والمحاسب ،
أولئك سيجزيهم الله على إيمانهم وطياعتهم أحسن الجزاء .

١٦٣ - إنا أوحينا إليك - أيها النبي - القرآن والشرعة ، كما أوحينا من قبلك إلى نوح وإلى النبيين من بعده ،
وكما أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وهم أنبياء الله من ذرية يعقوب ، وإلى عيسى
وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وكما أوحينا إلى داود فأنزلنا عليه كتاب الزبور .

١٦٤ - وكذلك أرسلنا رسلا كثيرا ذكرنا لك أنبياءهم من قبل ، ورسلا آخرين لم نذكر قصصهم ، وكانت
طريقة الوحي إلى موسى أن كلمه الله تكليما من وراء حجاب بلا واسطة .

١٦٥ - بشنا هؤلاء الرسل جميعا ، مبشرين من آمن بالثواب ، ومنذرين من كفر بالعقاب ، حتى لا يكون
للناس على الله حجة يتعللون بها بعد إرسال الرسل ، والله قادر على كل شيء ، غالب لا سلطان لأحد معه . حكم
في أفعاله .

وَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَنُوا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ لِيُخْزِيَهُمْ وَلَا لِيُعَذِّبَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَأْتِيهِمُ النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُرْأُسُورُ الْوَسْطَى مِنَ رِيبِكُمْ فَعَلِمُوا خَيْرَ الْكُرْأَى وَلَئِنْ تَكْفُرُوا فَلَنَنَزِّلَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَلْعَلُ الْكَافِرُونَ لَا تَعْلَمُونَ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَحْشُرُونَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْنَاهُ الْقُنْيَا إِذْ مَرَّ بِهِ وَرُوحٌ مِنْهُ فَعَلِمُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَى خَيْرُ الْكُرْأَى إِنَّمَا اللَّهُ إِنَّهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا

١٦٦ - لكن إذا لم يشهدوا بصدقك ، فالله يشهد بصحة ما أنزل إليك لقد أنزله إليك محكما بمقتضى علمه ، والملائكة يشهدون بذلك ، وتفنيك أيها الرسول شهادة الله عن كل شهادة .

١٦٧ - ان الذين كفروا فلم يصدقوك ، ومنوا الناس عن البخل في دين الله ، قد بعدوا عن الحق بعدا شديدا .

١٦٨ - ان الذين كفروا وظلموا أنفسهم بالكفر . وظلموا الرسول بجحد رسالته ، وظلموا الناس ، إذ كنهمهم الحق ، لن يفر الله لهم ماداموا على كفرهم ، ولن يهديهم طريق النجاة ، وما كان من شأنه سبحانه أن يفر لأعدائهم وهم في ضلالهم .

١٦٩ - ولكن يسلك بهم طريق النار . مخلدين فيها أبدا ، وأمر ذلك يسير على الله ،

١٧٠ - يأتيها الناس قد جاءكم الرسول - محمد - بالدين الحق من عند ربكم ، فصدقوا بما جاء به يكن خيرا لكم ، وان أيمن الا كفر فالله غني عن ايمانكم ، مالك لكم ، فله ما في السموات والأرض ملكا وخالقا وتصرفا وهو العليم بخلقهم ، الحكمي في صنعه ، لا يضيع أجر المحسن ، ولا يهمل جزاء المسيء .

١٧١ - يأهل الكتاب لا تتجاوزوا الحق مضالين في دينكم ، ولا تفكروا على الله الكذب ، فتكفروا رسالة عيسى ، أو تجعلوه المانع الله فلانما المسيح رسول كسائر الرسل ، خلقه الله بقدرته وكلمته التي بشر بها ، ونفخ روحه جبريل في مريم ، فهو سر من أسرار قدرته ، فآمنوا بالله ورسله جميعا ايمانا صحيحا ولا تدعوا أن الألهة ثلاثة ، انصرفوا عن هذا الباطل يكن خيرا لكم ، فلانما الله واحد لا شريك له ، وهو منز عن أن يكون له ولد ، وكل ما في السموات والأرض ملك له ، وكفى به وحده مدبرا للكل .

لَهُ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكِبْ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ فَاسْتَخِرْ قَسَمَهُمْ إِلَيْهِ جَعَلَهُ ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنَفُوا وَاسْتَكَرُوا فَأَعْدَبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ بَيَّأْنَا النَّاسَ قَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّكَ وَاتَّزَلَّتْ إِلَيْكَ قُرُورًا مَبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ فِي اللَّهِ يَنْفِيكَ فِي الْكَلْبَةِ إِنَّ أَمْرًا هَٰذَا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَرَّ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أَخْتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّلُبَانِ بِمَا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رَجُلًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَىٰ ﴿١٧٦﴾ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾

١٧٢ - لن يرفع المسبح عن أن يكون عبدا لله، ولن يرفع عن ذلك الملائكة المقربون، ومن يتكبر ويرفع عن عبادة الله قلن يفلن من عقابه يوم يجمع الله الناس للحساب.

١٧٣ - فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فيوفيهن ثواب أعمالهم ويزيدهن من فضله، أكراما وانعاما، وأما الذين أنفوا أن يعبدوه، وترفعوا أن يشكروه فقد أعد لهم عذابا شديدا بالإسلام، لن يدفعه عنهم معين ولن ينقذهم منه نصير.

١٧٤ - بأيها الناس جعلا. قد جاءكم الدلائل الواضحة على صدق الرسول محمد، وأنزلنا إليكم على لسانه قرآنا بينا كالنور، يضيء الطريق ويهديكم إلى النجاة.

١٧٥ - فأما الذين صدقوا بالله ورسالاته، وتسكروا بدينه، فسيدخلهم في الأخرة جناته، ويغفرهم بفيض رحمته، ويشملهم بواسع فضله وسيوفقههم في الدنيا إلى الثبات على صراطه المستقيم.

١٧٦ - يسألونك - أيها النبي - عن ميراث من مات ولا ولد له ولا والد: إن حكم الله في ميراث هؤلاء: إن كان للمتوفى أخت، فلها نصف تركته، وإن كان للمتوفى أخ فله تركتها، وإن كان للوارث أختان فلها ثلثا التركة^(١)، وإن كانوا إخوة من ذكور وإناث فنصيب الذكر مثل نصيب الأنثيين. بين الله لكم هذا البيان حتى لا تضلوا في تقسيم الأنصية والله عالم علما كاملا بكل شيء من أعمالكم وأفعالك، ومعجازكم عليها.

(١) وبينت السنة أن الأكثر من الأخنتين كلله مع أية الوارث التي ذكرت أن الأكثر من بنتين يأخذن الثلثين، فبالأول الأكثر من الأخنتين، لأن البنات أقرب إلى الميراث. ولاحظ أن القوانين الأوربية، للشفقة من القانون الروماني، لا تورث الأخيرة، ولا الأخوات ولا أولادهم، ونرى ذلك تعطي المالك الحق في حرمان كل وورثته. وقد منع ذلك الإسلام فلم يخط الميراث حقا إلا في الثلث ولا يزيد عليه.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْفُسِ إِنْ أَمِنْتُمْ عَلَيْكُمْ غَيْرَ عِلٍّ فِي الْبَيْعِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ
إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْبِلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّجَرِ الْحَرَامِ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ

هي مدنية ، وعهد أباها عشرين ومائة وهي من أواخر سور القرآن نزولا ، وقد اشتملت على بيان وجوب الوفاء بالعقود عامة ، سواء أكانت بين العبد وربّه ، أم بين الناس بعضهم مع بعض ، وبينت بعض المحرمات من الأطعمة ، كما بينت الحلال منها وحل نساء أهل الكتاب ، وذكر أركان الوضوء ، والتميم ، وفيها بيان طلب الصداقة مع العدو . وقد تضمنت الإشارة إلى نعم الله على المسلمين ، وجوب المحافظة على كتابهم ، وبينت أن اليهود حرفوا الكلم عن مواضعه ، وأن النصارى نسوا حظا مما ذكروا به . وأنهم كفروا بقولهم إن المسيح ابن الله ، وتكذيب اليهود للنصارى في ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه . ثم تضمنت بعض أخبار اليهود ، كما تضمنت قصة ولدي آدم التي تثبت أن الاعتداء في طبيعة ابن آدم ، ثم وجوب القصاص تنزيها لهذه الطبيعة . واشتملت على عقوبة الشبهاء وعقوبة السرقة . ثم عادت إلى بيان تحريف اليهود للأحكام التشريعية التي اشتملت عليها التوراة ، وبيان أن التوراة والإنجيل كان فيها الحق قبل التحريف . وقررت وجوب الحكم بما أنزل الله ، وأشارت إلى عداوة اليهود والنصارى الحاليين للمؤمنين ، وجوب عدم الخضوع لهم ، وعدم الرضا بما يفلتون محوهم وضرورة مقاومتهم ، وقررت كفر النصارى الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ؛ ثم أنصف القرآن في هذه السورة بعض النصارى الذين أذعنوا للحق وآمنوا به . ثم اشتملت على منع المؤمن من أن يحرم بعض الطيبات عليه . وبينت كفارة الأيمان إذا حنت ، ثم حرمت الخمر تحريما قاطعا ، ثم بينت بعض مناسك الحج ومكانة الكعبة والأشهر الحرم ، وطلان بعض ما حرّمه العرب على أنفسهم من غير حجة ولا دليل ، كما بينت حكم الوصية في السفر . وختمت السورة بالمعجزات التي جرت على يد عيسى عليه السلام ، ومع ذلك كفر به بنو إسرائيل ، وذكرت تبرؤ عيسى عليه السلام من الذين عبادوه ، وبيان ملك الله سبحانه للسموات والأرض وكما يشاء .

١ - يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ : اتقوا الوفاء لجميع اليهود التي بينكم وبين الله ، والعهود المشروعة التي بينكم وبين الناس . وقد أحل الله لكم أكل لحوم الأنعام من الأبل والبقر والغنم ، إلا ما ينص لكم على تحريمه . ولا يجوز لكم صيد البر إذا كنتم حرمين : أو كنتم في أرض الحرم . إن الله يقضي بحكته ما يريد من أحكام ، وأن هذا من عهود الله عليكم ① .

① (١) الوفاء بالعقود يدخل فيه ما يقاضه الناس بما بينهم والعهد أصلا يكون بين طرفين وله معنى الاستيثاق والتشدّد بخلاف عهد يكون من طرف واحد ويدخل في الأخير الالتزام بالإرادة المنفردة وربما سبق القرآن الكريم القرآن الوضعية والآية عامة في الوفاء بالعقود وبخاصة لأن العهد في الإسلام تربية للمصلحين وفي شرع وضعي لا يمكن أن يأتي بأمر وأمره من هذه الآية أو بأمرها في ضرورة الوفاء بالعقود واحترامها .

وَلَا هَآئِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَتَفَوَّنُونَ فَفَصَلًا مِّنْ بَيْنِهِمْ وَيَرْزُقُونَا وَإِذَا حَقَّ قَضَاؤُنَا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن مَّذُومَكُمْ عَنِ السَّيِّئِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَمْلُونَا عَلَىٰ الْبَرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَأْخُذُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَأَنْتُمْ أَهْلُ الْإِنشَاءِ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ① حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَحُمَ الْخَنَازِيرُ وَمَا أَهْلُ بَيْتِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْتَفَخَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَكِّرْكَ فَقَدْ أَيُّومَ يَسَّ اللَّهُ كُفْرًا مِّنْ دِينِكَ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاحْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكَ دِينَكَ وَأَمَمْتُ عَلَيْكَ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكَ الْإِسْلَامَ دِينًا قَبْلَ أَنْ أَضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ② يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ كُلُّ الْأَشْيَاءِ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ

٢ - يأبى المؤمنون لا يتسبوا حرمة شعار الله ، كما نساك الحج وقت الاحرام قبل التحلل منه وسائر احكام الشريعة ، ولا تنتهكوا حرمة الأشهر الحرم بإثارة الحرب فيها ، ولا تعتدوا لما عصى من الأفعال إلى بيت الله الحرام باغتصابه أو منع بلوغه حله ، ولا تزعموا القتال ، وهي العلامات التي توضع في الاعتناق ، استعارا بقصد البيت الحرام ، وأما ستكون ذبيحة في الحج ، ولا تعتدوا لقتل بيت الله الحرام ينتفون فضل الله ورضاه ، وإذا تخلص من الاحرام ، وخرجتم من أرض الحرم ، فلكم أن تعتدوا ، ولا يصح لكم بغضكم الشديد لقوم صدقكم عن السجدة 'حرام على الاعتداء عليهم . وليتأولوا^(١) بغضكم مع بعض - أيها المؤمنون - على فعل الخير وجميع الطاعات ، ولا تعتدوا على المعاصي ومجاوزة حدود الله ، واخشوا عقاب الله وبطشه ، ان الله شديد العقاب لمن خالفه .

٣ - حرم الله عليكم - أيها المؤمنون - أكل لحم الميتة ، (وهي ما فارقت الروح من غير ذبح شرعي) ، وأكل الدم السائل ، ولحم الخنزير ، وما ذكر اسم غير الله عليه عند ذبحه ، وما مات خنقا ، أو التي ضربت حتى ماتت ، وما سقط من علو فات ، وما مات بسبب نطح غيره له ، وما مات بسبب أكل حيوان مفترس منه . وأما أدركتوه وفيه حياة ، مما يحل لكم أكله ، وذبحتموه ، فهو حلال لكم بالذبح . وحرم الله عليكم ما ذبح قربة للأضنام ، وحرم عليكم أن تطهروا مرفة ما كتب في القلب بواسطة القرعة بالأقداح . وتناول شيء مما سبق تحريمه ذنب عظيم وخروج عن طاعة الله . ومن الآن انتطع رجاء الكفار في القضاء على دينكم ، فلا تخافوا أن يتغلبوا عليكم ، واتقوا مخالفة أوامري . اليوم أكملت لكم أحكام دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي بآغازكم وتبتي أقدامكم ، وأخبرت لكم الاسلام دينا . فمن أجهاته ضرورة جوع إلى تناول شيء من المحرمات السابقة ، ففضل لدفع الملاك عن نفسه ، غير منحرف إلى المصية ، فإن الله يغفر للمعصية ما أكل ، دفعا للهلاك ، وهو رحيم به فيما أباح له^(٢) .

(١) ان القرآن الكريم في هذه الآية قد سبق بالدعوة إلى التلويح ، جميع التشريعات الوضعية التي تهدف إلى التلويح في الحسد بضررات المئات من البهائم .

(٢) قد يكون موت الحيوان نتيجة لتبخره أو مرض عضوي أو قتل أو نتيجة لتسممه من مصدر خارجي . ومن ثم قد يستعمل لحمه على مواد تعتبر من أكله هنا فضلا عن ان الحيوان الذي يوت دون تذكية ينحس فيه دمه وقد يحس على موته وقت طويل لا يستطيع تحييده فيعرض جسمه للتلف والفساد .

والدم هو المهرى الذي يلقى فيه مواد الأضحية ، أي التلويح الفلاني ، كلها فيه ماهر مفيد وما هو ضار مؤذ يكون في طريقه إلى الأعضاء .

مُكَلِّينَ يُعَذِّبُهُنَّ بِمَا عَصَيْنَ اللَّهَ فَكُلَّوْا بِمَا آسَنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ④ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ لُحْمُ الْبَيْتِ وَلَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ جَلَّ لَكُمْ وَعَلَامَتُكُمْ جَلَّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُطْغَنَاتٍ خَعْلَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ⑤ يَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى الْقَسْرِ فَأَقْبَلُوا وَجُوهَكُمْ وَأَبْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطْبُؤْا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْمَرَةً أَوْ عَنِ سَمَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَسْتُمْ مِنَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَبْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيَعْلَمَ عَمَلَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ⑥ وَادْكُرُوا

٤ - يسأله المؤمنون - أي الرسول - ماذا أحل الله لهم من طعام وغيره ؟ فقل لهم : أحل الله لكم كل طيب تستطيعه النفوس السليمة ، وأحل لكم ما تصطاده الجوارح التي علمتوها الصيد بالتدريج ، مستعينين بذلك بما علمكم الله فكلوا من صيدها الذي أرسلتموه إليه واسكنه عليكم ، واذكروا اسم الله عند أرسالها ، واتقوا الله بالقيام ما شرع لكم ، ولا تتجاوزوه ، واسئلوه هائلة الله فيه : فانه سريع الحساب .

٥ - اليوم - منذ نزول هذه الآية - أحل الله لكل طيب تستطيعه النفوس السليمة ، وأحل لكم طعام أهل الكتاب ، وذواتهم ، مما لم ينص بتحريمه ، كما أحل لهم طعامكم وأحل لكم زواج المسرات المصانف من المؤمنات ومن أهل الكتاب ، وإذا أدبتم لمن مهورهن قاصدين الزواج ، غير مستهينين المصالحات غير الشرعية علانية ، أو بطريق الخساذ الخلائل . ومن يبهض الدين فقد ضاع ثواب عمله الذي كان يظن أنه قربه ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

٦ - فأبيا المؤمنون - إذا أردتم القيام إلى الصلاة ولم تكونوا متوضئين ، فتوضأوا بفصل وجوهكم وأيديكم مع المرافق ، وامسحوا برؤوسكم - كلها أو بعضها - واغسلوا أرجلكم مع الكعبين . وإن كنتم جنباً عند القيام إلى

عائتي تزيل حياءه أو أخرجه من الجسم هنا فضلاً عن أن الدم يجمع فيه أيضا السوم التي تغريها الكائنات المطلقة في الجسم كما أن كبرها من الطليقات يضي فيه مراحل فصية أو طويلة دورة حياته في حائلة ، ولهذا كله كان تناول الدم كطهارة عروبا .

أما الخنزير فهو مرضي للأصاية بعدة كبير من الطليقات التي تصيب الإنسان من الفيروسات والسيريكيات (البكتيريا) والمحيروبات الأولية (الفيروسات) والديدان الطفيلية والاسطوانية وبتركية الرأس وأهم هذه الطليقات مائل :

١ - الميراث الأول الذي القى بالانتزاع كرملي المسبب للزحار البكتيري الذي ياتل الزحار الأبيض شدة وضرا ويصدره الوحيد للأنسان هو الخنزير ويكلمه يكون مرضا مهتيا لا يصيب سوى المتصلين بقرية الخنزير ويذهب ويحب عنه .

٢ - الوثائق الكبدية والموعية في التزل الاضوي وخاصة ونسبة الانشاء الكبيرة (فاسيل بيس بيوسكي) المراسلة الانتشار في الصين بينت الأضواء الصغيرة جاسترو سكويديس هوبنيس التي تصيب الإنسان في البتال وبوردا واسام ووسية الكبد الصينية (كلونوكس سينت) المنتشرة في الصين واليابان وكوريا حل لغوص وجير الخنزير المائل الحازن الرئيسي هذه الطليقات وخاصة الدخان الاول التي تتلطف في لحمه في حباتها في عرواتها الاخرى حتى تصيب الإنسان ومن لم فلقاوتها في الإنسان وحده لا تكن .

٣ - دودة لحم الخنزير التريطية (تينا سولويدي) والدودة الطيفية لها أن تتلف بويضاتها من الإنسان إلى الخنزير حيث تكون اجتبها وبتنه في ذلك دودة لحم البقر التريطية (تينا ساجيتاتا) ولكن دودة لحم الخنزير تنفذ دود لحم البقر بخصائص توطنها لاكتساب هذه الدودة انكسلا جزئيا أما ابتلاع الإنسان للبويضات بهذه الملوثة أربع طعامه الملوثة أو بارتدك قطع الدودة (أي اسلجا) الملتقة بالبويض إذا ما أصابت للتح أو انتفاخ التوركي أو القلب أو غيرها من الأعضاء الرئيسية والاصابة بهذه الدودة ومضاعفاتها الخطيرة لا تكاد تصرف في البلاد الاسلامية حيث يجرم أكل لحم الخنزير .

نِعْمَةً اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَبِسْمِ اللَّهِ الَّذِي وَاتَّقَمَ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا
عَظِيمًا ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

..... ﴿١٠﴾ (المائدة ٧ - ١٠)

الصلاة بسبب ملازمة أزواجكم ، فاغسلوا جميع أبدانكم بالماء . وإن كنتم مرضى مرضا يمنع من استعمال الماء ، أو كنتم مسافرين يتصر عليكم وجود الماء ، أو عند رجوعكم من مكان قضاء الحاجة : أو لاسمتم النساء ولم يجدوا ماء ، فعليك بالتيتم بالتراب الطهور ، بجمع وجوهكم وأيديكم به . ما يريد الله فيا أمركم به أن يضيق عليكم ، ولكنه شرع ذلك لتظهركم ظاهرا وباطنا ، ولتتم نعمه عليكم بالمداية والبيان والتيسير ، لتشكروا الله على هدايته وتقام نعمته بالمداومة على طاعته(١).

٧ - واذكروا أيها المؤمنون نعمه الله عليكم ، بهدايتكم إلى الاسلام ، وحافظوا على تنفيذ عهده الذي عاهدكم عليه ، حين بايعتم رسوله - محمدا - على السمع والطاعة ، واتقوا الله بالحفاظ على هذه العهد ، فإنه سبحانه عليم بخلقيات قلوبكم ، فجازيكم عليها .

٨ - يا أيها المؤمنون ، حافظوا بحافظة تامة على أداء حقوق الله ، وأدوا الشهادة بين الناس على وجهها الحق ، ولا يميلتكم بفضحك الشديد لقوم على أن يجانبوا العدل معهم ، بل التزموا العدل ، فهو أقرب سبيل إلى خشية الله والبعد(٢) عن غضبه ، واخشوا الله في كل أموركم ، فإنه - سبحانه - عليم بكل ما تعملون ، وبجازيكم عليه .

٩ - ننضل الله فوعد الذين صدقوا بدينه ، وعملوا الأفعال الصالحة ، أن يعفو عن ذنوبهم ، ويبرز لهم الثواب .

١٠ - والذين جحدوا دينه ، وكذبوا بآياته الدالة على وحدانيته ، وصدق رسالته ، فأولئك هم أهل جهنم المخلدون فيها .

١ - الدودة النمرية المخرزية (تريكيكا سيرالس) وأعراضها الخطيرة ممرية على انتشار برقاتها في عضلات الجسم وأعراض الإصابة بها شديدة متفرقة منها الاضطرابات المدية المعوية والحسي والآلام الروماتيزية الضلعية المبرحة وصعوبة المضغ والتنفس وبمركب العينين والتهاب اللغ والتهاق التوركي والسحايا الحظية بها والأمراض النسيجية والعظمية المترية على ذلك التسمم والالتهاب العام والارتضاح والاضطرابات التنفسية . الخ . وفي الاصابات الثالثة تحدث الرقاة بين الاسيويين الرابع والسلس في معظم الأحوال والخنزير هو المصدر الوحيد لاصابة الانسان بهذا المرض الويل إلا في المناطق القطبية الشمالية يموطن انتشار المرض من أوروبا والولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية ولكنه جسد الله غير معروف الله بين المسلمين . والاضطرابات الضلعية لتجنب هذا الوباء بقرية الخنازير بطريقة صعبة ونفسي ذاتها وصاحبة خسروا يرسائل بلعقة التكاثف غير مجدية من الناحية العملية ويكني للدلالة على هذا أن نذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية في ثلاثة أمثال عدد الاصابات في العام اجمع . وإن متوسط نسبة الاصابة في ولاياتها المختلفة هو ١٦٪ مع التوقع بأن هذا الرقم أقل كثيرا من الحقيقة وإن نسبة إصابة الخنازير به تتراوح بين ٥٪ و ٢٧٪ في الولايات المختلفة .

يزال على هذا أنه من دهن الخنزير مخفف تماما في درجة تسجعه عن الزيوت النباتية والدهن الحيوانية الأخرى . ومن ثم فصلاحته للغة موضع شك كبير بين العلماء وينصح الأستاذ د رام ٥ عالم الكيمياء الحيوية الدانماركي الحاصل على جائزة نوبل بعدم المداومة على تناوله حيث أنه قد ثبت بالتجربة أنه من أهم مسبب حمى المرارة والسادق قناتنا وتصلبا في الشرايين وبعض أمراض القلب الأخرى ويجعل الإشارة هنا إلى أن معظم التهابه ينتج عن لفظ اللحم شاملا للحم والدهن جميعا .

أما ما أهل به لغير الله وينال على النصب فهي أوامر تنهية أما للشفقة والقوة والمروعة والطبيعة وما أكل السج فسكها حكم الية وأن اختلف سبب موتها .

(١) في الطهارة الاسلابية متناهي : أحدها التوجه القلبي إلى الله تعالى بالاستعداد لذلك وعقد العزم على الوقوف امامه طاهر النفس ..

خلصا وعافا له .

إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْبَسَ فَكَتَّ أَيْبَسَهُمْ عَنَّا وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ قَلْبُكُمْ يَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
 * وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ
 وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمْهُمْ فَأَقَرَّضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ قَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِنْهُمْ
 لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ وَسُوءَ حَقَّاهُمْ يَذْكُرُوا بِهِ وَلَا تُرَاقِبُ عَلَيْهِمْ
 عَلَى خَافِيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْتَفَ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَبَيْنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ
 أَخَذْنَا مِنْهُمْ فَرَسًا حَقًّا يَذْكُرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
 بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ

١١ - يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فِي وَفْقِ التَّسْبِيحِ، حِينَ هُمْ قَوْمٌ - جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ - أَنْ يَفْتَكِرُوا
 بِكُمْ، وَيُرْسِلُوكُمْ، فَنَحْنُ أَهْلُهُمْ عَنكُمْ، وَلِنُجَاهِكُمْ مِنْهُمْ. وَالزَّمُوا تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ، وَاعْتَمِدُوا عَلَيْهِ - وَحْدَهُ - فِي أُمُورِكُمْ، فَهُوَ
 كَالْيَكِيمِ، وَشَأْنُ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ اعْتِقَادُهُ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ دَالِمًا.

١٢ - إِنْ اللَّهُ أَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَأَقَامَ عَلَيْهِمُ اثْنَيْ عَشَرَ رَتِيسًا مِنْهُمْ لِنَفْثِ الْعَهْدِ،
 وَوَعَدَهُمُ اللَّهُ وَعْدًا مُؤَكَّدًا بِأَنْ يَكُونَ مَعَهُمُ بِالصَّوْنِ وَالنَّصْرِ إِنْ أَدَّاءَ الصَّلَاةِ عَلَى وَجْهِهَا، وَأَتَاؤَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةِ
 عَلَيْهِمْ، وَصَدَقُوا بِرُسُلِهِ جَمِيعًا، وَنَصَرُوهُمْ، وَأَتَّقُوا فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ، وَإِذَا مَا فَعَلُوا ذَلِكَ، فَجَاهَزَ اللَّهُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ،
 وَأَدْخَلَهُمْ جَنَّةً الَّتِي تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، فَمَنْ كَفَرَ وَنَقَضَ الْعَهْدَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، فَقَدْ حَادَ عَنْ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ
 الْمُسْتَقِيمِ.

١٣ - فَيَسْبَبُ نَقْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَهْدِهِمْ، اسْتَحَقُّوا الطَّرْدَ مِنْ رَحَةِ اللَّهِ، وَصَارَتْ قُلُوبُهُمْ صَلْبَةً لَا تَأْتِي لِقَبُولِ
 الْحَقِّ، وَأَخَذُوا يَصْرِفُونَ كَلَامَ اللَّهِ فِي التَّوْرَةِ عَنْ مَعْنَاهُ، إِلَى مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، وَتَرَكُوا نَصِيحًا وَافِيًا بِمَا أَمَرُوا بِهِ فِي
 التَّوْرَةِ، وَسَتَلُّوا - أَيُّهَا الرُّسُولُ - تَرَى مِنْهُمْ أَلْوَانًا مِنَ الْفُتْرِ وَنَقْضِ الْعَهْدِ، إِلَّا نَفَرًا قَلِيلًا مِنْهُمْ آمَنُوا بِكَ فَلَمْ يَخُونُوا
 وَلَمْ يَفْشَرُوا. فَتَجَاوَزْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - عَمَّا فَرَطَ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَاصْفَحْ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ، إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

١٤ - وَكَذَلِكَ أَخَذَ اللَّهُ الْعَهْدَ عَلَى النَّصَارَى - الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّا نَصَارَى - بِالْإِيمَانِ بِالْإِنْجِيلِ وَبِالْوَحْدَانِيَّةِ، فَتَرَكُوا
 نَصِيحًا وَافِرًا بِمَا أَمَرُوا بِهِ فِي الْإِنْجِيلِ، فَمَتَّقِهِمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ بِإِثَارَةِ الْعَدَاوَةِ وَالْمُحَصَّةِ بَيْنَهُمْ، فَمَسَّارُوا فِرْقًا مُتَضَادَّةً إِلَى
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَسَوْفَ يُجِيرُهُمُ اللَّهُ بِرِمَتْهُمْ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَيُجَاهِزُهُمْ عَلَيْهِ.

٣ - وَنَاصِيحًا - التَّطَافَةُ الْحَسَنَةُ بِالْوُضُوءِ فِي ذَلِكَ فَسَلَّ الْأَعْضَاءُ الظَّاهِرَةَ الْمَرْضَعَةَ لِلرُّسُوحِ وَالرُّسُوحِ - يَتَكَرَّرُ وَفَدَّ بِحَسْبِ تَكَرُّرِهِ إِلَى خُسْ
 مَرَاتٍ فِي الْبَيْتِ وَبِالْإِفْخَالِ فِي حَالِ الْإِصْطِلَاقِ بِزَوْجِهِ فِي حَالِ الْخَيْشِ وَالْقَلْبِ فِي الْوُضُوءِ وَالْقَلْبِ وَفِيهِ مِنَ الْإِثْرَةِ الْحَامِلَةِ لِجَسَدِهِ
 الْأَرَضِيِّ وَفِي الْجَسَدِ بِشَاطِطٍ فِي حَرَكَةِ الدَّمِ فِي التَّحَرُّاتِ الْمَرْجُوعَةِ عَلَى ظَهْرِ الْجَسَدِ وَفِيهِ حَيْثُ تَوَرَّدَ الْأَعْصَابُ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ
 « إِذَا غَضِبْتَ فَوَضَّأْ » وَالتَّيْمِيمُ فِيهِ لِمَنْ الْأَوَّلُ وَهُوَ التَّوْبَةُ الْتَقَى إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالِاسْتِعْدَادِ لِذَلِكَ وَغَضَّ الْمَرْءُ عَلَى الْوُضُوءِ أَمَامَهُ طَلَعَ
 النَّفْسَ غَلَاظًا وَخَالِصًا هـ.

(٢) يدْعُو الْإِسْلَامَ إِلَى الصَّلَاةِ الْمَطْلُوعَةِ مِنَ الْوَلِيِّ وَبِالْعَدْوِ عَلَى الْإِسْرَاءِ فَلَا يَبْغِي أَنْ يَكُونَ الْبَيْضُ حَامِلًا عَلَى الظُّلْمِ وَذَلِكَ يُنْطَبِقُ عَلَى
 مِمَّا تَلَا مِنَ الْإِسْلَامِ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَالصَّلَاةِ عَلَى الصَّوْمِ يَصْرِحُ النَّصُّ الْقَدِيمُ رَبِّ النَّفْسِ وَلَوْ طَبَّقَ ذَلِكَ فِي
 الْفَاتِنِ الدُّنْيَا لَمْ تَلَمْتْ حَرْبًا، فَلَمَّا كَانَ لِكُلِّ مِيقَةٍ وَطَلَعَتْ قِسْمَةُ الْإِسْلَامِ التَّوْحِيدِ

وَيَعْمُرُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ۝ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۝ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَقَالَتِ الْيَهُودُ
وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا ۝ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۝ وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ يَأْتِلُ الْكَافِرُ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يَبَيِّنُ لَكُمُ الْفِتْرَةَ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۝ وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ

١٥ - يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا، محمد، داعيا إلى الحق، يظهر لكم كثيرا مما كنتم تكتمونه من التوراة
والانجيل، ويدع كثيرا مما أخفيتموه لم تدع الحاجة إلى اظهاره، قد جاءكم من عند الله شريعة كاملة هي نور في
ذاتها، وبينها كتب واضح.

١٦ - يهدي الله بهذا الكتاب إلى سبيل النجاة من اتجه إلى مرضاته، ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور
الايمان بتوفيقه، ويرشدكم إلى طريق الحق.

١٧ - لقد كفر الذين زعموا - باطلا - أن الله هو المسيح ابن مريم ١١ فقل - أيها الرسول - لهؤلاء المجرمين
على مقام الألوهية: لا يستطيع أحد أن يمنع مشيئة الله أن أراد أن يهلك عيسى وأمه، وملك جميع من في الأرض
فإن لله وحده ملك السموات والأرض وما بينهما، يخلق ما يشاء على أي مثال أراد، والله عظيم القدرة لا يعجزه
شيء.

١٨ - وقالت اليهود والنصارى: أننا المفضلون، لأننا أبناء الله والمهيبن لديه فقل لهم - أيها الرسول: فلماذا
يعذبكم بذنوبكم، ويصليكم نار جهنم؟؟ لقد كذبت لأنكم كسائر البشر مخلوقون ومحاسبون على أفعالكم، ويبد الله
وحده المغفرة لمن يشاء أن يغفر له: والعتاب لمن يشاء أن يعذبه، لأن الله ملك السموات والأرض وما بينهما، وإليه
المنتهى.

١٩ - يا أهل الكتاب قد جاءكم رسالة رسولنا الذي يظهر لكم الحق، بعد إذ توقفت الرسالات فترة من
الزمن، حتى لا تنتفروا عن كفركم بأن الله لم يبعث إليكم مبشرا ولا منذرا، ها هو ذا قد أتاكم بشير ونذير، والله
هو القادر على كل أمر - ومنه انزال الرسالات - ومحاسبكم على ما كان منكم.

مُلُوكًا وَهَآؤَ أَنْتُمْ مَالٌ يَمُوتُ أَحَدًا مِنَ الْمَلِكِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقُومُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَسْمُوْنَ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنَّا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنَّا فَإِنَّا ذَاكُلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِ عُلِيُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَسْمُوْنَ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ * وَأَتَىٰ عَلَيْهِمْ تِبْيَانُ الْآيَاتِ إِذْ قُرْبًا قُرْبَانًا فَفُقِّلَ مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَلَمْ

﴿٢٠﴾

٢٠ - واذكر - أيها الرسول - حينما قال موسى لقومه : يا قوم اذكروا بالشكر والطاعة نعم الله عليكم ، حيث اختار منكم أنبياء كثيرين ، وجعلكم أمة كاللؤلؤ ، بعد أن كنتم أذلاء في مملكة فرعون ، ومنحكم من النعم الأخرى ما لم يموت أحدًا غيركم من العالمين .

٢١ - يا قوم أطيعوا أمر الله ، فادخلوا الأرض المقدسة التي قدر الله عليكم دخولها ، ولا تراجعوا أمام أهلها ، الجبارين ، فتعودوا خاسرين نصر الله ورضوانه .

٢٢ - قال بنو إسرائيل مخالفين أمر الله : يا موسى ، إن في هذه الأرض جبابرة لا طاقة لنا بهم ، فلن ندخلها ماداموا فيها ، فإذا ما خرجوا منها دخلناها .

٢٣ - قال رجلان من نقيابهم الذين يخشون الله ، وأنعم الله عليهما بالإيمان والطاعة : ادخلوا - أيها القوم - على الجبارين باب المدينة مفاجئين ، فإذا فعلتم ذلك فإنكم منتصرون عليهم ، وتوكلوا على الله وحده في كل أموركم إن كنتم صادقين بالإيمان .

٢٤ - فأصرروا على المخالفة ، وقالوا : يا موسى ، انا معتمدون ألا ندخل هذه الأرض أبدا ، مادام فيها الجبارون ! فدعنا نحن ، فليس لك علينا من سلطان ، وانهب أنت وربك فقساقتا الجبارين ، فانا في هذا المكان مقيعون .

٢٥ - حين ذلك فرغ موسى إلى ربه قائلا : رب لا سلطان لي إلا على نفسي وأخي ، فانقض بمذلك بيننا وبين هؤلاء المعاندين .

٢٦ - فاستجاب الله لموسى ، وحرّم على أولئك المخالفين دخول هذه الأرض طيلة أربعين عاما ، يضلون في الصحراء لا يفتنون إلى جهة . قال الله لموسى يواسيه : لا تحزن على ما أصابهم ، فإنهم فاسقون خارجون عن أمر الله .

يَتَقَبَّلُ مِنَ الْآخِرِ قَالَ لَا قُتْلَكَ قَالَا إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَنْ نَسْطَ إِلَىٰ بَيْتِكَ لِنَقْتُلَكَ مَا أَنَا بِبَاسِطِ
يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ وَإِنْ أُرِيدُ أَنْ نَبْنِيَ بُيُوتًا بِإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ
النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ قَبِعَتْ اللَّهُ
عُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُنَوِّلْنِي أَعْزَتْ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ
فَأَوْرَى سَوْءَ أَبِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ
نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ

﴿٢٧﴾

٢٧ - وإن حب الاعتداء في طبيعة بعض الناس ، فأقرأ ، أيها النبي ، على اليهود - وأنت صادق - خبر هابيل وقايل ابني آدم ، حين تقرب كل منهما إلى الله بشيء ، فتقبل الله قربان أحدهما لاختلاصه ، ولم يتقبل من الآخر لعدم إخلاصه ، فحسد أخاه وتوعد بالقتل حقداً عليه ، فرد عليه أخوه مبينا له أن الله لا يتقبل العمل إلا من الأتقياء الصالحين في تزييم .

٢٨ - وقال له : إن أخواك الشيطان فددت يدك لمحوى لتقتلى ، فلن أعاملك بالمثل ، ولن أمد يدي إليك لاقتلك ، لأن أخاف عذاب ربي ، وهو الله رب العالمين

٢٩ - إني لن أقاومك حين تقتلني ، لتحمل ذنب قتلك لي ، مع ذنبك في عدم إخلاصك لله من قبل ، وبذلك تستحق أن تكون في الآخرة من أهل النار ، وذلك جزاء عادل من الله لكل ظالم .

٣٠ - سهلت له نفسه أن يخالف الفطرة ، وأن يقتل أخاه ، وقتله ، فصار في حكم الله من الخاسرين ، إذ خسر إيمانه وخسر أخاه .

٣١ - بعد قتله أصابته حسرة وحيرة ، ولم يدرك ما يصنع بجهته ! فأرسل الله غرابا ينش تراب الأرض ليدفن غرابا ميتا ، حتى يعلم ذلك القاتل كيف يسترجع أخيه ! فقال القاتل محسبا بيوال ما ارتكب ، متحصرا على جرمته . أعجزت عن أن أكون مثل هذا الغراب فأستر جثة أخي ؟ ! فصار من النادمين على جرمه ومخالفته دواعي الفطرة (١) .

(١) تنبيه هذه الآية إلى قول دحل في الإنسانية وكيف إن الدفن في التراب كان وحيا من الله سبحانه وتعالى عن طريق عمل الغراب وحكمة ذلك إرشاد الإنسان إلى أن الدفن يمنع انتشار الأمراض ويحارب ذلك فانه إكرام لليت .

رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِن كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ
وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلْفٍ أَوْ يُقَتَّلُوا مِّنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ
لَهُمْ نَجَاتِي فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَتْلَايَ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنفَعُوا اللَّهَ وَأَبْغَوْا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَنِّهُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَا لَمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّثْلَهُ مَعَهُ لَيَقْتُلُوهُنَّ بِهِ مِّنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

٣٢ - بسبب ذلك الطغيان وسحب الاعتداء في بعض النفوس ، أوجبتنا قتل المعتدى ، لأنه من قتل نفسا يفسد ما يوجب القصاص ، أو يغير فساد منها في الأرض ، فكأنه قتل الناس جميعا ، لأنه هناك حرمة مقامهم ، وجراً عليها غيره ، وقتل النفس الواحدة تقتل الجميع في استجلاب غضب الله وعذابه ؛ ومن أحيائها بالقصاص لها ، فكأنما أيا الناس كلهم ، لصيانتهم دماء البشر ، فيستحق عليهم عظيم الثواب من ربه . ولقد أرسلنا إليهم رسلنا مؤكدين حكمتنا لهم بالآفة والبراهين ، ثم ان كثيرا من بني اسرائيل بعد ذلك البيان المؤكد أسرفوا في افسادهم في الأرض^(١) .

٣٣ - إنما عقاب الذين يحاربون الله ورسوله ، بخرابهم على نظام الحكم وأحكام الشرع ، ويسبسون في الأرض يقطع الطريق أو انتهاب الأموال : أن يقتلوا بين قتلا ، وأن يصلبوا إذا قتلوا وغصبوا المال ، وأن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إذا قطعوا الطريق وغصبوا المال ولم يقتلوا ، وأن ينفوا من بلد إلى بلد ، وأن يحبسوا إذا أخافوا فقط . ذلك العقاب ذل لهم واهانة في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار^(٢) .

٣٤ - إلا الذين تابوا من هؤلاء المحاربين للنظام وقطاع الطريق ، من قبل أن تقدروا عليهم وتمكنوا منهم ، فإن عقوبة الله المذكورة تسقط عنهم وتبقى عليهم حقوق العباد ، واعلموا ان الله واسع المغفرة والرحمة .

٣٥ - يأيا الذين آمنوا ، خافوا الله باجتناب نواهيه واطاعة أوامره ، واطلبوا مايقربكم إلى نوابه ، من فعل الطاعات والتجيرات ، وجاهدوا في سبيله بإعلاء دينه ومحاربة أعدائه ، لعلكم تتقونز بكرامته وتوابه .

(١) في هذه الآية التريفة مايدل على ان الاعتداء على النفس الواحدة بالقتل اعتداء على المجتمع وهو يبرر كون الدعة عن حق المجتمع ياندرها عنه القاتل ووكلاؤه أو أية سلطة تهيئها الدولة لهذه الوظيفة في التشريعات الحديثة وهذا هو المقابل لحق الله في التشريع الانساني ، كماتشريع في هذه المسألة له حق السابق . ومن أحسن الى فرد باتخاذ حياته من الحلال فقد أحسن الى المجتمع فلاأية بما التمسك عليه من مستعين يؤكد أن الاسلام يعرض القواعد في المجتمع الصالح وقواعد الصالحين بين الأفراد والمجتمعات وفي هذا كله محافظة على الأمن والسلام والصالحين بين الأفراد والمجتمعات .

(٢) القرآن الكريم في هذه الآية وفي الآية ٢٨ - ينص على عقوبات لم تراخ فيها إلا للصلحة ومنع الاجرام وان هذه العقوبات «

مَا تَقِيلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ لَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ وَأُصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنْ أَلَّفَ غُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَامِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ عَاتِرِينَ لِرَبِّ يَأْتُونَكَ بِمُحَرَّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تَأْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ يُخْرِفْ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى الَّذِينَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا نَجْزَى وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

٣٦ - ان الذين كفروا لو كان عندهم ما في الأرض جميعا من صنوف الأموال وغيرها من مظاهر الحياة ، وكان لهم مثل ما في الأرض فوق ما فيها ، وأرادوا أن يبطئوا فدية لأنفسهم من عذاب الله يوم القيامة على كفرهم ، ما نفهم الانتداء بهذا كله ، ولا قبل الله منهم ذلك ، فلا سبيل إلى خلاصهم من العقاب ، ولهم عذاب مؤلم شديد .
٣٧ - ينفى هؤلاء الكافرين أن يخرجوا من النار ، وهم لن يخرجوا منها ، ولهم عذاب دائم مستمر .

٣٨ - والذي يسرق ، والذي تسرق ، اقطعوا أيديهما جزاء بما ارتكبا ، عقوبة لها ، وزجرا وردعا لنفسوها . وذلك الحكم لها من الله ، والله غالب على أمره ، حكيم في تشريعه ، يضع لكل جريمة ما تستحق من عقاب رادع مانع من شيعها .

٣٩ - لن تاب من بعد اعتدائه وأصلح عمله واستقام ، فإن الله يتقبل توبته ، ان الله واسع المغفرة والرحمة .

٤٠ - اعلم أيها المكلف علما يقينيا أن الله وحده له كل ما في السموات والأرض ، يهذب من يشاء تعذيبه بحكمته وقدرته ، ويغفر لمن يشاء أن يظفر له بحكمته ورحمته ، والله على كل شيء قدير .

== شأنها لو طبقت على وجهها الصحيح ان تلحق الجرائم وتقبل التمتع الى مجتنب ترغرف عليه السعادة ولقاء والأمن والسلام . ويجب التنويه الى ان هذه العقوبات مائة من شأنها منع ارتكاب الجريمة والتخفيف من الوقوع في حياة الضلالة وهي بعد عقوبات تتناسب مع ملاءة الناس والأموال من حرفة في المجتمع وعلى من يستلطف هذه العقوبات الا يرتكب ما يوجبها وقد نجحت في بحاربة الاجرام لجهاها لم تنصل اليه التبريمات الرضعية وهي بعد متفقة مع روح النصر ومع كل قبلة فهي من دعى هذه التبرية الأبدية التي جاست لتتقن مصالح الناس وعلى كل من يستلطف العقوبة ان ينظر الى المجرم أبلا والفرم بالهم .

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ مَمْنُونٌ لِلْكَذِبِ أَكْتُلُونَ لِّلْسَحَابِ فَإِن جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَصْرِوْكَ شَيْئًا وَإِن حَكَتْ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِأَقْصَطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّوْرَةَ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحِفِّطُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَلَا تَسْرَوْا بِعَابَتِي مِمَّا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ

٤١ - أيها الرسول لا يميزك صنع الكافرين الذين ينتقلون في مراتب الكفر من أدناها إلى أعلاها، مسارعين فيها، من هؤلاء المهادعين الذين قالوا أمنا بالسنتهم ولم نذعن للحق قلوبهم، ومن اليهود الذين يكثرن الاستماع إلى مفتريات أعبارهم ويستجيبون لها، ويكثرن الاستماع والاستجابة لطائفة منهم ولم يحضروا مجلسك تكبرا وبغضا، وهؤلاء يبذلون ويعرفون ما جاء في التوراة من بعد أن أقامه الله وأحكمه في مواضعه ويقولون لاتباعهم: إن أوليهم هذا الكلام المحرف المبدل فاقبلوه وأطيعوه، وإن لم يأتكم فاحذروا أن تقبلوا غيره، فلا تحزن، فمن يرد الله ضلاله لا تنفلق قلبه، فلن تستطيع أن تهديه أو أن تنفعه بشيء لم يرد الله له، وأولئك هم الذين أسرفوا في الضلال والعدا، لم يرد الله أن يظهر قلوبهم من دنس الحقد والعدا والكفر، ولم في الدنيا ذل، بالفضيحة والمزينة، ولم في الآخرة عذاب شديد عظيم.

٤٢ - هم كثيرو الاستماع للافتراء، كثيرو الأكل للبال الحرام الذي لا يركة فيه، كالفحشاء والربا وغيره، فلن جاموك لتحكم بينهم فاحكم بينهم إذا رأيت المصلحة في ذلك، أو أعرض عنهم، وإن تعرض عنهم فلن يضررك بأي قدر من الضرر، لأن الله عاصمك من الناس، وإن حكمت بينهم فاحكم بالعدل الذي أمر الله به، إن الله يحب العادلين فيحفظهم ويثيبهم.

٤٣ - عجباً لهم! كيف يطلبون حكمك، مع أن حكم الله منصوب عليه عندهم في التوراة؟! والعجب من أمرهم أنهم يعرضون عن حكمك إذا لم يوافق هواهم، مع أنه الموافق لما في كتابهم! وليس هؤلاء من المؤمنين الذين يذعنون للحق!



هُمْ أَكْفَرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ
وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ حِصَاصًا فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ عِزٍّ نَحْنُ بِهِمْ عَزِيزٌ مِّمَّنْ مَصَدَّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ
هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَيَحْكُرْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا
أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ قَاضٍ حُكْمٍ يُنْفِخُ بِهِمُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَبِيعَ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ
الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكَ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ

٤٤ - أنا أنزلنا التوراة على موسى فيها هداية إلى الحق ، وبيان منير للأحكام التي يحكم بها النبيون ، والذين
أخلصوا نفوسهم لربهم ، والعلماء السالكين طريقة الأنبياء ، والذين عهد إليهم أن يحفظوا كتابهم من التبدل ،
حراسا عليه ، شاهدين بأنه الحق . فلا تخافوا الناس في أحكامكم ، وخافوا أنا ربكم رب العالمين ، ولا تستبدلوا
بأياتي التي أنزلتها لئلا من متاع الدنيا ، كالرشوة والجلاء ، ومن لم يحكم بما أنزل الله من شرائع مستهينين بها ،
فهم من الكافرين .

٤٥ - وفرضنا على اليهود في التوراة شرعة القصاص ، لنحفظ بها حياة الناس . فحكما بأن تؤخذ النفس
بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف والأذن بالأذن ، والسِّن بالسِّن ، والجروح يقتص فيها إذا أمكن . فمن عفا
وتصدق بحقه في القصاص على الجاني ، كان هذا التصديق كفارة له ، يحسب الله بها قدرا من ذنوبه . ومن لم يحكم
بما أنزل الله من القصاص وغيره ، فأولئك هم الظالمون .

٤٦ - وأرسلنا من بعد هؤلاء النبيين عيسى بن مريم ، . بما طريقتهم ، مصدقا لما سبقه من التوراة . وأنزلنا
عليه الإنجيل فيه هداية إلى الحق ، وبيان للأحكام ، وأنزلناه مصدقا لما سبقه من التوراة ، وفيها هداية إلى الحق
وموعظة للمتقين .

٤٧ - وأمرنا اتباع عيسى وأصحاب الإنجيل بأن يحكموا بما أنزل الله فيه من أحكام ، ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الخارجون المتمردون على شريعة الله .

فَاسْتَقُوا الْحَيَاةَ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَحْدٍ جَمِيعًا فَيُنْزِلَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَحْتَفُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يَهْذِبَ بَعْضَ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ النَّاسِ لَفَتَنِقُونَ ﴿٤٩﴾ الْمَكْرَ الْجَهْلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ * يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الْيَهُودَ وَأَنْصَرُوا أَوْلِيَاءَهُمْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

٤٨ - وأنزلنا إليك - أيها النبي - الكتاب الكامل ، وهو القرآن ، ملازما الحق في كل أحكامه وأنبأته ، موافقا لما سبقه من كتبنا ، وشاهدا عليها بالصحة ، ورقيبا عليها بسبب حفظه من التغير ، فاحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إليك بما أنزله الله عليك ، ولا تتبع في حكمك شهواتهم ورغباتهم ، فتتحرف عما جاهد منا من حق ، لكل أمة منكم - أيها الناس - جعلنا متهاجا لبيان الحق ، وطريقا واضحا في الدين يمشي عليه ، ولو شاء الله لمهلككم جماعة متفقة ذات مشارب واحدة ، لا تختلف مناهج ارتساعها في جميع العصور ، ولكنه جعلكم هكذا ليختبركم فيها أناكم من الشرائع ، ليتبين الطبع والخاص ، فانتبهزوا الفرس ، وسارعوا إلى عمل المحيرات ، فإن رجوعكم جميعا سيكون إلى الله وحده ، فيخبركم بحقيقة ما كنتم تحتفظون فيه ، ويجازي كلا منكم بعمله .

٤٩ - وأمرناك أيها الرسول بأن تحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع رغباتهم في الحكم ، واحذرهم أن يهزفوك عن بعض ما أنزله الله إليك ، فإن أعرضوا عن حكم الله وأرادوا غيره ، فاعلم أن الله إنما يريد أن يهزفهم بفساد أمورهم ، لنفسا نفوسهم ، بسبب ذنوبهم التي ارتكبوها من مخالفة أحكامه وشريعته ، ثم يميزهم عن كل أعالمهم في الآخرة (١) ، وإن كثيرا من الناس لمتريدون على أحكام الشريعة .

٥٠ - أريد أولئك الخارجون عن أمر الله ونهيه أن يحكموا بأحكام الجاهلية التي لا عدل فيها ، بل الهوى هو الذي يحكم ، بأن يجعلوا أساس الحكم الميل والمداينة ؟ وهذه هي طريقة أهل الجاهلية ! وهل يوجد أحسن من الله حكما لقوم يوقنون بالشرع ويذعنون للحق ؟ انهم هم الذين يدركون حسن أحكام الله .

(١) في هذه الآية الدليل على أن القرآن الكريم يقر مبدأ اقليةية الثاني بين أن التشريع الاسلامي يطبق في مدار الاسلام على جميع القاطنين بها ومبدأ الاقليةية هنا ما يستقر في عالم التشريع الوضعي (إلا حديثا) .

وَمَنْ يَتَوَلَّكُمْ مِنْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشِقُ أَنْ نَحْمِلَ دَارَهُ قَتْلَى أَنْ يَأْتِي بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ فَانكَبَوا عَلَيْهِمْ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُؤَلَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ جَهْدَ آيْمَانِهِمْ لَأَنْهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَحْشَوْنَ لَوْمَةً لَأَيِّمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلَيْكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكْعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهُ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَكُمْ هَرْوًا وَلَبًّا مِنَ الَّذِينَ آوَوْا إِلَيْكُم مِّن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرُ أَوْلَايَةٌ

٥١ - يأيا الذين آمنوا لا يحمل لكم أن تتخذوا اليهود ولا النصارى نصراء توالوهم، فهم سواء في معاداتكم. ومن جعل لهم الولاية عليه فإنه من جعلهم وإن الله لا يهدي الذين يظلمون أنفسهم يجعلهم للكافرين.

٥٢ - وإذا كانت ولايتهم لا ينفعها إلا الظالمون، فانك ترى الذين يوالوهم في قلوبهم مرض الضعف والنفاق، إذ يقولون: نحلف أن نصيننا كارهة عما فلا يساعدونا! فبقي الله أن يحقق الفتح لرسوله والنصر للمسلمين على أعدائهم أو يظهر نفاق أولئك المنافقين، فيصحبوا نادمين أسفين على ما كتبوه في نفوسهم من كفر وشك !!

٥٣ - وحينئذ يقول المؤمنون الصادقون، متعجبين من المنافقين: أولاء الذين أقسموا وباللغو في القسم بالله على أنهم معكم في الدين، مؤمنون مثلكم؟ كذبوا وبطلت أعمالهم، نصاروا خاسرين الايمان، ونصرة المؤمنين !!

٥٤ - يأيا الذين آمنوا: من يرجع منكم عن الايمان إلى الكفر، فلن يضروا الله بأى قدر من الضرر تعالى الله عن ذلك، فسوف يأتي الله بلهم بقوم خير منهم، يحيم الله فيوقفهم للهدى والطاعة، ويحيون الله فيطيحونه، وفيهم تواضع ورحمة بإخوانهم المؤمنين، وفيهم شدة على أعدائهم الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخشون في الله لومة أى لائم! ذلك فضل الله يمنه لمن يشاء ممن يوقفهم للخير، والله كثير الفضل عليم بمن يستحقونه.

٥٥ - إنما ولايتكم - أي المؤمنون - الله ورسوله وأنفسكم، ممن يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، وهم خاضعون لله.

٥٦ - ومن يتخذ الله ورسوله والمؤمنين أوليائه ونصراده، فإنه يكون من حزب الله، وحزب الله هم المنتصرون الفائزون.

وَأَقْرَأُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا مِنْكُمْ دُولًا وَمِنْكُمْ دُولٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَأْمُرُ الْكِتَابُ أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ وَأَنْ تُؤْتُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَأَنْ تَقُولُوا حَقَّ قَوْلِهِ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثْوًى عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْخَنَازِيرَ وَحَبَدَ الطُّغُوتِ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٥٩﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِمَّا قَالُوا أَتَمْنَا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ تَرَجَّأُوا بِهِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦٠﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْثُهُمُ السُّعْتِ ۚ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَرِيحِهِمْ

٥٧ - يأبى الذين آمنوا لا يتخفوا أعداء الاسلام الذين اتفقوا دينكم سخرية بها، وهم اليهود والنصارى والمشركون، نصره، ولا تجعلوا ولايتكم لهم، وخافوا الله ان كنتم صادقين في ايمانكم.

٥٨ - ومن استهزأهم بكم: أنكم إذا دعوتهم إلى الصلاة بالأذان، استهزأوا بالصلاة، وتضاحكوا عليها ولم يروا فيها، وذلك بسبب أنهم قوم لا يفقهون، ولا يدركون الفرق بين الضلال والهدى!

٥٩ - قل أيها الرسول: يا أهل الكتاب، هل تنقمون علينا إلا إيماننا بالله وبما أنزل البنا، وهو القرآن، وبما أنزل من قبل على الأنبياء من الكتب الصحيحة: وإيماننا بأن أكثركم خارجون على شريعة الله؟!!

٦٠ - قل لهم: ألا أخبركم بأعظم شر في الجزاء عند الله؟ انه عملكم أنتم بامن أبصدهم الله من رحمته، وسخط عليهم بسبب كفرهم وعصيانهم، وطمس على قلوبهم، فكانوا كالفرقة والخنزير، وعبدوا الشيطان، واتبعوا الضلال! أولئك في أكبر مؤلة من الشر، لأنهم أبعد الناس عن طريق الحق.

٦١ - وإذا جاءكم المنافقون، كذبوا عليكم بقولهم: أمنا! وهم قد دخلوا اليكم كافرين كما خرجوا من عندكم كافرين! والله أعلم بما يكتمون من النفاق ومعاثهم عليه.

٦٢ - وتري كثيرا من هؤلاء يسارعون في المعاصي والاعتداء على غيرهم، وفي أكل المال الحرام كالرخصة والزبا ولبس ما يغلطونه من هذه القباح!.

الْإِيمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّعْثَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُمُوا بِمَا قَالُوا ﴿٦٤﴾ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ وَالْقَلِيلُ مِنْهُمْ لَيَصُبُّهُمُ الْعَذَابُ وَبِغَضَائِهِ لَيَوْمُ الْقِيَامَةِ ۚ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُفًا أَفَغُلُّوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَالَهَا ۖ وَاصْبُرُوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكُنَّا عَنْهُمْ سَبِيلًا ۖ وَلَا دَخَلَنَّهُمُ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكُونُوا مِنْ فَوقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ * يَأْتِيَا الرُّسُولَ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ لَمَّ يَبْلُغَنَّ رِسَالَتُهُ ۖ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ يَأْتِئُكُمُ الْكِتَابُ لَيْسَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْهُ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنْزِلَ

٦٣ - أما كان ينبغي أن ينهزم علماءهم وأخبارهم عن قول الكذب وأكل الحرام ، وليس ما كانوا يصنعون من ترك النصيحة والنهي عن المصيبة .

٦٤ - وقالت اليهود : يد الله مقبوضة لا تنبسط بالمعطاء ! قبض الله أيدهم وأبعدهم من رحمته ! فإله غني كريم ينفق كما يشاء . وإن كثيرا من هؤلاء ، لإيمانهم في الضلال ، ليزيدهم ما أنزل إليكم من الله ظلما وكفرا ، لما فهم من حقد وحسد . وأثرنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة . وكلما أشعلوا نارا لحرب الرسول والمؤمنين أطفاها الله بهزيمتهم وانتصار نبيه وأتباعه ! وأنهم يجهلون في نشر الفساد في الأرض بالكيد والفتن وإثارة الحروب ، والله لا يحب المفسدين .

٦٥ - ولو أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى آمنوا بالإسلام ونبيه ، واجتنبوا الآثام اتقى ذكورها ، لهونا عنهم سيئاتهم ، وأدخلناهم في جنات النعيم يتمتعون بها .

٦٦ - ولو أنهم حفظوا التوراة والإنجيل كما نزل ، وعملوا بما فيها . وآمنوا بما أنزل إليهم من ربه ، وهو القرآن ، لوسع الله عليهم الرزق بأنهم من كل جهة يلتبسونه منها . وليسوا سواء في الضلال . ومن هؤلاء جماعة عادلة عاقلة ، وهم الذين آمنوا بمحمد والقرآن ، وكثير منهم ليس ما يعملونه ويقولونه معرضين عن الحق .

٦٧ - يأجها المرسل من الله ، أخبر الناس بكل ما أوحى إليكم من ربه . وادعهم إليه ، ولا تخش الأذى من أحد ، وإن لم تفعل ذلك لما بلغت رسالة الله ، لأنك قد كلفت تبليغ الجميع ، والله يحفظك من أذى الكفار . إذ جرت سنته ألا ينصر الباطل على الحق ، إن الله لا يهدي الكافرين إلى الطريق السوي .

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ
وَالنَّصَارَى مِنْ أَمَمٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوِيًّا فَلَا عُقُوبَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾
وَحَسِبُوا أَنَّهُ لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ فَصَمُّوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ جَاءَهُمُ الْمَوْتُ وَهُمْ كَانُوا مُعْرِضِينَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
لَقَدْ كَرِهَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قَالِ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي بَنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
إِنَّمَا مَنْ يَشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ هَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ

٦٨ - أيها الرسول، قل لأهل الكتاب: انكم لا تكونون على أي دين صحيح، إلا إذا أعلنتم جميع الأحكام
التي أنزلت في التوراة والإنجيل، وعلمت بها، وأمنت بالقرآن الموحى به من الله إلى رسوله هداية الناس،
ولتتقين - أيها الرسول - أن معظم أهل الكتاب سينفذون بالقرآن الموحى به إليكم، ظنا وكفرا وعنادا، فستسلم
وحقتهم، فلا تحزن على الذين طبعوا على الجحود.

٦٩ - ان المصدقين بالله، وأتباع موسى من اليهود، والمخرجين عن الأديان، وأتباع عيسى من النصارى، كل
أولئك، إذا أخلصوا في الإيمان بالله، وصدقوا بالهت والجزاد، وأتوا بالأفعال الصالحة التي جاء بها الإسلام، فهم
في مأمن من العذاب وفي سرور بالنعيم يوم القيامة.

٧٠ - اتنا عاهدنا اليهود من بني إسرائيل عهدا مؤكدا في التوراة على اتباع أحكامها، وحبنا إليهم أنبياء
كثيرين لبيئوها لهم، ويؤكدوا عهدنا، ولكنهم نقضوا العهد، فكانوا كلما أتاهم رسول بما يخالف أهواهم، كذبوا
البعض وقتلوا البعض.

٧١ - وطن بنو إسرائيل أنه لا تنزل لهم شدائد تبين التائبين من غير التائبين، ولذلك لم يصبروا في
الشدائد، بل ضل كثيرين منهم، وصاروا كالعميان الصم، وأعرضوا عن الحق، فسلط الله عليهم من أذنانهم
الذل، وبعد حين رجعوا إلى الله تائبين، فتقبل توبتهم، وأعاد إليهم عزهم، ولكنهم من بعد ذلك ضلوا مرة
أخرى، وصاروا كالعمى الصم، والله مطلع عليهم، مشاهد لأعمالهم، ومجازيهم عليها.

٧٢ - وأنه لا يؤمن بالله من يزعم أن الله حل في عيسى ابن مريم حتى صار لها، كما يقول النصارى الآن،
مع أن عيسى يراه من هذه الدعوى، فإنه أمر بني إسرائيل أن يخلصوا الإيمان له وحده، قاتلا هم: ان الله هو
خالق ومخلقكم، ومالك أمرنا جميعا، وأن كل من يدعي لله شريكا فلن جزاه أن لا يدخل الجنة أبدا، وأن تكون
النار مصيره، لأنه تمدى حدود الله، وليس لمن يتعدى حدوده وعظم، ناصر يدفع عنه العذاب.

ثَالِثٌ ثَلَاثَةٌ وَمِنْ لَيْلِهِ إِلَّا إِلَهُهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَتَّبِعُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾
 أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
 وَأُمُّرٌ صِدْقَةٌ كَأَنَّا بِكُلِّ لَأَنٍ أَلْعَلَّمُ أَنْظَرَ كَيْفَ نَبِّئُ هُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلِ اتَّعَبُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ مَا لَكُمْ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَتَأَلَّلُ الْكِتَابُ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ
 الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ

٧٣ - وانه لم يؤمن بالله كذلك كل من ادعى أن الله أحد ألهة ثلاثة، كما يزعم النصارى الآن !! والمحق
 الثابت أنه ليس هناك إله إلا الله وحده، وإذا لم يرجع هؤلاء الضالون عن معتقداتهم الفاسدة إلى طاعة الله،
 فلا بد أن يصيبهم عذاب شديد.

٧٤ - ألا يتوب هؤلاء عن تلك العقائد الزائفة، ويرجعوا إلى الإيمان بالله، ويطلبوا منه التجاوز عما وقع منهم
 من الذنوب؟ إن الله واسع المفرة، عظيم الرحمة.

٧٥ - ليس عيسى بن مريم إلا عبدا من البشر، أنعم الله عليه بالرسالة، كما أنعم على كثير من سبقه، وأم
 عيسى إحدى النساء، طبع على الصدق في قولها والتصديق بربها، وكانت هي وابنها عيسى في حاجة إلى
 ما يفظ حياتهما من الطعام والشراب، وذلك علامة البشرية. فتأمل أيها السامع حال هؤلاء الذين عموا عن دلالة
 الآيات الواضحة التي بينها الله لهم، ثم تأمل كيف ينصرفون عن الحق مع وضوحه !!

٧٦ - قل أيها الرسول لهؤلاء الضالين: كيف تعبدون إلها يحبس عن أن يضركم شيء إن تركتم عبادته،
 ويحبس عن أن ينفعكم شيء إن عبدتموه !! كيف تتركين عبادة الله وهو الإله القادر على كل شيء، وهو ذو السمع
 والطمع الشامل !!

٧٧ - قل بأيها الرسول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: إن الله ينهاكم أن تتجاوزوا في معتقداتكم حدود
 الحق إلى الباطل فتجسوا بعض خلقه آلهة، أو تنكروا رسالة بعض الرسل، وينهاكم أن تسميوا وراء مشهوات
 أناس سيقوم، قد تجهوا طريق الهدى، ومنعوا كثيرا من الناس أن يسلكوها واستمروا على مجافاتهم طريق الحق
 الواضح.

٧٨ - طرد الله قسار بني إسرائيل من رحمة، وأنزل هذا في الزبور على نبيه داود، وفي الإنجيل على نبيه
 عيسى بن مريم، وذلك بسبب ترددهم عن طاعة الله، وتخليهم في الظلم والفساد.

عَنْ مُنْكَرٍ قَوْلَهُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَخَافُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَلِيدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَا آخِذُوهُمْ أُولَئِكَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُهُمْ ذَلِكَ بَيْنَ مِنْهُمْ قَسِيمٍ وَهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثْبِتْهُمْ اللَّهُ يَمَّا قَالُوا جَنَّبْنَا عِجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ



٧٩ - كان دليهم ألا يتناصحوا ، فلا ينهى أحد منهم غيره عن قبيح فعله ! وأن اتبائهم المنكر وعدم تناهيمه عنه لمن أتبع ما كانوا يفعلون .

٨٠ - ترى كثيرا من بني اسرائيل يتحالفون مع المشركين ، ويتخذونهم أنصارا يتعاونون فيما بينهم على حرب الاسلام ! ان هذا الشر عمل ادخرته لهم أنفسهم ، ليجدوا جزاءه غضبا من الله ، وغلوا في عذاب جهنم !

٨١ - ولو صحت عقيدة هؤلاء في الايمان بالله ورسوله محمد ، وما أنزل إليه من القرآن ، لثمهم ذلك الايمان عن موالاتهم للكفار ضد المؤمنين ، ولكن كثيرا من بني اسرائيل عاصون خارجون عن الأديان .

٨٢ - تؤكد لك أيها النبي أنك تجد أشد الناس حقدا وكرهية لك ، ولن أمن بك ، هم اليهود ، والذين أشركوا مع الله غيره في العبادة . وتجد أن أقرب الناس مودة ومحبة لك ، هم أتباع عيسى ، الذين هموا أنفسهم نصارى ، لأن فيهم قسيسين يعلمون دينهم ، ورجالنا يمشون ربهم ، ولأنهم لا يستكبرون عن ماع الحق .

٨٣ - ولأنهم إذا سمعوا القرآن الذي أنزل على الرسول يتأثرون به ، تفيض عيونهم بالدمع ، لمعرفتهم أن الذي سمعوه حق ، فتميل إليه قلوبهم ، وتطلق السهم بالدعاء له قائلين : ربنا آتنا بك ورسلك ، وبالحق الذي نزلته عليهم ، فقتل إهانتنا ، واجعلنا من أمة محمد الذين جعلهم شهداء وحجة على الناس يوم القيامة .

٨٤ - وأي مانع يمنعنا من أن نصفق بالله وحده ، وبما جاءنا من الحق المنزل على محمد ؟ ونحن نرجو أن يدخلنا ربنا الجنة مع القوم الذين صلحت عقائدهم وأعمالهم .

٨٥ - فكذب الله لهم ثوبا بالاعترافهم ، هو جنات تجري الأنهار تحت أشجارها وقصورها ، وهم ما يكون فيها دائما . وذلك الجزاء الذي نالوه هو جزاء كل محسن مثلهم .

كَفَرُوا وَكَثِيرًا مِّنَّا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْحَرِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيعَتَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُتُورِ إِيْمَانَكُمْ وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ فَطُغِنَا لَهُمُ عَشْرَةَ سَنِينَ مِّنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ قُلْ لَّيْسَ بِي حِصْنٌ مِّمَّنْ كَفَرُوا ذَلِكَ كَفَرُوا إِيْمَانَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا إِيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

٨٦ - والذين جعلوا بالله رسلا، وأنكروا أدلته التي أنزلها عليهم هداية للحق، هم وحسبهم الملازمون للعذاب الشديد في جهنم.

٨٧ - يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا على أنفسكم ما أحل الله لكم من الطيبات، ولا تتجاوزوا الحدود التي شرعها الله لكم من التوسط في أموركم. إن الله لا يحب المتجاوزين للحدود.

٨٨ - وكلوا مما أعطاكم الله وسره لكم، وجعله حلالا لكم طيب به نفوسكم، واخشوا الله دائما وأطيعوه ما دعى مؤمنين به.

٨٩ - لا يحاقبكم الله بسبب ما لم تقصدوه من أيمانكم، وإنما يحاقبكم بسبب الحنث فيها قصدتموه ووفقتموه من الأيمان، فإن حنثتم فيها حلقتكم عليه، فعليكم أن تفعلوا ما يفتر ذنوبكم بنقض اليمين، بأن تطعموا عشرة فقراء يوماً، مما جرت العادة بأن تأكلوه أنتم وأقاربكم الذين هم في وعائيتكم، من غير سرف ولا تقتير. أو بأن تكسوا عشرة من الفقراء كسوة معتادة، أو بأن تحرروا انساناً من الرق. فإذا لم يتمكن المحالف من أحد هذه الأمور فعليه أن يصوم ثلاثة أيام. وكل واحد من هذه الأمور يفتر به ذنب الحلف الموقف بالنية إذا نقضه المحالف. وصوبوا أيمانكم فلا تضعوها في غير موضعها، ولا تتركوا فعل ما يفتر ذنوبكم إذا نقضتموها. على هذا النسق من البيان يشرح الله لكم أحكامه، لتشكروا نعمه بحرفتها والقيام بمقتضاها^(١).

(١) هذه آية من الآيات العديدة في القرآن الكريم التي تدعو إلى تحرير الرقاب إذ توسع القرآن في المسالك المؤدية إلى تحرير الرقاب كما حث في مصادر الرق.

إِنَّمَا أَكْمَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْنَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَبُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا

٩٠ - بأنها المصدقون بالله وكتبه ورسله، المذعنون للحق، ليس شرب السكرات، ولا لعب القمار، ونصب الأحجار للذبح عندها تقربا إلى الأصنام التي تعبدونها، واقتداء السهام والمضى والورق للترصف بها على مفنيات القدر.. ليس كل ذلك إلا خيلا نفسيا باطلا، هو من تزوين الشيطان لفناعله.. فأتوه لكي تفوزوا في الدنيا بجياة فاضلة، وفي الآخرة بتعيم الجنة.

٩١ - ان الشيطان لا يريد بزيته لكم شرب الخمر ولعب الميسر، إلا أن يوجد بينكم الخلاف والشقاق والكراهية، ليضعف أركم بهاب الألفة بينكم، وتفتت وحدتكم، بسبب ما يزيته لكم من شرب السكرات ولعب القمار، ولا أن يصرفكم عن عبادة الله، ويلهيكم عن أداء الصلاة، لتسهو آخرتكم كما ساءت دنياكم. فيبد علمكم هذه المقاسد ابتعدوا عما تهيبكم عنه، لتلوتوا على اليبس غرضه^(١).

٩٢ - وامتلوا أمر الله وأمر رسوله فإي يلغكم به عن ربه، وابتعدوا عما يعرضكم للعذاب ان خالفتم لأنكم ان أعرضتم عن الاستجابة لما أركم به، فتبتقوا أنه معاقبكم. وليس لكم عذر بعد أن بين لكم الرسول عاقبة الضالين، وأنه ليس على رسولنا إلا اخباركم بأحكامنا، وتوضيحها توضيحا كاملا.

(١) ذكر الله سبحانه وتعالى في الخمر واليسر في هذه الآية أمورا أربعة أوجبت تحريمها:

أولها - أنها خبث وفساد في ذاته إذ لا يمكن ان توصف بالخمر، لان عنصر الضر فيها واضح في الخمر فساد العقل، وفي اليسر فساد المال، ولها مما فساد القلب والشيطان هو الذي يحسنها.
ثانيها - أنها تنشر العداوة والبغضاء، فاليسر كثيرا ما يتهى إلى نزاع، ولذا لم ينه الله عنه بلعه والفساد، والخمر أم الكآبة، وعلة تحريم الخمر تنحصر في الآتي: ان الله كرم الانسان بالعقل بان جعل له خلايا ارادية عليا في اللغ تهيمن على الارادة والذكاة والقيدين وكل الصفات البليبا في الانسان والخمر خاصة والبهيزات عامة تعمل عملها في هذه المراكز فتعطلها، اما مؤثرا أو دائما حسب التأثير بالمشروب او غير، وعند تشتيت وتنويع هذه المراكز عن العمل تطغى المراكز التي هي دونها فينبطل الانسان بها، فلما ان يطغى ويمتد، واما ان ينفذ ويغمد، وهذا منتهى فقد التوازن العقل، وبالتالي تنأثر الاعمال وكذلك تؤثر الخمر تأثيرا سلبا على الجهاز الحسي والوحي وعلى الكلى والكبد وأخطر هذه جميعا التأثير على الكبد بتألفه.

ثالثها: انه اذا فقد الاتزان انصرف البعد عن ذكر الله الذي يحيي به القلوب.
رابعها: وبالتالي فهي تعدد عن الصلاة لانها تنسى المؤمن الصلاة وكيفية أدائها في الزجج الاكمل وتصرم القليل ولو لم يسر سببه الخوف من الصدق والقاضي الذي يتهى بالامان.

وعين الخمر قد اجتمعت المذاهب الاسلامية على انها كل مشروب أو غير مشروب يسكر في ذاته استنادا الى حديث رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام» والى ما أخرجه ابوداود في صحيحه انه نهي رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومسكر.

وَهُمْ أَمْوَالُهُمْ آتَوْهَا وَأَحْسَنُوا ۖ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَلْوَنَكُمْ أَنَّ إِلَهُكُمْ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ ۖ يُدْبِرُكُمْ وَمَا حَرَّمَ لَكُمْ أَن تَخَافُوا بِالْقَيْبِ قَبْلَ أَنْ تَعْدَىٰ بِذَلِكَ قَوْلَهُ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ۚ وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَتَعِدًا لِحُزْنٍ أَوْ مِثْلَ مَا قَتَلَ مِنَ النِّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيْلًا لِيَدُوقُوا وَبِالْأَمْرِ ۚ عَفَا اللَّهُ عَنْ سَلَفٍ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعٌ لَكُمْ وَلِلسَّيَافَةِ وَحَرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقُلُوبَ ۚ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوتِ

٩٣ - ليس على الذين صدقوا بالله ورسوله، وأنوا بصالح الأعمال، ثم فيا يطعمون من حلال طيب، ولا فيا سبق أن يطعموا من المحرمات قبل علمهم بتحريمها، إذا خافوا الله، وابتعدوا عنها، بعد علمهم بتحريمها، ثم استمعوا على خوفهم من الله، وتصديقهم بما شرعه لهم بعد من أحكام، ثم داوموا على خوفهم من الله في كل حال وأخلصوا في أعمالهم وأدوا على وبه الكمال، فإن الله ينيب الفضل في أعمالهم على قدر اخلاصهم وعلمهم.

٩٤ - يأيا الذين آمنوا: ان الله يختبركم في الحج بتحريم بعض من الحيوان والطيور يسهل عليكم اصطيدانه بأيديكم وراحكم، يظهر الذين يراقبونه منكم في غيبة عن أعين الحلق، فالذين تجاوزوا حدود الله بعد بيانها يقع عليهم عذاب مؤلم شديد.

٩٥ - يأيا الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وقد نوبت الحج والصرة وتقسمون بأعمالها، ومن قتل منكم قاصدا، فعليه أن يؤدي نظير الصيد الذي قتل، يخرج من الأجل والبرق والغم. ويعرف النظر بتقدير رجلين عادلين منكم يمكن به، ويهدي إلى الفقراء عند الكعبة، أو يدفع بدله لهم، أو يخرج بقيمة المثل طعاما للفقراء، لكل فقير ما يكفيه يومه. ليكون ذلك سقطا للذنوب تدمي على الصيد، أو يصوم أياما بعدد الفقراء الذين كانوا يستحقون الطعام أو أخرجه. وقد شرع ذلك ليعس المحتدى بنتائج جرمه وسوء عاقبته. عفا الله عما سبق لكم من المخالفة قبل تحريمها، ومن رجع إلى التدى بعد العلم بتحريمه، فإن الله يصاقبه بما ارتكب، وهو غالب لا يغلب شديد العقاب لمن يضر على الذنب.

٩٦ - أحل الله لكم أن تصيدوا حيوان البحار، وأن تأكلوا منه، ويتنفع به المقيمون منكم والمسافرون، وحرم عليكم أن تصيدوا حيوان البر غير المستأنس، مما جرت العادة بعدم تربيته في المنازل والبيوت، مدة قيامكم بأعمال الحج أو العمرة بالمحرم، وراقبوا الله وذاقوا عقابه، فلا تخالفوه، فانكم إليه ترجعون يوم القيامة، فيجازيكم على ما تعملون.

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ أَطُوعُوا اللَّهَ شَدِيدَ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَسْمَعُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْأَعْيُنُ وَلَوْ أَجْمَعَتْ كَفَرًا أَعْتَبْتُ فَأَنْفِقُوا اللَّهُ يَتَاوَلَى الْأَلْبَبُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ سُؤْرًا وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ تُبَدِّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِغَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ

٩٧ - جعل الله الكعبة، وهي البيت الذي عظمه وحرم الاعتداء فيه على الانسان والحيوان غير المستأنس وفيها حوله، جملة قائما مظهرا بأمن الناس فيه، ويتجهون إليه في صلاتهم، ويحجون إليه ليكونوا في ضيافة الله، وليعملوا على جمع ثملهم. وكذلك جعل شهر الحج وما يهبط إلى الكعبة من الأنعام، وخاصة ما يوضع في عنقه القلائد لاشتمار الناظرين بأنه مهدي إلى البيت. ونتيجة القيام بذلك أن تستيقظوا أن علمه محيط بما في السموات التي ينزل منها الوحي بالتفريع، ومحيط بما في الأرض، فيشرع لمن فيها بما يقوم بمصالحهم. وأن علمه بكل شيء محيط.

٩٨ - اعلوا أيها الناس أن عذاب الله شديد ينزل بمن يستتبع حرمانه، وأنه كثير المغفرة للذنوب من يتوب ويحافظ على طاعته، واسع الرحمة بهم فلا يؤاخذهم حيثئذ بما وقع منهم.

٩٩ - ليس على الرسول إلا أن يبلغ للناس ما يوصى إليه، لتقوم عليهم الحجة، وينقطع عنهم المنز. فلتصلوا بما بلغه اليكم، فإن الله يعلم ما تظهرون وما تخفون.

١٠٠ - قل يا أيها النبي للناس: لا ينسأوا ما أباحه الله لكم من الطيبات، وما حرمه عليكم من الحيات، فإن الفرق بينها كبير عند الله، ولو كثر الخبيث وأعجب كثيرا من الناس. فاجعلوا يا أصحاب العقول طاعة الله وقاية لكم من عذابه، باختيار الطيبات واجتناب الحيات، لتكونوا من الفائزين في الدنيا والآخرة.

١٠١ - يا أيها الذين آمنوا: لا تسألوا النبي عن أمور أخفاها الله عنكم أن تظهر لكم، وأن تسألوا النبي عنها في حياته، إذ ينزل عليه القرآن، بينها الله لكم، عفا الله عنكم في هذه الأشياء فلا يعاقبكم عليها، والله كثير المغفرة واسع الحلم فلا يصجل بالقوية.

١٠٢ - قد سأل عن أمثال هذه الأمور الشاقة جماعة ممن سبقكم، ثم بعد أن كلفوها على ألسنة أنبيائهم نقل عليهم تنفيذها، فأعرضوا عنها، وكانوا لها متكبرين، لأن الله يريد اليسر ولا يريد العسر، ويكلف الناس ما يطيقون.

وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتِرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْعًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلٍّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الرِّسْبَةِ إِنْسَانٍ ذُو عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ اثْنَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْلَبْتُمْ تُصِيبُ الْمَوْتَ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ

— ٥ —

١٠٣ - لم يأذن الله لكم أن تحرموا ما أحله لكم، فتشتفوا أذن الناقة، وتختصوا عن الانتفاع بها، وتسموها «بجيرة»، وتتركوها بناء على نذر، وتسموها «سائية»، وتحرموا الذكر من الشاة، وتهبوا للأصنام، حتى إذا انتهت الشاة ذكرا وأتى ميتوها «وصيلة»، ولم تذبحوا الذكر منها. ولم يشرع لكم أن تحرموا الانتفاع بالذكر من الأبل إذا ولد منه عشرة أبطن، وتطلقوا عليه اسم «حام» ! لم يشرع الله لكم شيئا من ذلك، ولكن الذين كفروا يعقلون الكذب ويسبون الله إلى الله، وأكثرهم لا يعقلون^(١).

١٠٤ - وإذا قيل لهؤلاء الكافرين: تسالوا إلى ما أنزل الله من القرآن، وإلى ما بينه الرسول لتهتدى به، قالوا: يكفيننا ما وجدنا عليه آباءنا ! أصبح أن يقولوا هذا؟ ولو كان آبائهم كالأنعام لا يعلمون شيئا من الحق، ولا يعرفون طريقا إلى الصواب؟

١٠٥ - يا أيها الذين آمنوا أحرصوا على إصلاح أنفسكم بطاعة الله، انه لا يضركم ضلال غيركم، إذا كنتم على الهدى ودعواكم إلى الحق، وإلى الله وحده مرجعكم جميعا يوم القيامة، فيخبركم بأعمالكم، ويخزي كلا منكم بما قدم، فلا يؤخذ أحدا بذنب غيره.

(١) كان عند الجاهلية عادات حرموا بها على أنفسهم ما لم يحرمه الله منها:

١ - إذا انتهت الناقة لحمة أبطن أسرها ذكر، شقوا عنها وحرموا ركوبها ولم يطردوها عن ماء ولا رمى وصومها «بجيرة» أي مشقوقة الأذن.

٢ - كان الرجل منهم يقول: «إذا قمت من سفرى أو برئت من مرضى فأتاني سائية لم ييسلها كالجيرة».

٣ - وكانوا إذا ولدت الشاة أتى جملوها لم وإن ولدت ذكرا جملوها لأنهم ولدت ذكرا وأتى لم يذبحوا الذكر لأنهم وقالوا عن الشاة وصلت لأهلها وصومها «وصيلة».

٤ - وكانوا إذا نتج من صلب النحل عشرة أبطن قالوا حتى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ويعرف عنهم باسم «حام».

فَيُقْسِمُ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْرِي بِهِ مَتْنًا وَلَا كَانْذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآمِنِينَ ﴿١٠٦﴾
 فَإِنْ عُرِيَ عَنْ أَمْنِهِمْ اسْتَحَقَّا إِنَّمَا فَخِصْرَانِ يَقْرَأُ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَٰئِي فَيُقْسِمُ بِاللَّهِ
 لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ قَبْلِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَتَقَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ
 أَوْ يَحْمِلُوا أَنْ تَرُدَّ آمِنٌ بَعْدَ آمِنِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمِعُوا وَأَلْفَيْ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ * يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ
 الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ
 نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ نَكَلِمِ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ مَنَّكَ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ صَبْرًا بِإِذْنِي
 وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ

⑤

١٠٦ - يأبى الذين آمنوا : حيثما تظهر على أحد منكم علامة الموت ، ويريد أن يوصي بشيء ، فالشهادة ينكم
 على الرعية : أن يشهد اثنان عادلان من أقاربكم ، أو أخران من غيركم ، إذا كنتم في سفر ، وظهرت أمارات
 الموت ، تحبسون هذين الشاهدين بعد أداء الصلاة التي يجمع عليها الناس . فيحلفان بالله قائلين : لا نستبدل بيمينه
 عوضا ، ولو كان فيه نفع لنا أو لأحد من أقاربنا ، ولا نخفى الشهادة التي أمرنا الله بأدائها صحيحة . انا إذا أخفينا
 الشهادة أو قلنا غير الحق ، لتكون من الظالمين المستحقين لعذاب الله .

١٠٧ - فإذا ظهر أن الشاهدين قد كذبا في شهادتهما ، أو أخفيا شيئا ، فإن اثنين من أقرب المستحقين لفرقة
 الميت ، هما أحق أن يقفا مكان الشاهدين ، بعد الصلاة ليظهرا كذبها فيحلفا بالله أن الشاهدين قد كذبا وأن عينا
 أولى بالقبول من بينهما ، ولم تتجاوز الحق في أيماننا ، ولم تهم الشاهدين زورا ، فإننا لو فعلنا ذلك نكون من الظالمين
 المستحقين عقاب من يظلم غيره .

١٠٨ - هذا التشريع أقرب الطرق إلى أن يؤدي الشهاداء شهادتهم صحيحة بحافطة على حلفهم بالله ، أو خوفا
 من فضيحتهم بظهور كذبهم ، إذا حلف الوردية لرد أيمانهم . وراقبوا الله في أيمانكم وأماناتكم ، وأطيعوا أحكامه
 راضين بها ، فإن فيها مصالحكم ، ولا تخالفوها فتكونوا من الخارجين على الله ، فإن الله لا ينفع بإرشاده من خرج
 على طاعته ...

١٠٩ - وتذكروا يوم القيامة حين يجمع الله أمامه كل الرسل ويسألهم قائلًا لهم : ماذا أجابكم به أمركم الذين
 أرسلتكم إليهم ؟ أبايمان أم بالانكار ؟ والأمر حينئذ حاضرة لتقوم عليهم الحجة بشهادة رسلهم ، بأننا لا نعلم
 ما كان بعدنا من أمر من أرسلنا إليهم ، وأنت وحدك الذي تعلم ذلك ، لأنك الذي أحاط علمه بالغفيا كما أحاط
 بالظاهر .

وَالْبَيِّنَاتِ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا جِصْرٌ مِثْنٌ ۖ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي
وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامِنَا وَاتَّقِدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۖ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَنْجِىَ ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ
يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمَنَ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيَّهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۖ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ

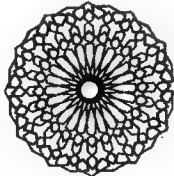
١١٠ - وفى ذلك الوقت بنادى الله عيسى بن مريم من بين الرسل فيقول له : اذكر ما أنعمت به عليك وعلى
أهلك فى الدنيا ، حيث ابتكك بالوحي وأنطقك وأنت رضيع بما يريه أمك مما أتيت به ، كما أنطقك وأنت كبير بما قد
أوحيت إليك ، وحيث أنعمت عليك بتعليمك الكتابة ، ووقفك للصواب من القول والعمل ، وعلمتك كتاب موسى
والإيل الذى أنزله عليك ، وأقدرتك على معجزات تخرج عن طوق البشر ، حيث تتخذ من الطين صورة الطير
بإذن الله ، فتفتح فيها فتصبح طائرا حيا بقدرته الله لا بقدرتك ، وتنشق من العصى من ولد أعمى ، وتنشق الأبرص
من برصه بإذن الله وقدرته ، وحيث يجرى على يدك احياء الموتى بإذن الله وقدرته ، وحيث منعت اليهود من قتلك
وصليك عندما أتيهم بالمعجزات ليؤمنوا ، فأعرض فريق منهم ، وادعوا أن ما أظهرته من المعجزات ما هو إلا من
قبيل السحر الواضح ..

١١١ - واذكر أيها الرسول لأنتك ما حدث حين ألهنا جماعة من دعاهم أن يؤمنوا بالله وبرسوله عيسى ،
فاستجابوا له ، وصاروا من خاصة أصحابه ، وقالوا : آمنا ، واشهد ياربنا بأننا مخلصون منقادون لأوامرك .

١١٢ - اذكر أيها النبي ما حدث حين قال أتباع عيسى المخلصون : يا عيسى بن مريم ، هل يجيبك ربك إذا
طلبت منه أن ينزل علينا طعاما من السماء ؟

قال لهم عيسى ردا عليهم : ان كنتم مؤمنين بالله ، فخافوه ، وأطيعوا أوامره ونواهيه ، ولا تطلبوا حججا غير
التي قدمت .

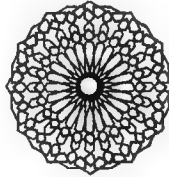
١١٣ - قالوا : اننا نريد أن نأكل من هذه المائدة لطمئن قلوبنا بما تؤمن به من قدرة الله ، ونعلم عن مصابنة
أنك قد صدقتنا فيما أخبرتنا عنه سبحانه ، وتشهد لك بهذه المعجزة عند من لم يشاهدوها .



السَّمَاءُ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسَلٌ عَلَيْكَ مَنْ يُكْفِّرُ بِدِينِكَ فَإِنَّي أَطْعِمُهُ طَبَآبًا لَا أُطْعِمُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰيَحْيَى ابْنَ مَرْيَمَ هَآأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَإِيَّيَ الْفَلْهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۖ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَٰلِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا إِلَهًا رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ نَبِيًّا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ

١١٤ - فاستجاب لهم عيسى وقال : يا ربنا ومالك أمرنا ، أنزل علينا مائدة من السماء يكون يوم نزولها عيداً للمؤمنين منا ، المتقين والمتأخرين ، ولتكون معجزة تؤيد بها دعوتك ، وارزقنا رزقاً طيباً ، وأنت خير الرازقين .
١١٥ - قال الله له : اني سأنزل المائدة عليكم من السماء ، فأى امرئ منكم يجحد هذه النعمة بعد انزالها ، فأى أعاقبه عقاباً لا أعاقب بمثله أحداً من الناس ، لأنه كفر بعد ما شاهد دليل الايمان الذي افترجه .

١١٦ - واذكر أيها النبي ما سيحدث يوم القيامة ، حين يقول الله لعيسى ابن مريم قولاً يسلن الحق : أنت الذى قلت لهم اجعلونى أنا وأمسى الهن ، تاركين افراد الله بالعبودية ؟ قال عيسى : أنزهك نزهاً تاماً عن أن يكون لك شريك ، ولا يصح لى أن أطلب طلباً ليس لى أدنى حق فيه . لو كنت قلت ذلك لصلته ، لأنك تعلم خفاساً نفسى ، فضلاً عن مظاهر قوى ، ولا أعلم ما تخفيه عني ا انك وحده صاحب العلم المحيط بكل خلق وغائب .



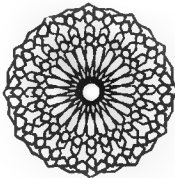
عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَشِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

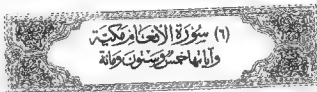
١١٧ - ما قلت لهم الا ما أمرتني بتبليغه لهم . قلت لهم : اعبدوا الله وحده . فإنه مالك أمرى وأمركم . وكنت أعلم حالهم وأنا موجود بينهم . فلما انتهى أجل اقامتي الذي قدرته بينهم . كنت أنت وحدك المطلع عليهم ، وأنت مطلع على كل شيء .

١١٨ - ان تعذبهم بما فعلوا . فإنهم عبادك تتصرف فيهم كما تريد . وان تغف عنهم ، فإنك وحدك القاهر الذي لا يغلِب . ذو الحكمة البالغة في كل ما يصدر عنه .

١١٩ - يقول الله : هذا هو اليوم الذي ينفع فيه الصادقين صدقهم . لهم حقائق تجرى تحت أشجارها الأنهار . وهم مقيمون فيها لا يخرجون منها أبداً . يتمتعون فيها برضوان الله عنهم ورضاهم بثوابه . وذلك النعيم هو الفوز العظيم .

١٢٠ - لله وحده ملك السموات والأرض وما فيهن . فهو وحده المستحق للعبادة . وهو ذو القدرة التامة على تحقيق كل ما يريد .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾

هي سورة مكية، إلا الآيات: ٢٠، ٢٣، ٩١، ٩٣، ١١٤، ١٤١، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣.

وأياتها ١٦٥، نزلت بعد سورة الحجر. وتتضمن هذه السورة الكريمة معاني قد فصلتها:

* نهي الناس إلى الكون وما فيه من دلالة على عظم المنشئ وجلاله ووحديته، وأنه لا يشاركه في الخلق ولا في العبادة ولا في الذلت أحد.

* وتضمنت قصص بعض النبيين، وابتدأت بقصة إبراهيم عليه السلام. وبيان أنه أخذ معنى العبادة والوحدانية من مطالعة الكون، وتتبع ما فيه، وقد ابتدأ بتتبع التجوّم، ثم القمر ثم الشمس، وانتهى بالتتبع إلى عبادة الله وحده.

* ووجهت الأنظار إلى عجائب الخلق والتكوين، وبينت كيف ينبت الحى الرطب من الجمامد اليابس وكيف يخلق الحب فيكون منه النبات.

* وقد ذكرت صفات الجاحدين، وكيف يتعلقون بأوهام تبعهم عن الحق، وتضلهم.

* وفيها بيان الحلال الذي أحله الله تعالى في الأطعمة، وضلال الشركين فيما حرموه على أنفسهم من غير أن يفتقدوا على دليل، وكيف ينسبون التحريم إليه سبحانه.

* وفيها بيان هذه الأوامر التي هي خلاصة الاسلام والاخلاق الحميدة، وهي: تحريم الشرك، والزنى، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، ووجوب إيفاء الكيل والميزان، وتحقيق العدالة، والوفاء بالمعهد، والاحسان إلى الوالدين ومنع وأد البنات.

١ - التناء والذكر الجميل لله، الذي خلق السموات والأرض، وأوجد الظلمات والنور لمنفعة العباد بشهرته وعلى وفق حكمته، ثم مع هذه النعم الجليلة يشرك به الكافرون، ويصلون له شربكا في العبادة!

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَ اللَّهِ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ عَالِمٍ مِنْ عَالِمٍ مِنْ دُونِهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَرَاهِلْكَامٍ مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ قَرْنَ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكَ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَرْسَلْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرْآنًا آخَرَ ﴿٦﴾ وَلَوْ رَأَيْنَاكَ كِتَابًا فِي قُرْآنِهِ فَلَسَوْهُ بِإِذْنِهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا صِحْرٌ مِيقٍ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَفُضِيَ الْأَمْرُ

— — — — —

- ٢ - هو الذي بدأ خلقكم من طين^(١)، ثم قدر حياة كل منكم زمنا ينتهي بموته والأجل عنده وحده العهد للبعث من القبور، ثم أنتم أيها الكافرون بعد هذا تجادلون في قدرة الله على البعث، واستحقاقه وحده للعبادة !!
- ٣ - وهو رحمة المستحق للعبادة في السموات وفي الأرض، يعلم ما أخفيتموه وما أظهرتموه، ويعلم ما تفعلون فيجازيكم عليه.
- ٤ - ولا يؤق المشركون بدليل من أدلة خالقهم، التي تشهد بوحدانيته وصدق رساله، إلا كانوا منصرفين عنه، لا يتأملون فيه ولا يهتمون به !
- ٥ - فقد كذبوا بالقرآن حين جامهم، وهو حتى لا يأتيه الباطل الا فسوف يحل بهم ما أخبر به القرآن من عقاب الدنيا وعذاب الآخرة، ويتبين لهم صدق وعيده الذي كانوا يسخرون منه.
- ٦ - ألم يعلموا أننا أهلكنا أما كثيرة قبلهم، أعطيناهم من أسباب القوة والبقاء في الأرض ما لم نعطكم اياه، أيها الكافرون، ووسعنا عليهم في الرزق والنعيم، فأنزلنا عليهم الأمطار غزيرة ينبتون بها في حياتهم، وجعلنا مياه الأنهار تجري من تحت قصورهم، فلم يشكروا هذه النعم، فأهلكناهم بسبب شركهم وكثرة ذنوبهم، وأوجدنا من بعد أناسا غيرهم خيرا منهم.
- ٧ - ولو أنزلنا عليه، أي النبي، دليل رسالتك مكتوبا في ورق، فرأوه بأعينهم، وتأكدوا منه بوضع أيديهم عليه، لقالوا نتمتتا: ما هذا الذي نلسمه إلا سحر ظاهر !!

(١) تصلح هذه الآية لأن يكون المراد منها خلق آدم إلى البشر من طين كما جاء في آيات أخرى وإن يكن المراد منها ان جسم الانسان مكون بنسب خاصة من عناصر الطين نفسه ولكن قدرة الخالق سبحانه وتعالى خلقت في هذه العناصر الحياة فصارت بشرا سويا.

ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَوَىٰ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ لَهَاQ وَالَّذِينَ سَفَرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يُسْتَوُونَ ﴿١٢﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ * وَلَهُمْ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ فِي السَّعِيقِ أَلَعَلَّيْكُمْ ﴿١٥﴾ قُلْ أَغْيَرَّ اللَّهُ الْخَلْقَ وَلَيْسَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنَّ

- ٨ - وقالوا : نطلب أن ينزل الله عليك ملكا يصدقك . ولو استجبنا لهم ، وأرسلنا معه ملكا كما اقترحوا ، ثم هاندوا ولم يؤمنوا ، نفذ الأمر بإهلاكهم ، ثم لا يجهلون لحظة .
- ٩ - ولو جعلنا المؤيد للرسول ملكا كما طلبوا ، لجعلناه على هيئة بشر ، حتى يستطيعوا مشاهدته والفهم عنه ، فانهم لا يقدرون على رؤية الملك في صورته الأصلية ، ولا تشبه عليهم الأمر واختلط بإرساله في صورة بشر ، وأوقعناهم في نفس الخطأ الذي يتخطون فيه .
- ١٠ - ولقد سخر الكفار كثيرا يرسل من قبلك أيها النبي ، فأحاط بالسافرين العذاب الذي أنزلهم به رسلهم ، وقد جعلوه موضع سخرتهم من قبل .
- ١١ - قل أيها النبي هؤلاء الكفار سيروا في جوانب الأرض وتأملوا كيف كان الهلاك نهاية المكذبين لرسلهم فاعتبروا بهذه النهاية وذلك المصير .
- ١٢ - قل أيها النبي هؤلاء الجاحدين : من مالك السموات والأرض ومن فيهن ؟ فإن أحجموا فقل الجواب الذي لا جواب غيره : أن مالكما هو الله وحده لا شريك له ، وأنه أوجب على نفسه الرحمة بعباده ، فلا يجعل عقوبتهم ، ويبلل توبتهم ، انه ليحشرنكم إلى يوم القيامة الذي لا شك فيه . الذين ضلوا أنفسهم وعرضوها للعذاب في هذا اليوم ، هم الذين لا يصدقون بالله ، ولا بيوم الحساب .
- ١٣ - والله ماني كل زمان ، كما أن له ما في كل مكان ، وهو السميع لكل ما يسمع ، العليم بكل ما يعلم .

أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصِرَّ عَنْ يَوْمٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بِضُرٍّ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَشْكُرَ لِتَشْهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بِرَبِّكُمْ أَشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ أَتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ

١٤ - قل أيها النبي : لا اتخذ غير الله إلها وناصرا ، وهو وحده المنشئ للسموات والأرض على نظام لم يسبق إليه ، وهو الرازق لعباده طامعهم ، ولا يحتاج منهم إلى طعام . قل : إني أفرق الله أن أكون أول من أسلم ، ونهائي أن أشرك معه غيره في العبادة .

١٥ - قل : إني أخاف ، إن خالفت أمر ربي وعصيته ، عذاب يوم شديد .

١٦ - من يصرف عنه هذا العذاب يوم القيامة ، فقد رحمه الله . وذلك هو الفوز الثابت البين .

١٧ - وإن يصيبك الله بسوء فلا مزيل له إلا هو ، وإن تمنحك خيرا فلا راد لقضه ، لأنه على كل شيء قدير .

١٨ - وهو الغالب بقدرته ، المستعمل على عباده ، المتصرف بالحكمة في كل ما يفعل ، المحبط علمه بما ظهر واستتر .

١٩ - قل أيها النبي لمن يكذبوك ويطلبون شهادة على رسالتك ، أي شيء أعظم شهادة وأحق بالتصديق ؟ ثم قل : إن الله أعظم شاهد بيني وبينكم على صدق ما جئتكم به ، وقد أنزل على هذا القرآن ليكون حجة لصدق ، لأخذركم به أنتم وكل من بلغ خبره ، وهو حجة قاطعة شاهدة بصدق ، لأنكم لا تستطيعون أن تأتوا بمثله . سلمهم : أنتم الذين تقولون معتدين أن مع الله إلهة غيره ؟ ثم قل لهم : لا أشهد بذلك ، ولا أقوله ، ولا أفرم عليه ، وإلغا اليهود بحق الله واحد ، وإنني يرى ما تشركون به من أولاد .

٢٠ - الذين أتيناهم الكتب السابقة من اليهود والنصارى ، يعرفون محمدا وصدق رسالته ، من هذه الكتب كعرفتهم آبائهم . إن الذين ضيعوا أنفسهم ، لا يقرن بما يعرفون ، فهم لا يؤمنون .

مَنْ أَفَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا
أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَحْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ
كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ
يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُكَ يَجِدُلُونَكَ يَتُولَّى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا
إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُبَلِّغُونَكَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ

٢١ - وليس أحد أشد ظلما لنفسه وللحق من افترى على الله الكذب ، وادعى أن له ولدا أو شريكا ، أو نسب إليه ما لا يليق ، أو أنكر أدلته الدالة على وحدانيته وصدق رسله ؛ ان الظالمين لا يفوزون بخير في الدنيا والآخرة .

٢٢ - واذكر لهم ما سيحصل يوم تجمع الحلق كلهم للحساب ، ثم نقول توبيخا للذين عبدوا مع الله غيره : أين الذين جعلتهم شركاء لله لينفركم ؟

٢٣ - ثم لم تكن نتيجة محتتم الشديدة في هذا الموقف إلا محاولة التخلص من شركهم السابق بالكذب ، فقالوا كاذبين : والله ربنا ما أشركنا في العبادة أحدا غيرك .

٢٤ - انظر كيف غلطوا أنفسهم بهذا الكذب ، وغاب عنهم ما كانوا يفتقونه من عبادة الأصجار ويزعمونها شركاء لله .

٢٥ - ومنهم من يستمع إليك حين تلو القرآن ، ولا ليفهموه ، وليبتدوا به وإنما ليتلمسوا سبيلا للطعن فيه والسفيرة منه .

وقد حرمتهم بسبب ذلك من الانتفاع بقولهم وأسماعهم ، كأن عقولهم في أغشية تحجب عنهم الإدراك الصحيح ، وكان في آذانهم صمما يحول دون سماع آيات القرآن . وان يروا كل دليل لا يؤمنون به ، حتى إذا جامدوا ليجادلوك بالباطل يقول الذين كفروا مدفعين بكفرهم : ما هذا إلا أباطيل سطرها من تبلك الأولين .

٢٦ - وهم ينهون الناس عن الايمان بالقرآن ، ويبتعدون عنه بأنفسهم ، فلا ينتفعون ولا يدعون غيرهم ينتفع ا وما يضرهم بذلك الصنيع إلا أنفسهم ، وما يشعرون بفتح ما يفعلون .

تَرَىٰ إِذْ يُقْعَوْنَ عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا زِدُوا نَكْذِبَ بِعَايَتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُقْعَوْنَ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَمَثْوًى وَلِلْآخِرَةِ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّالَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ

٢٧ - ولو ترى ، أيها النبي ، هؤلاء الكفار وهم واقفون على النار يعانون أهوالها ، لرأيت أمرا غريبا رهيبا ، إذ يمتنون الرجوع إلى الدنيا ، ويقولون : يا ليتنا نرث إليها لنصلح ما أفسدنا ، ولا نكذب بآيات ربنا ، ونكون من المؤمنين !

٢٨ - وليس قولهم هذا ، إلا لأنه قد ظهر لهم مالا يمكن إخفاؤه والمكابرة فيه ، بما كان يحرمهم به الرسول ! ولوردوا إلى الدنيا كما يمتنون ، لعدوا إلى الكفر الذي نهى الله عنه ، لضرورهم بزخرفها وإطاعة أهوائهم ! وإنهم لكاذبون في دعوهم الايمان إذا ردوا إلى الدنيا !

٢٩ - ولو أعيدوا إلى الدنيا لصادوا إلى سبيلهم الأولي وقالوا : ليس لنا حياة إلا هذه الحياة الدنيا ، وما نحن بعد ذلك بمبعوثين !

٣٠ - لو تراه حين يقفون للحساب أمام ربهم ، ويعرفون صدق ما أنزله على رسله ، لرأيت سوء حالهم إذ يقول الله لهم : أليس هذا الذي تشاهدونه الآن هو الحق الذي أنكرتموه في دنياكم ؟ فيقولون منذلين : بلى وربنا إنه الحق ! فيقول الله لهم بعد ذلك : ادخلوا النار بسبب ما كنتم حريصين عليه من الكفر .

٣١ - قد خسر الذين أنكروا لقاء الله للحساب والجزاء يوم القيامة ، وظلوا على إنكارهم ، حتى إذا فاجأهم مشاهد يوم القيامة ندما وقالوا : يا حسرتنا على إهمالنا اتباع الحق في الدنيا ! وهم يومئذ يرضحون تحسنت أعباء دنوهم ! الا قبح ما يحملون من الذنوب !

٣٢ - وليست الحياة الدنيا التي حسب الكفار أنه لا حياة غيرها ، والتي لا يقصد بالعمل فيها مرضاة الله ، إلا لعبا لا نفع فيه ، ويهوا يلهي به !! وأن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية ، وهي أنفع للذين يحسان الله فيمتثلون أمره . أفلا تعقلون هذا الأمر الواضح ، أفلا تفهمون ما يضركم ولا ينفعكم ؟

وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ يَجْعَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ
 أَنْتَهُم نَصْرًا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُرَمِيِّينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ
 اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلَامًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِعَاقِبَةٍ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ ۚ فَلَا
 تَكُونَنَّ مِنَ الْخَالِفِينَ ﴿٣٥﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾
 وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً ۚ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾
 وَمِمَّنْ دَاخِلٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَلْمُ يُطِيرُ بِمَنَاحِيهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلَكُمْ مَا قَرْنَانَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِنَّ

----- ٥ -----

٣٣ - اننا نعلم أنه ليحزنك أيما التي ما يقوله الكفار تكذيبا لك ، فلا تحزن من ذلك . لأن الحقيقة أنهم لا يتحرك بالكذب ، ولكنهم يظلمهم لأنفسهم وللحق يكابرون ، فيكونون بالستهم دلائل صدقك ، وعلامات نبوتك .

٣٤ - ولقد قوبل رسل من قبلك بالكذب والأيذاء من أقوامهم ، كما فعل معك قومك ، فصبروا على الكذب والأيذاء ، حتى نصرناهم ، فاصبر كما صبروا حتى يأتيك نصرنا ، ولا مضير لوعده الله بنصر الصابرين ، فلا بد من تحققه . ولقد قصصنا عليك من أخبار هؤلاء الرسل وتأيدنا لهم ، ما فيه تسلية لك ، وما توجبه الرسالة من تحمل الشدائد .

٣٥ - وإن كان قد شق عليك انصرافهم عن دعوتك ، فإن استطعت أن تتخذ طريقا في باطن الأرض ، أو سلما تصعد به إلى السماء ، فتأتيهم بدليل على صدقك ، فافعل ! وليس في قدرتك ذلك . فأرح نفسك واصبر لحكم ربك ، ولو شاء الله هدايتهم لحصلهم جميعا على الإيمان بما جئت به قسرا وقهرا ، ولكنه تركهم لاختيارهم فلا تكون من الذين لا يعلمون حكم الله وسنته في الخلق .

٣٦ - إنما يجيب دعوة الحق مقبلين عليه ، الذين يسمعون صياح فهم وتدبر ، وأما هؤلاء فلا ينتصون بدعوتك ، لأنهم في حكم الأموات . وسيبضهم الله يوم القيامة من القبور ، ويرجعهم إليه ، فيعاسبهم على ما فعلوا .

٣٧ - وقال الكفار متمتين : نطلب أن ينزل على محمد دليل مادي من ربه يشهد بصدق دعوتك ! قل لهم أيما التي : أن الله قادر على أن ينزل أي دليل نقرضونه . ولكن أكثرهم لا يعلمون حكمة الله في ازال الآيات ، وأنها ليست تابعة لأهوائهم ، وأنه لو أجاب مقترحاتهم ثم كذبوا بعد ذلك لأهلكهم ، ولكن أكثرهم لا يعلمون نتائج أفعالهم ١١

رَبِّهِمْ يُحْشِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا هُمْ وَبِكُرِّ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَسْأَلُ اللَّهَ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَسْأَلْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةَ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِلَهُ تَدْعُونَ فَبُخْصِفْ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُسْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالْفُسَادِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ

٣٨ - وان أقوى دليل على قدرة الله وحكمته ورحمته، أنه خلق كل شيء، وليس في الأرض حيوان يذب في ظاهر الأرض وباطنها، أو طائر يطير بجناحيه في الهواء، إلا خلقها الله جماعات تماثلكم، وجعل لها خصائصها وميزاتها ونظام حياتها. ما تركنا في الكتاب المحفوظ عندنا شيئاً إلا أقيمت به. وان كانوا قد كذبوا، فيحشرون مع كل الأمم للحساب يوم القيامة^(١).

٣٩ - والذين لم يصدقوا بأدلتنا الدالة على قدرتنا وصدق رسالتك، لم ينتفعوا بمواسمهم في معرفة الحق، فتعطلوا في ضلال الشرك والعناد، تحيط الأسمم الأبكم في ظلمات الليل، لا نجاة له من الهلاك. ولو كان في هؤلاء استعداد للخير لوفهم الله إليه، فإنه سبحانه إذا أراد اضلال انسان لفساد قصده، تركه وشأنه، وإذا أراد هدايته لسلامة قصده، يسر له السير في طريق الايمان الواضح المستقيم.

٤٠ - قل أيها النبي هؤلاء الكفار: أخبروني ان جاءكم عذاب من عند الله في الدنيا أو جاءكم تكلم القيامة بأهوالها، هل تتجهون لغير الله تضرعون إليه في هذا الوقت فينتقمكم شيئاً، ان كنتم صادقين في عبادتكم لغير الله؟

٤١ - بل انكم لا تتجهون إلا إليه، إذ تدعونه فيكتشف عنكم ما تطلبون كشفه ان شاء. وفي حمال هذه الشدة، تنسوا ما تجعلونه لله شركاء ١١

٤٢ - لا يشق عليك، أيها النبي، ما تلاقيه من قومك. فلقد بعثنا قبلك رسلاً إلى أمم كثيرة قبل أمتك فكذبوهم، فعاقبتهم بالبدائد تنزل بهم، وبما يضرهم في أبادتهم، لعلهم يحشرون ويرجعون إلى الله.

(١) وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا اسم امثالكم ما قرأنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون. ونص التلويح هو:

(تنظيم الكائنات الحية في مجموعات يخصص كل منها بصفات تكوينية وطبيعية وطاقات معينة، وفي الآية الكريمة تنبيه الى تباين صور المخلوقات وطرائق معيشتها فكأن الانسان نوع له خصائصه فكذا سائر أنواع الاحياء. وهذا ما يكتشفه علم التصنيف كلما تعمق دراسة نوع منها).

وَذِينَ هُمْ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعْنَا دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَابْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرُكَ الْإِلَهَ بَنِي تَمُومَ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنتَكُم عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يَبِيلُكُمْ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ قَدْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بِحَسْمِ الْعَذَابِ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ

٤٣ - وكان ينبغي لهم أن يرجعوا إلى ربهم، ولكنهم لم يفعلوا، بل استمرت قلوبهم على قسوتها، وذين لهم الشيطان عملهم القبيح.

٤٤ - فلما تركوا الاعتصام بما ابتليهم من الفقر والمرض، ابتليهم بعد ذلك بالرزق الواسع، ففتحننا عليهم أبوابه في كل شيء من أسباب الرزق، حتى إذا فرحوا بما أنعمنا به عليهم، ولم يشكروا الله عليه، جامهم العذاب فجأة، فإذا هم متحيرين يأسون، لا يعمدون للنجاة سبيلاً؟.

٤٥ - فأبهد هؤلاء القوم الظالمون عن آخرهم. والحمد لله مربي الخلق بالنعيم والنعم، ومطهر الأرض من فساد الظالمين.

٤٦ - قل لهم أيها النبي: أخبروني - إن سلب الله سمعكم، وغطى قلوبكم بما يصححها عن الإدراك، فجعلكم صما عمياً لا تفهمون شيئاً - من تعبدون غير الله؟، من إله يستطيع أن يرد إليكم ما سلبه الله منكم؟ انظر، أيها النبي، كيف نوضح البراهين وننوعها، ثم هم مع هذا يرضون عن تدبيرها والانتفاع بها !!.

٤٧ - قل: أخبروني - إن حل بكم عذاب الله فجأةً دون توقع، أو جاءكم عياناً على ترقب، لسيق ما ينتركم بوقوعه. هل يصيب هذا العذاب إلا القوم الذين ظلموا أنفسهم بالاصرار على الشرك والضلال؟ أنه لا يصيب غيرهم.

٤٨ - وما نرسل الأنبياء إلا ليبشروا من يؤمن بالخير والثواب، وليحذروا من يكفر من العذاب. لن آمن بدعوتهم وعمل صالحها، فلا خوف عليهم من شر يصيبهم، ولا يمحزون على خير يفتقرون.

٤٩ - والذين كذبوا بالأدلة الواضحة على صدق ما جاء به الرسل، يصيبهم العذاب بسبب خروجهم عن الطاعة والإيمان.

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾
وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَقْرُؤْ
الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَفْوِ يَرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ
مِنْ شَيْءٍ وَفُتِّرْتَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ
مِنْ بَيْنِنًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ
عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غُفْرٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ

٥٠ - قل ، أيها الرسول ، هؤلاء الكفار : لا أقول لكم اني املك التصرف بما يملكه الله فأجيئك إلى ما تطلبون ، ولا أدعى علم الغيب الذي لم يطلعي الله عليه ، ولا أقول اني ملك أستطيع الصعود إلى السماء ! إنما أنا بشر لا أتبع إلا ما يوحى الله إلى . قل أيها النبي : هل يستوى الضال والمهتدي في مصرفة هذه الحقائق ؟ هل يليق بكم أن تعرضوا عن هدى أسوقه لكم ، فلا تأملون فيه بقولكم حق بينين لكم الحق ؟

٥١ - وحذر بما في هذا القرآن الذين يخافون من هول يوم تسوقهم فيه الملائكة للحساب والمجازاة ، حيث لا ناصر لهم ولا شفيع إلا باذن الله ، ليتعلوا عما يفضب الله .

٥٢ - ولا تستجب ، أيها النبي ، لدعوة المتكبرين من الكفار ، فتبعد عنك المستضعفين من المؤمنين ، الذين يعبدون ربهم دائما ، ولا يريدون إلا رضاه . ولا تلتفت لدس المشركين على هؤلاء المؤمنين ، فليست مسئولا أمام الله عن شيء من أفعالهم ، كما أنهم ليسوا مسؤولين عن شيء من أفعالك ، فان استجبت هؤلاء الكفار المتعنتين ، وأبعدت المؤمنين ، كنت من الظالمين .

٥٣ - ويمثل هذا الابتلاء الذي جرت به سنتنا ، امتحنا المتكبرين يسبق الضعفاء إلى الاسلام ، ليقول المتكبرون مستكبرين ساخرين : هل هؤلاء الفقراء هم الذين أنعم الله عليهم من بيننا بالخير الذي يهدم به همد ؟ ان هؤلاء الفقراء يعرفون نعمة الله عليهم بالتوفيق إلى الايمان فيشكروه . والله أعلم بمن يشكرون فضله ونعمه .

٥٤ - وإذا جاءك الذين يصدقون بالقرآن فقل لهم تكريما لهم : سلام عليكم ، أشركم برحمة الله الواسعة ، التي أوجبها على نفسه تفضلا منه ، والتي تقضى بأن من عمل منكم سيئة غير متدبر تتابها ، ثم رجع إلى الله نادما تائبًا ، وأصلح أعماله ، غفر الله له ، لأنه كثير المغفرة واسع الرحمة .

نُفِصِلُ الْآيَاتِ وَلِنَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي نَبِيٌّ أَن أَعْبُدَ اللَّهَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أَحْكُرُ إِلَّا بِاللَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٨﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا يُبَاسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ

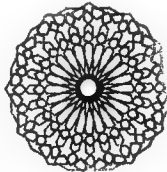
٥٥ - ويحل ذلك البيان الواضح نوضح الدلائل المتنوعة ، ليظهر طريق الحق الذي يسلكه المؤمنون ، وبطريق الباطل الذي يسلكه الكافرون .

٥٦ - قل ، أيها النبي ، هؤلاء الكفار : إن الله قد نهاني عن عبادة الذين تعبدونهم من دونه ، فلا أتبع أهواءكم ، فإني حين أتيتكم أكون قد انحرفت عن الحق ، ولم أكن من المهتدين !

٥٧ - قل لهم : اني على شريعة واضحة منزلة من ربي وقد كذبت القرآن الذي جاء بها ، وليس في قدرتي أن أقدم ما تستعجلونه من العذاب ، بل هو في قدرة الله ، ومروهم بآراءه وحكمته ، وليس الأمر والسيادة إلا لله ، إن شاء عجل لكم العذاب ، وإن شاء أخره ، يتبع سبحانه في ذلك الحكمة ، وهو خير الفاصلين بيني وبينكم .

٥٨ - قل : لو أن في قدرتي أنزال العذاب الذي تستعجلونه ، لأنزلته عليكم غضبا لري ، وانتهى الأمر بيني وبينكم بذلك ، ولكن الأمر لله وهو أعلم بما يستحقه الكافرون من العذاب العاجل أو الآجل .

٥٩ - وعند الله علم جميع أبواب الغيبات ، لا يحيط بها علما إلا هو ومن يريد إعطائه بعضها ، ويحيط علمه كذلك بجميع الموجودات في البر والبحر ولا تسقط ورقة ، أية ورقة كانت ، إلا يعلمها ، ولا تسقط حبة ما في باطن الأرض ولا شيء رطب ولا يابس ، إلا وهو سبحانه محيط بعلومه احاطة تامة .



أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ۖ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُوهُمُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لِّئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكْرِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِّنْهُمَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْكِرُونَ ﴿٦٩﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ قَوْفِكُمْ ۖ أَوْ مِّنْ تَحْتَ أَرْجَلِكُمْ ۖ أَوْ يَلْبَسَكُمْ لُتُفًا ۖ وَيَذِقَ بَعْضُكُم بِأَسْبَاطِ بَعْضٍ ۚ أَنْظِرْ كَيْفَ تُصْرَفُ ۚ أَلَا يَلَيْتُ لِمَ لَمْ يَتْلَمَّهُمْ بَقِيَّتُهُمْ ۚ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ۚ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ

٦٥ - وهو الذي ينبيكم بالليل، ويوقظكم بالنهار، ويعلم ما كسبتم فيه حتى ينتهي أجل كل منكم في الدنيا بموته، ثم يوم القيامة ترجعون جميعا إلى الله وحده، يحجزكم بأعمالكم في الدنيا من خير أو شر، ويجازيكم عليها.

٦٦ - هو الغالب بقدرته، المستعلى بسلطانه على عباده، والذي يرسل عليكم ملائكة يحصون كل أعمالكم إلى أن تمضي نهاية كل منكم، فتقبض روحه ملائكتنا الذين نرسلهم لذلك، وهم لا يقصرون فيما يوكل إليهم.

٦٧ - ثم يبعث هؤلاء الأموات يوم القيامة، ويوقفون أمام ربهم الذي يتولى وحده أمورهم بحق، اعلموا أن له وحده الفصل بين الخلاق وحسابهم في ذلك اليوم، وهو أسرع من يتولى الحساب والجزاء.

٦٨ - قل، أيها النبي، للمشركين: من الذي ينقذكم من أهوال البر والبحر، إذا حلت بكم، فليجأتم إليه تدعونه في خضوع ظاهر وباطن، قائلين: نقسم لأن أنقذتنا من هذه الأهوال لنكونن من المقرنين بفضلك، الفالحين بشركك.

٦٩ - قل: الله وحده هو الذي ينقذكم من هذه الأهوال، ومن كل شدة أخرى، ثم أنتم مع ذلك تشركون معه في العبادة غيره مما لا يدفع شرا ولا يجلب خيرا ۝

٦٥ - قل: إن الله وحده هو الذي يقدر على أن يرسل عليكم عذابا يأتىكم من أعلاك أو من أسفلكم، أو يجعل بعضكم لبعض عدا، وتكونون طوائف مختلفة الأهواء متناكرة، يهذب بعضكم بعضا عذابا شديدا ۝ انظر كيف دلت الدلائل على قدرتنا واستحقاقنا وحدنا للعبادة، لمهم يتأملونها ويفهمون الحق ۝



يُكَلِّمُ ۝ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَفْزِعٌ ۖ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُبْسِتْكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حُلُومٍ مِّنْ فِئَةٍ وَلَكِنِ ذِكْرُىٰ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَإِمْوَاعٍ ۖ وَغَرَّتُهُمُ الْغِيوَةُ ۖ ذَكَّرْتَهُمْ فَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ زِكْرُهُمْ أَن تَبْسَلْ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ۖ وَلَئِن تَعِدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ قُلْ أُنذِرُوا مَن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّنَا وَلَا يَحْشُرُنَا ۚ وَنُزِّلُ عَلَىٰ آعَاقِبَتِنَا ۖ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَ آلَكَالَةَى ۚ أَسْتَهْوِيهِ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ ۚ أَصْحَابُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَدَىٰ ۖ لَنُؤْتِيَنَّ قُلُوبَنَا هُدًى ۖ إِنَّا هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْمُدَىٰ ۚ

٦٦ - وكذب قولك بالقرآن، وهو الحق الذي لا موضع فيه لتكذيب قل أيها النبي لهم: لست موكلًا بفظكم، وإحصاء أعمالكم ومجازاتكم عليها، بل أمركم فيها إلى الله.

٦٧ - ولكل خبر جاء به القرآن وقت يتحقق فيه، وسوف تعلمون صدق هذه الأخبار عند وقوعها.

٦٨ - وإذا حضرت مجلس الكفار، ووجدتهم يطنون في آيات القرآن، أو يستنزون بها، فانصرف عنهم حتى ينتقلوا إلى حديث آخر، وإن نسبت وجالستهم في أثناء حديثهم الباطل، ثم ذكرت أمر الله بالبعد عنهم، فلا تجلس بعد التذكر مع القوم الظالمين.

٦٩ - وليس على الذين يتقون الله شيء من أثم هؤلاء الظالمين، إذا استمروا على ضلالهم، ولكن يجب أن يذكرهم، لطمع يحشون عذاب الله ويكفون عن الباطل.

٧٠ - وارتك أيها النبي الذين اتفقوا شريعتهم لله واللمب، وخدعتهم الحياة الدنيا عن الآخرة، وذكر دائما بالقرآن، وحذرهم هول يوم تجس فيه كل نفس بعملها، حيث لا ناصر ولا معين غير الله، وإن كان قديرة للنجاة من العذاب لا تقبل.. أولئك الكافرون الذين حبسوا في العذاب بسبب ما عملوا من شر، لهم في جهنم شراب من ماء شديد الحرارة، وعذاب شديد الألم بسبب كفرهم.

وَأَمْرًا لِنُسْلِمَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٦﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَسْنَمَاءَ إِلَهَةٍ إِنِّي أَخْشَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مَبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفَلِينَ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ

٧٦ - قل لأولاء الكفار توبيخا لهم، هل يصح أن يعبد غير الله عما لا يملك جلب نفع، ولا دفع ضرر، وتنعكس في الشرك بعد أن وفقنا الله إلى الإيمان، وتكون كالذي غررت به الشياطين وأضلته في الأرض، فصار في حيرة لا يمتدى معها إلى الطريق المستقيم، وله رفقة مهتدون يحاولون تخليصه من الضلال، قائلين له: ارجع إلى طريقنا السوي، فلا يستجيب له! قل أيها النبي: إن الإسلام هو الهدى والرشاد، وما عداه ضلال، وقد أمرنا الله بالانقياد له، فهو خالق العالمين ورازقهم ومدير أمورهم.

٧٧ - أعرضوا عن المشركين بعد أن تدعوهم إلى الهدى، وانصرفوا إلى عبادة ربكم، وأدوا الصلاة على أكمل وجه من الخضوع، وخافوا الله، وأدوا أوامره، فإنه هو الذي تجمعون عنده.

٧٨ - وهو الله وحده الذي خلق السموات والأرض، وأقام خلقها على الحق والحكمة، وفي أي وقت تنجبه إرادته سبحانه إلى إيجاد شيء يوجد فوراً، يوجد الأشياء بكلمة: «كن»، وكل قول له هو الصدق والحق، وله وحده التصرف المطلق يوم القيامة، حين ينفخ في البوق إيذاناً بالبعث، وهو سبحانه الذي يستوى في عمله الغائب والمحاضر، وهو الذي يتصرف بالحكمة في جميع أفعاله، والذي يحيط علمه ببواطن الأمور وظواهرها.

٧٩ - واذكر لما ألهم ما كان، حين قال إبراهيم لأبيه آزر، منكراً عليه عبادة غير الله: ما كان لك أن تجعل الأصنام آلهة، إنى أراك وقومك الذين يشاركونك في هذه العبادة في بعد واضح عن طريق الحق.

٨٠ - وكما رأى إبراهيم - بتوفيقنا - ضلال أمته وقومه في تأليه الأصنام نزه ملكنا العظيم للسموات والأرض وما فيها، ليقم الحجية على قومه، وليزداد إيماناً.

٨١ - طلب إبراهيم ربه، فهداه الله، إذ ستر الليل وجه النهار بظلمته، فرأى نجماً متألفاً، قال: هذا ربي. فلما غاب، قال مبتلا لربوبية النجم: لا أقبل عبادة الآلهة الزائلات المتغيرين!

هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَبْدِلْ رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُنْقِمُ إِلَهِي بَرِيءًا مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجِّجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْعًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتَكَرَّرَ جَوْنًا

٧٧ - وحين رأى القمر طالعا بعد ذلك قال محمدا نفسه : هذا ربي . فلما غاب هو الآخر ، وظهر بطلان روبيته ، قال ليوجه نفوسهم إلى التماس الهداية : أقسم ان لم يبدل ربي إلى الحق لأكونن من القوم الخائرين .

٧٨ - ثم رأى الشمس طالعة بعد ذلك ، فقال محمدا نفسه : هذا ربي ، لأنه أكبر ما يرى من الكواكب ، فلما غابت قال : يا قوم إلى يرى من الأصنام التي تشركونها مع الله في العبادة .

٧٩ - بعد أن رأى ضعف المخلوقات التي إلى خالقها قائلا : إلى وجهت قصدي إلى عبادة الله وحده الذي خلق السموات والأرض ، بجانب كل سبيل غير سبيله - وما أنا - بعد الذي رأيت من دلائل التوحيد - ممن يرضى أن يكون من المشركين مثلهم .

٨٠ - ومع ذلك جادله قومه في توحيد الله ، وخوفوه غضب ألفتهم ، فقال لهم : ما كان لكم أن تعبدوا في توحيد الله وقد هداني إلى الحق ، ولا أخاف ألفتكم التي تشركونها مع الله ، لكن إذا شاء ربي نبيا من الضر وقع ذلك ، لأنه وحده القادر ، وقد أحاط علم ربي بالأشياء كلها ، ولا علم لألفتكم بشيء منها !! أتفتلون عن كل ذلك فلا تدركوا أن العاجز الجاهل لا يستحق أن يعبد !!

٨١ - وأن من العجب أن أخاف ألفتكم الباطلة ، ولا تخافون أنكم عديتم مع الله - الذي قامت الحججة على وحدانيته أنه لم يبق دليل على أنها تستحق أن تعبد !! فأى فريق منا في هذه الحال أحق بالطمأنينة والأمان ، ان كنتم تعلمون الحق وتدركونه ؟

٨٢ - الذين آمنوا بالله ، ولم يخلطوا إيمانهم هذا بعبادة أحد سواه ، هؤلاء وحدهم هم الأحق بالطمأنينة ، وهم وحدهم المهتدون إلى طريق الحق والخير .

ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ۖ نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَاسَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّن عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءَ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْ لَهُمْ أَقْسِمُهُ ۚ قُلْ لَا أُسْطَكِرُ عَلَيْهِ إِلَّا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرُنِ

٨٣ - وتلك الحجة العظيمة على الوثنية ووحدايتها، أعطيناها إبراهيم ليعلمها على قومه، فارفع بها عليهم. وسنتنا في عبادنا أن نرفع بالعلم والحكمة من نريد منهم درجات. إن ربك أيها النبي حكيم بضع الشيء في موضعه، عليم بمن يستحق الرفعة ومن لا يستحق.

٨٤ - ووهبنا لإبراهيم إسحق ويعقوب بن إسحق، ووفقنا كلا منها إلى الحق والخير كأبيهما، ووفقنا من قبلهم نوحا إلى ذلك، وهدينا من ذرية نوح داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون. وكما جزينا هؤلاء نجزي المحسنين بما يستحقون.

٨٥ - وهدينا زكريا ويحيى وعيسى والياس، كل واحد من هؤلاء من عبادنا الصالحين.

٨٦ - وهدينا إسماعيل وإلياس ويونس ولوطا، وفضلنا كل واحد من هؤلاء جميعا على العالمين في زمانه، بالمهابة والنبوة.

٨٧ - واصطفينا بعض آباء هؤلاء وذرياتهم وإخوانهم، ووفقناهم إلى طريق لا اعوجاج فيه.

٨٨ - ذلك التوفيق العظيم الذي ناله هؤلاء، هو توفيق من الله، يوفق إليه من يشاء من عباد. ولو أشرك هؤلاء المختارون لطاعت كل أعمال الخير التي يعملونها، فلا يكون عليها ثواب.

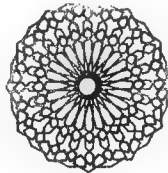
٨٩ - أولئك الذين آتيناهم الكتب المنزل والعلم النافع وشرف النبوة، فإن يجحد بهذه الثلاثة مشركو مكة فقد عهد برعايتها والانتفاع بها إلى قوم لا يكفرون بها.

لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهَدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا مِّبْدُونَهَا وَيُحْفَوْنَ كَثِيرًا وَعَلَّمَنَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كِتَابًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ خَرَجُوا أَنفُسَهُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ

٩٠ - أولئك الذين وفقهم الله إلى طريق الحق والخير، فاتبعهم فيما اجتمعوا عليه من أصول الدين وأمهات الفضائل، ولا تسلك غير سبيلهم.. قل أيها النبي لقومك كما قال هؤلاء لأقوامهم: لا أطلب منكم على تبليغ كلام الله أجراً ما هذا القرآن إلا تذكير للعالمين، ولا غاية لي إلا أن تنتصروا به.

٩١ - وما قدر هؤلاء الكفار الله ورحمته وحكمته حق التقدير، إذ أنكروا أن تنزل رسالته على أحد من البشر! قل أيها النبي للمشركين ومن يشابههم على ذلك من اليهود: من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً يضيء، وهدي يرشد؟ انكم أيها اليهود تجعلون كتابته في أجزاء متفرقة تظهرون منها ما يتفق ولغوكم، وتحفون كثيراً عما يلجئكم إلى الإيمان والتصدق بالقرآن، وعلمتم منه ما لم تكونوا تعلمونه أنتم ولا آباؤكم!! وتول أيها النبي الجواب، قل لهم: الله هو الذي أنزل التوراة، ثم اتركهم يعضون في الضلال عابثين كالصبيان.

٩٢ - وهذا القرآن كتاب أنزلناه - كما أنزلنا التوراة - كثير الخير، باقٍ إلى يوم القيامة، مصدق لما تقدمه من الكتب المنزلة، مخبر عن نزولها، لنبشّر به المؤمنين، ونحرف الكفار من أهل مكة ومن حولها في جميع أنحاء الأرض من غضب الله، إذا لم يذعنوا له. والذين يصدقون بيوم الجزاء يحملهم رجاء الثواب والخوف من العقاب على الإيمان به، وهم لذلك يحافظون على أدلة صلاتهم كاملة مستوفاة.



يَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ وِرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ * إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ

٩٣ - لم يكذب النبي حين أعلن أن القرآن من عند الله ، وليس أحد أكثر ظملا من اختلق الكذب على الله ، أو قال : تلقيت وحيا من الله ، دين أن يكون قد تلقى شيئا من الوحي . وليس أحد كذلك أشد ظملا على قال : سأقى كلام مثل ما أنزله الله ! ولو تعلم حال الظالمين ، وهم في شدائد الموت ، واللانكحة يزعون أرواحهم من أجسادهم في قسوة وعنف ، لرأيت هولاً رهيباً ينزل بهم ! ويقال لهم حينئذ : الآن تبدأ عجزاتكم بالعذاب المذلل المهين ، جزاء ما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وجزاء استكباركم عن النظر والتدبر في آيات الله الكونية والقرآنية .

٩٤ - ويقول لهم الله يوم القيامة : لقد تأكدتم الآن بأنفسكم أنكم بعثتم أحياء من قبوركم كما خلقناكم أول مرة ، وجئتم إلينا مفسرين عن المال والولد والأصحاب ، وتركتم وراءكم في الدنيا كل ما أعطيناكم آياه بما كنتم تفكرون به ولا ترى معكم اليوم الشفعاء الذين زعمت أنهم ينصرونكم عند الله ، وأنهم شركاء له في العبادة ! لقد تقطعت بينكم وبينهم كل الروابط ، وغاب عنكم ما كنتم تزعمون أنهم ينفعونكم !

٩٥ - أن دلائل قدرة الله على البعث ، واستحقاقه وحده للعبادة ، وبهته للناس من قبورهم ، متوافرة متنوعة ، فهو وحده الذي يشق الحب ، ويخرج منه النبات ، ويشق النوى ويخرج منه الشجر ، ويخرج الحسى من الميت كالإنسان من القراب ، ويخرج الميت من الحلى كاللبن من الحيوان ، ذلك القادر العظيم هو الآله الحق ، غلبت هناك صارف يصرفكم عن عبادته إلى عبادة غيره^(١) .

٩٦ - هو الذى يشق غيش الصبح بضوء النهار ، ليسمى الأحياء إلى تحصيل أسباب حياتهم ، وجعل الليل ذا راحة للجسم والنفس ، وجعل سير الشمس والقمر بنظام دقيق يعرف به الناس مواقيت عباداتهم ومعاملاتهم .

ذلك النظام الحكم ، تدبير القادر المسيطر على الكون المحيط بكل شيء عليا^(٢))

(١) من دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى خلق الحب والنوى والجنين في كل مكان منها يشغل حيزاً ضيقاً منها . إماماً جسم الحية أو النواة فينتجون من مواد مكتزة غير حية وعندما ينتبه الجنين ويبدأ في الآليات تتحول هذه المواد المكتزة إلى حالة صالحة لتغذية الجنين ويبدأ في النمو وتتكون الخلايا الحية حتى تنتقل الحية الثانية من طور الانبات إلى طور البادرة فيبدأ النبات في الاعتدال على غذائه من الأملاح الغذائية في ماء التربة التي يمتصها الجذير مع تكون الأوراق الخضراء من مواد كربوهيدراتية كالسكريات والنشويات في وجود ضوء الشمس وعندما تم دورة حياة النبات تتكون الثمار ويدخلها الحب والنوى من جديد (انظر التلويح العلمي على تفسير الآية ٢٧ من سورة آل عمران) .

(٢) دورة الشمس هي التي علمت الناس حساب الأيام والسنين ودورة القمر هي التي علمتهم حساب الشهور . انظر أيضاً التلويح العلمي على تفسير الآية (١٨٩) من سورة البقرة .

قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فُسُقًا وَمُسَدَّدًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّامَانَ مَشْتَبَهَا وَغَيْرَ مُثْلَيْهِ أَنْظَرُوا إِلَىٰ كُفْرِهِمْ إِذَا أُنْمِرَتْ بِرَبِّهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ إِنْجَنَ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ يَدْعِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ أَنِّي بَكُونُ

٩٧ - وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بواقعها إلى مقاصدكم، وأنتم سائلون في ظلمات الليل بالبر والبحر، انا قد بينا دلائل رحمتنا وقدرتنا لقوم يتفكرون بالعلم^(١).

٩٨ - هو الذي أنشأكم من أصل واحد، هو أب البشر آدم، وآدم من الأرض، فالأرض مكان استقراركم مدة حياتكم، ومستودع لكم بعد موتكم وتقييمكم في ظلها. وقد بينا دلائل قدرتنا لقوم يدركون ويفهمون الأشياء على وجهها.

٩٩ - وهو الذي أنزل من السحاب ماء أخرج به نبات كل صنف، فأخرج من النبات شيئاً غسقا طريا، وأخرج منه حبا كثيرا بعضه فوق بعض، ومن طلع النخل عرابين فخرجها بحملة بالآبار سهلة التناول، وأخرجنا كذلك بالماء جنات من الأعناب والزيتون والرمان، ومنها ما هو مثل الثمر في الشكل وغير مثل في الطعم والرائحة ونوع الفائدة. انظروا في تدبير واعتبار إلى كثره حين يثمر، وإلى نضجه كيف تم بعد أطوار مختلفة ! ان في ذلك لدلائل لقوم يتشبهون الحق ويؤمنون به ويفهمون له^(٢).

١٠٠ - واتخذ الكافرين مع هذه الدلائل الملائكة والشياطين شركاء لله، وقد خلقهم، فلا يصح مع علمهم ذلك أن يبدوا غيره. وهو الذي خلق الملائكة والشياطين، فلا ينبغي أن يعبدوهم وهم مخلوقون مثلهم... واختلق هؤلاء الكفار لله بنين: فزعم النصارى أن المسيح ابن الله، وزعم مشركو بعض العرب أن الملائكة بنات الله، وذلك جهل ومن غير علم تنزه الله تعالى عما يفترون في أوصافه سبحانه !

(١) كانت الأجرام السماوية منذ فجر حضارات البشر وما تزال هي العالم التي يعتد بها الإنسان في سفره برا وبحرا. ويستند من رصد الشمس والقمر والنجوم الثوابت على الإحصاء في تعيين موقع المسافرين وتحديد اتجاه غايته ومع تقدم العلم أصبحت الملاحة البحرية والجوية فنا دقيقا يعتمد عليه وذلك باستخدام آلات الحسب وما إليها والرجوع إلى الجداول الخاصة بذلك بل ان رجال الفضاء في الآونة الأخيرة قد استعانوا بالشمس والنجوم في تحديد اتجاهاتهم في بعض مراحل أسفارهم وتستخدم بعض صيغوعات النجوم كذلك في تحديد الزمن مثل مجموعة الدب الأكبر وذلك لم تعرف الانسان على المكان والزمان بالنجوم كما تقرر الآية الكريمة على أوسع معنى. (٢) توضح هذه الآية الكريمة في النباتات كيفية خلق تلك الثمار وكيف نشأت وقت في أطوارها المختلفة حتى وصلت إلى طور نضجها الكامل بما تحويه من مركبات مختلفة من السكريات والزيوت والبروتينات والمواد الكروماتينية والنشويات كل هذا يتكون في وجود ضوء الشمس من طريق المادة المخضرة مادة البخضور التي توجد عادة في البسوس المخضرة للنباتات وخاصة الأوراق فهي المصنع الذي يتكون فيه تلك المركبات ومنها تخرج على باقي اجزاء النبات بما فيها البذور والثمار علاوة على ان الآية الكريمة تدل على ان ما هو المظهر هو المصدر =

لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَنِيعَةٌ وَخَاقَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ يَكْفِيهِ عِلْمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَاقْعُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٧﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ الْغَلِيبُ أَنْتَ خَيْرٌ مِمَّا يَصَارُونَ مِنْ رَبِّكُمْ قُلْ أَبْصِرْ فَلْيَبْصِرْهُ مِنْ عَمِي فَلْيَبْصِرْهُ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمَحْفِظٍ ﴿١٠٨﴾ وَكَذَلِكَ نَعْرِفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا أَدْرَسَتْ وَلْيَبْصِرْ لِقَوْمٍ يُعْلَمُونَ ﴿١٠٩﴾ أَتَبِعَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ

١٠٦ - الله الذي أنشأ السموات والأرض على غير مثال سبق : كيف يكون له ولد كما يزعم هؤلاء مع أنه لم تكن له زوجة ، وقد خلق جميع الأنبياء وفيها هؤلاء الذين اتخذههم شركاءا وهو عالم بكل شيء يحصى عليهم ما يقولون وما يظنون ، وهو مجازيهم على قولهم وفعلهم .

١٠٧ - ذلك المتصف بصفات الكمال . هو الله ربكم ، لا إله غيره ، خالق كل شيء بما كان وما سيكون ، فهو وحده المستحق للعبادة ، فاعبدوه ، وهو وحده المتولى كل أمر وكل شيء ، فإليه رجعه المرجع والمآب .

١٠٨ - لا تبصر ذاته العيون ، وهو يعلم دقائق العيون وغير العيون ، وهو اللطيف فلا يريب عنه شيء ، الحبير فلا يخفى عليه شيء .

١٠٩ - قل أيها النبي للناس : قد جاءكم من خالفكم ومالك أمركم حجج وبينات في القرآن ، تنير لكم طريق الحق ، فمن انتفع بها فانتفع لنفسه ومن أعرض عنها فقد جنى على نفسه ، ولست أنا محفاظ عليكم ، بل أنا رسول أبلفكم ما أرسلت به إليكم .

١١٠ - ومثل هذا التنوع البديع في عرض الدلائل الكونية ، نعرض آياتنا في القرآن متنوعة مفصلة ، لنقيم الحجة بما على المجاهدين ، فلا يجحدوا إلا اختلاق الكذب ، فيتهموك بأنك تعلمت من الناس لا من الله ؛ ولنبين ما أنزل إليك من الحقائق من غير تأثر بهوى ، لقوم يدركون الحق ويدعون له .

١١١ - أتبع أيها النبي ما جاءك به الوحي من الله ، مالك أمرك ومدير شئونك ، انه وحده الإله المستحق للطاعة والخضوع ، فالتزم طاعته ، ولا تبال بمتاد المشركين .

« الوحيد لله ، الضبط على الأرض وطاقة الشمس هي مصدر طاقات الأحياء جميعا ، ولكن النباتات التي التي تستطيع اختزان طاقة الشمس بواسطة مادة اليخضور وتسلها للانسان والحيوان في المواد الغذائية الضوئية التي كونتها ، وقد كشف العلم عن حقيقة باهرة تدل على وحدة الخلق وهي ان مادة الميتوبلازم والبروتين والانسان وكثير من انواع الحيوان وثيقة الصلة بمادة اليخضور فخرات الكربون والايروجين والاكسجين والتبرجين كتشف ذرة الحديد في جزيء الميتوبلازم بيتا هي بنفسها كتشف ذرة الماغنسيوم في جزيء اليخضور كما انه اتضح من البحوث الطبية ان مادة اليخضور عندما يتصلها جسم الانسان تنتج في خلاياه فقويا وتساعد على القضاء على جراثيم الأمراض فتفتح لأسجة الجسم فرصة الدفاع ومكافحة الأمراض .
وفي آخر الآية الكريمة قوله تعالى : « انظروا الى فرح انما افر وبه » .

وفي هذه الاشارة سبق لعم التيات الحديث في ماوصل اليه من الاعمال في دراسة على مشاعلة الشكل الخارجي لاضعائه كافة في ادواره المختلفة .

يُوحِيهِمْ ۖ وَلَا تَكْسِبُ الْإِيمَانُ يَدَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَتَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ
ثُمَّ إِلَيْنَا رِيْسُهُمْ ۖ فَمِنْهُمْ قَبِيْلُهُمْ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا
قُلِ الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُسْرِرُنَّ أَشْيَاءَ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَنَقَلِبْ أَقْلَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَى يَوْمِ الْمَلَذَّةِ كُلِّهُمْ الْمَوْتَ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ فِتْنَةٍ وَكُنَّا بِمَا كَانُوا لَيُؤْمِنُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ۝ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ
عَدُوًّا شَيْطَانِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُرِي بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۖ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرُهُمْ

١٠٧ - ولو أراد الله أن يبدوه وحده لتهربهم على ذلك بقوته وقدرته، ولكنه تركه لاختيارهم، وما جعلناك
رقباً على أفعالهم، وما أنت بكلف أن تقوم عنهم بتدبير شؤونهم وإصلاح أمرهم.

١٠٨ - لا تسبوا، أي المؤمنون، أصنام المشركين التي يعبدونها من دون الله، فيجعلهم الغضب لها على
اغفلتكم بسب الله تمديداً وسفهاً. مثل ما زينا هؤلاء حب أصنامهم يكون لكل أمة عملها حسب استعدادها، ثم
يكون مصير الجميع إلى الله وحده يوم القيامة، فيعذبهم بأفعالهم ويجازيهم عليها.

١٠٩ - وأقسم المشركون بأقصى إيمانهم لأن جاءتهم آية مادية من الآيات التي اقترحوها، ليكون ذلك سبباً في
إيمانهم !! قل يا أيها النبي: إن هذه الآيات من عند الله، فهو وحده القادر عليها، وليس لي يد فيها، انكم أيها
المؤمنون لا تدعون ما سبق به علمي من أنهم إذا جاءتهم هذه الآيات لا يؤمنون.

١١٠ - وانكم لا تدرون أيضاً أننا نقرب قلوبهم عند مجيء الآيات بالحواسر والتأويلات، ونقلب أبصارهم
بنور التخييلات، فيكثرون بعد الآيات كحالهم قبلها، وتدعوهم في ظلمهم وعنادهم يتخطون.

١١١ - إن أولئك الذين أقسموا: إذا جاءتهم آية ليؤمنن بها، كاذبون، والله أعلم بإيمانهم، ولو أننا زلنا
اللائكة يرونها رأى العين، وكلمهم الموت بعد أحيائهم وأخراجهم من قبورهم، وجعلناهم كل شيء مقابل لهم
مواجهاً بين لهم الحق، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله تعالى أن يؤمنوا، والأكثرون لا يدركون الحق ولا يدعون
له، لما أصاب قلوبهم من عمى الجهالية.



وَمَا يَقْرَأُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَيَصْنَعَنَّ إِلَيْهِ أَفْعَادُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَقْرَأُوا مَا هُمْ مُقْرَأُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ
أَتَتَّبِعِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ أَتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ
بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرَكُمْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكَلِّمُوا ذُرِّيَّتَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ

١١٢ - وكما أن هؤلاء عادوك وعاندوك وأنت تريد هدايتهم . جعلنا لكل نبي يبلغ عنا أعداء من عتاة
الانس ، وعتاة الجن الذين يخفون عنك ولا تراهم . يوسوس بعضهم لبعض بكلام مزخرف موه لا حقيقة له ،
فيلقون بذلك فيهم الفرور بالباطل ! وذلك كله بتقدير الله ومشيئته ، ولو شاء ما فعلوه ، ولكنه لتجسس قلوب
المؤمنين . فارتكب الضالين وكفرهم بأقوالهم التي يقرئونها .

١١٣ - وانهم يوهون القول الباطل ليعفوا أنفسهم ويرضوه ، وقيل إليه قلوب من على شاكلة أولئك العتاة
الذين لا يدعون للآخرة ، ويعتقدون أن الحياة هي الدنيا ، وليفوا بسبب عدم اعتقادهم باليوم الآخر فها يقتربون
من أتمام وفجور .

١١٤ - قل لهم أيها النبي : هذا حكم الله بالحق بينته الآيات الساطعة ، فلا يسوغ أن أطلب حكما غيره يفصل
بينى وبينكم . وقد حكم سبحانه فأنزله الكتاب الكريم حجة لى عليكم ، وقد عجزتم أن تأتوا بمثله ، وهو مبین للحق
وللعادل ، وان الذين أتوا الكتاب يعلمون أنه منزل من عند الله مشتملا على الحق ، كما بشرت كتبهم . وان حاولوا
اخفاء ذلك وكتابه ، فلا تكون يا أيها النبي ، أنت ومن اتبعك ، من الذين يشكون فى الحق بعد بيانه .

١١٥ - وان حكم الله قد صدر ، وتمت كلمات ربك الصادقة العادلة ، بانزال الكتاب الكريم مشتملا على
صدق ، وفيه الميزان الصالح بين الحق والباطل ، ولا يوجد من يغير كلمات الله وكتابه ، وهو سبحانه مسمع لكل
ما يقال عليهم بكل مايقع منهم .

١١٦ - وإذا كان سبحانه هو المحكم العدل الذى يرجع إلى كتبه فى طلب الحق ومعرفته ، فلا تتبع أيها النبي
أنت ومن معك أحدا يخالف قوله الحق ، ولو كانوا عددا كثيرا . فإنك ان تتبع أكثر الناس الذين لا يعتمدون على
شرع منزل ، يضلوك عن طريق الحق المستقيم وهو طريق الله تعالى ، لأنهم لا يسيرون إلا وراء الظنون والأوهام ،
وان هم إلا يقولون عن تخمين لا يبنى على برهان .

١١٧ - وان ربك هو العظيم علما ليس مثله علم بالذين بعدوا عن طريق الحق ، والذين اهتموا إليه وصارت
الهداية وصفا لهم .

إِنْ كُنْتُمْ بِعَاقِبَتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّوا بِأَهْوَاءِهِمْ وَيَفْرِعَ عَنِ الْإِيمَانِ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١٩﴾ وَبِطَائِفَةٍ مِنْ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِيمَانَ سِجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا زِلْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَبِئْسَ لِلشَّيْطَانِ لُبُوحٌ وَإِلَّا أُولِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُوهُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مِنْ كَانَ مِثْلَ فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ شَاعِرٍ رِجْزٍ لِمَنِ كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

١١٨ - وإذا كان الله تعالى هو الذي يعلم المهتدين والفسادين ، فلا تلتفتوا الى ضلال المشركين في تحريم بعض الأنعام ، واكلوا منها ، فقد رزقكم الله تعالى اياها ، وجعلها حلالاً وطيباً لا ضرر في اكلها ، واذكروا اسم الله تعالى عليها عند ذبحها ، ما يحتم مؤمنين به ، مذهبتين لادله ..

١١٩ - وانه لا يوجد أى مبرر أو دليل يمنعكم أن تأكلوا ما يذكر اسم الله تعالى عليه عند ذبحه من الأنعام ، وقد بين سبحانه وتعالى المحرم في غير حال الاضطرار ، كالبينة والدم . وأن الكافرين من الناس يعمدون عن الحق ببعض أهوائهم ، من غير علم أو توه ، أو يرهان قام عندهم ، كأولئك السرب الذين حرّموا بعض النعم عليهم . ولستم معتدين في أكلكم ما ولد ، بل هم المعتدون بتحريم الحلال ، والله وحده هو العليم علماً ليس مثله علم بالمعتدين حقاً .

١٢٠ - ليست التقوى في تحريم ما أحل الله ، انما التقوى في ترك الامم طاهره وابطنه فانكروا الآنام في أفعالكم ظاهرها وخفيها وان الذين يكسبون الامم سيجزون مقدار ما اقترفوا من سيئات .

١٢١ - وإذا كانت الأنعام حلالاً لكم بذبحها . فلا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله تعالى عليه عند ذبحه ، اذا تركت فيه التسمية عمداً . أو ذكر فيه اسم غير الله تعالى ، فان هذا فسق وخروج عن حكم الله . . . وان العتاة المفسدين من ابليس وأعوانه ليوسوسون في صدور من استولوا عليهم ، ليجادلوكم بالباطل . وليجروكم الى تحريم ما أحل الله ، وان اتبعتموهم فانكم مثلهم في الاشراك بالله .

١٢٢ - وانكم بإيمانكم لستم مثل المشركين في شيء . فليس حال من كان كالميت في ضلاله فانار الله بصيرته بالهداية التي هي كالنار . وجعل له نور الايمان والمصباح اليقينة ، يتدى به ويضيء على ضوئه ، كحال الذي يعيش في الظلام المتكاثف . وكذا زين الله الايمان في قلوب أهل الايمان ، زين الشيطان الشرك في نفوس الظالمين الجاحدين .

يَكْفُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَسْمُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا إِنَّا أَنْفُسُنَا نَزَّلَتْ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّكَ آيَةٌ مِثْلَ مَا نَزَّلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٢٤﴾ قُلْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ صَدْرُ الْإِسْلَامِ وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ * لَكُمْ دَارُ الْآلَمِ عِنْدَ رَبِّكُمْ وَهُوَ وَلِيُّكُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَنْعَشَرُ إِلَيْهِ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ قُلْ أُولَئِكَ مِنْ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمِعْ بَعْضَنَا



١٢٣ - لا تعجب أيها النبي إذا رأيت أكابر المجرمين في مكة يدبرون الشر ويفتنون فيه ! . فكذاك الشأن في كل مدينة كبيرة يدبر الشر فيها الأكابر من المجرمين . وعاقبتهم عليهم . وهم لا يشعرون ولا يحسبون بذلك .

١٢٤ - وإن هؤلاء الكبار من المجرمين يحسدون الناس على ما أتاهم الله من علم ونيرة وهداية . فإذا جاءتهم حجة قاطعة لا يدعون لها . ولكن يقولون : لن ندع للحق حتى يزل علينا الوحي كما يزل على الرسل . والله وحده هو الذي يصطفى لرسالته من يشاء من خلقه . وإن هؤلاء المعاندين إذا كانوا يطلبون الرياسة بهذا العناد . فسبناهم الصغار والذل في الدنيا بسببه . وسبناهم العذاب الشديد في الآخرة بسبب تدبيرهم السيئ .

١٢٥ - إذا كان أولئك قد ضلوا واهتدبتهم . فإرادة الله تعالى وقضائه . فمن يكتب له الهداية يتسع صدره لنور الاسلام . ومن يكتب عليه الضلال يكن صدره ضيقاً شديداً الضيق . كأنه من الضيق كمن يصعد الى مكان مرتفع بعيد الارتفاع كالسقاء . فتصاعد انفسه ولا يستطيع شئاً ! وبهذا يكتب الله الفساد والخذلان على الذين ليس من شأنهم الايمان .

١٢٦ - وهذا الذي بيناه هو طريق الحق المستقيم . قد فصلناه ووضحناه للناس . ولا ينتفع به الا الذين من شأنهم التذكر وطلب الهداية .

١٢٧ - ول هؤلاء المذكرين المؤمنين دار الأمن . وهي الجنة . وهم في ولاية الله ومحبه ونصرته . بسبب ما عملوا في الدنيا من خير .

بَعْضُ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ أَنَارُ مَثُوكُمْ خَلِيلِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾
 وَكَذَلِكَ نُبَيِّئُ الْفَاسِقِينَ بَعْضَهُم بِأَعْيُنِهِمْ إِنَّهُمْ مُسْتَضَرِّجُونَ ﴿١٢٩﴾ يَتَمَتَّعُونَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَسُوا الْآخِرَةَ لِيَأْتِيَهُمْ سُرُودٌ ﴿١٣٠﴾
 عَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَيُنذِرُونَكَ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا ثُمَّ نَدْعُكَ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
 أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ ذَلِكَ أَنْ لَوْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكُ الْفَرَى بَغْلَةً وَاهْلَها عَنقَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ
 عَمَلٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ

١٢٨ - وإذا كان الذين سلكوا صراط الله المستقيم لهم الأمن وولاية الله ، فالذين سلكوا طريق الشيطان
 لهم جزاء ما ارتكبوا ، حين يحشر الجميع يوم القيامة ، ويقول جل جلاله للآتين من الجن والانس : أيها المضمون
 من الجن قد اكثرت من اغواء الانس حتى تبعكم منهم عدد كثير ! . فيقول الذين اتبعوهم من الانس : يا خالقنا
 والقائم علينا ، قد انتفع بعضنا ببعض ، واستمتعنا بالشهوات ، وبلفنا أجلا الذي حددته لنا . فيقول جل جلاله :
 مفرق النار خالدين فيها الا من شاء الله أن ينقذهم من لم ينكروا رسالة الله . وان أفعال الله دائما على مقتضى
 الحكمة والعلم .

١٢٩ - وكما تمننا عصاة الانس والجن بعضهم ببعض ، فنجعل بعض الظالمين أولياء لبعض بسبب
 ما يكسبون من كبر .

١٣٠ - والله تعالى يقول لهم يوم القيامة : أيها الانس والجن ، لقد جاءكم الرسل يذكرون لكم المحجج
 والبيانات ، ويتلون عليكم الآيات ، وينذرونكم لقاء الله في يومكم هذا ، فكيف تكذبون ؟ فأجابوا : قد أقرنا على
 أنفسنا بما ارتكبنا ، وقد خدعتم الحياة الدنيا بتمها ، وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا جاحدين .

١٣١ - وان إرساله الرسل منذرين لما كان لأن ربك أيها النبي لا يهلك القرى بظلمهم وأهلها غافلون
 عن الحق ، بل لابد أن يبين لهم وينذهم .

١٣٢ - ولكل عامل غير أو عامل شر درجاته من جزاء ما عمله . إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، والله
 سبحانه وهو الحالق البارئ غير غافل عما يعملون ، بل ان عملهم في كتاب لا ينادر صغيرة ولا كبيرة
 الا أحصاها .

مَا يَشَاءُ كَمَا أُنْشَأُكُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ فَأَتْرِكُ أَعْيُنَ النَّاسِ عَنْكُمْ لِئَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكُونُونَ ﴿١٠٠﴾
 أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِلَىٰ عَيْلٍ قِسْوَةٍ يُكُونُونَ مِنْ تَحْتِهَا أَلْجَارُ يُنْقَلِبُ الْفَالِقُونَ ﴿١٠١﴾
 وَجَعَلُوا لَهَا فِئًا مِنَ الْحَرِّ وَالْأَنْعَمِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا إِنْ كَانُوا لَهُمْ
 قُلَاءَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لَكُنْ مِنْ الْمُشْرِكِينَ
 فَقُلْ أُولَئِكَ شُرَكَائُكُمْ لَيْدُونَكُمْ وَيَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ دِينَكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا فَلَهُمْ قُلُوبٌ يَفْقَهُونَ ﴿١٠٣﴾
 وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَسَرَحْنَا لِطَاعَتِهَا إِنْ لَمْ يَأْتِ شَاءَ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ظُهُورُهَا أَنْعَمٌ لَئِنْ كَرِهْتُمْ

١٣٣ - والله ربك هو الغنى عن العباد والعبادة، وهو وحده صاحب الرحمة الشاملة، ويعتقدها أمركم بالخير ونهاكم عن الشر، وهو القادر أن يشأ بغيركم ويعمل في الأرض خلفاء من بعدكم على حسب شئيته، وليس ذلك يصعب عليه سبحانه، فقد خلقكم من ذرية آخرين سبقكم، وكنتم وارتب الأرض من بعدهم.

١٣٤ - وإن الذي ينفركم به من عقاب، ويشركم به من ثواب بعد البعث والجمع والحساب، أت لا محالة، وما أنتم بمعجزين من يطلبكم يومئذ، فلا فترة لكم على الاستئاع عن الجمع والحساب.

١٣٥ - قل أيها الذين هم مهتدون: اعملوا على النعم الذي اعترقوه بكل ما في قدرتكم، وإلى عامل في ناحية الحق، وستعلمون حقاً من تكون له العاقبة الحسنة في الدار الآخرة. وهي لأهل الحق لا محالة، لأنكم ظالمون والله تعالى لم يكتب الفوز للظالمين.

١٣٦ - المشتركون الذين يمدون الأوتان في أومام مستمرة ، فهم يعملون مما خلق الله تعالى وأنشأه ، من الزرع ومن الابل والبقر والغنم ، جزءاً له تعالى يتفقونه على الضيفان والمحتاجين ، وجزءاً آخر يتفقونه على خدمة الأوتان التي جعلوا شركاء له تعالى بزعمهم . فما يعملونه للأوتان يصل الى أوتانهم يتفقونه عليها ، وما يعملونه لله يزعمونه لا يصل شيء منه الى الضيفان والفقراء ، وما أسوأ حكمهم الظالم ، لأنهم جعلوا الأوتان نظراء لخالق الحراث والنسل ، ولأنهم لا يتفقون ما جعلوه لله في مصارفه .

١٣٧ - وكما زيت لم أرواهم تلك التهمة الطائلة لما خلق الله من حرث وإبل وبقر وغنم ، قد زيت لهم أرواهمهم في الأثران التي زعموها شركاء له تهل أولادهم عند الولادة ، وأن ينثروا لأقتسم ذبح أولادهم ؛ وإن تلك الأرواح تربيهم وقطط عليهم أمر الدين . فلا يدركونه على وجهه ؛ وإنا كانت الأرواح لما ذلك السلطان على عقولهم ، فأتاكم وبما يقرونه على الله تعالى وعليه وسيتلون عقول ما يفكرون ، وتلك مشيئة الله ، فلو شاء ما فعل ؛

اللَّهُ عَلَيْهِ أَفْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيِّئُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ خَالِصَةٌ لِّذِكْرِنَا وَنَحَرَمُ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّمَّنْهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ * وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّتٍ مَّعْرُوشَتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّيَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ

١٣٨ - ومن أوهامهم أنهم يقولون : هذه ابل وبقر وغنم وزرع ممنوعة ، لا يأكلها أحد الا من يشاؤون من خدمة الأوثان ، وذلك من زعمهم الباطل ، لا من عند الله . وقالوا أيضاً : هذه ابل حشرت ظهورها فلا يركبها أحد ، وهم مع ذلك لا يذكرون اسم الله تعالى عند ذبح ما يذبحون من ابل وبقر وغنم ، وذلك لكنهم على الله تعالى بشركهم ، والله تعالى سيجزيهم بالعذاب في الآخرة ، بسبب افتراءهم وتحريمهم ما يحرمون من غير تحريم الله تعالى .

١٣٩ - ومن أوهام هؤلاء المشركين أنهم يقولون : ما في بطون الأنعام التي جعلوها محسورة ممنوعة لا تذبح ولا تتركب ، ما في بطونها من أجنة خالصة للذكور من الرجال ، ويحرم منه النساء ، ومع ذلك اذا نزل ميتاً فهم شركاء فيه ، يأكلون منه ، سيجزيهم الله تعالى على كنيسهم الذي وصفوا به فعلهم ، اذ ادعوا ان هذا التحريم من عند الله تعالى ، وان الله عليهم بكل شيء ، حكيم ، كل افعاله على مقتضى الحكمة وهو يجزي الآئتين بانهم .

١٤٠ - وقد خسر أولئك الذين قتلوا أولادهم حقاً ووهماً ، غير عالين بمغبة عملهم وداعبه ، وحرموا على أنفسهم ما رزقهم الله من زرع وحيوان ، مفقرين على الله بادعائه أنه هو الذي حرم ، وقد بعدوا عن الحق بسبب ذلك ، وما كانوا بسبب هذا الافتراء ممن يتصفون بالمهادية .

١٤١ - الله وحده هو الذي خلق حادثات من الكرم ، منها ما يفرس ويرفع على دعائم ، ومنها ما لا يقوم على دعائم وخلق النخل والزرع الذي يخرج ثمرًا مختلفًا في اللون والطعم والشكل والرائحة وغير ذلك ، وخلق الزيتون والرمان متشابهًا في بعض الصفات وغير متشابه في بعضها الآخر ، مع أن التربة قد تكون واحدة وتسق جميعها بماء واحد . فكلوا من ثمرها اذا طاب لكم ، وأخرجوا منها الصدقة عند نضجها وجمعها ، ولا تسرفوا في الأكل فتضروا أنفسكم وتضروا الفقراء في حقهم ، ان الله لا يرضى عن المسرفين في تصرفاتهم وأعمالهم .

حَوْلَهُ وَفَرَّشًا كُلًّا مِمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكَرُودٌ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ تَمَنِّيَ أَزْوَاجٌ مِنَ
الضَّالِّينَ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمُعْرِضِينَ قُلْ ءَالِدُكُمْ أَمْ الْإِنْسَانُ أَمْ أَلْتُمِ الْإِنْسَانَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنْسَانِ نَبِيهُنَّ
يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدُكُمْ أَمْ الْإِنْسَانُ أَمْ أَلْتُمِ الْإِنْسَانَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ الْإِنْسَانِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَا اللَّهَ بِهَذَا قُلْ أَطْلَمُ مِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاطِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحَىٰ إِلَيَّ حَرْمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ قُلْ أَضْطَرُّ بِغَيْرِ غَيْرِ بَاطِلٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ

١٤٢ - وخلق الله من الأنعام، وهي الإبل والبقر والضأن والماعز، ما يحمل أنفالك، وما تتخفون من
أصوافها وأوبارها وأنعامها فرشاً، وهي رزق الله لكم، فكلوا ما أحل الله منها ولا تتبعوا الشيطان وأوليائه في
افتراء التحليل والتحریم، كما كان يفعل أهل الجاهلية. ان الشيطان لا يريد لكم الخير، لأنه عدو ظاهر الفتاوة.

١٤٣ - خلق الله من كل نوع من الأنعام ذكراً وأنثى، فهي ثمانية أزواج خلق من الضأن زوجين، ومن
الماعز زوجين، وقيل يا محمد للمشرکین منكرأ عليهم تحريم ما حرموا من هذا، ما علة تحريم هذه الأزواج
كما تزعمون؟ أم هي كونهما ذكراً؟ ليس كذلك، لأنكم تحلون الذكور أحياناً؛ أم هي كونها أنثى؟ ليس كذلك،
لأنكم تحلون الإناث أحياناً؛ أم هي اشتغال الأرحام عليها؟ ليس كذلك لأنكم لا تحرمون الأجنة على الدوام؛
أخبروني بمستند صحيح يعتمد عليه، ان كنتم صادقين فها تزعمون من التحليل والتحریم.

١٤٤ - وخلق الله من الإبل زوجين، ومن البقر زوجين. قل لهم يا محمد منكرأ عليهم: ما علة التحريم
لما حرمتم من هذه الأزواج كما تزعمون؟ أم هي كونها ذكراً؟ ليس كذلك، لأنكم تحلون الذكور أحياناً؛ أم هي كونها
أنثى؟ ليس كذلك، لأنكم تحلون الإناث أحياناً؛ أم هي اشتغال الأرحام عليها؟ ليس كذلك لأنكم لا تحرمون
الأجنة على الدوام. وتزعمون أن هذا التحريم من عند الله؛ أكنتم حاضرين حين وجه اليكم الله هذا التحريم
فسمعتهم نهي؟ لم يكن ذلك قطعاً. اتهاوا عما انتم فيه، فهو ظلم، وليس هناك أظلم ممن كذب على الله فنسب إليه
ما لم يصدر عنه، ولا سند له من علم يعتمد عليه، وإنما يريد بذلك اضلال الناس ان الله لا يوفق الظالمين اذا
اختاروا طريق الباطل.

فَعُورٌ رَجِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلُّ ذِي ظُلْفٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ مَحْشُورُهُمَا إِلَّا مَا مَحَلَّتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْخَوَافِ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِقِيَمٍ وَإِنَّا لَصَدَقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رُبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يَرُدُّ بَأْسَهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ ۖ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَخُصِّرُوهُمْ إِنَّا نَبْصِرُونَ ﴿١٤٨﴾ وَإِن أَنتُم إِلَّا خَرُوصُونَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَّيْنَكُمُ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ هَلْ

١٤٥ - قل، أيها النبي. لا أبجد الآن في مصدر التحليل والتحرير الذي أوحى به إلى طعماً محرماً على أكل يأكله، إلا أن يكون هذا الشيء ميتة لم تذك ذكاة شرعية، أو دماً سائلاً، أو لحم خنزير، فإن ذلك المذكور ضار غيبث لا يجوز أكله إلا أن يكون هذا الشيء المحرم فيه خروج من الصيغة الصحيحة، بأن ذكر عند ذبحه اسم غير الله، كصم أو مبعود آخر، على أن من دعت الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات، غير طالب للذة بالأكل، وغير متجاوز قدر الضرورة، فلا حرج عليه لأن ربك غفور رحيم (١).

١٤٦ - فهذا ما حرّمنا عليكم. ولقد حرّمنا على اليهود أكل اللحم والشحم وغيرها من كل ماله ظفر من الحيوانات كالإبل والسباع، وحرّمنا عليهم من البقر والغنم شحومها فقط، إلا الشحوم التي حملتها ظهورها، أو التي توجد على الأضلاع، أو التي اختلطت بعظم. وهذا التحريم عقاب لهم على ظلمهم، وفطم لنفوسهم من اندفاعها في الضلالت، وإنا لصادقون في جميع أخبارنا التي منها هذا الخبر.

١٤٧ - فإن كذبكم المكذّبين فما أوحيت به إليكم، فقل لهم محذراً: إن ربكم الذي يجب أن تؤمنوا به وحده وتلتزموا أحكامه ذو رحمة واسعة لمن أطاعه ولم عصاه أيضاً، حيث لم يجعل بعقوبتهم، ولكن لا ينبغي أن يفتروا بسمة رحمة، فإن عذابه لا بد واقع بالمجرمين.

١٤٨ - سيقول المشركون اعتذاراً عن شركهم، وتحريم ما أحل الله من الطعام.. وتكذيباً لما أبلغتكم من مقت الله لآله عليه: إن الاشتراك منا وتحريم الحلال كانا بمنية الله ورضاه! ولو شاء عدم ذلك وكره منا ما نحن عليه، ما أشركتنا نحن ولا أسلافنا، ولا حرّمنا شيئاً مما أحله لنا. وقد كذب الذين من قبلهم رسلكم، كما كذب هؤلاء واستمروا في تكذيبهم حتى نزل بهم عذابنا! قل هؤلاء المكذّبين، هل عندكم من مستند صحيح على أن الله رضى لكم الشرك والتحليل، فتظهِروه لنا؟ ما تبصرون فيما تقولون إلا الظن الذي لا يفي من الحق شيئاً، وما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون.

١٤٩ - قل يا أيها النبي: لله الحجة الواضحة في كذبكم ولعائنكم إن الله رضى بصلحكم! ولا حجة لكم فيما تزعمون من الشرك والتحليل والتحرير وغيرها، فلو شاء الله أن يوفقكم إلى الهداية لهداكم إجمعي إلى طريق الحق، ولكنه لم يشأ ذلك لاختياركم سبيل الضلال.

(١) (انظر التلخيص على تفسير الآية الثالثة من سورة المائدة).

وفي هذه الآية الكريمة نص على علة تحريم أكل لحم الخنزير بأنه رجس والرجس هو النجس وقد جاء في القاموس المحيط أن الرجس هو القذر والمائم وكل ما استعجز من البهل والصلب المؤذي إلى العذاب. فالرجس إذن كلمة جامدة لما لا يتبع والفقر والفقر وهو تعلق بالشعير حتى عند الشعير إلى تاكله والخنزير حيوان قارث أو دمام أي أنه يأكل ما يجده في القنابات والقنابات وفضول الإنسان والحيوان، وهذا هو السبب الرئيسي في قيامه بدوره في انتقال بعض الأمراض البولية للإنسان على نحو ما هو مفصل في التلخيص السابق المشار إليه.

شُهَدَاءُ كَرَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَثُرُوا بِعَايِنَاتِنَا
وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرِيسِمُ يَدْعُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْعًا وَيَأْتُوا الَّذِينَ أَحْسَنُوا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَمَلْتُمْ عَنْ زُرْقِكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ
الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْيَتِيمَ بِالْقِصَّةِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا

١٥٠ - قل لهم يأيها التي هاتوا أنصاركم الذين يشهدون لكم أن الله حرم هذا الذي زعمتم أنه حرام، فإن حضروا، وشهدوا، فلا تصدقهم لأنهم كاذبون. ولا تتبع أهواء هؤلاء الذين كذبوا بالأدلة الكونية والقرآن المتلو، الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم مشركون بالله، يساون به غيره من المعبودات الباطلة.

١٥١ - قل لهم يأيها النبي: تعالوا آيين لكم الحرمات التي ينبغي أن تبتعدوا عنها: لا تجعلوا لله شريكاً ما، بأي نوع من أنواع الشرك ولا تسبوا إلى الوالدين، بل أحسنوا إليهما إحساناً بالغا، ولا تقتلوا أولادكم بسبب غفرت بكم، أو تخشون نزوله في المستقبل، فليست أنتم الرازقين، بل نحن الذين نرزقكم ونرزقهم ولا تقربوا الزنا فهو من الأمور المتناهية في القبح، سواه منها ما ظهر للناس حين اتيانه، وما لم يطلع عليه إلا الله، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها لعدم موجبه، إلا إذا كان القتل يحق تنفيذاً لحكم القضاء - امركم الله أمراً مؤكداً باجتناب هذه المنهيات التي تقضى بدمية العقل بالبعد عنها، لتعقلوا ذلك.

١٥٢ - ولا تصرفوا في مال اليتيم إلا بأحسن تصرف يحفظه وينمي، واستمروا على ذلك حتى يصل اليتيم إلى حالة من الرشد يستطيع معها أن يستقل بالتصرف السليم، وحيثاً ادفعوا إليه ماله، ولا تمسوا الكيل والميزان بالتقص إذا أعطيت، أو بالزيادة إذا أخذتم، بل أوفوها بالعدل ما وسعكم ذلك، فإله لا يكلف نفساً إلا ما تستطيعه دين حرج. وإذا قلتم قولاً في حكم أو شهادة أو خير أو نحو ذلك، فلا تملوا عن العدل والصدق، بل تمروا ذلك دين مراعاة لصلة من صلات الجنس أو اللون أو القرابة أو المصاهرة ولا تنقضوا عهد الله الذي أخذ عليكم بالتكاليف، ولا اليهود التي تأخذونها بيمينكم، فيما يتعلق بالمصالح المشروعة، بل أوفوا بهذه العهد. امركم الله أمراً مؤكداً باجتناب هذه المنهيات، لتذكروا أن التشريع لمصلحتكم..

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾
 ثُمَّ إِنَّا أَنَا أَلَيْنَا مَوْعِدُ الْكِتَابِ نَحْمَا عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّاهُمْ يَلْقَآهُ رَبِّهِمْ
 يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى
 طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَى الْكِتَابِ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ
 فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِمَنْ أَظْلَمَ مِنْ كَذِبِ بَعَائِثِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجَرِي
 الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَأُكَةُ

١٥٣ - ولا تتبعوا عن النجى الذى رسمته لكم . لأنه هو الطريق المستقيم الموصل إلى سعادة الدارين ، بل اتبعوه ، ولا تتبعوا الطرق الباطلة التى نهاكم الله حتى لا تضلوا شيئا وأحزابا ويتبعوا عن صراط الله السوى . أمركم الله أمراً مؤكداً بذلك لتجنبوا مخالفته .

١٥٤ - وقد أنزلنا التوراة على موسى إتماماً للنعمة على من أحسن القيام بأمر الدين ، وأنزلناها تفصيلاً لكل شيء من التعاليم المناسبة لهم ، وهدى إلى الطريق السوى ، ورحمة لهم باتباعه وذلك ليؤمن بنو إسرائيل ببقاء ربه يوم القيامة ومحاسنتهم على هذه التكاليف .

١٥٥ - وهذا القرآن كتاب أنزلناه مبارك ، مشتمل على الخير الإلهى والمنافع الدينية والدنيوية ، فاتبعوه واتقوا مخالفته ليرحمكم ربكم .

١٥٦ - أنزلناه حتى لا تمتدوا عن عصيانكم وتقولوا : إن الوحى لم ينزل إلا على طائفتين من قبلنا ، هم أهل التوراة وأهل الانجيل ، ولا علم لنا مطلقاً بتلاوة كتبهم وفهم ما فيها من ارشاد .

١٥٧ - وأنزلناه حتى لا تقولوا أيضاً : لو أننا أنزل علينا الوحى الذى نزل عليهم ، لكننا أكثر منهم هداية وأحسن حالاً ، لسعة عقولنا وطيب استعدادنا لاجبة لكم بعد اليوم على عصيانكم ، ولا يحمل قولكم هذا ، فقد جاءكم القرآن من ربكم علامة واضحة على صدق محمد ، ومبيناً لكم جميع ما تحتاجون إليه في دينكم ودنياكم ، وهداياً إلى الطريق السوى ، ورحمة لكم باتباعه . ولا يكون أحد أظلم ممن كذب بآيات الله التى أنزلها في كتابه ، وآياته التى خلقها في الكون . وأعرض عنها فلم يؤمن ولم يعمل بها ! وسنقاب الذين يمرضون عن آياتنا ، ولا يتدبرون ما فيها بالعذاب البالغ غايته في الأيلام ، بسبب اعراضهم وعدم تدبرهم .

أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ عَائِلَتِكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ عَائِلَتِكَ لَإِنَّمَا نَقَسًا لِّعَيْنَيْهَا لَ تَكُنْ ءَامَنَتَ
مِنْ قَبْلُ أَوْ كَبَّتْ لِيْ ءَعْيُنَهَا عَمَّا قُلْتُ أَفَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَّسَتْ
مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ؕ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مِّنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلًا ۖ وَمِنْ
جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيْنًا قِيَمًا مَّالَةً
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾

١٥٨ - لقد قامت الحجة على وجوب الايمان ، ولم يؤمن هؤلاء ، فاذا ينتظرون لكي يؤمنوا ؟ هل ينتظرون أن تأتيهم الملائكة رسلاً بدل البشر ، أو شاهدين على صدقك ؟ أو أن يأتيهم ربك ليروه ، أو يشهد بصدقك ؟ أو أن تأتيهم بعض علامات ربك لتشهد على صدقك ؟ ! وعندما تأتي علامات ربك بما يلجئهم الى الايمان لا ينفعهم ايمانهم ، لأنه ايمان اضطرار ، ولا ينفع العاصي ان يتوب ويطيع الآن ، فقد انتهت مرحلة التكليف ، قل هؤلاء المرضين المكذبين انتظروا أحد هذه الأمور الثلاثة ، واستمروا على تكذيبكم ، انا منتظرون حكم الله فيكم .

١٥٩ - ان الذين فرقوا الدين الحق الواحد بالمقائد الزائفة والتشريعات الباطلة ، وصاروا بسبب ذلك أحراباً ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم مختلفة ، لست مؤاخذاً بفرقهم وعصيانهم ولا تلك هدايتهم ، فاعليك الا البلاغ ، والله وحده هو الذي يملك أمرهم بالمداية والجزاء ، ثم يخبرهم يوم القيامة بما كانوا يفعلونه في الدنيا ويجازيهم عليه .

١٦٠ - من عمل صالحاً يضاعف له ثوابه الى عشرة أمثاله فضلاً وكرماً ، ومن عمل عملاً سيئاً لا يساقب الا بمقدار عصيانه ، عدلاً منه تعالى ، وليس هناك ظلم بنفس ثواب أو زيادة عقاب .

١٦١ - قل بأيتها النبي مبيئاً ما أنت عليه من الدين الحق : ان ربي ارشدني ووفقني الى طريق مستقيم ، بلغ نهاية الكمال في الاستقامة ، وكان هو الدين الذي اتبعه ابراهيم مائلاً به عن الفسائد الباطلة ، وما كان ابراهيم بعيد مع الله الهاً آخر كما يزعم المشركون .

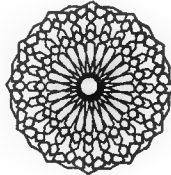
١٦٢ - قل : ان صلاتي وجميع عباداتي ، وما أتبه في حال حياتي من الطاعة ، وما أموت عليه من الايمان والعمل الصالح ، كله خالص لوجه الله الذي خلق جميع الموجودات ، فاستحق أن يعبد وحده وأن يطاق وحده .

لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنَىٰ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ
 كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ لَكُمْ رَيْبُكُمْ مِّنْ رَّجْعِكُمْ فَبَيِّنْ لَّكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾
 وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ۚ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

١٦٣ - ولا شريك له في الخلق، ولا في استحقاق العبادة، وقد أمرني بذلك الاخلاص في التوحيد والعمل، وأنا أول اللذعنين للمبتلين، وأكملهم ادعائاً وتسلياً.

١٦٤ - قل يا محمد، منكرأ على المشركين دعوتهم اياك لموافقتهم في شركهم: أأطلب بالعبادة رباً غير الله، مع أنه خالق كل شيء؟ وقل لهم، منكرأ عليهم أنهم لا يحملون عنك خطاياك اذا وافقتهم: لا تعمل أى نفس عملاً الا وقع جزاؤه عليها وحدها، ولا تؤاخذ نفس بمحمل ذنب نفس أخرى، ثم تبشون بعد الموت الى ربكم، فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه في الدنيا من العقائد، ويجازيكم عليه، فكيف أعمى الله اعباداً على وعودكم الكاذبة؟

١٦٥ - وهو الذي جعلكم خلفاء للأمم السابقة في عمارة الكون، ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الكمال المادى والمعنوى لأخذكم في أسبابه، ليختبركم فيما أعطاكم من النعم كيف تشكرونها، وفيما آتاكم من الشرائع كيف تعملون بها. ان ربك سريع العقاب للمخالفين، لأن عقابه آت لا ريب فيه وكل آت قريب، وأنه لعظيم الغفرة للخالقات التائبين المحسنين، واسع الرحمة بهم.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَعَصِ ۝ كَتَبُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهَكُنَّهَا فَجَاءَهَا

هذه السورة مكية الاثني آيات من رقم ١٦٣ الى رقم ١٧٠ ، وعدد آياتها ٢٠٦ .

وأول هذه السورة فيه امتداد لآخر سورة الأنعام ، وقد اشتملت من بعد ذلك على بدء الحليقة الانسانية ، فذكرت قصة خلق آدم وحواء ، وخرابهما من الجنة بوسوسة الشيطان ، وبيان سوء من الوسوسة المستمرة للانسان في اللباس والطعام . ثم تعرضت آيات هذه السورة الكريمة ، كغيرها من سور القرآن ، الى النظر في السموات والأرض وما فيها من نظام بدیع .

كما تعرضت بعد ذلك لقصص النبيين : نوح ، وهود مع قومه عاد ، ثم لقصة صالح مع قومه ثمود الذين كانوا ينسجون بالقوة وأعطوا الثروة ، ولقصة لوط مع قومه ، وذكر ما كانوا يجرمون عليه من منكرات ، ولقصة شعيب مع أهل مدين وتضمنت بعد ذلك القصص الصادق بما فيه من عبر وغظات . وقد ساق ، سبحانه وتعالى ، بعد ذلك قصة موسى ، وما كان من أمر فرعون .

وختمت السورة بتصوير من يعطى الهداية ثم ينسلخ منها بتضليل الشيطان ، وما يكون منه ، ثم بيان الدعوة الى الحق التي جاء بها محمد ﷺ .

١ - المعص ، هذه الحروف الصوتية تذكر في أوائل بعض السور المكية ، لتنبيه المشركون الى أن القرآن الكريم مكون من الحروف التي ينطقون بها ، ومع ذلك يميزون عن الاتيان بمثله ، كما أن في هذه الحروف اذا تليت حلاً لهم على السماع اذا تواصوا بالآي يسمعون القرآن .

٢ - أنزل اليك القرآن لتنذر به المكثبين ليؤمنوا ، وتذكر به المؤمنين ليزدادوا ايماناً ، فلا يكن في صدرك ضيق عند تبليغه خوفاً من التكذيب .

٣ - اتبعوا ما أوحاه اليكم ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء تستجيرون لهم وتستعينون بهم . انكم قلما تتعظون حين تتركون دين الله وتبتغيون غيره مع أن الصبر في ذلك كثيرة .

بِأَسْأَأَ بَيْنَنَا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿١١﴾ قُلْ كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْأَأَ أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا عَالِمِينَ ﴿١٢﴾ فَلَنَسْأَأَ الْآلِينَ أَرْسِلْ إِلَيْنَا الرُّسُلَ وَلِنُسْأَأَ الرُّسُلَ ﴿١٣﴾ فَلَنَقْصُصْ عَلَيْهِمْ يَعْلَمُونَ مَا كُنَّا عَالِمِينَ ﴿١٤﴾ وَالْأَوَّلُ يُوعِظُ الْآخِرَ قُلْتُ مَوْزِينُهُ قَاوَلْتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ قَاوَلْتِكَ الْآلِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلُمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّاكَ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكَ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكَ ثُمَّ صَوَّرْنَاكَ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَا يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾

٤ - فقد أهلكنا قري عنة ، بسبب عبادة ألهها غير الله وسلوكهم غير طريقه ، بأن جاسعهم عذابنا في وقت غفلتهم واطمئنتانهم ليلاً وهم نائمون ، كما حدث لقوم لوط ، أو نهاراً وهم مستريحون وقت القيلولة يقوم شعيب .

٥ - فاعترفوا بذنوبهم الذي كان سبب نكبتهم فما كان منهم عندما رأوا عذابنا إلا أن قالوا - حيث لا ينفعهم ذلك - أنا كنا ظالمين لأنفسنا بالمعصية ولم يظلمنا الله بمذابه .

٦ - وسيكون حساب الله يوم القيامة دقيقاً عادلاً ، فلنسأل الناس الذين أرسلت إليهم الرسل : هل بلغتكم الرسالة ؟ وماذا أجابوا المرسلين ؟ ولنسأل الرسل أيضاً : هل بلغت ما أنزل إليكم من ربكم ؟ وماذا أجابكم أنفوسكم ؟

٧ - ولنخبرن الجميع أخباراً صادقاً بجميع ما كان منهم ، لأننا أحصينا عليهم كل شيء فما كنا غافلين عنهم ، ولا جاهلين لما كانوا يعملون .

٨ - ويوم نساأهم ونعجزهم ، سيكون تقدير الأفعال للجزاء عليها تقديراً عادلاً ، فالذين كثرت حسناتهم ورجعت على سيئاتهم هم الفائزون الذين نصرتهم عن النار ويدخلون الجنة .

٩ - والذين كثرت سيئاتهم ورجعت على حسناتهم هم الخاسرون ، لأنهم باعوا أنفسهم للشيطان ، فتركوا التدبير في آياتنا كفرأ وعناداً .

١٠ - ولقد مكناكم في الأرض فتحناكم القوة لاستغلالها ، والاتضاع بها ، وهأنا لكم وسائل العيش ، فكان شكركم لله على هذه النعم قليلاً جداً ، وستلقون جزاء ذلك .

١١ - وفي أخبار الأولين عبر ومواعظ ، يتضح فيها أن الشيطان يحاول أن يزيل عنكم النعم بنسبائكم أمر الله ، فقد خلقنا أبائكم آدم ، ثم صورناه ، ثم قلنا للملائكة : عظموه فعظموه طاعة لأمر ربهم ، إلا إبليس فإنه لم يمثل .

قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ خَلْقَتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝ قَالَ فَأَهْبِطْ
مِنْهَا فَاصْبُرْ لَّكَ أَن تَسْكَرَ فِيهَا فَاتَخَرِّجَ إِنَّكَ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝
قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتُ لِأَقْصِدَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَا يَتَذَكَّرُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ۝ قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْهُورًا
لَّمْنٍ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ أَجْمَعِينَ ۝ وَيَقَادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْغَالِبِينَ ۝ فَوَسَّسَ لَّهُمَا الشَّيْطَانُ لَيْلِي طَعْمًا مَا وَدَّي عَنْهُمَا مِنْ
سَوَاءٍ بَيْنَهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۝ وَقَامَهُمَا

١٢ - قال الله منكراً عليه عصيانه : ما مَنَّكَ عن تعظيم آدم وقد أمرتك به ؟ أجاب ابليس في عناد وكبر :
أنا خير من آدم لأنك خلقتني من نار وخلقته من طين ، والنار اشرف من الطين .

١٣ - فجاءه الله على عناده وكبره بطرده من دار كرامته ، وقال له : اهبط منها ، بعد أن كنت في منزلة
عالية ، فإني لك أن تتكبر وتسمى فيها .. اخرج منها محكوماً عليك بالسفار والحرمان .

١٤ - قال ابليس لله : أمهلني ولا تنقني إلى يوم القيامة .

١٥ - فأجابه الله بقوله : انك من المهلين المؤخرين .

١٦ - ولحقه على آدم وحسده له قال : بسبب حيكك على بالواية والضلال ، اقسام لأضلن بني آدم
واصرفهم عن طريقك المستقيم ، متخذاً في ذلك كل وسيلة ممكنة .

١٧ - واقسم لأتيهم من أمالهم ومن خلفهم . وعن إيمانهم وعن شمالكهم ومن كل جهة استطاعها ، ملتصقاً
كل غلظة منهم أو ضعف فيهم ، لأصل إلى إغوائهم ، حتى لا يكون أكثرهم مؤمنين بك ، لعدم شكرهم لامتلاكك .

١٨ - فزاده الله نكابة وقال له ، اخرج من دار كرامتي مذموماً بكبرك وعصيانك ، وهالكاً في نهايتك ، وأقسم
أن من اتبعك من بني آدم لأملأن جهنم منك ومنهم أجمعين .

١٩ - ويا آدم اسكن أنت وزوجك دار كرامتي ، وهي الجنة ، وتتما بها فيها ، فكلما من أي طعام أردقا ،
الاهذه الشجرة ، فلا تقرباها حتى لا تكونا من الظالمين لأنفسهم بالمعاقب المقرتب على المخالفة .

٢٠ - فزين لها الشيطان مخالفة أمر الله ، ليزيل عنها الملابس ، فتكتشف عورتها ، وقال لها ، ما نهاك
ربكما عن هذه الشجرة الاكراهة أن تكونا ملكين ، أو كراهة أن تكونا من الخالدين الذين لا ينقطع نعيمهم في هذه
الدار .

إِنِّي لَكَا لَيْنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَذَلَّلْنَاهُمْ بِمُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفَقَا يَحْصِنَانِ عَلَيْهِمَا
مِنْ وَرَى الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾
قَالَ رَبُّنَا عَلَّمَنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّارْتِفَاقَنَا وَتَرْجَانَا لَنَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَنِهَا تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِي آدَمُ قَدْ
أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُوْرِي سَوْءَ بَشَرِكَا وَيَسَّ الْأَقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَابِتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾
يَبْنِي آدَمُ لَا يَفْتَنُكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسًا لِّئَلَّا يُرْسَبَ لَهُمَا سَوْءُهُمَا إِنَّمَا تَرْسَبُ
هُوَ وَبِقِيلِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْوِيهِمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا

٢١ - وَأَقْسَمَ لَهَا أَنَّهُ مِنَ النَّاصِحِينَ لَهَا ، وَكَرَّرَ قَسَمَهُ .

٢٢ - فَنَاقَهَا إِلَى الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ بِهَذِهِ الْخَدْعَةِ ، فَلَمَّا ذَاقَا طَعْمَهَا وَانْكَشَفَ لَهَا عَوْرَاتِهَا ، جَعَلَا يَحْصِنَانِ
بَعْضُ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ لِيَسْتَرَا بِهَا عَوْرَاتِهَا وَعَانِيَهَا رَبُّهَا ، وَنَهَىٰهَا إِلَى خَطئِهَا قَائِلًا : أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ
وَأَخْبَرَكُمَا أَنَّ الشَّيْطَانَ لَكَا عَدُوٌّ مُبِينٌ لَا يُرِيدُ لَكُمَا الْخَيْرَ ؟

٢٣ - قَالَ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ نَادِيَيْنِ مُتَضَرِّعَيْنِ : يَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا بِمُخَالَفَةِ أَمْرِكَ الَّتِي اسْتَوْجَبْتَ زَوَالَ النِّعَمِ ،
وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا مَخَالَفَتَنَا وَتَرْجِنَا بِفَضْلِكَ لَنَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

٢٤ - قَالَ اللَّهُ لَهَا وَلِلشَّيْطَانِ : اهْبِطُوا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ اسْتِقْرَارٌ وَتَمَتُّعٌ إِلَى حِينٍ
انْقِضَاءَ أَجَالِكُمْ .

٢٥ - فِي الْأَرْضِ تَوَلَدُونَ وَتَمِيشُونَ ، وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَتَدْفَنُونَ ، وَمِنهَا عِنْدَ الْبَيْتِ تَخْرُجُونَ .

٢٦ - يَا بَنِي آدَمَ : قَدْ أَمْنَعْنَا عَلَيْكُمْ ، فَخَلَقْنَا لَكُمْ مَلَاسًا تَسْتَرُ عَوْرَاتَكُمْ ، وَمَوَادَّ تَزِينُونَ بِهَا ، وَلَكِنِ الطَّاعَةَ
خَيْرٌ لِبَاسٍ يَتَّقِيكَ الْعَذَابَ . تِلْكَ النِّصْمُ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَعِلِّ رَحْمَتِهِ ، لِيَتَذَكَّرَ النَّاسُ بِمَا عَظَّمَهُ
وَاسْتَحْقَاقَهُ وَحَدِّهِ الْأَلْوِيَةِ . وَتِلْكَ الْقِصَّةُ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ الْكُونِيَةِ الَّتِي تَبِينُ جِزَاءَ مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ ، فَيَتَذَكَّرُ بِهَا النَّاسُ
وَيُحَرِّصُونَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعَلَى شُكْرِ نِعَمِهِ .

٢٧ - يَا بَنِي آدَمَ : لَا تَسْتَجِيبُوا لِلشَّيْطَانِ وَإِضْلَالِهِ ، فَتَخْرُجُوا مِنْ هَذِهِ النِّصْمِ الَّتِي لَا تَدُومُ إِلَّا بِالشُّكْرِ
وَالطَّاعَةِ ، كَمَا اسْتَجَابَ أَبَوَاكُمْ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ فَأَخْرَجَهُمَا الشَّيْطَانُ مِنَ النِّعَمِ وَالْكَرَامَةِ ، وَنَزَعَ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا وَأَظْهَرَ لَهَا
عَوْرَاتِهَا . أَنَّهُ يَأْتِيكُمْ هُوَ وَأَعْوَانُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَتَحَرَّيْنِ بِهِمْ ، وَلَا تَحْصِنُونَ بِأَسْلِحِهِمْ وَمَكْرِهِمْ ، وَلَيْسَ لِلشَّيْطَانِ سُلْطَانٌ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا جَعَلْنَاهُ وَأَعْوَانَهُ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِيمَانًا صَادِقًا يَسْتَظِلُّونَ الطَّاعَةَ الْتَامَةَ .

وَجَدْنَا عَلَيْهِمَا آثَانَ وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ * يَذَّبِيهِ آدَمَ خُلْدًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

٢٨ - وإذا فصل المكذوبين أمراً بالغ النكر، كالشرك، والطواف بالبيت عرة، وغيرها اعتنوا وقالوا، وجدنا آياتنا يسيرون على هذا المنهج ونحن بهم مقتدون، والله أمرنا به ورضي عنه حيث أمرنا عليه، قل لهم يا أيها النبي منكرًا عليهم اقترابهم: إن الله لا يأمر بهذه الأمور النكرة، انتسبوا إلى الله ما لا تجدون له مستندًا ولا تعلمون عنه دليل صحة النسب إليه سبحانه؟

٢٩ - بين لهم ما أمر به الله وقل: أمر ربي بالعدل وما لا فحش فيه، وأمركم أن تحفظوه بالعبادة في كل زمان وكل مكان، وأن تكونوا مخلصين له فيها، وكلكم بعد الموت راجعون إليه، وكما بدأ خلقكم يسر وكنتم لا تعلمون إذ ذاك شيئاً، ستعودون إليه يسر تاركين ما حولكم من النعم وراء ظهوركم.

٣٠ - وسيكون الناس يوم القيامة فريقين: فريقاً وفقه الله لأنه اختار طريق الحق فأمن وعمل عملاً صالحاً، وفريقاً حكم عليه بالضلالة لأنه اختار طريق الباطل وهو الكفر والعصيان. وهؤلاء الضالون قد اتفقوا الشياطين أولياء من دون الله فاتبعهم، وهم يظنون أنهم موفقون لا غترابهم بخداع الشياطين.

٣١ - يا بقی آدم: خلوا زينتكم من اللباس المادى الذى يستر الصورة، ومن اللباس الأدبى وهو التقوى، عند كل مكان للصلاة، وفي كل وقت تؤدون فيه العبادة، وتتمتعون بالأكل والشرب. غير مسرفين في ذلك، فلا تتناولوا الحرم، ولا تتجاوزوا الحد المعقول من المنعة، إن الله لا يرضى عن المسرفين^(١).

٣٢ - قل لهم يا محمد: منكرًا عليهم اقتراب التحليل والتحریم على الله: من الذى حرم زينة الله التى خلقها لعباده؟ ومن الذى حرم الحلال الطيب من الرزق؟ قل لهم: هذه الطيبات نعمة من الله، ما كان ينبغي أن يتمتع بها إلا الذين آمنوا في الدنيا، لأنهم يؤدون حقها بالشكر والطاعة، ولكن رحمة الله الواسعة شملت الكافرين والمغالين في الدنيا، وستكون هذه النعم خالصة يوم القيامة للمؤمنين، لا يشاركون فيها غيرهم ونحن نفصل الآيات الدالة على الأحكام على هذا التوالى الواضح، لقوم يدركون أن الله وحده مالك الملك بيده التحليل والتحریم.

(١) يحث الإسلام على وجوب المحافظة على حسن المظهر وما يتبعه من النظافة لاسيما في كل أبعاد وهذا ما تقرره أساليب الصحة الوقائية.

وَمَا يَكُنْ وَالْإِثْمَ وَالْإِثْمَ وَيَعْرِى الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَلَمَّا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَعْرِفُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٣﴾ يَذُنُّنَا آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكَ رُسُلٌ مِنْكَ
يَقْضُونَ عَلَيْكَ أَمْرِي قَبْلَ أَنْ تَقْبَلَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٤﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا
عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٥﴾ قُلْ أَظْهَرُ مِنْ أَنْ تَقْرَأَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ
أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ نَصِيحُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُخَوِّفُهُمْ قَالُوا بَرَأْنَا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ
مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ آخَتَهَا حَتَّى إِذَا آدَرُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَتْرَبْنَاهُمْ لَأُولَئِكَ رَبَّنَا

٣٢ - قل يا محمد ، لما حرم ربي الأمور المتزايدة في القبح كالزنى ، مسواه منها ما يرتكب سرّاً وما يرتكب علانية ، والمحبة أياً كان نوعها ، والظلم الذى ليس له وجه من الحق ، وحرّم أن تشركوا به دون حجة صحيحة أو دليل قاطع وأن تفكروا عليه سبحانه بالكذب في التحليل والتعظيم وغيرها .

٣٤ - ولكل أمة نهاية معلومة ، لا يمكن لأية قوة أن تقدم هذه النهاية أو تؤخرها أية مدة مهما قلت .

٣٥ - يا بني آدم : ان جادتكم رسل من جنسكم الآمى ليضلّوكم أياكم الموحى بها كنتم فريقين : فالذين يؤمنون ويعملون الصالحات يخلصون ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون في دنياهم أو آخراهم .

٣٦ - والذين يكذبون بالآيات ويستكبرون عن اتباعها والاعتدال بها ، فأولئك أهل النار هم فيها معذبون ، خالدين أبداً في العذاب .

٣٧ - فليس هناك أظلم من الذين يفترون الكذب على الله ، بنسبة الشريك والولد إليه ، وادعاء التحليل والتعظيم وغيرها من غير حجة ، أو يكذبون بآيات الله الموحى بها في كونه ، وأولئك يتألقون في الدنيا نصيباً مما كتب الله لهم من الرزق أو الحياة أو العذاب ، حتى إذا جاءتهم ملائكة الموت ليقضوا أرواحهم ، قالوا لهم موحين : أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله لنردّ عنكم الموت ؟ فيجيبون : نبرأوا منا ، وتركوها وغابوا عنا ، وشهدوا على أنفسهم مقرين بأنهم كانوا كافرين .

= وأما عدم الاسراف فقد قرر العلم ان الجسم لا يستفيد بكل مايلقى فيه من الطعام وإذا بأخذ مجرد كفايته منه ثم ينزل بصد ذلك يجهزها كبريا للتخلص مما زاد منه عن حاجه ويحاطب هنا تصاب المعدة وسائر الجهاز الهضمي بأمران شديد ويسلم المرء الى أمراض معينة خاصة بذلك الجهاز ومن الاسراف كذلك تناول مادة معينة من مواد الطعام بنسبة كبيرة تطغى على التسبب اللازمة من المواد الأخرى كالاسراف في تناول المعينات بحيث تطغى على مقدار ما يحتاجه الجسم من زلاليات وهكذا والاية الكريمة تحثنا بجهانب هذا على الأكل من الطيبات لتصح أبادتنا وتغوى على العمل وكذلك فان الاسراف في الأكل يؤدى الى البذاه الامر الذى يرقى الجسم وقد يؤدى ذلك الى ارتفاع ضغط الدم والسكر والذئبة الصدرية .

هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۚ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لَا تَعْمَلُنَّ هَؤُلَاءِ لَكَ عَذَابٌ أَلَدٌ ۚ قَالُوا لَكُم مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَبَدًا فَكَيْفَ تُنكِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا يُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنَ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَرَزَقْنَاهُمْ فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تُجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۚ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ

٣٨ - يقول الله يوم القيامة هؤلاء الكافرين : ادخلوا النار في ضمن أُمم من كفار الانس والجن ، قد مضت من قبلكم ، كلما دخلت أمة النار لمت الأمة التي كُفرت مثلها والتي اتفقتا قدوة ، حتى اذا تنابخوا فيها مجتمعين قال التابعون يَفْهَمُونَ المتبوعين : ربنا هؤلاء أضلونا بتقليدنا لهم ، يحكم تقدمهم علينا أو يحكم سلطانهم فينا ، فصرفونا عن طريق الحق ، فعاقبتهم عقاباً مضاعفاً يحملون فيه جزاء عصيانهم وعصياننا فهدى الله عليهم : لكل منكم عذاب مضاعف لا ينجو منه أحد الفريقين ، يضاعف عقاب التابعين لكفرهم وضلالهم ، ولاقتدائهم بغيرهم دون تدبر وتفكر ، ويضاعف عقاب المتبوعين لكفرهم وضلالهم وتكفيرهم غيرهم وإضلالهم ، ولكن لا تعلمون مدى ما لكل منكم من العذاب .

٣٩ - وهنا يقول المتبوعون للتابعين : انكم بانقيادكم لنا في الكفر والعصيان لا تفضلون علينا بما يخفف عنكم من العذاب ، فيقول الله لهم جميعاً : ذوقوا العذاب الذي استوجبتموه بما كنتم تتقرفون من كفر وعصيان .

٤٠ - ان الذين كذبوا بآياتنا المنزلة في الكتب الموجودة في الكون ، واستكبروا عن الاهتداء بها ، ولم يتوبوا ، ميثوس من قبول أفعالهم وروح الله بهم ، ومن دخوله الجنة ، كما أن دخول الجمل في ثقب الابرة ميثوس منه ، وعلى هذا النحو من العقاب المكثبين المستكبرين من كل أمة .

٤١ - لهم في جهنم فراش من نار واغطية من نار ، وعلى هذا النحو يصاقب الظالمين لأنفسهم بالكفر والضلal .

٤٢ - والذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة التي لم تكلفهم الا ما يطيقونه منها ، أولئك هم أهل الجنة يتمتعون فيها ، خالدين فيها أبداً .

رُسُلَ رَبِّنَا بِالْحَقِّ^{٤٣} وَنُودُوا أَنْ تُلْكُوا الْجَنَّةَ أَوْ رُسُلُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^{٤٤} وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا^{٤٥} قَالُوا نَعَمْ فَإِنَّهُمْ مُؤَذِّنُونَ^{٤٦} بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ^{٤٧} الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْتَنِيهِمْ بَعْثًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفِيرُونَ^{٤٨} وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ^{٤٩} وَنَادَا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ^{٥٠} رَدَّ يَدَهُمْ وَأَنَّهُمْ يَهْمُمُونَ^{٥١} * وَإِذَا حُفِرَتْ أَبْصَرُهُمْ تَلَاقَاءُ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^{٥٢}

٤٣ - وأخرجنا ما في قلوبهم ما كان فيها من غل . فهم في الجنة اخوان متحابين ، تجري من تحتهم الأنهار مجآئها المذهب ، ويقولون سرورا بما نالوا من النعم : الحمد لله الذي . دلنا على طريق هذا النعم ، ووفقتنا الى سلوكه ، ولولا أن هدانا الله اليه بارسال الرسل وتوفيقه لنا ، ما كان في استطاعتنا أن نوفق الى الهداية . لقد جاءت رسل ربنا بالوحى الحق ، وهنا يقول الله لهم : ان هذه الجنة هبة من الله ، أعطيتوها فضلا عن دين عوض منكم كالمرث ، وهذا التكريم بسبب أعمالكم الصالحة في الدنيا .

٤٤ - ونادى أهل الجنة أهل النار قائلين : قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم من العذاب حقا ؟ فأجابوهم : نعم فننادى مناد بين أهل الجنة وأهل النار : المحرمان أو الطرد من رحمة الله جزاء الظالمين لأنفسهم بالكفر والضلال .

٤٥ - هؤلاء الظالمين هم الذين ينعون الناس عن السير في طريق الله الحق ، وهو الايمان والعمل الصالح ، ويضمون المراقيل والشكوك حتى يبدو الطرد معوجا للناس فلا يتبعوه ، وهؤلاء كافرون بالدار الآخرة لا يخشون عقاب الله .

٤٦ - وبين أهل الجنة وأهل النار حاجز يسبق الى احتلال عرافه - وهى أملاكه الرقيقة العالية - رجال من خيار المؤمنين وأفاضلهم ، يشرفون منها على جميع المخلاتق ، ويعرفون كلا من السعداء والأشقياء بعلامات تدل عليهم من أثر الطاعة والصبيان ، فينادون السعداء قبل دخولهم الجنة وهم يرجون دخولها ، فيشرونهم بالأمان والاطمئنان ودخول الجنة .

٤٧ - وإذا تحولت أبصار المؤمنين الى جهة أصحاب النار بعد هذا النداء قالوا من هول ما رأوا من نيران : ربنا لا تدخلنا مع هؤلاء الظالمين الذين ظلموا أنفسهم والحق والناس .

وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكَ جَمْعُكَ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾
 أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا يَخُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ
 النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾
 الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ حُرُوفًا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ وَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا قَالِیَوْمَ نَسِيتُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا
 بِعَائِنَا لَمَّا جَعَدُوا ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَفَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ
 إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ

٤٨ - ونادى أهل الدرجات العالية في الجنة، من الأنبياء والصديقين، من كانوا يعرفونهم بأوصافهم من أهل النار، قائلين لهم لا تخفوا: ما أفادكم جمعكم الكثير العدد ولا استكباركم على أهل الحق بسبب عصبيتكم وغناكم، وما أنتم أولاء ترون حالهم وحالكم.

٤٩ - هؤلاء الضعفاء الذين استكبرتم عليهم، واقسمتم أنه لا يمكن أن ينزل الله عليهم رحمة، كأنكم تمسكون رحمة، قد دخلوا الجنة. وقال لهم ربهم: ادخلوها آمين. فلا خوف عليكم من أمر يستقبلكم، ولا أنتم تحزنون على أمر فاتكم.

٥٠ - وأن أصحاب النار يتنادون أصحاب الجنة قائلين: اتركوا لنا بعض الماء يفيض علينا أو أعطونا شيئاً مما أعطاكم الله تعالى من طيبات المأكول والملبس وسائر متاع أهل الجنة، فيجيبهم أهل الجنة: اننا لا نستطيع، لأن الله منع ذلك كله عن القوم المجاهدين، الذين كفروا به ويتعمه في الدنيا.

٥١ - هؤلاء المجاهدون الذين لم يسعوا في طلب الدين الحق، بل كان دينهم اتباع الهوى والشهوات، فكان هوأ يتلون به وعبأ يعبونه وخذتهم الحياة الدنيا يزخرها فظنوها وحدها الحياة، ونسوا لقائنا في يوم القيامة ننساهم، فلا يمتنعون بالجنة، ويفوقون النار، بسبب نسيانهم يوم القيامة وجحودهم بالآيات البينات الواضحات المختبرات للحق.

٥٢ - ولقد آتاهم بياناً للحق كتاباً بيناه وفصلناه، مشتملاً على علم كثير، فيه أدلة التوحيد وآيات الله في الكون، وفيه شرعه، وفيه بيان الطريق المستقيم والهداية إليه، وفيه مآل اتباعه للناس لكان رحمة بهم، ولا ينفع به إلا الذين من شأنهم الاذعان للحق والایمان به.

شَفَعَا فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدِّ فَعْمَلٌ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
 إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ
 حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

٥٣ - انهم لا يؤمنون به ، ولا ينتظرون الا المال الذي بينه الله لمن يكفر به . ويوم يأتي هذا المال ، وهو يوم القيامة ، يقول الذين تركوا أوامره وبيناته وغفلوا عن وجوب الايمان به ، معترفين بذنوبهم : قد جاءت الرسل من عند خالقنا ومربينا ، داعين الى الحق الذي أرسلوا به ، فكفرتنا به . ويسألون هل لهم شفعا يشفعون لهم ؟ فلا يجيبون أو هل يردون الى الدنيا ليعملوا صالحا ؟ فلا يجيبون . قد خسروا عمل أنفسهم بفرورهم في الدنيا ، وغاب عنهم ما كانوا يكتبونه من ادعاء اله غير الله .

٥٤ - ان ربكم الذي يدعوكم رسله الى الحق والى الايمان باليوم الآخر والمجزاء فيه ، هو خالق الكون ومبدعه ، خلق السموات والأرض في ست أحوال تشبه ستة أيام من أيام الدنيا ، ثم استوى على السلطان الكامل فيها ، وهو الذي يجعل الليل يستر النهار بظلامه ، ويعقب الليل النهار بانتظام وتعاقب مستمر ، كأنه يطلبه وخلق الله سبحانه الشمس والقمر والنجوم ، وهي خاضعة لله تعالى مسيرات بأمره ، وأنه له وحده الخلق والأمر المطاع فيها تعالت بركات مثله الكون وما فيه ومن فيه .

أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَثَلَّتْ سَحَابًا نَقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا بُعْدًا كَذَلِكَ نَصْرِفُ الْأَنْبِيَاءَ لِقَوْمٍ يُسْكِرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ إِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٦١﴾ أَلَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَيْسَ لَكُمْ رَسُولٌ أَرْسَلْتُمْ رَبِّي وَأَنْصَحَ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

٥٥ - إذا كان الله ربكم قد أنشأ الكون وحده ، فدعوه بالعبادة وغيرها ، معلنين الدعاء متذللين خاضعين ، جاهرين أو غير جاهرين ، ولا تمتدوا باشتراك غيره أو يظلم أحد ، فإن الله تعالى لا يحب المعتدين .

٥٦ - ولا تفسدوا في الأرض الصالحة بإشاعة المعاصي والظلم والاعتداء وادعوه سبحانه خائفين من عقابه ، طامعين في ثوابه ، وإن رحمته قريبة من كل محسن ، وهي محققة .

٥٧ - والله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يطلق الرياح مبشرة برحمته ، في الأمطار التي تنبت الزرع وتسقي الفرس ، فتعمل هذه الرياح سحاباً^(١) محملاً بالماء ، نسوقه لبلد لا نبات فيه ، فيكون بعدها كالميت فقد الحياة ، فينزل الماء ، فينبت الله به أنواعاً من كل الثمرات ويملئ ذلك الأحياء للأرض بالانبات يخرج الموتي فنجعلهم أحياء ، لعلكم تتذكرون بهذا قدرة الله وتؤمنون بالبعث .

٥٨ - والأرض الطيبة الجيدة التربة يخرج نباتها نامياً باذن ربه ، والأرض الخبيثة لا تخرج إلا نباتاً قليلاً عديم الفائدة يكون سبب نكد لصاحبيها .

٥٩ - لقد عاند المشركون ، وكذبوا بالحق إذ جاءهم مؤيداً بالمهيج المتناطعة ، وذلك شأن الكافرين مع أنبيائهم في الماضي ، لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه الذين بعث فيهم ، وقال لهم مذكراً لهم بأنه منهم : يا قوم اعبدوا الله تعالى وحده ، فليس لكم أي اله غيره ، وأنه سيكون البعث والحساب في يوم القيامة ، وهو يوم عظيم ، أخاف عليكم فيه عذابه الشديد .

٦٠ - قال أهل الصدارة والزعامة منهم ، محييين تلك الدعوة إلى الوحداية واليوم الآخر : إنا لفرأك في بعد بين عن الحق .

٦١ - قال نوح لهم نافعاً ما يرموه به : ليس في كما ترعمون . ولكني رسول من خالق العالمين ومنشئهم ، فلا يمكن أن يكون بعيداً عن الحق .

(١) تقرر هذه الآية حقيقة علمية لم تكن معروفة عند نزول القرآن الكريم وهي أن الرياح تحمل بخار الماء وعند إرسالها أي إطلاتها تتجمع في صعد واحد فتكون السحب وتثيرها وهي السحب الثقيلة التي يهيم منها الماء .

تَطْلُونَ ﴿٦٧﴾ أَوْعِجَّتُمْ أَنْ جَاءَ كُرْدٌ زَمِينٌ رَيْبَكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَيَسْتَعِزَّ وَأَمْلَكُمْ زُرْعُونَ ﴿٦٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَالْتَمِئْتُمْ وَآلَيْنَ مِنْهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٩﴾ * وَلَئِكَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ أَمْلَأْ أَلْدَيْنَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا نَنْزِلُكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَنْزِلُكَ مِنَ الْكَلْبِيبِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٢﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٧٣﴾ أَوْعِجَّتُمْ أَنْ جَاءَ كُرْدٌ زَمِينٌ رَيْبَكُمْ عَلَى رَجُلٍ

٦٧ - وإلى في هذه الدعوة الحق إلى الوحدانية والايان باليوم الآخر، أبلغكم - أرسلني الله به من الأحكام الإلهية التي يصلح بها الإنسان وإلى أمحضكم النصح وأخلصه لكم، وقد علمني الله تعالى ما لا تعلمون.

٦٨ - أنزوموني بالضلالة واليهود عن الحق ؟ وتمجيبون أن يسمي اليكم تذكر من الله خالفكم، على لسان رجل جاء اليكم لينذركم بالعقاب ان كذبتم، وليدعوكم إلى الهداية واصلاح القلوب وتجنب غضب الله تعالى، رجاء أن تكونوا في رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة، فلا يصح أن تعجبوا وتكذبوا مع قيام البينات المثبتة للرسالة.

٦٩ - ولكنهم من تلك البينات لم يؤمن أكثرهم، فكذبوه، فأنزلنا عليهم عذاباً بالاغراق في الماء، والهيئا الذين آمنوا به بالفلك الذي حسنه جدية منا، وغرق الذين كذبوا مع قيام الدلائل البينة الواضحة، فماندونا وكانوا بذلك غير مبشرين الحق وقد عموا عنه.

٧٠ - وكما أرسلنا نوحاً إلى قومه داعياً إلى التوحيد، أرسلنا إلى عاد هوداً، واحداً منهم علاقته بهم كعلاقة الأخ بأخيه، فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم إله غيره، وإن ذلك سبيل الانتقام من الشر والعذاب وهو الطريق المستقيم، فها سلكتموه لتتقوا الشر والفساد.

٧١ - قال ذوو الزعامة والصدارة في قومه : إنا نراك في خفة عقل حيث دعوتنا هذه الدعوة وإنا لنعتقد أنك من الكاذبين.

٧٢ - قال يا قوم ليس بي في هذه الدعوة أي قدر من غفة العقل، ولست بكاذب ولكي جئت بالهداية، وأنا رسول الله اليكم، وهو رب العالمين.

٧٣ - إني فيما أقول لكم أبلغكم أوامر ربي ونواهيه، وهي رسالته اليكم، وإلى أمحضكم نصيحاً وإخلاصاً لكم، وأنا أمين فيما أخبركم به، ولست من الكاذبين.

(١) عاد هي أقوى بطون الشعوب السامية، ويشكلون الطبقة الأولى من طبقات العرب البائدة، وأما منازلهم فكانت يروى الاحقاف التي ورد ذكرها في الكتاب العزيز بسورة الاحقاف الآية ٢١. وقد اتفق الثقات من اعلام المسلمين على ان الاحقاف بأرض اليمن وان اخفروا في تحديد مكانها اخلافنا طيفيا، فمسي عند باقوت المسوى واد بين عان وأرض مهرة وعند ابن عباس وعند ابن خلدون انها رمل بين عان وحضرموت وعند قتادة رمل مشرفة على البحر بالبحر من أرض اليمن ويبدو بالذكر ان منازل عاد عند بعض القريين اللداسي تقع في أعالي الجزائر في منطقة حمسي وعلى مقربة من منازل نود وأيا كان هذا الرأي فلا يستبعد ان يكون قوم عاد قد رحلوا في وقت ما من الاحقاف إلى هذه المنطقة.

مَنْكَ لِيُنذِرَكَ ۖ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَمَّا إِيَّاكُمْ فَمِثْلَ آبَائِكُمْ أَنْتُمْ مِنَ الصَّالِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُحِبُّونَنِي فِي أَصْنَامِكُمْ مِثْلَ مِثْلِ آبَائِكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۖ فَانْتَظِرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَمَّا حَيْثُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَائِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعِبَائِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَى عَمَدٍ مِثْلِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ۖ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسْوَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ

٦٩ - ثم قال لهم هود: هل أنار عبيكم، واستغفرتم أن يحبسكم اليكم تذكير بالحق على لسان رجل منكم لينفركم بسوء المعنى، فما أنتم عليه؟ إنه لا عجب في الأمر. ثم أشار إلى ما أصاب المكذبين الذين سبقوهم، وإلى نعمه عليهم، فقال: واذكروا إذ جعلكم وارثين للأرض من بعد قوم نوح الذين أهلهم الله تعالى لتكذيبهم نوحاً، وذاكم قوة في الأبدان وقوة في السلطان، وتلك نعمة تقضي الأيمان، فاذكروا نعمه لعلكم تفرزون. ٧٠ - ولكن معكم من هذه الدعوة بالحقى قالوا مستغفرين: أجبنا لتدعونا إلى عبادة الله وحده، وترك ما كان يعبد آبائنا من الأصنام؟ وإنا لا نفعل، فأنتا باللعاب الذي تهدنا به أن كنت من الصادقين؟ ٧١ - أنكم لعداؤكم قد حق عليكم عذاب الله ينزل بكم، وغضبه يحمل عليكم، المتعادلون في أصنامهم يمينوها أنتم وآبائكم آلهة، وما هي من الحقائق إلا أسماء لا مؤدى لها، وما جعل الله من حجة تدل على ألوهيتها، لما كان لها من قوة خالقة منشئة تسوغ عبادتكم لها، واذ ليجسم هذه اللجاجة فانتظروا عقاب الله، وأنا معكم، ننتظر ما ينزل بكم.

٧٢ - فأخبرنا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا، وأنزلنا بالكافرين ما أباهم ولم يبق لهم من بقية وأثر، وما كانوا داخلين في زمرة المؤمنين.

٧٣ - وأرسلنا إلى حمود (١) أخاهم صلحاء الذي يشاركهم في النسب والوطن، وكانت دعوته كدعوة الرسل قبله وبه. قال لهم: اخلصوا العبادة لله وحده، ما لكم أي اله غيره، وقد جاهدكم حجة على رسالتي من ربكم، هي ناقة ذات خلق اختصت به، فيها الحجة، وهي ناقة الله، فاتركوها تأكل في أرض الله من عشبها ولا تتالوها بسوء فينالكم عذاب شديد الأيلام.

(١) حمود قوم يشكلون الطبقة الأولى من طبقات العرب البائدة شأنهم في ذلك شأن عاد، وقد ورد اسمهم في نقوش الملك مرجون الآشوري سنة ٧١٥ ق. م. وقد جاء ذكرهم بين الشعوب التي إخضعها هذا الملك في مجال شبه جزيرة العرب. أما مساكنهم فالتشهور في كتب العرب أنها كانت بالبحر المعروفة بجائن صالح في وادي القرى. وقد زارها الاصطخري وذكر أن بها بئراً تسمى بئر حمود. أما المسعودي «مروج الذهب» المجلد الأول صفحة ٢٥٩ - فقد ذكر أن منازلهم كانت بين الشام والمحيط إلى ساحل البحر الأبيض، ويبارهم بنج الناقة، وأما بيوتهم فمتنوعة في الجبال، ولما بهم. أنت في أيامه باقية وأثارهم يابية وذلك في طريق الحاج القادم من الشام بالقرب من وادي القرى.

تَقْسِدُونَ مِنْ مُهْرَجًا قُصُورًا وَيَحْتَضِرُونَ الْجِبَالَ يُوقِظُ غُرُوءَ آلَاءِ اللَّهِ وَلَا تَعْلَمُونَ فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ ﴿٧٤﴾
 قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَنْ ضَلُّوا عَنْ رَبِّهِمْ
 قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنُمْ بِهِ كَاذِبُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا
 عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ آفَتُنَا إِنَّمَا تَعِدُّنَا أَنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
 جِثِيمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَفَصَحْتُ لَكُم وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿٧٩﴾
 وَلَوْ أَنِ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفِتْنَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْمَنكِبِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً

٧٤ - وتذكروا أن الله جعلكم واريين لأرض عاد، وأنزلكم في الأرض منازل طيبة تتخفون من السهول
 قصوراً فخمة، وتحتجون الجبال فتضلون منها بيوتاً، فاذكروا نعم الله تعالى إذ مكثكم من الأرض ذلك التكين،
 ولا تمشوا في الأرض فتكونوا مقسدين بعد هذا التكين.

٧٥ - قال المتكبرون من أهل الصدارة والزعامة، مخاطبين الذين آمنوا من المستضعفين لأنهم لهم ويستعين
 عليهم، اتمتعون أن صالحاً مرسل من ربه؟ فأجابهم أهل الحق: انا بما أرسل معتقدون مذعنون له.

٧٦ - قال أولئك المستكبرون: انا جاحدون منكرون للذي آمنتم به، وهو ما يدعو إليه صالح من الوحدةانية.

٧٧ - ولج العناد بأولئك المستكبرين، فحذوا الله ورسوله، ونجوا الناقة، وتجاوزوا الحد في استكبارهم،
 وأعرضوا عن أمر ربهم، وقالوا: متعدين يا صالح، اتينا بالظباب الذي وعدتنا أن كنت ممن أرسلهم الله حقاً.

٧٨ - فأخذتهم الزلازل الشديدة، فأصبحوا في دارهم ميتين خامدين.

٧٩ - وقبل أن تنزل بهم النازلة أعرض عنهم أخوهم صالح، وقال: يا قوم قد أبليتكم أوامر ربي ونواهيه،
 وبغضت لكم النصيح، ولكنكم بلجاجتكم وإصراركم صرتم لا تقيمون من ينصحكم.

٨٠ - ولقد أرسلنا لوطاً نبي الله إلى قومه، يدعوهم إلى التوحيد، وينبهم إلى وجوب التخل عن أقيح جريمة
 يفعلونها: أتأتون الأمر الذي يتجاوز الحد في القبح والخروج على الفطرة وقد أبدعتم تلك الفاحشة بشنودكم، فلم
 يسبقكم بها أحد من الناس.

مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْزِلْهُمْ مِنْ تَرْبِكَ ﴿٨٢﴾ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَبْطِغُونَ ﴿٨٣﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِلَّا مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَومُ عَبْدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ دَامَ بِهِ وَيَتَوَفَّيْهَا عِرْبًا وَإِذْ كُنْتُمْ فِيلًا قَلِيلًا تَكَفَّرُكُمُ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٧﴾ وَإِنْ كَانَ عَاقِبَةُ شُكْرٍ ءَامِنُوا بِاللَّهِ أُرْسِلَتْ بِهِ سُلَاطِمُهُ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَخْرُجَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ

٨١ - وهي أنكم تأتون الرجال مشتهين ذلك ، وتتركون النساء ، أنتم شأنكم الاسراف ، ولهذا خرجتم على الفطرة وفعلتم ما لم يفعله الهاديون .

٨٢ - وما كان جواب قومه على هذا الاستنكار لأفصح الأفعال إلا أن قالوا : اخرجوا لوطاً وآله وأتباعه من تربيكم ، لأنهم يبطغون ويأتون عن هذا الفعل الذي يستحقه العقاب والفطرة ويستحسنونه هم .

٨٣ - ولقد حقت عليهم كلمة العذاب ، فأنجينا لوطاً وأهله ، إلا امرأته فانها كانت من الضالين .

٨٤ - وأمطرنا عليهم حجارة عذرية ، ومادت الأرض بالزلازل من غضبهم فانظر يا أيها النبي الى عاقبة المجرمين وكيف كانت .

٨٥ - ولقد أرسلنا الى مدين أخاهم شعيباً قال : يا قوم ، اعبدوا الله وحده فليس لكم ولى اى اله غيره ، قد جاءكم الحجج المبينة للحق من ربكم مثبتة رسالتى اليكم وجاءتكم رسالة ربكم بالاصلاح بينكم والمعاملة العادلة ، فأوفوا الكيل والميزان في مبادلاتكم ، ولا تنقصوا حقوق الناس ، ولا تفسدوا في الأرض الصالحة . بافساد الزرع ونحوه . وقطع الأرحام والمودة ، فان ذلك خير لكم ان كنتم تؤمنون بالله تعالى وبالحق المبين .

٨٦ - ولا تقعدوا بكل طريق من طرق الحق والهداية والصلح الصالح : تهددون سالكه وبذلك تمنعون طالبي الخير من الوصول ، وهم أهل الايمان الذين يؤمنون بالله ، وتريدون أنتم الطريق المصوج . واذكروا اذ كنتم عدداً قليلاً ، فصيركم الله عدداً كثيراً بالاستقامة في طلب النسل والمال ، واعتبروا بمعاينة المفسدين قبلكم .

خَيْرُ الْخَشِيكِينَ ﴿٨٧﴾ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُدُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَذِبِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَقْرَبْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَحْنُ مِنَ اللَّهِ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٩١﴾

٨٧ - وإذا كانت طائفة منكم آمنوا بالحق الذي أرسلت به ، وطائفة لم يؤمنوا ، فانظروا حتى يحكم الله بين الفريقين وهو خير الحاكمين .

٨٨ - هذا ثنائ شعيب في دعوته قومه ، أما القوم فقد قالوا على الباطل وتولى أكابرهم الذين استكبروا عن الدعوة ، واستنكفوا أن يتبعوا الحق ، وواجهوا شعيباً بما يضرهم ، فقالوا له : انا لا محالة سنخرفك ومن آمن معك من قريتنا ، ونظركم ، ولا نتجيبك من هذا العذاب ، إلا أن تصيروا في ديننا الذي همزوه فرد عليهم شعيب عليه السلام قائلاً : أنصبر في ملتكم ونحن كارهون لما لفسادها ؟ لا يكون ذلك أبداً .

٨٩ - وبالغ في قطع طمعهم من الصود إلى ملتهم كما يطلبون ، فقال : تكون كاذبين على الله ان صرنا في ملتكم بعد أن هدانا الله إلى الصراط المستقيم ولا ينفي لنا أن نصبر في ملتكم بعض اختيارنا ورجبتنا . إلا أن يشاء الله عودتنا إلى ملتكم . وهيأت ذلك لأنه ربنا العليم بنا ، فلا يشاء رجوعنا إلى باطلكم ، فهو جل شأته وسع كل شيء علماً ، يهدينا بطرفه وحكمته إلى ما يحفظ علينا إيماننا ، إليه وحده سلمنا أمرنا ، مع قيامنا بما أوجهه علينا . ربنا افصل بيننا وبين قريتنا بالحق الذي مضت به سنتك في الفصل بين الحقين المصلحين ، والمبطلين المفسدين ، وأنت لاحاطة عليك أعدل الحاكمين وأقدرهم .

٩٠ - هنا يس القوم من مطاوعة شعيب ومن معه لهم ، وعلموا أنهم ثابتين على دينهم ، كذلك خافوا أن يكثر المهتدون مع شعيب بظهور قوته وبيانه على دعوته ، فاجبه كبارهم الكافرين إلى متابعيه ، يهدونهم قائلين : والله ان طاعتهم شعيباً في قبول دعوته ، انكم لخاسرون شرفكم وثروتكم في اتباعكم ديناً باطلاً لم يكن عليه سلفكم .

٩١ - هنا حقت عليهم كلمة العذاب ، فأصابهم الله بزلزلة اضطربت لها قلوبهم ، فصاروا في دارهم متكين على وجوههم لا حياة فيهم .

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانَ لَمْ يَتَوَّأ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَوَيْلٌ لَهُمْ وَقَالَ يَتَقَوْمَ لَقَدْ
 أٰبَلْتُمْ كُرِّيَ رَسَلْتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا
 أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاوِ وَالْفُرَاوِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّوْنَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيْفَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ
 مَسَّ ءِآبَاءَنَا الْفُرَاوِ وَالسَّرَاوِ فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا
 لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ

٩٢ - هذا شأن الله مع الذين كذبوا شعيباً ، وهددوه وأنذروه بالآخر اخرج من قريتهم ، وعملوا على رد دعوته ، قد هلكوا وهلك قريتهم كان لم يرض فيها الذين كذبوا شعيباً وزعموا أن من يشبهه يكون خاسراً ، وأكذوا هذا الزعم وكانوا هم الخاسرين لسمعتهم في الدنيا والآخرة .

٩٣ - فلما رأى شعب ما نزل بهم من الملاك المدمر ، أعرض عنهم ، وقال ميراثاً نفسه من التقصير معهم : لقد أبلتكم رسالات ربكم المفضية الى الاحسان اليكم لو عملتم بها ، وبالف في اسداء النصح لكم ، والعظة بما به تنجون من عقوبة الله ، فكيف أحزن الحزن الشديد على قوم كافرين ؟ لا يكون ذلك بعدما أغرت اليهم ، وبذلت جهدى في سبيل هدايتهم ونجاتهم ، فاختاروا ما فيه هلاكهم .

٩٤ - وما بهتنا نبياً من الأنبياء في قرية من القرى ، يدعو أهلها الى دين الله القويم ، وأعرضوا عن قبول تلك الدعوة ، الا أصبناهم بالفقر والمرض ، كي يتذللوا ويتهلوا الى الله غلظين له في كشف ما نزل بهم ، ويستجيبوا لرسوله .

٩٥ - ثم لما لم يفعلوا ذلك ، واستمروا في كفرهم وعنادهم ، امتحنهم بالصافية مكان البلاء استندراجاً ، فأعطيتهم رخاء وسعة وصحة وعافية ، حتى كفروا ونكروا أموالهم وأنفسهم ، وقالوا لجهلهم ، ان ما أصاب آباءنا من العن والبلايا والرفاهية والتج ، فذلك شأن الدهر ، يداول الضراء والسراء بين الناس ، من غير أن ينتهبوا الى أن هذا جزء كفرهم فيرددوا . وبهذا جهلوا سنته جل شأنه في أسباب المصالح والفساد في البشر ، وما يترب عليها من السعادة والشفاء فكانت عاقبة ذلك أن أصلهم الله بالعذاب المدمر فجأة ، وهم فاقدون للشعور بما سيحل .

٩٦ - ولو أن أهل تلك القرى آمنوا بما جاء به الرسل ، وعملوا برصاياتهم وابتعدوا عما حرمه الله لأعطيتهم بركات من السماء والأرض ، كالطير والنبات والثمار والأشمام والأرزاق والأمن والسلامة من الآفات ، ولكن جحدوا وكذبوا الرسل ، فأصابتهم بالعقوبات وهم ناقدون ، بسبب ما كانوا يفترون من الشرك والمصاصي فأخذهم بالعقوبة أثر لازم لكسبهم التقيح ، وعبرة لأمتهم إن كانوا يعقلون .

الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ تَابِعُونَ ﴿٩٧﴾ وَأَمِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا حَتَّىٰ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَقَامِنَا مَكَرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكَرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَدَّبْدِلُوا الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَقَطَّعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا ۖ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ۚ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ۖ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ

٩٧ - أَمِنْ أَهْلِ الْقُرَى ، الذين بلغتهم دعوة أنبيائهم ولم يؤمنوا ، أن يأتيهم عذابنا وقت يأتهم غارقون في نومهم ؟

٩٨ - أغفل هؤلاء وأمنوا أن يأتيهم العذاب في ضحى النهار وانبساط الشمس وهم منهكون فيها لا نفع فيه لهم ؟

٩٩ - أجهلوا سنة الله في المكذبين ، فأمّنوا عذابه ليلاً أو نهاراً ، يسوفه بتدبيره الذى يحل على الناس أمره ؟ أنه لا يجهل تدبير الله وسنته في عقوبة المكذبين الا الذين خسروا أنفسهم بعدم اليقظة الى ما فيه سعادتهم .

١٠٠ - أغاب عن الذين يهملون من قبلهم من الأمم سنة الله فيمن قبلهم ، وأن شأنانا فيهم كشأننا فيمن سبقهم ؟ وهو أنهم خاضعون لمشيئتنا ، لو نشاء ان نمنعهم بسبب ذنوبهم أصبناهم كما أصبنا أمثالهم ، ونحن نغتم على قلوبهم لفرط فسادها ، حتى وصلت الى حالة لا تقبل معه شيئاً من الهدى ، فهم بهذا الطبع والحتم لا يسمعون الحكم والنصائح سماع تفقه واتعاط .

١٠١ - تلك القرى التى بعد عهدها ، وطال الأمد على تاريخها ، نقص عليك الآن بعض أخبارها بما فيه عبرة . ولقد جاء أهل تلك القرى رسلكم بالبينات الدالة على صدق دعوتهم ، فلم يكن من شأنهم أن يؤمنوا بعد بحجج البينات ، فترسهم بالكذب للصادقين ، فكذبوا رسلكم ولم يتدوا ، وهكذا يجعل الله حساباً على قلوب الكافرين وعقولهم ، فيخفى عليهم طريق الحق ويثأون عنه .

١٠٢ - وما وجدنا لأكثر أولئك الأقوام وفاء بميثاق ما أوصيناهم به من الايمان ، على لسان الرسل ، وعلى ما يوحى به العقل والنظر السليم . وأن الشأن المطرد فيهم فكان أكثرهم من الفسوق والخروج عن كل عهد .

بَعْدَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
يَنْفِرُونَ إِلَيَّ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾
فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَةٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ
هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَأَذًا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ

١٠٣ - ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل موسى عليه السلام، ومعه دلائلنا التي تدل على صدقه فيما يبلغه عنا
إلى فرعون وقومه، فيبلغهم موسى دعوة ربه، وأراهم آية الله، فظلموا أنفسهم وقومهم بالكفر بها، كبراً وجحوداً
فاستحقوا من الله عقوبة صارمة كانت بها نهاية أمرهم، فانظر أيها النبي نهاية المفسدين في الأرض.

١٠٤ - وقال موسى: يا فرعون اني مرسل من الله رب العالمين ومالك أمرهم، لأبلغكم دعوته، وأدعوكم إلى
شريعته.

١٠٥ - واني حريص على قول الصدق عن الله تعالى، وقد جئتكم بآية عظيمة الشأن ظاهرة المحجة في بيان
الحق الذي جئت به، فأطلق معي بني إسرائيل، وأخرجهم من رقي قهرك، لينهبوا معي إلى دار غير دارك،
يعبدون فيها ربهم وربيك.

١٠٦ - قال فرعون لموسى: ان كنت جئت مؤيداً بآية من عند من أرسلك فأظهرها لى ان كنت من أهل
الصدق للمؤمنين لقول الحق.

١٠٧ - فلم يلبث موسى أن ألقى عصاه التي كانت بيديه أمام فرعون وقومه، فإذا هذه العصا ثعبان ظاهر
بين: يسمى من مكان إلى آخر، في قوة تدل على تمام حياته.

١٠٨ - وأخرج يده من جيبه، فإذا هي ناصعة البياض تتلأل للناظرين.

١٠٩ - فلما أظهر موسى آية الله تعالى، ثارت نفوس بطانة فرعون وعظماؤه، فقالوا تزلفاً ومشابهة
للفرعون: ان هذا لماهر في علم السحر، وليس ذلك بآية من الله.

١١٠ - وقد وجه ارادته لسلب ملككم، واخراجكم من أرضكم يسحره، وما يتشأ عنه من استتالة افراد
الشعب ليتهمه، وانظروا ماذا تأمرُونَ بما يكون ميلاً للتخلص منه.

حَشِيرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنِ كُنْتُمْ لَمِنَ الْمُفْرَبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّمَا أَنْتَ مُتْلِيٌ وَإِنَّمَا أَنْتَ تَكُونُ تَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَغْفَبَهُمْ وَجَاءَهُمْ بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ الْتِمْ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا

١١١ - وقالوا: آخر البت في أمره وأمر أخيه الذي يعاونه في دعوته، وأرسل في مدائن ملكك رجالاً من جنك يجمعون الناس أولى العلم بالسحر.

١١٢ - فيأتوك بكل علم بفنون السحر، وهم يكشفون لك حقيقة ما جاء به موسى. فلا يلتفتن به أحد.

١١٣ - وجاء إلى فرعون السحرة الذين جمعهم له جنده، وقالوا له: إن لنا لجزاء عظيماً بكافاً ما يطلب منا إن كانت الغلبة لنا على موسى.

١١٤ - وجاء فرعون مجيئاً لهم إلى ما طلبوا: نعم إن لكم لجزاء عظيماً، وانكم مع ذلك لمن أهل المسطورة عندنا.

١١٥ - ثم توجه السحرة إلى موسى، بعد أن وعدهم فرعون بما وعدهم، وأظهروا الثقة بأنفسهم واعتدادهم بسحرمهم في ميدان المباراة، وقالوا له: أما أن تلق ما عندك أولاً، وأما أن تكون نحن الملقين بما عندنا من دونك.

١١٦ - فأجابه موسى إجابة الواثق بالثلبة والظفر، مظهراً عدم ميلاته بهم: ألقوا ما أنتم ملقون أولاً. فلما ألقى كل واحد منهم ما كان معه من حبال وعصى، خيلوا إلى أبصار الناس وموهوا عليهم إن ما فعلوه هو حقيقة وما هو إلا خيال، فهال الأمر الناس وأوقع في قلوبهم الرعب والرعب، وقد جاء السحرة الناس بسحر مظهره كبير وتأثيره في أعينهم عظيم.

١١٧ - وأصدر الله أمره إلى موسى أن ألق عصاك، فقد جاء وقتها، فالتفها كما أمر. فإذا عصاه تتلع بسرعة ما يكذبون ويوهون.

١١٨ - قُتِبَ الحق وظهر في جانب موسى عليه السلام، وبطل تحيل السحرة.

صَلِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَتَى السَّحَرَةَ سَجِيدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكْرُمُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ۖ ثُمَّ لَأَسْجِلَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَنْقِمُ مِنْ آلِ ءَأَمَّا بِءَايَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ ۖ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَلْقَوْا مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكُمُ الْهَيْكَلُ ۚ قَالَ سَتَقْبَلُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَقَسَمْتَ بِهِ

١١٩ - فهزم فرعون وملأه في ذلك الجمع العظيم ، وعادوا من ذلك أذلة بما رزقوا من الخذلان والحنية .

١٢٠ - هذا ما كان من شأن فرعون وملئه ، وأما السحرة فقد بهرهم الحق ، فاندفعوا ساجدين لله مذعنين للحق .

١٢١ - قائلين : أمنا بمطابق العالمين ومالك أمرهم المتصرف فيهم .

١٢٢ - انه الاله الذي يقتضه ويؤمن به موسى وهارون .

١٢٣ - فهال هذا الأمر فرعون ، وأثار حيمته ، فقال : هل آمنتم وصدقتم برب موسى وهارون قبل أن أذن لكم ؟ ان هذا الصنيع الذي صنعتموه أتم وموسى وهارون كان بالاتفاق ، وليس الا مكرأ مكرموه في المدينة (مصر) لأجل أن يخرجوا منها أهلها بمكرهم ، فسوف ترون ما يحبل بكم من العذاب جزاء اتباعكم موسى وهارون ، وعقاباً على هذا المكر والخداع .

١٢٤ - وأقسم لأتكنن بكم ، وأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، فأقطع اليد من جانب والرجل من جانب آخر ، ثم لأصلين كل واحد منكم وهو على هذه الحالة المشوهة ، لتكونوا عبرة لمن تحدته نفسه بالكيد لنا أو بالفرج على سلطاننا .

١٢٥ - فلم يأبهوا لقوله وتهديداته ، تمكن الايمان من شغاف قلوبهم ، فقالوا له : انا الى ربنا راجعون ، فتنقلب في رحمة ونعيم جزائه .

١٢٦ - وما تنكر منا وتساقتنا عليه الا أن صدقنا موسى ، وأدعنا لآيات ربنا الواضحة الدالة على الحق لما جاءتنا . ثم توجهوا الى الله ضارعين اليه قائلين : يا ربنا أفض علينا صبراً عظيماً نقوى معه على أحوال الشدائد ، وتوفنا على الاسلام غير مفتونين من وعيد فرعون .

لِسَاءَ هُمْ وَلِمَا فَعَقَهُمْ فَأَهْرَوْنَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ نَأْتِيَنَا مِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا قَالَ عَصَى رَبِّكَ أَنْ يَبْلُوكَ ۚ عُدُّوكُمْ وَبَسِّطُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ۚ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى

١٢٧ - وبعد أن شاهد فرعون وقومه ما شاهدوا ، من ظهور أمر موسى وقوة غلبته وإيمان السحرة به ، قال الكبراء ، من قومه : أنترك موسى وقومه احمراراً آمنين ، ليكون مألهم أن يفسدوا قومك عليك في أرض مصر بادخالهم في دينهم ، ويتركك مع أهلك في غير مبالاة ، فيظهر للمصريين عجزك وعجزهم ؟ قال فرعون مجيباً لهم : ستقتل أبناء قومه تقتيلاً ما تناسلوا ، ونستقي نساءهم أحياء ، حتى لا يكون لهم قوة كما فعلنا من قبل ، وأنا مستعملون عليهم بالقلية والسلطان قاهرون لهم .

١٢٨ - وهنا رأى موسى أثر الجزع في نفوس قومه ، فشد من عزيمتهم ، وقال لهم : اطلبوا معونة الله ونأييده ، وابتعدوا ولا تجزعوا ، ان الأرض في قبضة قدرة الله وملكه ، يجعلها ميراثاً لمن يشاء من عباده لا لفرعون ، والمعاينة المحسنة للذين يتقون الله بالاعتصام به والاستمسك بأحكامه .

١٢٩ - فقال القوم في حزن وضعف : نحن نالنا الأذى قديماً من فرعون قبل مجيئك إلينا ، وحديثاً من بعد مجيئك . ففتح موسى لهم باب الأمل وقال لهم ، ان المرجو من فضل ربكم أن يهلك عدوكم الذي سخركم وإذاكم بظلمه ، ويجعلكم خلفاء الأرض التي وعدكم إياها ، فيعلم سبحانه ما أنتم عاملون بعد هذا التحكين : أشكرون النعمة أم تكفرون ؟ وتصلحون في الأرض أم تفسدون ؟ ليجزيكم في الدنيا والآخرة بما تعملون .

١٣٠ - ولقد عاقبتا فرعون وقومه بالجذب والقحط وضيق المعيشة ، بنقص ثمرات الزروع والأشجار ، رجاء أن ينتهروا إلى ضعفهم وعجز ملكهم الجبار أمام قوة الله ، فينتظروا ويرجعوا عن ظلمهم لبني اسرائيل ، ويستجيبيوا لدعوة موسى عليه السلام ، فان شأن الشدائد أن تمنع الضرور وتذبذذب الطباع وتوجه الأنفس الى قبول الحق ، وارضاء رب العالمين ، والتضرع اليه دين غيره .

وَمِنْ مَعَهُ ۖ أَلَا إِنَّمَا طَلَعَهُمُ الْعَذَابُ مِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِينَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٧﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْهُمَ أَيْتٌ مُصَلِّتٌ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَصِيْبِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّيحُ قَالُوا يُمُوسَى أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّيحَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّيحَ لَكَ أَجَلٌ لَهُمْ بَلَّغُوهُ إِذَا هُمْ

١٣٦ - ولكن دأب فرعون وأعرافه عدم الثبات على الحق، فسرعان ما يعودون إلى القدر والمصيبة، فهم مغفلون، فإذا جاءهم الحصب والرخاء - وكثيراً ما يكون ذلك - قالوا: نحن المستحقون له لما لنا من الامتياز على الناس وإن أصابهم ما يسوءهم، كجذب أو جائحة أو مصيبة في الأبدان والأرزاق، يرون أنهم أصيبوا بشؤم موسى ومن معه، ويغفلون عن أن ظلمهم وفجورهم هو الذي أدى بهم إلى ما نالهم، ألا فليعلموا أن علم شؤمهم عند الله، فهو الذي أصابهم بسبب أعياهم القبيحة، فهي التي ساقط إليهم ما يسوءهم، وليس موسى ومن معه، ولكن أكثرهم لا يدري هذه الحقيقة التي لا شك فيها.

١٣٧ - وهذه الفكرة السيئة عندهم أصروا على المجدود، وقالوا عند رؤيتهم آيات موسى إنك مهمل جئتنا بكل نوع من أنواع الآيات التي تستدل بها على حقيقة دعوتك، لأجل أن تصرفنا بها عما نحن عليه من ديننا، ومن استعبد قوماً فما نحن لك بمصدقين ولا مدعين.

١٣٨ - فأنزل الله عليهم مزيداً من المصائب والكنيات: بالطوفان الذي يفتش أماكنهم، وبالجراد الذي يأكل ما بقى من نبات أو شجر، وبالقمل، وهو حشرة تفسد الثمار وتفضي على الحيوان والنبات، والضفادع التي تنتشر فتفص عليهم حياتهم وتذهب بمسافئها، وبالدم الذي يسبب الأمراض الكثيرة كالزيف من أى جسم، والدم الذي ينجم قيسب ضغطاً أو ينفجر فيسبب شللاً، ويشمل البول الدموي بسبب اليلهارسيا ونحوها، أو الذي تحول إليه ماؤه الذي يستخدمونه في حاجات معاشهم أصابهم الله بهذه الآيات المميزات الواضحات. فلم يتأثروا بها، وجمدت قرائعهم وفسد ضميرهم، فقتوا عن الايمان والرجوع إلى الحق من حيث هو حق، وكانوا قوماً موغلين في الاجرام كما هو شأنهم.

١٣٩ - ولفرط تغلبهم حسب الدواعي، كانوا كلما وقع عليهم نوع من العذاب قالوا لشدة تأثيره فيهم وتألمهم به: يا موسى، سل ربك لنا بالذي عهد إليك أن تدعوه به فيعطيك الآيات ويستجيب لك الدعاء، أن تكشف عنا هذا العذاب، ونحن نقسم لك لأن أزلته عنا لنخضعن لك، ولنطلقن معك بني اسرائيل كما أردت!

يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ فَاتَّقِنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَائِدَتِنَا وَكَانُوا عَنَّا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَلَغَا فِيهَا وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحَسَنَ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا مَكَّانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَنَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانِهِمْ قَالُوا يُنْمِوْهُنَّ لِئَلَّا يَكُنَّ كَأُمَّهَاتِهِمْ قَالِ الْيَهُودُ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مَأْمُومٍ فِيهِ وَيَطِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالِ أَغْيَرَ اللَّهُ بَنِيكَ إِنَّهَا وَهوَ فَضْلُكَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَا نِسَاءَ آلِ فِرْعَوْنَ بِسُوءِ مَوَدَّتِكُمْ لِسَاءِ كُرِّ

----- ١٣٥ -----

١٣٥ - فلما كشفنا عنهم العذاب مرة بعد أخرى الى وقت هم متجهون اليه في كل مرة ، انا هم ينقضون عهدهم ، ويحتنون في قسمهم ، ويعودون الى ماكانوا عليه ، ولم تجد فيهم هذه الهن الزاجرة .

١٣٦ - فانزلنا عليهم نعمتنا ، فأغرقناهم في البحر بسبب استمرارهم على التكذيب بأياتنا ، ولطم غفلتهم عما تنفضيه هذه الآيات من الايمان والاذعان .

١٣٧ - وأعطينا القوم الذين كانوا يستضعفون في مصر ، وهم بنو اسرائيل ، جميع الارض التي حياها الله بالحبس والخير الكثير ، في مشارفها ومغاربها ، ونفذت كلمة الله الحسنى تامة ، ووعدته بالنصر شاملا لبني اسرائيل بسبب صبرهم على الشدائد ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من الصروح والقصور المنيدة ، وما كانوا يعرشونه من السقائف للنهب والشجر المتسلق كمرآش العنب ، هذا شأن الله ، وصديق وعده الجميل لبني اسرائيل .

١٣٨ - ونجّاز بنو اسرائيل البحر بيناتنا وتأيدتنا وتيسير الامر لهم فلما تجاوزوه مروا على قوم ملازمين لعبادة أصنام لهم ، فلما شاهدوا هذه الحالة غلب عليهم ما ألفوا قديما من عبادة المصريين للأصنام ، فظلموا من موسى أن يجعل لهم صنما يعبدونه ، كما أن هؤلاء القوم أصناما يعبدونها ! فسارع موسى عليه السلام موبخا لهم رادعا وقال : انكم قوم سفهاء لاعقول لكم ، لاتعرفون العبادة الحققة ، ولا من هو الاله الذي يستحق أن يعبد .

١٣٩ - ان هؤلاء الذين تروهم يعبدون الاصنام ، هالك ماهم فيه من الدين الباطل . وزائل علمهم لابقاء له .

١٤٠ - أطلب لكم معبودا غير الله رب العالمين ، وهو قد منحكم الفضل فأعطاكم نهما لم يعطها غيركم من أهل زمانكم !!

وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ * وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَ مِثْقَتَ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أُرِنِي آلَافَ لَيْلَةٍ وَأَنْظُرَ إِلَيْكَ ۖ قَالَ لَن نَرَنِي وَلَكِن نَّانْظُرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي لَخَذَ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ

١٤١ - واذكروا إذ أنجاهم الله تعالى بنياه من آل فرعون الذين كانوا يذيقونكم أشد العذاب، ويسفرونكم لحديثهم في مشاق الاعمال، ولا يرون لكم حرمة كالبهايم، فيقتلون ما يولد لكم من الذكور، ويستبقون الاناث لكم لئلا تدادوا ضعفا بكثرتهن! وفيها نزل بكم من تعذيب فرعون لكم والنجاة لكم والنجاة منكم، اختبار عظيم من ربكم ليس وراءه بلاء واختبار!

١٤٢ - وعدها موسى بالنجاسة واعطاه التوراة عند قام ثلاثين ليلة يصعد فيها، وأتممنا مدة الوعد بعشر ليال يستكمل فيها عبادته، فصارت المدة اربعين ليلة، وقال موسى لأخيه هارون حين توجه للنجاسة: كن خليفة في قومي، واصلح ما يحتاج الى الاصلاح من أمورهم، واحذر ان تتبع طريق المفسدين.

١٤٣ - ولما جاء لئانجاستنا، وكلمه ربه نكلها ليس نكلينا، قال: رب ارنى ذاتك، وتجللى لى، أنظر اليك فأزاد شرفا، قال: لن تطيق رؤيتى. ثم أراد سبحانه أن يقنمه بأنه لا يطيقها فقال: ولكن انظر الى الجبل الذى هو أقوى منك، فان تبث مكانه عند التجلى فسوف تراقى اذا تجللت لك. فلما ظهر ربه للجبل على الوجه اللاتى به تعالى، جعله مفتتا مستويا بالارض، وسقط موسى مغشيا عليه هول ما رأى. فلما أفاق من صمخته قال: أنزهك يارب تزيها عظمى عن أن ترى فى الدنيا اتى تبث اليك من الاقدام على السؤال بغير إذن، وأنا أول المؤمنين فى زمانى بجبالك وعظمتك.

١٤٤ - لما منع الله موسى من رؤيته، عند عليه نعمه ليتسل بها عن المنع فقال: يا موسى اتى فضلتك واخترتك على اهل زمانك، بتبليغ أسفار التوراة وبتكليمى اياك من غير واسطة، فخذ ما فضلتك به، واشكرنى كما يفعل الشاكرون المقدون للنعم.

يَاْعُدُوا بِأَحْسَنِ مَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْآٰلِآِئِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آٰيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْآٰرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آٰيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْآٰرْشِدِ لَا يَخْذُلُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْفِتْنِ يَخْذُلُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآٰيَاتِنَا وَلِغَاوِ الْآٰخِرَةِ حِجَّتْ أَعْمَالُهُمْ ﴿١٤٦﴾ هَلْ يَخْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمٌ مِّنْ بَعْدِهِمْ مِّنْ حُلِيِّمْ هَجَلًا جَدًّا لَهُمْ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَنْصِتُهُمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوا الْغُلَاقَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَفِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّرَّحْمَتًا رَبَّنَا وَتَغْفِرَ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا

١٤٥ - وبيننا موسى في الواح التوراة كل شيء من المواعظ والاحكام المفصلة التي يحتاج الناس اليها في المعاش والمعاد، وقلنا له : خذ الاواح بحذر وحزم، وأمر قومك ان يأخذوا بأفضل ما فيها ، كالغزو بدل التقصاص ، والابراء بدل الانتظار ، واليسر بدل الصر . سأريكم يا قوم موسى في أسفاركم دار المحاربين على أوامر الله ، وما صارت اليه من المحارب ، لتنتهبوا ، فلا تحالفوا حتى لا يصيبكم ما أصابهم .

١٤٦ - سأمنع من التفكير في دلائل قدرتي القائمة في الأنفس والآفاق ، أولئك الذين يتناولون في الأرض ، ويتكبرون عن قبول الصواب غير محققين ، وإن يروا كل آية تدل على صدق رسلنا لا يصدقوها ، وإن يشاهدوا طريق الهدى لا يسلكوه ، وإن يشاهدوا طريق الضلال يسلكوه ! يحدث ذلك منهم بسبب أنهم كذبوا بآياتنا المنزلة ، وغفلوا عن الاهتداء بها !

١٤٧ - والذين كذبوا بآياتنا المنزلة على رسلنا الهداية ، وكذبوا بلفظنا يوم القيامة ، فأنكروا البعث والجزاء ، بطلت أعمالهم التي كانوا يرجون نفعها فلا يلتفتن الاجزاء ما استمروا على عمله من الكفر والمعاصي .

١٤٨ - وبعد أن ذهب موسى الى الجبل لمناجاة ربه ، اتخذ قومه من حلبيهم المخصصة للزينة جسدا على صورة الجمل الذي لا يعقل ولا يميز ، له صوت يشبه صوت البقر ، مما أودع فيه من الصناعة ومرور الريح بدخله . . وقد صنع لهم السامري وأمرهم بمبادئه ! بالسفاعة عقولهم . ألم يروا حين اتخذوه الها وعبدوه انه لا يكلمهم ولا يقدر على هدايتهم الى طريق الصواب ؟ ! انهم ظلموا أنفسهم بهذا العمل الشنيع .

١٤٩ - ولا شعروا بزلاتهم وخطئهم ، تحيروا وندموا أشد الندم على اتخاذ الجمل الها . وتبينوا ضلالهم تبينا ظاهرا ، وقالوا : والله لئن لم ينسب علينا ربنا ويتجاوز عنا لنكونن من الذين خسروا خسارنا بيانا ، بوضهم العبادة في غير موضعها .

خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدَىٰ أَمَرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَتَىٰ الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشِيتْ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِجْلَ سَبَأْنَاهُمْ غَضَبًا مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسخِهَا هَدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ

١٥٠ - ولما رجع موسى من مناجاة ربه الى قومه ، غضبان عليهم لميادتهم العجل ، حزينا لان الله قتلهم - وكان الله قد أخبره بذلك قبل رجوعه - قال لهم : ما أفجع ما فعلتم بعد غيبي ، أسبغتم بعبادة العجل ما أمركم به ربكم من انتظاري وحفظ عهدي حتى أتيتكم بالثورة ١٢ ووضع الألواح ، واتجه الى اخيه ، لشدة حزنه حين رأى ما رأى من قومه ، وأخذ يشد أخاه من رأسه ويجره نحوه من شدة الغضب ، ظنا منه أنه قصر في كلهم عما فعلوا ، فقال هارون لموسى : يا ابن امي ان القوم حين فعلوا ما فعلوا قد استضعفوني وقهروني . وقاربوا قتل لما نهيتهم عن عبادة العجل ، فلا تسر الأعداء بأبذائك لى ، ولا تتخذنى واحدا من الظالمين مع براءة منهم ومن ظلمهم .

١٥١ - قال موسى : رب اغفر لى ما صنعت بأخى قبل جلية الأمر ، واغفر لأخى ان كان فرط فى حسن الخلافة ، وأدخلنا فى سعة رحمتك لأنك أكثر الراحمين رحمة .

١٥٢ - ان الذين استمروا على اتخاذ العجل الها ، كالسامري وأنشباعه ، سبناهم غضب عظيم من ربهم فى الدار الآخرة ، ومهانة شديدة فى الحياة الدنيا ، يمثل ذلك الجزاء الجزى كل من اخلق الكذب على الله وعبد غيره .

١٥٣ - والذين عملوا الاعمال البعيعة من الكفر وعبادة العجل والمماصى ، ثم رجعوا الى الله من بعد عملها ، وصدقوا به ، ان ربك من بعد توبتهم ستار عليهم ، غفار لما كان منهم ؟

١٥٤ - ولما نضب عن موسى الغضب باعتذار أخيه . عاد الى الألواح التى ألقاها وأخذها ، وفيها نسخ فيها هدى وارشاد وأسباب رحمة ، للذين يحافظون غضب ربهم .

لَرَشِيتُ أَهْلَكْتُمْ مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَنُتِلَّكَ بِمَا فَعَلَ الشُّعْرَاءُ مِنِّي إِن مِّنِي إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تُشَاءُ
وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ * وَاصْكُتْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأْكُتُنَا الَّذِينَ
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَابَتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ أَرْسُولَ اللَّهِ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْرُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

١٥٥ - ثم أمر الله أن يأتيه في جماعة من قومه يعتنقون عن عبدوا العجل ، ووعدهم موعدا ، فاختار موسى
من قومه سبعين رجلا ممن لم يعبدوا العجل ، وهم يمثلون قومه ، وذهب بهم الى الطور ، وهناك سألو الله أن يكشف
عنه البلاء ، ويتوب على من عبد العجل منهم ، فأخذتهم في ذلك المكان زلزلة شديدة غشى عليهم سبيلها ، وهذا
لأنهم لم يفارقوا قومهم حين عبدوا العجل ، ولم يأمرهم بالمعروف ، ولم ينههم عن المنكر ، فلما رأى موسى ذلك
قال : يارب لو شئت أهلكهم أهلكهم من قبل خروجهم الى الميقات ، وأهلكني معهم ، ليري ذلك بنو اسرائيل
فلا يهيموني بقتلهم فلا تهلكا يارب بما فعل الجهال منا ، فامحط عبدة العجل الا فتنة منك ، أضللت بها من شئت
اضلاله عن سلكوا سبيل الشر ، وهديت بها من شئت هدايته . أنت القاتل وسأكتها للذين يتقون الكفر والمعاصي
من قومك ويؤدى الزكاة المفروضة ، يتجاوز عن السيئات .

١٥٦ - وقدر لنا في هذه الدنيا حياة طيبة ، وتوفيقا للطاعة ، وفي الآخرة ثوبة حسنة ، ورحمة ، لاننا رجعنا
اليك وتبتنا اليك ، فقال له ربه : عذابي أصيب به من أشاء ممن لم يتب ، ورحمتي وسعت كل شيء ، وسأكتها للذين
يتقون الكفر والمعاصي من قومك ، ويؤدون الزكاة المفروضة ، والذين يصدقون بجميع الكتب المنزلة .

١٥٧ - وأخص بها الذين يتبعون الرسول محمدا ، الذي لا يكتب ولا يقرأ ، وهو الذي يجيدون وصفه مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بكل خير وينهاهم عن كل شر ، ويحل لهم الاشياء التي يستطيها الطبع ، ويحرم
عليهم الاشياء التي يستخفيها الطبع كالدم والميتة ، ويزيل عنهم الأثقال والشدائد التي كانت عليهم . فالذين
صدقوا برسالة وأزروه وأبدوه ونصروه على أعدائه ، واتبعوا القرآن الذي أنزل معه كالنور الهادي أولئك هم
الفائزون دون غيرهم ممن لم يؤمنوا به .

وَالْأَرْضَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكِتَابِهِ وَأَتَّعِوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنٍ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا
أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمَهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عِمْنًا قَدْ
عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَثَرَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لِمَنْ أَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا
حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ مُغْتَابًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَتَجِدُنَا يُضِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا

١٥٨ - قل يأها النبي للناس : اني مرسل من الله اليكم جيجا ، لافرق بين عربى وعجمى وأسود وأبيض .
والله الذى أرسلنى له وحده ملك السموات والارض يدبر أمرها حسب حكمته ، ويتصرف فيها كيف يشاء ،
ولا يعيرد بحق إلا هو ، وهو الذى يقدر على الإحياء والاماتة دين غيره ، فأمنوا به ورسوله النبى الذى لا يقرأ
ولا يكتب ، وهو يؤمن بالله الذى يدعوكم الى الأيمان ، ويؤمن بكتبه المنزلة ، واتبعوه فى كل ما يفعل ويقول لتتهدوا
وترشدوا .

١٥٩ - ومن قوم موسى جماعة بقوا على الدين الصحيح يهدون الناس بالحق الذى جاء به موسى من عند ربه ،
ويعدلون فى تنفيذ اذأ حكموا .

١٦٠ - عدد الله نعمه على قوم موسى ، فأفاد أنه صبرهم اثنتى عشرة فرقة وجعلهم جماعات ، ويميز كل جماعة
بنظامها ، متنا للتعاقد والخلاف . وأوحى الى موسى ، حين طلب منه قومه الماء فى التيه ، بأن يضرب الحجر
بعصاه ، ففصره فانفجرت اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط ، وقد عرف كل جماعة منهم مكان شربهم الخاص بهم ،
فلا يزعجهم فيه غيرهم ، وجعل لهم السحاب يلقى عليهم ظله فى التيه ، ليقهم حر الشمس ، وأنزل عليهم المن ، وهو
طعام يشبه البرد فى منظره ، وشبه الشهد فى مطعمه ، وأنزل السلوى ، وهو الطير السابق ، وقال لهم : كلوا من
مستلذات مارزقناكم ما أنزلناه عليكم . فظلموا أنفسهم وكفروا بتلك النعم ، وطلبوا غيرها ، وما رجع اليها ضرر
ظلمهم ولكنه كان مقصورا عليهم .

١٦١ - واذكر يأها النبي لمن وجد منهم فى زمانك ، تقريبا لهم بما فعل أسلافهم ، اذكر لهم قولنا لأسلافهم على
لسان موسى : اسكنوا مدينة بيت المقدس بعد الخروج من التيه ، وكلوا من خيراتها فى أية ناحية من نواحيها
شئتم ، وقولوا نساءك ياربنا أن تحط عنا خطايانا ، وادخلوا باب القرية مع الحصاة الرموس كهية الركوع تواضعا
له . اذا قلمت ذلك مجاوزنا عن ذنوبكم ، وسيزيد ثواب من أحسنوا الاعمال .

غَيْرِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَظْلُمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَعَلَهُمُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَءً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةُ إِلَى رَبِّكَ وَعَلَّمُهَا يَتَّبِعُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَجِئْنَا آلَ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْإِسْوَاءِ وَآخِذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَيعِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِمَّنْ يُسَوِّمُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۝

١٦٢ - فخالقوا أمرهم ، فقالوا بسبب ظلمهم قولا غير الذي قيل لهم ، قصد الاستهزاء بوسى فأنزلهما عليهم عذابا من السماء بسبب استمرارهم على الظلم وتجاوز الحد .

١٦٣ - وأسأل اليهود ، استنكارا لما فعل أسلافهم ، عن خبر أهل القرية (أيلة) التي كانت قريبة من البحر ، حين كانوا يتجاوزون حدود الله بصيد السمك في يوم السبت ، وحين كانت تأتيم حيتان الاسماك وتظهر على وجه الماء يوم السبت وفي غيره لاتأتيم . ابتلاء من الله ! يمثل ذلك البلاء المذكور ببلوهم بلاء آخر بسبب فسقهم المستمر ، ليظهر منهم المحسن من السيء .

١٦٤ - واذكر أيضا هؤلاء اليهود اذ قالت جماعة من صلحاء أسلافهم - لم يقصوا فيما وقع فيه غيرهم - لمن يعظون أولئك الأشرار : لأي سبب تنصحون قوما الله مهلكهم بسبب ما يرتكبون او معذبهم في الآخرة عذابا شديدا ؟ قالوا : وعظناهم اعتذارا الى ربكم ، لئلا تنسب الى التقصير ، ورجاء أن يتقوا .

١٦٥ - فلما تركوا ماوعظوا به ، أنجينا الذين ينهون عن العمل السيء من العذاب وأخذنا الذين ظلموا فاعتدوا وخالقوا بعذاب شديد . هو اليوسى والشفاء . بسبب استمرارهم على الخروج عن طاعة الله بهم .

١٦٦ - فلما قسوا واستمروا على ترك ما نهوا عنه ، ولم يردعهم العذاب الشديد ، جعلناهم كالقردة في مسخ قلوبهم وعدم توفيقهم لفهم الحق ، مبهدين عن كل خير .

وَأَمَّا لَقُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِيَهُمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلِذُّوا بِمَا آتَاكُمْ مِنَ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْدارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ * وَإِذْ تَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

١٦٧ - واذكر أيضا هؤلاء اليهود حين أعلم ربك أسلافهم على ألسنة أنبيائهم : لیسطن الله على جماعة اليهود الى يوم القيامة من يوقع بهم أسوأ أنواع العذاب على ظلمهم وقسوتهم ، لأن ربك سريع العقاب لأهل الكفر ، لأن عقابه واقع لا محالة ، وكل أت قريب ، وانه غفور رحيم لمن رجع اليه وتاب ..

١٦٨ - وقد فرقناهم في الأرض جماعات : منهم الصالحون ، وهم الذين آمنوا واستقاموا ، ومنهم أناس منعطون عن وصف الصلاح ، وقد اختبرناهم جميعا بالنعم والنقم ليتوبوا عما نوا عنه .

١٦٩ - فجاء من بعد الذين ذكرناهم وقسمناهم الى القسمين ، خلف سوء ورتوا التوراة عن أسلافهم ولكنهم لم يعملوا بها ، لأنهم يأخذون متاع الدنيا عوضا عن قول الحق ، ويقولون في أنفسهم : سيفر الله لنا ما فعلناه ا يرجون المغفرة ! والحال أنهم إن يأتيهم شيء مثل ما أخذوه يأخذوه فهم مصرون على الذنب مع طلب المغفرة ثم ويظلم الله على طلبهم المغفرة مع إصرارهم على ما هم عليه ، فقال : انا أخذنا عليهم العهد في التوراة ، وقد درسوا ما فيها ، أن يقولوا الحق ، فقالوا الباطل ! وان نعيم الدار الآخرة للذين يتقون للمعاصي خيرا من متاع الدنيا ا تستمتعون على عصيانكم فلا تعقلون أن ذلك النعيم خير لكم ، وتؤثرون عليه متاع الدنيا !

١٧٠ - والذين يمسكون بالتوراة ، وأقاموا الصلاة المفروضة عليهم ، انا لانضج أجريهم ، لإصلاحهم وإحسانهم الأعمال .

١٧١ - رد الله على اليهود في قولهم : أن بني اسرائيل لم تصدر منهم مخالفة في الحق ، فقال : واذكر لهم أيما النبي حين رفعنا الجبل فوق رموس بني اسرائيل كأنه غمامة ، وفرعوا لظنهم أنه واقع عليهم ، وقنا لهم في حالة الرفع ورهبتهم : خذوا ما أعطيناكم من هدى في التوراة بجهد وعزم على الطاعة وتذكروا ما فيه لعلكم تتوبون وتتهذب نفوسكم بالقوى

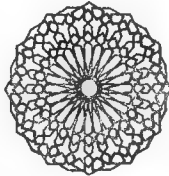
وَأَشْهِدُهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ قُلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾
 أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ
 الْأَمْثَلِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَنْزَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
 الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَسَلْنَاهُ فَمَسَلَهُ الْكَلْبُ إِنْ تَحْمِلُ

١٧٢ - بين الله هنا هداية بنى آدم بنصب الأدلة في الكائنات، بعد أن بينا عن طريق الرسل والكتب، فقال :
 واذكر أيها النبي للناس حين أخرج ريك من أصلاب بنى آدم ونسلهم وما يتوالدون قرنا بعد قرن، ثم نصب لهم
 دلائل ربوبيته في الموجودات، وركز فيهم عقولا وبصائر يتمكنون بها من معرفتنا، والاستدلال بها على التوحيد
 والربوبية، حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم : ألسنت بربكم ؟ قالوا بل أنت ربنا شهدنا بذلك على أنفسنا... لأن
 تمكينهم من العلم بالادلة وتمكينهم منه في منزلة الاقرار والاعتراف، وإنا فطنا هذا لئلا تقولوا يوم القيامة : انا كنا
 عن هذا التوحيد غافلين لا نعرفه.

١٧٣ - أو تقولوا : إنما أشرك آبائنا من قبلنا، وكنا ذرية لهم فاعتدنا بهم، أفنؤاخذنا بآرب فتهلكنا بما فعل
 الميطلون من آبائنا، بتأسيس الشرك الذي جرونا إليه... فلا حجة لكم.

١٧٤ - ومثل ذلك البيان الحكيم نبين لبنى آدم الدلائل على وجود الله، ليرجعوا عن مخالفتهم وتقليد الميطلين.

١٧٥ - ضرب الله مثلا للمكذبين بآياته المنزلة على رسوله، فقال : واقرأ أيها النبي على قومك خبر رجل من
 بنى اسرائيل، آتيناها علميا بآياتنا المنزلة على رسلنا، فأهلها ولم يلتفت اليها، فأتبعه الشيطان خطواته، وسلط عليه
 باغوائه فصار في زمرة الضالين.



عَلَيْهِ يَلَهَتْ أَوْ تَرَكَهُ يَلَهَتْ ۚ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾
 سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَدِّدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى ۚ وَمَنْ يُضِلِلْ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
 لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ ۚ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
 وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾
 وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ

١٧٦ - ولو شئنا رفعه الى منازل الأبرار لرغناه اليها ، بتوقيفه للعمل بترك الآيات ، ولكنه تعلق بالأرض ولم يرتفع الى سماء الهداية ، واتبع هواه ، فصار حاله في قلقه الدائم ، وانشغاله بالدنيا ، وتفكيره المتواصل في تحصيلها كحال الكلب في أسوأ أحواله عندما يلهث دائما ، إن زجرته أو تركته ، اذ يتدلع لسانه من التنفس الشديد ، وكذلك طالب الدنيا يلهج وراء متبه وشهوته دائما ، ان ذلك الوصف الذى اتصف به المتسلخ من آياتنا ، هو وصف جميع الذين كذبوا بآياتنا المزلة . فاقصص عليهم قصصه ليتفكروا فيؤمنوا^(١) .

١٧٧ - قُبعت حال هؤلاء الذين جحدوا آياتنا ، وماظلموا بهذا الانحراف عن الحق الا أنفسهم .

١٧٨ - من يوقفه الله لسبيل الحق فهو المهتدى حقا ، الفائز بسعادة الدارين ومن يجرم من هذا التوفيق بسبب سيطرة هواه ، فهذا الفريق هم الخاسرون .

١٧٩ - ولقد خلقنا كثيرا من الجن والانس ما لهم النار يوم القيامة ، لأن لهم قلوبا لا ينفذون بها الى الحق ، ولهم أعين لا ينظرون بها دلائل القدرة ، ولم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تدبر واتماظ ؛ أولئك كالبهائم لعدم انتفاعهم بما وهبهم الله من عقول للتدبر ، بل هم أضل منها ، لأنها تطلب متاعها وتهرب من مضارها ، وهؤلاء لا يدركون ذلك ، وأولئك هم الكاملون في الغفلة .

١٨٠ - لله ، دين غيره الأسماء الدالة على أكمل الصفات فأجبروها عليه دعاء ونداء وتسمية ، وابتعدوا عن الذين يميلون فيها الى ما لا يليق بذاته العلية واتهم سيجزون جزاء أعمالهم .

١٨١ - ومن خلقنا للجنة طائفة يدعون غيرهم للحق بسبب جهلهم بالحق وبالحق وحده يدلون في أحكامهم .

(١) اوردت هذه الآية ظاهرة شائعة وهي ان الكلب يلهث سواء حلت عليه أرم تحصل وقد اثبت العلم ان الكلب لا توجد فيه غدة عرقية الا الضليل لا ياطن لقدمه والتي لا تبرز من العرق ما يمكن لتنظيم درجة حرارة جسمه ولذلك فإنه يستعين عن نفس وسائل تنظيم الحرارة بالهت وهو ازدياد عدد مرات تنشه زيادة كبيرة عن الحالة العادية مع تعريض مساحة أكبر من داخل الجهاز التنفسي كاللسان والسطح الخارجى من له .

لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدَ مَتِينٍ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ يَصْحَوْا إِنْ يَكُونُ قَدْ أَقْرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْعِبَاهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَإِنَّكَ تُحْيِي عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْبَرْتُ مِنْ

١٨٢ - والذين كذبوا بآياتنا الميزة سنستدرجهم ونتركهم حتى يصلوا الى أقصى غاياتهم ، وذلك بإدراج النعم عليهم ، مع انهاهم في النفي ، حتى يفاجئهم الملاك وهم غافلون يرتعون .

١٨٣ - وسأمد لهم في الحياة غير مهمل لسيئاتهم وتديري لهم شديد عليهم يكافئ سيئاتهم التي كثرت بجانهم .

١٨٤ - لقد بادروا بالكذب ، ولم يتدبروا ما يدعهم الرسول اليه ، وما يقدمه من حجة بل رموه بالجنون وليس به من جنون ، فما هو الا منظر لهم من عاقبة شرهم ، وانذاره بين واضح .

١٨٥ - لقد كذبوا محمدا فيها بدعهم اليه من التوحيد ، ولم ينظروا تأمل واستدلال في ملك الله العظيم للسموات والأرض وما فيها ، مما يدل على كمال قدرة الصانع ووحدانيته ، ولم يفكروا في أنه قد اقرب أجلهم : أو عسى أن يكون قد اقرب ، فيسارعوا الى النظر وطلب الحق قبل مفاجأة الأجل ، فاذا لم يؤمنوا بالقرآن فبأي كلام يؤمنون بعده ؟

١٨٦ - من يكتب الله عليه الضلالة لسوء اختياره فلا يهديه أحد ، ويركهم سيئاته في ضلالهم يتحصرون لا يجدون سبيلا .

١٨٧ - يسألك اليهود ، يا محمد ، عن الساعة التي تنتهي فيها هذه الدنيا ، في أي وقت تكون ويستقر العلم بها ؟ قل لهم : علم وقتها عند ربى وحده ، لا يظهرها في وقتها أحد سواء قد عظم هولها عندما تنزع على أهل السموات والأرض ! يسألونك هذا السؤال ، كأنك حريص على العلم بها . فكرر الجواب ، قل لهم مؤكدا : إن علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يدركون الحقائق التي تقيب عنهم . أو التي تظهر لهم !

أَنْذِرْ وَمَا مَسْنِيَ السَّوْءَ ۖ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَيَسِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۚ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَرَّتْ بِهِ ۚ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ
ءَاتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهَ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيْسِرُكُمْ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْعًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَحْمَ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يُتِمُّوكُمْ سِوَاكَ عَلَيْهِمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَلِمَتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ

١٨٨ - قل لهم : لا أملك لنفسى جلب نفع ولادفع ضرر الا الذى نساء الله من ذلك فيملكى اياه . ولو كنت
أعلم ما غاب عني كما تظنون ، لاستكثرت من كل خير ، لعلنى بأسبابه ، ولدفعت عن نفسى كل سوء باجتنب
موجباته : ما أنا إلا نذير بالعذاب وببشر بالثواب لقوم يؤمنون بالحق ويدعوتون له .

١٨٩ - هو الله الذى أنشأكم من نفس واحدة ، وجعل من جنسها زوجها ، واستمرت سلالتها فى الوجود ،
وكنتم زوجا وزوجة . فاذا تغشاهما حملت حملا خفيا هو الجنين عند كونه علقه ومضغة ، فلما ثقل الحمل فى بطنها
دعا الزوج والزوجة ربها قائلين : والله لئن أعطيتنا ولدا سليما من فساد الخلقة ، لنكون من الشاكرين لصالحك .
١٩٠ - فلما أعطاهما ما طلبا جملا الأصنام شركاء لله تعالى فى عطية الكريمة ، وتقربا إليها ، كأنها يشكرانها
والله وحده هو المستحق للشكر يتعالى ويتسامى عن أن يكون شركائهم .

١٩١ - هل يصح أن يشركوا مع الله أصناما لا تقدر أن تخلق شيئا من الأنبياء وهم مخلوقون ؟ !

١٩٢ - ولا يقدرين على نصر لمن يعبدونهم ، ولا ينصرون أنفسهم اذا تمدى الغير عليهم .

١٩٣ - وإن تدعوا أيها العابدين الأصنام ليرشدوكم الى ما تصبون ، لا يجيبوكم إلى مرادكم المستودع عنكم فى
عدم الفائدة دعاؤكم إياهم ، وسكوتكم فإنه لا يتغير حالهم فى الحالين .

هُم مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَأَعْوَجَّتْ بِمَدُونَتِهِمْ فِي آتِيٍّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا رَأَتْهُمْ قَالُوا لَا جَبَبِيَّةَ
 قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَافُ مِنْ رَبِّكَ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ
 الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرْكَ فِي نَفْسِكَ قَضَرًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ
 الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
 وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

٢٠١ - ان الذين خافوا ربهم ، وجعلوا بينهم وبين المعاصي وقاية من الشيطان بوسوسة منه طافت بهم لصرفهم عما يجب عليهم ، تذكروا عداوة الشيطان وكيدته ، فاذا هم مبصرون الحق فيرجعون .

٢٠٢ - واخوان الشياطين من الكفار ، تزيدهم الشياطين بالوسوسة ضلالا ثم هؤلاء الكفار لا يكتفون عن ضلالهم بالتبصر .

٢٠٣ - واذا لم تأت الكفار بآية مما يطلبون عنادا وكفرا ، قالوا : هللاطلبها ؟ قل لهم : ما أتبع الا القرآن الذي يوحى الى من ربي ، وقل لهم : هذا القرآن حجة من ربكم تبصركم وجوه الحق ، وهو ذو هداية ورحمة للمؤمنين ، لأنهم العاملون به .

٢٠٤ - واذا نلى عليكم أيضا المؤمنون القرآن فأصغوا اليه بأسماعكم . لتدبروا مواضعه ، وأحسنوا الاستماع لتغزوا بالرحمة .

٢٠٥ - واذكر ربك ذكرا نفسيا ، تحس فيه بالتقرب الى الله والمخضوع له والخوف منه ، من غير صياح ، بل فوق السردين المجر من القول . وليكن ذكرك في طرق النهار لتفتح نهارك بالذكر لربك وتغتمه به ، ولا تكن في عامة أوقاتك من الغافلين عن ذكر الله .

٢٠٦ - ان الذين هم قرييون من ربك بالشريف والتكريم ، لا يستكبرون عن عبادته ، ويذهنون عما لا يليق به ، وله يخضعون .



سُورَةُ الْأَنْفَالِ المَكِّيَّةُ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَأَرْسُولُهُ فَمَا تَوَلَّوْا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ يَمِينِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ كِتَابِهِ زَادَتْهُمْ



سورة الأنفال نزلت بالمدينة ، وهي تشتمل على خمس وسبعين آية . وقد بين الله سبحانه وتعالى في هذه السورة بعض أحكام القتال ، والبوايع عليه ، وأسباب النصر ، ومقام القوة المعنوية في الانتصار ، وأحكام غنائم الحرب وفي يكون الأسر ، واجتمع فيها الحكم الشرعي بحكمته ، وهي تذكر قصة غزوة بدر ، وبعض ما كان قبلها ، وما جاء في أعقابها من الإشارة إلى سببها . وهو إخراج المشركين للنبي من مكة . ويذكر سبحانه فيها الاستعداد للحرب ، ووجوب السلم ، إن جنحوا لها . وتفتتح السورة الكريمة ببيان ولاية المؤمنين بعضهم لبعض ، ووجوب هجرة المؤمنين من أرض يستدلون فيها ، ليجاهدوا مع أوليائهم من المؤمنين في سبيل عزة الإسلام وعزتهم .



١ - أخرج النبي من مكة مهاجراً بسبب مكر المشركين وتدنيرهم أمر قتله ، وليكون للمسلمين دولة ، واستقر بالمدينة حيث النصر ، وكان لابد من الجهاد لدفع الاعتداء ، لكيلا يفتن أهل الإيمان ، فكانت غزوة بدر الكبرى ، وكان فيها النصر المبين والغنائم ، وكان وراء الغنائم بعض الاختلاف والتساؤل في توزيعها . يسألونك عن الغنائم : ما مالها ولن تكون ؟ وكيف تقسم ؟ قلل لهم أميأ النبي : أنها لله والرسول ابتداء ، والرسول بأمر ربه يقول تقسيمها ، فاتركوا الاختلاف بشأنها واجعلوا خوف الله وطاعته شعاركم وأصلحوا ما بينكم ، فاجعلوا الصلوات بينكم محبة وعدلاً ، فإن هذه صفة أهل الإيمان .



لِمَعْنَا وَعَلَى رَّبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ① الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ② أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
لَهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ③ كَمَا أُنْزِلَتْكَ رَبُّكَ مِنْ يَدِكَ بِالْحَقِّ وَلَئِنْ قَرَيْسًا مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ لَكَذِبُونَ ④ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَلِّقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ⑤
وَإِذْ يَدْعُرُكُمْ إِلَهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنهَ الْكُفْرَ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّكَّةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَيِّقَ الْحَقَّ

٢ - أن المؤمنين حقاً وصدقا يستشرون دائما خوف الله وطاعته ، فإذا ذكر سبحانه فرحت قلوبهم ، وامتلأت
هبة ، ولذا كلما قرئت عليهم آيات من القرآن ازداد إيمانهم رسوخا ، وازدادوا إزعاجا وعلما ، ولا يعتمدون إلا على
الله الذي خلقهم ورحمهم وينصمهم .

٣ - وأولئك المؤمنين الصادقين في الإيمان ، يؤدون الصلاة مستوفية الأركان ، كاملة الخشوع والخضوع ،
ليكونوا على تذكّر الله دائما ، وينفقون مقادير من المال الذي رزقهم الله سبحانه وتعالى في الجهاد والبِرّ ومساونة
الضفراء .

٤ - أن هؤلاء المتصفين بتلك الصفات ، هم الذين يوصفون بالإيمان حقاً وصدقا ، وهم جزاؤهم درجات عالية
عند الله ، وهو الذي ينعمهم سبحانه ورضاه ، ويفخر لهم هفواتهم ويرزقهم سبحانه رزقا طيبا في الدنيا ، ونعما دائما في
الآخرة .

٥ - وإن التصبر بيد الله ، ومقايل الأمور إليه ، وإن حال المؤمنين في خلافهم حول الغنائم كحالهم عندما أمرك
الله بالخروج لقتال المشركين بيدر ، وهو حق ثابت ، فإن قريسا من أولئك المؤمنين كانوا كارهين للقتال مؤكدين
كراهيتهم .

٦ - ينافر أولئك الفريق ، ويحاولون أن ينصروا قلوبهم في الأمر الحق وهو الخروج للجهاد ، إذ كانوا مع
أخوانهم الذين خرجوا لمصادرة أموال قريش الذاهبة إلى الشام ، فلم يدركوها ، فأثر هذا الفريق العودة من بعد
ماتين أنهم منصورون ، لإعلام النبي لهم ، ولذعر المشركين منهم ، ولشدّة كراهيتهم للقتال وعدم أمنهم من عواقبه ،
وكانوا في ذعابهم إليه كالذي يساق إلى الموت وهو ينظر أسبابه ويمايناها .



يَكْلَمُنِيهِ وَيَقْطَعْ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ④ لِيُحْيِيَ الْحَقَّ وَيَبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ⑤ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَوْ يَكُفُّمْ أَلَيْسَ فِي يَدَيْهِ الْغَلْبُ ⑥ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ⑦ إِذْ يُخَشِّيكُمُ النَّحْسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ بِهِ وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ⑧ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ أَنِي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا

٧ - واذكروا أيها المؤمنون وعد الله تعالى لكم أن ينصركم على إحدى الطائفتين التي فيها الشوكة والقوة ، وأنتم تودون أن تدرؤا الطائفة الأخرى التي فيها المال والرجال ، وهي قافلة أبي سفيان ، فاختارتم المال ولا شوكة فيه ! ولكن الله تعالى يريد أن يثبت الحق بإرادته وقدرته وكمالاته الملهمة للإرادة والقدر ، ويستأصل الكفر من بلاد العرب بنصر المؤمنين^(١) .

٨ - ليثبت الحق ويزيل الباطل ، ولو كره ذلك الكافرون الذين أجبروا في حق الله ، وفي حق المؤمنين وفي حق أنفسهم .

٩ - اذكروا أيها المؤمنون - وأنتم تتقاسمون الفنائم وتختلفون - الوقت الذي كنتم تنجھون فيه إلى الله تعالى ، طالعين منه الصوت والمعونة ، إذ كتب عليكم أنه لا خلاص من القتال ، فأجاب الله دعاءكم ، وأمدكم بالأرواح الطاهرة الكثيرة التي تبلغ الألف متتابعة ، يهيئ بعضها وراء بعض^(٢) .

١٠ - وما جعل الله تعالى ذلك الامداد بالأرواح الطاهرة إلا بشارة لكم بالنصر ، لتطمئنوا وتقسموا ، والله يمينكم والنصر لآيئِهِ . لا بمعونة الله القوي الغالب ، الذي يضع الأمور في مواضعها بمقتضى علمه الذي لا يخطئ عنه شيء .

١١ - اذكروا أيها المؤمنون ، وقت أن خفتم من قلة الماء ، ومن الأعداء ، فوهبكم الله الأمن ، وأصابعكم النحاس فغتمت آمين ، وأزل الماء من السماء لتطهروا به ولتنهوا وسواش الشيطان عنكم ، وثبت قلوبكم واثقة بعون الرحمن . ولتتماسك به الأرض فثبتت الأقدام^(٣) .

(١) تتناول الآيات الكريمة ما يفيض في النبرس ابتداء القتال من ثقي ملاقة قلة من العدو وكثرة ملاقة العدد الكثير والرغبة في إصابة المال والغنائم دين ملاقة المكاره بآية الله تعالى إعلاء الدين وإظهار الحق واستئصال الكافرين .

(٢) لا علم مقاتلو المؤمنين أن لأصابع عن القتال اخفوا يستغيثون بالله تعالى للنصر فاستجاب الله تعالى لهم وأمدهم بألف من الملائكة متتابعين أي بدأ الأمر بإرسال مقدمة تلحق باقي القوات وهو ما ييسر به حالاً عند إرسال قوات التعزيز لجندو المقاتلين في ميادين القتال إذ تنص المبادئ المعينة على إرسال الامدادات أفواجا متتابعة حتى يسهل توجيه كل فريق إلى مكانه في المعركة دون تعطل أو ازدحام وعندما تصل التعزيزات للقوات للقاتلة تنتج النفوس وتلو الروح المعنوية وهو ما أراده الله سبحانه وتعالى بقوله : وما جعله الله إلا بشري وطمأنن به قلوبكم . والنصر دافعا من عند الله .

(٣) تتناول الآية الأولى فضل الله تعالى على المقاتلين المؤمنين من الحصول على الأمن في راحة النوم ونزول المطر للطهارة والاختلاص =

فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَآصَرُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحًّا فَلَا تُولُوهُمْ الْآدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمِنْ يَوْمِهِمْ يَوْمَهُدُ دُرَّةٍ ۖ إِلَّا مَصْرَفًا لِقِتَالٍ أَوْ مَصْرَفًا إِلَى قِتَّةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَدَّ جَهَنَّمُ وَيَتْسُ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۖ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ

١٢ - اذكروا أيها المؤمنون أن الله أوحى للأرواح الطاهرة أن تودع في نفوسكم أنى معكم بالتأييد والنصر، قاتلاً لهم : قوا قلوب الذين آمنوا وأذعنوا للحق وجاهدوا في سبيل الله ، وسأجعل الرعب يستولى على قلوب المشركين ، فيفزعون هم دونكم ، فاضربوا أيها المؤمنون رموسهم التي فوق أعناقهم ، وتطلعوا أصابعهم التي يحملون بها السيف .

١٣ - كان ذلك النصر والتأييد لكم ، والرعب والفرع لهم ، لأنهم تحدوا الله ورسوله ، فكانوا في جانب والله ورسوله في جانب آخر ، ومن يعاد الله ورسوله فإنه ينزل به العذاب الأليم لأن عقاب الله شديد .

١٤ - ذلكم أيها المؤمنون هو القتال فتذوقوه مع اليقين بالنصر والتأييد وإن للجاحدين بآياته عقاباً آخر يوم القيامة ، هو عذاب النار .

١٥ - أيها الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له ، إذا التقيتم بالذين كفروا في الميدان ، وهم زاحفون عليكم بكثرةهم ، فلا تفروا منهم وتجهلوا ظهوركم أمام سيوفهم .

١٦ - ومن لا يلائقهم وجهها لوجه فاراً منهم ، فإن الله يفضب عليه ، ومصيره إلى النار ، وهي أسوأ مصير لكم ، ومن لا يلائقهم بوجهه كيدا ومهارة حربية ، أو يترك طائفة لينحاز إلى طائفة أخرى من المؤمنين ، لتكون قوة اللقاء فاته لا إثم عليه .

• وتلد الرمل نتيجة وجود الماء فثبت عليه الاقدام ومن المعروف ان الرمال الناعمة تسبب تعباً للمقاتلين وتعبر عاتقاً يحول دون خفة الحركة التي هي من مبادئ الحرب الرئيسية وتتناول الآية الثانية خطاب الله تعالى للملائكة بتثبيت المؤمنين والقضاء الرعب في قلوب الكافرين ، والمعروف ان الرعب اذا استولى على الجبهة في الميدان اصحابه بالتفصل ، وفي الآية الكريمة إشارة الى مكان الاصابع المهلكة وهي في أعلى الرقبة وقطع الأطراف حتى يسقط السلاح من اليد .

وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيَّلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ شَهِيدٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَرِيهُمُ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْهِرُوا قَدْ جَاءَ كُرُّ الْفَتْحِ وَإِنْ تَنْتَهُرُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْعًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يٰ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اطِّيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّالُّمُ الَّذِينَ لَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

١٧ - إذا كنتم أيها المؤمنون قد انتصرتم عليهم ، وقتلتم من قتلتم منهم ، فانكم لم تقتلوهم بقوتكم ، ولكن الله تعالى هو الذى نصركم وقتلهم ، بتأييده لكم وإلقاء الرعب فى قلوبهم ، وما ربيت أيها الرسول اذ كنت ترى التراب والحصى فى وجوههم انزاعا لهم ، ولكن الله تعالى هو الذى رمى فأفزعهم الرمي ، وكان ذلك لينص الله على المؤمنين نهما حسنة ، منها الابتلاء بالشدّة ، ليظهر اخلاصهم ، وأن الله عليهم بأموهم ، سمع لأقوالهم ، وكذلك هو عليهم بأمور اعدائهم وأقوالهم .

١٨ - ذلك هو النصر العظيم ، مع أن الله تعالى مضعف لكل تدابير الكافرين .

١٩ - ان كنتم أيها المشركون تملقون بأستار الكعبة ، طالبين الفصل بينكم وبين المؤمنين ، فقد جاءكم الأمر الفاصل ، وليس نصرا لكم ، بل هو نصر للمؤمنين ، وان تعودوا الى الاعتداء نعد عليكم بالهزيمة ، وان تغنى عنكم جماعتكم المؤلفة على الاثم شيئا ، ولو كان العدد عندهم كثيرا ، فان الله مع الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له .

٢٠ - يا أيها الذين صدقتم بالحق وأذعنتم له ، قد علمتم أن النصر كان بتأييد الله وطاعة رسوله ، فاستمروا على طاعتكم لله وللرسول ، ولا تعرضوا عن دعوة الرسول الى الحق وأنتم تسمعون وتعين مايقول .

٢١ - ولا تكونوا كالمنافقين الذين قالوا : سمعنا الحق ووعيناه ، لكنهم لا يذعنون له ولا يؤمنون به ، فكانوا كغير السامعين .

٢٢ - ان أولئك المشركين ، والمنافقين معهم ، هم كثر الدواب التى أصيبت بالصمم فلا تسمع ، وبالبكم فلا تتكلم ، فهم صموا عن الحق ، فلم يسموه ولم ينطقوا به ولم يفلحوا !! .

٢٣ - ولو علم الله بطلانه الأزل أن فيهم ، وهم بهذه الحال ، ماكرن خيرا لأنفسهم وللناس وللحق ، لأسمعهم سماع هداية يوصل الحق الى عقولهم ، ولو سمعوه وفهموه لاتصرفوا عن الاعتداء ، وحال الاعراض الآن لاتفارقهم لطية الهوى .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۚ وَأَنَّهُ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾
وَإِذْ كُتِبَ فِي الْقُرْآنِ لَكُمْ إِذَا قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْ قَتْلِكُمْ مَنَاصِبُ ۚ وَمَن قَتَلَ نَفْسًا بِمَا كُنْتُمْ تُحْيِيهَا ۖ فَلَهُ الْكُفْرَانُ
بِمَا كُنْتُمْ تُحْيِيهَا ۖ وَإِنَّكُمْ كُنتُمْ عَنْهَا مُرِيبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِذَا قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْ قَتْلِكُمْ مَنَاصِبُ ۚ وَمَن قَتَلَ
نَفْسًا بِمَا كُنْتُمْ تُحْيِيهَا ۖ فَلَهُ الْكُفْرَانُ بِمَا كُنْتُمْ تُحْيِيهَا ۖ وَإِنَّكُمْ كُنتُمْ عَنْهَا مُرِيبِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَمِنْ قَتْلِكُمْ مَنَاصِبُ ۚ وَمَن قَتَلَ نَفْسًا بِمَا كُنْتُمْ تُحْيِيهَا ۖ فَلَهُ الْكُفْرَانُ بِمَا كُنْتُمْ تُحْيِيهَا ۖ وَإِنَّكُمْ كُنتُمْ عَنْهَا مُرِيبِينَ ﴿٢٨﴾

٢٤ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا بِالْحَقِّ وَأَدْعُوا لَهُ ، أَجِيبُوا اللَّهَ فِي الْقِيَامِ إِلَى مَا يُمْرُكُمْ بِهِ ، وَأَجِيبُوا الرِّسُولَ فِي تَبْلِيغِهِ مَا يُمْرُ بِهِ اللَّهُ ، إِذَا دَعَاكُمْ الرِّسُولُ إِلَى أَوَامِرِ اللَّهِ بِالْأَحْكَامِ الَّتِي فِيهَا حَيَاةُ أَجْسَادِكُمْ وَأَرْوَاحِكُمْ وَعُقُوبَتُكُمْ وَقُلُوبِكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَائِمٌ عَلَى قُلُوبِكُمْ ، يُوْجِّهُهَا كَمَا يَشَاءُ فَيَحُولُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ قُلُوبِكُمْ إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا الْهَوَى ، فَهُوَ مَنْقُذُكُمْ مِنْهُ أَنْ تَهْتَمُّوا إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَأَنْتُمْ جَمِيعًا سَتَجْمَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَكُونُ الْجِزَاءُ .

٢٥ - وَاجْعَلُوا وَقَايَةَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَفْسِدُ جَمَاعَتَكُمْ ، كَالْإِمْتِنَاعِ عَنِ الْجِهَادِ ، وَكَالتَسَلُّقِ ، وَكَالْإِمْتِنَاعِ عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ الذَّنْبَ لَا يَصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَحْدَهُمْ ، بَلْ يَصِيبُ الْجَمِيعَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ عِقَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

٢٦ - وَتَذَكَّرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي حَالِ قُوَّتِكُمْ ، وَقَدْ أَنْتُمْ عِدَا قَلِيلًا ، وَضَعْفَاءُ يَسْتَغْلِبُ أَعْدَاؤُكُمْ ضَعْفَكُمْ ، وَقَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْكُمْ الْخَوْفُ مِنْ أَنْ يَنْخَطِفَكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ ، فَهَاجَرْتُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَجَمَلْتُمْ مِنْ ثَرِبِ مَأْوَى لَكُمْ ، وَكَانَ لَكُمْ النُّصْرَةُ بِتَأْيِيدِهِ وَتَوْفِيقِهِ ، وَرَزَقَكُمْ الْفَتَاوَى الطَّيِّبَةَ رَجَاءً أَنْ تَشْكُرُوا هَذِهِ النِّعَمَ ، فَتَسِيرُوا فِي طَرِيقِ الْجِهَادِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْحَقِّ .

٢٧ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا بِالْحَقِّ ، وَأَدْعُوا لَهُ ، لَا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ مِنْكُمْ خِيَانَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِمُؤَالَاةِ أَعْدَاءِ الْحَقِّ ، أَوْ بِالْخِيَانَةِ فِي الْفِتَنِ ، أَوْ بِالْقَصْدِ عَنِ الْجِهَادِ ، وَلَا تَقْصُرُوا فِي الْأَمَانَاتِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَكُمْ ، وَأَنْتُمْ تَطْمَئِنُّ أَوَامِرُهُ وَنَوَاهِيهِ .

٢٨ - وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ أَنَّ فِتْنَةَ نَفْسِكُمْ تَحِيءُ مِنْ فِرْطِ مَحَبَّتِكُمْ لِأَوْلَادِكُمْ ، فَلَا تَغْلِبُوا مَحَبَّةَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَفْسِدُ أُمُورَكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ ثَوَابَ اللَّهِ عَظِيمٌ يَجْزِيكُمْ عَنِ الْمَالِ وَالْوَلَدِ .

إِنْ تَشْتَرُوا اللَّهَ بِحَبْلٍ مُّكْرٍ فَأَنْتُمْ فَرِيقَانِ وَتَسْتَعْتِرُونَ سِعْيَانَكُمْ وَيَعْتَرِكُمْ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ وَإِذْ يَعْبُرُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيشْتُرَكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَعْرَكُونَ وَيَمْكُرُونَ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ۝ وَإِذَا تُنْفِىَ عَلَيْهِمْ ءَابَتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقَتُنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بَعْدَ الْبَرِّ ۝ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۝ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُتَفَوِّنُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا

٢٩ - يأبى الذين صدقوا بالحق وأدعوا له ، إن تخضعوا لآوامر الله في السر والعلن ، يحصل الله تعالى في أنفسكم قدرة تفرقون بها بين الحق والباطل . ويحكم نصرا ليفصل بينكم وبين أعدائكم ، ويستر سبائكم فتذهب ويفرحوا لكم ، وهو سبحانه صاحب الفضل الكبير دائما .

٣٠ - واذكر أيها النبي نعمة الله عليك ، إذ يكر المشركون للايقاع بك : أما بأن يحبسوك ، وأما بأن يقتلوك ، وأما بأن يخرجوك ! انهم يدبرون لك التدبير السيئ ! والله تعالى يدبر لك الخروج من شركهم . وتدبر الله هو الخير وهو الأقوى والغالب .

٣١ - واذكر ، أيها النبي ، معاناة المشركين عندما كنت تقرأ آيات القرآن الكريم ، وهي آياتنا ، فيذهب بهم فرط الجهل والغرور الى أن يقولوا : لو أردنا أن نقول مثل هذا القرآن لقلنا ، فما هو الا ماسطره الأولون من قصص !

٣٢ - واذكر أيها النبي كيف ذهبوا في محامدك ومحادثة الله أن قالوا معاندين موجّهين النداء لله ريم : ان كان مايجي ، به هو الأمر الثابت ، فاجعل السهام تطرر حجارة ، أو أنزل عذابا شديدا أيها .

٣٣ - وماكان من حكمة الله تعالى أن يعذبهم في الدنيا بعذاب شديد وأنت تدعو الى الحق راجيا اجابتهم ، وماكان من شأن الله أن يعذب الصاة وهم يستغفرونه ويقطعون عاهم فيه .

٣٤ - وإن حالهم القافة الآن تسوخ تعذيبهم ، لأنهم يمنعون الناس من المسجد الذي حرم الله القتال حوله ، ولكن يؤخرهم الله لما قدره في علمه من إبان الكثيرين منهم ، وانهم في حالهم هذه ليسوا نصراء ذلك المسجد المكرم ، لأنهم دنسوه بالوثنية وانما نصرائه الحقيقيون هم المؤمنون الطاهسون لله ، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون الدين ، ولانماهم ذلك البيت الكريم .

مُكَاهًى وَصَدِيدَةً فَلَمَّا طُلِيَ اللَّذَابُ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْقُوتُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي حَسْرَةٍ أَوْ يَغْلِبُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٧﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَقَتْلُهُمْ هَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قُلُوبًا فَإِنْ أُنتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَوْا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعِمَّ الْمَوْلَىٰ وَنِعِمَّ النَّصِيرُ ﴿٤١﴾ * وَأَعْلَوْا أَلَمَّا غَنَمْتُمْ مِنْ قَتَىٰ وَقَاتَ اللَّهُ مُمْسِكًا لِلرَّسُولِ وَلِذِي

﴿٣٥﴾

٣٥- وما كان دعاؤهم وتضرعهم عند هذا البيت العظيم الاصفوا وصفقا بالايدي ، واذا كان تلك حالكم فتلقوا الموت وذوقوه في ميدان القتال ، لينزاح الشرك عن البيت ، وذلك القتل فيكم بسبب كفركم .
٣٦- ان هؤلاء الذين جعدوا بالآيات وأشركوا بالله ، ينقون أموالهم لينعموا الناس عن الايمان بالحق ، وهم سينفقونها ، ثم تكون الأموال بسبب ضياعها عليهم من غير جدوى موجبة للندم والألم ، وسيغلبون في ميدان القتال في الدنيا ، ثم يجمعون الى جهنم في الآخرة ان استمروا على كفرهم .

٣٧- وان الهزيمة في الدنيا ، والعذاب بالنار في الآخرة ، ليفصل الله الخبيث النفس والفصل والنسول عن الطيب في نفسه وقلبه وقوله وفعله ، ولجعل الخبيث بعضه فوق بعض ، فيجمعه ويضم أجزائه ويجعله في النار يوم القيامة ، وأولئك المشركين للمفسدين هم الخاسرون وحدهم في الدنيا والآخرة .

٣٨- وإن باب الرجاء مفتوح مع هذا الترهيب ، فقل ، يابني الرحمة ، هؤلاء المجاهدين إنهم إن انتهوا من الضناد والاشراك فإن الله يغفر لهم ماسبق من أفعالهم . وإن استمروا على ضلالهم وعادوا الى قتالكم ، فقد تضررت الطريقة للحق في الأولين ، وهي نصر الحق على الباطل ، ان التزم أهل الحق الطاعة وسبيل النصر .

٣٩- واستمروا في قتال المشركين حتى يمتنعوا عن افسادهم لعقائد المؤمنين بالاضطهاد والأذى ، فان انتهوا عن الكفر وايداء المؤمنين ، وخلص الدين لله ، فإن الله تعالى عليهم بأفعالهم وبماجزهم عليها^(١) .

٤٠- وان استمروا على اعراضهم وايدائهم للمؤمنين ، فاعلوا أيها المؤمنون انكم في ولاية الله ، وهي أحب ولاية وأقواها ، وهو ناصركم ، ونصرته أقوى نصرة وأعظمها .

(١) يراجع التلخيص العلمي على آيات القتال من سورة البقرة ١٩٠ - ١٩٤ .

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ ۖ وَالْحَمْلَى وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدَّةِ الدِّينِ وَهُمْ بِالْعُدَّةِ الْقَصْوَى وَالرَّكِبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمَعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَبِحِبِّهِمْ حَىٰ عَنْ بَيِّنَةٍ ۖ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكِبِكُمْ لَئِلَّا وَلَوْ أُرْسِلْتُمْ كَثِيرًا لَفِشَلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّخَذْتُمْ فِيهِمْ قُلُوبًا وَيُقِلُّكُمْ

٤١ - واعلموا، أي المسلمون، أن ما ظفروا به من مال الكفار فحكه أن يقسم حصة أخلاس، خمس منها لله وللرسول ولقراية النبي واليتامى، وهم أطفال المسلمين الذين مات أبائهم وهم فقراء، والمساكين، وهم ذوو الحاجة من المسلمين، وابن السبيل، وهو النقط في سفره المباح. والمخصص من خمس الغنيمة لله وللرسول يرصد للمصالح العامة التي يقرها الرسول في حياته، والامام بعد وفاته، وباقي الخمس يصرف للمذكورين. واما الأخلاس الأربعة الباقية من الغنيمة، وسكت عنها الآية، فهي للمقاتلين، فاعلموا ذلك، واعلموا به أن كنتم آمنتم بالله حقاً، وآمنتم بما أنزلنا على عبدنا محمد من آيات التثبيت والمدد، يوم الفرقان الذي فرقنا فيه بين الكفر والايان، وهو اليوم الذي اتى فيه جمعكم وجمع الكافرين بيد، والله عظيم القسمة على كل شيء، وقد نصر المؤمنين مع قتلهم وغفل الكافرين مع كفرتهم.

٤٢ - واذكروا حين كنتم في الوادي بأقرب الجانين من المدينة، وهم بأبعد الجانين، وركب التجارة الذي تطلبونه أقرب اليكم مما يلي البحر، ولو تواعدتم أنتم على التلاقي للقتال لما اتفقت عليه، ولكن الله دبر تلاقيكم على غير موعد ولا رغبة منهم. لينفذ أمراً كان ثابتاً في علمه أنه واقع لا محالة، وهو القتال المؤدى الى نصركم وهزيمتهم، لتنتقع الشبهات، فهلك المالكين عن حجة بيّنة بالمشاهدة، وهي هزيمة الكثرة الكافرة، وبغيا المؤمنين عن حجة بيّنة، وهي نصر الله للقلّة المؤمنة. إن الله لسميع عليم لا يخفى عليه شيء من أقوال الفريين ولا نياتهم.

٤٣ - واذكر، أي الرسول، حين تفضل الله عليك، فصور لك في منامك جيش الأعداء في قلة ليطمئنتكم على أنكم مستطوعونهم، ففتشوا أمام جمعهم ولو ترككم تروهم كثيراً، دون أن يشيكم بهذه الرؤيا، ليهتموهم، ولتردوهم في قتالهم، ولعجزتم، وكان التنازع في الاقدام وعدمه، ولكن الله سلم من ذلك ونجس من عواقبه، انه علم بما في القلوب التي في الصدور.



فَاعْتَبِرْهُمْ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۖ وَلَهُ اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ قَوْمًا قَاتِلُوا وَأَذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ كَثِيرٌ أَلْعَلَّكُمْ تَنْفَلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن تَفْتَنُوا وَتَهْتَبُوا رِجْعَكُمْ وَأَصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِينِهِمْ بَطَرًا وَرِهَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ

٤٤ - واذكر، أيها الرسول، حيثما كان الله يريكم أعداءكم عند التلاقى فله في أعينكم، كما يظهركم الله في أعين أعدائكم فله، ولما في أنفسهم من الضرور بالكثرة، ليقيم كل منكم على قتال الآخر، فيتم تنفيذ أمر علمه الله، وكان لابد أن يتم، وإلى الله ترجع أمور العالم كله، فلا ينفذ إلا ما قضاه وحيا أسبابه.

٤٥ - أيها الذين آمنوا إذا لقيتم جماعة مقاتلة من أعدائكم فاقبلوا ولا تفسروا واذكروا الله متثلين قدرته وحسن وعده بنصر المؤمنين، كثيرين في ذلك الذكر مع الثبات والصبر، فانكم إن فعلتم ذلك كان رجاؤكم للفلاح محققا^(١).

٤٦ - وأطيعوا الله ورسوله فيما أمرتم به أو نهيت عنه، ودعوا التنازع والاختلاف، فإنها مدعاة إلى ضياع القوة وإلى العجز، وأصبروا على ما تلقون من مكاره الحرب، فإن الله مع الصابرين بالصون والتأييد والتثبيت وحسن الجزاء.

٤٧ - ولا تكونوا كأولئك الذين خرجوا من ديارهم، مفرودين بهم من قوة ونعمة، فمفارين ومتظاهرين بها أمام الناس، يزيدون الشاء عليهم بالشجاعة والغلبة، وهم بذلك يصدون عن سبيل الله والاسلام، والله محيط بأعمالهم علما وقدره، وسوف يجازيهم عليها في الدنيا والآخرة.

٤٨ - واذكروا، أيها المسلمون، حيثما حسن الشيطان لهؤلاء المشركين أعمالهم يوسوسه، قاتلا لهم: انه لا يستطيع أحد من الناس أن يخلصهم، ويؤكد لهم أنه يجرهم؛ فلما تقابل الفريقان في الحرب بطل كيده ووسوسته ورجع مدبرا، وتبرأ منهم، وخاف ان يهلكه الله، والله شديد العقاب على الذنوب.

(١) في الآيات الكريمة تنبيه لضرورة الثبات في وجه العدو وان العبد ينشئ الا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ الى الله عند الشدائد، وفي ذلك أيضا تنبيه الى أهمية التدين والايان في دفع الروح المعنوية والثبات وفي الآيات أيضا إضمار لأهمية الطاعة وتنفيذ ما أمر الله ورسوله به حتى لا يندب الفضل نتيجة الفتنة كما ينشئ عدم التفاهر والتبايع بالمعطة والانصراف الى الظاهر بالشجاعة والسباحة والرياء.

وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأُذُنَهُمْ وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَلَّمْتَ أَيْدِيكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ لِلْعِمِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَّابٌ هَٰ
فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخْلَعْنَاهُمْ اللَّهُ يَذُّوهُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ
اللَّهَ لَا يَكُ مَغْرِبًا تَقَمَّةً أَنْعَمَّا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۖ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّابٌ هَٰ
فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَخْلَكْنَاهُمْ وَيُغَيِّرُهُمْ وَأَعْرَفْنَا هَٰلَ فِرْعَوْنَ ۖ وَكُلُّ كَاثِرٍ

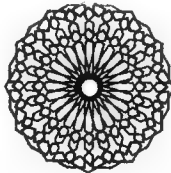
٤٩ - واذكر، أيها الرسول، حينا يقول المنافقون من الكفار وضعفاء الإيمان عند رؤيتكم في إقدامكم وبناتكم؛
غر هؤلاء المسلمين دينهم !! وان من وكل الى الله أمره مؤمنا به معتمدا عليه، فان الله يكتفيه ماأهه، وينصره على
اعدائه، لأن الله قوى السلطان حكيم في تدبيره.

٥٠ - ولو ترى، أيها الرسول، ذلك الهول المظلم، الذى ينزل هؤلاء الكفار حين تنزلهم الملائكة فيزعون
أرواحهم، وهم يضربونهم من امام ومن خلف، ويقولون لهم: ذوقوا عذاب النار بسبب أفعالكم السيئة !!

٥١ - وان الله ليس ظالما لعبيده في تعذيبهم على ما ارتكبوه، بل ذلك هو العدل، لأنه لا يستوى المسىء
والحسن، فعقابه على ما اقترفوا من أعمال سيئة.

٥٢ - ان عادة هؤلاء المشركين وشأنهم في الكفر، كشأن الفراعنة وسائر العتاة من قبلهم. جسدوا منهم بآيات
الله، فعذبهم الله على ذنوبهم، وهو غير ظالم لهم. ان الله قوى في تنفيذ حكمه، شديد المجازاة لمن يستحق عقابه.

٥٣ - وهذا عدل في الجزاء، بسبب ان الله لا يغير نعمة أنعم بها على قوم، كلمة الأمن والرخاء والعافية،
حتى يغيروا هم ما بأنفسهم من الأحوال والأسباب ! وان الله سميع لما يقولون عليهم بما يفعلون.



ظُلِيلِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا تَثَقَفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعْنَهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا تَحَفَّنَ مِنَ قَوْمٍ رِيَاةً فَأُنْذِرَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴿٥٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقًا إِنَّهُمْ لَا يَعْبُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ

٥٤ - وكما أن دأب هؤلاء، في الإنكار لآيات الله ونعمه كذاب آل فرعون والذين من قبلهم فإن دأبهم وشأنهم في الاستمرار على التكذيب برسله ودلائل نبوتهم، كذاب آل فرعون والذين من قبلهم فالنسخة بينهم في الكفر بالآيات، ووجود رسالة الرسل، وتكذيبهم، وفي الاستمرار على ذلك. فكلما أخذ الله بذنبه أولئك بالصواعق والرياح ونحوها، وآل فرعون بالفرق، وكلهم كانوا ظالمين لأنفسهم، واستحقوا منازل بهم من العقاب.

٥٥ - إن شر ما يندب على وجه الأرض عند الله في حكمه وعده، هم الكفار المصرون على كفرهم.

٥٦ - الذين عقدت معهم المهود والمواثيق، ولا يزالون ينقضونها مرة بعد مرة، وهم اليهود لا يردعهم عن ذلك تعظيم الله، ولا خوف من تقته وعذابه.

٥٧ - فإن تدرك أيها الرسول، هؤلاء الناقضين لمعهدهم، وتصادفهم في الحرب ظافرا بهم، فنكل بهم تنكيلا يسوؤهم وعظيف من وراهم، فتفرق جموعهم من خلفهم. فذلك التنكيل أرجى لتذكيرهم بنقض المهود، ولدفع غيرهم عن الوقوع في مثل ما وقع فيه هؤلاء^(١).

٥٨ - وإن توقع من قوم خيانة بأمارات تنبه بنقضهم لما بينك وبينهم من العهد، فاقطع عليهم طريق الحياة لك، بأن تعلن فسخك لمعهدهم، حتى يكونوا على علم بأمرك، وحتى لا يستطيعوا خيانتك، إن الله لا يحب الخائنين ولا يرضى أن توصفوا بوصفهم.

٥٩ - ولا يظن الذين كفروا أنهم سبقوا ولجوا من عاقبة حياتهم وغدرهم، إنهم لا يعجزون الله عن الإحاطة بهم، بل هو القادر وحده، وسيجزئهم بقوته وعده.

(١) في الآيات الكريمة تحذير من الذين يهاجمون ثم ينقضون العهد هؤلاء يجب التنكيل بهم وبمن وراهم وفي الآية بيان لأهمية تدمير مؤخره العدو وهو أسلوب من أساليب القتال المعينة لأن إيقاع الاضطراب في مؤخره العدو كليل يربكه ودفعه الى توزيع جنوده لحماية مؤخره وفي هذا تفكيك لقوته.

يضان الى ذلك أن في المناطق الخلفية من ميادين القتال توجد المنشآت الادارية التي تعتمد عليها القوات في الاعاشة ووقوع الاضطراب في هذه الاماكن يؤدي الى عدم انتظام القوات وبالتالي الى إيقاع الخيبة بالعدو.

وَكَاثِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَسْمِعُ هُمْ مَا تَكْتُمُونَ ۖ وَمَا تَشْعُرُونَ مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَبُوءُ بِالَّذِي لَهُ نَفْسٌ وَلَا تُكَلِّمُونَ ۖ
 * وَإِنْ جَحَدُوا بِالسَّلامِ فَاجْتَبِهْ مَا وَقَلَ عَلَى اللَّهِ إِنْهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَصَبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيدِكَ بِقُوَّةٍ رِجْوَاهُ ۖ وَالْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْف بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۖ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ۖ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۖ يَأْتِيهِمْ الْيَقِينُ ۖ حَصَبَكَ اللَّهُ وَمَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ يَأْتِيهِمْ الْيَقِينُ ۖ حَرِصٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۖ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَالِحُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۖ وَإِنْ

٦٠ - وأعدوا يا مشر المسلمين لمواجهة أعدائكم ما استطعتم من قوة حربية شاملة لجميع عتاد القتال ، ومن المرابطين في الثغور وأطراف البلاد بجيولهم ، لتغيثوا بهذا الأعداد والرباط عدو الله وعدوكم ، من الكفار المرتبطين بكم الدوائر ويغيثوا آخرين لا تعلمونهم الآن والله يعلمهم . لأنه لا يخفى عليه شيء . وكل ما أنفقتم من شيء في سبيل إعداد القوة قاصدين به وجه الله ، فإن الله يجزيكم عليه جزاء وافيا ، دون أن يتقصم مقال ذرة . مما تستحقون من فضل ربكم (١) .

٦١ - وإن مال الأعداء عن جانب الحرب إلى جانب السلم ، فاجتنب لها أيها الرسول ، فليست الحرب غرضا مقصودا لذاته عندك إنما أنت قاصد بها الدفاع ، لصدوتهم ، وتحديثهم لدعوتك . فاقبل السلم منهم ، وتوكل على الله ، ولا تخف كيدهم ومكرهم أنه سبحانه هو السميع لما يشارون به ، الصالح بما يديرون ويأثرون ، فلا يخفى عليه شيء (٢) .

٦٢ - وإن أوردوا من تظاهروهم بالجروح إلى السلم خدعة ومكرا بك ، فإن الله يكتيك أمرهم من كل وجه ، وقد سبق له أن أيدك بنصره ، حين هيا لك من الأسباب الظاهرة والخفية ما تبث به قلوب المؤمنين من المهاجرين والأنصار .

٦٣ - وجمع بينهم على الهدية بعد التفرق والتعادي ، فأصبحوا ملتفين حولك ، بإذنين أرواحهم وأموالهم في سبيل دعوتك ، وإنك لو أنفقت جميع ما في الأرض من الأموال والمنافع ، في سبيل هذا التأليف ، لما أمكنك أن تصل إليه ، لأن القلوب بيد الله ، ولكن الله ألفت بينهم ، يهديهم إلى الإيمان والهدية والأخاء ، وأنه تعالى قوي غالب ، يدير أمر العباد على مقتضى ما ينفعهم .

٦٤ - يا أيها النبي كفك وكفى أتباعك المؤمنين أن الله لكم ناصرا ومؤيدا .

(١) في الآية الكريمة حث صريح وأمر على الاستعداد للاقاة العدو فالجرب قديا وحديثا أمر خطير جال توقف عليه مصائر الأمم لذلك فهي جديرة بالتأخير والتجهيزات والأعداد في مختلف تواسي العدد والقوة والقتال ودخول الحرب دون تجهيز وأعداد يسبب الفشل ونحن نرى الدول الآن تستعد في وقت السلم للحرب وتبني سياستها واستراتيجيتها وتبني جميع مواردها للحصول على النصر في الحرب والحرب الآن شاملة يشترك فيها الشعب والجيش وهي بذلك قول بأعداد كل منها أعداءا شاملا ضمن النصر .
 (٢) مبدأ عظيم من مبادئ الإسلام ونحن الآن نسمع كل دول العالم تتلفي بالسلام ولذا انتشرت هيئة الأمم المتحدة .

يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا آلَ مَنْ آتَيْنَهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَفَلَنْ خَشَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعِلْمَ أَنْ يَكُونَ صَعْقًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَارَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۖ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْجِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ النَّبِيِّ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْأَخِيرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كَتَبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا مَحْلَبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾ بَنَاءُ النَّبِيِّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَمْثَرِ إِنْ يَعْطَمُ

٦٥- يأيا النبي حث المؤمنين على القتال لإعلاء كلمة الله ورغهم بها وراه من غير الدنيا والآخرة، لتقوى بذلك نفوسهم وأنه ان يوجد منكم عشرين معتمدين بالآيمان والصبر والطاعة، يغلبوا مائتين من الذين كفروا، ذلك بأنهم قوم لا يدركون حقائق الأمور، فليس لهم إيمان ولا صبر ولا مطمع في ثواب..

٦٦- وإذا كان واجبك أيها المؤمنون أن تصبروا على ملاقة أعدائكم في حال قوتكم، ولو كانوا أمثالكم، فقد رخص الله لكم في غير حال القوة ان تصبروا أمام مثلكم فقط من الأعداء لعلهم أن فيكم ضحفا يقتضي التسير عليكم والفرغ منكم، بعد أن تثبت هبة الاسلام في نفوس الكفار، فان يكن منكم مائة مجاهد صابر يغلبوا مائتين من الكفار، وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بارادة الله ومعونته، والله مع الصابرين بنصره وتأنيده^(١).

٦٧- لا يسوغ لأحد من الأنبياء أن يكون له أسرى يحتجزهم، أو يأخذ منهم الفداء أو يمن عليهم بالعفو عنهم، حتى يغلب، ويظهر على أعدائه، ويقتلهم بالجراح، فلا يستطيعوا قتالا في الأرض، ولكتمكم، بإجماعة المسلمين، سارعتم في غزوة بدر إلى الحصاد الأسرى قبل التمكن في الأرض، تريدون منافع الدنيا والله يريد لكم الآخرة، بإعلاء كلمة الحق، وعدم الانكسار إلى ما يشغلكم عن الدنيا والله قوى قادر غالب، يدبر الأمور لكم على وجه النصفة.

٦٨- لولا حكم سابق من الله بالففو عن المجتهد المخطئ لأصابكم فيما أخذتم عذاب كبير بسبب ما تعجلتم به.

٦٩- فكلوا مما غنمتم من الفداء حلالا لكم غير خبيث الكسب، واتقوا الله في كل أموركم، ان الله عظيم الفئران والرحمة لمن شاء من عباده اذا أناب إلى ربه.

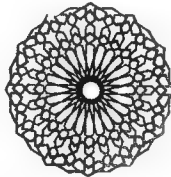
(١) في الآيات الكريمة بيان لأهمية الصلابة والراسخة والآيمان في الحرب فليس المهم العدو وإنما القوة قوة الروح المقاتلة وآيمان القلب، وهو أمر واضح في جميع الحروب على مر الزمان. وكمن من فئة قليلة قوية الآيمان بغضبتها غلبت فئة كبيرة ولا تؤمن بغضبتها المحاربة. وفي الآيات أيضا بيان لوضع القائد في المعركة فن واجباته تنظيم ودفع جنوده وتحريضهم على القتال ويدخل في ذلك ان يكون أسوة لهم وان يوضح لهم اساليب النصر وهذا وثاق من واجب كل قائد في كل زمان.

اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهِجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَدَيْنَا مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَهِجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوا فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ يَبِيحُ وَيَنْهَى عَنْهُمُ اللَّهُ أَنْ يَعْمَلُوا بَصِيرَةً ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِنْ لَا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ

٧٠- يأيها النبي، قل للذين وقصوا في أيديكم من الأسرى: ان يكن في قلوبكم خير يعلمه الله، يخلف لكم خيرا مما أخذ من المؤمنين منكم، ويغفر لكم ماكان من الشرك والسببات، والله كثير المفرة والرحمة لمن تاب من كفره ومن ذنبه.

٧١- وان يريدوا خيانتك بماظهر بعضهم من الميل الى الاسلام مع انطواء صدورهم على قصد تخادعتك، فلا تبئس، فسيمكنك الله منهم، كما خابنوا الله من قبل بالتحاذ الأنداد والشركاء والكفر بنصته، فأمكن منهم اذ نصرك عليهم في بدر، مع النضوات بين قوتك في القلة، وقوتهم في الكثرة، والله قوى غالب متصرف بحكته فأمكن من نصره عباده المؤمنين.

٧٢- إن الذين صدقوا بالحق وأذعنوا لحكمه، وهاجروا من مكة، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، والذين أووههم في غربتهم، ونصروا رسول الله يقاتلون من قاتله، ويهادون من عاداه، بعضهم نصره بعض في تأييد الحق وإعلاء كلمة الله على الحق. والذين لم يهاجروا، لا ثبت لهم شيء من ولاية المؤمنين ونصرتهم، اذ لا سبيل الى ولايتهم حتى يهاجروا، وان طلبوا منكم النصر على من اضطهدهم في الدين، فانصروهم. فان طلبوا النصر على قوم معاهدين لكم، لم ينقضوا الميثاق منكم، فلا تجيبوهم، والله بانعملون بصير لا يخفى عليه شيء، فقفوا عند حدوده فلا تقصروا في عذابه.

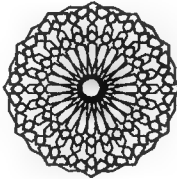


كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا
الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

٧٣ - والذين كفروا بعضهم أولياء بعض فهم متناصرون على الباطل ، متعاونون في عداوتكم ، فلاتوالوهم ،
فإن خالفتم وواليتموهم ، تقع الفتنة في صفوفكم والفساد الكبير في الأرض .

٧٤ - والذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله ، والذين آوهم ونصروا الحق وكلمة الله ، هم الصادقو الايمان ،
والله تعالى يفر لهم ، ولهم رزق كبير في الدنيا والآخرة .

٧٥ - والذين آمنوا بعد الأولين وهاجروا أخيرا وجاهدوا مع السابقين ، فأولئك منكم بإجماعة المهاجرين
والأنصار ، لهم من الولاية والمقوق ما لبعضكم على بعض . وذو الأرحام من المؤمنين لهم - فضلا عن ولاية
الإيمان - ولاية القرابة ، فبعضهم أولى ببعض في المودة والمال والنصرة والتأييد ، وقد بين ذلك في كتابه وهو العليم
بكل شيء .





بَرَاءَةً مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَيَسْجُدُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْبُدُوا

سورة التوبة مدنية، نزلت بالمدينة في العام التاسع، وحملها علي بن أبي طالب إلى المسلمين في الحج، وقرأها عليهم، وأمير الحج في هذا العام أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأياتها تسع وعشرين ومائة، وقد ابتدأت ببراءة الله تعالى من المشركين، ولذلك سميت سورة براءة، وذكرت بعد ذلك حرمة الأشهر الحرم، وعهد المشركين، ووجوب الوفاء حال ينكحوا، ومن ينكح في العهد فإنه يجب حربه، وبينت بعد ذلك أن لب التقرب إلى الله تعالى هو الإيمان به، وأنه لا يكفل الإيمان إلا إذا كان الله ورسوله أحب إلى المؤمنين من كل شيء وذكر سبحانه أن الاعتزاز بالقوة، يبعد النصر وأشار إلى حال المسلمين في غزوة حنين. وفي هذه السورة حرم على المشركين دخول المسجد الحرام، لأشهر خمس.

وفيها النص على وجوب قتال اليهود والنصارى حتى يبطوا الجزية عن يد، وبين فيها عدد الأشهر الحرم، وفيها بينت ضرورة النفرة إلى القتال عند كل نداء من غير تلكؤ، وفيها من بعد ذلك إشارات إلى المهلفين والمؤفين عن الخروج للقتال، وبيان أحوال المنافقين الذين ينتفضون الفتنة في كل وقت تكون الدعوة فيه إلى القتال، وذكر الله تعالى المنافقين في معاملتهم للمؤمنين في السلم وفي الحرب.

وفي هذه السورة الأمر القاطع الملحق لعقوبة النفاق، وهو ألا يصل النبي ﷺ على أحد منهم، وذكر سبحانه بعد ذلك الأعذار التي تسوغ التخلف، وبين سبحانه حال الذين أظهروا الدخول في الاسلام من الأعراب، أو خضعوا لأحكامه بعد أن صارت له قوة، وبين أن هؤلاء الأعراب مقيمون حول المدينة وقربا منها.

وذكر من بعد ذلك أحوال الناس بالنسبة للإيمان، وذكر خير مسجد الضرار الذي بناه المنافقون لينضوا من المسجد الذي بناه رسول الله ﷺ، ثم ذكر سبحانه أوصاف المؤمنين الصادقين في إيمانهم، وتوبة الذين كانوا قد خلفوا عن رسول الله ﷺ، وقبول الله تعالى لهذه التوبة، كما ذكر سبحانه وتعالى أحوال الناس في تلقى آيات القرآن عند نزولها، وغتم سبحانه وتعالى السورة بأن الله تعالى اختار محمدا للرسالة وهو لا يريد عتق من أرسل إليهم، وأنه يعم رعون رحيم، وأن الله حسيب إذا تولوا عنه .

١ - الله ورسوله بريئان من المشركين الذين عاهدوهم فنتقضوا العهد.

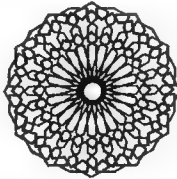
أَنْتَكُمُ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ قُولْتُمْ فَأَعْلُوا أَنْتَكُمُ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَرِّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَلَابِ الْأَيْمِ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَمْذًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ لِمَتَّيُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٣﴾ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فِيمَا تَابُوا وَأَقْلُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَاعْلُوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ

٢ - فلكم الأمان أيًا المشركين - مدة أربعة أشهر - من حين البراءة تنتقلون فيها حيث شئتم ، واعلموا انكم حينئذ كنتم خاضعين لسلطان الله ، وأنتم لا تعجزونه ، وإن الله كاتب الحزبي على الذين يبعدهونه .

٣ - وبلاغ من الله ورسوله إلى الناس عامة ، في مجتمعهم يوم الحج الأكبر ، أن الله ورسوله بريئان من عهود المشركين المقاتلين . فأيها المشركون الناقضون للمهد ، إذا رجعت عن شرككم بالله ، فإن ذلك خير لكم في الدنيا والآخرة ، أما إن أعرضتم وبقيتم على ما أنتم عليه ، فاعلموا أنكم خاضعون لسلطان الله . أيها الرسول أنذر جميع الكافرين بعذاب شديد الأيلام .

٤ - أما من عاهدتم من المشركين ، فحافظوا على عهودكم ولم يخلوا بشئ منها ولم يعينوا عليكم أحدا ، فأوفوا لهم عهدهم إلى نهايته واحترموه .. إن الله يحب المتقين المحافظين على عهودهم .

٥ - فإذا انقضت مدة الأمان - الأشهر الأربعة - فاقتلوا المشركين الناقضين للمهد في كل مكان ، وخذوهم بالشدة ، واضربوا الحصار عليهم بسد الطرق ، واقعدوا لهم في كل سبيل ، فإن تابوا عن الكفر ، والزموا أحكام الإسلام بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، فلا سبيل لكم عليهم لدخولهم في دين الله ، والله عظيم المغفرة لمن تاب ، واسع الرحمة بعباده .



كَلَّمَ اللَّهُ ثُمَّ ابْلَغَهُ مَاسَهُ^٦ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ③ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ④ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ⑤ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً^٧ يُرْضُونَكُمْ بِأَقْوَاهِمَ^٨ وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ⑥ اشْتَرَوْا بِعَايَتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ^٩ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ⑦ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ⑧ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِوُنْكُمْ فِي الدِّينِ وَتَفَصِّلِ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ⑨ وَإِن نَّكُنُوزًا^{١٠} أَتَيْنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَلِيلًا أُمَّةٌ الْكَافِرِ^{١١}

③

٦ - وإن طلب منك الأمان ، أيها الرسول ، أحد من المشركين الذين أمرتم بقتالهم ليسمع دعوتك ، فأنته حتى يسمع كلام الله ، فإن دخل في الاسلام فهو منكم ، وإن لم يدخل فأبافه مكانا يكون فيه أمانا . وهذا الأمر بتأمين المستجير حتى يسمع كلام الله بسبب ما ظهر من جهله للاسلام ، ورغبته في العلم به .

٧ - كيف يكون هؤلاء المشركين ، الناقضين للعهد مرارا ، عهد عسكرهم عند الله وعند رسوله ؟ فلا تأخذوا بهودهم ، إلا الذين عاهدتوهم من قبائل العرب عند المسجد الحرام ثم استقاموا على عهدهم ، فاستقيموا أنتم لهم على عهدهم ماداموا مستقيمين ، إن الله يحب الطائعين له الموفين بعهدهم .

٨ - كيف تحافظون على عهدهم ، وهم قوم - إن يمشكوا منكم ويكونوا ظاهرين عليكم - فلن يدخروا جهدا في القضاء عليكم ، غير مراعين فيكم قرابة ولا عهدا ، وهؤلاء يخذعونكم بكلامهم المنسول ، وقلوبهم منطوية على كراحتيكم ، وأكثرهم خارجون عن الحق ناقضون للعهد .

٩ - أعرضوا عن آيات الله واستبدلوا بها عرضا قليلا من أعراض الدنيا ، ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله ، إن هؤلاء قبيح ما كانوا يعملون .

١٠ - تلك حال جسدوهم ، لا يحترمون لمؤمن قرابة ولا عهدا ، وهؤلاء هم الذين من شأنهم الاعتداء ، فهو مرض لازم لهم .

١١ - فإن تابوا عن الكفر ، والتزموا أحكام الاسلام بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، فهم اخوانكم في الدين ، لهم مالكم وعليهم ما عليكم ، وبين الله الآيات لقوم ينتفعون بالعلم .

لَهُمْ لَا آئِينَ لَهُمْ لَعْنُهُمْ يَنْتَوْنَهُ ۖ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَتُوا أَيْمَانَهُمْ وَّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ بَدَّؤُوا ۚ أَوَّلَ
 مَرَّةٍ أَخَذْتَهُمْ ۖ قَالَ أَهَقُ أَنْ نَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ قَتَلُوهُمْ يَعِدُكُمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ
 وَيُفِئُ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ۖ وَيَذْهَبُ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ أَمْ
 حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَخْلُدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
 وَلِجَعٍ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ
 أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

١٢ - وإن نقضوا عهدهم من بعد توكيدها، واستمروا على الظن في دينكم، فقاتلوا رؤساء الضلال ومن معهم، لأنهم لا عهد لهم ولا ذمة، لينتهوا عن كفرهم.

١٣ - هلا تسارعن، أي المؤمنون، إلى قتال جماعة من المشركين، نقضوا عهدهم مرارا، وقد سبق أن هوا بإخراج الرسول من مكة ويقتله، وهم الذين بدأوا بالأيذاء والدوان من أول الأمر، أنخافوهم ؟ لا تخافوهم فأله وحده أحق بأن تخافوه، إن كنتم صادقين في إيمانكم.

١٤ - قاتلوهم أي المؤمنون، يذقهم الله العذاب على أيديكم، وينهم وينصرهم عليهم، ويشف يهزيمهم وإعلاء عزة الاسلام ما كان من ألم كامن وظاهر بصور قوم مؤمنين طالما لحقهم أذى الكفار.

١٥ - ويأله قلوب المؤمنين فرحا بالنصر بعد الهزم والخوف، وينهب عنهم الفسيف، ويقبل الله توبة من يشاء توبته منهم، والله واسع العلم يشئون صلته، عظيم الحكمة فما يشرع لهم.

١٦ - لا تظنوا أي المؤمنون أن يترككم الله تعالى دون اختيار لكم بالجهد ونحوه. إن من سنته تعالى الاختبار، ليظهر علمه بالذين جاهدوا منكم مخلصين، ولم يتخذوا سوى الله ورسوله والمؤمنين بطانة وأولياء، والله عليم بجميع أعمالكم، ويجازيكم عليها.

١٧ - ليس المشركين أهلا لأن يعمروا مساجد الله، وهم مستمرون على كفرهم، معلنون له، أولئك المشركون لا اعتداد بأعمالهم ولا ثواب لهم عليها، وهم خالدون في النار يوم القيامة.



وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّكَ لَرَكْعَةٌ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهُ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ * أَجَلْتُمُ سَفِيلَةَ الْحَيَاةِ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَابَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يَبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْمِلُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أُولَٰئِكَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

١٨ - ولكن الذين يعمرن مساجد الله ، إنما هم الذين آمنوا بالله وحده ، وصدقوا بالبعث والجزاء ، وأدوا الصلاة على وجهها ، وأخرجوا زكاة أموالهم ، ولم يخشوا الا الله وحده ، وهؤلاء يرجى لهم أن يكونوا عند الله من المهتدين الى الصراط المستقيم .

١٩ - لا ينبغي أن يحملوا القالين بسقاية الحجيج وعماره المسجد الحرام من المشركين في منزلة الذين آمنوا بالله وحده ، وصدقوا بالبعث والجزاء ، وجاهدوا في سبيل الله . ذلك أنهم ليسوا بجزلة واحدة عند الله . والله لا يهدي الى طريق الخير القوم المستمرين على ظلم أنفسهم بالكفر وظلم غيرهم بالأذى المستمر .

٢٠ - الذين صدقوا بوحدة الله ، وهاجروا من دار الكفر الى دار الاسلام ، وتحملوا مشاق الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، أعظم منزلة عند الله ممن لم يتصف بهذه الصفات وهؤلاء هم الظافرون بثوبة الله وكرامته .

٢١ - وهؤلاء يبشّرهم الله تعالى برحمته الواسعة التي تشملهم ويخصهم برضاء ، وهو أكبر جزاء ، وسيدخلهم يوم القيامة جنات لهم فيها نعيم قائم ثابت دائم .

٢٢ - وهم خالدين في الجنة لا يتحولون عنها ، وإن الله عنده أجر عظيم وخواب جزيل .

٢٣ - يأبى المؤمنون لا تتخفوا من آياتكم وأبنائكم وإخوانكم وعشيرتكم وأزواجكم ، نصراهم لكم ، ماداموا يحبون الكفر ويفضلونه على الايمان ومن يستنصر بالكافرين ، فأولئك هم الذين تجاوزوا الطريق المستقيم .

وَمَسْكِينٌ رَزَقْنَاهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّا تَرَوُهَا وَعَذَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يٰ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ

٢٤ - قل يا أيها الرسول للمؤمنين : إن كنتم تحبون آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم ، وأقرباءكم ، وأموالاً اكتسبتموها ، وتجارة تخافون بوارها ، ومساكن تستريحون للإقامة فيها أكثر من حيككم لله ورسوله والجهاد في سبيله ، حق فخلتكم عن مناصرة الرسول ، فانتظروا حتى يأتي الله بحكمه فيكم وعقوبته لكم . والله لا يهدي الفاسقين على حدود دينه .

٢٥ - لقد نصركم الله أيها المؤمنون على أعدائكم في كثير من المواقع بقوة إيمانكم ، وحين غرتكم كثرتكم في معركة حنين ترككم الله لأنفسكم أول الأمر ، فلم تنفعكم كثرتكم شيئا وظهر عليكم عدوكم . ولئسد الفزع ضاقت عليكم الأرض ، فلم تجدوا سبيلا للقتال أو النجاة الشريفة ، ولم يجد أكثركم وسيلة للنجاة غير الهرب ، ففررهم منهزمين ، وتركهم رسول الله مع قلة من المؤمنين^(١) .

٢٦ - ثم أدرتكم عناية الله ، فأنزل الطمأنينة على رسوله ، وملأ بها قلوب المؤمنين ، وأمدكم بالملائكة جنوده التي ثبتت أقدامكم ولم ترها . فانتصرتم .. وأذاق الله أعداءكم مرارة الهزيمة وذلك جزاء الكافرين في الدنيا .

٢٧ - ثم يقبل الله توبة من يشاء من عباده فيغفر ذنبه ، إذا رجع عنه مخلصا ، والله عظيم المغفرة واسع الرحمة .

(١) كانت موقعة حنين بين المسلمين وقياني نيف وهوازن وكان جيش المسلمين فيها يبلغ نحو اثني عشر الفا وعدد الكفار نحو أربعة آلاف وقد شدوا في القتال ، لأن القضاء عليهم قضاء على آخر نفوذ الوثنية في العرب . لأن مكة فتحت قبل ذلك بتبليط وقد اتى القرظان المؤمنون بكثرتهم وقد أعجبهم وأولئك يقتلهم العنيفة وكانت المجرة للترك لفرور المسلمين ولكن انتهت المعركة بنصر المؤمنين . والعبرة في هذه الفقرة أن الكثرة السعدية ليست هي عامل النصر إنما عامل النصر هو القوة الصورية .

بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ، وَإِنْ خَشِمَ عَمِلَ فَسَوْفَ يُعَذِّبُكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَالُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّي أَيْنَ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ أَيْنَ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قُتِلَتْهُمْ أَهْلُ الْقُرَى الَّذِينَ يَدْعُونَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهُكُمُ الْوَاحِدَ ۖ تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

٢٨ - يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، انما المشركون بسبب شركهم نجست نفوسهم وهم ضالون في الضلالة ، فلا تحكمهم من دخول المسجد الحرام بعد هذا العام (التاسع من الهجرة) . وإن خفتم فقرا بسبب انقطاع تجارتهم عنكم ، فإن الله سوف يعوضكم عن هذا ، ويعفيكم من فضله إن شاء ، إن الله عليم بشئونكم ، حكيم في تدبيره لها .

٢٩ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، قاتلوا الكافرين من أهل الكتاب الذين لا يؤمنون إيماننا صحيحا بالله ولا بقسرون بالبيت والجزاء إقرارا صحيحا ، ولا يلتزمون الانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه ، ولا يستقيمون الدين الحق وهو الاسلام ، قاتلوهم حتى يؤمنوا ، أو يؤدوا اليكم الجزية^(١) خاضعين طائعين غير متمردين . ليسهموا في بناء الميزانية الاسلامية .

٣٠ - ترك اليهود الوندانية في عقيدتهم ، وقالوا : عزيز^(٢) ابن الله وترك النصارى الوندانية كذلك فقالوا : المسيح ابن الله . وقولهم هذا مبتدع من عندهم ، يردونه بأفواههم ولم يأتهم به كتاب ولا رسول ، وليس عليه حجة ولا برهان ، وهم في هذا القول يشابهون قول المشركين قبلهم ، لمن الله هؤلاء الكفار وأهلكهم ، عجايبهم كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ويصلون إلى الباطل .

(١) الجزية من الموارد الهامة في ميزانية الدولة الاسلامية وكانت هذه الضريبة تتراوح ما بين ثمانية واربعين درهما . واتى عشر درهما للفرد الواحد تؤخذ من اليهود والنصارى ومن في حكمهم وكانت واجبة على الذكر البالغ الصحيح الجسم والعقل بشرط ان يكن له مال يدفع منه فرض عليه واقعى منها النساء والأطفال والتبرع لأن الحرب لاتمن عليهم ولا يدفعها سوى المقصدون الا اذا كانا أغنياء وكذلك الفقراء والمساكين والأرقاء ولم يكن يطلب بها الرهبان اذا كانوا في عزلة عن الناس .

وكان الاساس في فرض ضريبة الجزية حماية اهل التمة ورفع العدوان عنهم ، لأن أهل الكتاب ومن في حكمهم لم يكلّفوا الحروب أو الدفاع عن أنفسهم أو غيرهم فكان من المعتادة أن يدفعوا هذه الضريبة طمعا بالحماية والمنفعة ونظير تصهم بمراتب الدولة العامة وانها في مقابل ما يؤخذ من المسلم فإن المسلم يؤخذ منه خمس الغنائم والزكاة وصدة انظر والكفارات الخفيفة للذنوب فكان لا بد أن يؤخذ من غير المسلم ما يقابل القدر الذى يؤخذ من المسلم وهى تنفق في المصالح العامة وعمل فقراء اهل التمة الذين يدفعونها ولا يقصد بهد الضريبة الاقلال أو العقوبة لأن هذا لا يتفق وعقائد الاسلام ولا يتشوق مع غايته السامية .

(٢) عزيز هو عزرا الكاهن من نسل هارون خرج من بابل مع رجوع اليهود الثالث بعد وفاة رسول الله موسى بنحو الف عام ، وكان عزرا يلقب بالكاظم لأنه كان يكتب في شريعة موسى .

ملحوظة : خرج عزرا ومن معه من اليهود الى اورشليم سنة ٤٥٨ ق . م في السنة السابقة من حكم ارتخشستا ملك فارس بعد خراب اورشليم وحرق بيت المقدس ونهبه بيزن طويل .

إِلَيْهَا رَجَعُوا إِلَّا هُوَ مُجِبُّهُمْ عَنْ إِثْرِهِمْ ۖ يَرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَالِهِمْ وَيَبْئُتُوا اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُمْ تُوَدُّهُمْ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣١﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾ * يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَكُونُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصَدِّدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الثَّغَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكَوَّىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَأُخْرُؤُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۖ فَمَنْ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ عَذَابَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتُمْ عَشْرَ شَهْرٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خُلِقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حَرْمٌ ۚ ذَلِكَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ فَلَا تَقْلُبُوا فِيهِمْ أَنْفُسَكُمْ ۚ وَفَنِّلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ۚ

٣١ - الخففوا رجال دينهم أربابا ، بشرعون لهم ، ويكون كلامهم دينا ، ولو كان يخالف قول رسولهم ، فاتبصوهم في باطلهم ، وعبدوا المسيح ابن مريم ، وقد أمرهم الله في كتبه على لسان رسوله ألا يعبدوا إلا الها واحدا ، لأنه لا يستحق العبادة في حكم الشرع والمقل إلا الإله الواحد ، نزه الله عن الاشرار في العبادة والمخلوق والصفات .

٣٢ - يريد الكافرون بزعمهم الباطلة أن يطفئوا نور الله وهو الاسلام ، ولا يريد الله الا اتمام نوره ، بإظهار دينه ونصره رسولاه ، ولو كانوا كارهين لذلك .

٣٣ - هو الله الذي كفل اتمام نوره بإرساله رسولاه (محمد) ﷺ بالحجج والبيانات ، ودين الحق (الاسلام) ليعلم هذا الدين على جميع الأديان السابقة عليه ، وإن كرهه المشركون فإن الله يظهره رغبا عنهم .

٣٤ - يأبى المؤمنين : اعلموا أن كثيرا من علماء اليهود وrehبان النصارى يستحلون أموال الناس بغير حق ، ويستحلون نفقة الناس فيهم وأتباعهم لهم في كل ما يقولون ويعتصمون الناس عن الدخول في الاسلام ، والذين يستحذون على الأموال من ذهب وفضة حاسبين لها ، ولا يؤدون زكاتها ، فأنذرهم أنها الرسول بعذاب موجع .

٣٥ - في يوم القيامة ، يوقد على هذه الأموال في نار جهنم ، ثم تحرق بتلك الأموال الهمة جباه أصحابها ، وجنوبيهم ، وأظهرهم ويقال توبيخا لهم : هذا ما ادخرتموه لأنفسكم ، ولم تؤدوا منه حق الله ، فذوقوا اليوم عذابا شديدا .

يُقَاتِلُوا نَكَرَ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُخْلَعُونَ مِمَّا وَعَدُوا وَهُمْ غَاوٍ لِيُؤْطَعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَّهُمْ سُبُوهُ أَعْمَلِيهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَتَأْتِي آلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلَمْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ قَاتِلٌ مِّنْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا تَوَلَّى سَاءَ الْأَمْرِ إِنَّهُ إِذَا تَوَلَّى سَاءَ الْأَمْرِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَمْرُقُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا قَاتِلَ اللَّهِ سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّا تَرَوُهَا وَجَلَّ كَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ

٣٦ - إن عدة شهور السنة القمرية اثنا عشرة شهرا ، في حكم الله وتقديره ، وفيما بينه في كتبه منذ بدء العالم . ومن هذه الاثني عشر شهرا أربعة أشهر يحرم القتال فيها ، وهي : رجب والقعدة والحجة والحرم . وهذا التحريم للأشهر الأربعة المذكورة هو دين الله المستقيم ، الذي لا تبدل فيه ولا تغير . فلا تظلموا في هذه الأشهر أنفسكم باستحلال القتال أو امتناعكم عنه إذا أغار عليكم الأعداء فيها . وقالوا أيها المؤمنون جماعة المشركين دين امتنعناه أحد منهم ، كما يقاتلونكم مصادين لكم جميعا ، وكونوا على يقين من أن الله ناصر للذين يحسبون فيلزمون أوامره ويحسبون نواهيهِ .

٣٧ - وما تأخير هذه الأشهر الحرم أو بعضها عما رتبها الله عليه - كما كان يفعل أهل الجاهلية - إلا إيمان في الكفر ، يزداد به الذين كفروا ضلالا فوق ضلالهم ، وكان العرب في الجاهلية يميلون الشهر الحرام حلالا إذا احتاجوا القتال فيه ، ويميلوا الشهر الحلال حراما . ويقولون : شهر بشهر ، ليوافقوا عدد الأشهر التي حرمها الله ، وقد حسنت لهم أحوالهم أعالمهم السبية ، والله لا يهدي القوم الصريرين على كفرهم الى طريق الخير .

٣٨ - يأيها المؤمنون ما لكم حينما قال لكم الرسول : اخرجوا للجهاد في سبيل الله ، تباطأ بضعكم عن الخروج للجهاد ؟ لا ينفى ذلك عجا لكم أترثم الحياة الدنيا الفانية على الحياة الآخرة ونعيمها الدائم ، فما اتفق بالدينا ولذا نلناها في جنب متاع الآخرة إلا قليل تافه .

٣٩ - إن لم تستجيبوا للرسول ، فتخرجوا للجهاد في سبيل الله ، يعذبكم الله عذابا موجعا . ويستبدل بكم بكم قوما آخرين يستجيبون للرسول ولا يتخلفون عن الجهاد ، ولا تضرن الله بهذا التخلف شيئا . والله عظيم القدرة على كل شيء .

حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا مَعَكَ يَبْكَونَ أَنْفُسُهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِأَذْنِ لَمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَفِيدُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ

٤٠ - يأبى المؤمنون ، إن لم تنصروا رسول الله فإن الله قليل بنصره ، كما أبده ونصره حينما اضطره الذين كفروا إلى الخروج من مكة . وليس معه إلا رفيقه أبو بكر ، وكان ثاقب الدين وبينما هما في الغار مخفيين من المشركين الذين يتقمصونها ، خشي أبو بكر على حياة الرسول . فقال له الرسول مطمئنا : لا تخزن فإن الله معنا بالنصر والمعونة . عند ذلك أنزل الله الطمأنينة في قلب صاحبه ، وأيد الرسول بجنود من عنده ، لا يعلمها إلا هو سبحانه . و انتهى الأمر (١) بأن جعل شوكة الكافرين مغولة ودين الله هو الغالب ، والله متصف بالعزة فلا يقهر ، وبالحكمة فلا يفتل تديبه .

٤١ - أيها المؤمنون ، إذا دعا داعي الجهاد فليبرأ النداء أفرادا وجماعات - كل على قدر حاله ، ناشطين بالقوة والسلامة والسلاح وجهادوا بالمال والنفس في سبيل إعلاء كلمة الله فوق ذلك العز والخير لكم .. إن كنتم من أهل العلم الصحيح والمعرفة الحق (٢) .

٤٢ - ندد القرآن بالمنافقين في تخلفهم عن متابعة الرسول في الجهاد ، فقال : لو كان مادعا إليه هؤلاء المنافقون عرضا من أعراض الدنيا قريب المثل ، أو لو كان كذلك سفرا سهلا ، لاتبعوك - أيها الرسول - ولكن شق عليهم السفر وسيلفون أنهم لو استطاعوا لخروجوا بمك ، وهذا النفاق والكنب يملكون أنفسهم ، والله لا يفتق عليه حالهم ، فهو يعلم كنهم وسيجزئهم على ذلك .

٤٣ - لقد عفا الله عنك أيها الرسول في إذناك هؤلاء المنافقين في التخلف عن الجهاد ، قبل أن تبين أمرهم ، وتعلم الصادق من أعذارهم إن كان ، كما تعرف الكاذبين منهم في ادعائهم الايمان وفي انتحال الأعذار الصادقة .

(١) الغار الذي اختفى فيه النبي ﷺ وصاحبه كان بجبل ثور ، وهو جبل قريب من مكة وقد أقاما به ثلاثة أيام وخربا منه بابل بعد أن علموا أن الطلب لما قد سكن ووصلا إلى المدينة فكان حلت من ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة .
(٢) من المقاتل المقصود قروا للقتال ركباناً ومشاة مسلحين بعتاد خفيف وأخر ثقيل وهذا من الأساليب المعروفة الآن فالأسلحة الحقيقية كالسيوف لها غرضها في قتال الجنود أما الأسلحة الثقيلة فهي لذلك معقل العدو ومحصنه .

يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عِلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ
أَنْبِيَائَهُمْ فَخَبَّبَهُمْ وَقَبِلَ أَقْعَدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ
يَسْفُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَيَكْرَهُ سَمْعُكُمْ وَاللَّهُ عِلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ
الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَهُ ﴿٤٨﴾ وَبِهِمْ مَنْ يَقُولُ الذَّنْإِي وَلَا تَقْفِي ۖ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا
وَأَن جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تَصِبَكَ حَسَنَةٌ فُسُؤُهُمْ وَإِن تَصِبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ

٤٤ - ليس من شأن المؤمنين حقا بالله ، وحسابه في اليوم الآخر ، ان يستأذنوك في الجهاد بالمال والنفس ، أو في
التخلف عنك ، لأن صدق إيمانهم يحجب اليهم الجهاد في سبيل الله . والله يعلم صدق نيات المؤمنين .

٤٥ - انما يستأذنك الذين لا يؤمنون إيانا صادقا بالله وحسابه في اليوم الآخر ، فإن قلوبهم دائما في شك وريبة ،
وهم يعيشون في حيرة ، وسيتألمون جزاء ذلك .

٤٦ - ولو صدقت نية هؤلاء المنافقين ، في الخروج مع الرسول للجهاد ، لأخذوا أهبة الحرب واستعدوا لها .
ولكن الله كره خروجهم لعلهم أنهم لو خرجوا معكم لكانوا عليكم لا لكم ، فعصوهم عن الخروج بما امتلأت به
قلوبهم من النفاق ، وقال قائلهم : اقتصدوا مع القاعدة من أصحاب الماذير .

٤٧ - ولو خرجوا معكم الى الجهاد مازادوكم بخروجهم قوة ، ولكن يشيعون الاضطراب أو يسرعون الى
الفتنة ، ويشيعونها فيما بينكم ، وفيكم من يجهل خبث نياتهم ، ويمكن أن يندفع بكلامهم ، أو لضعفه يسمع دعوتهم الى
الفتنة والله عليم هؤلاء المنافقين الذين يظلمون انفسهم بما أضعروا من الفساد .

٤٨ - وقد سبق أن سعى هؤلاء المنافقون بالفتنة فيما بينكم ، ودبروا لك - أيها الرسول - المكائد ، فأحبط الله
تدبيرهم ، وحقق نصره ، وأظهر دينه على الرغم منهم .

٤٩ - وبعض المنافقين كان يقول للرسول : اتنن لى في القعود عن الجهاد ، ولا توقفى في شدة وضيق . انهم
يهذا الموقف قد أوتوا أنفسهم في مصيبة الله ، وإن نار جهنم لمحيطة بهم في اليوم الآخر .

قَبْلَ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يَصِيَّبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾
 قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْتِيَنَا
 فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ مِنْكُمْ إِنَّا كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾
 وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَفَقَتَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ وَلَا وَهْمُ كَسَالٍ وَلَا يَنْفِقُونَ
 إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ
 وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَعَنُوا وَمَا هُمْ بِمُنْكَرٍ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا

٥٠ - هؤلاء المنافقون لا يريدون بك. أيها الرسول، وبأصعابك، إلا المكارة، فيتألمون إذا نالكم خير من نصر أو غنيمة، ويرحون إذا أصابكم شر من جراح أو قتل ويقولون حينئذ شامتين. قد أخذنا حذرنا بالقعود عن الخروج للجهاد، وينصرفون مسرورين.

٥١ - قل لهم أيها الرسول: لن يتألمنا في ديانا من الخير أو الشر إلا ما قدره الله علينا فنحن راضون بقضاء الله لا نفتر بالخير ناله، ولا نجزع بالشر يصيبنا فإن الله - وحده - التول لجميع أمورنا، وعليه وحده يعتمد المؤمنون الصادقون.

٥٢ - قل لهم أيها الرسول: ليس لكم أن تتوقعوا شيئاً ينالنا إلا إحدى العاقبتين الحميدتين إما النصر والغنيمة في الدنيا وإما الاستشهاد في سبيل الله والجنة في الآخرة. ونحن ننتظر لكم أن يوقع الله بكم عذاباً من عنده يهلككم به، أو يذهبكم بالذلة على أئدينا، فانتظروا أمر الله، ونحن معكم منتظرون أمره.

٥٣ - قل أيها الرسول للمنافقين، الذين يريدون أن يستروا نفاقهم بانفاق المال في الجهاد وغيره: أنفقوا ما شئتم طامعين أو مكريين، فلن يقبل الله عملكم الذي أحبطه نفاقكم، انكم دائماً مشردون على دين الله، خارجون على أمره.

٥٤ - وما منع الله من قبول نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله - والكفر يحيط بالأعمال وإلا أنهم لا يؤدون الصلاة على الوجه الذي أمروا أن يؤدوها عليه، فهم يؤدونها غير مقبلين عليها سراً لنفاقهم، ولا ينفقون شيئاً إلا وهم كارهون لهذا الانفاق في سرائرهم.

٥٥ - ولا يترك، أيها السامع، وأخذ بقلبك، ما ترى للمنافقين فيه من مال ودين، فإن الله ما أعطاهم هذا ليكابدها في سبيله المتاعب والمشقات، لحفظه في الحياة الدنيا، دون أن يؤجروا على ذلك، ويدركهم الموت وهم كافرون فيعذبون بسببها في الآخرة.

٥٦ - ويقسم هؤلاء المنافقون كذباً لكم - يا جماعة المؤمنين - أنهم مؤمنون مثلكم، والحقيقة أنهم ليسوا مؤمنين بالله، ولكنهم قوم من شأنهم الضعف والخوف، وإن ذلك يدفعهم إلى النفاق والخوف الدائم، فهم يؤكفون بالأيمان الفالسة.

أَوْ مَفْرُتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوْلَا إِلَيْنَا وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْتَكِفُ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُزِيِّمْ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

٥٧ - وهم يضيئون بكم، ويكرهون معاشرتكم، ولو يبعدون حصناً أو مراديب في الجبال أو جحوراً في الأرض يدخلون فيها، لا تصرفوا إليها مسرعين.

٥٨ - وبعض هؤلاء المنافقين يبسبك أي الرسول، ويعطون عليك في قسمة الصدقات والفنائم، إذ لا هم إلا حطام الدنيا، فإن أعطيتهم ما يرغبون منها رضوا عن عملك، وإن لم تعطهم تعجلوا بالسخط عليك.

٥٩ - ولو أن هؤلاء المنافقين، الذين عابوك في قسمة الصدقات والفنائم رضوا بما قسم الله لهم، وهو ما أعطاهم رسولهم وطابت نفوسهم به - وإن قل - وقالوا: كفانا حكم الله، وسيرزقنا الله من فضله، ويعطينا رسولنا أكثر مما أعطانا في هذه المرة، وإنا إلى طاعة الله وأفضاله واحسانه لراغبين. لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيراً لهم.

٦٠ - لا تصرف الزكاة المفروضة إلا للذين لا يبعدون ما يكفهم، والمرضى الذين لا يستطيعون كسباً ولا مال لهم، والذين يجمعونها ويصلون فيها، والذين تولف قلوبهم، لأنهم يرجى منهم الإسلام والانفتاح بهم في خدمته ونصرته، والذين يدعون إلى الإسلام ويشرون به. وفي عتق رقاب الأرقاء والأسرى من ريشة الصبوية وذل الأسر، وفي قضاء الديون عن المدينين الماجزين عن الأداء. إذا لم تكن ناشئة عن ألم أو ظلم أو سفه، وفي امداد الغزاة بما يحتاجون على الجهاد في سبيل الله وما يتصل بذلك من طريق الخير ووجوه البر وفي عون المسافرين إذا انقطعت أسباب اتصالهم بأموالهم وأهلهم. شرع الله ذلك فريضة منه لمصلحة عباده والله سبحانه عليم بمصالح خلقه، حكيم فيما يشرع^(١).

(١) الزكاة نظام وضع لتجميع أموال من الفنى وترد على الفقير فهي حق الفقير في مال الفنى ويصحبها دلى الأمر. وينفها في مصارفها التي بيد أمهات وأبائها محاربة آثار الفقر في الفقير فهي تعطى للفقراء والمساكين وأبناء السبيل أمر لا فساد فيه، وفيها باب للقرض الحسن وتطهيرها في وجوه البر ومنها يسد دين من عجز عن سداده وكان قد اقترضه، وفي صدر الإسلام لم يعمل في المجتمع الإسلامي جاشاً بيت على الطوى ولا شجائاً تذلل الحاجة حتى أنها لكثرتا كان يشكو عاملها من أنه لا يجد من يتفق عليه منها. ولقد شكوا عامل الصدقات على أفرقة إلى عمر بن عبد العزيز أنه لا يجد فقيراً يتفق عليه فقال له سيد الدين عن المدينين فسدتم شكاً غانية.

قال: اشتر عبيدا واعتهم ذلك مصرف من مصارفها والمحققة أنها لو جمعت من وجوهها وصرفت في مصارفها لتبين من تطيبتها أنها أعظم نظام للكانال الاجتماعي.

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُورًا لِيُضْوَكَرَّ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ جِهَادِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَانَّهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ أَخْزَى الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِنَّا اللَّهُ مَخْرُجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَعْمُوسُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأْسُهُمْ كَأَنَّهُمْ جَحِيمٌ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ

٦١ - ومن الناس منافقون يعتمدون ايماء النبي ، وتناوله بما يكره ، فيتهمونه بأنه محب لسباع كل ما يقال له من صدق وكذب ، وأنه يجدها بما يسمع ، فقل لهم أيها الرسول : أن من تتناولونه في غيبته بهذه التهمة ، ليس كما زعمتم ، بل هو اذن خير لا يسمع الا الصدق ، ولا يجدها بالباطل ، يصدق بالله وروحه ، ويصدق للمؤمنين ، لأن ايمانهم يمنهم عن الكذب ، وهو رحمة لكل من يؤمن منكم . وان الله أعد لمن يؤذيه عذابا مؤلما دائما شديدا .

٦٢ - يتخلفون عنكم في قتال أعدائكم دون تردد ، ثم يعتفرون عن تخلفهم كذبا ، ويخلفون لكم لترضوا عنهم وتقبلوا معاذيرهم ، والله والرسول أحق بحرصهم على رضائه ان كانوا مؤمنين حقاً .

٦٣ - ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن من يكفر ، أو يجاهد الله ورسوله جزاؤه العذاب الدائم في نار جهنم ، وذلك هو العار الفاضح ، والذل الشديد .

٦٤ - المنافقون يستزفون فيما بينهم بالرسول ، ويخشون أن يفتضح أمرهم ، فتزول فيهم على النبي آيات من القرآن تظهر ما يخفون في قلوبهم ويسرونه فيما بينهم ، فقل لهم أيها الرسول : استزفوا ما شئتم ، فان الله مظهر ما تخشون ظهوره .

٦٥ - تأكد أيها الرسول أنك ان سألت المنافقين ، بعد اقتضاح أمرهم ، عن سبب طعنهم في الدين واستزفانهم بالله وآياته ، اعتذروا بقولهم : كنا نحوض في الحديث ونلهو ، فقل لهم : كيف ساء لكم أن نقوضوا أو تلهوا مستزفين بالله وآياته ورسوله .

٦٦ - لا تعتذروا بهذه المعاذير الباطلة . قد ظهر كفركم بعد ادعائكم الايمان ، فان نصف عن طائفة منكم ثابت وأمنت بسبب ايمانهم وصدق توبتهم ، فإنا نعذب طائفة أخرى منكم بسبب اصرارهم على الكفر والنفاق ، واجرامهم في حق الرسول والمؤمنين .

وَالْمُتَفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمْ الْأَنفِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ ﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِرْكًا وَكَانَ زُمْرٌ مَوْلًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخُلُقِهِمْ فَأَسْتَمْتَعُمْ بِخُلُقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخُلُقِهِمْ وَخَضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِيَهُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَهودَ وَقَوْمَ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابَ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

٦٧ - المنافقون والمنافقات يشابهون في أنهم يفعلون القبيح ويأمرون به، ويتركون الحق وينهون عنه، ويغلون يهذل المال في وجه الخير، فهم كأجزاء من شيء واحد، أعرضوا عن الله فأعرض عنهم ولم يرحمهم، لأنهم هم الخارجون عن طاعة الله.

٦٨ - كتب الله للمنافقين وللكارفين نَارَ جَهَنَّمَ يعضون فيها ولا يخرجون منها، وهي حسيبهم عقاباً، وعليهم مع هذا العقاب غضب الله والعذاب الدائم يوم القيامة.

٦٩ - إن حالكم أيها المنافقون كحال أمثالكم عن سبقكم إلى النفاق والكفر، فأنهم وقد كانوا أقوى منكم وأكثر أموالاً وأولاداً، استمتعوا بما قدر لهم من حظوظ الدنيا وأعرضوا عن ذكر الله وتقواه، وقابلوا أنبياءهم بالاستخفاف، وسخروا منهم فيما بينهم وبين أنفسهم، وقد استمتعتم بما قدر لكم من ملاذ الدنيا كما استمتعوا، وخضتم فيما خاضوا فيه من المنكر والباطل، أنتم قد بطلت أفعالهم، فلم تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة، وكانوا هم الحاسرين وأنتم مثلهم في سوء الحال والمآل.

٧٠ - أفلا يستير المنافقون والكارفون بحال الذين سبقوهم، من قوم نوح وعاد وهود وقوم إبراهيم وقوم شعيب وقوم لوط، جادتهم رسل الله بالهجج البينات من عند الله، فكذبوا وكفروا، فأخذ الله كلًا بذنبه، وأهلكهم جميعاً، وما ظلمهم الله بهذا، ولكنهم ظلموا أنفسهم ب كفرهم وقرعهم على الله واستحقاقهم العذاب وحدهم، فهم الذين يظلمون أنفسهم.

عَزَّ وَجَلَّ ٧١ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَسَكَرَ
 طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَيَرْضَوْنَ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٧٢ يَأْتِيهِمُ النَّارُ جَهَنَّمَ الْكَفَّارِ
 وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِمْ وَأَوْنَتْهُمْ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ٧٣ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ
 وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنْبَأُوا وَمَا نَغْمُوا إِلَّا أَنْ أَعْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ
 خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٧٤
 * وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ لَا تُنْفِكُوا عَنْهُ لِقَاءَ أَهْلِهِمْ لَمَنْ يَعْلَمُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْهِمُ الْمَسْلُومِينَ ٧٥ فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ

٧١ - والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أحباء ونصراء بعض يقتضى الإيمان يأمرهم بما يأمر به دينهم الحق ، ويهتدون بها ينكره الدين ، يؤدون الصلاة في أوقاتها ، ويؤتون الزكاة لمستحقها في إلتباسها ويمتثلون ما يأمر به الله ورسوله ، ويمتنعون ما ينهى عنه الله ورسوله ، وهؤلاء هم الذين سيظلون في رحمة الله ، فإن الله قادر على رعايتهم بالرحمة ، حكمهم في عطائه .

٧٢ - وقد وعدهم الله الجنة خالدين في نعيمها ، وأعد لهم مساكن تطيب بها نفوسهم في دار الإقامة والخلود ، ولهم مع ذلك رضا الله عنهم يستشعرون به ، وهو النعيم الأكبر ، وذلك هو الفوز العظيم ..

٧٣ - يأتيهم النار ، ثابر على جهادك في رديع الكفار عن كفرهم والمنافقين عن نفاقهم ، واشتد عليهم في جهادك ، وإن مألهم الذي أعدّه الله لهم في الآخرة هو جهنم ، وما أسوأ هذا المصير .

٧٤ - ان المنافقين يخلفون أمامك أي الرسول بالله أنهم ما قالوا متكرراً بما بلسك عنهم ، وهم كاذبون في الانكار ، حائثون في البين ، واتهم قد قالوا كلمة الكفر ، وظهر كفرهم بعد أن كان باطناً . وما كان سبب نقتهم عليك الا بطراً بالنعمة ، بعد أن أغناهم الله ورسوله بما حصلوا عليه من الغنائم التي شاركوا فيها المسلمين ، فإن يرجعوا إلى الله يترك النفاق والتدغم على ما كان منهم يقول الله توبتهم ويكون ذلك خيراً لهم وإن يعرضوا عن الإيمان يعنهم الله في الدنيا بخلاف ألوان البلاء . وفي الآخرة بنار جهنم ، وليس لهم في الأرض من يدافع عنهم أو يشفع لهم أو ينصرهم .

٧٥ - ومن المنافقين من أقسم بالله وعاهده : لئن أتاهم الله مالاً ، وأغناهم من فضله ، ليتصدقن وليكونن من الصالحين في أفعالهم .

يَسْأَلُوهُ يَدَّ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقِبَهُمْ نِقَافًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ
وَمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ
الْمُطْعِرِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْأَعْدَاءِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ قَرِحَ الْمُطَلَفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا
أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا

٧٦ - فلما استجاب الله لهم ، وأعطاهم من فضله ، جملوا بما أوتوا فلم ينفعوا ، ولم يوفوا بالعهد ، وانصرفوا عن
الحرب ، وهم معرضون عنه وعن الله .

٧٧ - فكانت عاقبة بخلهم أن تمكن النفاق في قلوبهم إلى أن يوتروا ويلقوا الله ، بسبب نقضهم لعهدهم وكنجهم
في بينهم .

٧٨ - كيف يتجاهلون أن الله مطلع عليهم . لا يخفى عليه ما يضررونه في السر من نقض العهد ، وما يتناجون به
في الخفاء من الطعن في الدين وتبذير الكايد للمسلمين ، وهو جل شأنه العليم الذي لا يفتى عنه شيء .

٧٩ - ومن نقائص هؤلاء المنافقين مع بخلهم أنهم يميئون على المومنين من المؤمنين تصدقهم على المحتاجين ،
ويسخرون بغير المومنين من المؤمنين لتصدقهم مع قلة أموالهم وقد جازاهم الله على سخرتهم بما كشف من
فضائلهم ، وجعلهم سخرية للناس أجمعين ولم في الآخرة عذاب شديد .

٨٠ - لن ينفعهم أن تستجيب لدعاء بعضهم ، وتطلب المغفرة من الله لهم فسواء أن تستغفر لهم أم لا التي أم
لاستغفر لهم . ومما أكثر من طلب المغفرة لهم ، فلن يغفر الله عنهم ، لأنه لا أمل في الغفر والمغفرة مع الكفر
والإصرار عليه وقد كفر هؤلاء بالله ورسوله ، والله لا يهدي الخارجين عليه وعلى رسوله ، فتردهم على شرعه
ودينه . .

يَقْفَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِشِرُونِ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَعْذَبَكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَّنْ نَّخْرُجَا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَجْعَلْ أَمْوَالَهُمْ لِأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِهِمْ أَلْمَسُوا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَزَهَّجَ أُنْفُسَهُمْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَن قَامُوا بِاللَّهِ وَجْهًا مَّعَ رَسُولِهِ اسْتَعْذَبَكَ أَأُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا

٨١- ان المنافقين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله والمسلمين، وفرحوا بقعودهم في المدينة بعد خروج النبي منها، وبمخالفتهم أمره بالجهاد معه، وكروهوا أن يجاهدوا بأموالهم، ويضحوا بأرواحهم، في سبيل إعلاء كلمة الله ونصر دينه، وأخذوا يشيطون فيهم، ويفرونهم بالقعود معهم ويخوفونهم من النفور إلى الحرب في الحضر، فقبل أيما الرسول هؤلاء لو كنتم تعقلون، لذكرتم أن نار جهنم أكثر حرارة وأشد قسوة مما تخافون.

٨٢- فليضحكوا غرحا بالقعود، ومخزية من المؤمنين، فإن ضحكهم زينة قليل، لاتبائه بانتباه حياتهم في الدنيا، وسيقبله بكاء كثير لانهاء له في الآخرة، جزاء لهم بسبب ما ارتكبه من سيئات.

٨٣- فإن أعادك الله من الغزو إلى طائفة من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الغزو، فاستأذنوك في أن يخرجوا معك للجهاد في غزوة أخرى، فلا تأذن لهم، وقل لهم: لن نخرجوا معي في أية غزوة، ولن تشركوا معي في قتال أي عدو، لأن قعودكم عن الخروج في أول مرة لم يسبق بعذر يبرره، ولم يلحق بنبوة تنفقه، فاقعدوا كما ارتضيت أن تقعدوا مع المتخلفين من الهجرة والكهول والنساء والأطفال.

٨٤- وإذا مات أحد منهم، فلا تصل عليه، ولا تقف على قبره عند دفنه لأنهم عاشوا حياتهم كافرين بالله ورسوله، وماتوا وهم خارجون عن دين الله.

٨٥- ولا يثير عجبك أيما الرسول ما أعطيناكم من الأموال والأولاد مع مسخطنا عليهم فلم يكن ذلك عن ابتائهم بالخير، بل لتنفيذ ما أراد الله من شقائهم في الدنيا بالانهاك في جمع المال، وما يلحقهم في ذلك من المهرم والمصائب، ولتنفيذ ما أراد الله من مفارقتهم للدنيا كافرين، وقد خسروا الأولى والآخرة.

ذَرْنَا نَحْنُ مَعَ الْقَاصِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْغَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنِ
الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيكَ هُمْ أَكْثَرُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ
وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ

٨٦ - وهؤلاء المنافقون ، إذا سمعوا شيئاً ما أنزل عليك في القرآن ، يدعوهن إلى إخلاص الإيمان بالله ، وال
الجهاد مع رسول الله ، طلب الأغنياء والأثرياء منهم أن تأذن لهم في التخلف عن الجهاد معك ، وقالوا لك ، انزكنا
مع المعنورين القاعدين في المدينة .

٨٧ - انهم قد رضوا لأنفسهم أن يكونوا في عدد للتخلفين من النساء والعجزة والأطفال الذين لا ينهضون
لقتال ، وختم الله على قلوبهم بالحرف والافتقار ، فهم لا يفهمون فيها حقيقياً ما في الجهاد ومتابعة الرسول فيه من عز
في الدنيا ورضوان في الآخرة .

٨٨ - ذلك شأن المنافقين ، لكن الرسول والذين صدقوا معه بالله ، قد بذلوا أموالهم وأرواحهم أرضاء لله
واعلاء لكلته وأولئك هم وحدهم كل خير في الدنيا من العز والنصرة والعمل الصالح ، وهم وحدهم الفائزون .

٨٩ - وقد هبأ الله لهم في الآخرة النعيم المقيم ، في جنات تتخللها الأنهار ، وذلك هو الفوز العظيم والنجاح
الكبير .

٩٠ - وكما تخلف بعض المنافقين في المدينة عن الخروج للجهاد ، جاء فريق من الأعراب وهم أهل البادية ،
يتنحلون الأعذار ليؤذن لهم في التخلف وبذلك قعد الذين كذبوا الله ورسوله فيا يظهرونه من الإيمان ، فلم يحضروا
ولم يحضروا الله ورسوله ، وذلك دليل كفرهم ، وسيبزل العذاب المؤلم على الكافرين منهم .

٩١ - ان الذين يقبل عذرهم في التخلف ، هم الضعفاء ، والمرضى ، والفقره الذين لا يجدون ما ينفقون ، اذا
أخلص هؤلاء الله ورسوله في دينهم فانهم بذلك محسنون ، ولا حرج على المحسنين ، والله كثير الغفران واسع الرحمة .

تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٦﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ
 رِضْوَانًا يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ يَعْتَدُونَ إِلَيْكَ إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ
 قُلْ لَا تَعْتَدُوا لِي فُؤُودًا قَدْ نَبَأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُدْرَأُونَ إِلَىٰ عَذَابِ الْغَيْبِ
 وَاللَّهْلَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لَوْ أَنَّا أَعْلَيْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنَرْضِيَهُمْ فَأَعْرَضُوا
 عَنْهُمْ لِئَتَمَّ رِجْسٌ وَمَا لَهُمْ جَزَاءٌ إِلَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٩﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَنَرْضِيَهُمْ فَإِنْ رَضُوا
 عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٠﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ

٩٦- وكذلك لاجرح على من جاء من المؤمنين يلتمسون أن يحملهم الى الجهاد فقلت لهم ، لا أجد ما أحلكم
 عليه ، فانصرفوا عنك وعيونهم تفيض الدمع حزنا أن فاتهم شرف الجهاد في سبيل الله لأنهم لا يجدون ما ينفقون .

٩٧- اما اليوم والعقاب على هؤلاء الذين يستأذنونك - أي النبي - في تحلفهم عن الجهاد ، وهم واجدون المال
 والعتاد ، قادرون على الخروج معك ، لأنهم مع قدرتهم واستطاعتهم رضوا بأن يقعدوا مع النساء الضعيفات ،
 والشيخ الماشرين ، والمرضى غير القادرين ، ولأن قلوبهم أغلقت عن الحق ، فهم لا يطمون العاقبة الوخيمة التي
 تترتب على تحلفهم في الدنيا وفي الآخرة .

٩٨- سيعتذر هؤلاء المتخلفون المقصرون اليكم ، أي المؤمنون المجاهدون إذا رجعت من ميدان الجهاد والتقييم
 بهم ، فقل لهم أيها الرسول لا تنتظروا فإنا لن نصدقكم ، لأن الله قد كشف حقيقة نفوسكم ، وأوحى الى نبيه بشيء
 من أكاذيبكم ، وسيعلم الله ورسوله ما يكون منكم بعد ذلك من عمل ، ثم يكون مصيركم بعد الحياة الدنيا الى الله
 الذي يعلم السر والعلانية فيخبركم بما كنتم تعملون ، ويجازيكم بما تستحقون .

٩٩- سيعلمون لكم بالله ، حيث ترجعون اليهم ، انهم صادقون في معاذيرهم ، لكي يرضوكم فتغفلوا عن
 عملهم ، فلاحظوا لهم هذا الغرض ، بل اجتنبوهم وامقتوهم ، لأنهم في أشد درجات الحبث النفس والكفر ،
 ومصيرهم الى جهنم ، عقابا على ما اقترفوه من ذنوب وأوزار .

١٠٠- يسعون لكم طمعا في رضائكم عنهم ، فان خدعتم بأيمانهم ورضيتهم عنهم ، فان رضاكم وحدكم
 لا ينفعهم ، ذلك لأن الله ساقط عليهم لفسقهم وخروجهم على الدين .

مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَخُذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُرِّ الدَّوَائِرِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَخُذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَانًا ۚ وَعِنْدَ اللَّهِ وُصُولَتِ الرَّسُولُ ۚ أَلاَ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَالسَّادِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَئِكَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِنَ حَوْلِكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَلَفُونَ ۚ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرْدُونَ إِلَىٰ عَذَابٍ مُّتَلَفُونَ

٩٧ - الأعراب من أهل البادية أشد جوعوا ونفاقا، وقد بلغوا في ذلك غاية الشدة، وذلك لعدم علمهم عن أهل الحكمة ومنايع العلم، وهم حقيقون بأن يجهلوا حدود الله، وما أنزل على رسوله من شرائع وأحكام، والله عليم بأحوال الفريقين، حكيم فيما يقدره من جزاء.

٩٨ - وبعض هؤلاء المنافقين من أهل البادية، يمتثلون الانفاق في سبيل الله غرامة وخسرانا، لعدم اعتقادهم في ثوابه تعالى، ويتوقعون وينتظرون أن تدور عليكم الحرب أي المؤمنون ألا رد الله تلك المصائب عليهم وجعل الشر الذي ينتظرونه لكم محيلا بهم، والله سميع بأقوالهم، عليم بأفعالهم ونياتهم، وما يقرعون من أنام.

٩٩ - وليس كل الأعراب كذلك، فثمة مؤمنون بالله مصدقون بيوم القيامة، يتخفون الانفاق في سبيل الله وسيلة يتقربون بها إلى الله وسببا لدعاء الرسول لهم، إذ كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة، وهي لانسك قرينة عظيمة توصلهم إلى ما يبتغون، فإن الله سيغفرهم برحمته، لأنه الغفور للذنوب، الرحيم بخلقه.

١٠٠ - والمؤمنون الذين سبقوا إلى الاسلام، من المهاجرين والأنصار، الذين ساروا على نهجهم فأحسنوا ولم يقصروا، يرضى الله عنهم، فيقبل منهم ويجزئهم خيرا، وهم كذلك يرضون ويستبشرون بما أعد الله لهم من جنات تجري أنهار تحت أشجارها، فينعمون فيها نهارا أبديا، وذلك هو الفوز العظيم.

[illegible]

١٠٦ - وعن يهاور المدينة من أهل البادية من يضر الكفر ويظهر الايمان ، ومن سكان المدينة قوم مروا على النفاق ، حتى برعوا فيه وسرقوه عن الناس ، حتى لقد خفي أمرهم عليك - أيها الرسول - ولكن الله هو الذي يعلم حقيقتهم ، وسيعذبهم في الدنيا مرتين : مرة ينصرمكم على أعدائكم الذين يفيظهم ، ومرة يفضيحتهم وكشف نفاقهم ، ثم يردون في الآخرة الى عذاب النار وهولها الشديد .

١٠٢ - وهناك ناس آمنون آذوكم، ثم من بعد ذلك اعرفوا بما أذنوا، وسلكوا طريق الحق، فهؤلاء قد
أثروا عملا صالحا وعملا سيئا، واتهم هنا يرجى لهم أن تقبل توبتهم، وأن الله رحيم بعباده، يقبل هويتهم وينظر
إليهم.

١٠٣- خذ أيها الرسول من أموال هؤلاء الثائنين صدقات تطهرهم بها من الذنوب والسيئ، وترفع درجاتهم عند الله، وادع لهم بالخير والهداية فإن دعاءك تسكن به نفوسهم، وتطمئن به قلوبهم، والله سميع للعداء عليم بالمخلصين في توحيدهم.

١٠٤ - ألا فليعلم هؤلاء التائبون أن الله وحده هو الذي يقبل التوبة المخالصة والصدقة الطيبة ، وأنه سبحانه ، هو الواسع الفضل في قبول التوبة ، العظيم الرحمة بعباده .

١٠٥ - وقل - أيها الرسول - للناس: اعملوا ولا تنصروا في عمل الخير وأداء الواجب فان الله يعلم كل أعمالكم، وسراها الرسول والمؤمنين فيزينا الأيمان وشهدون بمقتضاها، ثم تردون بعد الموت الى من يعلم سرهم وجهركم، فيجازيكم بأعمالكم، بعد ان ينشئكم بها صغيرها وكبيرها.

١٠٦ - وهناك ناس آخرون وقوا في الذنوب، ومثا التخلّف عن الجهاد، وليس فيهم نفاق، وهؤلاء مرجأون لأمر الله: أما أن ينعمهم، وإما أن يتوب عليهم ويفزرهم، والله عليم بأحوالهم وما تنطوى عليه قلوبهم، حكيم فيما يفعله بمبادء من ثواب أو عقاب.

مِنْ قَبْلُ وَيَعْلَمَنَّ أَنَّ أَرَدْنَا إِلَّا الْحَسَنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسِجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُمْ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحْسِنُونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَلَمْ نَأْسَسْ بَنِينَ لَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ مِمَّنْ أَسَّسَ بَنِينَ لَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانَتْ رِيهَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بِقُلُوبِهِمْ الَّذِي بَنَوْا رِيهَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةُ يَفْتَنُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُفْتَنُونَ وَيَقْتُلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقٌّ فِي الثَّوَرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ

١٠٧- ومن المنافقين جماعة بنوا مسجدا لا يبتغون به وجه الله ، وانما يبتغون به الضرار والكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين وأنهم سيحللون على أنهم ما أرادوا ببناء هذا المسجد الا الخير والعمل الأحسن ، والله يشهد عليهم أنهم كاذبون في ايمانهم (١) .

١٠٨- لاتصل - أي الرسول - في هذا المسجد أبدا ، وان مسجدا أقام ابتغاء وجه الله وطلبا لرضائه من اول أمره كمسجد قباة لجدير بأن تؤدي فيه شعائر الله ، وفي هذا المسجد رجال يحبون أن يطهروا أجسادهم وقلوبهم بأداء العبادة الصحيحة فيه ، والله يحب ويثيب الذين يتقربون اليه بالطهارة الجسمية والذهنية .

١٠٩- لا يستوي في عقيدته ولا في عمله من أقام بنيانه على الاخلاص في تقوى الله وابتغاه رضائه ومن أقام بنيانه على التناق والکفر ، فان عمل المتق مستقيم ثابت على أصل متين ، وعمل المنافق كالبنا على حافة هاوية فهو واه ساقط ، يقع بصاحبه في نار جهنم . والله لا يهدي الى طريق الرشاد من أصر على ظلم نفسه بالکفر .

١١٠- وسيظل هذا البناء الذي بناه المنافقون مصدر اضطراب وخوف في قلوبهم لايتيسر حتى تقطع قلوبهم بالنعم والتوبة أو بالموت . والله عليم بكل شيء ، حكيم في أفعاله وجزائه .

(١) المسجد المذكور في الآية قد اقامته طائفة من المنافقين بالمدينة يريدون الشر فقد ازعمهم بناء مسجد قبا الذي شجده بنو عمرو ابن عوف وباركه الله ﷺ بالصلاة فيه فعرض ابن عمر الرابع هؤلاء المنافقين لينتروا مسجدا يباغرون به من بنوا مسجد قبا فتكون الصبية الجاهلية موضوعها التنازع بالمسجد ولينفقوه وكرا لاجتماعهم وتثبيت الشر للمؤمنين . وبعد قام بناء دعوا الرسول ﷺ للصلاة فيه ليتغنى من صلاته فيه مائة للصبي والتفريق بهم أن يجيب غير عالم بما يبتغون ولكن الله تعالى أعلمه بذلك عند عودته من غزوة تبوك واعتزله أن يجيب دعوتهم فبناء مسجده وتعالى عن أن يقوم فيه فضلا عن أن يصل فيه .

اللَّهُ فَاسْتَشِيرُوا بِرَأْيِكُمُ الَّذِي يَأْمُرُ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ اَلَّذِينَ اَلْعَبْدُونَ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ
اَلسَّامِعُونَ اَلرَّكْعُونَ اَلسَّجِدُونَ اَلْأَمْرُونَ بِاَلْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَلْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ
اَلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا اَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا اُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ
اَنَّهُمْ اَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اَسْتَغْفَارُ اِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ اِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا اِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ اَنَّهُ عَدُوٌّ
لِللَّهِ تَبَيَّنَ لَهُ اَنَّهُ اِبْرَاهِيمُ لَأَوَدَّ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ اِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ۚ لَئِنْ
رَأَوْا اَنَّهُ لَمْ يَكُنْ اَلْمَلَكُ اَلْمَسْمُورُ وَالْأَرْضُ سَاجِدَةٌ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
يُحْكِلُ شَيْءًا عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾ اِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۚ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ

١١١ - يؤكد وعده للمؤمنين الذين يذنبون أنفسهم وأموالهم في سبيله ، بأنه اشترى منهم تلك الأنفس والأموال بالجنة لما بذلوا ، فانهم يجاهدون في سبيل الله فيقتلون أعداء الله أو يستشهدون في سبيله ، وقد أتيت الله هذا الوعد الحق في التوراة والإنجيل ، كما أتته في القرآن وليس أحد أبصر ولا أوفى بعهد من الله ، فافرحوا أيها المؤمنون المجاهدون ، بهذه البايعة التي بذلت فيها أنفسكم وأموالكم الفانية وعوضتم عنها بالجنة الباقية ، وهذا الثراء والبيع هو الظفر الكبير لكم .

١١٢ - ان أوصاف أولئك الذين باعوا أنفسهم لله بالجنة أنهم يكثرين التوبة من هفواتهم الى الله ، ويحمدونه على كل حال ، ويسعون في سبيل الخير لأنفسهم ولغيرهم ، ويحافظون على صلواتهم ، ويؤدونها كاملة في خشوع ، ويأمرون بكل خير يوافق ما جاء الشرع ، وينهون عن كل شر يأباه الدين ويلتزمون بشريعة الله ، وبشرائعها الرسول المؤمنين .

١١٣ - ليس للنبي وللمؤمنين أن يطلبوا المغفرة للمشركين ، ولو كانوا أقرب الناس إليهم ، من بعد أن يعلم المؤمنين من أمر هؤلاء المشركين بجهنم على الكفر ، أنهم مستحقون للغلوط في النار .

١١٤ - لم يكن ماضيه إبراهيم عليه السلام من الاستغفار لأبيه ، الا تحقيقاً لوعده من ابراهيم لأبيه ، رجاء ايمانه ، فلما تبين لابراهيم أن أباه عدو لله ، باصراره على الشرك حتى مات عليه ، توباً منه وترك الاستغفار له ولقد كان ابراهيم كثير الدعاء والتضرع لله صبوراً على الأذى .

١١٥ - وما كان من سنن الله ولطفه بمعباده أن يصف قوماً بالضلال ، ويحري عليهم أحكامه بالنظم والمقالب ، بعد أن أرشدهم الى الاسلام ، حتى يبين لهم عن طريق الوحي الى رسوله ما يجب عليهم اجتنابه ، ان الله محيط علمه بكل شيء .

وَلَا تَصِيرُ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ يَرْؤُفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الْفُلَانَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطَأً مَّوْطَأً يَصِطُّ الْكُفَّارُ وَلَا يَتَّخِذُونَ مِنْ عَهْدِهِ

١١٦ - إن الله وحده مالك السموات والأرض وما فيها ، وهو المتصرف فيها بالإحياء والإماتة ، وليس لكم سوى الله من ولي يتولى أمركم ، ولا نصير ينصركم ويدافع عنكم .

١١٧ - لقد تفضل الله سبحانه على نبيه ، وأصحابه المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار الذين خرجوا معه إلى الجهاد في وقت الشدة (في غزوة تبوك)^(١) فثبتهم وصانهم عن التخلف ، من بعد ما اشتد الضيق بفريق منهم ، حتى كانت قلوبهم تميل إلى التخلف عن الجهاد ، ثم غفر الله لهم هذا الهم الذي خطر بنفوسهم ، أنه سبحانه كثير الرأفة بهم عظيم الرحمة .

١١٨ - وتفضل سبحانه بالوفو عن الرجال الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج في غزوة تبوك ، لاعتن نفاق منهم ، وكان أمرهم مرجأ إلى أن يبين الله حكمه فيهم ، فلما كانت توبتهم خالصة ، وندمهم شديدا حتى شعروا بأن الأرض قد ضاقت عليهم على رحبها وسعتها ، وضائق عليهم نفوسهم هما وحزنا وعلموا أنه لا ملجأ من غضب الله إلا بالاستغفار والرجوع إليه ، حينئذ هداهم الله إلى التوبة ، وعفا عنهم ، ليطلوا عليها ، إن الله كثير القبول لتوبة التائبين عظيم الرحمة بعباده .

١١٩ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا عَلَى التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ ، وَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي أَتْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ .

(١) « كانت غزوة تبوك في رجب من السنة التاسعة للهجرة بين المسلمين والروم - والجيش الاسلامي الذي خرج في هذه الغزوة يسمى جيش العسرة لأن الماء لم يكن في زمن عسرة من الناس وشدة من الحرمان - ولما وصل النبي ﷺ إلى تبوك جاء يوحنا وصالح الرسول على الجزية وأقام الرسول بتبوك بضعة عشرة ليل ثم خرج الرسول بعدها فافلا إلى المدينة وهذه آخر غزوة خرج بها الرسول عليه الصلاة والسلام غزاة » .

تَبَيَّنَ إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَلِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَمْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يَنْفَعُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْتُلُونَ وَإِذَا الْكُتِبَ لَهُمْ لَمْ يُجْزِهِمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْنَمَا زَادَتْ هُنَالِكَ آيَاتُنَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيمانًا وهم يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزادتهم رجسًا إلى رجسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوْ لَا يَرَوْنَ

١٢٠ - ما كان يحل لأهل المدينة، ومن يجاورتهم من سكان البوادي، أن يتخلفوا عن الفزوة مع رسول الله ﷺ، ولا أن يضنوا بأنفسهم عما بذل الرسول فيه نفسه، إذ أنهم لا يصيحب في سبيل الله طمًا أو تعب أو جوع، ولا يزلون مكانًا يثير وجودهم فيه غيظ الكفار، ولا يئولون من عدو غرضًا كالخرقة أو الغنيمة إلا حسب هم بذلك عمل طيب يميزون عليه أحسن الجزاء، وإن الله لا يضيع أجر الذين أحسنوا في أعمالهم.

١٢١ - وكذلك لا يئول المجاهدون أي مال، صغيرًا أو كبيرًا، ولا يسافرون أي سفر في سبيل الله، إلا كتبه الله لهم في صحائف أعمالهم الصالحة، لينالوا به أحسن ما يستحقه العاملون من جزاء.

١٢٢ - ليس للمؤمنين أن يخرجوا جميعًا إلى النهي ﷺ إذا لم يقتض الأمر ذلك، فليكن الأمر أن تخرج إلى الرسول طائفة ليتفقهوا في دينهم، وليدعوا قومهم بالإنذار والتبشير حتى يرجعون إليهم ليثبتوا دأبا على الحق، وليحذروا الباطل والضلال^(١).

١٢٣ - يأيها الذين آمنوا قاتلوا الكفار الذين يجاورونكم، حتى لا يكونوا مصدر خطر عليكم، وكونوا أشداء عليهم في القتال، ولا تأخذكم بهم رافة واعلموا أن الله بعونه ونصره مع الذين يتقونه.

١٢٤ - وإذا ما أنزلت سورة من سور القرآن، وصعها المنافقون سخرًا واستهزؤا وقال بعضهم ليضع : أيكم زادته هذه السورة إيمانًا ؟ ولقد رد الله عليهم بأن هناك فرقًا بين المنافقين والمؤمنين : فأما المؤمنون الذين أبصروا النور وعرفوا الحق، فقد زادتهم آيات الله إيمانًا، وهم عند نزولها يفرحون ويستبشرون.

١٢٥ - وأما المنافقون الذين مرضت قلوبهم وعميت بصائرهم عن الحق فقد زادتهم كفرًا إلى كفرهم، وماتوا وهم كافرون.

(١) في الآية الكريمة بيان للقاعدة هامة في الكتاب وهي ما كان للمؤمنين أن ينفروا جميعًا نحو غزو أو طلب علم كما لا يستقيم لهم أن يبتلوا جميعًا فإن ذلك يخل بأمر المأمن وذلك بين من كل فرقة طائفة تطلب العلم والتفقه وتحصل على المراد وتعود لترسيخ باقي القوم .

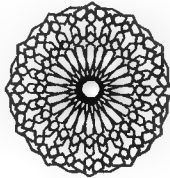
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَرْمَرَةٍ أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَسُكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَإِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

١٢٦ - أولاً يعتبر المنافقون بآيئتهم الله به في كل عام مرة أو مرات من ألوان البلاء بكتف استارهم وظهور أحوالهم ونصر المؤمنين وظهور باطلهم ، ثم لا يتوبون عما هم فيه ولا هم يذكرون ما وقع لهم ؟

١٢٧ - وكذلك إذا ما أنزلت سورة ، وهم في مجلس الرسول ، تفاخروا وقال بعضهم لبعض ، هل يراكم أحد ؟ ثم انصرفت قلوبهم عن منابته والإيمان به ، زادهم الله ضلالاً بسبب تقاديسهم في الباطل واعراضهم عن الحق ، لأنهم قوم لا يعقلون .

١٢٨ - لقد جاءكم ، أيها الناس ، رسول من البشر مثلكم في تكوينه ، بشق عليه ما يصيبكم من الضرر ، وهو حريص على هدايتكم ، وبالمؤمنين عظيم المطف والرحمة :

١٢٩ - فإن اعرضوا عن الإيمان بك أيها الرسول ، فلا تحزن لاعراضهم واعتز بربك ، وقل : يكتفي الله الذي لا إله غيره ، عليه وسعته توكلت وهو مالك الملك ورب الكون وصاحب السلطان العظيم .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّتِي تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا لِأَكْرَجٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ
النَّاسَ وَيُخَرِّجُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ هُمْ قَدِمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝
إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَيْءٍ

هذه السورة مكية نزلت في مكة ، وتشتمل على ١٠٩ آيات ، وقد ابتدأت بالإشارة الى مكانة الكتاب الكريم ، وما يقوله المشركون في شأن النبي ﷺ ، ثم ذكر الكون وأيات الله تعالى فيه ، والجزاء يوم القيامة وسنة الله تعالى بالنسبة للكافرين ، والتنديد عليهم في عقابهم ، وحال الناس في الضراء والسرء ، وقدره الله تعالى على كل شيء ، وعجز الاوثان عن أى شيء . وفيها الإشارة الى التحدى بأن أتوا بسورة ولو مفتراة ، وفيها التهديد الشديد بعذاب الله تعالى ، وأحوال نفوس الناس ، ومراقبة الله تعالى لأعمالهم . وانتقل بعد ذلك الى التسرية عن النبي ﷺ لأله من كفرهم ، مع قيام الحجة القاطعة عليهم . وسرى عنه بذكر قصص الأنبياء مع اقوامهم ، فجاءت قصة نوح ، وقصة موسى وهارون وفرعون وبني اسرائيل . ثم إشارة الى قصة يونس ، وبها سميت السورة واتجه البيان في السورة من بعد ذلك الى النبي تمام العظة والاعتبار .

١ - هذه حروف بدأ الله تعالى بها السورة ، وهو أعلم بمراده منها ، وهي مع ذلك تشير الى أن القرآن مكون من مثل هذه الحروف ، ومع ذلك عجزتم عن أن تأتوا بمثله ! وهذه الحروف الصوتية تثير انتباه المشركين فيستمعون اليه ، وان انفقوا على عدم استماع هذه الآيات الكريمة ونحوها التي هي آيات القرآن الحكيم في أسلوبه ومعانيه ، والذي اشتمل على الحكمة وما ينفع الناس في امور دينهم ودنياهم .

٢ - ماكان للناس أن يعجبوا وينكروا وحيثا الى رجل متهم (محمد) ، ليحذر الناس من عذاب الله ، ويشير الذين آمنو منهم بأن لهم مغزلة عالية عند ربه ، لا يتخلف وعد الله ، وما كان لهؤلاء المنكرين أن يقولوا عن محمد رسولنا انه ساحر واضح أمره !

إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ. ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا
 إِنْتَرِبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُ لِيُجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ
 حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا
 عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفْعَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي آخِثَاتِ اللَّيْلِ

٣ - ان ربكم ، أيها الناس ، هو الله الذي خلق السموات والارض وما فيها في ستة أيام^(١) لا يعلم الا الله مداهها . ثم هيمن بعظيم سلطانه - وحده ودير أمور مخلوقاته ، فليس لأحد سلطان مع الله في شيء ، ولا يستطيع أحد من خلقه أن يشفع لأحد الا بإذنه . . . ذلكم الله الخالق ، هو ربكم وول نعمتكم فاعبدوه وحده ، وصدقوا رسوله ، وآمنوا بكتابه . فليكن أن تذكروا نعمة الله وتنبهوا آياته الدالة على وحدانيته .

٤ - وكما بدأ الله الخلق فإليه وحده مرجعكم ، وارجع المخلوقات كلها ، وقد وعد الله بذلك وعدا صادقا لا يتخلف . وانه سبحانه بدأ الخلق بقدرته ، وبعد فئانه سجيده بقدرته ، ليشب المؤمنين المطيعين بعده التام . وأما الكافرون فلهم شراب في جهنم شديد الظيان ، ولهم عذاب موجع جزاء كفرهم .

٥ - وربكم الذي خلق السموات والأرض والذي جعل الشمس تنع الغياض ، والقمر يرسل النور ، وجعل للقمر منازل ينتقل فيها ، فيختلف نوره تبعا لهذه المنازل ، لتستبينوا بهذا في تقدير مواقيتكم ، وتعلموا عدد السنين والحساب^(٢) ، وما خلق الله ذلك الا بالهكمة ، وهو سبحانه ييسر في كتابه الآيات الدالة على ألوهيته وكمال قدرته لكي تدبروها بعقولكم وتستجيبيوا لما يقتضيه العلم .

(١) خلق الله الكون بأسره في ست مراحل ، وتضمن المرحلة احتجابا برمتها ، وتلك المراحل التي عبر عنها بالأيام الستة تسخير للشمس والقمر والنجوم لفائدة البشر وكذلك تعاقب الليل والنهار ، وأن النهار طارئة على ظلام الليل وذكر الليل أولا لأن الظلام هو الأصل فلما النهار ، فقد نشأ بسبب تآثر ضوء الشمس في جو الأرض التي تدور حول نفسها وتعرضه للاشعاع الشمسي .

(٢) « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا : الشمس جرم سماوي مئطع مضيء بذاته ، وهو مصدر الطاقات على الأرض ومنها الضوء والحرارة بين القمر جرم غير مضيء بذاته بل ينعكس أو يرد ما ينع عليه من ضوء الشمس فيبدو نورا » .

« وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، منازل القمر أوضاعه المختلفة بالنسبة للأرض والشمس وهي التي تنتج عنها أوجسه القمر ومن ثم يكن تحديد الشهر القمري وهو الملاحة الفلكية الظاهرة لتحديد الشهر . ويتم القمر دورته حول الأرض في ٢٩ - تسعة وعشرين يوما ، ١٢ واثنتا عشرة ساعة ، و ٤٤ و أربع وأربعين دقيقة ، ٢٨ واثنتان واثنتا عشرة ثانية » .

وَالْأَنْهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَبْتَغِي لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَتَذَكَّرُ بِهِمْ رَبُّهُمْ وَإِلَىٰ عِزِّهِمْ نَجْدِي مِنَ تَحْتِمْ الْأَنْهَارِ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوْهُمْ فِيهَا سَبِّحْكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ فِيهَا سَلَّمَ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ * وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَلَهُمْ وَإِنْخِرَ لِقَعَىٰ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَدَّرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي مُقْعَتِهِمْ يَعْهَدُونَ ﴿١١﴾

٦ - ان في تصاقب الليل والنهار واختلافها بالزيادة والتقصان ، وفي خلق السموات والأرض وما فيها من الكائنات ، الأدلة واضحة وحججها بينة على ألوهاية الخالق وقدرته لمن يتجنبون غضبه ويغفون عذابه^(١) .

٧ - ان الذين لا يؤمنون بالبعث لقاء الله في اليوم الآخر ، واعتقدوا - واهين - ان الحياة الدنيا هي متاهم وليس بعدها حياة ، فاطمأنوا بها ، ولم يعملوا لما بعدها ، وغفلوا عن آيات الله الدالة على البعث والحساب .

٨ - هؤلاء مأولهم الذي يستفرون فيه هو النار ، جزاء ماكسبوا من الكفر وقبيح الأعمال .

٩ - ان الذين آمنوا واطمأنوا بالبعث وصدقوا ، واعتقدوا - واعتقدوا - واهين - ان الحياة الدنيا هي متاهم وليس بعدها حياة ، فاطمأنوا بها ، ولم يعملوا لما بعدها ، وغفلوا عن آيات الله الدالة على البعث والحساب .

١٠ - دعاء المؤمنين في هذه الجنات تسبيح وتزبده لله عما كان يقول الكافرون في الدنيا ، وتحمية الله لهم ، وتحمية بعضهم بعضا بقرير الأمن والاطمئنان وخاتم دعائهم دائما حمدا لله على توفيقه إياهم بالإيمان ، وظفرهم برضوانه عليهم .

١١ - ولو أجاب الله ما يستعجل به الناس على أنفسهم من الشر مثل استعجالهم لطلب الخير ، لأهلكتهم وأبادهم جميعا ، ولكنه يتلف بهم ، فيرجى هلاكهم ، انتظارا لما يظهر منهم حسب ما علمه فيهم ، فتتضح عدالته في جزائهم ، اذ يتركون الأدلة قاتلة عليهم ، يعمدون الانحراف والاتجاه الى طريق الضلال والظلم !

(١) « قد يكون معنى الاختلاف التباين أو التصاقب ، فأما الاختلاف بمعنى التباين : فالليل والنهار ضوئان متميزان وتباينهما بطبع الظواهر الطبيعية ، وجمع الأحياء في هذا الكوكب بظاهبه ، كما هو وارد في مواضع أخرى من القرآن الكريم ، والتباين قد يعنى أيضا التباين في أطوال النهار وأطوال الليل على مدار العام في أى مكان على الأرض فهو مرتبط بظاهرة الفصول والتباين بهذا المعنى ناتج عن دوران الأرض حول الشمس كل عام مرة وعن ميل محورها .

أما الاختلاف بمعنى التصاقب فهو نتيجة لدوران الأرض حول محورها .

انظر أيضا التلخيص المسمى على الآية ٨٠ من سورة المؤمنون .

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسٍّ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢﴾ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونِ مِن قَبْلِكَ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴿١٤﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ جَعَلْنَا خَلْفًا فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَيْتَانَا يَتَّبِعُونَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِزِعُوا عَنْهُمْ هَذَا أَوْ يَدَّبُّهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآئِي نَفَسٍ ﴿١٧﴾ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا بِآخِافٍ إِنَّ عَذَابِي رَئِي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٨﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ

١٢ - وإذا أصاب الإنسان ضرر في نفسه أو ماله أو نحو ذلك ، أحس بضيقه ودعا ربه على أي حال من حالاته ، مضطجعا أو قاعدا أو قائما ، أن يكشف ما نزل به من محنته ؛ فلما استجاب الله له ، فكشف عنه ضرره ، انصرف عن جانب الله ، واستمر على عصيانه ، ونسى فضل الله عليه ، كأنه لم يصبه ضرر ، ولم يدع الله إلى كشفه وكمنل هذا المسلك زين الشيطان للكافرين ما عملوا من سوء وما اتفقوا من باطل .

١٣ - ولقد أهلكنا الأمم السابقة عليكم بسبب كفرهم حين جاءتهم رسلهم بالآيات الواضحة على صدى دعوتهم إلى الإيمان ، وما كان في علم الله أن يحصل منهم إيمان ، بسبب تشبههم بالكفر والعصيان ؛ فاعتبروا باكتفائهم قريش ، فكما أهلكنا من قبلكم ، سنجزى المجرمين بإهلاكهم .

١٤ - ثم جعلناكم ، يا أمة محمد خلفاء في الأرض ، تعبرونها من بعد هؤلاء السابقين ، لنختبركم ونظهر ما افتتارونه لأنفسكم من طاعة أو عصيان ، بعد أن عرفتم ما جرى على أسلافكم .

١٥ - وحيثما تجلت آيات القرآن من رسولنا محمد على المشركين ، قال له الكافرون الذين لا يحافظون عذاب الله ولا يرجون نوابه : أننا كتابا غير هذا القرآن ، أو بدل ما فيه مما لا يحببنا ، قل لهم أيها الرسول لا يمكنني ولا يجوز أن أغير أو أبدل فيه من عندي ما أنا إلا متبع ومبلغ ما يوحى إلي من ربي إلى أخاف إن خالفت وحى ربي عذاب يوم عظيم خطره ، شديد هوله .

عَمْرًا مِنْ قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ۚ قُلْ
أَنْتُمْ عَنْ اللَّهِ عِزًّا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ شَيْئًا ۚ وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ لِلنَّاسِ
إِلَّا أَمَةٌ وَاحِدَةٌ ۚ فَاتَّخِذُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ فَيَذَلُّونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ
عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ

١٦ - قل لهم ، أيها الرسول : لو شاء الله ألا ينزل على قرآننا من عنده ، والا لأبلغكم به ، ما أنزله ، وما تلوته
عليكم ، ولا أعلمكم الله به . لكنه نزل ، وأرسلني به ، وتلوته عليكم كما أرفى . وقد مكثت بينكم زمنا طويلا قبل
البعث لم أَدع فيه الرسالة ، ولم أنل عليكم شيئا ، وأنتم تشهدون لي بالصدق والأمانة ، ولكن جاء الوحي به فأمرت
بتلاوته ، ألا فاعقلوا الامور وأدركوها ، واربطوا بين الماضي والحاضر .

١٧ - ليس هناك أشد طلبا لنفسه ممن كفر وافتري الكذب على الله ، أو كذب بآيات الله التي جاء بها رسوله :
انه لا ينجح الكافر في عمله ، وقد خسر خسارنا مبينا بكفره ، ومفاضته لله تعالى !

١٨ - ويعبد هؤلاء المشركون ، المقترون على الله بالشرك ، أصناما باطلة ، لا تضرهم ولا تنفعهم . ويقولون :
هؤلاء الاصنام يشفعون لنا عند الله في الآخرة قل لهم أيها الرسول : هل تحبسون الله بشريك لا يعلم الله له وجودا
في السموات ولا في الأرض ؟ ! تنزه الله عن الشريك وعما تزعمونه بعبادة هؤلاء الشركاء !

١٩ - وما كان الناس في تكوينهم إلا أمة واحدة يفتضى الفطرة ، ثم بعنا اليهم الرسل لارشادهم وهدايتهم
بمقتضى وحى الله تعالى ، فكانت تلك الطبيعة الانسانية التي استعدت للخير والشر سببا في أن يغلب الشر على
بعضهم ، وتحكم الاهواء ونزعات الشيطان ، فاختلقوا بسبب ذلك . ولولا حكم سابق من ربك بامهال الكافرين
بك أيها النبي ، وارجاء هلاكهم الى موعد محدود عنده ، لمجل لهم الهلاك والعذاب ، بسبب الخلاف الذي وقعوا
فيه ، كما وقع لأمم سابقة .

٢٠ - ويقول هؤلاء المشركون : هلا أنزل على محمد معجزة من عند الله غير القرآن ، نتقنا بصدق رسالته !
فقل لهم ، أيها الرسول : ان نزول الآيات غيب ، ولا أحد يعلم الغيب الا الله ، وان كان القرآن لا يقتضكم فانتظروا
قضاء الله ببنى وينبئكم فيما يحدوده ، انى معكم من المنتظرين .

بَعْدَ ضَرَاءَ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَمْ مَكْرَفٍ ؕ يَا أَيَّتَا قُلُوبَ اللَّهِ أَسْرَعَ مَكْرًا ۖ إِنْ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمَكُّرُونَ ۖ هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُ قُرَى الْبَحْرِ حَقٌّ إِذَا حُكِّمْتُمْ فِي الْقُلُوبِ وَبَرِّينَ يَوْمَ يَرْجِعُ طَائِفَةٌ وَيُفْرِحُونَ بِمَا جَاءَتْهُمْ رَاحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَهُنَّ آمَنَ مِنْ قَبْلِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۖ فَلَمَّا أَجْلَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۖ يَأْتِيهِمُ النَّاسُ إِنَّمَا يَعْبُرُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِمْ أَنبَتْنَاهُمْ أَمْزَالِيلًا أَوْ تَبَارَكُا فَجَعَلْنَاهَا حَبِيدًا كَأَن لَّا تَفْرَقَ

٢٩ - ومن شأن الناس اننا إذا أنعمنا عليهم، من بعد شدة أصابتهم في أنفسهم أو أوليهم أو أولاهم، لم يشكروا الله على ما أنعم به عليهم بعد صرف الغرض عنهم، بل هم يقابلون ذلك بالامعان في التكذيب والكفر بالآيات! قل أيها الرسول: ان الله قادر على هلاككم والاسراع بتصديقكم، لولا حكم سابق منه بإمهالككم إلى موعد اختص وحده بعلومه. إن رسلنا من الملائكة الموكلين بكم يكتبون ما تكترون وسيحاسبكم ويجازيكم.

٢٢ - الله الذي تكفرون بنعمه، وتكذبون بآياته، هو الذي يمتكمن من السير والسعي في البر شاة وركباناً، وفي البحر، بما سخر لكم من السفن التي تجرى على الماء، بما يحيى الله لها من ربح طيبة تدفعها في أمان إلى غايتها، حتى إذا أطمأنتم وفرحتم بما هبت ربح عاصفة أنارت عليكم الموج من كل جانب، وأيقنت أن الهلاك واقع لا محالة! في هذه الشدة لا تجدون ملجأ غير الله فتدعونه مخلصين في الدعاء، وموقنين أنه لا منفذ لكم سواء، متصدين له لأن أنعامكم من هذه الكربة لتؤمنن به ولتكونن من الشاكرين.

٢٣ - فلما أنجاهم مما تعرضوا له من الهلاك، نقضوا عهدهم، وعادوا سريعين إلى الفساد الذي كانوا من قبل! يا أيها الناس التافضون للمهد ان عاقبة اعتدائكم وظلمكم سترجع عليكم وحدكم، وإن ما تمتصون به في دنياكم متاع دنيوي زائل، ثم إلى الله مصيركم في النهاية فيجزىكم بأعمالكم التي أسلفتموها في دنياكم.

إِلَى الْأَمْسِ ۚ كَذَلِكَ نَقْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ * الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَىٰ وَزِيَادَتُهَا وَلَا يَرْجُوا وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَزِيدُهَا مِثْلُهَا وَلَهُمْ فِيهَا مَأْثَمٌ مِّنَ اللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ۖ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ ۖ فَرَأَيْتُمْ لِبَنِهِمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِبَانًا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾

٢٤ - ما حالة الحياة الدنيا في روعتها وبهجتها ، ثم في فنائها بعد ذلك ، إلا كحالة الماء ينزل من السماء ، فيختلط به نبات الأرض ، مما يأكله الناس والحيوان ، فيزدهر ويثمر وتزدان به الأرض نضارة وبهجة ، حتى إذا بلغت هذه الزينة تمامها ، وأيقن أهلها أنهم ما يكون زمانها ومتنفعون بثمارها وخيرها ، فاجأها أمرنا بزوالها فجعلناها شيئاً محسوداً ، كأن لم تكن أهله بسكانها وأخذت جهنم من قبل فكلنا الحاليتين نضارة وازدهار يبتهج بهما الناس ، ثم يفتقها زوال ودمار وكما بين الله ذلك بالأمثال الواضحة ، بين الآيات ويفصل ما فيها من أحكام وأبانت لقوم يتفكرون ويقولون (١) .

٢٥ - والله يدعو عباده بالإيمان والعمل الصالح إلى جنة دار الأمن والاطمئنان وهو سبحانه يهدي من يشاء هديته - لحسن استعداده وميله إلى الخير - إلى الطريق الحق وهو السلام .

٢٦ - للذين أحسنوا بالاستجابة لدعوة الله ، فآمنوا وعملوا الخير لدينهم ودنياهم لهم المنزلة الحسنى في الآخرة وهي الجنة ، ولهم زيادة على ذلك فضلاً من الله ونكراً ، ولا يفشى وجوههم كآبة من هم وهوان : وهؤلاء هم أهل الجنة الذين ينعمون فيها أبداً .

٢٧ - والذين لم يستجيبوا لدعوة الله ، فكفروا واقترفوا المعاصي فسيجزون بمثل ما عملوا من سوء ، ويفشاهم الهوان ، وليس لهم واق ينمهم من عذاب الله ، وجوههم مسودة من الغم والكآبة كأفأ أسدل عليها سواد من ظلمة الليل ! وهم أهل النار يشقون فيها أبداً .

٢٨ - واذكر - أيها الرسول - هول الموقف ، يوم يجمع الخلاق كافة - ثم نقول للذين أشركوا في عبادتهم مع الله غيره : قفوا مكانكم أنتم ومن اتقنقروهم شركاء من دون الله ، حتى تنظروا ما يفعل بكم ، فوقعت الفرقة بين المشركين والشركاء ، وتبرأ الشركاء من عابدين ، قائلين لهم : لم ندعكم إلى عبادتنا ، وما كنتم تعبدوننا ! وإنما كنتم تعبدون أهواءكم .

(١) تشير هذه الآية إلى حقيقة بدأت تتكشف بوجدانه وهي تسخير الإنسان للعلم لخدمته واستطاعته به أن يسيطر على ما يحقق أهدافه حتى إذا ما قاربت هذه الحقيقة الأكبال وظن الإنسان أنه قد بلغ أوج المعرفة أتى أمر الله .

فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكَ غَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُوا اللَّهُ فَعَلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ قَدْ لَبِكَ اللَّهُ رَبُّكَ الْحَقُّ قَدْ آذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتَ تُصِرُّونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلْ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَأَنْتَ تُؤْفِكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَسِّيِدُ إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ

٢٩ - وبكتبتنا الله بعلمه وحكمه شهيدا وفاصلا بيننا وبينكم . . انا كنا يهمل عنكم لا نشعر بعبادتكم لنا .

٣٠ - في ذلك الموقف تصلم كل نفس ما فعلت من خير أو شر ، وتلقى جزاءه . وفي هذا الموقف أيقن المشركون بوحدةانية الله الحق ، ويطل كل ما كانوا يفترونه على الله .

٣١ - ادع - أيها الرسول - إلى التوحيد الخالص ، وقل : من الذي يأتيكم بالرزق من السماء وإنزال المطر ، ومن الأرض بإخراج النبات والحر ؟ ومن الذي يمنحكم السمع والأبصار ؟ ومن يخرج الحى من الميت كالنبات ، وهو حى من الأرض وهى موات ؟ ومن يخرج الميت من الحى كالإنسان يسلب عنه الحياة ؟ ومن الذى يدبر ويصرف جميع أمور العالم كله بقدرته وحكمته ؟ فسيقترفون ، لا مناص ، بأن الله وحده فاعل هذا كله . فقل لهم ، أيها الرسول ، عند اعتراضهم بذلك : أليس الواجب المؤكد أن تدعوا للحق وتخافوا الله مالك الملك ؟

٣٢ - فذلكم الله الذى أقرتم به ، هو وحده ربيكم الذى تحققت ربوبيته ووجبت عبادته دون سواه وليس بعد الحق من توحيد الله وعبادته إلا الضلال ، وهو الاشتراك بالله وعبادة غيره ، فكيف تنصرفون عن الحق إلى الباطل .

٣٣ - كما تحققت الروحية الله ووجبت عبادته ، حق قضائهم على الذين خرجوا عن أمر الله متبردين بأنهم لا يذعنون للحق ، لأن الله تعالى لا يهوى إلى الحق إلا من سلك طريقه ، لا من تبرد عليه .

٣٤ - قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين . هل من معبوداتكم التى جعلتموها شركاء لله من يستطيع أن ينشئ الخلق ابتداء ، ثم يعيده بعد فناءه ؟ انهم سيجزون عن الجواب ! فقل لهم حيثئذ : الله وحده هو الذى ينشئ الخلق من عدم ثم يعيده بعد فناءه ، فكيف تنصرفون عن الإيمان به .

يَبْدِي لِلْحَقِّ أَقْنَى يَبْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَبْدِي إِلَّا أَنْ يَبْدَىٰ ۖ فَكَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا
الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِحَيْثُ بِهِ ۚ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَنَنْظُرُ كَيْفَ

٣٥ - قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين : هل من معبوداتكم التي جعلتموها شركاء لله من يستطيع التمييز بين الهدى والضلال ، فیرشد سواه إلى السبيل الحق ؟ فسيمجزون ! فهل القادر على الهداية إلى الحق أولى بالاتباع والعبادة ؟ أم الذي لا يستطيع أن يبتدى في نفسه ، وهو بالأول لا يبدى غيره ، اللهم إلا إذا هداه غيره ؟ كرووس الكفر ، والأخبار والزُهَّان الذين اتخذوهم أربابا من دون الله ! فالذي جعلكم تحترفون حق أشركتم هؤلاء بالله ؟ وما هذه الحال العجيبة التي تجرکم إلى تلك الأحكام الغريبة .

٣٦ - وما يتبع أكثر المشركين في معتقداتهم إلا ظنونا باطلة لا دليل عليها ! والظن - على وجهه العموم - لا يفيد ، ولا يفسى عن العلم الحق أى غناه ، ولا سجا إذا كان ظنا وهميا كظن هؤلاء المشركين . وإن الله عليم بما يفعله رؤساء الكفر وأتباعهم الذين يقلدوهم ! وسيجازيهم على ذلك .

٣٧ - وما كان يتأق في هذا القرآن أن يفتریه أحد ، لأنه في إعجازه وهدايته وإحكامه لا يمكن أن يكون من عند غير الله . وليس هو إلا مصدقا لما سبقه من الكتب السالوية ، فيما جاءت به من الحق ، وموضحا لما كتب وأثبت من الحقائق والشرائع . لاشك في أن هذا القرآن منزل من عند الله ، وأنه معجز لا يقدر أحد على مثله .

٣٨ - بل يقول هؤلاء المشركون : اختلق محمد هذا القرآن من عنده ! أقل لهم ، أيها الرسول : ان كان هذا القرآن من عمل البشر ، فأتوا أنتم بسورة واحدة مماثلة له ، واستعينوا على ذلك بمن تتساورون من دون الله ، إن كنتم صادقين في زعمكم ان القرآن من عندى .

كَانَ عِيقَ الْفَالِغِينَ ⑤ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ⑥
وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ إِنِّي عَلَىٰ عَمَلِكُمْ بِرِيعُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بِرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ⑦ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ⑧ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي
الْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصِرُونَ ⑨ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْعًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ⑩ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمُ

٣٩ - بل سارع هؤلاء المشركون الى تكذيب القرآن من غير أن يتدبروا ، ويطمئنا ما فيه ! فلم ينظروا فيه بأنفسهم ، ولم ينفروا على تفسيره وبيان أحكامه بالرجوع إلى غيرهم ! ويثقل هذه الطريقة في التكذيب من غير علم ، كذب الكافرون من الأمم السابقة وسلمهم وكتبهم ! فانظر أيها الانسان ما آل اليه أمر المكذبين السابقين ، من خذلانهم وهلاكهم بالذاب ! وهذه سنة الله في أمثالهم .

٤٠ - ومن هؤلاء المكذبين من سيؤمن بالقرآن بعد أن يفتن إلى ما فيه ، ويتنبه لعانيه ، ومنهم فريق لا يؤمن به ولا يتحول عن ضلاله ! والله سبحانه وتعالى أعلم بالمكذبين المفسدين ، وسيجازيهم على ما فعلوه .

٤١ - وإن أصرروا على تكذيبك أيها الرسول - بعد وضوح الأدلة على نبوتك - فقل لهم : إن لي جزاء عمل ، ولكم جزاء عملكم كيفما كان ، وافق مستمر في دعوتي ، وأنتم لا تؤخضون بعلمي ، وأنا لا أؤاخذ بملككم فافعلوا ما شئتم وسيجازي الله كلا بما كسب .

٤٢ - ومن هؤلاء الكفار من يستمع اليك - أيها الرسول - حين تدعوهم إلى دين الله ، وقد أغلقت قلوبهم دون قبول دعوتك ، فأنت لا تقدر على إجماع هؤلاء الصم وهدايتهم ، وخاصة إذا أضيق إلى صممهم عدم فهمهم لما تقول .

٤٣ - ومنهم من ينظر اليك ويفكر في شأنك ، فيرى دلائل نبوتك الواضحة ، ولكن لا يعتدي بها ، فله في ذلك مثل الأعمى ولست بقادر على هداية هؤلاء الصم ، فعمى البصر كعمى البصيرة ، كلالها لا هداية ! فالأعمى لا يعتدي حسا ، والضال لا يعتدي معنى .

٤٤ - إن الله سبحانه وتعالى سيجازي الناس بأعمالهم بالعدل والقسااس ، ولا يظلم أحدا منهم شيئا ، ولكن الناس الذين يظلمون أنفسهم باختيارهم الكفر على الايمان !

كَانَ لَّيْلَتُهُمْ إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِ اللَّهِ وَكَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾
وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِينَكَ فَإِنَّا مَرَجُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ فَهُنَّ بِالْأَفْئِطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ
فَلَا يَسْتَعْرِفُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ اتَّخَذْتُمْ عِزَابَهُ يَتَشَاءُ أَوْ تَهَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتَمَّ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنْتُمْ بِهِ ؕ أَلَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ قَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا

٤٥ - وأنذرهم - أي الرسول - يوم يحصيهم للحساب ، فيتحققون بحسب اليوم الآخر بعد أن كانوا يكذبون به ، ويتذكرون حياتهم في الدنيا ، كأنها ساعة من النهار لم تتسع لما كان ينبغي من عمل الخير ، ويعرف بعضهم بعضا يتلاومون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال . قد خسر المكذبون باليوم الآخر فلم يقدموا في دنياهم عملا صالحا ولم يظفروا بنعيم الآخرة بكفرهم .

٤٦ - وإن أريناك - أي الرسول - بعض الذي نعدهم به ، من نصرتك عليهم ، والحق العذاب بهم ، أو توفيتك قبل أن ترى كل ذلك ، فلا تناص من عودتهم اليك للحساب والمجازاة . والله سبحانه رقيب وعالم بكل ما يفعلونه ، وبما يجازيهم به .

٤٧ - ولقد جاء رسول لكل أمة فيبلغها دعوة الله ، فأمن من آمن ، وكذب من كذب ، فإذا كان يوم الحشر ، وجاء رسولهم وشهد على مكذبيهم بالكفر ، وللمؤمنين بالإيمان ، فيحكم الله بينهم بالعدل التام ، فلا يظلم أحدا فيها يستعفه من جزاءه .

٤٨ - ويمن الكافرون في التكذيب باليوم الآخر ، فيستعجلونه متكبرين ويقولون : متى يكون هذا الذي تعدنا به من العذاب ، إن كنت أي الرسول ومن معك ، صادقين فيما تؤمنون به وتدعوننا إليه ؟

٤٩ - قل لهم أي الرسول : انفي لا أملك لنفسي خيرا ولا شرا ، إلا ما أقدرني الله عليه . فكيف أملك تقديم العقوبة ؟ إن لكل أمة نهاية حددها الله ألا فإذا حانت هذه النهاية فلا يستطيعون التأخر عنها وقتا ما ، كما لا يستطيعون سيقها !

٥٠ - قل هؤلاء المكذبين المستعجلين وقوع العذاب : أخبروني إن وقع بكم عذاب الله ليلًا أو نهارًا ، فأى فائدة يحصل عليها من استعجالهم المجرمون الآخون ؟ والعذاب كله مكروه ..

٥١ - أتتكررون العذاب الآن ، ثم إذا حل بكم يقال لكم توبيعا : هل أنتم به حين عابتنوه ، وقد كنتم تستعجلونه في الدنيا مستهينين جاحدين ..

عَذَابٍ أَتَقْلِبُ هَلْ يُعْجِزُونَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ * وَيَسْتَعْجِلُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ حَقٌّ
وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَأُ أَتْدَامَةً لَهَا رَأَوُا
الْعَذَابَ وَقَضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ
حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُجِئُ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِدَةٌ
مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا

٥٢ - ثم يقال يوم القيامة للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب: ذوقوا العذاب الدائم... لا يعجزون الآن إلا على أعمالكم التي كسبتموها في الدنيا.

٥٣ - ويطلب الكفار منك أيها الرسول - على سبيل الاستهزاء والانكار - أن تخبرهم أحق ما جئت به من القرآن وما تعدهم به من البعث والعذاب؟ قل لهم: نعم وحق خالق الذي أنشأني أنه حاصل لا شك فيه وما أنتم بغالبين ولا مانعين ما يريد الله بكم من العذاب.

٥٤ - ولو أن كل ما في الأرض مملوك لكل نفس ارتكبت ظلم الشرك والجحود، لارتضت أن تقدمه فداء لما تستقبل من عذاب تراه يوم القيامة وتعاين هوله، حينئذ يتردد الندم والحسرة في سرائرهم لمعجزهم عن النطق به! ولشدته ما دهاهم من الفزع لرؤية العذاب! ونفذ فيهم قضاء الله بالعدل، وهم غير مظلومين في هذا الجزاء، لأنه نتيجة ما قدموا في الدنيا.

٥٥ - يعلم الناس أن الله مالك ومهيمن على جميع ما في السموات والأرض، وليعلموا أن وعده حق، فلا يعجزه شيء، ولا يفلت من جزائه أحد، ولكنهم قد غرته الحياة الدنيا لا يعلمون ذلك علم اليقين.

٥٦ - والله سبحانه - يجب الحياة بعد عدم، ويسلبها بعد وجود وإليه المرجع في الآخرة، ومن كان كذلك لا يعظم عليه شيء.

٥٧ - يأتيها الناس: قد جاءكم على لسان الرسول محمد كتاب من الله، فيه تذكير بالآيات والطاعة وعظة بالترغيب في الخير، والترهيب من عمل سوء، وسوق العير بأخبار من مهجوكم وتوجيه نظركم إلى عظمة الخلق لتدركوا عظمة الخلق، وفيه دواء لأعراض قلوبكم من الشرك والتفاسق، وهداية إلى الطريق المستقيم. وذلك كله رحمة للمؤمنين الذين يستجيرون.

هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أُذُنٌ لِكُلِّ
 أَمٍّ عَلَى اللَّهِ تَقَرَّوْتَ ﴿٥٩﴾ وَمَا عَلَّمَ الَّذِينَ يَفْقَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا
 عَلَيْكُمْ شُهودًا إِذْ تُفَيْضُونَ فِيهِ وَمَا يُعْزَبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْفَرُ
 مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

٥٨.. قل لهم أيها الرسول: افرحوا بفضل الله عليكم ورحمته بكم، بإنزال القرآن وبيان شريعة الاسلام، وهذا خير من كل ما يجمعهم الناس من متاع الدنيا، لأنه غذاء القلوب وشفاء أسقامها.

٥٩ - قل - أيها الرسول - للكفار الذين أوتوا بعض متاع الدنيا: أخبروني عما منحكم الله من رزق حلال طيب، فافتم من أنفسكم مشرعين، فيجلبون بعضه حلالا، وبعضه حراما دون أن تأخذوا بشرع الله؟ إن الله لم يأنس لكم في هذا، بل أنتم تكذبون في ذلك على الله!

٦٠ - ما الذي يظنه يوم القيامة أولئك الذين كانوا يفترون الكذب على الله فيدعون الحلال والحرام، من غير أن يكون عندهم دليل؟ إن الله أنعم عليهم نعم كثيرة، وأحلها لهم بفضلله، وشرع لهم ما فيه خيرهم، ولكن الأكثرين لا يشكرون الله عليها، بل يفترون على الله الكذب.

٦١ - وانك أيها الرسول قد بلغت وهو معلوم لله، وما تكون في أمر من أمورك، وما تقرأ من قرآن ولا تعمل أنت وأمتك من عمل، إلا ونحن شهود رقباء عليه حين تدخلون فيه مجاهدين، ولا يغيب عن علم ربك شيء في وزن الذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصفر من هذا ولا أكبر منه. إن ذلك كله يسجل في كتاب عند الله بين واضح.

٦٢ - تنبهوا أيها الناس، واعلموا أن الموالين لله بالآيمان والطاعة محبهم ومحبيهم، لا خوف عليهم من الخزي في الدنيا، ولا من العذاب في الآخرة وهم لا يحزنون على ما فاتهم من عرض الدنيا لأن لهم عند الله ما هو أعظم من ذلك وأكثر.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مُرَكَّاتًا إِنَّهُمْ يُبْعَثُونَ أَلَا أَلْقَيْنَ لَوْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ

٦٣ - وهم الذين صدقوا بكل ما جاء من عند الله ، وأذعنوا للحق ، واجتنبوا المعاصي ، وخافوا الله في كل أحوالهم .

٦٤ - هؤلاء الأولياء البشري بالخير في الدنيا ، وعندهم الله به من نصر وعز ، وفي الآخرة يتحقق وعد الله ، ولا خلف لما وعد الله به وهذا الذي بشروا به في الدنيا ، وظفروا به في الآخرة هو الفوز العظيم .

٦٥ - ولا تحزن - أي الرسول - لما يقوله المشركون من سخرية وطعن وتكذيب ، ولا تظن أن حالهم ستدوم ، بل ان النتيجة لك وسيعز الاسلام ، فإن العزة كلها لله تعالى ، والنصر بيده ، وسينصرك عليهم ، وهو سبحانه السميع لما يفكرون عليك ، العليم بما يضمرونه ، وسيجازيهم على ذلك .

٦٦ - لتعلموا - أي الناس أن الله وحده كل من السموات والأرض خلقا وملكا وتديرا . وإن الذين أشركوا بالله لا يتبعون شركاء الله في الحقيقة وهم لا يتبعون إلا أوهاما باطلة لا حقيقة لها ، وليسوا إلا واهمين يظنون القوة فيما لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

٦٧ - إن الذي يملك من في السموات والأرض ، هو الذي خلق لكم الليل لتسريحوا فيه من عناء السعي في النهار ، وخلق لكم النهار مضيا لتسبحوا فيه وتجلبوا مصالحكم . ان في خلق الليل والنهار لدلائل لمن يسمعون ويتدبرون .

سُلْطَنِينَ يَبْتَذَلُونَهُ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾
مَنْعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ * وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَرَّبُ إِنْ كَانَ كِبَرٌ عَلَيْكُمْ مَقَابِي وَيَذْكُرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ
وَشِرْكَاءَكُمْ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ لَسَاءَ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ مِنْ
أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرْتُ أَنْ أُكُونَ مِنَ السُّلَّيِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَتَبِعْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ

٦٨ - وإذا كان عبدة الأوثان قد أشركوا في العبادة حجارة ، ولم ينزهوا الله حق التنزيه ، وقالوا أن الله ولدا . . فالله منزّه عن ذلك . . أنه غي عن أن يتخذ ولدا ، لأن الولد مظهر الحاجة إلى البقاء ، والله باق خالد ، وكل ما في السموات وما في الأرض مخلوق وعملوك له ، وليس عندكم أيها المقترون حجة ولا دليل على ما زعمتم ، فلا تحفظوا على الله أمرا لا أساس له من الحقيقة .

٦٩ - قل لهم أيها الرسول : إن الذين يخلفون على الله الكذب ويزعمون أن له ولدا ، لن يفلحوا أبدا !
٧٠ - لهم منافع في الدنيا يفترون به ، وهو قليل ، طال أو قصر ، بهجوار ما يستقبلهم ! ثم إلينا مرجعهم ، فنحاسبهم ونذيقهم العذاب المؤلم بسبب كفرهم .

٧١ - وإن ما ينزل بك من قومك قد نزل بين مسبقك من الأنبياء . واقرأ أيها الرسول على الناس ، فما ينزله عليك ربك من القرآن قصة نوح رسول الله لما أحس كراهية قومه وعدامهم لرسالته ، فقال لهم : يا قوم إن كان وجودي فيكم لتبليغ الرسالة قد أصبح شديدا عليكم ، فإني مستمر مثابر على دعوتي متوكل على الله في أمري ، فأحزموا أمركم وبسبب شركائكم في التدبير ، ولا يكن في عدائكم لي أي خفاء ، ولا تهملوني بما تريدون لي من سوء ، إن كنتم تقدرون على إيقادي ، فإن ربي يرعاني .

٧٢ - وإن بقيتم على الاعتراض عن دعوتي ، فإن ذلك لن يضرني ، لأنني لم أقم بها لأتقاضاكم عليها أجرا أخشى عليه الضياع بسبب إعراضكم ، إنما أطلب أجرى عليها من الله وحده ، وقد أمرني أن أكون مسلما إليه جميع أمري .

وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَذَابَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَشَّرْنَا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٥﴾ ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ مَوْمِئِينَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ الْحَقُّ لَمَّا جَاءَكُمْ سِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتْلُوَ عَلَيْكُمْ وَأَبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِتَابَةُ فِي الْأَرْضِ

٧٣ - ومع هذا اليهود وتلك الممارة التي بلغنا من أجل هدايتهم ، أصروا على أن يستمروا في تكذيبه وعداوته ، فتجاه الله ومن معه من المؤمنين به ، الراكين معه في الفلك وجعلهم عمارا للأرض بعد هلاك الكافرين الذين أغرقهم الطوفان ، فانظر يا محمد كيف لى المستغفون بالنار مصيرهم للى .

٧٤ - ثم أرسلنا من بعد نوح رسلا آخرين ، داعين إلى التوحيد ، ومبشرين ومنذرين ومؤيدين بالمعجزات الدالة على صدقهم ، فكذبت أقوامهم كما كذب قوم نوح لما كان من شأن المجاهدين منهم أن يدعوا ، لأن التكذيب سبق التبصير والاعتبار ، وبذلك طبع الله الباطل على قلوب الذين من شأنهم الاعتدال على الحقائق وعلى البينات .

٧٥ - ثم أرسلنا من بعدهم موسى وأخاه هارون إلى فرعون ملك مصر وإلى خاصته ، داعين إلى عبادة الله وحده ، ومؤيدين بالحجج الباهرة ، فاستكبر فرعون وقومه عن متابعة موسى وهارون في دعوتها ، وكانوا بهذا الرفض مرتكبين جرما عظيما .

٧٦ - فلما ظهر لهم الحق من عندنا على يد موسى ، قالوا في معجزة موسى وهى العصا التي انقلبت حية أمام أعينهم : إن هذا سحر مؤكد واضح .

٧٧ - قال لهم موسى مستكبرا : اتصفون الحق الذى جئتكم به من عند الله بأنه سحر ؟ أنكون هذه الحقيقة التي عاينتموها سحرا ؟ ! وأنذا أتحدكم أن تثبتوا أنها سحر ، فأثروا بالساحرين ليشبوا ما تدعون ، ولن يفرز الساحرون في هذا أبدا .

وَمَا تَحُزُّ لَكَ يٰمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُخَيِّتُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكُلِّ بَلَدٍ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَمَّا لِمُوسَىٰ إِذَا ذَرِيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يُلْقَوْنَ إِن كُنْتُمْ ءَامِنِينَ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا

٧٨ - قال فرعون وقومه لموسى : ائما جئت الينا قاصدا أن تصرفنا عن دين آبائنا وتقاليد قومنا لكي نصير لكما اتباعا ويكون لك ولأخيك الملك والعظمة والرياسة المسيطرة المتحكمة ؟ وإذن فلن نؤمن بكما ولا برسالتكما .

٧٩ - وزعم فرعون وقومه أن موسى وأخاه ساحران لا رسولان ، فأمر رجاله بأن يحضروا له من مملكته كل من له مهارة في فنون السحر .

٨٠ - ولما حضر السحرة ووقفوا أمام موسى ، لمازله بسحرهم على رؤوس الأشهاد ، قال لهم موسى : هاتوا ما عندكم من فنون السحر .

٨١ - فلما ألقوا حبالهم وعصيهم ، قال لهم موسى : إن الذى فعلتموه هو السحر حقا ، والله سبحانه سيبطله على يدي ، إن الله لا يبيى أعمال المفسدين لأن تكون صالحة وثاقبة .

٨٢ - أما الحق فإن الله ناصره ومؤيده بقدرته وحكمته ، مهما أظهر الكافرون من بغضهم له وعما ربهم إياه .

٨٣ - ومع ظهور الآيات الدالة على صدق الرسالة ، فإن الذين آمنوا بموسى لم يكونوا إلا فئة قليلة من قوم فرعون ، آمنوا على خوف من فرعون ومن معه أن يردوهم عما آمنوا به ، وما أعظم طغيان فرعون في أرض مصر وأنه لمن المغالين الذين أسرفوا في استكبارهم واستعلائهم .

٨٤ - أما موسى فقد قال للمؤمنين مواسيا لهم ومشجعا : يا قوم ، إن كان الإيمان قد دخل قلوبكم في إخلاص لله فلا تفشوا سواء ، وأسلموا أموركم إليه . وتوكلوا عليه . وتوكلوا في النهاية إن كنتم ثابتين على الاسلام .

فَتَنَّا لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَمَّا يَرْجَمَكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكَ مِمَّعٍ بَيْتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَئِنْ أَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلَّكَ رَبُّنَا أَعْمَسًا وَعَلَىٰ أُمُومِهِمْ وَأَشَدُّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٧﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَجِبَا وَلَا تَلْعَنَ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ * وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَاَمَنْتُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ءَأَلْفَنُ وَقَدْ عَصَيْتُ

٨٥ - فقال المؤمنون : على الله وحده توكلنا ، ثم دعوا ربهم ألا يجعلهم أداة فتنة وتعذيب في يد الكافرين .

٨٦ - ودعوا ربهم قائلين : نحن بما أسبغت علينا من نعمة ورحمة ، وفيض رحمتك التي انتصفت بها ، من القوم المجاهدين الظالمين .

٨٧ - وأوحينا الى موسى وأخيه هارون أن يتخذوا لقومها بيوتا يسكنونها بأرض مصر ، وأن يجعلوا هذه البيوت قبلة يتجه اليها أهل الايمان الذين يتبعون دعوة الله ، وأن يؤدوا الصلاة على وجهها الكامل . والبشرى بالمخير للمؤمنين .

٨٨ - ولما تمادى الكفار في تمتعهم مع موسى ، دعا الله عليهم ، فقال : يا رب انك أعطيت فرعون وخاصة بهجة الدنيا وزينتها من الأموال والبنين والسلطان فكانت عاقبة هذه النعم اسرافهم في الضلال والاضلال عن سبيل الحق اللهم اسحق أموالهم . واتركهم في ظلمة قلوبهم ، فلا يوفقوا للايمان حتى يروا رأى العين العذاب الاليم ، الذي هو العاقبة التي تنتظرهم ليكونوا عبرة لغيرهم .

٨٩ - قال الله تعالى : قد أجيب دعاؤكما ، فاستمرا على السير في الطريق المستقيم ، واتركا سبيل أولئك الذين لا يملكون الأمور على وجهها ولا يذعنون للحق الذي وضع .

٩٠ - ولما جاوزنا بني اسرائيل البحر ، تعقيم فرعون وجنوده للاعتداء عليهم فأطبقنا عليهم البحر ، فلما أدرك الفرق فرعون قال : صدقت بالله الذي صدقت به بنو اسرائيل ، وأذعنت له ، وأنا من الطائفتين الخاضعين .

قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُسْتَعِدِّينَ ﴿١٠﴾ قَالَ يَوْمَ نُفَعِّجُكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴿١١﴾ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَفْلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمَرِّينَ ﴿١٤﴾ وَلَا تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَكَانُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ هَفَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ

٩١- لم يقبل الله من فرعون هذا الايمان الذي اضطر اليه ، وتلك التوبة التي كانت وقد حضره الموت ، بعد أن عاش عاصيا لله مقسدا في الأرض ثبات كافرا مهانا .

٩٦- واليوم الذي هلك فيه نخرج جنتك من البحر ، ونبشها لتكون عظة وعبرة لمن كانوا يعبدونك ولا ينتظرون لك مثل هذه النهاية المؤلمة المخزية ولكن كثيرا من الناس يغفلون عن البيانات الباهرة في الكون التي كتبت قديما^(١).

٩٣ - ولقد مكنا لى اسرائيل بعد ذلك فعاثوا فى ارض طيبة ، محافظين على دينهم ، بعيدين عن الظلم الذى كانوا فيه ، موفورة لهم الارزاق والنعم ، ولكهم ما ان ذاقوا نعمة العزة بعد الهوان ، حتى اصابهم داء القسوة فاختلقوا مع انه قد نبين لهم الحق والباطل ، وسيفضى الله بينهم يوم القيامة ، ويجزى كلا منهم بما عمل .

٩٤ - فإن ساور أو ساور أحدا غيرك شك فما أنزلنا إليك من وحى ، فاسأل أهل الكتب السابقة المنزلة على أنبيائهم ، تجد عندهم الجواب القاطع الموافق لما أنزلنا عليك . وذلك تأكيد للصنف بيان الدليل عند احتمال أى شك فليس هناك مجال للشك ، فقد أنزلنا عليك الحق الذى لا ريب فيه ، فلا تحار غيرك فى الشك والتردد .

٩٥- ولا تكن أنت ولا أحد من الذين اتبعوك . من الذين يكذبون بالحجج والبيانات ، لئلا يحصل عليك الحسران والغضب كما هو شأن الكفار الذين لا يؤمنون والمحطاب للنبي خطاب لكل من اتبعه .

(١) يظهر أن الآلة الكريمة تشير إلى أن جسم فرعون سيقبض معقولا ليراه الناس ويحتجروا برؤية ذلك الحطام الرميم إن كان يعتبر نفسه ألها، ويقول قومه الخائفين ليس لكم من الله عيسى.

هذا وبلاطح أن خروج بني إسرائيل من مصر قد وقع في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد في عهد أحد فراعنة الأسرة التاسعة عشرة وهو منتفخين في رئيسهم الثاني الذي سخر بني إسرائيل في بناء عاصمة ملكه.

وقد تدل الكشوف التاريخية الحديثة على أن اسم هذه المدينة المظلمة هو «عميس» وكان خروج بني إسرائيل مع موسى للدعوة إلى الرمدانية ولقاع ربة فرعون الذي يسخرهم ويذلهم، بسوء القلاب: ليس هذا دلالة على أنه من عند الله؟

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ رَوَوْا عَذَابَ الْآلِيمِ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَثَمَعَهَا إِعْنِبَهَا
إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غِيَابَ الْخَمِيرِ فِي الْحَمِيرِ الدُّنْيَا وَنَعْنَعُهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْمَلُ الرَّجْسُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي
الْأَنْبُتُ وَالنَّارُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلِ فَانظُرُوا إِلَىٰ

٩٦ - إن الذين سبق عليهم قضاء الله بالكفر ، لما علم من عناهم وتصميم لن يؤمنوا معها أجهدت نفسك في اقناعهم .

٩٧ - ولو جئتهم بكل حجة منها يكن ضلالتها فلي يقتنعوا ويستسلموا على ضلالتهم إلى أن ينتهي بهم الأمر إلى العذاب الآليم .

٩٨ - لو أن كل قرية من القرى تؤمن لنفسها إيماناً ، لكنها لم تؤمن . فلم يكن النفع إلا لقوم يونس ، فانهم لما آمنوا وجدوا النفع لهم ، فكشفنا عنهم الخمر وما يقرب عليه من الأم . وجعلناهم في متعة الدنيا الثانية حتى كان يوم القيامة .

٩٩ - ولو أراد الله إيمان من في الأرض جميعاً لأمّنوا . فلا تحزن على كفر المشركين ، ولا إيمان إلا مع الرغبة فلا تستطيع أن تكروه الناس حتى يذعنوا للحق ويستجيبوا له فليس لك أن تحاول إكراههم على الإيمان ولن تستطيع ذلك معها حاولت .

١٠٠ - لا يمكن لإنسان أن يؤمن إلا إذا انجذبت نفسه إلى ذلك وهياً الله لها الأسباب والوسائل أما من لم يتجه إلى الإيمان فهو مستحق لسطح الله وعذابه ، وسنة الله أن يجعل العذاب والغضب على الذين ينصرفون عن الحجج الواضحة ولا يتدبروها .

١٠١ - قل بأبداً التي هؤلاء المعاندين : انظروا إلى ما في السموات والأرض من بينات ترشد إلى الوهية ووجدانيته ، ففيها ما يقتنعكم بالإيمان . ولكن الآيات على كثرتها والتدبر على قوتها لا تنفي عن قوم جاحدين لا يعقلون ، إذا لم يؤمن هؤلاء الجاحدون فلي ينتظروا^(١) .

(١) هذه الآية وكثير غيرها تدعو إلى العلم بالمشاهدة والتأمل وتدعو إلى العلم بالكون ومآله إذ قد سخر للإنسان لأنه السبيل إلى المعرفة بالمشاهدة المصورة .

مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نَجَّيْ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ
 إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ
 أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ

١٠٢ - فهل ينتظر أولئك المجاهدين إلا أن ينالهم من الأيام الشداد مثل ما أصاب الذين مضوا من قوم نوح وقوم موسى وغيرهم ؟ قل لهم أيها النبي إذا كنتم تنتظرون غير ذلك ، فانتظروا إلى منتظر معكم ، وستصيبكم الهزيمة القرية والعذاب يوم القيامة .

١٠٣ - ثم نجي رسلنا والمؤمنين من ذلك العذاب ، لأنه وعد بنجاتهم ، ووعد حق لا يتخلف .

١٠٤ - قل لهم أيها الرسول : إن كنتم تشكون في صحة الدين الذي بعثت به فاعلموا أنه مهما تشككنتم فيه فلن أعبد الأصنام التي تعبدونها من دُون الله ، ولكني أعبد الله الذي بيده مصيركم ، وهو الذي يتوفاكم ، وقد أمرني أن أكون من المؤمنين به .

١٠٥ - أيها النبي قم حق القيام بالاتجاه إلى الله منصرفا إليه ، ولا تدخل في غمار الذين أشرکوا بالله ، فعاجنهم وابعد عنهم أنت ومن اتبعك من المؤمنين .

١٠٦ - ولا تلجأ بالدعاء والعبادة إلى غير الله مما لا يجلب لك نفعا ، ولا ينزل بك ضرا فانك ان فعلت ذلك كنت داخلا في غمار المشركين الظالمين والنهي الموجه للنهي هو موجه لآفته ، وهو تأكيد للنهي ، لأن النهي حيث لا يمكن وقوع النهي عنه مبالغة في النهي .

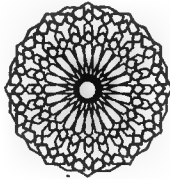


لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرْذَكَ يَحْجِرْ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ قَدْ جَاءَ كُرْ الْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ قُلْ أَهْتَدَىٰ لِنَفْسِي ۚ وَمَنْ ضَلَّٰ فَلَمَّا يَفْضَلُ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصِرْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

١٠٧ - وإن يصبك الله بضر أيها النبي فلن يكشفه عنك إلا هو، وإن يعذر لك الخير فلن يمنه عنك أحد لأنه يحب الخير من فضله لمن يشاء من عباده، وهو سبحانه الواسع المظرة العظيم الرحمة.

١٠٨ - بلغ أيها الرسول دعوة الله إلى الناس كافة، وقل لهم: أيها الناس قد أنزل الله عليكم الشريعة الحقة من عنده فمن شاء أن يهتدى بها فليسارع، فإن فائدة هداة ستكون لنفسه، ومن أصر على ضلاله فإن ضلاله سبق عليه وحده، وأنا لست موكلًا بأرغامكم على الإيمان، ولا سيطرًا عليكم.

١٠٩ - واثبت أيها الرسول على دين الحق، واتبع ما أنزل عليك من الوحي، صابرا على ما يتألك في سبيل الدعوة من مكاره، حتى يقضى الله بينك وبينهم، بما وعدك به من نصر المؤمنين، وغذلان الكافرين، وهو خير الحاكمين..





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِيبُ أَهْلَكْتُمْ ؕ إِنِّي لَمِّنْ قُدْرَتِي عَلَيْهِ ۖ أَفَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا أَنِّي لَكُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ وَنَذِيرٍ ۖ وَإِنْ استَغْفِرُوا رَبُّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَنَافِعَ حَسَنًا لِّمَا أَجَلُ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي

سورة هود: هي سورة مكية تتكون من ١٢٣ آية ابتدأت بالتنويه بالقرآن الكريم، وعبادة الله وحده، والانتذار، والتبشير، ثم بيان قدرة الله وربوبيته، وأحوال الناس في تلقيهم لنعمه ونقمه، ثم مقام القرآن، والتحدى به، وكفر الكافرين به من غير عذر في كفرهم، وبيان ثواب المؤمنين.

ولقد قص سبحانه بعد ذلك قصص النبيين، ومجادلة أقوامهم لهم، وإنزال العذاب الدنيوي بالكافرين وبجأة المؤمنين، فذكر سبحانه وتعالى قصة نوح بتفصيل أكثر مما كان في سورة يونس، ففيها بيان لعقوبة الكافر وعنايته، وبيان لإنزال الملقط به، ومن بعد قصة نوح ذكر سبحانه قصة عاد مع نبي الله هود، ببيان يوضح عقوبة الكفر، وما نزل بالكافرين مع قوة بأسهم وشدهم.

ثم ذكر بمثل ذلك من البيان قصة نبي الله صالح مع حمود، ثم قصة نبي الله وخليله إبراهيم ثم قصة نبي الله لوط، ثم قصة نبي الله شعيب.

ثم ذكر سبحانه وتعالى السر في هذا القصص الحق، وختمها سبحانه بدعوة المؤمنين إلى العمل وانتظار الثواب، ثم ذكر علم الله سبحانه وتعالى الكامل وجوب التوكل عليه.

١- الر... حروف ابتدأت بها السورة للإشارة إلى أن القرآن معجز، مع أنه مكون من الحروف التي ينطقون بها، وللتبشير إلى الإصغاء عند تلاوة القرآن الكريم إلى أنه كتاب ذو شأن عظيم، أنزلت آياته محكمة لا باطل فيها ولا شبهة، ونظمت بأسلوب لا خلل فيه، واضحة بيّنة، ثم فصلت أحكامها. وللكتاب مع شرفه في ذاته شرف أنه من عند الله المجنى يعلم كل شيء، ويضع الأمور في مواضعها سبحانه.

٢- أرشد به الناس، أيها النبي، وقل لهم: لا تعبدوا إلا الله، اني مرسل منه لأنذركم بعذابه ان كفرتم، وأبشركم بنوابه ان آمنتم وأطعتم.

فَضَّلِي فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ① إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ② أَلَا إِنَّهُمْ يَمُنُّونَ بِصُورِهِمْ لَيْسْتَخَوَانَهُ أَلَا جِنَّةٌ يَسْتَفْتُونَ فِي آيَاتِهِمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِ الْمَوْتُ ③ وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ④ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيُبْلِغَكُمْ أَجَلَكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ لَأَنكُمْ مُبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيُقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ⑤

٣ - وتضرعوا إلى الله داعين أن يفر لهم ذنوبكم ، ثم أرجعوا إليه باخلاص العبادة وعمل الصالحات ، فيصحبكم مشاعا حسنا في الدنيا إلى أن تنتهي آجالكم المقدرة لكم فيها ، ويعطي في الآخرة كل صاحب عمل صالح فاضل ثواب عمله وفضله . وإن تنصرفوا عما أدعوكم إليه ، تعرضتم للعذاب ، فإني أخاف عليكم هذا العذاب يوم كبير يحشر فيه الناس جميعا ويكون فيه الهول الأكبر .

٤ - إلى الله وحده مرجعكم في الدنيا ويوم القيامة ، حين يبعثكم من قبوركم ليجازيكم على أعمالكم ، وهو قادر على كل شيء ، لأنه كامل القدرة لا يعجز عن شيء من الأشياء

٥ - إن الناس يطوفون صدورهم كالتين لما يجول فيها ، مجتهدين في كتابهم ، زاعمين أن عاقبة ذلك أن تستخرج خلجات صدورهم عن الله ؟ ألا فليعلم هؤلاء أنهم إن أورا إلى فرائضهم لايسين لباس النوم ، فاستقروا بظلام الليل والنوم وطى ما في الصدور ، فإن الله عليم بهم ، في سرهم وعلنتهم ، لأنه يعلم ما يصاحب الصدور ويطوى فيها .

٦ - وليعلم هؤلاء أن قدرة الله ونعمه وعلمه شاملة لكل شيء ، فلا توجد دابة تتحرك في الأرض الا وقد تكفل الله سبحانه برزقها المناسب لها في مختلف البيئات تفضلا منه ، ويعلم مكان استقراها في حال حياتها ، والمكان الذي تودع فيه بعد موتها ؟ .. كل شيء من ذلك مسجل عنده سبحانه في كتاب موضح لأحوال ما فيه .

٧ - والله خلق السموات والأرض وما فيها في ستة أيام ، ومن قبل ذلك لم يكن الوجود أكثر من عالم الماء ، ومن فوقه عرش الله . وقد خلق الله هذا الكون ليظهر بالاختيار أحوالكم أيها الناس ، ليظهر منكم من يقبل على الله بالطاعة والأعمال الحسنة ، ومن يعرض عن ذلك ... ومع هذه القدرة الخارقة ان قلت لهم مؤكدا : أنهم سيبعثون من قبورهم ، وأنهم خلقوا ليؤمنوا ويعتقوا ، سارعوا إلى الرد عليكم مؤكدين أن هذا الذي جئتهم به لا حقيقة له ، وما هو الا كالكسر الواضح الذي يلعب بالعقول .

وَلَيْنَ أَتَرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَّا أُمَّةً مَعْدُودَةً لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۖ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ زَعَفْنَاهُ مِنَّا إِنَّا لَنَبْعُثُ كَفُورًا ۝ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرَاءٍ مِّمَّةٍ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۖ إِنَّا لِلْفَرَحِ فَخُورٌ ۝ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ فَلَمَّا كُنَّا تَارِكًا بَعْضَ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقًا بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ مِّنْ رَبِّهِ وَإِنَّا لَنَاقِلُونَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ

٨ - ولئن اقتضت حكمتنا تأخير عذاب كفرهم في الدنيا إلى وقت محدد عندنا هو يوم القيامة، ليقولون مستهزئين: ما الذي يمنعه عنا الآن؟ فليأت به إن كان صادقاً في وعيده. ألا فليعلم هؤلاء أن العذاب أت حتماً، وأنه لا خلاص لهم منه حين يأتهم، وأنه سيحبط في الدنيا بهم بسبب استهزائهم واستهتارهم.

٩ - وأن من طبيعة الإنسان أن تستغرق نفسه الحال التي يكون عليها، فإذا أعطياه بعض النعم رحمة منا كالصحة والسعة في الرزق، ثم زعنا بعد ذلك هذه النعمة لحكمة منا. أسرف في يأسره من عودة هذه النعمة إليه، وأسرف في كفره بالنعم الأخرى التي لا يزال يشتمع بها.

١٠ - وإنا لو أعطياه نعمة بعد ضلحى به، فإنه يقول: ذهب ما كان يسوءني ولن يعود ويحمله ذلك على شدة الفرح بمتاع الدنيا، وعلى المبالغة في التفاخر على الغير، فينشغل قلبه عن شكر ربه، هذا هو شأن غالب بني الإنسان: مضطرب بين اليأس والتفاخر.

١١ - ولا يخفى من هذا العيب إلا الذين صبروا عند الشدائد، وعملوا الصالحات في السراء والضراء. هؤلاء لهم مغفرة من الذنوب وأجر كبير على أعمالهم الصالحة.

١٢ - لا تحاول أيها النبي إرضاء المشركين لأنهم لا يؤمنون، وعساك إن حاولت إرضاءهم أن تترك ثلاثة بعض ما يوحى إليك مما يشق سماعة عليهم، كاحتقار بعض ألقبتهم، خوفاً من قبح ردحهم واستهزائهم! وعسى أن تحس بالضيق وأنت تتلو، لأنهم يطلبون أن ينزل الله عليك كنزاً تنعم به كالمالوك، أو يبيح معك ملك يخبرنا بصدقه! فلا تبال أيها النبي بعنادهم، فإنت إلا منذر وعهد من عقاب الله من يخالف أمره، وقد فعلت فأرج نفسك منهم. واعلم أن الله على كل شيء رقيب ومهيمن، وسيعلم بهم ما يستحقون.

أَفَرَأَيْتَ لَكَ بَشَرًا مِثْلَهُ مُتَعَتِّتٌ وَادْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَلَا تَسْتَعْجِلُوا الْكُرْهَ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَهْلٌ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ
قَبْلِهِ كِتَابٌ مُؤَيَّنٌ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَنْتَظِرْ

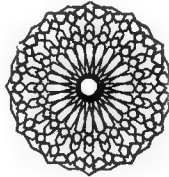
— — — — — ﴿١٣﴾ — — — — —

١٣ - ان القرآن فيه الآية الدالة على صدقك فإن قالوا: إنه الله من عنده أو افتراه على الله أقول لهم: ان كان هذا القرآن من عند بشر، أمكن للبشر أن يأتوا بمثله، وأنتم فصحاء البشر، فأتوا بشر سور مثله مختلفات، واستعينوا بما يمكنكم الاستعانة به من الإنس والجن، ان كنتم صادقين في دعواكم أنه كلام بشر.

١٤ - فان عجزتم، وعجز من استعنت بهم فأتوا بمثله ولو مفترى، فاعلموا أن هذا القرآن ما أنزل الا مفترىنا بعلم الله، فلا يعلم وعلمه أحد، واعلموا أنه لا اله الا الله فلا يعمل عمله أحد. فأسلموا بعد قيام هذه الحجة عليكم، ان كنتم طالين للحق.

١٥ - من كان يطلب الحياة الدنيا، والتنع بليذاتها وزينتها تطعمهم ثمرات أعمالهم وافية لا ينقص منها شيء.

١٦ - هؤلاء الذين قصروا همهم على الدنيا، ليس لهم في الآخرة الا عذاب النار، وبطل نفع ما صنعوه في الدنيا لأنه لم يكن للآخرة فيه نصيب، وهو في نفسه باطل أيضا، لأن العمل الذي لا يفيد السعادة الدائمة كأنه لم يكن.



فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ^{١٧} إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ^{١٨} وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
أُولَئِكَ يُعَذِّبُهُمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْإِشْتِدَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ^{١٩} أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ
الَّذِينَ يُضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَنُفُرُونَ ^{٢٠} أُولَئِكَ لَا يَكُونُوا مُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ^{٢١} مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا
كَانُوا يُبْصِرُونَ ^{٢٢} أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ^{٢٣} لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ

١٧ - أفن كان يسير في حياته على بصيرة وهداية من ربه ، ويطلب الحق مخلصاً ، معه شاهد بالصدق من الله وهو القرآن ، وشاهد من قبله وهو كتاب موسى الذي أنزله الله قدرة يتبع ما جاء به ، ورحمته لمتبعيه ، كمن يسير في حياته على ضلال وعماية ، فلا يهتم إلا بمتاع الدنيا وزينتها ؛ أولئك الأولون هم الذين أنار الله بصائرهم ، يؤمنون بالله والكتاب الذي أنزل عليه ، ومن يكفر به عن تأليها على الحق وتحزبوا ضده ، فالتار موعده يوم القيامة . فلا تكن أياً انتهى في شك من هذا القرآن أنه الحق النازل من عند ربك ، لا يأتيه باطل ، ولكن أكثر الناس تضلهم الشهوات ، فلا يؤمنون بما يجب الإيمان به .

١٨ - وليس أحد أكثر ظلاً لنفسه وبعداً عن الحق من الذين يختلقون الكذب وينسبونه إلى الله . ان هؤلاء سيعرضون يوم القيامة على ربهم ليحاسبهم على ما عملوا من سوء ، فيقول الأشهداء من الملائكة والأنبياء وغيرهم : هؤلاء هم الذين ارتكبوا أفعال الجرم والظلم بالنسبة لخالفهم ! ان لعنة الله ستقع عليهم لأنهم ظالمون .

١٩ - هؤلاء الذين يصرفون الناس عن دين الله ويمضونهم ، وهو سبيله المستقيم ، ويطلبون أن تكون هذه السبيل موافقة لشهواتهم وأهوائهم ، فتكون معوجة ، وهم بالآخرة - وما فيها من نواب المؤمنين وعقاب الكافر - كافرون .

٢٠ - أولئك الكافرون ، لم تكن لهم قوة تعجز الله عن أخذهم بالعذاب في الدنيا ، ولم يكن لهم نصراء يمتصون عنهم عذابه لو شاء أن يجعل لهم العذاب وان العذاب سيقع عليهم في الآخرة أضاعاف ما كان سيقع عليهم في الدنيا ، لو أراد الله أن يقع . لأنهم كرهوا أن يسمعوا القرآن ، ويبصروا آيات الله في الكون ، كأنهم لم يكونوا يستطيعون أن يسمعوا أو يبصروا .

٢١ - أولئك الكافرون لم يرمحوا بعبادة الله شيئاً ؛ بل خسروا أنفسهم وغاب عنهم في الآخرة ما كانوا يفترون من أكاذيب ودعوى باطلة وما كانوا يختلقون من الآلهة الباطلة ويزعمون أنهم ينفعونهم أو يشفونهم لهم ، فإن يوم القيامة هو يوم الحقائق التي لا زيف فيها ولا افتراء .

هُمُ الْآخِرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَاتَّبَعُوا لَكَ رَسُولًا لَّكَ أَجْرٌ مِّنْهُم مَّا فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَمَا لَأَخَى وَالْأَخَى وَالصَّيْرُ وَالسَّيْعُ هَلْ يَسْتَوِينَ مَثَلًا أَفَلَا تَكُونُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكَ نَذِيرٌ مِّمَّنْ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَِّّي أَخَافُ عَلَيْكَ عَذَابَ يَوْمِ آلِيسَ ﴿٢٦﴾ قَالَ الْمَلَائِكَةُ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا تَرَىٰ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِإِدْرَآئِي وَمَا زَيْلَ لَكَ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكَ كَنَازِلِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَبْقَرُمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَّبِعِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقْرُمُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا

٢٢ - حقاً، انهم في الآخرة أئد الناس خسرانا .

٢٣ - ان الذين آمنوا بالله ورسله ، وعملوا الأعمال الصالحة ، وخضعت قلوبهم وأطاعت إلى قضاء ربها ، هؤلاء هم المستحقون لدخول الجنة والمخلد فيها .

٢٤ - مثل الفريقين : المؤمنين والكافرين ، كالأخى الذى يسير على غير هدى ، والأصم الذى لا يسمع ما يرشده إلى النجاة ، وكفى البصر الذى يرى طريق الخير والنجاة ، وكفى السمع الذى يسمع كل ما ينفعه ، هذان الفريقان لا يستويان في الحال والمآل . أفلا تفكرون أيها الناس فيما بينكم من التباين والكفر ، وفيما بين الباطل والحق من خلاف ، فقتلوا عن طريق الضلال ، وتسبوا في الطريق السقيم ؟

٢٥ - وكما أرسلناك إلى قومك لتنذرهم وتبكرهم ، فقابلك فريق منهم بالعناد والجحود ، أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال لهم : انى محفر لكم من عذاب الله ، ميين لكم طريق النجاة .

٢٦ - قاتلاً لهم : انى أطلب منكم ألا تعبدوا الا الله ، لأنى أخاف عليكم ان عديم غيري أو أضركم به سواء في العبادة ، أن يحل عليكم يوم عذابه ذو لثم شديد .

٢٧ - قال الكبار من قومه : ما نرى الا أنك بشر مثنا ، فليس فيك ما يجعل لك ميزة خاصة ، وفضلًا يجعلنا على الإيمان بأنك رسول من عند الله ! وما نرى الذين اتبعوك من بيتنا الا الطبقة الدنيا منا وما نرى لكم من فضل علينا . بل انا نعتقد أنكم كاذبون فيما تزعمون .

٢٨ - قال نوح : يا قوم ، أخبروني - ان كنت مؤيداً بحجة واضحة من ربى ، وأعطاني برحمته النبوة والرسالة ، فصجب نورها عنكم ، وعماها عليكم اغتراركم بالجاه والمال - فهل يصح ان نلزمكم بالحجة والإيمان بها مضطرين كارهين ؟

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ۝ وَيَنْقِمُ
مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي ثَوَابٌ مِنَ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا
أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَرَدُّونَ أَصْنُوكُمْ لِيَ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمَنِ
الظَّالِمِينَ ۝ قَالُوا يَنْتَحِقُ فَدَجَنَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَتَيْنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝
قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَصْحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ

٢٩ - ويا قوم، لا أطلب منكم على تبليغ رسالة ربي مالا، وإنما أطلب جزائي من الله. وما أنا بطارد الذين آمنوا بهم عن مجلسي ومناشري، لعمري احتقاركم لهم. لأنهم سيلاقون ربهم يوم القيامة، فيشكونني إليه أن طردتهم لفقرهم. ولكني أراكم قوما تجهلون ما يصح أن يفاضل به الخلق عند الله. أهو الفنى والجاه، كما تزعمون؟ أم اتباع الحق وعمل الخير؟

٣٠ - ويا قوم، لا أحد يستطيع منع عقاب الله عني، إن طردتهم وهم المؤمنون به، أهل بعد هذا تصرون على جهلكم، فلا تذكرون أن لهم ربا ينتقم لهم؟

٣١ - ولا أقول لكم، لأني رسول، إن عندي خزائن رزق الله أنصرف فيها كما أشاء، فأجمل من يتهمنى غنيا. ولا أقول: إني أعلم الغيب، فأخبركم بما اختص به علم الله، بحيث لا يعلمه أحد من العباد! ولا أقول: إني ملك حتى تردوا على بقولكم: ما ذاك إلا بشر! ولا أقول عن الذين يحقرونهم أن الله لن يؤتيهم خيرا أرضاه لرغباتكم! لأن الله وحده هو الذى يعلم ما فى أنفسهم من اخلاص... إني إذا قلت لهم ما يحبونه، أكون من زمرة الظالمين لأنفسهم ولغيرهم.

٣٢ - قالوا: يا نوح قد جادلنا المؤمنين بك فأكثر جدالنا، حتى مللنا، ولم نعد نحمل منك كلاما، فأتينا بهذا العذاب الذى تهددنا به، إن كنت صادقاً فى أن الله يعذبنا إذا لم نؤمن بك.

٣٣ - قال نوح: هذا أمر بيد الله وحده، فهو الذى يأتيكم بما يشاء حسب حكمته، ولستم بمفلتين من عذابه إذا جاء، لأنه سبحانه لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء.

أَلَمْ يَرِدْ أَنْ يُوْحِيَكَ هَوَاتِنَهُ رَبِّكَ وَلَئِنَّ رَبَّكَ لَإَعْلَمُ ۚ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَمَا كُنْتُ بِإِلَهِكُمْ وَأَنَا
بِرَأْيِهِ تَمَّاجِرْمُونَ ۝ وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَتَّبِعِ الْبَاقِيَ كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝
وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَعْطِيطِ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ ۝ وَيَسْأَلُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا
مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ فَيُزَوِّدُهُمْ فَيَقُولُ إِنَّ تَسْحَرُونَ ۝ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ عَذَابَ مُثِيمٍ ۝ حَقَّ إِنَّآ جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَذُنُوبَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ

٣٤ - ولا ينفعكم نصحي لغير إرادتي الخير لكم ، ان كان الله يريد أن تخلصوا لعلمه وتقديره فساد قلوبكم ،
حق صارت لا تقبل حقا ؛ وهو سبحانه ربكم ، وسيرجعكم إليه يوم القيامة ، ويجازيكم على ما كنتم تعملونه .

٣٥ - ان هذا القصص الصادق ، ماذا يكون موقف المشركين منه ؟ يقولون افتراء ؟ وان قالوا ذلك ، فقل أيها
الرسول : ان كنت افتريته على الله كما تزعمون ، فهو جرم عظيم ، على وحدي الله ؛ وإذا كنت صادقا ، فأنتم
الجهنميون وأنا برئ من آثار جرمكم .

٣٦ - وأوحى الله إلى نوح : أنه ان يصدقك ويذعن للحق من قومك أحد بعد الآن ، غير من سبق منه الإيمان
قبل ذلك . فلا تحزن يا نوح بسبب ما كانوا يفعلونه منك من تكذيبك وإيذائك لأننا سننتقم منهم قريبا .

٣٧ - وقلنا له : اصنع الفلك لتنجيك عليها بعنابتنا ، وتحت رعايتنا . ولا تعطيطي في شأن هؤلاء الظالمين لأنني
استجبت دعاءك ، وأمرت بإهلاكهم غرقا^(١) .

٣٨ - وشرع نوح في عمل الفلك . وكلما مر عليه قادة الكفر من قومه استهزأوا به ، لجهلهم ولعدم معرفة
الغرض الذي يقصده ؛ قال نوح : ان تسخروا منا لجهلكم بصدق وعد الله ، فانا أيضا سنسخر منكم كما تسخرون
منا .

٣٩ - فسوف تعلمون من منا الذي سيأتيه عذاب يذله في الدنيا ويحمل عليه في الآخرة عذاب دائم خالد ؛

(١) انظر التطبيق العلمي على الآية : ٢٧ من سورة المؤمنون .

زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ أَرُكِبُوا فِيهَا
 بِسْمِ اللَّهِ جَمْعِيهَا وَامْرُسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ
 فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ أَرُكِبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَأُولَى لَكَ جِبَلٍ يَمْعُمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَلِمَ
 الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ
 وَانْسِمَاءِ أَتْلُي وَيُغَضِّ الْمَاءُ قُضَى الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

٤٠ - حتى إذا جاء وقت أمرنا بإهلاكهم ، جاء الماء بقوة فائرا ذا رغبة ، كالماء الذي يفل فوق النار ، قلنا
 لنوح : احمل معك في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكرا وأنثى ، واحمل فيها أيضا أهل بيتك جميعا ،
 إلا من سبق عليه حكمنا بإهلاكه ، واحمل فيها أيضا من آمن من قومك ، ولم يكونوا إلا عددا قليلا .

٤١ - وقال نوح للذين آمنوا من قومه ، بعد أن أعد الفلك : اركبوا فيها متبعين بذكر اسم الله تعالى ، وقت
 اجرائها وفي وقت رسوها ، وعند النزول فيها والمخروج منها ، وارجموا مفسدة الله على ما فرط منكم ورحمته بكم ،
 فإن المغفرة والرحمة من شأنه سبحانه وتعالى .

٤٢ - ونزلوا في السفينة ، فصارت تجري بهم سائرة في موج يعلو ويرتفع ، حتى بصير كالجبال في علوها ، وفي
 ابتداء سيرها تذكر نوح ابنه يعاطفة الآية ، وقد كان في معزل عن دعوة أبيه فناداه : اركب معنا يا بني ولا تكن مع
 الجاحدين يدين الله تعالى !

٤٣ - لم يطلع الولد أباه الشفيق ! وقال : سأعتمد ماوى لى مكانا يمننى من الماء ! فقال الأب المالم بقضاء الله في
 شأن العصاة : يا بني لا يوجد ما يمنى من حكم الله تعالى بالإغراق للظالمين ! وغاب الولد عن أبيه الناصح بالموج
 المرتفع فكان مع المارقين المالكين الجاحدين .

٤٤ - وبعد أن هلك الجاحدين بالإغراق ، جاء أمر الله التكويني ، فقيل بحكم التكوين : ابلعى ماءك أيتها
 الأرض ، وامتنعي عن انزال الماء أيتها السماء فذهب الماء من الأرض ، ولم تدر بشىء من السماء ، وانتهى حكم الله
 بالإهلاك واستوت الفلك ووقفت عند الجبل المسمى بالجودى وقضى الله بإبعاد الظالمين عن رحمته ، فقيل : هلاك
 للقوم الظالمين بسبب ظلمهم .

وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَبْنُوهُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّكَ أَنْتَ تَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَرَحْمَتِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَبْنُوهُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمَّا سُتْمُكُمْ فَمَا مَسَّكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذَابَ

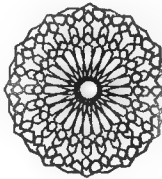
(١٥)

٤٥ - نادت الشفقة في قلب نوح على ابنه ، فدأى به ضارعا مشفعا فقال : يا خالي ومنشئ ، ان ابني قطعة مني ، وهو من أهلي ، وقد وعدت أن تنجي أهلي ، وأن وعدك حق ثابت واقع ، وأنت أعدل الحاكمين ، لأنك أعلمهم ، ولأنك أكثر حكمة من كل ذوى الحكم .

٤٦ - قال الله سبحانه : ان ابنك ليس من أهلك ، اذ أنه بكفره وسيره مع الكافرين قد انقضت الولاية بينك وبينه ، وقد عمل أعمالا غير صالحة ، فلم يصر منك ، فلا تطلب مالا تعلم : أهو صواب أم خطأ ؟ ولا تسر وراء شفقتك واتى أرضدك إلى الحق لكيلا تكون من الجاهلين الذين تتسهم الشفقة الحقائق الثابتة ؛

٤٧ - قال نوح : يا خالي ومتولى أمرى ألبأ إليك فلا أسألك من بعد مالا أعلم الحق فيه ، واغفر لي ما قلته بدافع شفقتي ، وإن لم تتفضل على بمغفرتك ، وترحمي برحمتك ، كتبت في عداد الخاسرين .

٤٨ - قيل بلسان الوحي : يا نوح ، انزل على الأرض من سفينة النجاة سالما آمنا ، بسلام من الله تعالى وأمن منه ، وبركات من الله عليك وعلى الذين معك ، الذين سيكونون أمما مختلفة من بعدك ، وسينال بركة الإيمان والإذعان بعضهم ، وبعضهم سيكونون أمما يستمتعون بالدنيا وينالون منعها غير مدعئين للحق ، ثم يصيبهم يوم القيامة عذاب مؤلم شديد .



لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٥١﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخْلَصُ هُوْدًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مَقْرُونُونَ ﴿٥٢﴾ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِن أَنجِي أُمَّةً أَوْ أُفْطِرَ أَفْطَرًا فَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٣﴾ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا يَنْهَوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ إِن نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا لِسُوِّهِ

٤٩ - تلك القصة التي قصصناها عليك أيها النبي عن نوح وقومه ، من أخبار الغيب التي لا يعلمها إلا الله ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك على هذا الوجه من الدقة والتفصيل من قبل هذا الوحي ، فاصبر على إيذاء قومك كما صبر الأنبياء قبلك ، فإن عاقبتك الفوز مثل عاقبتهم ، والعاقبة الطيبة دائما للذين يتقون عذاب الله بالإيمان وعمل الصالحات .

٥٠ - ولقد أرسلنا إلى قوم عاد الأولى أخا لهم من قبيلتهم هو (هود) فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ، إذ ليس لكم من يستحق العبادة غيره : وما أنتم إلا كاذبون في ادعائكم أن الله شركاء في استحقاقهم للعبادة ليكونوا شفعاء لكم عند الله (١) .

٥١ - يا قوم ، لا أطلب منكم على النصيح مكافأة من جاء أوسلطان أو مال أجري على الله الذي خلقتي ، ولا يصح أن تستولوا عليكم الغفلة فلا تعقلون ما ينفعكم وما يضركم !

٥٢ - يا قوم ، اطلبوا من خالقكم أن يفر لكم ما سلف من ذنوبكم ، ثم ارجعوا إليه . انكم ان فعلتم ذلك يرسل المطر عليكم كثيرا متابعا ، فتكثر خيراتكم ، ويزدكم قوة إلى قوتكم التي تغفرون بها ! ولا تعرضوا عما أَدْعُوكم إليه ، مصممين على الاجرام الذي يردكم في الهلاك .

٥٣ - قالوا : يا هود ما جئنا بحجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه ، وما نحن بتاركي عبادة آلِهتنا لمجرد قولك ، أنتركها ، وما نحن لك بمصدقين .

(١) أنظر التعليق الملصق على الآية : ٦٥ من سورة الأعراف .

قَالَ إِنِّي أَنشَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُ أَنِّي بَرِيٌّ مِمَّا تُشْرِكُونَ ٥٤ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ٥٥ إِنِّي
تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ٥٦ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٧ فَمَاتَ
تَوَلَّوْا فَقَدْ أَفْلَحَكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ٥٨ إِلَيْكُمْ وَنَسْتَعْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ٥٩ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ حَفِيفٌ ٦٠ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْيَيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَحْيِيهِمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ٦١
وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ٦٢ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ

٥٤ - ما نقول في موقفك منا الا ان بعض ألفتنا منك بشر، فصرت تهذي بهذا الكلام. قال مصرا على إيمانه
متحديا: أقول، وأشهد الله على ما أقول، وأنشهدكم عليه، وان برىء من داء الشرك الذي أنتم فيه. فأنتم
المرضى.

٥٥ - ولا أبال بكم ولا بألفتكم التي تدعون أنها مستقى بسوء، فصارونوا أنتم وألفتكم على الكيد لي، ثم
لا تخرجون عقابي لحظة ان استطعتم.

٥٦ - إنني اعتمدت على الله، وهو مالك أمري وأمركم، لا يعجزه شيء عن رد كيدكم وهو المقادر على كل
شيء. فام من دابة الا وهو مالك أمرها ومتصرف فيها، فلا يعجزه حفظي من أذاكم، ولا اهلاككم، ان أفعال ربي
تجري على طريق الحق والعدل في ملكه، فينصر المؤمنين المصلحين، ويخذل الكافرين المفسدين.

٥٧ - فإن تعرضوا عن دعوي لم يضرق اعراضكم، والعاقبة السيئة عليكم، فقد أبلغتكم ما أرسلني الله به
إليكم، وليس على الا البلاغ، والله يهلككم ويهيى بقوم آخرين يظفونكم في دياركم وأموالكم، وأنتم لا تضررونه
باعراضكم عن عبادته، ان ربي مهين على كل شيء، مطلع عليه، فانهض على أعمالكم، ولا يفضل عن
مؤاخذتكم.

٥٨ - ولما جاء أمرنا بإهلاك عاد نجينا هودا، والذين آمنوا معه، من عذاب الريح العاتية التي أهلكتهم،
ونجيناكم من عذاب شديد كبير في الدنيا والآخرة، وذلك بسبب رحمتنا لهم بتوفيقهم للإيمان.

٥٩ - تلك عاد أنكروا الصبح الواضحة، وعصوا رسل الله جميعا، بهيئتهم رسوله إليهم، وطاعتهم لأمر
كل طاغية شديد العناد من رؤسائهم وكبرائهم.

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۖ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ * وَلَئِنْ مُؤَدَّ أَحَادِمُ صَالِحًا ۖ قَالَ يَقُومُ
 أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَ كُرْسِيَّهَا فَاسْتَقِرُّوهُ ثُمَّ تُرْجَوْنَ إِلَيْهِ
 إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَبْصَلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا
 لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِّنْهُ رَحْمَةً لَّنْ يَنْصُرَنِي
 مِّنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ لَأَتَّيِدَنَّ بِهِ غَيْرَ مُتَحَسِّسٍ ﴿٦٣﴾ وَيَقُومُ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوْهَا تَأْكُلُ فِى أَرْضِ

— — — — —

٦٠ - فاستحقوا من الله والملائكة والناس أجمعين لمنة تلحقهم في الدنيا ولمنة تنبهم يوم القيامة ، ألا فلينبه
 كل من علم خبر عاد . إن عادا جعلوا نعمة مخالفتهم عليهم ، ولم يشكروها بالإيمان به وحده فأصبحوا جديريين
 بطردهم من رحمة الله وانزال الهلاك الشديد بهم ، ألا فهلاكا لهم لتكذيبهم هودا .

٦١ - وقد أرسلنا إلى هود واحدا منهم تربطه بهم صلة النسب والمودة ، وهو صالح ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا
 الله وحده ، ليس لكم من يستحق العبادة غيره ، هو خلقكم من الأرض ومكنكم من عارثها واستطار ما فيها
 والانتفاع بغيرها . فادعوه أن يفر لكم ما سلف من ذنوبكم ، ثم ارجعوا إليه بالندم على معصيته والإقبال على
 طاعته ، كلما وقعتم في ذنب . إن ربي قريب الرحمة يجيب الدعاء لمن يستغفره ويدعوه (١) .

٦٢ - قالوا : يا صالح قد كنت بيننا موضع الرجاء والمهبة والتقدير من نفوسنا ، قبل هذا الذى تدعونا إليه ،
 أنطلب منا أن نترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا وما ألفناه وألفوه ؟ اتنا لفي شك من دعوتك إلى عبادة الله وحده ، فهذا
 مثير للريب وسوء الظن قيك وفيها تدعو إليه .

٦٣ - قال : يا قوم ، خبروني إن كنت على بصيرة نيرة وبينت بما أدعوكم إليه مؤيدا بحجة من ربي ، وأعطاني
 ربي رحمة لي ولكم . وهى النبوة والرسالة ، فكيف أخالف أمره وأعصيه بعدم تبليغ رسالته ، استجابة لكم ؟ ومن
 ينصرني ويثبتني على دفع عذابه ان غضبه ؟ انكم لا تستطيعون نصرتي ودفع عذابه عني ، فا تريدوني غير الضياع
 والوقوع في الحسران ان أطعنكم وعصيت ربي وريكم .

(١) أنظر التلخيص العلمي على الآية : ٧٣ من سورة الأعراف .

Journal of Interpersonal Violence 30(12)

(المنتخب - م ٢١)

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرُهُمْ قَاتِمَةٌ فَضَحَكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَوَاسِرَ لِقَاءِ اللَّهِ وَأَنَا نَجُوزُ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَ اللَّهُ الْبَرَّ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُمْ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ يُجْلِلُونَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَكْفُرْ لَهُمْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُمْ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَّيكَ وَآتَاهُمْ أَتَاهُ عَذَابٌ غَيْرُ مُرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا مِّنْهُم وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ

٧٠ - فلما رأى أبيهم لا تلبثه ولا تختد إليه ، كما هو معروف عن الضيوف أنكر أنهم ضيوف ، وأحسن أنهم ملائكة ، وأضمر الخوف أن يكون مجيئهم لأمر أنكره الله عليه ، أو لتضييق قومه . قالوا وقد عرفوا أثر الخوف في نفسه ، لا تخف ، إنا أرسلنا هلاك قوم لوط .

٧١ - وكانت امرأته قائمة تسمع كلامهم في مكان قريب منهم ، فضحكت لسرورها لنجاة لوط ابن أخى زوجها ، فبشرناها على السنة الملائكة بأنها ستلد من إبراهيم زوجها ولدا يسمى إسحاق ، وسيعيش ولدها ، وسيكون لها منه بعد إسحاق يعقوب .

٧٢ - صاحبت متعجبة وقالت ، يا عجيبا ! أألد وأنا عجوز ، وهذا زوجى ترونه شيخا كبيرا ولا يولد لثله ؟ إن هذا الذى أسمعه والله شئ عجيب ، اذكيف يولد لهذين مثلى ومثل زوجى ؟ .

٧٣ - قالت الملائكة لها : أنتعجين من أن يولد لك على كبركيا ، وهو من أمر الله الذى لا يعجزه شئ ؟ تلك رحمة الله ونعمه الكثيرة عليكم ، أهل بيت النبوة ، فليس بمعجب أن يجب لكم مالا يجب لتسركم ، انه فاعل ما يستوجب الحمد ، عظيم كثير الإحسان والكرم والطاء .

٧٤ - فلما ذهب عن إبراهيم الخوف وصع البشارة السارة بالولد ، أخذته الاشتقاق ، وأخذ يجادل رسلنا في هلاك قوم لوط .

٧٥ - إن إبراهيم لكثير الحلم ، لا يجب تعجيل العقاب ، كثير التأوه والتوجع من السوء الذى يصيب غيره ، تائب راجع إلى الله بما يجبه ويرضاه ، فرقته ورحمته ورأفته حملته على المهادلة رجاء أن يرفع الله عذابه عن قوم لوط وأن يتوبوا ويثبوا إليه .

٧٦ - قالت الملائكة : يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدل والناس الرحمة لهؤلاء القوم ، انه قد جاء أمر ربك بهلاكهم ، ولهم لابد آتاهم عذاب نافع غير مردود يجبل أو غير جدل .

عَصَبٌ ۝ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يَبْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَتَقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُنُونِ فِي ضَيْقِي ۖ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ۝ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكَرْقَةٍ أَوْ نَارِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُؤْسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ۚ فَانْصَرِفْ هَاهُنَا بِقَطْعِ مَنْ أَيْلٍ وَلَا يَلْعَتِ مِنْكَ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُكَ ۚ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا

٧٧ - ولما جاءت الملائكة رسلنا الى لوط في صورة شبان حسان ، تألم واستاء ، وأحس بضعفه عن حمايتهم ، وضيقة بهم ، فحرفه عليهم من فساد قومه ، وقال : هذا يوم شديد المكارة والآلام .

٧٨ - وعلم قومه بهم ، فجماعوا مسرعين اليه ، ومن قبل ذلك كانوا يرتكبون الفواحش ، ويفترون السيئات ، قال لهم لوط (يا قوم هؤلاء بناتي ، تزوجوا بهن ، فذلك أطهر لكم من ارتكاب الفواحش مع الذكور ، فخافوا الله وصبروا أنفسهم من عقابه ، ولا تفضحوني وتهينوني بالاعتداء على ضيقي ، أليس فيكم رجل رشيد الرأي ، رشيد العقل ، يردكم عن الفحش ويحكمكم عن السوء ؟)

٧٩ - قالوا : لقد عملت يا لوط أنه ليس لنا في بناتك أى حق في تكاثرهن أو رغبة فيهن ، انك دين شك تعلم ما نريد من مجيئنا واسراعنا اليك .

٨٠ - قال لوط : لو أن لى قوة أو ركناً قوياً اعتمدت عليه ، لكان موافق منكم غير هذا ، ولدفعتمكم عن ضيقي ومنعتمكم من السيئات .

٨١ - قالت الملائكة ، وقد ظهرت على حقيقتها : يا لوط ، لا تغف ولا تحزن اننا رسل ربك ، لا بشر كما بدا لك ، ولقومك ، ولن يصل هؤلاء اليك بشر يسوءك أو ضر يصيبك ، فسر أنت وأهلك في بعض أوقات الليل ، اذا دخل جزء كبير منه ، واخرج بهم من هذه القرية ، ولا يلتفت أحد منكم خلفه ، لكيلا يرى هول العذاب فيصاب بشر منه ، لكن امراتك التى خاتمتك فلا تكن من الخارجين معك ، انه لا يد مصيبا ما قدر أن يصيب هؤلاء .. ان موعد هلاكهم الصبح ، وهو موعد قريب ، فلا تغف .

مِنْ يَجْعَلُ مَضْرُودًا ۖ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٢﴾ * وَإِلَّا مَدِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبٌ ۖ
 قَالَتْ يَقُومُ أَعْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْتَصُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ ۖ إِنِّي أُرِيدُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ يُحْزِنُ ﴿٨٣﴾ وَيَقُومُ أَوْفُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْثِلًا هُمْ وَلَا تَعْتُوا
 فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ ﴿٨٤﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٥﴾ قَالُوا يَشْعِبُ

٨٢ - فلما جاء وقت العذاب الذي قدرناه وقضينا به ، جعلنا عالي القرية التي كان يعيش فيها قوم لوط ساقطها ، فقلبناها ، وأطرونا عليهم في أثناء ذلك حجارة من طين هي بالنار حق تحجر .

٨٣ - كانت تقع عليهم متتابعة منتظمة مطنة العذاب من عند ربك ، أها النبي ، وليست بعيدة عن الظالمين من قولك .

٨٤ - ولقد أرسلنا إلى قوم مدين^(١) أخاهم في النسب والمودة والقرامح شعيباً ، قال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ، ليس لكم من يستحق العبادة غيره ولا تنتقصوا المكيال والميزان حين يبيعون لغيركم ما يكاله ويوزن ، إني أراكم يرمى منكم الخير ، بالشكر والطاعة لله ، واعطاء الناس حقوقهم كاملة ، وإني أخاف عليكم إذا لم تشكروا خيره ، وتطيعوا امره ، أن يحل بكم عذاب يوم لا تستطيعون أن تفلتوا من أهواله ، لأنها تحيط بالمعدين فيها فلا يجدون سبيلاً إلى الخلاص منها .

٨٥ - ويا قوم أدوا المكيال والموزن مما يبيعونه وأقيا على وجه العدل والنسوية ، ولا تنتقصوا الناس حقهم في أمثالهم ، ولا تحجروا وتفسدوا في الأرض بسرقة أموالهم أو الاغارة عليهم أو قطع الطريق على العابرين منهم ، تخذلون الفساد وسيلة للكسب الحرام .

٨٦ - ما يبق لكم من المال الحلال الذي تفضل به الله عليكم خير لكم من المال الذي يجمعونه من حرام ، ان كنتم تؤمنون بالله وتجتنبون ما حرمه عليكم فحاسبوا انفسكم ، وراقبوا ربكم ، لست عليكم رقيباً أحصى أفعالكم واحاسبكم عليها .

(١) هاتان الآيتان نص على اعتبار نقص المكيال والميزان جريمة وهذا يقتضي أنها معاقب عليها شرعاً والصفاب بالتميز ويقابل هذا في التشريعات الوضعية ما يسمى جريمة تزوير المكيال أو الميزان التي حدد القانون الوضعي عقوبة لها وهذا من القرآن الكريم وسيلة من وسائل حماية المال . أرض مدين واقعة بين شمال الهجاز وجنوب الشام ، وكان فيها مكان كثيف الأشجار يسمى الأيكة وقد أرسل الله عليهم عقاباً شديداً بسبب عصيانهم .

أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْْبُدُ عِبَادُنَا أَوْ أَنْ نَقْصَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَا تَحْلُمُ ۖ الرَّشِيدُ ٨٧
 قَالَ يَقُومُ أَوْدَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَدَرَّزْنِي مِنْ ذُرِّيَّتِي حَسَنًا ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلُقَكَ إِلَّا مَا تَنْهَكَ عَنْهُ
 إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۖ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٨٨ وَيَقُومُ لَا يَحْجِرُ مِنْكَ
 شِفَاعَتِي أَنْ يُصِيبَكَ بِشَلٍّ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۖ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ٨٩
 وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ٩٠ قَالُوا يَنْشَعِبُ مَا نُنْقِصُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا
 لَنَرُّكَ يَئِسَ ضَمِيمًا ۖ وَلَوْلَا هَظْهَاتُ لَرَّجَمْنَاكَ وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ لِرَّجْمَتِكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ٩١ قَالَ يَقُومُ أَوْدَعِلَىٰ أَعْرَاسِكُمْ مِنْ اللَّهِ

٨٧ - قالوا ساخرين مستهزئين : يا شعيب ، أصلاتك هي التي تأمرك أن نعملنا على ترك ما كان يعبد آبائنا من الأصنام ، وعلى أن نمتنع عن التصرف في أموالنا كما تريد مما نرى فيه مصلحتنا ، إن ذلك غاية السفسه والطيش . ولا يتفق مع ما نعرفه عنك من العقل وسداد الرأي ، فأنت المعروف بكثرة الحلم والرشد .

٨٨ - قال : يا قوم : أخبروني إن كنت على حجة واضحة ويقين من ربي ، وورثتي رزقاً حسناً تفضلاً منه ، أصبح لي أن أكرم ما أمرني بتبليغه لكم ، من ترك عبادة الأصنام ، وطلب إيفاء الكيل والميزان ، وترك الفساد في الأرض ؟ وأنا لا أريد أن أنجمه إلى فصل ما أنبأكم عنه من ذلك ، ما أريد بوجعني ونصبي حتى وأمرى ونهيي إلا الإصلاح قدر طاقتي وجهدي واستطاعتي ، وما كنت موفقاً لاصابة الحق إلا بصوت الله وتأنيده وتسديده ، عليه وحده أعتمد ، وإليه وحده أرجع .

٨٩ - ويا قوم لا يصح لکم الخلاف بيني وبينكم على النداء والاصرار على الكفر فيصيبكم ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ، وما عهد قوم لوط ومكانهم وهلاكهم ببعيد عنكم ، فاعتبروا بهم حتى لا يصيبكم ما أصابهم .

٩٠ - واطلبوا من الله أن يفر لكم ذنوبكم ثم ارجعوا إليه ناديين مستغفرين كلما وقع الذنب منكم ، إن ربي كثير الرحمة يحب ودود يفر للتائبين ويحب الأوابين .

٩١ - قالوا : يا شعيب ما ننزل كثيراً مما تقول لنا ، ونؤكد لك أننا نراك بيننا ضميماً لا قدرة لك على الدفاع ، وعلى الاقتناع ، إن اردنا بك ما نكره ، ولولا مجاملتنا لعشيرتك ، لأننا على ديننا ، لقتلناك رجماً بالحجارة ، وما أنت علينا بعزير حتى نجلدك ونحترمك ونكرمك ونصوتك عن القتل بالرمم ، وإنما هي الهجمة لعشيرتك تمنعنا عن فعلك .

وَأَحْلَدْنَاهُ وَرَأَاهُ فَظَهَرَ بَا إِنْ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَسِيرٌ
 سَوْفَ تَعْمَلُونَ مِّنْ بَآئِنِهِ عَذَابٌ يُّخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ
 شُعَبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مِنَّا وَأَحْلَدَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جُثَيِّمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانَ
 لَمْ يَخْنُفُوا فِيهَا إِلَّا بَعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ نَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾
 إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ

٩٢ - قال : يا قوم ، أعشيري أحمق بالمخالطة من الله ، فذكرتموها ونسيتموه وجاهلتموني واتخذتموه كالشيء .
 النبوءة وراء الظهور ؟ ان ربي محيط علمه بكل ما تعملون ، فلا يخفى عليه شيء من أعمالكم ، وسيحاسبكم عليها وان
 نسيتموه .

٩٣ - ويا قوم اعملوا على ما أنتم قادرون عليه وما تستطيعون عمله ، ان لم تسمعوا نصحي اني مثابر على
 العمل بما يخالف عملكم ، وسوف تطعون من منا الذي يأتيه عذاب يفضحه ويذله ، ومن منا الذي هو كاذب : أنا
 الذي أنذركم بالعذاب ، أم أنتم الذين أنذرتوني بالاخراج من القرية ؟ وانتظروا ما سيحصل : اني معكم منظر .

٩٤ - ولما وقع أمرنا بعذابهم وهلاكهم ، نجينا شعباً والذين آمنوا معه من العذاب والهلاك ، وكانت نجياتهم
 بسبب رحمة منا لهم ، وأخذت الظالمين من أهل مدين الصيحة ، والرجفة المهلكة ، فأصبعوا في ديارهم هامدين ،
 راقدين على وجوههم : لا حراك لهم (١) .

٩٥ - وانتهى أمرهم وزالت آثارهم ، كأنهم لم يقيموا في ديارهم ، وتطرق حالهم بما يجب أن ينتبه له ويعتبر به
 كل عاقل ، ألا هلاكاً للذين ، وبعداً من رحمة الله كما بعثت نمود من قبلهم (٢) .

٩٦ - ولقد أرسلنا موسى مؤيداً بمعجزاتنا الدالة على صدقه ، وبالبرهان المبين ذى السلطان القاهرة على
 النفوس .

٩٧ - أرسلناه الى فرعون وكبار رجاله ، فكفر به فرعون وأمر قومه أن يتبعوه في الكفر ، فاتبعوا أمر فرعون ،
 وخالفوا أمر موسى ، وما أمر فرعون بسديد حسن النتائج حتى يستحق أن ينج .

(١) ، (٢) انظر التلخيص العلمي على الآيتين : ٨٤ ، ٨٥ من هذه السورة

وَبَشِّرِ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ إِذَا أُتُوا بِالْحَقِّ قَالُوا هَذَا الَّذِي كُنَّا نُنْذِرُكُمْ بِهِ وَلَمْ يَكُن لَكُمْ عَلَيْهِمْ كِبْرَةٌ وَهُمْ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٩٨﴾
 وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا غَيْرَ الْمَبْذُورِ ﴿٩٩﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾

٩٨ - يتقدم قومه يوم القيامة ويقودهم كما قادهم في الدنيا، فيوردهم النار حيا، يصلونها ويتجرعون غصص عذابها، وتقع هذا المورد الذي يشربون منه ماء حيا ليطفئ ظمأهم فيقطع أعضائهم.

٩٩ - وهم في هذه الدنيا قد تبجحوا بعتهم لمة من الله والملائكة والناس، ويوم القيامة تبجحهم كذلك اللمة، لأنها عطائهم، وأنه لعطاء قبيح يثير الشعور بالذنب، ويقال فيه: بشى هذا الطاء المعطى هؤلاء.

١٠٠ - ذلك القصص أيها النبي هو بعض أخبار القرى التي أهلكناها، نقصها عليك لتعظ بها قوما، وتعلمن إلى نصر الله لك، بعض هذه القرى كالزروع القائم على ساقه، ليشهدوا بما حصل، وبعضها عالي الأثر، كالزروع الذي حصد.

١٠١ - وما ظلمناهم بإهلاكهم، ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر وعبادة غير الله والفساد في الأرض، لما استطاعت أن ترد عنهم الهلاك أنفسهم التي كانوا يعبدونها من دونه الله، ولا نفتحهم بشيء لما جاء أمر ربك أيها النبي، وما زادهم أصراهم على عبادة الأوثان، إلا الهلاك والضيايق.

١٠٢ - ومثل هذا الأخذ الشديد، الذي أخذ به ربك أيها النبي قوم نوح وعاد وقود وغيرهم، أخذه الشديد إذا شاء أن يأخذ القرى وأهلها ظالمون بالكفر والفساد، إن أخذه قوى مؤثم شديد على الظالمين.

١٠٣ - إن في ذلك القصص لموعظة يحتر بها من أيقن باليأس وخاف عذاب يوم الآخرة، ذلك يوم مجموع للحساب فيه الناس، وذلك يوم مشهود يراه الملائكة والناس.

١٠٤ - وما نؤثره الآية قليلة حدناها، ومنها طالت في نظر الناس فهي قليلة عند الله.

فَتَنَّم شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَشَاقِقٌ ﴿٥٦﴾ خَلِيلَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿٥٧﴾ * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِيلَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوزٍ ﴿٥٨﴾ فَلَا تُكْفِي فِي مَرْمَرَةٍ يَمْعَدُ هُنَّ ذُكُورًا يَأْبَعُونَ
إِلَّا كَمَا يَبْعُ أَبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَنُوفِّهُمُ بِبَيْتِهِمْ غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكَاتِبَ

١٠٥ - يوم يأتي هوله لا يستطيع انسان أن يتكلم الا بإذن الله ، فمن الناس شق بما يعاني من ألوان الشدة ، وهو الكافر ، ومنهم سعيد بما ينتظره من نعم الآخرة ، وهو المؤمن .

١٠٦ - فأما الذين شقوا في النار ما لهم ، لهم فيها تنفس مصحوب بالآلام مزعجة ، عند خروج الهواء من صدورهم ، وعند دخوله فيها .

١٠٧ - خالدين في النار ما دامت السموات والأرض ، لا يخرجون منها الا في الوقت الذي يشاء الله
 اخراجهم فيه ، ليعذبهم بنوع آخر من العذاب ، وان ربك أجا النى فعال لما يريد فعله ، لا يمنعه أحد عنه .

١٠٨ - وأما الذين رزقهم الله السعادة فيدخلون الجنة خالدين فيها من أول لحظة، بعد انتهاء موقف الحساب إلى ما لا نهاية، إلا الفريق الذي يشاء الله تأخيرهم عن دخول الجنة مع السابقين، وهم عصاة المؤمنين، الذين يتأخرون في النار بمقدار توقيع الجزاء عليهم، ثم يخرجون منها إلى الجنة، ويمضي ربك هؤلاء السعداء في الجنة عطاء عظيمًا مستديمًا، غير منقوص ولا مقطوع.

١٠٩ - وإذا كان أمر الأمم المشتركة الظالمة في الدنيا ثم في الآخرة، هو ما قصصنا عليك أيها النبي، فلا يكن عندك أدنى شك في مصير عباد الأوثان من قومك، إن استمروا على ضلالهم، لأنهم كالسابقين من آبائهم، الذي قصصنا عليك قصصهم من قبل، كلهم مشركون وأنا لمؤفون هؤلاء الكفرة استحقاقهم من العذاب كاملاً على قدر جرمهم، لا ينقصون منه شيئاً.

فَاخْتَلَفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكُنِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ۝ وَإِنْ كَلَّا لَمَا يُؤْفِقُنِيهِمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ ۚ إِنَّهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُهَا السَّيِّئَاتِ ۚ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ ۝ وَأَمِيرٌ فَإِنْ

١١٠ - يؤكد لك أيها النبي أننا أعطينا موسى التوراة ، فاختلف قومه من بعده في تفسيرها ومعناها ، حسب أهوائهم وشهواتهم ، كل يريد إخضاعها لشهوته ، فنفقوا شيعاً ، وابتعد الكثير منهم عن الحق الذي جاءهم به ، ولولا وعد الله سابق بتأخير عذابهم الى يوم القيامة ، لحل بهم في دنياهم قضاء الله وحكمه باهلاك الباطلين ونجاة المؤمنين ، كما حل بغيرهم من الأمم التي جاءتهم بها ، بعد اختلاف أسلافهم في فهمها ، وتحريفهم لها ، مما جعل ادراك الحقائق منها أمراً عسيراً . وإن هؤلاء الذين ورثوا التوراة في حمية وبعد عن الحقيقة .

١١١ - إن كل فريق من هؤلاء سيوفهم ربه كما جزاء أعمالهم ، إنه سبحانه خير مهيئ بدقائق ما يعملون من خير أو شر ، ويجازي كلأ منهم حسب عمله .

١١٢ - وإذا كان هذا هو حال الأمم التي جاءها كتاب من الله فاختلقت فيه وخرجت عليه ، فداوم أنت ومن معك من المؤمنين على التزام الطريق المستقيم كما أمرك الله ، ولا تجاوزوا حدود الاعتدال بتقصير أو إهمال أو مبالاة في تكليف أنفسكم ما لا تطيقون ، إنه سبحانه محيط علمه بكل ما تعملون فيجازيكم عليه .

١١٣ - ولا تحيلوا أدنى ميل الى أعداء الله وأعدائكم الذين ظلموا أنفسهم وتجاوزوا حدود الله ، ولا تعملوا عليهم أو تستحسنوا طريقهم ، فستحقوا بسبب هذا الليل عذاب النار ، ولا تجدوا أحداً يدفعه عنكم ، ثم تكون عاقبتكم أنكم لا تنصرون على أعدائكم بخذلان الله لكم ، ولرؤسكم إلى عدوه .

١١٤ - وأد الصلاة أيها النبي على أتم وجه في طرفي النهار ، وفي أوقات متفرقة من الليل ، فانها تطهر النفوس فتقبل على نزعة الشر ، وتحرق آثار السيئات التي قلما يخلو منها البشر ، ذلك الذي أمرت به أيها النبي من الارشاد للخير عظة يتتبع بها المستمعون لقبولها ، الذين يذكرون ربه ولا ينسونه :

اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكَ أُولُوا بَقِيَّةَ يَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْ أَتَمِّينًا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا تُزَاوِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُجْلِكَ الْقُرَىٰ يَظْلِمُ وَأَهْلُهَا مُصِلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَلَا نَقُصُّ عَلَيْكَ

١١٥ - واصبر أيها النبي على شاق ما أمرناك به ، وأحسن تنفيذه ، يعطيك الله أجراً عظيماً ، لأنه لا يضيع عند الله أجر المحسنين لأعمالهم .

١١٦ - كان يجب أن يكون من تلك الأمم السابقة ، التي أهلكتهم بسبب ظلمها ، جماعة منهم لهم كلمة سموعة وفضل من دين وعقل ، يتهون غيرهم عن الفساد في الأرض ، فيحفظوهم من العذاب الذي حل بهم ، وإن يكون هذا ، لكن الذي حدث أنه كان فيهم قليل من المؤمنين لم يسمع لهم رأى ولا توجيه ، فأفجأهم الله مع رسلهم ، في الوقت الذي أصر فيه الظالمون المعاندون على ما تصودوه من قبل من حياة الترف والفساد ، فحال ذلك بينهم وبين الانتفاع بدعوة الحق والخير ، وكانوا في إشارهم لهذه الطريق غارقين في الذنوب والسيئات ، فأهلكهم الله تنفيذاً لسنة في خلقه .

١١٧ - وما كان من سنة الله ، ولا من عدله في خلقه ، أن يظلم أمة من الأمم فيهلكها وهي متمسكة بالحق ، ملزمة للفضائل . عاملة على ما يصلح أمرها وأمر غيرها .

١١٨ - ولو شاء ربك أيها النبي لجعل الناس على دين واحد ، مطيعين الله بطبيعة خلقهم ، كاللائكة ، ولكان العالم غير هذا العالم ، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك ، بل تركهم مختارين ، فلا يزالون مختلفين في كل شيء ، حتى في أصول العقائد ، كالإيمان بالله وملأته ورسله واليوم الآخر ، مما لا يجوز الخلاف فيه ، تبعاً لميولهم وشهواتهم وتفكيرهم ، يتعصب كل فريق لرأيه وما وجد عليه آباءه .

١١٩ - لكن الذين رحمهم الله لسلامة فطرتهم ، فانهم اتفقوا على حكم الله فيهم ، فأمنوا بجميع رسله وكتبه واليوم الآخر . ولهذا المشية التي اقتضتها حكمته تعالى في نظام هذا العالم ، خلقهم الله سبحانه مستعدين لهذا الثواب والعقاب . وهذا يتحقق وعد ربك بأنه لا بد من أن يملأ جهنم من أتباع إبليس من الجن والناس .

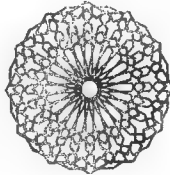
مِّنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ۚ وَذَكِّرْ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَفَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَلَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ رَجِعِ الْأُمُورَ كُلَّهَا فَعِنْدَهُ ۖ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِفَعِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

١٢٠ - ونقص عليك أيها النبي من كل نوع من أخبار الرسل السابقة مع أنهم ما تقوى به قلبك على القيام بشاق الرسالة ، وقد جاءك في هذه الأنباء بيان الحق الذي تدعو إليه ، مثلما دعا إليه السابقون من الرسل ، من توحيد الله والبعد عما يفضيه ، كما جاءك فيها ما فيه عظة وعبرة ينتفع بها المؤمنون ، فيزدادون إيماناً ، والمستعدون للإيمان فيسارعون إليه .

١٢١ - وقل أيها النبي للذين يصرون على العناد والكفر ، ابدلوا أقصى ما في قدرتكم من محاربة الاسلام وايداء المؤمنين به ، فإنا ماضون في طريقنا ثابتون على عملنا .

١٢٢ - وانتظروا ما ترقبونه لنا ، إنا كذلك منتظرون وعد الله لنا بنجاح الدعوة والانتصار على أعدائها .

١٢٣ - والله وحده علم كل غيب في السموات والأرض ، فيعلم ما سيحل بكم ، وما يكون لنا ، وإليه وحده يرجع تصرف كل أمر من الأمور ، وإذا كان الأمر كذلك ، فاعبد ربك وحده ، وتوكل عليه ، ولا تخش أحداً سواه ، وما ربك بغافل عما تعملون جميعاً أيها المؤمنون والكافرون ، وسيجازي كل ما يستحقه في الدنيا والآخرة .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

هذه السورة مكية ، وآياتها مائة وأحدى عشرة آية : قص الله فيها قصة يوسف في ثمان وتسعين آية ، وقدم لها بثلاث آيات ذكر فيها هذا الوحي الذي أنزله على محمد ﷺ ، فسماه في الآية الأولى كتاباً مبيناً ، وفي الثانية قرأناً عربياً : إشارة الى أن من حقه أن يحفظ في السطور والصدور معاً . ثم ذكر في الآية الثالثة ما اشتمل عليه من أحسن القصص وذكر النبي بأنه لم يكن يعلمه قبل نزول الوحي به عليه ، وذلك دليل على أنه من عند الله .

وقد ختمت القصة والسورة بتأكيد ما بدئت به ، فوجه الله نظر نبيه في عشر آيات الى أن هذه القصة من أنباء النبيب ، لم يكن ﷺ يعلمها ويعلم حقائقها ودقائقها ، قبل أن ينزل عليه الوحي بها ، ولم يكن عند اخوة يوسف حين أجمعوا أمرهم وديروا الشر لأخيه من أبيهم ، ثم أخبره بأن الصاد والمسد يحمل أكثر الناس على الكفر ، وإن حرصه عليه السلام على إيمان أكثرهم لا يجديه . وعزاء عن ذلك بأنه لا يطلب أجراً ، وإنما يحمل اليهم القرآن هدى وذكرى للناس أجمعين . وأشار في ختام السورة الى الرسل الذين ذكر له قصصهم هؤلاء الأنبياء عبراً لأصحاب العقول ، وأن هذا القرآن الذي تحدث بهذه القصص وغيرها ما كان حديثنا يخلق وينسب الى الله كذباً ، وإنما هو الحق والصدق ، والكتاب المصدق لما بين يديه من الكتب السابقة ، والهدى والرحمة لقوم يفكرون ويستنبطون ويؤمنون .

وأظهر خصائص هذه السورة أنها ذكرت قصة يوسف بتمامها ، وأظهرت شيوخ المسد في الأسرة اذ ظهرت الهبة لبعضهم ، فكان حسد أولاد يعقوب لأخيه قد حملهم على إلقاءه في غيابة الحب ، ولكن الله حفظه من مكروهم ، كما حفظه من اغراء امرأة العزيز حين بلغ أشده في بيت العزيز ، ويمكن له أرض مصر ، وجعله ملاذ الذين ائتمروا به . . وكذلك شأنه سبحانه مع أنبيائه وأوليائه ينصرهم على أعدائهم ويمكن لهم في الأرض ، ما تمسكوا بالحق ، وآمنوا به ، واعتصموا بحبله .

١ - ألف . لام . راه . تلك الحروف وأمثالها يتكون منها كلامكم أيها العرب هي التي تتكون منها آيات الكتاب المعجز بكل ما فيه . الواضح للموضح لمن يسترشد به ، ويستهد به . وفي هذه الحروف الصوتية تنبيه لهم ، فيستمعوا ولو انفقوا على عدم السماع .

٢ - انا أنزلنا على رسولنا بلنتكم أيها العرب كلاماً عربياً يقرأ ويحفظ ، لكي تفهموه وتبلغوا الناس ما فيه .

أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٢﴾ قَالَ يَبْنَىٰ لَكَ تَقْصَصُ رُبَّكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٣﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ هُمْ الْقَائِمُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥﴾ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلِّسَّالِينَ ﴿٦﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَمَا نَزَلْنَاهُ فَبَدَّلَ اللَّهُ وَجْهَهُمَا فَبَدَّلَ اللَّهُ وَجْهَ يَاقَانَ لِيُضِلَّ يَاقَانَ أَفَتُؤْمِنُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي يَدَيْهِ أَلْفَ مِائَةِ أَلْفٌ فَذَرَاهُمْ عَلَىٰ مَا يَحْكُمُونَ إِنَّ لِيُؤْتِيَهُمُ الْغَنَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٧﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلِّسَّالِينَ ﴿٨﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَمَا نَزَلْنَاهُ فَبَدَّلَ اللَّهُ وَجْهَهُمَا فَبَدَّلَ اللَّهُ وَجْهَ يَاقَانَ لِيُضِلَّ يَاقَانَ أَفَتُؤْمِنُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي يَدَيْهِ أَلْفَ مِائَةِ أَلْفٌ فَذَرَاهُمْ عَلَىٰ مَا يَحْكُمُونَ إِنَّ لِيُؤْتِيَهُمُ الْغَنَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٩﴾

١ - نحن نلقى عليك أيها النبي أحسن القصص بإيحائنا إليك هذا الكتاب، وقد كنت قبل تلقيه من الذين غفلوا عما فيه، وهما اشتمل عليه من عظات وآيات بينات.

٢ - من ذلك القصص أيها النبي قصة يوسف^(١)، إذ قال لأبيه: يا أبت، اني رأيت في منامي أحد عشر كوكباً، والشمس والقمر، وأبنتهم جميعاً خاضعين لي ساجدين أمامي.

٣ - قال أبوه: يا بني، لا تحكم لأخوتك هذه الرؤيا، فانها تثير في نفوسهم الحسد، فيخرجهم الشيطان بتدبير الخيل ضدك. يجادلون لك ويكررون بك، ان الشيطان للانسان عدو ظاهر العداوة.

٤ - وكما رأيت نفسك في المنام سيدياً مطاعاً، ذا شرف وسلطان، يصطفيك ربك ويختارك ويعلمك تفسير الرؤى، ويبين ما تؤول اليه، فيعظم قدرك وذكرك، ويتم الله نعمته عليك، وعلى آل يعقوب، بالنبوة والرسالة كما أتمها على إبراهيم من قبل أبيك يعقوب، وهما إبراهيم واسحق، ان ربك كثير الحكمة فلا يخطئ، كثير العلم فيصطفى من عباده من يعلم أنه أهل للاصطفاء.

٥ - لقد كان في قصة يوسف وأخوته دلائل وعبر، للسائلين عنها والراغبين في معرفتها.

٦ - إذ قال أخوة يوسف لأبيه فيما بينهم: ليوسف وأخوه الشقيق أحب الى أبينا منا، ونحن جماعة قوية هي أنفع له منها، ان أبانا يائساره يوسف وأخاه علينا لئى خطأ وبعد عن الحق، والصواب واضح، ظاهر الواضح.

(١) يوسف عليه السلام هو ولد يعقوب الميراثي للكنعان وقد بيع في مصر في عهد الفراعنة الأجانب الذين يسمون بالهكسوس وهم ما يبدو ساميون قدموا إلى مصر من بلاد الشام حيث احتلوا دلتا النيل حوالي عام ١٧٣٠ ق. م. قبل نهاية الأسرة الثالثة عشرة وحكموا مصر حوالي قرن ونصف قرن من الزمان حيث طردوا حوالي عام ١٦٨٠ ق. م. على يد أحسن الأول مؤسس الأسرة الثالثة عشرة إلى ما وراء الحدود المصرية.

لَكَرَّ وَجْهَ أَبِيكَ وَتَكُونُوا مِنْ بَيْنِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي عَيْبَتِ
الْجَبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
لَنَنصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَا غَدَا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفَقُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ
أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا نَلْحَسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَبَّ دَهْمُوا
بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِلْبَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنْفِيتَهُمْ بِأَرْحَمِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ

٩ - اقتلوا يوسف أو القوا به في أرض بعيدة عن أبيه ، لا يصل إليها ، يخلص لكم حسب أبيكم وإقباله
عليكم ، وتكونوا من بعد إبعاد يوسف عنه بالقتل أو النفي قوماً صالحين إذ قبل الله توبتكم ، ويقبل أبوكم
اعتذاركم .

١٠ - قال أحد المتحدئين منهم : لا تقتلوا يوسف ، فإن ذلك جرم عظيم ، وألقوه فيما يبيب عن العين من
غور البئر ، يلتقطه بعض السائر في الطريق ، إذا ألقى دلوه في البئر ، فيذهب به بعيداً عنكم وعن أبيه ، إن كنتم
مصريين على إبعاده وتحقيق غرضكم بالفعل .

١١ - قالوا بعد أن تم اتفاقهم على إبعاد يوسف : يا أبانا ما الذي رابك منا حتى تبعد يوسف عنا ، ولا تشعر
بالأمن إذا كان معنا ؟ نحن نؤكد لك أننا نحبه ، ونسفق عليه ، ونريد له الخير ، ونرشده إليه ، وما وجد منا غير
الحب وخالص الصبح .

١٢ - أرسله معنا إلى المراعى غداً ، يتمتع بالأكل الطيب ، ويلعب ويرح وإنا لحريصون على المصافقة عليه ،
ودفع الأذى عنه .

١٣ - قال : إنني لأشعر بالهمز إذا ذهبت بعيداً عني .. وأخاف إذا امتنكم عليه أن يأكله الذئب وأنتم في
غفلة عنه .

١٤ - قالوا : نقسم لك ، لنن أكله الذئب ، ونحن جماعة قوية ، ليكون ذلك العار والحسار ، أنا إذا حدث
هذا الذي نخشاه ، نحاسرون لكل ما يجب الحرس عليه وعدم التصريط فيه . فاطمن فلن نتهاون في المصافقة عليه
لأننا بذلك نعرض أنفسنا للضياح والمهوان .

١٥ - فلما مضوا به بعيداً عن أبيه ، وأجمعوا رأيهم في المصافقة في غور البئر ، انفضوا ما عزموا عليه ، وألمنناه
الاطمئنان والثقة بالله وأنه سيخبرهم بأمرهم هذا الذي دبروه وقدموا عليه ، وهم لا يشعرون حين تخبرهم أنك
أخوهم يوسف الذي أئتمروا به ، وظنوا أنهم قضاوا عليه واستراحوا منه .

عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا أَهَٰذَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَكَلَّمْنَا الذِّئْبَ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ وَعَلَىٰ لَيْبِهِ بِرِكَابٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمُ الْفِكْرَ أَمْرًا قَصِيرًا ﴿١٨﴾ وَأَلَّهِ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلْمٌ وَأَسْرُهُ بَضْعَةٌ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لَا مِرَّةَ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عِنْدِي أَنْ يَنْفَعَنِي أَوْ يُضْلِمُنِي وَلَئِنْ كُنْتُ إِلَّا مَكًّا لِيُوسُفَ

١٦ - ورجعوا الى ابيهم وقت المشاء ، يظهرين الحزن ويرفعون أصواتهم بالبكاء .

١٧ - قالوا يا أبانا ، اتنا مضينا لتسابق في الرمي والجري ، وتركنا يوسف عند متاعنا لبحرسه ، فأكله الذئب ونحن بعيدون عنه ، مشغولون بالتسابق دونه ، وما أنت بمصدق لنا فيما نقوله لك ، ولو كان ما نقوله الحق الصدق .

١٨ - وأحضروا قيضه وعليه دم يشهد بادعائهم ، اذ زعموا أنه دم يوسف ليصدقهم ابيهم ، ولكنه قال ، ان الذئب لم يأكله كما زعمتم ، بل قد سولت لكم أنفسكم أمراً عظيماً فاقدمتم عليه ، فشاقي صبر جميل لا يصحبه الجزع على ما أصابني منكم ، والله وحده الذي يطلب منه العون على ما تزعمون وتدعون من الباطل

١٩ - وجاءت جهة البئر جماعة كانت تسرع في السير الى مصر ، فأرسلوا من يرد الماء منهم ويعود اليهم من البئر بما يستقيم ، فألقى دلوه فيه ورفعته منه فإذا يوسف متعلق به . . قال واردهم بملن ابتهاجه وفرحه بالخبر ويا للخير السار . . هذا غلام . . وأخفوه في أمتعتهم ، وجعلوه بضاعة تباع ، والله محيط علمه بما كانوا يعملون .

٢٠ - وباعوه في مصر بثمن دين قيمته ، كان اثنان دراهم قليلة ، وكانوا في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه ، خوفهم أن يدركهم أهله ويعرفوه بينهم ويتزعموه منهم .

فِي الْأَرْضِ وَنُتِعَلِبُهُ مِنْ تَارِيلِ الْأَحَادِيثِ ۖ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ۖ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾ وَرَوَدَتْهُ الْمَوْتَىٰ مُوَفًّى بِبَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۖ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأًى أَبْرَهْنَ رَأًىءَ كَذَلِكَ لَيَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٩﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ لَيَصْبِرُ مِنْ دُبُرٍ ۖ وَأَلْقَا سِجْدَهُمَا لَدَا الْبَابِ ۖ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ

٢٦ - وقال الذى اشتراه من مصر لزوجه : أحسن معاملته وأكرميه حتى تطيب له الإقامة معنا ، لعله ينفعنا أو ننتبهه ونتخذ ولدأ لنا ، وكما كانت هذه المكانة عظيمة وهذه الإقامة كريمة ، جعلنا ليوسف فى أرض مصر مكانة أخرى كبرى ، ليتصرف فيها بالعدل وحسن التدبير ، لتعلمه تفسير الأحاديث والرؤى فيعرف منها ما سيقع قبل أن يقع ويستعد له ، والله قوى قادر على تنفيذ كل أمر يريده ، لا يعجزه شيء عن شيء ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون غفائا حكمته ولطف تدبيره .

٢٢ - ولما بلغ يوسف أقصى قوته ، أعطيتاه حكماً صائباً ، وعلماً ناقصاً ، ومثل هذا الجزاء الذى أعطيتاه إياه على إحسانه ، نجزي المحسنين على إحسانهم .

٢٣ - ورأدت التى هى كان هو يعيش فى بيتها ، ويشعر بسلطانها ، ان تغريه بنفسها ، لتصرفه عن نفسه الطاهرة الى مواقعتها ، فأخذت تذهب وتجيء أمامه ، وتعرض عليه بمحاسنها ومفاتنها ، وأوصدت الأبواب الكثيرة ، وأحكمت اغلاقها ، وقالت : أقبل على فقد هيات لك نفسى ، قال : انى الجأ إلى الله ليحمينى من الشر ، وكيف ارتكبه معك وزوجك العزيز سيدي الذى أحسن مقامى ؟ انه لا يفوز الذين يظلمون الناس بالفدر والحياة فيوقعون أنفسهم فى مصيبة الزنى ؟ .

٢٤ - ولقد عزمتم أن تغالطه وتنازعه نفسه اليها ، لولا أن رأى نور الله الحق نصب عينيه قد استضاء به ، ولم يطارح ميل النفس ، وارتفع عن الهوى ، فاستنعت عن المصيبة والحياة وثبت على طهره وعفته . وهكذا نبتنا يوسف على الطهر والمغاف لتصرف عنه سوء الحيانة ومصيبة الزنى ، انه من عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله .

سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ يُعَذَّبَ أَلَيْمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ زَوَّجْتَنِي عَنْ نَفْسِي ۖ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَبِيضُهُ قُدٌّ مِّنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَبِيضُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَبِيضُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِ صُكُنَ ۖ إِنْ كَيْدُكَ كَبِيرٌ ۖ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَٰذَا ۖ وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيَاكَ ۖ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ۖ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرِيدُ فَتَنَّا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا نَنْزِيلُهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا ۖ وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ۖ وَقَالَتِ امْكُرْكُنَّ عَلَيَّ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُنَّ أَكْبَرْتَهُ ۖ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ

٢٥ - وأسرع يوسف إلى الباب يريد الخروج منه ، فأسرعت تحاول أن تسبقه إليه ، لتحول دون خروجه ، وجذبت قبضة من خلفه تمته ، وقطعته . . ووجدوا عند الباب زوجها قالت تنهره عليه : لا جزاء لمن أراد بزوجه ما يسوءك الا السجن يوضع فيه ، أو عذاب مؤلم يقع عليه .

٢٦ - قال يوسف يدافع عن نفسه : هي طليقتي ، وحاولت أن تتدعني عن نفسي ، وتحاسبني في الاتهام ، فحكم حكم من أهلها فقال ان كان قبضة شق من أمام ، فقد صدقت في ادعائها ، وهو من الكاذبين فما أخبر به .

٢٧ - وان كان قبضة شق من خلف ، فقد كذبت في قولها ، وهو من الصادقين فما قال .

٢٨ - فلما رأى الزوج قبض يوسف قد من خلف ، قال لزوجته : ان اتهامك له بما وقتت انت فيه مع براءته هو من كيدكن ، معشر النسوة ، ان مكركن عظيم .

٢٩ - يا يوسف اعرض عن هذا الأمر ، واكنمه ولا تذكره ، واستغفري انت لذنبك ، انك كنت من الآثمين الذين يعمدون الموقوع في الخطأ وارثكاب الآثم ، واتهموا غيرهم بما ألوموا هم به .

٣٠ - وانتهى الخبر الى جماعة من النساء في المدينة ، فتحدثن وقلن : ان امرأة العزيز تفرى خادمها وتقدسه عن نفسه ليطيعها فما تزيد منه ، قد خالط حبه شغاف قلبها حتى وصل الى صميمه ، انا نعتقد انها يسلكها معه في ضلال واضح وخطأ بين .

حَشَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوْهُمُ عَنْ
نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أُمِرُوا لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ
لِي مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ
فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آلَافِينَ لَيْسَجْنُهُ حَتَّى
يَخْرُجُوا مِنْهُ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُتْرِكُ أُتْرِكُ

٣١ - فلما سمعت باغتيابهن رسوه كلامهن فيها ، دعتهن الى بيتها ، وأعدت لهن ما يتكفن عليه من الوسائد والفاقر ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً ، بعد أن حضرن وجلسن متكئات ، وقدم لهن الطعام ليأكلن بالسكاكين ما تناه منه أبدين . وقالت ليوسف : أخرج عليهن ، فلما ظهر ورأيته أعظمته وأخذهن حسنه الرائع وجماله البارع ، فجرعن أبدين من فرط البهشة والنهول ، وهن يقطن طعامهن ، قلن متصجات مندحشات : نزعنا لله ، ما هذا الذي نراه بشراً لأن البشر لا يكون على هذا الحسن والجمال والصفاء والنقاء ، ما هذا الا ملكا كثير الحسن طيب الشبائل ، سخي الصفات .

٣٢ - قالت امرأة العزيز تعقب على كلامهن : فذلكن التي الذي يهركن حسنه ، وأذهلكن عن أنفسكن حتى حصل ما حصل ، هو الذي لمتني في شأنه ، ولقد طلبته وحاولت اغرامه ليستجيب لي فاستمع وتألى ، كأنه في عصمة كان يستريد منها ، وأقسم ان لم يفعل ما أمره به ليعاقبن بالسجن وليكونن من الأذلاء المهينين .

٣٣ - قال يوسف : وقد سمع منها التهديد والوعيد ، وسمع منهن النصع بمطاعيتها يا رب : السجن أحب الي نفسي مما يطلبنني مني لأن في هذا مصيبتك ، وان لم تحول عني شر مكرهن وكيدهن أمل إليهن ، وأكن من السفهاء الطائشين .

٣٤ - فاستجاب الله له ، فصرف عنه شر مكرهن ، انه هو وحده السميع لدعوات اللاتجشبن اليه ، العليم بأحوالهم وبما يصلحهم .

٣٥ - ثم ظهر رأى للعزیز وأهله ، من بعد ما رأوا الدلائل الواضحة على براءة يوسف فأجمعوا على هذا الرأى ، وأقسموا على تنفيذه ، وهو أن يدخلوه السجن إلى زمن يقصر أو يطول ، لكى يدفع مقالة السوء عن امرأته ويصلحها عن الفوابة .

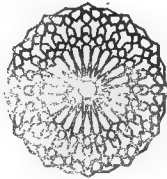
فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَلْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرْكَبَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ
رِزْقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمْ بِتَلْوِيلِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذِكْرًا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ
مِنْ شَيْءٍ ۚ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْنَعُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ
مُتَرَفِقُونَ خَيْرٌ أَمَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِعْتُمُهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

٣٦ - ودخل السجن مع يوسف فتيان من خدام الملك ، قال له أحدهما : لقد رأيت في منامى أتى أعصر عنباً
ليكون خمرًا ، وقال له الآخر : لقد رأيت أتى أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل منه الطير ، خبزنا يا يوسف بتفسير هذا
الذي رأيناه ومأل أمرنا على هده . انا نعتقد أنك من الذين يتصفون بالإحسان واجادة تفسير الرؤى .

٣٧ - قال لها : يؤكد ما عليها عنه : لا يأتيكما طعام يساق إليكما رزقا مقدرا لكما ، إلا أخبرتكما بما له إليكما ،
قبل أن يأتيكما ، وذكرت لكما صنعه وكيفيته ، ذلك التأويل للرؤيا والاخبار بالمفاتيح مما علمني ربي وأوحى به إلي
لأنى أخلصت له عبادتي ، ورفضت أن أشرك به شيئا ، واتبعت عن دين قوم لا يصدقون بالله ، ولا يؤمنون به عل
وجه صحيح ، وهم بالآخرة وصاحبها منكرون كافرين .

٣٨ - تركت ملة هؤلاء الكافرين ، واتبعت دين آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ، فعبدت الله وحده ، فما صح
لنا أن نجعل لله أى شريك من أى شيء كان ، من ملك أوجنى أو انسى ، فضلا عن الأصنام التي لا تنفع ولا تضر
ولا تسمع ولا تبصر ، ذلك التوحيد مما تفضل به الله علينا وعلى الناس ، إذ أمرنا بتبليغه إليهم ، ولكن أكثر الناس
لا يتلقون هذا الفضل بالشكر بل بالكفر .

٣٩ - يا صاحبي في السجن : أأرباب شتى كثيرة يهضج المرء لكل واحد منها ، خير : أم الله الواحد الذي
لا يقالب ؟ .



بَهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۖ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ۖ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾
يَصْصِيحُ السِّجْنِ ۖ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ
الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَّ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ
فِي السِّجْنِ بِضْعَ سَنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ
وَأُخْرَىٰ يَأْسَافٌ ۚ يَأْكُلْنَ أَلْمَلَأَ أَفْتَرِي فِي رُؤْيَايَ ۖ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامُهُ ۖ وَمَا نَحْنُ
بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي لَهَا مَهْمًا مِّنْهُمَا وَكَذَرَبَعَءُ امْرَأَتِهِ أَنَا أُتِيَْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾

٤٠ - ما تعبدون من غير الله إلا أسماء أطلقتوها أنتم وأباؤكم على أوهام لا وجود لها ، ما أنزل الله بتسميتها
آلهة من حجة وبرهان ، ما الحكم في أمر العبادة وفيما يصح أن يعبد وما لا تصح عبادته ، إلا لله أمر ألا تحضنوا لغيره
وأن تعبدوه وحده . ذلك الدين السليم القويم الذي تهدي إليه الأدلة والبراهين ، ولكن أكثر الناس لا يستقرضون
بهذه الأدلة ، ولا يعلمون ما هم عليه من جهل وضلال .

٤١ - يا صاحبي في السجن ، اليكما تفسير مناميكما ، أما أحدهما الذي عصر العنب في رؤياه فيخرج من
السجن ، ويكون ساقى الخمر للملك . وأما الثاني فيصلب ويترك مصلوبا فتقع عليه الطير وتأكل من رأسه ، ثم
الأمر على الوجه الذي بينته فيها تطلبان فيه تأويل الرؤيا .

٤٢ - وقال للذي توقع النجاة منها : اذكرني عند الملك بصفتي وقصصتي عساه ينصفني وينقذني مما أعانيه ،
فشغله الشيطان وأنساه أن يذكر للملك قصة يوسف فكث يوسف في السجن سنين لا تنقل عن ملأ .

٤٣ - وقال الملك : اني رأيت في منامي سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ضعاف ، ورأيت سبع سنبلات
خضر ، وسبع سنبلات أخر يابسات . . يأبها الكبراء من العلماء والحكماء أفترى في رؤياي هذه ان كنتم تصرفون
تفسير الرؤى وتفترى فيها .

٤٤ - قالوا : هذه أخلط أحلام باطلة ، ووساوس تهجس في النفس ، وما نحن بتفسير الأحلام الباطلة بعالمين .

٤٥ - وقال الذي لهما من صاحبي يوسف في السجن ، وتذكر بعد مضي مدة طويلة ، وصية يوسف ، أنا أخبركم
بتأويل الحديث الذي ذكره الملك ، فأرسلوني إلى من عنده علم بتأويله آتكم بنبئه .

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتَنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ مِمَّنْ يَأْكُلْنَ سَبْعَ سِنِينَ عِجَافٌ وَسَبْعِ سَنَابِلٍ خُضِرٍ وَأَخْرَبَابَسَتْ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصَرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهَؤُلَاءِ قَالَتْ جَاءَهُ الْوَسْوَاسُ الْخَفِيُّ قَالَتْ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلَّهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْلَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رُودَتْ

٤٦ - مضى السالك إلى يوسف : حتى جاءه فتاده : يوسف أيها المريض على الصلح أفنتا في رؤيا سبع بقرات مامن يأكلهن سبع ضفاف وفي رؤيا سبع سنابل خضر وأخر يابسات ؟ أرجو أن أرجع إلى الناس بفنواك عساهم يعلمون معناها ، ويعرفون لك علمك وفضلك .

٤٧ - قال يوسف : تفسر هذه الرؤيا أنكم تزرعون الأرض قحاً وشعباً سبع سنين متواليات : دأبين على العمل في الزراعة ، فما تحصنوه احفظوه فأتوك في سنبله ، الا قليلاً مما تأكلونه في هذه السنين ، مع الحرص على الاقتصاد (١) .

٤٨ - ثم يأتي بعد هذه السنين المصيبة سبع سنين مجدية ، تأكل ما ادخرتم لها ، الا قليلاً مما تحبثونه وتحفظونه ، ليكون بذراً لما تزرعونه بعد ذلك .

٤٩ - ثم يأتي بعد هذه السنين المجدية عام يغاث فيه الناس بالمطر ، ويعصرون فيه العنب والزيتون وكل ما يعصر .

٥٠ - تنبه الملك إلى يوسف بسبب تعبه لرؤياه ، وعزم على استدعائه فأمر أعوانه أن يحضروه ، فلما أتاه من يبلفه رغبة الملك لم يستخف الخبر ، رغم ما يحمل من بشرى الفرج ولم تزعزع حلمه لطف السجن على الخلاص من ضيق السجن ووحشته ، وأثر التهلل حتى تظهر برامته ، على التعجل بالخروج وأثار التهمة عاقلة بأدائه ، فقال للرسول ، عد إلى سيدك وأطلب منه أن يعود إلى تحقيق تهمتي . قيسال النسوة اللواتي جمعتن امرأة العزيز كيدا لي ، فظلمن الدهش وقطنن أبيضن : هل خرجن من التجربة معتقدات براءتي وطهرتي أودنسي وعهرتي ؟ اني أطلب ذلك كشفاً للحقيقة في عيون الناس ، أما رأي فانه راسخ العلم باحتيالي .

(١) تتفق هذه الآية مع ما وصل إليه العلم من أن ترك الحب في سنبله عند نحرته وقاية له من التلف بالعوامل الجوية والانفاس ، وفوق ذلك يقيه محافظاً على محرماته الغذائية كاملة .

يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنْصَصُ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَالِفِينَ ﴿٦٠﴾ * وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦١﴾ وَقَالَ الْعِمْلُكُ اشْرُؤْنِي بِهِ ۖ أَسْتَعْلِمَهُ لِنَفْسِي ۚ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أُمِينٌ ﴿٦٢﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَدْعُؤُا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نَجِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ۚ

٥٩ .. فاستحضر الملك للنسوة وسألهن : ماذا كان حالكن حين حاولتن خداع يوسف ليففل عن عصمته وطهارة نفسه ؟ هل وجدتن منه ميلا إليكن ؟ فأجبتنه : نزه الله عن أن يكون نسي عبده حتى تلوث طهره ، لما لمسنا فيه شيئا بشيئا . وحشد قويت نزعة الخير في نفس امرأة العزيز ، فاندفعت تقول : الآن وضع الحق وطهر أنا التي خاتلته وحاولت فتنته عن نفسه بالإغراء فاستمسك بعصمته ، وأؤكد أنه من أهل الصدق والحق حين رد التهمة على ونسبها إلى .

٥٢ .. هذا اعتراف مني بالحق أقدمه ، ليستيقن يوسف أني لم أستغل غيبته في السجن ، وأنقضى في الحياة ، وأعول على تثبيت اتهامه ، ولأن الله لا يتجسس تدبير الخائفين .

٥٣ .. وما أدعى عصمة نفسي من الزلل ، فإن النفس تميل بطبيعتها إلى الشهوات وتزين السوء والشر ، إلا نفس من حفظه الله وصرفه عن السوء . وإنى لأطمع في رحمة الله وغفرانه ، لأنه واسع الغفران لذنوب الناثين .

٥٤ .. فلما ظهرت براءة يوسف عند الملك ، صمم على استدعائه ، وكلف رجاله أن يحضروه ليحمله من خاصته وخلصائه ، فلما حضر إليه وجرى بينها الحديث ، تميل له من يوسف ما تميل من طهارة النفس وتقوسب الرأي فقال له ، ان لك في نفسي لقاما كريما ثابتا ، وأنت الأمين الموثوق به .

٥٥ .. وعلم الملك منه حسن التدبير وكفائته لما يقوم به ، وأحس يوسف بذلك ، وحينئذ طلب منه أن يستوزره قاتلا له : ولقي همل خزانين ملكك ومستودعات غلات أرضك ، لأنني كما تأكد لديك ضابط لأموار المملكة ، حافظ لها ، خير بالتدبير وتصريف الأمور .

وَلَا تُضِيعُ آيَةَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَاجِرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُسْكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْعٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُرٍ أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ أَكْثَرَ أَكْثَلٍ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَلَّ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سُرُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ

٥٦ - وقيل الملك عرضه ، فاستوزره ، وبذلك أنعم الله على يوسف نعمة جليلة ، فجعل له سلطاناً وقدرة في أرض مصر ، ينزل منها بأي مكان يريد . وهذا شأن الله في عبادِهِ ، يهب نعمته لمن يختاره منهم ، ولا يهدر ثوابهم وإنما يؤتيهم أجورهم على الإحسان بالإحسان في الدنيا .

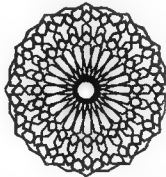
٥٧ - وإن ثوابه في الآخرة لأفضل وأوفى لمن صدقوا به وبرسله ، وكانوا يراقبونه ويحافظون يوم الحساب .

٥٨ - واشتد القحط بما حول مصر ، ونزل بال يعقوب ما نزل بغيرهم من الشدة ، وقصد الناس مصر من كل مكان ، بعد ما علموا من تدبير يوسف للعون ، واستعداده لسنوات الجذب . فبعت يعقوب إليهم أبنائه طلباً للطعام ، واحتجز معه ابنه شقيق يوسف خوفاً عليه ، فلما بلغ أبنائه مصر توجهوا من فورهم إلى يوسف ، فعرفهم دون أن يعرفوه .

٥٩ - وأمر يوسف أن يكرموا في ضيافته ، ويدفع لهم من الميرة ما طلبوه فتم ذلك ، وأخذ يمدحهم ، ويسأل عن أحوالهم سؤال الجاهل بها ، وهو بها عليم ، فأخبروه أنهم تركوا أبا لهم حرساً أيومهم ألا يفسدته ، وهو بنيامين شقيق يوسف ، فقال : ليحضر معكم أخوكم ، ولا تغافوا شيئاً ، فقد رأيت أبناءكم واكمي لكم في نزولكم .

٦٠ - فإن لم تحضروا أخاكم هذا ، فليس عندي لكم طعام ، ولا تحاولوا أن تأتونى مرة أخرى .

٦١ - قال اخوته : سنحتال على أبيه لينزل عن إرادته ولا يخساف عليه ، ونؤكد لك أننا لن نقصر في ذلك أو نتوانى فيه .



يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَنَانًا نَسْتَكِلَ ۖ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ أُمِنْتُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أُمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ۖ قَالَهُ خَيْرٌ حَفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْنَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رَدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبُغِي هَذِهِ ۖ بِضَاعَتُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا وَبِغِيرُ أَهْلَنَا وَحَفِظُ آخَنَانَا وَزَادَ كَيْلَ بَعِيرٍ ۚ ذَٰلِكَ كَيْلَ يَسِيرٍ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۚ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَنُكَلِّمُنَّ رَجُلًا مِّنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِنَّهُ لَحَفِظُ لَنَا ۖ وَلَقَدْ كَلَّمْنَا شَدِيدًا مِّنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ جَاءَ بِالسَّبْحَةِ ۖ وَكُنَّا لَهُ عَمَلًا ۖ وَكَانَ أَبُوهُمَا بِالرَّحِيلِ ۖ قَالَ لِأَتِيَاكَ ۖ ضَعُوا مَا قَدِمْتُم مِّنْ مِّنْ بَضَاعَتِهِمْ فِي أَمْتِهِمْ ۖ عَسَاهُمْ يَرُونَهَا إِذَا عَادُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ ۖ فَيَكُونُ ذَٰلِكَ أَرْجَىٰ لِعُودَتِهِمْ مُؤْمِلِينَ فِي أَعْطَاهُمْ الطَّعَامَ ۖ وَاتَّقِينَ بِالْوَفَاءِ بِالْهَيْدِ ۖ وَأَخْبِرْ عَلَىٰ أَخِيهِمْ وَلِيَبْشُرُوا الطَّامِنِينَ فِي نَفْسِ أَبِيهِمْ ۖ

٦٢ - ولما هربا بالرحيل، قال لأتياك: ضعوا ما قدموه من من بضاعتهم في أمتهم، عساهم يرونها إذا عادوا إلى أهلهم، فيكون ذلك أرجى لعودتهم مؤملين في أعطاهم الطعام، واتقين بالوفاء بالهيد، وأخبر على أخيسم وليبشروا الطمانينة في نفس أبيهم.

٦٣ - فلما عادوا إلى أبيهم قصوا عليه قصتهم مع عزيز مصر، وتلفعه بهم، وأنه أنذرهم بمنع الكيل لهم في المستقبل أن لم يكن معهم بنيامين، وواعدهم بوفاء الكيل لهم، واکرام مأزمتهم، أن عادوا إليه بأخيهم، وقالوا له: ابعت معنا آخنانا فلأنك أن بعتنا أكلنا ما نحتاج إليه من الطعام واقيا، ونعدك وعدا مؤكدا أننا سنبدل الجهد في المحافظة عليه.

٦٤ - وثارت في نفس يعقوب ذكريات الماضي، فربطها بالحاضر، وقال لبنيه: إن أمري إذا استجبت لكم لمجيئ فلن تكون حالى حين أمتكم على أخيكم الا مثل حالى حين اتمتكم على يوسف فأخضقوه، ثم عدم تقولون: أكله الذئب، فأنه حسنى في حابة ابنى، ولا أعتمد الا عليه، فهو أقوى حافظ، ورحمته أوسع من أن يفجىنى بعد يوسف في أخيه.

٦٥ - وكان أخوة يوسف يجهلون أن يوسف وضع أموالهم في حقائبهم، فلما فتحوها ووجدوا الأموال عرفوا جميل ما صنع بهم يوسف، وندعروا بذلك إلى بث الطمانينة في قلب يعقوب، واتقاه بالاستجابة إلى ما طلب العزيز وبالفوا في استأثنه، فذكروه بما بينه وبينهم من رباط الأوبة، فقالوا: يا أبانا أى شيء نريد أجمل مما جرى وينظر أن تجرى به الأحداث؟ هذه أموالنا أعيدت إلينا دون أن يحتجز منها شيء فنسافر مع أخينا ونجلب الميرة لأهلنا، ونرعى آخانا، ويزيد ميرتنا حل بعير لحق أخينا، فقد رسم العزيز أن يعطى الرجل حل بعير.

٦٦ - ونجحت محاولة أبناء يعقوب في اتقاه، وأثر مقلهم فيه، فغزل عن التشدد في احتجاز ابنه وحبسه عن النهاب مع اخوته إلى مصر، ولكن قلبه لا يزال في حاجة إلى ما يزيد اطمئنانه ولذلك قال لهم: لن أبعت معكم إلا بعد أن تعطوني ضيانا قويا، فتأهلوا الله عهدا موثقا أن تعيدوه إلى، وألا يمتكن من رده الا أن تهلكوا أو يحيط بكم عدو يهلككم عليه فاستجابوا له، وقدموا ما طلب من الموائيق، وعدت أشهد الله على عهودهم وإيمانهم بقوله: الله على ما دار بيننا مطلع رقيب.

مُتَفَرِّقَةً وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ إِنَّ الْحَكْرَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾
وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا
وَأَنَّهُ لَدُوٌّ عَلَيْهِ لَمَّا عَلِمَنَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ
قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّزِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ
ثُمَّ أَذِنَ لَهُمْ قَدْ أَتَيْتُمْ أَكْثَرَ سُوءِ آلِهَةٍ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا تَفْقِدُ صُرَاعَ الْمَلِكِ وَلَمْ نَمَسْ

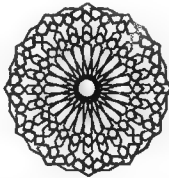
٦٧ - أطمان يعقوب إلى عهد أبنائه ، ثم دفعته الشفقة عليهم إلى أن يوصيهم عند دخولهم مصر بأن يدخلوا من أبواب متفرقة ، لكيلا يفتوا الأنظار عند دخولهم ، ولا تترقبهم الأعين ، وقد يكون ما يسيئهم ، وليس في قدرق أن أدفع عنكم أذى ، فالدافع للأذى هو الله وله وحده الحكم ، وقد توكلت عليه وفوضت إليه أمري وأمركم ، وعليه وحده يتوكل الذين يفوضون أمورهم إليه مؤمنين به .

٦٨ - لقد استجابوا لوصية أبيهم ، فدخلوا من أبواب متفرقة ، وما كان ذلك ليدفع عنهم أذى كذب الله لهم ، وإن يعقوب ليعلم ذلك ، فإنه ذو علم علمناه إياه ، ولكن وصيته كانت لحاجة في نفسه ، وهي شفقة الأب على أبنائه أعلنها في هذه الوصية . وإن أكثر الناس لا يعلمون مثل علم يعقوب ، فيفوضون لله ويحترسون .

٦٩ - ولما دخلوا على يوسف أنزلهم منزلا كريما ، واختص أخاه شقيقه بأن أواه إليه ، وأسر إليه قائلا : اني أخوك يوسف ، فلا تحزن بما كانوا يصنعون معك وما صنعوه معي .

٧٠ - فبعد أن أكرم وفادتهم ، وكالمهم الطعام ، وزادهم حملا لأخيه ، أعد رحالهم للسفر ، ثم أمر أعوانه أن يمسوا نساء شرب الماء في حمل بنيامين ، ثم نادى أحد أعوان يوسف : أيها الراكب القاضون بأمالكهم ، قفوا انكم لسارقون .

٧١ - فارناع اخوة يوسف للنداء ، واتجهوا إلى المنادين يسألونهم ، ما الذي ضاع منكم وعم تبحثون ؟ .



جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا نَالَهُ لَفَدَ عَلَيْهِمْ مَا جِئْنَا لِنَفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا قَاتِلُوا بَرْأَوْهٖ إِن كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا بَرْأَوْهُ مِنْ وَجْدِي رَحِمَهُ فهُوَ بَرْأُوهُ كَذَلِكَ يُخَذُّ الْفُلَاحِينُ ﴿٧٣﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَتَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخَرَّ جَهَانَ وَتَاءَ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لْيُوسُفَؑ مَا كَانَ لِيَآخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَؑ نَزَعَ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّسَبِؑ وَفُوقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٢﴾ * قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ

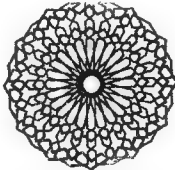
٧٢ - فأجابهم الأعوان : نبعت عن الصواع ، وهو اناء الملك الذى يشرب به ، ومكافأة من يأتى به حمل جل من الطعام ، وأكد رئيسهم ذلك فقال : وأنا بهذا الوعد ضامن وكفيل .

٧٣ - قال اخوة يوسف : ان اتهمكم ايانا بالسرقة لعجيب ، ونؤكد بالقسم ان فيا ظهر لكم من أخلاقنا ونحسنا بديننا في مرق مجيئنا ما يؤكد علمكم أننا لم نأت بنية الإفساد في بلادكم ، وما كان من أخلاقنا أن نكون من السارقين .

٧٤ - وكان يوسف قد أوحى إلى أتباعه أن يكلوا إلى اخوته تقدير الجزاء الذى يستحقه من وجد الصواع عنده ، فمهيدا لأخذ أخيه منهم بحكمهم ، وليكون قضاؤهم مبرما لا وجه للشفاعة فيه ، فقالوا لهم : فإذا يكون جزاء السارقين عندهم ان ظهر أنه منكم ؟

٧٥ - ولوثقوا أبناء يعقوب بأنهم لم يسرقوا الصواع ، قالوا غير متلجلجين : جزاء من أخذ الصواع أن يؤخذ رقيقا ، فيمثل هذا الجزاء تجازى الظالمين الذين يأخذون أموال الناس .

٧٦ - وانتهى الأمر إلى تفتيش الرجال ، وكان لا بد من الاحكام حتى لا يظهر في تنفيذ الحطة افتعال ، وتولى يوسف التفتيش بنفسه ، بعد أن مهد الأمر ، فبدأ بتفتيش أوعية العشرة الأشقاء ، ثم انتهى إلى تفتيش وعاء أخيه ، فأخرج السقاية منه ، وبذلك ليجت حبيلته ، وحق له بقضاء اخوته أن يحتجز بنيامين وهكذا دبر الله الأمر ليوسف لما كان في استطاعته أخذ أخيه بمقتضى شريعة ملك مصر الا بإرادة الله وقد أرادها فديننا الأمر ليوسف ووفقناه إلى ترتيب الأسباب واحكام التدبير والتلطف في الاحتياط ، وهذا من فضل الله الذى يعطى في العلم منازل من أراد وفوق كل صاحب علم من هو أعظم ، فهناك من يفوقه في علمه .



أَخْلَجُوا مِنْ قَبْلِ قَائِسَرَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَبْلُغَا هَمًّا قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾
 قَالُوا يَا أَبَا الْعَزِيزِ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ
 نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْدهُ إِنَّا إِذَا ظَلَمْنَا لَنَا وَلًا ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَرُوا مِنْهُ خَلَصُوا مُجِيبًا قَالَ كَيْفَ هُمْ أَرْتَعِلُوا
 أَنْ أَبَاكَ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكَ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتَ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي أَوْ
 يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا

٧٧ - وكان اخراج الصواع من حقبة أخيه مفاجأة أخجلت اخوته ، فتصلوا باعتذار يريه جماعتهم دونه ،
 ويظنه هو ويوسف ، ويوحى بأن السرقة طبع ورثاه من قبل الأم ، وقالوا : ليس بعجب أن نضع منه سرقة
 إذ سبقه إلى ذلك أخوه الشقيق وفطن يوسف إلى طعنهم الحق ، فسامه ، ولكنه كتم ذلك ، وأضرر في نفسه جوابا
 لو صارهم به لكان هذا الجواب : أنتم أسوأ منزلة وأخط قدرا ، والله أعلم وأصدق عليا بكلامكم الذي تصفون
 به أخاه بوصمة السرقة .

٧٨ - ولم يكن بد من محاولة لتخليص أخيهام أو اقتدائه ، رجاء أن تصدق مواثيقهم ليغفوب ، فالتجسوا إلى
 ترفيق قلب يوسف بمجديت الآية في شيخوختها وقالوا له : يا أبا العزير ، ان لأخينا أبا طاعنا في السن ، فإن رحمته
 قبلت واحدا منا ليلقي الجزاء بدل ابنه هذا الذي تعلق به قلبه ، وأسلمنا أن تقبل الرجاء ، فقد جسرنا عندناك
 الكربة ، وتأكد لنا انطباعك عن حب الإحسان وعمل المعروف .

٧٩ - وما كان ليوسف أن ينقض تدبيرا وقرعه الله إليه ، وبفلت من يده أخاه ، ولذلك لم يلته استعظامهم ،
 ورددهم ردا حاسما ، وقال لهم : اني ألبأ إلى الله منزها نفسي عن الظلم فاحتجز غير من عثرنا على مالنا معه ،
 إذ لو أخذنا سواء بعقوبته لكنا من المعتدين الذين يأخذون البريء بذنب السوء

٨٠ - فلما انقطع منهم الأمل ، ويسوا من قبول الرجاء ، اختلوا بأنفسهم يتشاورون في موقفهم من أبيهم ،
 فلما انتهى الرأي إلى كيدهم الدبر لشئتهم قال لهم : ما كان ينبغي أن ننسوا عهدكم الموقع بيمين الله لأبيكم أن
 تحافظوا على أخبكم حتى تردوه إليه ، ولا أنكم عاقدتوه من قبل على صيانة يوسف ثم ضيعتموه ، ولذلك سابق
 بصر لا انفارقها ، إلا إذا فهم أبى الوضع على حقيقته ، وصح لى بالرجوع إليه ، أو قضى الله لى بالرجوع الكرم ،
 ويسره لى بسبب من الأسباب ، وهو أعدل الحاكمين .



عَيْنَا وَمَا كُنَّا لِنُغَيِّبَ حَفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَعَى الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي يَوْمَ جَمْعِهِ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسُقُ عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوًا نَدْرُكَ يَوْسُفَ حَتَّى نَكُونَ حَرَضًا أَوْ نَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحَرِّ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

٨١ - عودوا أنتم إلى أبيكم وقصوا له القصة وقولوا له ان يد ابنك امتدت إلى صواع الملك فسرقتها وقد ضبطت في حقيبتة وعوقب على ذلك باسئرافه وما أخبرناك إلا بما عايناه ، وما كنا مطلعين على المستور من قضاء الله حين طلبناه منك وأعطيناك على حفظه ورده إليك اليهود والمواتيق وهو أعدل الحاكمين .

٨٢ - وإن كنت في شك عما بلغناك ، فأرسل من يأتيك بشهادة أهل مصر واستشهد أنت بنفسك رفاقنا الذين عدنا معهم في القافلة ، لتظهر لك برامتنا ، ونؤكد لك أننا صادقون فيما نقول .

٨٣ - فرجع بقية الأبناء إلى يعقوب ، وخبروه كما وصاهم . أخوهم الكبير فهبج الخمر أحزانه ، وضاعف منها فقد ابنه الثاني ، ولم تطب نفسه ببرامتهم من التسبب في ضياعه وهو المفجوع بما صنعوا من قبل في يوسف ، وصرح باتهامهم قائلا لهم : ما سلمت نيتكم من المحافظة على ابني ، ولكن زيت لكم نفوسكم أن تتخلصوا منه مثلاً تخلصتم من أخيه ، فلو لا فتواكم وحكمكم أن يؤخذ السارق رقيقاً عقوبة له على السرقة ، ما أخذ العزيز ابني ولا تخلف أخوكم الكبير بمصر ، ولا حيلة لي إلا أن أنجمل في مصيبي بالعزاء الحميد ، راجياً أن يرد الله على جميع أبنائي ، فهو صاحب العلم المحيط بحال وحالهم ، وله الحكمة البالغة ، فيها يصنع لي ويدبر .

٨٤ - وضاق بما قالوا فأعرض عنهم خالياً بنفسه ، مشغولاً بأساه وأسفه على فقد يوسف ، فذهب سواد عينيه من شدة الحزن ، وقد كظم غيظه وأله أشد الكظم^(١) .

٨٥ - وتوالت الأيام ويعقوب مسترسل في لوعته ، وخشى أبنائه سوء العاقبة ، فاتجهوا إلى مراجعته وحمله على التخفيف من شدة حزنه ، وقالوا له ، وهم بين الاستساق عليه والغيظ من دوام ذكره ليوسف : لئن لم تقف عن نفسك لتزيدن ذكرى يوسف الآلامك وأوجاعك ، إلى أن يذيقك الغم فتشرف على الموت ، أو تصبح في عداد الميتين !

(١) ينشأ عن الحزن العميق حال نفسية يزداد بسببها الضغط على العينين فتصاب العين ببعض الأمراض وضف البصر شيئاً نسبياً قد يزول نهائياً وتبدو العين بيضاء .

تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِيْ اٰذْهَبُوا فَتَحَسُّوْا مِنْ يُّوسُفَ وَآخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُّوحِ اللّٰهِ اِنَّهٗ لَا يَأْيِسُ مِنْ رُّوحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُوْنَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَاهَلْنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَجَةٍ قَاوِفٍ لَّنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا اِنَّ اللّٰهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُّوسُفَ وَآخِيهِ اِذْ اَنْتُمْ جَاهِلُوْنَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا اَوْفَكَ لَا نَنْتَ يُّوسُفُ قَالَ اَنَا يُّوسُفُ وَهٰذَا اَخِي قَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنَا اِنَّهٗمِنْ

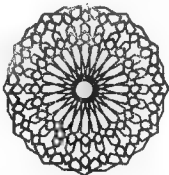
○ - - - ○

٨٦ - ولم يؤثر قولهم فيه ، فردهم قائلا : ما شكوت لكم ، ولا طلبت منكم تخفيف لوعق ! وليس لي الا الله اضرع اليه واشكر له هومي صعبا وسهلها وما أستطيع كئانه منها وما لا أستطيع ، لأنى أدرك من حسن صنعه وسعة رحمته ما لا تدركون !

٨٧ - والثقة في الله تحيى الأمل ، ولذلك لم ينهب الغم برجاه يقصوب في عودة ولديه إليه ، وألقى في روعه أنها من الأحياء ، وأن موعد التقائه بها قد حان ، فأمر بنيه أن يتقروا عنها ، قائلا لهم : يا بني أرجعوا إلى مصر فانضموا إلى أخيكم الكبير ، واجتروا عن يوسف وأخيه وتطلبوا أخبارها في رفق لا يشمر به الناس ، ولا تنفطوا من أن يرهننا الله بردها ، لأنه لا يقنط من رحمة الله غير الجاحدين .

٨٨ - واستجاب اخوة يوسف لطلب أبيهم ، فذهبوا إلى مصر ، وتحايلا لمقابلة حاكمها الذى ظهر لهم من بعد أنه يوسف ! فلما دخلوا عليه ، قالوا : يا أيها العزيز ، مسنا نحن وعشيرتنا الجوع وما يتبعه من ضر الأجسام والنفوس ، وجئنا إليك بأموال قليلة هي بضاعتنا وهي ترد لفلانها وردائتها ، وليست كفاء ما ترجوه منك ، لأننا نرجو منك وفاء الكيل فأوفه لنا ، وأجعل الزائد عن حقنا صدقة علينا ، ان الله تعالى يثيب المتصدقين بأحسن الثواب .

٨٩ - أخفت يوسف الشفقة الأخوية الرحيمة التي تغفو عن الإساءة ، وابتدا يكشف أمره لهم قائلا في عتب ، هل أدركتم قبح ما فعلتموه بيوسف من إلقاءه في الحب ، وبأخيه من أذى ، متدفعين في ذلك بجهل انساكم الرحمة والأخوة ؟ !



يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ اللَّهُ عَيْنًا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَقْرِبْ عَلَيَّكَ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَ الْعَبْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ أَن تَفْقِدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ

⑤

٩٠ - نبتهم تلك المفاجأة السارة إلى ادراك أن هذا يوسف، فنفحصوه، ثم قالوا مؤكدين: انك لأنت يوسف حقاً وصداقاً! فقال يوسف الكريم مصداقاً لهم: أنا يوسف، وهذا أخى، قد من الله علينا بالسلامة من المهالك، وبالكرامة والسلطان، وكان ذلك جزاء من الله للإخلاص واحسانى، وان الله لا يضيع أجر من يحسن ويستمر على الإحسان.

٩١ - فقالوا: صدقت فيما قلت، ونؤكد لك بالقسم أن الله فضلك بالتقوى والصبر وحسن السيرة واثابك بالملك وعلو المكانة، وانما كنا آفئين فيما فعلنا بك وبأخيك، فأذننا الله لك، وجزانا جزاء الآفئين.

٩٢ - فرد عليهم النبي الكريم قائلاً: لا لوم عليكم اليوم، ولا تأنيب، ولكم عندى الصفع الجميل لحسرة النسب وحق الأخوة، وأدعو الله لكم بالعفو والغفران، وهو صاحب الرحمة العظمى.

٩٣ - ثم سلم يوسف عن أبيه، فلما أخبروه عن سوء حاله وسوء بصره من كثرة غمه وبكائه: أعطاهم لبعده، وقال لهم: عودوا به إلى أبى فاطرحوه على وجهه، فسيؤكد له ذلك سلامتى، وتلا قلبه الفرحه، ويعمله الله سبباً لعوده بصره، ويحيئذ تعالوا إلى به، وبأهلكم أجمعين.

٩٤ - وارتحلوا بالقميص، وكان قلب يعقوب مستقرتاً في ترقب ما تأتى به رحلة بنيه، وكان الله معه في هذا الترقب فوصل روحه بأرواحهم، فعين تجاوزت قافلتهم أرض مصر في طريقها إليه، شرح الله صدره بالأمل، وأحاطه بغير من الطمأنينة إلى اقتراب البشرى بسلامة يوسف، وأخبر أهله بذلك اذ يقول: انى أشعر برائحة يوسف المحبوبة تغمرنى، ولولا خشية أن تهملنى فى قولى لأثباتكم عن يوسف بأكثر من الشعور والوجدان!

٩٥ - فرد عليه أهله رداً خشناً، حالفين بالله إنه لا يزال ذاهبا عن صوابه، هالكا في خياله، فتهبأ له ما تهبأ من فرط محبته ليوسف، ولجبه بذكره، ورجائه للقياء.

فَارْتَدَّ بِصَبْرٍ ۖ قَالَ أَتَىٰ أَكْثَرَ النَّاسِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۖ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَبْنَابُنَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا
 كُنَّا خَاطِئِينَ ۖ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۖ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَدَ
 إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَايِنِينَ ۖ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَغَرَّقُوا لَهُ مِجْدَادًا ۖ وَقَالَ يُتَابَتِ
 هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِن قَبْلُ ۖ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ
 الْبَدُونِ ۖ يَعِدُ أَنَّ تَرَعُ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۖ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَسَاءُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۖ ﴿١٠٠﴾

٩٦ - واستمر على أمه منتظرا رحمة الله ، واستمر أهله على سوء الظن به ، إلى أن أتاه من يحمل القميص ويشره بسلامة يوسف ، فعين طرح القميص على وجه يعقوب ففتحه رائحة يوسف وغمرت قلبه الفرحه ، فعاد إليه بصره ، ولما حدثه الرسول بحال يوسف ، وأنه يطلب رحلته إليه بأهله اتجه إلى من حوله يذكرهم بنبوته ، وبصانهم على تكذيبه ، ويوجه أفعالهم إلى ذكر ما أكده لهم أنفا من أنه يدرك من رحمة الله وفضله ما لا يدركون .

٩٧ - فأقبلوا عليه معتذرين عما كان منهم ، راجين أن يصفح عنهم ، وأن يطلب من الله التجاوز عن أفعالهم ، لانهم كما أكدوا في اعتذارهم كانوا آثمين .

٩٨ - فقال يعقوب : سأداوم طلب المغفر من الله عن سيئاتكم ، وأنه وحده صاحب المغفرة الثابتة والرحمة الدائمة .

٩٩ - رحل يعقوب إلى مصر ، وسار بأهله حتى بلغها ، فعين دخلوا على يوسف ، وكان استقبلهم في مدخل مصر ، عجل به الحنان والشوق إلى أبيه وأمه ففرجهما إليه ، وطلب منها ومن أهله أن يقيموا في مصر آمنين سالمين بإذن الله .

١٠٠ - وسار الركب داخل مصر حتى بلغ دار يوسف ، فدخلوها ، وصدر يوسف أبويه ، فأجلسهما على سرير ، وغمر يعقوب وأهله شعور بجليل ما هبأ الله لهم على يد يوسف ، اذ جمع به شمل الأسرة بعد الفترات وتقلها إلى مكان عظيم من العزة والتكريم ، فحيوه تحية مألوفة تعارف الناس عليها في التقديم للرؤساء والحاكمين ، وأظهروا الخضوع لحكمه ، فأتار ذلك في نفس يوسف ذكرى حلمه وهو صغير ، فقال لأبيه : هذا تفسير ما قصصت عليك من قبل من رؤيا ، حين رأيت في المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين لي ، قد حققته ربى ، وقد أكرمته وأحسن الى ، فأظهر برامقي ، وخلصني من السجن ، وأنى بكم من البداية لثقتي ، من بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين أخوتي ، وأغرهم بى ، وما كان لهذا كله أن يتم بغير صنع الله ، فهو رفيق التدبير والتفسير لتنفيذ ما يريد ، وهو المحيط علما بكل شيء ، البائع حكمه في كل تصرف وقضاء .

* رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا
أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ
بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ غَلَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾

١٠١ - واتجه يوسف إلى الله، يشكره بإحصاء نعمه عليه، ويرجو المزيد من فضله، قائلا: يا رب ما أكرمك علي! وما أعظمها! لقد منحتني من الملك ما أحمك عليه، ووهبتني من العلم بتفسير الأحلام ما وهبت يا خالق السموات والأرض وبارئها، أنت مالك أمرى ومتولى نعمتي في عيالي وبعد عاقي، اقضيني اليك على ما ارتضيت لأبيائك من دين الإسلام، وأدخلني في زمرة من هديتهم إلى الصلاح من أبائي وعبادك الصالحين المخلصين.

١٠٢ - ذلك الذي قصصنا عليك أنها النبي من أخبار الماضي السحيق، لم يأتك إلا بإيحاء منا، وما كنت حاضرا أفوة يوسف وهم يدهرون له من المكائد وما علمت بكيدهم إلا عن طريقنا!

١٠٣ - وفي أغلب الطباع مرض يجعلها غير قابلة لتصدق ما أوحى اليك منها تطلق قلبك بأن يؤمنوا أو أجهدت نفسك أن يكونوا من المهتدين.

١٠٤ - وما نقصد بما تحدثهم به من أحاديث الهدى نيل جزاء أو منفعة، فإن لم يبتدوا فلا تحزن عليهم، وسيهدى الله قوما غيرهم، لما أنزلناه اليهم خاصة، وما هو إلا موعظة وعبرة لكل من خلق الله في السموات والأرض.

١٠٥ - وما أؤكد الدلائل على وجود الخالق ووحدانيته وكماله، التالفة في السموات والأرض، يشاهدها قومك ويتولون عنها مكابرين غير معتبرين!

١٠٦ - وفيهم مصدقون بالله معترفون بربوبيته وأنه خالق كل شيء، ولكن إيمان أكثرهم لا يقوم على أساس سليم من التوحيد! فلا يعترفون بوحدانية الله اعترافا خالصا، ولكنه مقترن في نفوسهم بشوائب تسلطهم في مسلك المشركين.

١٠٧ - اتقنوا عند الله عهدا بعدم تعذيبهم، فضمنوا الأمن والسلامة من أن يصيبهم الله بعباد غامر، ويشأهم بنقمة، كما فعل بأسلافهم من قبل؟ أو أن تفاجئهم القيامة وتغتصبهم وهم مقيون على الشرك والكفر ثم يكون مصيرهم إلى النار؟!



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

(سورة الرعد) سورة مدنية وسيت (الرعد) لما اشتعلت عليه من تدمير الرعد له تعالى . وعدد آياتها ثلاث وأربعون آية . وقد ابتدأت ببيان منزلة القرآن الكريم ، وأنه يوحى من الله ، ثم بينت سلطان الله تعالى في الكون وتبتهت إلى ما فيه من ابداع ومنافع ، ثم انتقلت من بيان قدرة الله تعالى في الإنشاء الى قدرته على الإعادة والبعث ، وعلم الله تعالى بكل شيء . وإلى بيان قدرته على العقاب في الدنيا ، وعليه يقاس العقاب في الآخرة . ثم وجهت الانظار إلى ما في الكون من عجائب تهر ، وبعد ذلك بين الله تعالى أحوال الناس في تلقيهم للهدى القرآن ، ثم ذكر أوصاف المؤمنين في علاقتهم بالإنسانية ، وأخلاق الكافرين وتمتتهم في طلب معجزات غير القرآن مع عظم منزلته ، وعظم استهزائهم برسولهم ، وبين للرسول أنه قد استهزى برسول من قبله ! وأن الله تعالى قائم على الأنبياء والنفوس ، وأنه مجاز كلا بما يستحق ، وأن القرآن هو المعجزة الكبرى الباقية إلى يوم القيامة ، وأن الله تعالى هو الذي يؤيد رسله بما يراه من معجزات ، وإذا كان المشركون ينكرون رسالة النبي فالله يشهد بصحتها وحسبه ذلك وكفى .

١ - (المر) هذه حروف صوتية تبدأ بها بعض سور القرآن ، وهي تشير إلى أنه معجز مع أنه مكون من الحروف التي تتكون منها كلمات العرب ! وهذه الحروف الصوتية كانت تجذب العرب لساح القرآن ! ذلك أن المشركين تواصوا فيما بينهم ألا يسموا هذا القرآن ، فكان المؤمنون إذا ابتدأوا بهذه الحروف الصوتية استرعى ذلك أسماع المشركين فيسمعون .

أن تلك الآيات العظيمة هي هذا القرآن ، الكتاب العظيم الشأن الذي نزل عليك أيها النبي بالحق والصدق من الله الذي خلقك واصطفاك ، ولكن أكثر المشركين الذين كفروا بما جاء به من الحق ليس من شأنهم أن يذعنوا للحق ، بل هم يماندون فيه .



أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقَرٍّ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلُمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ظَنَرُوا أَنَّهُمْ تَوَلَّوْا أَتْرُكُ عَلَيْهِ
آيَةً مِنْ رَبِّهِ إِنْكَ أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ
وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِحَقَابٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ

٥ - وإن أمر المشركين مع هذه الدلائل لمعجب ، فإن كنت يا محمد تعجب ، فالعجب هو قولهم : أبعد الموت
وبعد أن نصير ترابا نكون أحياء من جديد ؟ وهذا شأن الذين يكفرون بخالقهم ، عقولهم قيدت بالضللال ، وأهلهم
النار التي يخلدون فيها ، فهم جاحزون ، مع أن من يقدر على الإنشاء يقدر على الإعادة .

٦ - ويذهب بهم فرط ضلالهم أن يطلبوا انزال العذاب عاجلا بدل أن يطلبوا الهداية التي تنقذهم ويتوهون أن
الله لا ينزل بهم العقوبة في الدنيا أن أراد ، وقد مضت عقوبات أمثالهم على ذلك ، فيمن أهلكهم الله قبلهم ، وشأن
الله أن ينفر الظلم لمن يتوب ويعود إلى الحق وينزل العقاب الشديد بمن يستمر على ضلاله .

٧ - ويقول هؤلاء الجاحدون غير ممتدين بالمعجزة الكبرى ، وهي القرآن : هلا أنزل عليه ربه علامة على نبوته
من الحس كتحريرك الجبال ، فيبين الله لنبية الحق في القضية ؟ ويقول له سبحانه : إنما أنت أيها النبي منذر لهم بسوءه
الماقية ، ان استمروا على ضلالهم ، ولكل قوم رسول يهديهم إلى الحق ، ومعجزة تبين رسالته ، وليس لهم أن
يشتاروا ، إنما عليهم أن يعبثوا التحدى وأن يأتوا بمثله . . .

٨ - الذي أعطى الرسول تلك المعجزة الكبرى هو الذي يعلم كل شيء ، ويعلم النفوس الإنسانية من
وجودها نطفة في الرحم إلى موتها ، فيعلم ما تحمل كل أنثى من أجنة وحالها من ذكورة أو من أنوثة ، وما تنقصه
الأرحام وما تزداد به وقتا بعد آخر ، حتى تنتهي مدة الحمل ويتكامل نمو الجنين ، ويظهر في الوجود . كل شيء
عنده سبحانه بقدر معلوم ، وله زمان معلوم ^(١) .

٩ - هو الذي يعلم ما يفيق عن حسنا ، ويعلم ما تشاهده علما أعظم مما تشاهد ونرى ، وهو سبحانه العظيم
الشأن الذي يعلم كل ما في الوجود .

(١) الله يعلم ما تحمل كل أنثى في رحمها من أجنة ويعلم حالة الرحم وهو في حالة صفرة يتأهب فيه النطفة ويعلم حاله وهو يزداد
يوما بعد يوم حتى يصبح جنينا كاملا الحي صلحا للزول وكل شيء عند الله يتبدل وحسب صغيرا أو كبيرا .

جَهَنَّمَ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِالْقِلِّ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْجِرُ الرُّعْدَ بِجُنَدهِ وَأَلْمَلِكُهُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الرِّسَالَاتِ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي آلِهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَلِيسٌ دُخَانٌ إِلَى الْمَاءِ لَبِيلٌ فَاهٌ وَمَا هُوَ بِنَالِفٍ ﴿١٤﴾ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٥﴾ وَلَهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا



١٠ - يعلم كل أحوالكم في حياتكم ، وكل أفعالكم وأعمالكم ، فيعلم ما تسرون ، وما تعلنون من أفعال وأقوال ، ويعلم استغفادكم بالليل ويزوركُم بالنهار ، والكل في علمه سواء .

١١ - وإن الله سبحانه هو الذي يحفظكم ، فكل واحد من الناس له ملائكة تحفظه بأمر الله وتتأوب على حفظه من أمامه ومن خلفه ، وإن الله سبحانه لا يغير حال قوم من شدة إلى رخاء ومن قوة إلى ضعف حتى يغيروا ما بأنفسهم بما يتناسب مع الحال التي يصيرون إليها ، وإذا أراد الله أن ينزل بقوم ما يسوءهم فليس لهم ناصر يجمع من أمره ، ولا من يتولى أمورهم فيدفع عنهم ما ينزل بهم .

١٢ - وأن قدرة الله تعالى في الكون بارزة آثارها ظاهرة ، فهو الذي يرسم البرق فتزهب منظره أو تغافون أن ينزل عليكم المطر من غير حاجة إليه فيفسد الزرع ، أو تطعمون من وراء البرق في مطر غزير محتاجون إليه ليصلح الزرع . وهو الذي يكون السحب الملوثة بالأمطار .

١٣ - وأن الرعد خاضع لله سبحانه وتعالى خضوعاً مطلقاً ، حتى إن صوته الذي تسمعون كأنه تنسجج له سبحانه بالحمد على تكوينه دلالة على خضوعه ، وكذلك الأرواح الظاهرة التي لا ترونها تسبح حامدة له ، وهو الذي ينزل الصواعق المبرقة فيصيب بها من يريد أن تنزل عليه ، ومع هذه الدلائل الظاهرة الدالة على قدرته سبحانه يجادلون في شأن الله سبحانه ، وهو شديد القوة والتدبير في رد كيد الأعداء .

١٤ - وإن الذين يدعونهم في خوفهم وأنهم من الأصنام دين أن يدعو الله وحده ، لا يبيحون لهم نداء ولا دعاء ، وحالهم معهم كحال من يسلط كفه ويضعها ليعمل بهذه اليد الميسورة الماء ليبلغه فيفتوى ، وليس من شأن الكف الميسورة أن توصل الماء إلى الفم ، وإذا كانت تلك حالهم ، فما دعاؤهم الأصنام إلا ضياع وخسارة .

وَلَطَّلَهُمُ الْغُدُوَّ وَالْآصِلَ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَتَأْخُذُكُمْ مِنْ دُونِهِ أُولِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ مَنْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ خَلَقُوا تَحْفَافَهُ قُلْ شَيْءٌ أَنْشَأَ عَلَيْهِمُ الْقُلُوبَ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَسَلَتْ أَوْدِيَةٌ فَحَتَمَلِ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيقَةٍ أَوْ مَنَاجٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴿١٧﴾ فَأَمَّا أَلْزَيْدُ فَيَلْعَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّنُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٨﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ

١٥ - والله سبحانه يخضع لإرادته وعظمته كل من في السموات والأرض من أنوار وأناس وجن وملائكة طائعين، أو كافرين لما ينزل بهم، حتى ظلامهم من طول وقصر حسب أوقات النهار في الظهيرة وفي الأصيل خاضعة لأمر الله ونهيه.

١٦ - أمر الله نبيه أن يجادل المشركين هاديا مبينا، فقال له > قل لهم أيها النبي: من الذي خلق السموات والأرض، وهو الحافظ لها، والمسير لما فيها؟ ثم بين لهم الجواب الصحيح الذي لا يجارون فيه، فقل لهم: هو الله المعبود بحق دين سواء، فكان حقا عليكم أن تعبدوه وحده. ثم قل لهم: أفقرن بعد وضوح البراهين المثبتة لوحداية الله في كل شيء، وتختصن مع ذلك أوثانا تعتبرونها آلهة من غير أن تقرروا بوحدانيته! وهذه الأوثان لا تلك لذاتها نفعا ولا ضرا! فكيف تسودونها بالمخالق المدير، انكم تسون بين الخالق لكل شيء، ومن لا يملك شيئا! فكنتم كمن يسوى بين المتضادين! فهل يستوى من يصبر ومن لا يصبر؟ وهل تستوى الظلمة المتكافئة الحالكة والنور المبين؟ أيسوغون تلك النسوية؟ أم ذهب بهم فرط ضلالهم إلى زعم أن أوثانهم شركاء له في الخلق والتدبير، فتشابه عليهم أمر الخالق، كما ضلوا العبادة؟ قل لهم أيها النبي، الله وحده هو الخالق لكل ما في الوجود، وهو المنفرد بالخلق والعبادة، الغالب على كل شيء.

١٧ - وأن نعمه تعالى مرتبة لكم، وأصنامكم لا تأثير لها في هذه النعم، فهو الذي أنزل عليكم الأمطار من السحاب، فتسيل بها الأنهار والوديان كل بالمقدار الذي قدره الله تعالى لإنبات الزرع، وإثمار الشجر، والأنهار في جرياتها تحمل مالا نفع فيه ويعلو على سطوحها، فيكون فيها ما فيه نفع فيقي، ومالا نفع فيه يذهب، ومثل ذلك الحق والباطل، فالأول يبق والثاني يذهب، ومن المصادن التي يسهرونها بالنار ما يتخذون منها حلية كالذهب والفضة، ومنافع ينتفعون بها كالحديد والنحاس، ومنها مالا نفع فيه يعلو السطح، وأن مالا نفع فيه يرمى وينبذ، وما فيه النفع يبق، كذلك الأمر في العقائد: ما هو ضلال يذهب، وما هو صدق يبق. ومثل هذا بين الله سبحانه الحقائق، ومثل بعضها ببعض لتكون كلها واضحة بيّنة ^(١).

(١) بين أن هذا شبيه بالحق ما الله الصالح والمؤمن الصالح يتنفع بها ويؤمن شبيه بالباطل ما زبد الله وزيد المصادن المذابة لا نفع منها فقال: أنزل من السحاب مطرا فسالت مياه أودية بقدرها في الصفر والكبر فعمل الماء السائل زيدا عاليا على وجه الماء يسمى غداً ومن بعض إيمان التي يوقد الناس عليها في النار كالذهب والفضة والنحاس والبرصا طالين عمل حلية أو متاع يتنفع به كالأواني وغيرها زبد مثل زبد الماء في كونه عاليا فوق سوائل المصادن يسمى غيبا كهذا المذكور من الماء وزيد والمؤمن وزيد بين الله =

مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمُ جَهَنَّمُ ۖ وَفِيهَا لَهُمْ آسَافُ ۖ
 * أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ مَن هُوَ أَعْمَىٰ ۖ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابُ ۝ ١٨ ۚ الَّذِينَ يَرْفُقُونَ
 بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ۝ ١٩ ۚ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۚ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخْلِفُونَ صُوءَ
 الْحِسَابِ ۝ ٢٠ ۚ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَرَفَعْنَاهُمْ مَرَاتِبًا وَعَلَيْهِمْ يَدْعُونَ
 بِالْحَسَنَةِ الَّتِي أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَقَبَى النَّارِ ۝ ٢١ ۚ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنَّا أُولَٰئِكَ ۖ وَأَزْوَاجُهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ

١٨ - وأن الناس في تلقيهم للهدى قسبان : قسم أجاب دعوة الله الخالق المدير ، فلهم العاقبة الحسنى في الدنيا والآخرة ، وقسم لم يجيب دعوة الذي أنشأه ، وهؤلاء لهم العاقبة السيئة في الآخرة ، ولو ثبت لهم ملك كل ما في الأرض جميعا ومثله معه ، ما استطاعوا أن يدفعوا عن أنفسهم العاقبة السيئة ! ولكن أن يكون لهم ذلك الملك ؟ ولذلك كان لهم حساب يسومهم ويتبهن به إلى جهنم وبئس القرار والمستقر .

١٩ - ان المهتدين والصالين لا يستورن ، فهل يكون الذي يعلم أن ما أنزل عليك من الله الذي رباك وكونك واصطفاك لأداء رسالته ، هو الحق الذي لا شك فيه . . هل يكون كمن ضل عن الحق ، حتى صار كالأعمى الذي لا يبصر ؟ أنه لا يدرك الحق ويتذكر عظمة الله إلا أصحاب العقول التي تفكر .

٢٠ - أولئك الذين يدركون الحق ، هم الذين يوفون بعهد الله تعالى عليهم بمقتضى الفطرة والتكوين بمقتضى توثيق عقودهم وعهودهم ، ولا يقطعون المواثيق التي عقدوها باسم الله بينهم وبين العباد ، ولا بالميثاق الأكبر الذي عقده بالفطرة والتكوين ، وجعلهم يدركون الحق . ويؤمنون ، إلا أن يضلوا في يقينهم .

٢١ - وأولئك المؤمنين من دأبهم العبادة والطاعة . انهم يعقدون المودة مع الناس ويخصون ذوى أرحامهم . ويؤيدون ولائهم في الحق ، وهم يعرفون حق الله ، فيخشونه ، ويخافون الحساب الذى يسومهم يوم القيامة فينزلون الذنوب ما استطاعوا .

٢٢ - وهم يصبرون على الأذى يطلبون رضا الله بتجمله في سبيل اعلاء الحق ، ويدعون الصلاة على وجهها تطهيرا لأزواجهم وتذكرا لربهم ، وينفقون من المال الذى أعطاهم الله في السر والعلن من غير رياء ، ويدفعون السيئات بالחסنات يقومون بها ، وهم بهذه الصفات لهم العاقبة الحسنة . بالإقامة يوم القيامة بأحسن دار وهى الجنة .

= للناس الحق والباطل فالحق كاللؤلؤ الصالح واللعن الصالح والباطل كالزبد الفاسق والذي لا ينتفع به . فلما أريد التناهي عن السيل والمدائن لينحس مريبا به وأما ما ينتفع الناس من الله والمدائن فيبقى في الأرض للتعن كتهنئ للكلين في الجلال والوضوح بين الله الأمثال للناس فلما غيصرهم بالخير والشر .

ولما بين الله سبحانه وتعالى شأن كل من الحق والباطل شرع بين حال أهل كل منها فقال للذين أنجبا ربه بالطاعة الثوبة في الآخرة وفى الجنة ونعيمها والذين لم يغيروا لسلوكهم أسرار الدنيا وملكوها معها مثلها ليلوا ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله . ولكنه لا يقبل منهم إذا غرض وملك .

وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الَّذِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٤﴾ اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتْنَعٌ ﴿٢٥﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

٢٣ - تلك العاقبة الطيبة إقامة مستمرة في الجنات والنعم ، يكونون فيها هم وأبائهم الذين صلحت عقابهم وأعمالهم ، ومعهم أزواجهم ونرياتهم والأرواح الطاهرة الطيبة تحييم ونجى ، إليهم من كل ناحية .

٢٤ - وتقول لهم تلك الأرواح : الأمن الدائم لكم بسبب صبركم على الأذى ، وصبركم في مكافحة أهوائكم ، وما أحسن هذه العاقبة التي صرتم إليها ، وهي الإقامة في دار النعم .

٢٥ - وإن أوصاف المؤمنين الطيبة تقابلها أوصاف المشركين الذميمة .. فالشركون ينقضون عهد الله الذي أخذهم عليهم بمقتضى الفطرة ووثقه ، فيخالقون فطرتهم وعقولهم بعبدتهم حجارة لا تنفع ولا تضر وينتكون في عهدهم مع العباد ثم يقطعون مودتهم مع الناس وصلتهم بالله فلا يطيعون أوامره ولا يفرطونه بالعبدية ويفسدون في الأرض ، بالاعتداء فيها ، وعدم اصلاحها والانتفاع بها ، والله سبحانه لا يحب الصبث والإفساد .

٢٦ - وإذا كان أولئك المشركون يرون أنهم قد أتوا مالا وفيرا ، والمؤمنون فقراء ضعفاء ، فليعلموا أن الله تعالى يعطي الرزق الوفير لمن يشاء إذا أخذ في الأسباب ، ويضيقه على من يشاء ، فهو يعطيه للمؤمن وغير المؤمن فلا تظنوا أن كثرة المال في أيديهم دليل على أنهم على الحق ، ولكنهم يفرحون بما أتوا من مال ، مع أن الله تعالى يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ، وما الحياة الدنيا الا متاع ضئيلة فانية .

٢٧ - وإن أولئك المشركين تنهب بهم اللجاجة فيقولون : هلا أنزل على النبي من الله معجزة أخرى ؟ فقل أيها النبي أن السبب في عدم إيمانكم ليس نقص المعجزة ، إنما هو الضلال والله سبحانه وتعالى يضل من يريد ضلاله مادام يسير في طريق الضلال ويهدي إلى الحق من يرجع إلى الله دائما .

٢٨ - وإن هؤلاء الذين يرجعون إلى الله ، ويقبلون على الحق ، هم الذين آمنوا وهم الذين تسكن قلوبهم عند ذكر الله تعالى بالقرآن وغيره ، وأن القلوب لا تسكن وتطمئن الا بتذكر عظمة الله وقدرته وطلب رضاه بطاعته .

أَصْلَحْتَ طَوْفًا لَهُمْ وَحَسَنُ مَقَابٍ ﴿٣٥﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِثُوا عَلَىٰ
الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٦﴾ وَلَوْ أَنَّ
قَوْمَنَا شَرُّتْ بِدِيَارِهِمْ أَوْ حَبَالٍ أَوْ قَطَعْتَ بِهِ الْأَرْضَ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتِ بَلَّ اللَّهُ الْأُمُورَ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْيِسَ الَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ لَوْ يَسَاءَ اللَّهُ هُدًى لِّلنَّاسِ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَبَّوْا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ
حَقٌّ بِإِنِّي وَاعِدٌ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ اسْتَبْرَأْتُ رُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٨﴾ أَفَنَنْتَ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمِعْتُ
أُمَّةً يَتَّبِعُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَخْشَوْنَ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ

٢٩- وإن الذين أذعنوا للحق، وقاموا بالأعمال الصالحة، لهم العاقبة الطيبة والمآل الحسن.

٣٠- كما أرسلنا إلى الماضين من الأمم رسلاً بينوا لهم الحق، ففضل من ضل واهتدى من اهتدى، وأتيناهم بمعجزات تدل على رسالتهم، أرسلناك في أمة العرب وغيرهم، وقد مضت من قبلهم أمة، وكانت معجزاتك القرآن، لتقرأ عليهم قراءة توضح معانيه وجلاله، وهم جاحلون برحمة الله عليهم بإنزال القرآن، فقل لهم أيها النبي: الله هو الذي خلقني وحميتني، لا إله يعبد بحق غيره، أعتمد عليه وحده، وإليه مرجعي ورجوعي.

٣١- انهم يطلبون معجزة غير القرآن مع عظم تأثيره لو طلبوا الحق وأذعنوا له، فلو ثبت أن كتابا يقرأ فتتحرك به الجبال من أماكنها، أو تنصدع به الأرض، أو تغضب به الموق، لكان ذلك هو القرآن، ولكنهم معاندون، والله وحده الأمر كله في المعجزات وجزاء المجاهدين، وله في ذلك القدرة الكاملة، وإذا كانوا في هذه الحال من العناد، أفلا يأس الذين أذعنوا للحق من إيمان هؤلاء المجاهدين، وأن جودهم بإرادة الله، ولو أراد أن يهتدى الناس جميعاً لاهتدوا! وأن قدرة الله ظاهرة بين أيديهم، فلا يزالون تصيبهم بسبب أعمالهم القوارع الشديدة التي تهلكهم، أو تنزل قريبا منهم، حتى يكون الموعد الذي وعد الله به، والله تعالى لا يخلف موعدة.

٣٢- وإذا كان أولئك المجاهدون قد استهزأوا بما تدعو إليه وبالقرآن فقد سخر بالرسول الذين أرسلوا قبلك أيها النبي، فلا تحزن لأن أمهال الذين جحدوا ثم أخفهم فيكون العقاب الشديد الذي لا يقدر وصفه ولا تعرف حاله.

وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾ * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عَفْوَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعَفْوَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنَّا لَهُمْ الْكِتَابُ يَقْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ اللَّهُ وَلَا أَشْرِكُ بِهِ إِلَهٌ وَإِلَيْهِ ادْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدُ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْهُ حُكْمًا حَرِيصًا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا

٣٣- ان المشركين سفهوا في جحودهم ، فاجعلوا لله شركاء في العبادة ، فهل من هو حافظ مراقب لكل نفس ، يحص عليها ما تكسب من خير أو شر ، تماثله هذه الأوثان ؟ قل لهم أيها النبي ! صفوهم بأوصافهم الحقيقية ! أهم أحياء أهم يدفعون الضر عن أنفسهم ؟ فإن كانت حجارة لا تنفع ولا تضر ، فهل تخدعون أنفسكم بأن يعبروا الله بما توهمون أنه لا يطلع في هذه الأرض ، أم تضعونهم في موضع العبادة بألفاظ تتلوها بها ألستكم ، بل الحقيقة أنه زين لهم تدبيرهم وتوحيهم الباطل ، وبسبب ذلك صرفوا عن طريق الحق وتاهوا ! ومن يكن ضلالهم مثلهم ، فلن يهديه أحد ، لأنه صرف نفسه عن سبيل الهداية .

٣٤- لهم العذاب في الدنيا بالهزيمة والأسر والقتل ، ان سار المؤمنون في سبيل الحق ، ولعذاب الآخرة النازل بهم لا محالة أشد وأدوم ، وما لهم أحد يقمهم من عذاب الله القاهر فوق كل شيء .

٣٥- وإذا كان هؤلاء هذا العذاب ، فللمؤمنين الجنة ونعيمها ، وقد وعدوا بها . وحال هذه الجنة التي وعد بها أولئك الذين استقاموا على الحق ، وجعلوا بينهم وبين الباطل وقاية من الإيمان أنها تجري من تحت أشجارها المياه العذبة فمرات دالة لا تنقطع ، وظلها دائم . وهذه عاقبة الذين اتقوا الشر أما المجاهدون فعاقبتهم دخول النار .

٣٦- والذين أعطوا علم الكذب المغزلة من شأنهم أن يفرحوا بالكتاب الذي أنزل عليك : لأنه امتداد للرسالة الإلهية ، ومن يخفون الدين تخزيا ؛ ينكرون بعض ما أنزل إليك عداوة وعصية ، فقل أيها النبي : اني ما أمرت إلا بأن أعبد الله لا أشرك في عبادته شيئا وإلى عبادته وحده أدعو ، وإليه وحده مرجعي .

٣٧- ومثل الإنزال للكتب السماوية ، أنزلنا إليك القرآن حاكما للناس فيما بينهم ، وحاكما على الكتب السابقة بالصدق . وقد أنزلناه بلغة عربية ، وهو عربي ، ولا تسامير المشركين أو أهل الكتاب بعد الذي جباهم من الوحي والعلم ، ولئن ساءلهم فما لك ناصر ينصرك من الله ، أو يقيك منه . والمحطاب للنبي ، وهو بالأولى للمؤمنين ، والتحذير لهم حقيق ، وللهي لبيان أنه مع اصطفاؤه وعلمه عزله قابل للتحذير .

مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۖ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِهَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَحْمِلُهَا اللَّهُ مَا يُشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَهُدًى لِّلْكَتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ
لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ مَرِيعٌ الْحَسْبِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَفَهِمَ الْمَكْرُ جِمْا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۚ

جاء

٣٨- وإذا كان المشركون يهرون المعب من أن لك أزواجاً وذرية، وبطلين معجزة غير القرآن، فقد أرسلنا من قبلك رسلاً لهم أزواج وأولاد، فالرسول من البشر له أوصاف البشر، ولكنه خير كله، وليس لهن أن تأتي بمعجزة كما يجب أو يجب قومه! بل الذي يأتي بالمعجزة هو الله، وهو الذي يأذن له بها. لكل جيل من الأجيال أمر كنهه الله لهم يصلح به أمرهم، فلكل جيل معجزة التي تناسبه.

٣٩- يحو الله ما يشاء من شرائع ومعجزات، ويحل ما يشاء وينته وعنده أصل الشرائع الثابت الذي لا يتغير، وهو الوحدانية وأمهات الفضائل، وغير ذلك.

٤٠- ولئن أربناك بعض الذي نصلهم من ثواب أو عقاب، أو توفيناك قبل ذلك، لرأيت هول ما ينزل بالمشركون! ولرأيت نعم المؤمنين! وليس عليك هذا، إنما عليك أن تبلغ الرسالة والحساب علينا وحدنا.

٤١- وإن أمارات العذاب والهزيمة قاتمة! ألم ينظروا إلى أنا تأتي الأرض التي قد استولوا عليها، يأخذها منهم المؤمنين جزماً بعد جزء؟ وبذلك تنقص عليهم الأرض من حولهم، والله وحده هو الذي يحكم بالنصر أو الهزيمة، والثواب أو العقاب. ولأراد لحكمه، وحسابه جريع في وقته، فلا يحتاج الفصل إلى وقت طويل، لأن عنده علم كل شيء، فاليقينات قاتمة (١).

(١) تتضمن هذه الآية حقائق وصلت إليها البحوث العلمية الأخيرة إذ ثبت أن سرعة دوران الأرض حول محورها وقوة طردتها المركزي يؤديان إلى تفلطح في القطبين وهو نقص في طرق الأرض وكذلك عرف أن سرعة انطلاق جزئيات الغازات المفلطة للكوكب الأرضية إذا ما جاوزت قوة جاذبية الأرض لها فلها تطلق إلى خارج الكرة الأرضية. وهذا يحدث بصفة مستمرة فتكون الأرض في نقص مستمر لأطرافها. لا أرض أعداء المؤمنين، وهذا اسجل في التفسير قبله الآية الكريمة.

وَمِمَّنْ أَلْمَنُوا لَمُنَّ عَقِبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كُنَّا بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

٤٢ - وقد دبر الذين من قبلهم التدبير السيئ، أرسلهم، والله سبحانه تدبير الأمر كله في حاضركم الكافرين وقابلهم، وسيكون الجزاء على ما يصنعون، وهو يعلم ما تطمح كل نفس. وإذا كانوا يجهلون أن العاقبة الحسنة للمؤمنين، فسيعلمون يوم القيامة بالرؤية لمن تكون العاقبة الحسنة بالإقامة في دار النعيم.

٤٣ - والعاقبة من المراء الذي يقوم به الذين جحدوا ولم يذعنوا للحق أن يقولوا لك أيها النبي لست مرسلًا من عند الله أفقل لهم: حسبي أن الله هو الذي يحكم بيني وبينكم، والذي يعلم حقيقة القرآن، وما يدل عليه من أعجاز باهر تدركه العقول السليمة.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كُتِبَ لَهُمْ أَن نَّزَّلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ①
 اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ② وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ③ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ④ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ⑤ وَمَا أَرْسَلْنَا
 مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ⑥ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑦

— — — — —

١ - ألف . لام . راه : في الابتداء بهذه الحروف تنبيه إلى إعجاز القرآن ، مع أنه مكون من حروف يتكلمون بها ، وتنبيه للاستماع . هذا المذكور في السورة كتاب منزل إليك يا محمد من عندنا ، لتخرج الناس كافة من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم بتيسير ربهم ، وذلك النور هو طريق الله الغالب بالانتقام الممجد على الأتباع .

٢ - طريق الله الذي له كل ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا ، وإذا كان هذا هو حال الآله الحق ، فإهلاك بعذاب شديد للكافرين .

٣ - الذين يخافون الحياة الدنيا على الآخرة ، ويحتمون الناس عن شريعة الله ويرغبون أن تصير الشريعة معوجة في نظر الناس لينفروا منها . . أولئك الموصوفون بما ذكر قد ضلوا ضلالا بعيدا عن الحق .

٤ - وما أرسلنا رسولا قبلك ، يأبى الله ، الامتلاك بلغة قومه الذين يعتنقهم فهم ليفهمهم ما أتى به ، فيفقهوه ويدركوه بسهولة ، وليس عليه هدايتهم ، فإله يضل من يشاء . لعدم استعداده لطلب الحق ، ويهدى من يشاء لحسن استعداده ، وهو القوى الذي لا يقبل على مشيئة ، والذي يضع الأمور في مواضعها ، فلا يهدى ولا يضل إلا للحكمة .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُوكُمْ سَوَاءَ الْعَذَابِ وَيَذُبُّونَ آبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَا يَأْتِيَكُمُ النَّبِيُّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٌ وَهَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا

٥ - ولقد أرسلنا موسى مؤيدا بآياتنا، وقلنا له: أخرج قومك بني إسرائيل من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وذكرهم بالوقائع والنعمة التي أوتعها الله بالأمم قبلهم. إن في ذلك التذكير دلائل عظيمة على وحدانية الله، تدعو إلى الإيمان كل من يتحقق به كمال الصبر على البلاء، والشكر على النعماء، وهذه صفة المؤمن.

٦ - واذكر أيها النبي لقومك، لعلهم يتوبون، وقت قول موسى لقومه تنفيذا لأمر ربك: اذكروا نعمة الله عليكم، حين أنجاكم من قوم فرعون وهم يذيقونكم العذاب السيئ، بتكليفكم الأعمال الشاقة، ويذبحون أبناءكم الذكور، ويستحيون نساءكم بلا قتل ذليلات مستضعفات، وفي كل ما ذكر من التعذيب والإنجاء اختبار من الله عظيم، ليظهر مقدار الصبر والشكر.

٧ - واذكروا يا بني إسرائيل حين أعلمكم ربكم وقال: والله إن شكرتم ما وهبكم من نعمة الإنجاء وغيرها، وبالثبات على الإيمان والطاعة لأزيدنكم من نعمي، وإن جحدتم نعمي بالكفر والمعصية، لأعذبكم عذابا مؤلما، لأن عذابي شديد للجاحدين.

٨ - وقال موسى لقومه حيناً عانداً وجهدوا: إن تعبدوا نعم الله ولا تشكروها بالإيمان والطاعة، أنتم جميعاً في الأرض، فإن ذلك لن يضر الله شيئاً، لأن الله غني عن شكر التساكرين، مستوجب الحمد بفضائه، وإن لم يحمد أحد.

أَرْسَلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ إِنِّي اللَّهُ شَكَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْيِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْتِيَ زَكَاةَ أَعْيُنِكُمْ قَالُوا إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ هُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ كُنْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ عَلَى
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا
لَنَا أَلَّا تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا سَبِيلًا وَلَنصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلْثَبٍ ۖ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ



٩ - ألم يصل إليكم خير الذين مضوا من قبلكم، قوم نوح وعاد وهود، والأسم الذين جاءوا من بعدهم، وهم لا يعلمهم إلا الله لكثرتهم، وقد جاءتهم رسلهم بالهجة الواضحة على صدقهم، فوضوا أيهم على أفواههم استغراباً واستنكاراً، وقالوا للرسول: انا كفرنا بما جئتم به من المعجزات والآلة، وانا لفي شك مما تدعوننا إليه من الإيمان والتوحيد، لا نطمئن إلى شئ، وفي حيرة منه

١٠ - قالت الرسل لأقوامهم! منكرين عليهم شكهم في وجود الله ووحديته، متعجبين من ذلك: أنى وجود الله وألوهيته وحده شك، وهو خالق السموات والأرض على غير مثال يحتذى، وهو يدعوكم ليفسر لكم بعض ذنوبكم التي وقعت منكم قبل الإيمان، ويؤخركم إلى انتهاء أجالكم؟ قالت الأقوام لرسلهم تعنتا: ما أنتم إلا بشر مثنا، لا فضل لكم علينا يؤهلكم للرسالة.. تريدون أن تمنحونا بما تدعوننا إليه عما كان عليه آبائنا من العبادة فأتونا بحجة واضحة مما نقرحه عليكم.

١١ - قالت لهم رسلهم: ما نحن إلا بشر مثلكم كما قلتم، ولكن الله يسلط من يشاء من عباده فيخصهم بالنبوة والرسالة، وما كان في قدرتنا أن نأتيكم بحجة مما تقرحون إلا بتيسير منه، وعلى الله وحده فليترك المؤمنون ولنتوكل عليه بالصبر على معانفتكم.

١٢ - وأى عنر لنا في ترك التوكل على الله، وهو قد أرشد كلامنا إلى سبيله ومنهاجه الذي شرع له، وأوجب عليه سلوكه في الدين؟ وانا لنؤكد توكلنا على الله، ولنصبر على أذاكم لنا بالعتاد وانقراض المعجزات، والله وحده هو الذي يتوكل عليه المتوكلون.

الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنَسَكِّنَنَّكَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدَ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَجْعَلُهُمْ بِجَهَنَّمَ زُرَّادًا يَّسِفُهُمْ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُمْ بِيَمِينٍ ﴿١٧﴾ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٨﴾ مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْظَمُ لَّهُمْ كِرَامًا أَشَدَّتْ بِهِ الرِّجُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَلْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٢٠﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢١﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ



١٣ - عمد أهل الحل والعقد من الكفار العاتين إلى القوة ، بعد أن عجزوا جميعا عن مقاومة الدليل ، وقالوا لرسولهم : ليكون أحد أمرين : إما أن نخرجكم من أرضنا ، وإما أن تدخلوا في ديننا ، فأوحى الله إلى الرسل قائلا : لنهلك الكافرين ، لظلمهم .

١٤ - ولنسكننكم أرضهم من بعد هلاكهم . وذلك الإنسان للمؤمنين حق لمن خاف موقف حساسي ، وخاف وعيدى بالذئاب ، فإن من غلب عليه الخوف أطاع .

١٥ - إن الرسل استنصروا على أقوالهم بما يسئوا من إيمانهم ، وطلبوا النصر من ربه على الكافرين من أقوالهم ، فنصرهم الله وغيروا ، وخسر كل متكبر عن طاعة الله شديد العناد .

١٦ - وقد استقبل المزيعة في الدنيا ومن ورأته في الآخرة عذاب جهنم ، وسقى فيها من ماء كريب ، وهو كالصديد يسيل من أهل النار .

١٧ - يتكلف شره ، كأنه يتلمه مرة بعد أخرى ، ولا يقرب من استساغته لأنه لا يمكن أن يستساغ لكرهاته وقذارته ، ويحيط به أسباب الموت من الشدائد من كل جهة ، وما هو في جهنم بيت فيستريح مما هو فيه ، بل يستقبل في كل وقت عذابا أشد .

١٨ - إن حال أعمال الخيرون الكافرين الدنيوية وكسبهم فيها ، ليناتها على غير أساس من الإيمان ، كحال رماذ اشتدت لتفرقه الريح في يوم شديد العواصف ، لا يقدرن يوم القيامة على شيء مما كسبوا في الدنيا من تلك الأعمال فلا يمكنهم الانتفاع بشيء منها إذ لا يرون لها أثرا من الثواب ، كما لا يقدر صاحب الرماذ المتطاير في الريح على امساك شيء منه ، وهؤلاء الضالون يسيرون أنهم محسنون ، مع أن أعمالهم بعيدة أشد البعد عن طريق الحق .

١٩ - ألم تعلم أيها الطالب أن الله تعالى خلق السموات والأرض لتقرنما على الحق بمقتضى حكمته ، ومن قدر على هذا كان قادرا على إهلاككم أيها الكافرون ، والإتيان بخلق جديد غيركم يعترفون بوجوده ووحده إن شاء .

٢٠ - وما ذلك الإنعاب والإتيان على الله يتصرف ولا يتصرف .

الضَعْفَتُوا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْقُونَ عَنَّْا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّنَا اللَّهُ
لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصِرٍ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ
وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْهُمُونِي
وَلَوْ مَوَّانْتُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحْبَبُونَ
فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٨﴾ الرَّزَّازُ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٩﴾ تُؤْتِي

٢٦ - وسيظهر الكفار جميعا من قبورهم للرأين ، لأجل حساب الله تعالى ، ظهورا لاشك فيه كأنه واقع الآن
فعلا فيقول ضعفاء الرأي من الأتباع للقيادة المستكبرين : انا كنا لكم تابعين في تكذيب الرسل ومحاربتهم
والإعراض عن نصائحهم ، فهل أنتم اليوم دافعون عنا من عذاب الله بعض الشيء ؟ قال المستكبرين : لو هدانا
الله إلى طريق النجاة ووقفنا له لأرشدناكم ودعوناكم إليه ، ولكن ضللنا فأضللتناكم أى اخترنا لكم ما اخترناه
لأنفسنا ، ونحن وأنتم الآن سواء علينا الجزع والصبر ، ليس لنا مهرب من العذاب !

٢٧ - ويقول إبليس ، حين يقضى الله الأمر بتنعيم الطائين وتعذيب المعصين ، لمن اتبعه : ان الله تعالى وعدكم
وعدا حقا بالبعث والجزاء فأنجزه ، ووعدتكم وعدا باطلا بأن لا بعث ولا جزاء فأخلفتكم وعدى ، وما كان لى
عليكم قوة أفهركم بها على اتباعى ، لكن دعوتكم بوسوستى إلى الضلالة فأسرعت إلى طاعتي ، فلا تُلْهُمُونِي
بوسوستى ، ولوموا أنفسكم على اجابتي وما أنا اليوم بمغيفكم من العذاب ، وما أنتم بمغيفي ! إلى جعدت اليوم
اشراركم أبى مع الله في الدنيا حيث أظعنتموني كما يطيع العبد ربه : ان الكافرين لهم عذاب مؤلم .

٢٨ - وأدخل في الآخرة الذين صدقوا وعملوا الأعمال الصالحة جنات تجري من تحت قصورها الانهار خالدين
فيها بإذن الله تعالى وأمره ، تحييتهم فيها من الملائكة تفيد الأمن والاطمئنان .

٢٩ - ألم تعلم أيا الإنسان كيف ضرب الله مثلا لكلمة الحق الطيبة ، وكلمة الباطل الخبيثة ، فجعل الكلمة
الحسنة القائدة مثل شجرة حسنة المنفعة ، أصلها ضارب بجذورها في الأرض ، وأغصانها مرتفعة إلى جهة السماء .

أَكَلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَثِيرٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ
 اجْتُثَّتْ مِنْ قَبْلِ الْأَرْضِ مَا لَها مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
 الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ
 دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَهُمْ لَا يُقَرَّرُونَ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ
 مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُعِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
 يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يَخْلَى ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاتَّخِذَ بِهِ مِنْ الشَّجَرِ

٢٥ - تعطى ثمرها كل وقت عينه الله لإفكارها بإرادة خالقها، كذلك كلمة التوحيد ثابتة في قلب المؤمن، وعمله
 يصعد إلى الله، وينال بركته ونوابه كل وقت. وبين الله الأمثال للناس، فيشبه الماني بالمسوسات ليتعظوا
 فيؤمنوا.

٢٦ - الكلمة الباطلة الخبيثة شبيهة بشجرة خبيثة، كأنها اقتلعت، وكأنها ملقاة على الأرض لأنها ليس لها ثبات
 فيها، كذلك كلمة الباطل داحضة لا ثبات لها لأنها لم تعاضد بحجة.

٢٧ - يثبت الله الذين آمنوا على القول الحق في الحياة الدنيا وفي يوم القيامة، ويبعد الله الكافرين عنه لسوء
 استعدادهم، ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

٢٨ - ألم تنظر أيها السامع إلى المشركين الذين وضعوا مكان شكر نعمة الله بحمد ودينه كفرا بالله تعالى
 وأنزلوا أتباعهم بإضلالهم إياهم دار الهلاك.

٢٩ - وهي جهنم يقاسون حرها وقبح المقر جهنم.

٣٠ - وجعلوا لله الواحد الأحد أمثالا من الأصنام في العبادة، لتكون عاقبة عملهم اضلال الناس عن سبيل
 الله، وقال أيها النبي لأولئك الضالين: تمتعوا بشهواتكم فإن مرجعكم إلى النار.

٣١ - قل يا محمد لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا واحسنوا: أقيموا الصلاة، وأنفقوا بعض ما رزقناكم في
 وجوه البر، مسرين ومعتلين، وفي كل خير. من قبل أن يأتي يوم لا انتفاع فيه بعبادة ولا صداقة.

رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۖ وَهَاتِكُمْ مِنْ كُلِّ مَآسَاءٍ نَوْمَهُ ۖ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تحْصُوهَا ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمِنًا وَاجْعَلْنِي وَبَنِيَّ أَقْبَدَ الْأَصْنَامَ ۝ رَبِّ لَهُمْ أَضْلَلَنَ كَثِيرًا ۖ مِنَ النَّاسِ قُلٌّ يَجْعِلُ لَهُمُ مَنِي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ أَثْمَارِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۖ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ

٣٢ - الله وحده هو الذي أنشأ السموات وما فيها، والأرض وما فيها، وأنزل من السحاب ماء مدرارا، فأخرج بسببه رزقا لكم. هو ثمرات الزرع أو الشجر، وسخر لكم السفن لتجري في البحر تحمل أرواقكم وتجارتكم ياذنه ومشيئته. وسخر لكم الأنهار العذبة لتنتفعوا بها في ربي الأنفس والزرع.

٣٣ - وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، للإضاءة واصلاح الثبات والحيوان، وسخر لكم الليل للراحة، والنهار للسعي.

٣٤ - وهيا لكم كل ما تحتاجون إليه في حياتكم مما شأنه أن يطلب سواء أطلبتموه أم لا. وإن تعدوا ما أنعم الله به عليكم لا يحكمكم حصر أنواعه، فضلا عن أفرادها! إن المجاهد الذي قابل النعم بالمجود لتسديد الظلم والمجود.

٣٥ - واذكر، أيها النبي، لقومك، ليختبروا فخرجوا عن اشرائهم، قول أيهم إبراهيم بعد بناء الكعبة: يارب اجعل هذا البلد الذي فيه الكعبة ذا أمن من الظالمين، وأبعدن وأبنائي عن عبادة الأصنام.

٣٦ - لأن الأصنام تسببت في اضرار كثير من الناس بعبادتهم لها. فمن تبعني من ذريتي، وأخلص لك العبادة، فإنه من أهل ديني، ومن عصاني بأقلته على الشرك فأنت قادر على هدايته لأنك كثير المغفرة والرحمة.

٣٧ - يا ربنا اني اسكنت بعض ذريتي في وادي مكة الذي لا يبيت زعرا، عند بيتك الذي حرمت التعرض له والتهاون بشأنه، وجعلت ما حوله آمنا. ربنا، فأكرمهم ليقيموا الصلاة بجوار هذا البيت، فاجعل قلوبا خيرة من الناس تميل إليهم لزيارة بيتك، وارزقهم من الثروات بإرسالها إليهم مع الوافدين، ليشكروا نعمتك بالصلاة والدعاء.

وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَعَدَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْتِعْمَالَ وَأَتَمَّنَّى لَأَنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدَّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مِمَّنْ الصَّالَةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دَعَاءَ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْزَنْ أَلَّهِ غَفَلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُبْطِلِينَ مَقْنِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدَّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَنْفَلَتُهُمْ هَوَاءَ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آتِنَا لَنَا أَجَلَ قَرِيبٍ فَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أُولَئِكَ تَكُونُوا آفَئِمَّةً مِنْ قَبْلُ مَا كُنْتُمْ مِنْ ذَوَالِ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ

٣٨ - ربنا ، إنه يستوى عند علمك سرنا وعلايتنا ، فأنت أعلم بمصلحتنا ، وأرحم بنا منا ، وما يعني عليك شيء ولو كان صغيرا ، في الأرض ولا في السماء ، فلا حاجة بنا إلى الدعاء ، ولكننا ندعوك اظهارا للمعبودية ، ولخشع لمطاعتك ، ونفكر إلى ما عندك .

٣٩ - الحمد لله الذي اعطاني ، مع كبر سني ، واليأس من الولد ، اسماعيل ثم اسحاق ! ان ربى لسميع دعائى ، يجيب له .

٤٠ - رب وفقني لأداء الصلاة على وجهها ، ووفق لأدائها كذلك الأخيار من ذريتي ، ربنا تقبل دعائى قبول المستجيب .

٤١ - ربنا اغفر لى ما فرط منى من الذنوب ، واغفر لوالدى وللمؤمنين . يوم يتحقق الحساب . ويكون من بعده الجزاء .

٤٢ - ولا تظن : أنها الرسول ، ربك غافلا عما يعمل الظالمون من محاربة الإسلام وأهله : بل هو عالم بخالفهم ، وقد تأخير عقوبتهم ليوم عسير ، تبقى فيه أبصارهم مفتوحة ، لا يسيطرون عليها ، فلا ترد إلى الهم من هول ما ترى .

٤٣ - وهم مسرعون نحو الداعي ، واقضى رموسهم إلى السماء ، لا ترجع أعينهم إلى ارادتهم ، وقلوبهم خالية ليس فيها تفكير من شدة الخوف .

٤٤ - وبين أنها التي ، للناس أهوال يوم القيامة الذى يأتيهم فيه العذاب فيقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي : ربنا أخر العذاب عنا ، وردنا إلى الدنيا ، وأمهلنا إلى أجل من الزمان قريب ، نتدارك ما فرطنا بإجابة دعوتك إلى التوحيد واتباع الرسل . فيقال لهم : أتقولون اليوم هذا ونسبتم أنكم حلفتم من قبل في الدنيا أنكم إذا تم لا تزول عنكم هذه النعمة ، ان كان يمت يوم القيامة .

الْأَمَنَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَيَقُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْشَى اللَّهَ عَالِفٌ وَعِندَهُ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو أَنْظَارٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِنْ فَطْرَانَ وَتَفْشَى وَجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِمْ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ أَكْثَرُ الْوَالِدِ وَحْدَ وَلِيَدٌ كَرَأُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

٤٥ - وسكتتم في الدنيا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي من الأمم قبلكم ، وظهر لكم بشاهدة أنهارهم كيف عاقبتهم فلم تنزعروا ، وبيننا لكم صفات ما فعلوا وما حل بهم ، فلم تعتبروا .

٤٦ - وقد دبر هؤلاء المشركون تدبيرهم لإبطال الدعوة ، عند الله علم مكرهم ، وما كان مكرهم ، لتزول منه الشريعة الثابتة نبات الجبال .

٤٧ - فلا تظن ، أيها الرسول ، أن الله تعالى يخلف رسله ما وعدهم به من النصر ، لأنه غالب لا ينصه أحد عما يريد ، شديد الانتقام ممن كفر به وعصى رسله .

٤٨ - فينتقم منهم يوم القيامة حين يحمل الأرض الموجودة الآن ويحمل السموات غير السموات كذلك ، ويخرج المخلوق من قبورهم لحكم الله الذي لا شريك له ولا غالب له .

٤٩ - وترى الكافرين يوم القيامة مشدودين بالقيود مع شياطينهم .

٥٠ - مطوية جلودهم بسائل من القطران ، كاللآس على أجسادهم ، وتعلو النار وجوههم وتجللها .

٥١ - يفعل بهم ذلك ، ليجزى الله كل نفس منهم بما كسبت في الدنيا والله سريع الحساب يوم القيامة ولا يشغله عنه شيء .

٥٢ - هذا القرآن هو البلاغ لنصحهم ولإنذارهم وتخويفهم من عذاب الله ، وليعلموا إذا خافوا وتعلموا أنه لا إله إلا الله واحد ، وليتذكر أصحاب العقول عظمة ربهم ، فيبتعدوا عما فيه هلاكهم .

(١٥) سُورَةُ الْحَجَرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّيَّةَ هَآيَتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ① رَبِّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ② ذَرُهُمْ يَا كُفَّوْا وَيَسْمَعُوا وَيَلْهَبُ أَمَلٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ③ وَمَا أَهْلَكَا مِنْ قَبْلِهِ لَآ وَفَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ④ مَا تَسْقِي

سورة الحجر سورة مكية وهي تشتمل على تسع وتسعين آية، ابتدأت بالحروف الصوتية تنبيها إلى أن القرآن مكون من الحروف التي تتكون منها كلماتكم، ومع ذلك كان معجزا لكم، لأن منزله هو الله سبحانه وتعالى، وتتكون تلك الحروف بأصواتها الممدودة تنبيها للمعرضين عن القرآن يدعوهن إلى الاستماع، فمساهم ينتفعون وسليهم الله تعالى.

والسورة الكريمة تبين العبر بما نزل بالأمر السابقة والإشارة إلى أخبار الأنبياء السابقين، وما لقيتهم به أجمع، وتشير إلى آيات الله في الكون من سماء مرفوعة ذات بروج محفوظة، وأرض مهيمة مبسوطة، وجبال راسيات ورياح حاملة للماء، وما يفتح الأشجار، وتشير إلى المعركة الأولى في الخليقة بين إبليس اللعين وأدم وزوجه، واستمرار هذه المعركة بين الخير والشر إلى أن تنتهي هذه الدنيا، ثم عاقبة الشر يوم القيامة، وعاقبة الخير. وبعد ذلك قص الله سبحانه قصص النبيين إبراهيم ولوط، وأصحاب الحجر، وتشير إلى منزلة القرآن، وحال المشركين في تلقيه، وما يجب على النبي إزاء جحودهم وهو أن يعلن رسالته، ويظهر بها، ويعيد الله حتى يأتيه الأمر اليقين.

١ - تلك آيات الكتاب المنزل المقروء المبين الواضح.

٢ - يود ويتفق الذين جحدوا بآيات الله سبحانه وتعالى كثيرا، عندما يرون عذاب يوم القيامة، أن لو كانوا قد أسلموا في الدنيا وأخلصوا دينهم لله.

٣ - ولكنهم الآن غافلون عما يستقبلهم في الآخرة من عذاب فغدغهم بعد تبليغهم وإنذارهم، ليس لهم هم إلا أن يأكلوا ويستمتعوا بملأ الدنيا، ويصرفهم أمهلهم الكاذب، فن المؤكد أنهم سيصلون ما يستقبلهم عندما يروته رأى العين يوم القيامة.

٤ - وإذا كانوا يطلبون ائزال العذاب الدنيوي، كما أهلك الله الذين من قبلهم، فليعلموا أن الله لا يهلك مدينة أو أمة الا لأجل قدره معلوم عنده.

مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ ﴿٦﴾ وَقَالُوا يَتَّبِعُهَا الَّذِي تَزُلُّ عَلَيْهِ الدَّرَكُ لَكَ لَمَجُونٌ ﴿٧﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ
إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكِ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ
وَأَنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْخِ الْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٢﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤﴾ وَلَوْ فَصَحْنَا

٥ - لا يتقدمون عليه ، ولا يتأخرون عنه .

٦ - وإن من قبح حالهم وشدة غفلتهم أن ينادوا النبي متبعين قائلين : أيها الذي نزل عليه الكتاب المذكر ، إن بك جنونا مستمرا ، فليس النداء بقرول الذكر عليه الا للتهكم .

٧ - ولفرط جعدهم يقولون بعد ذلك الشتم والتهكم : هلا أتيتنا بدل الكتاب المنزل بملأكة تكون لك حجة إن كنت صادقاً مملوفاً في الصادقين .

٨ - وقد أجاجهم الله تعالى كلماته : ما نزل الملائكة الا ومعهم الحق المؤكد الثابت الذي لا مجال للإنكاره ، فإن كفروا به فليتهم لا يهلون ، بل ينزل بهم العذاب الدنيوي فوراً .

٩ - وأنه لأجل أن تكون دعوة النبي بالحق قاطعة إلى يوم القيامة ، لم نزل الملائكة ، بل أنزلنا القرآن المستمر تذكيراً ، وأنا لحافظون له من كل تغيير وتبديل ، حتى تقوم القيامة .

١٠ - ولا تحزن أيها الرسول الأمين ، فقد أرسلنا قبلك رسلاً في طوائف تنصب للباطل مثل تعصبيهم ، ولقد مضوا مع الأولين الذين هلكوا لجعدهم !

١١ - وما كان شأن الذين سبقهم في تعصبيهم للباطل إلا أن يستهزئوا برسولهم رسولاً رسولاً ، كما يستهزئون بك انتك سنة المبطلين !

١٢ - كما أدخلنا القرآن في قلوب المؤمنين فأضامها ، أدخلنا الباطل في قلوب الذين اتسموا بالإجرام ، فانقلبوا الأوضاع في قلوبهم ، إذ تأصل الباطل في نفوسهم .

١٣ - لا يؤمن أولئك المجرمون به ، وقد مضت طريقة الله تعالى في أمثالهم حتى يروا عذاب يوم القيامة المؤلم .

عَلَيْهِمْ بِأَبَايَ مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سَحَابٌ مُمِيزٌ لِّقَوْمٍ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾
وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ
السَّمْعَ فَاتَّبَعُهُمْ شَبَابٌ مُمِيزٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾
وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِئَةٍ مَعْيَشٍ وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُمْ رِزْقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ عِندِنا نَزْلٌ يُنْزَلُ وَمَا تَنْزِيلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ

١٤ - ان هؤلاء يطلبون أن تنزل عليهم الملائكة ، ولا تظن أنها التي أنهم يؤمنون لو نزلت ، بل لو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يصعدون ، يرون العجائب ويرون الملائكة !

١٥ - ما أنتم ، ولقالوا : إنما حبست أبصارنا عن النظر ، وغطيت ، بل ان ما كان هو السحر ، وقد سحرنا ، فلا جدوى في أى آية مع الجعود في قلوبهم .

١٦ - وأنتا قد جعلنا في السماء نجوما ، تكون مجموعات متعددة مختلفة الأشكال والحلقات ، وزيناها بذلك للذين ينظرون متأملين متبررين ، مستدلين بها على قدرة مبدعها .

١٧ - ولكن حفظناها من كل شيطان جدير بالرجم والطرد من رحمة الله تعالى .

١٨ - من يحاول من هؤلاء الشياطين أن يسترق الاسماع إلى الكلام الذى يجري بين سكان هذه التجوم ، فإننا نلحقه بحرم سماوى واضح بين .

١٩ - وخلقنا لكم الأرض ومهدناها حتى صارت كاليساط الممدود ، ووضعنا فيها جبالا ثابتة ، وأنبتنا لكم فيها من كل أنواع النبات ما يحفظ حياتكم ، وجعلناه مقدرا بأزمان معينة في نموه ، وغذائه ، ومقدرا بمقدار حاجتكم ومقدار كميته ، وفق أشكاله في الخلق والطبيعة^(١) .

٢٠ - وجعلنا في الأرض أسباب المعيشة الطيبة لكم ، ففيها الحجارة التي تبنيون منها المساكن ، والحيوان الذي تتغذون بلحمه أو جلده أو ريشه ، والمعادن التي تخرج من بطنها ، وغير ذلك ، وكذا أن فيها أسباب المعيشة الطيبة ففيها المعيشة أيضا لمن يكونون في ولايتكم من عيال وأتباع ، فالله وحده هو يرزقهم وإياكم .

(١) تقر هذه الآية حقيقة علمية لم تعرف إلا بعد الدراسات العلمية للنبات ، وهي أن كل صنف من النبات يتأثر أفرادها من الوجهة الظاهرية غالبا تاما ، وفي التكوين الداخلي نجد أن التناسق تام والتوازن دقيق في كافة أجهزة النبات الخلفة وكذلك بين الخلايا لتعقيق الفرض الذي وجدت من أجله وقد تختلف من نوع لآخر ولكنها ثابتة للصف الواحد .

مَعْلُومٌ ۝ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِعَ فَأْتَرْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَا كَفَتْ حَيْثُ كَفَتْ وَمَا أَنْتُمْ لَهُمْ بِخَازِنِينَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ
تَحِيٍّ وَنُحِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَفْضِينَ ۝ وَإِن رَّبُّكَ هُوَ
يَحْشُرُهُمْ إِمْرًا حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ۝ وَالْجَنَانُ خَلَقْتَهُ
مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السُّمُومِ ۝ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ۝ فَإِذَا

٢١ - وما من شيء من الخير إلا عندنا كالخزائن المملوءة ، من حيث تهبته وتقديده في وقته ، وما تنزل إلى
العباد إلا بقدر معلوم حددته حكمتنا في الكون .

٢٢ - وقد أرسلنا الرياح حاملة بالأمطار وحاملة بنور الإنبات ، وأنزلنا منها الماء وجعلناه سقيا لكم ، وإن
ذلك خاضع لإرادتنا ولا يتمكن أحد من التحكم فيه حتى يصير عندنا كالحزان^(١) .

٢٣ - وإنا وحدنا نحد الأشياء بالحياة ، ثم نقلها إلى الموت إذ الوجود كله لنا .

٢٤ - وكل منكم له أجل محدد ، نعلمه نحن ، فنعلم الذين يتقدمون في الموت والحياة ، والذين يتأخرون .

٢٥ - وإن المتقدمين والمتأخرين سيجمعون في وقت واحد ، وسيحاسبهم ويجازيهم الله وأن ذلك مقضى حكمته
وعلمه ، وهو الذي يسمى الحكيم العليم .

٢٦ - وإنا في خلقنا للمالعين في هذه الأرض خلقنا طبيعتين : خلقنا الإنسان من طين يابس يصوت إذا نقر
عليه^(٢) .

٢٧ - وعالم الجن خلقناه من قبل حين خلق أصله إبليس من النار ذات الحرارة الشديدة النافذة في مسام
الجسم الإنساني .

٢٨ - واذكر أيها النبي أصل الخلق ، إذ قال خالقك رب الصالحين للملائكة إني مبدع بشرا خلقته من طين
يابس ، له صوت إذا نقر عليه ، وهو متغير اللون له صورة .

(١) سبقت هذه الآية ما وصل إليه العلم من أن الرياح عامل هام في نقل حبوب اللقاح إلى الأعضاء المؤنثة في النبات ليم بذلك
عند اللقاح ، كما أنه لم يعرف إلا في أوائل القرن الحالي أن الرياح تلحق السحاب بما ينزل بسببه المطر إذ أن نويات التكاثف أو النويات التي
تتجمع عليها جزيئات بخار الماء لتكون قطعا من الماء نامية داخل السحب هي المكونات الأولى من المطر تحملها الرياح إلى مناطق إزارة
السحاب وتقوم هذه النويات بأملح البحار وما تذروه الرياح من سطح الأرض والأكاسيد والأتربة ونحوها كلها لازمة للأملح .
لقد ثبت في العلم حديثا أن للمطر دورة مائية ، تبدأ بتبخر المياه من سطح الأرض - والبحر ثم تعود إليه مرة ثانية على نحو ما سلف
ذكره ، فإذا ما نزل المطر استقى منه كل حي على الأرض كما تستقى منه الأرض نفسها ، ولا يمكن التحكم فيه لأنه بعد ذلك يتسرب من
الأحياء ومن الأرض إلى التبخر ، ثم تبدأ الدورة ثانية بالتبخر وهكذا دواليك .
ومن هنا يستبين معنى الآية في قوله تعالى (وما أنت له بمحازنين) أي ما نعيم من النازل من السماء ولا التسرب إليها على مسودة
البخار .

(٢) الصلصال والحقا صور من الطين تنفق معه في التركيب ، لأنها تتكون كليا من عناصر التربة مضافا إليها الماء وهي المادة التي
يتكون منها الإنسان ، كما ذكر في الآيات الخلقية من القرآن الكريم .

سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَرَأَيْتُكَ لَاجِدًا لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاسِلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاتَّخِذْ مِنْهَا قَائِكًا رَاجِعًا ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا

٢٩ - فإذا أكلته خلقا، ونفخت فيه الروح التي هي ملكي، فانزلوا بوجوهكم ساجدين له تحية وكراما.

٣٠ - فسجدوا جميعا خاضعين لأمر الله.

٣١ - لكن إبليس أبى واستكبر أن يكون مع الملائكة الذين خضعوا لأمر الله.

٣٢ - عندئذ قال الله تعالى: يا إبليس، ما الذي سوغ لك أن تصي ولا تكون مع الخاضعين الساجدين.

٣٣ - قال إبليس ما كان من شأني أن أسجد لإنسان خلقت من طين يابس له صوت إذا نقر، وهو متغير اللون معصور.

٣٤ - قال الله تعالى: إذا كنت متحردا خارجا على طاعتي، فاخسرج من الجنة فانك مطرود من رحمتي ومن مكان الكرامة.

٣٥ - وإلى قد كتبت عليك الطرد من الرحمة والكرامة إلى يوم القيامة، يوم الحساب والجزاء، وفيه يكون لك ولن اتبعلك العقاب.

٣٦ - قال إبليس، وهو المتمرد على طاعة الله، يا خالقي أهلكي ولا تقبضي إلى يوم القيامة، يوم يبعث الناس أحياء بعد موتهم.

٣٧ - قال الله تعالى: انك من المؤجلين المهلين.

٣٨ - إلى وقت قدرته وهو معلوم لي، ومها يطل فهو محدود.

٣٩ - قال إبليس المتمرد الطامع: يا خالقي الذي يبقيني: لقد أردت لي الضلال فوقعت فيه، وبسبب ذلك لأزين لبي آدم السوء، ولأعملن على ضلالهم أجمعين.

٤٠ - ولن ينجو من اضلالى إلا الذين أخلصوا لك من العباد، ولم أتكن من الاستيلاء على نفوسهم لعمارتها بذكرك.

حَرِّطَ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ۝ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَإِنْ جَهَنَّمُ
لَمَوْعُدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ بِهِمْ بَرَةٌ مَقْسُومٌ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَجُودٍ ۝
أَدْخُلُوها بِسَلَامٍ وَأَمْنَيْنِ ۝ وَزَعْنًا مَّا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۝ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ
وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝ * تَبَوَّءَ عِبَادِي أُنَاقًا أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۝



- ٤٩ - ان خلوص العباد الذين أخلصوا دينهم هو طريق مستقيم يحق على لا أنعاده ، لأنى لا أستطيع اضلالهم .
- ٤٢ - قال الله تعالى : ان عبادى الذين أخلصوا لى دينهم ليس لك قدرة على اضلالهم ، لكن من اتبعك من
الضالين الموغلين فى الضلال لك سلطان على نفوسهم .
- ٤٣ - وان النار الشديدة العميقة هى ما يعدون به أجمعين من عذاب ألم .
- ٤٤ - وليس للنار الشديدة باب واحد ، بل لها أبواب سبعة لكثرة المستحقين لها ، ولكل باب طائفة مختصة
به ، ولكل طائفة مرتبة مطوية تتكافأ مع شرمهم .
- ٤٥ - هذا جزاء الذين يتبعون الشيطان ، أما الذين عجز الشيطان عن اغوائهم لأنهم يعملون بينه وبين
نفوسهم حجابا ، فلهم حقائق عظيمة وعيون جارية .
- ٤٦ - يقول لهم ربهم ، ادخلوا هذه الجنات باطمئنان آمنين ، فلا خوف عليكم ، ولا تحزنون على أوقاتكم .
- ٤٧ - وان أهل الإيمان يعيشون فى هذا النعيم طيبة نفوسهم ، فقد أخرجنا ما فيها من حقد ، فهم جميعا يكونون
اخوانا يجلسون على أسرة تتقابل وجوههم بالشر والهمة ، ولا يتدابرون كل ينقب عما وراء الآخر .
- ٤٨ - لا يمسهم فيها نصب ، وهى نعيم دائم لا يخرجون منها أبدا .
- ٤٩ - أخبر أيها النبى الأمين عبادى جميعا أنى كثير الثفران والعصران تاب وآمن وعمل صالحا ، وأنى كثير
الرحمة بهم .
- ٥٠ - وأخبرهم أن العذاب الذى أنزله بالعصاة الجاحدين هو العذاب المؤلم حقا ، وكل عذاب غير لا يمد
مؤلا بجواره .

وَنَبِيَّهُمْ عَنْ صَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ ⑤ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجُودٌ ⑥ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ⑦ قَالَ أَبَشِّرْهُنَّ عَلَىٰ أَنْ مَسَىٰ الْكِبَرُ فَعِيْلٌ فَبَشِّرُون ⑧ قَالُوا ابْشِرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ
مِنَ الْكَافِرِينَ ⑨ قَالَ وَمَنْ يَقْطَعُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّي إِلَّا الضَّالُّونَ ⑩ قَالَ لَسَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ⑪
قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ⑫ إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ⑬ إِلَّا أَمْرًا هَـٔذَا قَدْ رَدَدْنَا لَهَا لَئِنْ
قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ⑭ إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ⑮ إِلَّا أَمْرًا هَـٔذَا قَدْ رَدَدْنَا لَهَا لَئِنْ

٥٦ - ونبيهم، أي النبي، في بيان رحمى الخاصة في الدنيا، وعذابي للعصاة فيها، عن الضيف من اللاتمة
الذين نزلوا على إبراهيم.

٥٧ - اذكر أيها الأمين: إذ دخلوا عليه فخاف منهم، فقالوا له: أمتنا واطمئنانا. فقال لهم انا خائفون منكم
إذ فاجأونا وجستم في غير وقت للضيف عادة، ولا تعلم ما وراءكم!

٥٨ - قالوا: لا تخف واطمئن، فانا نبشرك بولود لك يؤتيه الله تعالى في مستقبل حياته علما عظيما^(١).

٥٩ - قال: كيف تبشرون بولود يولد لي مع أنه قد أصابني الشيخوخة بضعفها، فعل أي وجه تبشرونني
بهذا الأمر الغريب؟!

٥٥ - قالوا بشركنا بالأمر الثابت لائق فيه، فلا تكن ممن ييأسون من رحمة الله.

٥٦ - قال إبراهيم: أي لا يأس من رحمة الله، فإنه لا ييأس من رحمة الله إلا الضالون الذين لا يدركون
عظمته وقدرته..

٥٧ - قال، وقد استأنس بهم: إذا كنتم قد بشرتموني بهذه البشرى، فإذا يكون من شأنكم بعلها، أي الذين
أرسلكم الله؟

٥٨ - قالوا: انا أرسلنا الله تعالى إلى قوم أجرموا في حق الله وحق نبيهم وحق أنفسهم، من شأنهم الإجماع،
هم قوم لوط، فسهلكهم.

٥٩ - ولم يسلم من الإجماع وعذابه إلا أهل لوط، فإن الله تعالى قد أمرنا بأن ننجيهم أجمعين.

(١) واضح هنا أن النبىء ليس إسماعيل عليه السلام، إذ أن إسماعيل كان قد ولد من قبل وكان هو وأمه هاجر بكه، وما ذكر هنا
من النبىء كان لإبراهيم وأمراته وحيت كان يطمئن لأنه ابن إبراهيم من زوجته سارة.

الْعَبِيرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَهُ آلُ لُوطَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنِّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَآتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ
مِنْكَ أَحَدٌ وَامْضُ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَفَضَّلْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾
وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْقِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُنُوا

٦٠ - ولا يستقي من أهله إلا امرأته ، فانها لم تتبع زوجها ، بل كانت مع المجرمين الذين استحقوا العذاب .

٦١ - ولما نزل أولئك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى لازال ما توعد به ، بأرض لوط وآله .

٦٢ - قال لهم لوط : انكم قوم تتكرمكم نفسى وتتفر منكم ، مخافة أن تقسونا بشر .

٦٣ - قالوا : لا تخف منا ، فما جشاك بما تخاف ، بل جشاك بما يسرك ، وهو انزال العذاب بقومك الذين كذبوك
وكانوا يشكون فى صدقه أو ينكرونه .

٦٤ - وجشاك بالأمر الثابت الذى لا شك فيه ، وهو انزال العذاب ، وإن صدق الوعد من صفاتنا بأمر الله .

٦٥ - إذا كان العذاب نازلاً بهم ، فسر ليلاً مع أهلِكَ الذين كتب نجاتهم ، بعد مرور قطع من الليل .

٦٦ - وقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى لوط : إنا حكمتنا وقدرنا أن هؤلاء المجرمين هالكون ، يستأصلون عند
دخول الصباح ، ولا يبق منهم أحد .

٦٧ - ولما أصبح الصباح رأوا الملائكة فى صورة جميلة من صور البشر : ففرحوا بهم رجاء أن يفعلوا معهم
جريتهم الشنيعة ، وهى اتيان الرجال .

٦٨ - خشى لوط أن يفعلوا فعلتهم الشنيعة فقال : ان هؤلاء ضيقى فلا تفضحوني بفعلتكم القبيحة .

٦٩ - وخافوا الله تعالى ، فلا تركبوا فاحشتكم ، ولا توفعوني فى الحزى والنلل أمامهم .



قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتُ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّا لَنَسِيلُ لِمُفِجٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَغَافِلِينَ ﴿٧٨﴾

٧٠ - قال أولئك الجرمون : أألم تنهك أن تستضيف أحدا من الناس ثم تمنعنا من أن نفعل معهم ما نشتهي ؟

٧١ - قال نبي الله لوط ، بينهم إلى الطريق الطبيعي الشرعي : هؤلاء بنات القرية ، وهن بناتي ، تزوجوهن ان كنتم راغبين في قضاء الشهوة .

٧٢ - بحق حياتك أيها النبي الأمين ، انهم لفي غفلة عما سينزل بهم . جعلتهم كالسكارى ! انهم لضالون متعمدون لا يعرفون ما يسلكون .

٧٣ - وبينا هم في هذه السكر العافلة ، استولى على ألبابهم صوت شديد الإزعاج ، وقد أشرقت الشمس .

٧٤ - ولقد نفذ الله سبحانه حكمه فقال : جعلنا على مدائنهم سافلها بانقضاضها ، وأنزلنا عليهم طينا متحجرا كان ينزل كالطرر ، فغورهم تهدمت . وان خرجوا إلى العراء استقبلتهم تلك الأمطار من الهجرة ، وبذلك أحبط .

٧٥ - ان في هذا الذي نزل بقوم لوط لصلامة بيته تدل على تنفيذ الله وعيده ، يصرفها الذين يتصرفون الأمور ويدركون نتائجها من سماتها . فكل عمل موصوف بالإجرام متمم به ، له مثل هذه النتيجة في الدنيا وفي الآخرة .

٧٦ - وان هذه المدينة آثارها قائمة ثابتة ، وهي واقعة على طريق قائم ثابت يسلكه الناس ويعتبر بها من أراد الاعتبار .

٧٧ - وان في بقائها قائمة على طريق واضح لدليلا على تنفيذ الله تعالى وعيده ، يدركه المؤمنون المذعنون للحق .

٧٨ - ومثل تكذيب قوم لوط ، كتب أصحاب الفيضة العظيمة ذات الفرات رسوهم ، وكانوا ظالمين شديدي الظلم في عقائدكم ومعاملاتهم .

فَاتَّقِمْنَا مِنْهُمْ لِئَلَّا يُرْمَى ۝ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمِرْثَلِ ۝ وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ وَكَانُوا يَحْنُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمَنَا ءَامِنِينَ ۝ فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُصْحِينَ ۝ لَمَّا أَفْخَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۝ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الثَّمَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۝ لَا تَمْلِكُ مِنْكَ إِلَهٌ مَاتَعْنَا بِهِ ءَزْوَاجُ مَنْهُمْ وَلَا تَحْزَنُ عَلَيْهِمْ وَاتَّخِضْ

٧٩ - فأقولنا نقصنا عليهم ، وإن أثارهم بطريق واضح بين يعتبر بهم من ير يديارهم أن كان من أهل الإيمان .

٨٠ - ولقد كذب مثل السابقين أصحاب المجر رسولهم الذي أرسل إليهم . وكانوا لهذا مكذبين كل المرسلين ، لأن رسالة الله واحدة^(١) .

٨١ - بينا لهم الميعج الدالة على قدرتنا ورسالة رسولنا ، فكانوا معرضين عنها لا يفكرون فيها .

٨٢ - وكانوا قوما ذوى منة وعمران ، فكانوا يصنعون بيوتهم في الجبال ومن الجبال ، وكانوا بها مطمئنين على أنفسهم وأموالهم .

٨٣ - فلما كفروا وجحدوا أنهم أصوات مزعجة منكرة بالهلاك ، فاهلكوا في وقت الصباح .

٨٤ - وما دفع عنهم الهلاك الذي نزل بهم ما كانوا يكسبون من أموال ، ويتحصنون به من حصون .

٨٥ - ما أنشأنا السموات والأرض وما بينهما من فضاء : وما فيها من أناس وحیوان ونبات وجماد ، وغيرهم مما يعلمه البشر ، إلا بالعدل والحكمة والصلاح الذي لا يتفق معه استمرار الفساد وعدم نهايته ، ولذا كان اليوم الذي يكون فيه انتهاء الشر أنيا لا محالة ، واصفح أيها النبي الكريم عن المشركين بالنسبة للعقاب الدنيوى ، وعاملهم بالصبر على أذاهم ، والدعوة بالحكمة معاملة الصنفوح الخليم .

٨٦ - أن الله الذي خلقه أيها النبي ورباك ، هو الكثير الخلق ، العلم بمالك ورحالم ، فهو حقيق بأن نكل إليه أمرك وأمرهم ، وهو الذي يعلم الأصلح لك ولهم .

٨٧ - ولقد آتيناك ، أيها النبي الأمين ، سبع آيات من القرآن ، هي الفالقة التي تكررها في كل صلاة ، وفيها الضراعة لنا ، وكال طلب الهداية ، وأعطيناك القرآن العظيم كله ، وفيه الحجة والإعجاز ، فأنت بهذا القوى الذي يجبر منه الصنف .

(١) أصحاب المجر هم فرد ، والمجر ولد بين المدينة والنام .
انظر التلطي الطلى على الآية رقم ٧٣ من سورة الأعراف .

جَنَاحَكَ لِمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ
 حِزْبِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْطَنَّهُمْ أَجْمِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ

٨٨ - لا تنظر أيها الرسول نظرة تمن ورغبة إلى ما أعطيناك من متع الدنيا أصنافا من الكفار المشركين واليهود
 والنصارى والمجوس ، فانه مستصغر بالنسبة لما أوتيته من كمال الاتصال بنا ومن القرآن العظيم ، ولا تحزن عليهم
 بسبب استمرارهم على غيهم وتظلمن وتواضع ، وارقن بالذين معك من المؤمنين ، فلنهم قوة الحق وأهل الله .
 ٨٩ - وقل أيها النبي ، للجاحدين جميعا : افي أنا المنذر لكم بهذاي الشديد ، والمبين انذارى بالأدلة القاطعة
 المعجزة .

٩٠ - وان هذا مثل انذار أولئك الذين قسموا القرآن إلى شعر وكهانة وأساطير وغيرها ، ولم يؤمنوا به مع قيام
 الحجة عليهم .

٩١ - الذين جعلوا القرآن بهذا التقسيم قطعا متفرقة ، وهو كل لا يقبل التجزئة في اعجازه وصدقه .

٩٢ - وإذا كانت تلك حالهم ، فوالذي خلقك وحفظك وربك لنحاسينهم أجمعين يوم القيامة .

٩٣ - على أعمالهم من إثناء وجوده واستنزاه .

٩٤ - فاجهر بدعوة الحق ولا تلتفت إلى ما يضلله المشركون ويقولونه .

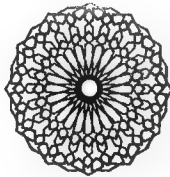
٩٥ - وان أولئك المشركين ، الذين يسخرون من دعوتك ، لن يتمكنوا منك ولن يستطيعوا أن يحولوا بينك
 وبين دعوتك .

٩٦ - أولئك المشركون قد ضعفت مداركهم فجعلوا مع الله آلهة أخرى من الأوثان ، وسوف يطمون نتائج
 شركهم حين يزل بهم العذاب الأليم .



نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ
يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

- ٩٧ - وأنا لنعلم ما يصيبك من ضيق وألم نفسي يا يقولونه من ألفاظ الشرك والاستهزاء والاستهانة .
٩٨ - فإذا أصابك ذلك الضيق فافزع إلى الله تعالى واتجه إليه ، وكن من الخاضعين الضارعين إليه ، واستعن
بالصلاة فلن فيها الشفاء .
٩٩ - والتزم عبادة الله الذي خلقك وهو حافظك : حتى يأتي الأمر المستيقن . وهو يوم القيامة والمعاد .



(١٦) سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَأَسْأَلُكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ

هذه السورة مكية ، ما عدا الآيات الثلاث الأخيرة منها فأتيا مدنية . وعدد آياتها ثمان وعشرون ومائة . ابتدأت السورة الكريمة بتأكيد وعيد الله تعالى للمشركين ، وبيان قدرته سبحانه وتعالى على تنفيذه . بدليل خلقه السموات والأرض . ثم بيان نعمه على الناس كافة بخلقهم الإبل ، وإنباته الزرع ، وما خلق في البحر من أملاك تؤكل ، وجواهر الزينة . ثم أشار إلى ما تستوجب هذه النعم من شكره سبحانه ، ووجوب عبادته وحده ، واستقبال المشركين للدعوة إلى الوحدة ، واقتراثهم على القرآن الكريم ، وادعاء أنه من أساطير الأولين . ثم أشار سبحانه إلى عذاب المشركين يوم القيامة ، ونعيم المؤمنين ، ثم ذكر سبحانه انكار المشركين للبعث ولهاجتهم في الإنكار ، ويستنكر سبحانه جهودهم ببيان قدرتهم ، ويؤكد وعده للمتقين ووعيده لهم . ثم يقرب البعث ببيان قدرته عليهم ، وخضوع الوجود كله له سبحانه ، وبيان أنه سبحانه هو الذي يكشف ، وبيان خرافات المشركين في اعتقادهم القدرة فيمن لا يملك نفعا ولا ضرا ، وسوء رأيهم في المرأة طفلة وامرأة . وأشار سبحانه إلى الرسل السابقين وساق سبحانه المعبر في خلقه وتكوينه للأشياء وما فيها من نعم للإنسان ، وتفاوت الأرزاق من أن يكون للشيء فضل على الفقير ، ونعمه على الإنسان في خلقه ذكرا أو أنثى والأنسال بالزواج منها . وأخذ يضرب سبحانه الأمثال لبيان قدرته . ثم وجه الأنظار إلى عظم المخلوقات الدالة على عظمة الخالق وفائض نعمه ، ومقابلة المشركين هذه النعم الجليلة . وبعد أن بين مطالب الإسلام في العدل وصلة الرحم بالهدى واعجاز القرآن ، وكفر المشركين به واقتراثهم عليه . أشار سبحانه إلى حال المشركين يوم القيامة . وبين كيف كانوا يحلون ويحرمون من غير حجة ، وأسار إلى اليهود الذين يقاربون المشركين ، وبين أنه يجب ألا يعاقبوا إلا بالمثل وأن على المؤمنين أن يصبروا وأن يلتزموا التقوى والإحسان .

١ - تأكدوا أيها المشركون أن ما توعدهم الله به يوم القيامة واقع قريب الوقوع لا شك فيه ، فلا تستعجلوا باستعمال وقوعه ، تنزه الله عن أن يكون له شريك يعبد من دونه ، وعما تشركون به من آله لا تقدر على شيء .

مَنْ يَسْأَلْ مِنْ عِبَادِي أَنْ أَدِينُوا اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٣﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا نَفْعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٤﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٥﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِتِلْكَ مِنْهَا لَبَيْقًا وَلَا تَحْمِلُونَهَا إِنْ لَمْ تُكْرَهُوا وَفَرِحِمَ ﴿٦﴾ وَأَنْحَلِيلَ وَالْإِبَالِ وَالْحَمِيرَ لَكُمْ كَيْدٌ وَزِينَةٌ وَيَخْتَلِفُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَسْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

٢ - ينزل الملائكة بما يحیی القلوب من وحيه على من يختاره للرسالة من عباده، ليعلموا الناس أنه لا إله بعد الحق إلا أنا. فابتعدوا عما يفضي ويعرضكم للذاب، والتزموا الطاعات لتكون وقاية لكم من العذاب.

٣ - خلق السموات والأرض بمقتضى الحكمة، تنزه الله عن أن يكون له شريك يتصرف في شيء من ملكه، أو يستحق أن يعبد مثله.

٤ - خلق كل فرد من أفراد الإنسان من مادة سائلة لا تماسك فيها وهي النطفة، فإذا به إنسان قوى مجادل عن نفسه، مكافح لمصومه، مبين لحجته.

٥ - وقد تفضل الله عليكم أيها العباد، فخلق لكم الإبل والبقر والغنم والمعز لتتخذوا من أوصافها وأوبارها وأشعارها ما تستدفئون به، ومن لحمها تأكلون ما يحفظ حياتكم.

٦ - ولكم فيها هجة وسرور، حين ترونها راجعة من مراعيها ملأى البطون والضروع، وحين تنهين إلى الحقول المراعى تسرع الخطأ إلى غنائها.

٧ - وتحمل أمتعتكم الثقيلة إلى بلد لم تكونوا مستطيعين الوصول إليه بدونها إلا بتحميل أنفسكم أعضي جهدها ومشقتها.. إن ربكم الذي هيا ذلك لراحتكم لتشديد الرأفة بكم، واسع الرحمة لكم.

٨ - وخلق لكم الحيل والبغال والحمير لتركبوها، فتتخذوا منها زينة تدخل السرور على قلوبكم، وسيخلق ما لا تعلمون من وسائل الركوب وقطع المسافات، مما سخره الله لئلي الإنسان، إذا استخدم عقله وفكر به واهتمى إلى استخدام كل القوى.

٩ - وعلى الله بمقتضى فضله ورحمته أن يبين لكم الطريق المستقيم الذي يوصلكم إلى الخير. ومن الطريق ما هو مائل منحرف لا يوصل إلى الحق، ولو شاء هدايتكم جميعا لهداكم وحكمكم على الطريق المستقيم، ولكنه خلق لكم عقولا تترك، وإرادة توجه. وترككم لاختياركم.

لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ يَجْرِي فِيهِ سِيمُونُ ١٠ بَنَيْتُ لَكُمْ فِي الزَّرْعِ وَالزَّيْتُونِ وَالنَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١١ وَيَخْرُجُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْحُورَاتٍ مُبَاهِرَةً
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ
 يَذْكُرُونَ ١٣ وَهُوَ الَّذِي يَخْرِجُ الْبَحْرَ لَنَا كُلًّا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَنُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّاءَ تَلْبَسُوهَا وَنَرَى الْفُلْكَ
 مَوَازِيْرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٤ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوًى أَنْ يَمَيْدَ بَكَرَ وَأُنْثَرًا وَسُبُلًا

١٠ - هو الذي أنزل من جهة السماء ماء لكم منه شراب ، وبعضه بنيت من الشجر ، وفي هذا الشجر
 ترسلون أنعامكم لتأكل منه ، وتقديم باللين واللحوم ، والأصواف والأوبار والأشعار .

١١ - بنيت لكم بالماه الذي ينزل من السماء الزرع الذي يخرج منه الحبوب والزيتون والنخيل والأعنان ،
 وغيرها من كل أنواع الثمرات التي تأكلونها غير ما ذكر ، ان في إيجاد هذه الأشياء لعلامة هادية لقوم ينتفعون بمفهوم
 ويعفرون في القدره التي أوجدتها .

١٢ - وسخر لكم الليل إذ جعله مهياً لراحتكم ، والنهار إذ جعله مناسباً لسعيكم وحركتكم وأعمالكم ،
 والشمس إذ تقدمكم بالدفء والضوء ، والقمر لتعرفوا به عدد السنين والحساب ، والنجوم مسخرات بأمر الله تهتدوا
 بها في الظلمات ، ان في ذلك لعلامات وأدلة لقوم ينتفعون بما وهبهم الله من عقل يدرك .

١٣ - وبحور ما خلقه لكم في السماء ، وهباً لمنافعكم ، خلق لكم على سطح الأرض كثيراً من أنواع الحيوان
 والنبات والجهاد ، وجعل في جوفها كثيراً من المصائد المختلفة الألوان والأشكال والخواص ، وجعل كل ذلك
 لمنافعكم . ان في ذلك كله لأدلة واضحة كثيرة لقوم يتدبرون فيها فينظرون ، ويعرفون من خلالها قدرة خالقهم
 ورحمته بهم .

١٤ - وهو الذي ذلل البحر وجعله في خدمتكم ، لتصطادوا ولتأكلوا منه لحم الأسماك طرياً طازجاً ،
 وتستخرجوا منه ما تتحلون به كالرجان واللؤلؤ . وترى أيها الناظر المتأمل السفن تجري فيه شاقة مياهه تحمل
 الأمتعة والأثوات . سخره الله لذلك لتتفعوا بما فيه وتطلبوا من فضل الله الرزق عن طريق التجارة وغيرها .
 ولتشكروه على ما هبها لكم ، وذلك لحمتكم .

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمْنَا وِفَاةَ النِّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرِ أَحْيَاءٍ وَمَا يَسْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْهَ اللَّهُ عَنِ الْفَاسِقِ لَأَيُّمُنُ رَأْسًا يَلْمِزُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْخَبَرَةَ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَاجِرٌ أَنْ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٢٣﴾



١٥ - وجعل الله في الأرض جيالا نابتة تحفظها أن تضطرب، وجعل فيها أنهارا تجري فيها المياه الصالحة للشرب والزرع، وطرقا مهيأة لتتهدوا بها في السير إلى مقاصدكم.

١٦ - وجعل علامات ترشد الناس في أثناء سيرهم في الأرض، وهم في ذلك يسترشدون في أثناء سيرهم بالنجوم التي أودعها السماء إذا غابت عليهم السبل والتبست معالم الطرق^(١).

١٧ - هل يستوى في نظر العقل السليم التسوية بين القادر والم عاجز فيجعل من يخلق هذه الأسماء كمن لا يستطيع خلق أى شيء؟ أنعمون أيها المشركون عن آثار قدرة الله. فلا تعجبوا وتشكروا عليها الله؟

١٨ - وإن تحاولوا عد أنعم الله عليكم لا يكتكم احصاؤها، إن الله كثير المفضرة واسع الرحمة، فتوبوا إليه وأخلصوا العبادة له، يخفر لكم ويرحمكم.

١٩ - والله يدرك بعلمه الشامل ما تخفون، وما تظهرون، لا يخفى عليه شيء من سرهم وجهركم.

٢٠ - هذا الخالق الممتم العالم بكل شيء، هو وحده المستحق للعبادة، أما الأصنام التي تعبدونها، فهي عاجزة لا تستطيع أن تخلق شيئا، ولو كان ذبابا.. بل هي نفسها مخلوقة وبها صنعتوها بأيديكم.

٢١ - وهي مجادات ميتة لا حس لها ولا حركة، ولا تدرى متى تكون القيامة والبعث لعابديها، فلا يليق بكم أيها الضالاء بعد هذا أن تظنوا أنها تنفعكم فتشركوها مع الله في العبادة.

٢٢ - وقد وضع بكل هذه الدلائل أن الحكم الذي يجب أن تعبدوا وحده إله واحد لا شريك له، ومع ذلك فالذين لا يؤمنون بالبعث والخصاب قلوبهم منكرة لوحداثيته منهم الاستكبار عن اتباع الحق والخضوع له.

(١) انظر التطبيق العلمي على الآية ٩٧ من سورة الأنعام.

لَهُ لَا يَجِبُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا اسْتَطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَحِمْلِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ يَغِيرُ عَلَيْهِمْ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّى اللَّهُ يُبَيِّنُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَمَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُسَلِّقُونَ فِيهِمْ قَالِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمِ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا لَوْلَا السَّلَامُ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ

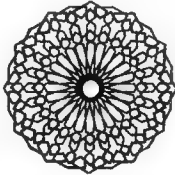
٢٣ - لا شك أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، من عقائد وأقوال وأفعال ، وسبحاسبحهم على كل ذلك ، ويماقبهم على استكبارهم ، لأنه سبحانه لا يجب المستكبرين عن معاج الحق والخضوع له .

٢٤ - وإذا سئل هؤلاء الكفار المستكبرين : أى شيء أنزله ربكم على محمد ؟ قالوا فى عناد : هذا الذى يزعم أن الله أنزله عليه ما هو إلا أباطيل وخرافات سطرها السابقون فقتلها وصار يرددها .

٢٥ - قالوا ذلك ، ليعصوا الناس عن اتباع رسول الله ، لتكون عاقبة أمرهم أنهم يعضدون يوم القيامة عذاب ضلالتهم كاملا ، وعذاب بعض الناس الذين خدعواهم وغرروا بهم حتى ضلوا دون علم أو بحث ! . تنبه أيها السامع لتج ما ارتكب هؤلاء من ذنوب ما أشد عقابهم عليها !

٢٦ - وقد سبق هؤلاء الكافرين التكبرين أمثالهم ، دبروا المكاييد لأنبيائهم ، واحتالوا فى اضلال الناس فأبطل الله كيدهم ، ودمر بلادهم ونزل بهم عذاب النار فى الدنيا من حيث لا يتوقعون !

٢٧ - ثم فى الآخرة حيث يبعث الناس ويحاسبون على أعمالهم ، ويوقفهم الله موقف الخزي والعار ، حين يفضحهم ويظهر ما كانت تخفيه صدورهم . ويقول لهم : أين هؤلاء الذين اتخضقوهم شركاء لى فى العبادة ؟ وكنتم تحاربونى ورسلى فى سبيلهم ؟ أين هم حتى يدوا لكم اللون كما كنتم تزعمون ، فلا يستطيعون جوابا ! وحينئذ يقول الذين يعلمون الحق من الأنبياء والمؤمنين والملائكة ان الخزي اليوم والعذاب المسىء واتعان على الجاحدين .



بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَافِئِينَ فِيهَا فليَنسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾
 * وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلِأُولَ الْأَعْرَافِ خَيْرٌ
 وَلَنِعَمَ دَارَ الْمُتَقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ
 الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ
 يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ

٢٨ - الخزي على الكافرين الذين استمروا على كفرهم حتى قبضت الملائكة أرواحهم . وهم ظالمون لأنفسهم
 بالشرك وبارتكاب سوء ، واستسلموا بعد طول العناد إذ علموا حقيقة جرهم ، وقالوا كذبا من شدة دهشتهم ؛
 ما كنا في الدنيا نعمل شيئا من المصالح ! .. فتقول لهم الملائكة والأنبياء : كلا انكم كاذبون ، وقد ارتكبتم أفعال
 المصالح ، والله سبحانه محيط بكل صغيرة وكبيرة مما كنتم تعملونه في دنياكم ، فلا يفيدكم انكاركم !

٢٩ - ويقال لهم بعد ذلك ، ما كنتم تدخلون النار والعذاب فيها عذبا مؤبدا لا ينقطع ، وقبحت جهنم دارا
 ومقاما لكل متكبر على الانقياد إلى الحق والایمان بالله ورسله .

٣٠ - وقيل للذين آمنوا بالله واتقوا ما يفضيه من قول أو فعل أو عقيدة ما الذي أنزله ربكم على رسوله ؟
 قالوا : أنزل عليه القرآن .. فيه خير الدنيا والآخرة للناس جميعا ، فكانوا بذلك من المحسنين . والله سبحانه يكافئهم
 المحسنين بمحبة طيبة في هذه الحياة الدنيا ، ويكافئهم في الآخرة بما هو خير وأحسن مما نالوه في الدنيا . ولنعم الدار
 التي يقيم فيها المتقون في الآخرة .

٣١ - وهي جنات ثابتة للقامة ، تجري من تحت قصورها وأنهارها الأنهار ، لهم فيها ما يشامون من النعم ،
 ومثل هذا الجزاء الحسن ، يجزي الله كل المتقين الذين آمنوا به ، واتقوا ما يفضيه ، وأحسنوا عملهم .

٣٢ - وهم الذين تقبض أرواحهم الملائكة ، وهم طاهرون من دنس الشرك والمصالح ، وتقول الملائكة طمينا
 لهم : أمان من الله لكم ، فلا يصيبكم بعد اليوم مكروه ، وأبشروا بالجنة تدخلونها بسبب ما قدمتم من أعمال صالحة
 في دنياكم .

كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ سَبُّهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدًى مِنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا

٣٣ - هؤلاء هم المتفون الذين استبدوا لآخرتهم، وذلك جزاؤهم، أما المشركون، فإنهم بعنادهم ويقائهم على شركهم، لا ينتظرون إلا اللاتكة تقبض أرواحهم، وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك وعمل الشر، وبأنهم عذاب ربك بإعلاكم جميعا. ومثل ما فعل هؤلاء الكفار المماندون، فعل الذين سبقوهم في ذلك مع أنبيائهم فمماقيم الله على فعلهم، ولم يكن ظالما لهم حين عاقبهم، ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم حين عرضوها لعذاب الله بكفرهم.

٣٤ - فأصابهم جزاء ما عملوا من سيئات، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا ينكرونه ويستهزئون به.

٣٥ - وقال الذين أشركوا عنادا ومخالفة: لو شاء الله أن نعبد وحده ونطيعه فما بأس به لا عبادنا غيره، ولما حرمتنا من عندنا ما لم يحرمه، كالبهيرة والسائبة وهي حجة باطلة يستندون عليها في كفرهم. وقد احتج بها من سبقوهم من الكفار، بعد ما أرسلنا إليهم رسلا، فأمرهم بالتوحيد وطاعة الله، ونهوه عن الشرك وعن تحريم ما لم يحرمه الله، فقامت عليهم الحجة، وأدى رسلا ما أمرناهم بتبليغه، وعلينا نحن حسابهم، وليس على الرسل شيء بعد ذلك.

٣٦ - ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ليقول لهم: اعبدوا الله وحده. واجتنبوا كل طاعة مفسدة، فبلفهم وأرسلهم: ففريق استمع إلى الإرشاد وتقبله، فهداه الله بحسن استعداده إلى الطريق المستقيم، وفريق أعرض عن صماع الحق فنحن. عليه أن يسير في الطريق المنحرف عن الصواب، فأنزل الله به العذاب. وإذا كنتم في شك من هذا يا مشركي مكة، فسيروا في الأرض، قريبا منكم، فانظروا وتأملوا كيف حل بالكَذِبِينَ، من عاد ولمود وقوم لوط، عذاب الله؟ وكيف كانت عاقبة أمرهم خسارنا وهلاكنا؟

٣٧ - إن تكن حريصا أيها النبي على هداية المشركين من قومك، باذلا معهم أقصى ما في جهدك، فلا تهلك نفسك حزنا إذا لم يتحقق ما تريد، فقد تحكمت فيهم الشهوات، والله لا يجير على الهداية من اختاروا الضلال وقسكوا به لأنه يتركهم لما اختاروا لأنفسهم، وسيلقون جزاءهم عذابا عظيما، ولا يجدون لهم يوم القيامة من ينصرهم ويصحبهم من عذاب الله.

يَا إِلَهَ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ مَيُوتَ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَفُونَ فِيهِ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَابُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْبُتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَفَعَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ وَالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

٣٨ - وقد أضاف المشركون إلى شركهم بالله انكارهم ليوم القيامة ، فأقسموا بالله غاية طاعتهم في القسم ، وأكدوا أن الله لا يبعث من يموت ! وهم كاذبين في قسمهم ، وسيبئهم الله جميعا ، لأنه أخذ العهد على نفسه بذلك ، ولن يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس من الكفار لا يعلمون حكمة الله في خلق هذا العالم وأنه لم يخلق عبثا ، ولا عن حساب في الآخرة وبجائزته .

٣٩ - وإن من عدل الله في خلقه أن يبعثهم جميعا بعد موتهم ، فيظهر لهم حقائق الأمور التي اختلفوا فيها ، ليعلم المؤمنون أنهم على حق ، ويعلم الكافرون أنهم كانوا مخطئين في انقيادهم شركاء الله ، كاذبين في قسمهم أن الله لا يبعث من يموت ، وليلق كل من الفريقين جزاءه على علم به وبأسبابه .

٤٠ - وليس بعث الناس يوم القيامة بمسير علينا حتى يستبدع هؤلاء الكفار ، لأننا إذا أردنا شيئا لا يحتاج إيجاده إلا أن نقول له : كن ، فيكون كما نريد .

٤١ - والمؤمنون الذين هاجروا من ديارهم لوجه الله تعالى ، وإخلاصا لعقيدتهم ، من بعد ما وقع عليهم الظلم والعذاب من المشركين ، لنرضيهم في الدنيا على إخلاصهم واحترامهم للعداب ، حياة طيبة حسنة لا تأتي إلا بالجهاد ، وسيكون أجرهم يوم القيامة أكبر ، ونعيمهم في الجنة أعظم ، لو كان الصالحون لهم يعلمون ذلك لما ظلموهم وظلموا أنفسهم . .

٤٢ - وهؤلاء المهاجرون هم الذين صبروا على ما تحمله من عذاب في سبيل عقيدتهم ، وفوضوا أمرهم إلى الله وحده ، غير مبايئين بما سواه ، ومن أجل هذا أحسنا لهم الجزاء .

٤٣ - وما أرسلنا إلى الأمم السابقة قبل إرسالك إلى أمك أيها النبي ، إلا رجالا نوحى إليهم بما نريد تبليغه لهم ، ولم نرسل ملائكة كما يريد كفار قومك . فاسألوا أيها الكافرون أهل العلم بالكتب السماوية ، إن كنتم لا تعلمون ذلك ، فستعرفون أن رسل الله جميعا ما كانوا إلا رجالا لا ملائكة .

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَحْسَفَ اللَّهُ بِهِمْ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيمٍ قَالُوا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكَ لَكَرِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَيَنْفَعُوا ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَبِيرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾

٤٤ - وقد أبدنا هؤلاء الرسل بالمعجزات والدلائل البينة لصدقهم، وأنزلنا عليهم الكتب تبين لهم شرعهم الذي فيه مصلحتهم، وأنزلنا إليك أيها النبي القرآن لتبين للناس ما اشتمل عليه من العقائد والأحكام، وتدعوهم إلى التدرج فيه، رجاء أن يتدبروا فيصطوبوا ويستقيم أمرهم.

٤٥ - فكيف يصح بعد كل هذا أن يتدبر المشركون في عنادهم، ويدبروا المكاييد للرسول؟ هل أغراهم حلم الله بهم، فاعتقدوا أنهم في مأمن من عذاب الله، فلا يحسف بهم الأرض كما فعل بقارون؟ أو أتتهم العذاب فجأة بصاعقة كما فعل بسمود وهم لا يدرون أين نزل!

٤٦ - أو يحلّهم في أثناء تنقلهم في الأرض للتجارة ببيدين عن مساكنهم فلا يستطيعون الإفلات من عقاب الله، لأنه لا يعجزه شيء يريد.

٤٧ - أو ينزل بهم العذاب في أنفسهم وأموالهم وبيوتهم وروبتهم، وهم في كل لحظة في عذاب من الخوف منه والقراب لوقوعه، فلا يتدبروا أيها المشركون وتفقروا بتأخير عقوبتكم، فقد اقتضت رافة الله الشاملة ورحمته الواسعة ألا يعاجلكم بالمعقوبة في الدنيا، كي تتفكروا وتتدبروا لأنه سبحانه وموف رحيم..

٤٨ - أغفل هؤلاء الكفار عن آيات الله حولهم، ولم ينظروا ويتدبروا فيما خلقه الله من الأشياء القالقة، تنتقل ظلالها، وتنتد تارة بيننا وتارة شمالا، نابعة في ذلك حركة الشمس نهارا والقمر ليلا، وكل ذلك خاضع لأمر الله، متقاد لأحكام تدبره، لو تدبر المشركون هذا، لعلوا أن خالقه ومدبره هو وحده المستحق للعبادة والخضوع، القادر على اهلاكلهم لو أراد.

٤٩ - لله وحده - لا لغيره - يخضع وينقاد جميع ما خلقه في السموات وما دب على الأرض ومشي على ظهرها من مخلوقات، وفي مقدمتهم الملائكة يخضعون له ولا يستكبرون عن طاعته^(١).

(١) تسبق هذه الآية ركب العلم في تعبير وجود أمعاء تدب على بعض الكواكب في مجمرتنا الشمسية أو خارج نطاقها، وهذا ما يحاول العلم الآن الوصول إلى حقيقته.

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوِّهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَّبُوا إِلَٰهَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهُكُمْ وَرَحْمَتُهُ
 فَلِئَلَّيْكُمْ قَارِعُونَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّنْ
 تَعْمَلُونَ لِنَافِعٍ أَفَمِنْ أَشْرِكِكُم مَّا تَدْعُونَ إِلَهُاتِكُمْ إِنَّمَا أَفْكُم مِّثْقَالُ الذَّرَّةِ أَفَنتَعَمُونَ وَاغْفِرُوا لَكُمْ
 أَسْمَاءُ إِنَّكُمْ لَعِنَائُنَا سَاءَ مَعْرُوفُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُفِّرُوا بَعَدُ اللَّهِ أَفَكُم مِّنْ أَشْرِكِكُم مَّا كَانَتْ تَأْتِيكُمُ
 الْمُنَافِقَةُ يُؤْمِرُونَ بِمَا يَتَّبِعُونَ وَلَهُ تُجِيبُونَ ﴿٥٤﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَفْعَلُونَ نَصِيبًا مِّمَّا
 رَزَقْنَاهُمْ ذَرْعًا لَّهُمْ قُلْ لِّمَن لَّهُ الْغَنَاءُ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ
 جُلُودًا مَّا بَدَا لَهُمْ مِنْ دَرَجَةٍ مِّنَ الْمَلٰٓئِكَةِ فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي هِيَئَةٍ مَّا يَدْعَوْنَهُمْ قُلْ أَتَدْعُونَهُمْ
 لِئَلَّا يَكْفُرَ بَدْعُهُمْ إِنَّمَا يَكْفُرُ الْبَشَرُ خُلِقَ الْإِنسَانُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْيَوْمَ الدَّجْرُ ﴿٥٦﴾

٥٠ - وحالهم أنهم دائماً على خوف من ربهم القادر القاهر، يفعلون ما يأمرهم به .

٥١ - وقال الله : لا تتبدوا اثنين ، وتعملوها اثنين ، لأن الشراكة في العبادة تنافي وحدانية الخالق والتكون ،
 إنما المبود بحق إله واحد ، فخالقون ولا تخافوا غيري .

٥٢ - وله وحده ما في السموات والأرض خلقا ، وملكا وعبدا . فحقه دين غيره أن يعبد ويحمد ، ويضع له
 وترجى رحمته ويخاف عذابه .

٥٣ - وأي شيء جاءكم من النعم فهو من الله وحده ، ثم إذا لحقكم ما يضركم فلا تتضرعوا بأعلى أصواتكم
 إلا إليه .

٥٤ - ثم إذا استجاب لدعائكم ورفع ذلك الضر عنكم ، نسي بفضلكم حق الله عليه من التوحيد وإخلاص
 العبادة له ، فيشركون بمخالفتهم ومريمهم ويعبدون معه غيره .

٥٥ - ذلك يحدث منهم لتكون عاقبة أمرهم انكار فضلنا على ما أعطيناهم فتمتموا أيها الكافرون بما لا تؤمنون
 حق شكره ، فسوف تعلمون عاقبة الكفر .

٥٦ - ويحصل المشركون لأولادهم ، التي يسمونها بغير علم آلهة ، نعتيا بتقريبهم به إليها ، من الرزق الذي
 أعطيناهم إياه من الحارث والأنعام وغيرها لأسألكم وعزق ، أي المشركون ، عما كنتم تختلفونه من الكذب وتفترونه
 من الباطل ، وأجازيكم عليه .

٥٧ - ويعملون لله ما يكرهون ، فيزعمون أن الملائكة بنات ، ويعبدونها تنزه الله عن ذلك ! ويعبدون لأنفسهم
 ما يحبون ، وهم الذكور من الأولاد .

أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِٗٓ أَيَسْكُرُ عَلَىٰ
 هُرْنٍ أَمْ يَدْسُرُ فِي الثَّرَابِ ﴿٥٩﴾ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦٠﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ السَّوِّ وَفِيهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦١﴾ وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَنِّهَهُمْ إِلَهُ أَجَلٍ مُّسَمًّى
 فَلَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦٢﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ السَّبَّابَةُ الْكُذْبَ أَنَّ
 هُمُ الْحَسَنُ لَا يَحْمُ أَنَّهُمْ النَّارُ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٣﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرِيقٌ هُمُ الشَّيْطَانُ

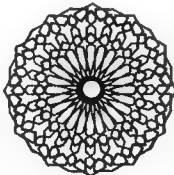
٥٨ - وهم إذا خبر أحدهم بأنه ولدت له أنثى، صار وجهه مسودا من الحزن وهو ملوه غيظا يكظمه.

٥٩ - يجارل الاخفاء عن أمين الناس، لئلا يروا كآبته من الألم الذي أصابه من وجود المولود الذي أخبروه به، وتستولى عليه حيرة: أيقبه حيا مع ما يلحقه من الهوان على ذلك في زعمه؟ أم يدفنه في التراب وهو حي حتى يموت تحته؟ تنبه أيا السامع لفظاعة عمل هؤلاء ألا قبح حكمهم الذي ينسبون فيه لله ما يكرهون أن ينسب إلى أنفسهم.

٦٠ - للذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من نواب وعقاب الحال التي تسوء، وهي الحاجة إلى الأولاد الذكور وكرامة الاناث، والله الصفة العليا، وهو الغنى عن كل شيء، فلا يحتاج إلى الولد، وهو الغالب القسوى الذي لا يحتاج إلى معين.

٦١ - ولو يجعل الله عقاب الناس بما ارتكبوا من ظلم، ما ترك على ظهر الأرض دابة، ولكنه يجعله وحشته يؤخر الظالمين إلى وقت عينه، وهو وقت انتهاء أجلهم، فلذا جاء هذا الوقت لا يتأخرون عنه لحظة كما لا يتقدمون عليه لحظة.

٦٢ - وينسب المشركون إلى الله ما يكرهون أن ينسب إليهم من البنات والشركة، وتنطق ألسنتهم الكذب إذ يزعمون مع ذلك أنهم، كما أن لهم في الدنيا الغنى والسلطان، هم عند الله العاقبة الحسنى، ان يهتوا، وهي الجنة ١. لاشك أن هم النار، وأنهم مسوقون إليها قبل غيرهم.



اعملهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم ﴿٦٣﴾ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴿٦٤﴾ والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون ﴿٦٥﴾ وإن لكر في الآتيم لعمرة فتعجبكم بما في بطونهم من بين قسرت ودر لبنا خالصا سائغا للشربين ﴿٦٦﴾ ومن حمزت النخيل والأعناب تتخلون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴿٦٧﴾ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون ﴿٦٨﴾ ثم كلى من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفا للناس إن في ذلك

٦٣ - تأكد أيها النبي اننا أرسلنا رسلا إلى أمم من قبلك يثل ما أرسلناك به إلى الناس جميعا ، فحسن لهم الشيطان الكفر والشرك والمعاصي فكذبوا رسلم ، وعصوم ، وصدقوا الشيطان وأطاعوه ، فهو متولى أمورهم في الدنيا يزين لهم ما يضرهم ، ولهم في الآخرة عذاب شديد الأليم .

٦٤ - وما أنزلنا عليك القرآن إلا لتبين به للناس الحق فإيا كان موضع خلافهم من الدين ، وليكون هداية تامة ورحمة عامة لقوم يؤمنون بالله وبالكتاب الذي أنزله .

٦٥ - والله أنزل من السماء ماء يجعله السحاب ، فجعل الأرض منبتة فيها حياة . بعد أن كانت قاحلة لا حياة فيها . إن في ذلك لدليلا واضحا على وجود مدير حكيم^(١) .

٦٦ - وإن لكم أيها الناس في الابل والبقر والهنم لموعظة تفترون بها وتتفكرون في هداها من الجهل إلى العلم بالصانع المبدع الحكيم ، ونستفيكم من بعض ما في بطونها من بين فضلات الطعام والدم لبنا صافيا لذيذا سهلا التناول للشاربين^(٢) .

٦٧ - ومن ثمرات النخيل والأعناب التي أنصنا بها عليكم ومكتاكم منها تتخذون عصرا سكرنا غير حسن ، وطعاما طيبا حسنا ، إن في ذلك لعلامة دالة على القدرة والرحمة لقوم ينتفعون بعقولهم .

٦٨ - ولهم ربك ، أيها النبي ، النحل أسباب حياتها ، ومساكن معيشتها ، بأن تتخذ من الجبال بيوتا في كهوفها ، ومن فجوات الشجر ، ومن عرائش النازل والكروم بيوتا كذلك .

(١) يؤول الماء من السماء إلى الأرض ليذيب عناصرها التي تقصها النباتات وتحول إلى خلايا حية وأنسجة .

(٢) توجد في ضروع اللبنة غدد خاصة لإفراز اللبن فعدا الأوعية الشريانية بمجلاصة مكونة من الدم ، والكليوز ، وهو خلاصة الغذاء المهضوم ، وكلاهما غير مستساغ طبا ، ثم تقوم الغدد اللبنية باستخلاص العناصر اللازمة لتكوين اللبن من هذين السائلين : الدم والكليوز ، وتفرز عليهما عصارات خاصة تحيلهما إلى لبن يختلف في لونه ومذاقه اختلافا تاما عن كل منها .

لَا يَبْتَغُونَ شَيْئًا ۖ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّكُمْ عَنْكُمْ مِنْ رِزْقِهِ ۚ إِنَّكَ لَهُ لَرَّءُومٌ ۝ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ قُلِ الَّذِينَ يُضِلُّوا رَأْيِي رِزْقِيهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفْنِئِمَةٌ أَوْ كَيْدٌ ۖ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَنَحْوَةً ۚ وَرِزْقُكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَشْكُرُونَ ۝

٦٩ - ثم هداهما، سبحانه، للأكل من كل ثمرات الشجر والنبات، وسهل لها أن تسلك لذلك طرقا هياها لها رجا مذللة سهلة، فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، ان في ذلك الصنع العجيب لأدلة قوية على وجود صانع قادر حكيم، يستفاد بها قوم يستعملون عقولهم بالتأمل فيفوزون بالسعادة الدائمة^(١).

٧٠ - والله خلقكم، وقدر لكم أجيالا مختلفة، منكم من يتوفاه مبكرا، ومنكم من يبلغ أذل العمر فيرجع بذلك إلى حال الضعف، إذ تأخذ حيويته في الضعف التدريجي، فيقل نشاط الخلايا وتبين العظام والمضلات والأعصاب فتكنن عاقبته أن يفقد كل ما عليه. ان الله علم بأسرار خلقه، قادر على تنفيذ ما يريد.

٧١ - والله فضل بعضكم على بعض في الرزق، فجعل رزق السيد المالك أفضل من رزق مملوكه، فاما الذين كثر رزقهم من السادة يطمعن نصف رزقهم لعبيدهم المملوكين لهم، حتى يصيروا مشاركين لهم في الرزق على حد المساواة. وإذا كان هؤلاء الكفار لا يرضون أن يشاركهم عبيدهم في الرزق الذي جاء من عند الله، مع أنهم بشر مثلهم، فكيف يرضون أن يشاركوا مع الله بعض مخلوقاته فيا لا يليق إلا به تعالى، وهو استحقاق العبادة ؟ فهل تستمر بعد كل هذا بصائر هؤلاء المشركين مطموئنة، فيجعلوا نعمة الله عليهم بإشراكهم معه غيره.

٧٢ - والله جعل لكم من جنس أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل لكم من أزواجكم بنين وأبناء بنين، ورزقكم ما أباحه لكم بما طيب به نفوسكم أبعد ذلك يشرك به بعض الناس، فيؤمنون بالباطل، ويجعلون نعمة الله المشاهدة، وهي التي تستحق منهم الشكر، وإخلاص العبادة لله^(٢).

(١) يتركب عسل النحل من كمية كبيرة من الملوكون والفرفرون وهو أسهل أنواع السكريات في الهضم، وثبت في آخر الأبحاث الطبية أن الملوكون مفيد في كثير من الأمراض ويسطى بطريق الحقن والغم والترح، يصفى مقويا، ويسطى ضد التسمم في مختلف المصادن وضد التسمم الناتج من أسرار الأعضاء، مثل التسمم بالبول والصفراء، وغيرها، كما ثبت أنه يعنى على نسبة عالية من الفيتامينات خصوصا فيتامين ب المركب.

(٢) الزواج رابطة مقدسة، وهو أصل الأسرة التي هي نواة الأمة والمجتمع. والزواج ظاهرة من ظواهر التنظيم لفطرة أودعت في الإنسان كما أودعت في غيره من أنواع الحيوان، ولولا الزواج الذي هو تنظيم مقدرة الفطرة المشتركة بين الإنسان والحيوان لتسارى الإنسان مع غيره من أنواع الحيوان في سبيل تلبية الفطرة عن طريق القوي والتبوع، وعندها لا يكون الإنسان ذلك المخلوق الذي سواه الله وأودع فيه العقل والفكر وضله على كثير من خلقه واستغفله الأرض.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَمْلِكْ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَحْزَنْ أَلِ اللَّهِ
الْأَمْثَالُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَرَبَّهُ رِزْقُهُ مِمَّا
رَزَقَ حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلَىٰ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَبْكُرُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۚ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنفَسٍ أَوْ هَوَاقٍ ۖ

٧٣ - ويعبدون غير الله من الأوثان وهي لا فائدة أن ترزقهم رزقا - أي رزق - ولو قليلا سواء كان هذا الرزق أنبيا من جهة السماء كالأله أم خارجا من الأرض كثمر الأشجار والنبات ولا تستطيع هذه الآلهة أن تفعل شيئا من ذلك ولا أقل منه !

٧٤ - وحيث ثبت لكم عدم نفع غير الله لكم ، فلا تذكروا له تعالى أشيائها ، وتبرروا عبادتها بأنها فاسدة ، وتشبهات غير صحيحة ، تعبدونها معه ! أن الله يعلم فساد ما تعبدون ، وسيجازيكم عليه ، وأنتم في غفلة لا تعلمون سوء مصيركم !

٧٥ - جعل الله مثلا يوضح فساد ما عليه المشركون ، هو عبد مملوك لا يقدر على فعل شيء ، وحضر رزقه الله رزقا طيبا حلالا ، فهو يتصرف فيه ، وينفق منه في السر والجهر ! هل يستوى العبيد الذين لا يقدرين على شيء ، والأحرار الذين يملكون ويتصرفون فيما يملكون ؟ أن الله مالك كل شيء ، فهو يتصرف في ملكوته كما يريد ، وغيره لا يملك أي شيء فلا يستحق أن يعبد ويحمد ، التناء كله حق لله وحده ، والتزيم له وحده ، وله العلو وحده ، لأن كل خير صدر عنه ، وكل جميل مرده إليه ، ولا يفصل هؤلاء ما يفعلون عن علم ، وإنما يفعلون ما يفعلون تقليدا لرفقائهم ، بل أكثرهم لا يفعلون ، فيضيفون تمه إلى غيره ، ويعبدونه من دونه !

٧٦ - وجعل الله مثلا آخر هو رجلان : أحدهما أغرس أصم لا يفهم ولا يفهم غيره : كل على من يمل أمره ، إذا وجهه سيده إلى جهة ما لا يرجع بفائدة . هل يستوى هذا الرجل مع رجل فصيح قوى السمع ، يأمر بالحق والعدل ، وهو في نفسه على طريق قوم لا عوج فيه ؟ أن ذلك الآخرس الذي لا يسمع ولا يتكلم ولا يفهم ولا يفهم ، هو مثل الأصنام التي عبدها من دونه ، فأنها لا تسمع ولا تلتفت ، فلا يمكن أن تستوى مع السميع العليم الداعي إلى الخير والحق ، وإلى الطريق المستقيم .

= وإذا كان الوضع الإلهي للإنسان في هذه الحياة يقضي بتنظيم الفترة الخاصة بالزواج مما به عن فوضى الحيوان . فإن الإنسان من جهة أخرى مطبوع على حب البقاء ، وإذا كان لا سبيل له إلى بقاءه بذاته وهو يؤمن بذلك من صنع الله في آياته وأجده رسائله والآيات فإنه يرى أن سبيله إلى البقاء إما هو في نسل المعروف ، إليه يراء اشتدادا لبقائه واستمرارا وتطويعا . ولعل من أوضح ما يلا فطرته به قوله تعالى (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفنة ورزقكم من الطيبات) .

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْعًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا
يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارُهَا وَأَشْعَارُهَا أَتُنتَهِى إِلَيْنَ مِنْهُنَّ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَبِيلَ تَقِيكُمْ وَحَرَمَ مَرَبِيلَ تَقِيكُمْ بَلْ كَذَّبْتُمْ

٧٧ - والله وحده علم ما غاب عن المباد في السموات والأرض، وما أمر بحسب يوم القيامة، وبعت الناس فيه، عند الله في السرعة والسهولة، إلا كرد طرف العين بعد فتحها، بل هو أقرب سرعة من ذلك. إن الله عظيم القدرة لا يعجزه أى شيء.

٧٨ - والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تدركون شيئاً مما يحيط بكم، جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، وسائل للعلم والادراك، لتؤمنوا به عن طريق العلم، وتشكروه على ما تفضل به عليكم^(١).

٧٩ - ألم ينظر المشركون إلى الطير مذلات للطيран في الهواء إلى السماء بما زودها الله به من أجنحة أوسع من جسمها تسطها وتقيضها، وسخر الهواء لها، لما يسكنهن في الجو إلا الله بالنظام الذى خلقها عليه؟ أن في النظر إليها والاعتبار بحكمة الله في خلقها، دلالة عظيمة ينتفع بها المستعدين للايمان^(٢).

٨٠ - والله سبحانه وتعالى هو الذى جعلكم قادرين على انشاء بيوت لكم تتخذون منها مساكن، وجعل لكم من جلود الابل والبقر والغنم وغيرها أغطية تسكنون فيها وتتقلونها في حلكم وترحالكم، وجعلكم تتخذون من صوفها وشعرها ووبرها فرشاً تمتصون بها في هذه الدنيا إلى حين آجالكم.

(١) اتيت الطب الحديث أن حاسة السمع تبدأ مبكرة جداً في حياة الطفل في الأسابيع القليلة الأولى، أما البصر فيبدأ في الشهر الثالث، ولا يتم تركيز الإبصار إلا بعد الشهر السادس، أما الفؤاد وهو الإدراك والخيال، فلا يتم إلا بعد ذلك. - و... فالترتيب الذى جاءت به آيات القرآن الكريم هو ترتيب عارضة هذه الحواس.

(٢) الطيور تظهر لمدة لبنية في تكوينها: أهمها شكل الجسم الانسيابي، والبسطة في الأجنحة المزودة بالريش، والعظام المجسمة الخفيفة، والأكياس الهوائية بين الأشعاع، وهى متصلة بالرئتين، وتقلل بالهواء عند الطيران يخفف وزن الجسم.

يُمْ نَعْمَةً عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْلَبُونَ ﴿٨٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْبَيْنُ ﴿٨٩﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٩٠﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٩١﴾ وَإِذَا
رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا
رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٣﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى



٨٦ - والله جعل لكم من الأنجار التي خلقها وغيرها ظلالاً تفيدكم شر الحر، وجعل لكم من الجبال كهوفاً ومغارات تسكنون فيها كالبيوت، وجعل لكم ثياباً من الصوف والقطن والكتان وغيرها، تصونكم من حرارة الشمس، ودرعاً من الحديد تصونكم من قسوة حروب أعدائكم، كما جعل لكم هذه الأنبياء، يتم عليكم نعمته بالدين القيم، لتتقوا أمره وتخلصوا عبادتكم له دين غيره.

٨٧ - فإن أعرض عنك أيها النبي الذين تدعوهم إلى الإسلام، فلا تبعة عليك في أعراضهم، فليس عليك إلا التبليغ الواضح، وقد فعلت . . .

٨٨ - إن أعراض هؤلاء الكفار ليس لأنهم يجهلون أن الله سبحانه هو مصدر كل النعم عليهم ولكم يصلون عمل من ينكرها حيث لم ينكروها عليها، وأكثرهم حمد على تقليد الآباء في الكفر بالله، حتى كان أكثرهم هم الجاحدون .

٨٩ - وحشر أيها النبي كل كافر بربه بما سيحصل، يوم تبعث من كل أمة نبياً ليشهد لها أو عليها بما قابلت به رسول ربها، وإذا أراد الكافر منهم أن يمتنر لا يؤذن له في الاعتذار، ولا يوجد لهم شفيع يجهد لنشأته، بأن طلب منهم الرجوع عن سبب غضب الله عليهم، لأن الآخرة ليست دار توبة.

٩٠ - وإذا رأى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر عذاب جهنم، وطلبوا أن يخففه الله عنهم، لا يجاب هم طلب، ولا يؤخرون عن دخول جهنم لحظة.

٩١ - وإذا رأى الذين أشركوا أنفسهم التي عبدوها وزعموا أنها شركاء لله قالوا: يا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا نعبدهم مخطئين، فخفف عنا العذاب بالقائه بضعة عليهم، فيجيبهم شركاؤهم قائلين: أنكم أيها المشركون لكاذبون في دعواكم أننا شركاء، وأنكم عبققونا، إنما عبدتم أهواءكم ولنا كما زعمتم شركاء.



اللَّهُ يَوْمَئِذٍ أَلِيمٌ ۖ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ * إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ رَاسِدٌ ۚ وَالْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ وَإِنَّمَا ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَتِيمَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ عَنْهُمْ أَمَانًا مِنْ بَعْدِ قُرْبَةٍ أَنْكَبْنَا عَلَىٰ عُقُودِهِمْ فَأَمْلَكْنَاكُمْ دَخَلَا فِيْكُمْ أَنْ

٨٧ - حينئذ استسلم المشركون لله ، وخضعوا لقضائه ، وغاب عنهم ما كانوا يمتثلونه من أن معبوداتهم تنشف لهم ، وتذلل العذاب عنهم .

٨٨ - الذين كفروا ومنوا غيرهم عن طريق الله ، وهو طريق الخير والحق ، زدناهم عذابا فوق العذاب الذي استحقوه بالكفر ، بسبب ما كانوا يتصدونه من الفساد واضلال العباد .

٨٩ - وحذر أيها النبي ، كفار قومك عما سيحصل يوم يحضر من كل أمة شهيدا عليها ، هو نبيها الذي يكون بين أبنائها ؛ ليكون ذلك أقطع لعنرها ، ونحيه بك أيها النبي شهيدا على هؤلاء الذين كذبوك ، وعليهم أن يعتبروا من الآن قد نزلنا القرآن فيه بيان كل شيء من الحق ، وفيه الهداية وفيه الرحمة والبشرى بالنعيم ، للذين يدعون له ويؤمنون به .

٩٠ - ان الله يأمر عباده بأن يعدلوا في أقرانهم وأفعالهم ، ويقصدوا إلى الأحسن من كل الأمور فيفضلوه على غيره ، كما يأمر بإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه لدعم روابط المحبة بين الأسر ، وينهى عن فعل كل خطيئة ، خصوصا الذنوب المفرطة في التبع ، وكل ما تنكره الشرائع والعقول السليمة ، كما ينهى عن الاعتداء على الغير ، والله سبحانه بهذا يذكركم ويوجهكم إلى الصالح من أموركم ؛ لعلكم تذكرون فضله في حسن توجيهكم ، فتمتثلوا كلامه .

٩١ - وأوفوا بالعهود التي تقطعونها على أنفسكم ، مشهدين الله على الوفاء بها ، مادام الوفاء متسقا مع ما شرعه الله ، ولا تنتقضوا الأيمان بالحدث فيها ، بعد تأكيدها بذكر الله ، وبالعزم أو بالتصميم عليها ، وقد راعيت في عهدكم وحلفكم أن الله يكفل وفاءكم ، وأن الله رقيب ومطلع عليكم ، فكونوا عند عهدكم وإيمانكم ، لأن الله سبحانه يعلم ما يكون منكم من وفاء وخلف ویر وحش ، فيجازيكم على ما تعملون .

تَكُونُ أُمَّةً هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبُوءُكُمْ ٱللَّهُ بِهِ ۖ وَلَٰيْبَيْنَ لَكُمْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَحْتَفِلُونَ ﴿٩٢﴾
 وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يَصُدُّ مِنْ شِئْءٍ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَلَنَسْنَأَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾
 وَلَا تَحْزِنُوا ۚ إِنَّمَا يَنْتَكِرُ فِتْرَتَكُمْ قَلِيلٌ قَلِيلٌ ۖ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا ٱلسَّوْءَ ۖ إِنَّمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ

٩٢ - ولا تكونوا في الحنف في إيمانكم بعد توكيدها مثل المرأة الجنونة التي تفزل الصفوف وتحكم غزله ، ثم تعود فتنتفضه وتركه محلولاً ، متخذين أيمانكم وسيلة للتغير والخذاع لغيركم ، مع أنكم مصرين على الفدر بهم ، لأنكم أكثر وأقوى منهم ، أو تتنون الانضمام لأعدائهم الأقوى منهم ، أو لقرجوا زيادة القوة بالفدر وإنما يخبركم الله ، فإن أفرم الوفاء كان لكم الفخر في الدنيا والآخرة ، وإن أنجهم إلى الفدر كان الحشران .. وليبين لكم يوم القيامة حقيقة ما كنتم تحفظون عليه في الدنيا ، ويجازيكم حسب أعمالكم^(١) .

٩٣ - ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة في الجنس واللون والايان ليس بينها تحالف ، وذلك بجهلكم خلقاً آخر ، كاللائكة لا اختيار لها ، ولكن شاء الله أن تختلفوا في الأجناس والألوان ، وأن يحصل لكم اختياراً ، فن اختار شهوراً الدنيا وأثرها على رضا الله تركه وما يريد ، ومن أراد رضا الله بالعمل الصالح سهل له ما أراد . وتأكدوا بعد ذلك أنكم ستسألون جها يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا ، ويجازون حسب أعمالكم .

(١) هاتان الآيتان تدلان على أن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم مع العدالة الوفاء بالمعهد وأن العلاقات الدولية لا تنظم إلا بالوفاء بالمعهد وأن الدول الإسلامية إذا عقدت عهداً فإنما تنقذه باسم الله فهو يتضمن بين الله وكفالاته ، وتدل الآية على ثلاثة معان لو نفختها الدول لساد السلم .
 أولاً : أنه لا يصح أن تكون المعاهدات سبيلاً للعددية وإلا كانت غشاً ، والنفس غير جائز في العلاقات الإنسانية سواء كانت علاقات أساء أم علاقات جماعات ودول .
 ثانياً : أن الوفاء بالمعهد قوة في ذاته وأن من ينقض عهده يكون كمن ينقض ما بنى من أسباب القوة فيكون كالسفهاء التي تفك غزوها بعد تقويته وتوثيقه .

ثالثهما : أنه لا يصح أن يكون الباعث على نكث العهد الرغبة في القوة أو الزيادة في رقة الأرض أو نحو ذلك .

عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَسْتَوُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَتًّا قَلِيلًا ۖ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَ كُمْ يَنْفَعُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ

٩٤ - ولا تسلكوا سبيل الغدر، فتخذوا الأيمان سبيلا للتفريق والمخدعة، فإنه بسبب ذلك تزل الأقدام فتبتعدوا عن الهدية المستقيمة ويكون في ذلك اعراض عن سبيل الله في الوفاء، وتكونون قدوة سيئة في الغدر، ويرى الناس فيكم صورة مشوهة للاسلام، فيعرضون عنه، وينزل السوء بكم في الدنيا لعدم الثقة فيكم بسبب صدكم عن طريق الحق، وينزل بكم عذاب مؤلم شديد الإيلام.

٩٥ - ولا تستبدلوا بالوفاء بالعهود المؤكدة متاع الدنيا، فهو قليل منها كان كثيرا، لأن ما عند الله، من جزاء الحافظين على العهد في الدنيا، ومن نعيم الآخرة الدائم، خير لكم من كل ما يفرىكم بنقض العهود، فتدبروا ذلك وانهموه ان كنتم من أهل العلم والتمييز بين الصالح وغير الصالح، ولا تفعلوا إلا ما فيه صلاح لكم في دنياكم وأخرائكم.

٩٦ - فإن ما عندكم أيها الناس من نعيم ينفذ وينتهي منها طال زمنه، وما عند الله من نعيم الآخرة خالدا لا ينقطع، ولنكافئن الذين صبروا على مشاق التكاليف بما وعدناهم به. من حسن الثواب المضاعف على أعمالهم، ينعمون به نعيما دائما في الآخرة.

٩٧ - ان من عمل عملا صالحا في هذه الدنيا، سواء أكان ذكرا أم أنثى، مندفعا إلى هذا العمل الصالح بقوة الايمان، بكل ما يجب الايمان به، فإنتا لابد أن نجنيه في هذه الحياة الدنيا حياة طيبة لا تنفيس فيها، تفمرها القناعة والرضا والصبر على مصائب الدنيا والشكر على نعم الله فيها، وفي الآخرة لابد أن تجزي هذا الفريق من الناس حسن الثواب المضاعف على أعمالهم في الدنيا.

٩٨ - وان الذي يحسى النفس من نزعات الهوى هو القرآن، فإذا تدبرت هذا أيتها المؤمن وأردت أن نجيا بعيدا عن تلاعب الشيطان، وتفوز بطيب الحياة في الدارين، فإني أرتشدك إلى أمر يبتك على هذا، وهو قراءة القرآن، وإذا أردت قراءة القرآن، فاستفتح قراءته بالدعاء الخالص إلى الله أن يمنح منك وسواس الشيطان الطرود من رحمة الله، الذي يطلب له أن يفرر بالناس ويوقعهم في عصيان الله.

٩٩ - فلنك ان فعلت هذا مخلصا لله، حماك الله منه، وبعدت عنك وسواسه، لأنه ليس له تأثير على الذين عبرت قلوبهم بالإيمان بالله، واستمداد العون منه وحده، والاعتد عليه.

عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ تَزَلَّهُ رُوحُ الْقُدُّوسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَقْرَأُ الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِعْمَانِهِ إِلَّا



١٠٠ - إذا تأمير، وخطره على الذين خلت قلوبهم من التعلق بالله وحبه فلم يكن لهم عاصم من تأمير، فانقادوا له كما ينقاد الصديق لصديقه، حتى أوقفهم في أن يشركوا بالله في العبادة لأنه لا تنفع.

١٠١ - وإذا جعلنا معجزة لك بدل معجزة مساوية لني سابق، فبشأنك بالقرآن معجزة، رموك بالافتراء والكذب على الله، والله وحده هو العلم علما ليس فوقه علم بما ينزل على الأنبياء من معجزات، ولكن أكثرهم ليسوا من أهل العلم والمعرفة الصادقة.

١٠٢ - قل لهم مينا منزلة معجزتك أيها النبي، ان القرآن قد نزل على من ربي مع جبريل الروح الطاهر، فقرنا بالحق، مشتتلا عليه، ليثبت به قلوب المؤمنين، وليكون هاديا للناس إلى الصواب وبشرا بالنسيم كل المسلمين.

١٠٣ - اننا لنعلم ما يقوله كفار مكة: انه لا يعلم عمدا هذا القرآن إلا رجل من البشر نعرفه، هو شهاب رومي، وما ينزله عليه ملك من عند الله كما يقول، قولهم هذا باطل، لأن الشاب الذي يقولون عنه أنه يعلم هذا التعليم أعجمي لا يفهم العربية، والقرآن لغة عربية واضحة الفصاحة، إلى حد أنكم عجزتم أيها الكافرون عن محاكاتها، فكيف يصح بعد ذلك اتهامكم؟

١٠٤ - ان الذين لا يذعنون لآيات الله التي عجزوا عن محاكاتها، وأصرروا مع عجزهم على كفرهم بها، لا يهديهم الله، ولهم في الآخرة عذاب شديد بسبب كفرهم وعنادهم.

١٠٥ - إذا يجرؤ على افتراء الكذب على الله من لا يؤمنون بآيات الله، وأولئك هم وحدهم الباطلون في الكذب نهاية، ولست أيها النبي من هؤلاء حتى يتهموك بما اتهموك به.

مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَوْا الْخَيْرَ الذَّنْبَ عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَمَّيَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ أَغْفَسُورُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتَوَكُّ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ

١٠٦ - إن الذين ينطقون بالكفر بعد الإيمان ، عليهم غضب من الله ، إلا من أكره على النطق بكلمة الكفر ، وهو عامر القلب بالإيمان ، فإنه ناج من غضب الله أما الذين تنشرح قلوبهم للكفر ، وتتجاوب مع قلوبهم ألسنتهم فأولئك عليهم غضب شديد من الله القى أعد لهم عذابا عظيما في الآخرة .

١٠٧ - وذلك الذي استحقوه من غضب الله وعذابه ، إنما كان بسبب حبهم الشديد لنعيم الدنيا ومتاعها الزائل ، حتى صرفهم هذا الحب عن الحق ، وأعماههم عن الخير ، فتركهم الله وما يميزون من الكفر ، لأنه قد جرت سنته في خلقه بترك أمثال هؤلاء ، وعدم هدايتهم لفسادهم ، وتقديم في الباطل .

١٠٨ - هؤلاء هم الذين طبع الله على قلوبهم ، فصارت لا تقبل الحق ، وعلى أسماعهم فلم يسمعون صياح فهم وتذير ، كأنهم صم ، وعلى أبصارهم فلا ترى ما في الكون أمامهم من عبر ودلالات ، وأولئك هم الغافلون في الغفلة عن الحق ، فلا خير فيهم إلا إذا أزالوا الغفلة عن عقولهم .

١٠٩ - وهؤلاء لاشك أنهم وحدهم هم المخاسرون لكل خير في الآخرة .

١١٠ - ثم اعلم أيها النبي أن ربك معين وناصر للذين هاجروا من مكة فرارا بدينهم من الضغط ، وبأنفسهم من عذاب المشركين ، ثم جاهدوا بما يملكون الجهاد به من قول أو فعل ، وصبروا على مشاق التكاليف ، وعلى ما يلاقونه في سبيل دينهم . إن ربك من بعد ما تحملوا ذلك لغفور لما حصل منهم إن تابوا ، رحيم بهم فلا يؤاخذهم على ما أكرهوا عليه .

لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَإِذَا فُتِنَتْهَا آلُهَا مِنْ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَازِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَنْ يُغْفَرَ رَحِمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا

١١١ - اذكر لقومك أيها النبي، محذرا إياهم، يوما يأتي فيه كل إنسان لا يهيمه إلا الدفاع عن نفسه، لا يشغله عنها والد ولا ولد، وهو يوم القيامة، ويوفى الله فيه كل نفس جزاء ما كسبت من أعمال، خيرا كانت أم شرا، ولا يظلم ربك أحدا.

١١٢ - وجعل الله سبحانه لأهل مكة مثالا يحذرون به هو قصة قرية من القرى، كان أهلها في أمن من العدو، وطمانينة من ضيق العيش، بأنهم رزقهم واسعا من كل مكان، فجحسوا نعم الله عليهم، ولم يشكروه بطاعته وامتثال أمره، فعاقبهم الله بالمصائب التي أساطت بهم من كل جانب، وذاقوا مرارة الجوع والخوف بعد الفنى والأمن، وذلك يسبب تقادهم في الكفر والمصاى.

١١٣ - ولقد جاءهم رسول منهم، فكان يجب عليهم شكر الله على ذلك، ولكنهم كذبوه عنادا وحسدا، فأخذهم العذاب حال تلبسهم بالظلم، وسبب هذا الظلم.

١١٤ - إذا كان المشركون يكفرون بنعم الله فيبداها بؤسا، فاتجهوا أيها المؤمنون إلى الشكر، وكلوا مما رزقكم الله وجعله حلالا طيبا لكم ولا تحرموه على أنفسكم، واشكروا نعمة الله عليكم بطاعته وحده إن كنتم تحصونه حقا بالعباداة.

١١٥ - فإن الله لم يحرم عليكم إلا أكل الميتة، والدم الذى ينزل من الحيوان عند ذبحه، ولحم الخنزير، وما ذبح لغير الله، فمن ألبأته ضرورة الجوع إلى تناول شيء مما حرمه الله عليكم، غير طالب له، ولا يتجاوز في أكله حد إزالة الضرورة، فإن الله لا يؤاخذكم على ذلك، لأنه سبحانه غفور لعباده يفر لهم ما يقصون فيه من أخطاء لا يصرون عليها، رحيم بهم حين منهم مما يضرهم، وأباح لهم ما يحفظ حياتهم

عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعِمَ بِهِ عَلَيْهِ أَجْتَلِيَهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَآخِرَتُهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ

١١٦ - وإذا كان الله قد بين حكم الحلال والحرام ، فالتزموا ما بين لكم ، ولا تحرموا على التحليل والتحریم انطلاقاً وراء ألسنتكم ، فتقولوا : هذا حلال ، وهذا حرام ، فتكون عاقبة قولكم هذا أنكم تقترون على الله الكذب ، وتسيئون إليه ما لم يقله ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفوزون بغير ولا فلاح .

١١٧ - وإذا كانوا يهرون بذلك وراء شهواتهم ومناقصهم الدنيوية ، فإن تمتعهم بما قليل زائل ، ولهم في الآخرة عذاب شديد .

١١٨ - ولم تحرم إلا على اليهود وحدهم ما قصصناه عليك أيها النبي من قبل نزول هذه الآيات ، وهو كل ذى ظفر ، وشحوم البقر والغنم ، إلا ما حملت ظهورها ، أو الحوايا أو ما اختلط بالمعظم . وما ظلمناهم بهذا التحريم ، ولكنهم الذين ظلموا أنفسهم ، لتسبيهم فيه بسبب تقاضيهم وشهرهم وعدم وقوفهم عند الحلال .

١١٩ - ثم ان الذين عملوا السوء تحت تأثير طيش وغفلة عن تدبر الصواب ، ثم تابوا من ذلك الذنب ، وأصلحوا نفوسهم وأعمالهم ، فإن ربك أيها النبي يفرهم ذنوبهم ، لأنه سبحانه بعد هذه التوبة كثير التجاوز عن السيئات ، واسع الرحمة بالعباد .

١٢٠ - ان ابراهيم الذي تفخرون أيها المشركون أنتم واليهود كان جاسماً لكل الفضائل ، بعيداً عما أتم عليه من باطل ، خاضعاً لأمر ربه ولم يكن مثلكم مشركاً به .

١٢١ - وكان شاكرًا لنعم ربه عليه ، ولهذا كله اختاره الله لحمل رسالته ، ووفقه لسلوك طريق الحق المستقيم الموصل للتعليم الدائم .

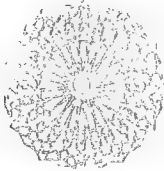
١٢٢ - وجعلنا له في الدنيا ذكراً حسناً على كل لسان ، وسيكون قطعاً في الآخرة في زمرة الصالحين المنعمين بجنات الله ورضوانه .

اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٢﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَكْذِبُ بِهِنَّهِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٣﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَدِّدْ لَهُمُ بِلَاغِي ۚ هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَدِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمُ

١٢٣ - ثم أوحينا إليك - أيها النبي - بعد إبراهيم بقسرين عديدة ، وأمرناك باتباع إبراهيم فبدأ دعا إليه من التوحيد والفضائل والبعد عن الأديان الباطلة ، فإنه لم يكن من الذين يشركون مع الله آلهة أخرى كما يزعم هؤلاء المشركون .

١٢٤ - وليس تنظيم يوم الجمعة ، وترك تنظيم يوم السبت في الإسلام ، مخالفا لما كان عليه إبراهيم كما يدعى اليهود ، فإن تحريم الصيد يوم السبت احتراماً له لم يكن من شريعة إبراهيم ، وإنما فرض على اليهود فقط ، ومع ذلك لم يمتدوه ، بل خرج بعضهم على هذا التنظيم ، وخالفوا أمر ربه فكيف يبيرون على غيرهم عن لم يكلف بتعظيمه عدم تنظيمه ، مع أنهم وهم المكلفون بذلك خرجوا عليه ؟ وتأكد أيها النبي أن ربك سيقضي بينهم يوم القيامة في الأمور التي اختلفوا فيها ، ويجازي كلامهم بعمله .

١٢٥ - أيها النبي : ادع إلى طريق الحق الذي شرعه ربك مع قوبك ، واسلك في دعوتهم الطريق الذي يناسب كل واحد منهم ، فادع خواصهم ذوى المدارك العالية بالقول الحكيم المناسب لقولهم ، وادع عوامهم منهم بما يناسبهم من إيراد المواعظ ، وضرب الأمثال التي توجههم إلى الحق ، وترشدهم من أقرب طريق مناسب لهم ، وجادل أصحاب الملل السابقة من أهل الكتب بالمنطق والقول اللين ، والمجادلة الحسنة التي لا يشوبها عنف ولا أسباب حتى تتمكن من اقناعهم واستألتهم . هذا هو الطريق لدعوة الناس إلى الله على اختلاف ميولهم ، فاسلك هذا الطريق معهم ، واترك أمرهم بعد ذلك إلى ربك الذي يعلم من غرق في الضلال منهم وابتعد عن طريق النجاة ، ومن سلم طبعه فاهتدى وأمن بما جئتم به .

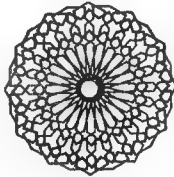


فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۖ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلٰٓئِلٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١٢٦ - وإن أردتم عقاب من يعتدى عليكم أيها المسلمون ، فعاقبوه بمثل ما فعل بكم ، ولا تتجاوزوا هذا المثل ، وتأكدوا أنكم لو صبرتم ، ولم تقتصوا لأنفسكم ، لكان خيرا لكم في الدنيا والآخرة ، فعاقبوا لأجل الحق ، ولا تعاقبوا لأجل أنفسكم .

١٢٧ - أصبر أنت - أيها النبي - فإن ذلك يسهل عليك كثيرا من مشقات الحياة ، ويصالح مشاكلها ، ولا تحزن على عدم استجابة قومك لدعوتك ، وإيمانهم بك ، ولا يضيق صدرك من مكروهم وتديبراتهم لحقق دعوتك ، فإنك لن يضرك شيء من فعلهم ، وقد أدبت ما عليك واتقيت ربك .

١٢٨ - فإن ربك مع الذين اتقوا غضب الله باجتناب نواحيه ، وأحسنوا له أعمالهم بالانقياد على طاعته ، يعينهم وينصرهم في الدنيا ويجزيهم خير الجزاء في الآخرة .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُجِّنَ الَّذِي أَسْرَى بِعِدَّةٍ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٧﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي

تشتمل هذه السورة الكريمة على إحدى عشرة آية ومائة ، وهي سورة مكية ماعدا الآيات ٢٦ ، ٣٢ ، ٥٧ ، ومن آية ٧٣ إلى ٨٠ ، فجموع الآيات المدنية اثنتا عشرة آية ، ابتدأت السورة بتسبيح الله تعالى ، ثم ذكرت الإسراء ، ثم رسالة موسى ، وما كان من بني إسرائيل . ثم أشارت إلى منزلة القرآن الكريم في الهداية ، وإلى الآيات الكونية في الليل والنهار ، وما يكون للناس يوم القيامة من جزاء على ما يقدمون من أعمال في الدنيا . وبين سبحانه أسباب فساد الأمم ، وحال الأفراد في مساعيهم ونتائج أعمالهم في الآخرة ، وجاءت الآيات من بعد ذلك باكرام الوالدين ، وحال الناس بالنسبة لأموالهم ، وجاءت بأوامر عشرة فيها بناء المجتمع الفاضل ، ثم رد سبحانه مفتريات المشركين بالنسبة للملائكة ثم بين القرآن تحريفه في الحجج .

ثم أشار سبحانه إلى ما يستحق من تمجيد ، وإلى جعود المشركين ، وقدم سبحانه وصايا للمؤمنين ، وبين معاملته تعالى للكافرين في الدنيا وفي الآخرة . ثم بين سبحانه أصل الخليقة الانسانية والشیطانية وهدى سبحانه المشركين بآياته ، وبين بعد هذا سبحانه الكرامة الانسانية ، وذكر سبحانه بعذاب يوم القيامة ثم ذكر محاولة المشركين لصراف النهي عن دعوته وتثبيت الله تعالى له وقد أوصى الله سبحانه وتعالى بعد ذلك النبي بصدا هادية ، وأدعية ضارعة ، ثم أشار سبحانه وتعالى إلى منزلة القرآن الكريم ، وتكلم سبحانه عن الروح وأشار إلى أسرارها ، ثم ذكر سبحانه اعجاز القرآن وعجز الجن والانس عن أن يأتيوا بمثله ، وموقف الناس منه . وبين سبحانه قدرته على أن يأتي بآيات أخرى ، ثم بين منزلة القرآن فيما اشتمل عليه من الحق وحال المؤمنين الصادقين في إيمانهم ، وما ينبغي من أن يحمدوا الله دائماً ويكبروه .

١ - تزجها الله عا لا يليق به ، وهو الذي سار بعبد محمدا في جزء من الليل من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بيت المقدس ، الذي باركنا حوله لسكانه في أوقاتهم ، لقرية من أدلتنا ما فيه البرهان الكافي على وحدانيتنا وعظم قدرتنا ، ان الله وحده هو السميع البصير .

وَكَيْلًا ۝ قُرْبَةً مِّن مَّحَلَّتْ مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝ وَهَدَيْنَا لَكَ نَاحِيَةً إِسْرَافِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقَ كَثِيرٍ ۝ فَلَمَّا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكَ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَلَمَّا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْئِرُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ

٢ - وإن بيت المقدس كان يسكنه بنو إسرائيل من بعد موسى، حتى أفسدوا فيه، فشردها منه من قبل، مع أننا أعطينا موسى التوراة، وجعلنا فيها هداية لهم، وقتلنا لهم لا تتخذوا غير الله من نفوذون إليه أموركم.

٣ - أنتم أيها الإسرائيليون ذرية الفلصين الذين كانوا مع نوح في الفلك بعد إياهمم ونجيتهم من الغرق. اجعلوا نوحا قدوتكم كما جعله أسلافكم، فإنه كان عبدا كثير الشكر لله على نعمته.

٤ - وأنفدنا بقضائنا إلى بني إسرائيل فيما كتبناه في اللوح المكون أنهم يفسدون في بيت المقدس لا محالة مرتين، في كل مرة منها كان الظلم والطغيان، وترك أحكام التوراة، وقتل النبيين، واتصلوا على الأمم. وأنه ليسط سلطانكم وتعلمون مستكبرين ظالمين.

٥ - فإذا جاء وقت عقاب أولادها سلطانا عليكم، يسبب إفسادكم عبادا لنا أصحاب بطش شديد، فأخذوا يسيرون في داخل الديار، لم يتركوا جزءا منها، ليقتلوكم، وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يكون.

٦ - ثم لما استقام أمركم، واهتديتم، ورجعتم شملكم، ورجعتم عن الفساد، ردنا لكم الغلبة على الذين بعثوا عليكم، ووزقناكم أموالا وبنين، وجعلناكم أكثر مما كنتم عددا.

٧ - وقتلنا لهم: إن أحسنتم فأطعمهم الله، كان إحسانكم لأنفسكم في الدنيا والآخرة، وإن أسأتم بالمصيان، فأل أنفسكم تسبون. فإذا جاء وقت عقاب المرة الآخرة من مرق إفسادكم في الأرض، بعثنا عليكم أعداءكم، ليجهلوا آثار المسامة والذلة والكآبة بادية على وجوهكم، وتكون العاقبة أن يدخلوا مسجد بيت المقدس، فيضربوه كما دخلوه وخرّبوه أول مرة، وليهلكوا ما غلبوا عليه أهلاكا شديدا.

وَلَا يَدْعُهُمْ عَذَابًا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْغُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ لِمَن حَوَّنَا آيَةَ الْقِيلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَهْرَةً لِّمَن يَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ وَفَصَّلَتْهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُرْضِهِ وَخُرُجُهُ لهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَن أَهْتَدَىٰ فَلِأَنفُسِهِ يُنْفِقُ وَلِمَن هَدَىٰ لِّنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَلِأَنفُسِهِ يَضِلُّ عَلَيْهَا

٨ - عسى ربكم أن يرحكم بعد المرة الثانية ، ان تبم ، وان عدم إلى الفساد عذاباً إلى العقوبة ، وجعلنا جهنم للكافرين سجناً ومهيماً .

٩ - ان هذا القرآن يرشد الناس للسبيل التي هي أقوم السبيل وأسلمها . في الوصول إلى السعادة الحقيقية في الدنيا ، ويشر المؤمنين بالله ورسوله ، الذين يذعنون للحق ويعملون الأعمال الصالحات ، بالأجر العظيم في القيامة .

١٠ - وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعدنا لهم في جهنم عذاباً شديداً الأليم .

١١ - وأن في طبع الانسان تمجلاً في الحكم على ما يقع من الناس ، وفي أقواله وأفعاله ، فهو يسارع بالدعوة إلى الشر مسارعة في الدعوة إلى الخير ، ويسارع في دعاء الله تعالى بأن يغزل الشر على من يبادر بالفضب عليه مسارعة بالدعاء له بالخير .

١٢ - وجعلنا الليل والنهار بيناتهما وتعاقيهما علامتين خاليتين على وحدانيتنا وقدرتنا فأزلنا من الليل الضوء فلا يستبان فيه شيء ، وكانت علامته ظلاماً لا تسرى فيه الشمس ، تلك العلامة الكبرى ، وجعلنا النهار مبصراً ، وترى فيه الشمس الآية الكبرى للتجهوا في ضوء النهار إلى التصرف في معاشكم ، ولتعملوا باختلاف الليل والنهار عند السنين وحساب الأشهر والأيام وكل شيء لكم فيه مصلحة بينا لكم بيانا واضحا ، لتقوم عليكم المحجة بعد ظام النعمة .

١٣ - وألزمنا كل انسان عمله لزوم القفلة للفتن ، ونخرج له يوم القيامة كتاباً فيه أعماله ، يلقيه مفتوحاً ، ليسرع في قراءته .

١٤ - ويقال له : اقرأ بقدره الله - ولو لم يكن في الدنيا قارئا - كتاب أعمالك تكفيك نفسك اليوم حاسبة ومحسبة عليك عملك .

وَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزُرَّ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَرَّ أَهْلُكُم مِّنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَانَ رِيبُكَ بِذُنُوبٍ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَن كَانَ يَرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَلَكُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا لِّمَن كَفُلَتْ هَوَالُهُمْ وَهَؤُلَاءِ مِن عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ

١٥ - من اتبع طريق الحق فلما ينفع نفسه ، ومن حاد عنه فلما اثم ضلاله على نفسه ، ولا تتحمل نفس مذنبه فوق ذنبها ذنب نفس أخرى ، وما صبح لنا أن نغضب أحدا على فعل شيء قبل أن نبعث إليه رسولا من لدنا يهدي إلى الحق ويردع عن الباطل .

١٦ - وإذا قدرنا في اللوح المحفوظ أهلكنا أهل قرية حسب اقتضاء حكمتنا ، سلطانا المترفين فيها فأفسدوا فيها ، وخرجوا عن جادة الحق ، وآتبعهم غيرهم من غير أن يبينوا ، وبذلك يحق علينا كلها العقاب ، فندمرنا تدميرا شديدا .

١٧ - وكثيرا من أهل القرون من بعد نوح أهلكناهم بتردهم على أنبيائهم ، وبكفكهم ببيان ربك وإعلامه ، لأنه العالم بكل شيء علما دقيقا كالم من يصير ، وهو الخبير بذنوب عباده البصير بها ، فلا يحق عليه أنفعال أحد من العباد وسيجازيهم بما يستحقون .

١٨ - من كان يطلب متاع الدنيا العاجلة ويعمل له ، متخذًا الأسباب ، ولا يوقن بعباده ، ولا ينتظر جزاء الدار الآخرة ، عجلنا له في الدنيا ما نشاء تمجيلا له البسط والسعة ، وكان هذا لمن نريد التمجيل له ، ثم أعدنا له في الآخرة جهنم يقامى حرما وهو مضموم بما قدم ، هالك مطرود من رحمة الله .

١٩ - ومن أراد بعمله الآخرة ، ولها عمل ، وهو مصدق بالله وجزائه ، فأولئك كان عملهم مقبولا عند الله ينالون الثواب عليه .

٢٠ - وإنا نمد كلا الفريقين إذا اتخذوا الأسباب من عطاء ربك في الدنيا ، وما كان عطاء ربك فيها ممنوعا من أحد ، مؤثما كان أو كافرا ، ما داموا قد اتخذوا الأسباب .

عَلَى بَعْضِ اللَّاحِزَةِ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ فَضِيلًا ۝ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَحْدُولًا ۝
 * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَهًا وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنَّا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آيُتٍ وَلَا تُنْهَرُوهُ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِی صَغِيرًا ۝ رُبُّكَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِ غَفُورًا ۝
 وَءَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْدُرْ تُدْرِيكَ ۝ إِنْ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۝ وَإِنَّمَا تَعْرِضُ عَنْهُمْ بَغْفَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهُمْ فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيُوسِرًا ۝

٢٩ - انظر بعين الاعتبار كيف فضلنا بعض عبادنا على بعض ، في المال والحياة والسمة ، إذا التحذوا أسباب ذلك في الدنيا ، لحكمة تعلمها وأن تفاوتهم في الدار الآخرة أكبر درجات من تفاوتهم في الدنيا ، فينبغي الاعتناء بها ، فالآخرة هي التي تكون فيها الرفعة الحقيقية والتفاضل الحقيقي .

٢٢ - لا تجعل أيها المكلف مع الله شريكا ، فتصير موصوما بالآهانة ، ويكون المخذلان مكتوبا عليك .

٢٣ - وحكم ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبأن تيروا الوالدين برا تاما ، وإذا بلغ الوالدان أو أحدهما عندك أيها المخاطب حال الضعف وصارا في آخر العمر ، فلا تتأفف لما يصدر منها بصوت يدل على الضجر ، ولا تزجرهما ، وقل لها قولا جميلا ليئا فيه إحسان وتكرم لها .

٢٤ - وألن لها جانبك وتواضع لها وكن شفيقا عليها ، وقل في شأنها : رب ارحمها كما رحمتني حين رباني صغيرا .

٢٥ - ربكم أيها الناس أعلم منكم بما في ضمائركم ، ومحاسنكم عليه بالثواب أو العقاب فإن تكونوا قاصدين الصلاح فاعلين له ، ثم كانت منكم هفوة ، ثم أنتم إلى الله ، فإن الله سبحانه يفر لكم ، لأنه دائم الغفرة للراغبين إليه .

٢٦ - وأعط ذا القربى حقه من البر والصلة ، وذا الحاجة المسكين ، والمسافر الذي انقطع عن ماله ، ففهم من الزكاة والصدقة ، ولا تبغض مالك في غير المصلحة تنذيرا كثيرا .

٢٧ - لأن المبذرين كانوا قرناء الشياطين ، يقبلون وسوستهم حين يسخرونهم للفساد والانفاق في الباطل ، ودأب الشيطان أنه يكفر بنعمة ربه دائما ، وصاحبه مثله .

٢٨ - وإن أرغمتك أحوالك المالية على الاعراض عن هؤلاء المذكورين ، فلم تمنعهم لدم وجود ما تمنعهم في الحال ، مع رجاء أن يفتح الله عليك به ، فقل لهم قولا حسنا يؤملهم فيه .

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِنَّ عُنُقَكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٣٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا نَحْنُ نَرْزُقَهُمْ وَإِنَّا كَرِيمُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا ﴿٣٨﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٩﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٤٠﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٤١﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُم وَزَنُوا بِالْمِيزَانِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿٤٢﴾ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٤٣﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

٢٩ - ولا تمسك يدك عن الاتفاق في الخير، وتجعلها كأنها مربوطة في عنقك بغل من الحديد لا تقدر على مدّها، ولا تبسطها كل البسط بالاسراف في الاتفاق، فتصير مذمومة على الامساك نادما أو منقطعا لاشئ عندك، بسبب التذير والاسراف.

٣٠ - ان ربك يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيقه على من يشاء منهم، لأنه خير بطبائعهم بصير بحوائجهم، فهو يعطي كلّا منهم ما يتفق مع الحكمة ان اتخذ الأسباب.

٣١ - وإذا كان أمر الأرزاق بيد الله فلا يجوز أن تقتلوا أولادكم خوف فقر متوقع، لأننا نحن ضامنون رزقهم ورزقكم، ان قتلهم كان اتعاظا.

٣٢ - ولا تقربوا الرزق، مباشرة أسبابه ودواعيه، لأنه رذيلة واضحة الفح، وبئس طريقا طريقه.

٣٣ - ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا قتلا يكون للحق، بأن تكون النفس مستحققة للقتل تصاعدا أو عقوبة، ومن قتل مظلوما، فقد جعلنا لأقرب قرابته سلطانا على القاتل بطلب القصاص من القاضى، فلا يجوز الحد في القتل، بأن يقتل غير القتال، أو يقتل اثنين بواحد، فإن الله نصره وأوجب له القصاص أو الدية، فلا يصح أن يتجاوز الحد.

٣٤ - ولا تنصرفوا في مال اليتيم الا بالطريقة التي هي أحسن الطرق لتنمية وتنمية، واستمروا على ذلك حتى يبلغ رشده، وإذا بلغ فسلموه له، وحافظوا على كل عهد التزمتموه، فإن الله سيسأل ناقض العهد عن نقضه ويحاسبه عليه.

٣٥ - وأوفوا الكيل إذا كلفتم للتمسرى، وزنوا له بالميزان العدل، فإن ايفاء الكيل والوزن خير لكم في الدنيا، لأنه يرغب الناس في معاملتكم، وأجمل عاقبة في الآخرة.

عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْسُقْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ
الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ بِمَا أَوْحَى إِلَيْكَ
رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَلْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْصَبُوا بِكُمْ بِالْبَيْنِ
وَالْأَمَدِ مِنَ الْمَلَكَةِ إِنَّا لَنُكْرُهُنَّ لِقَوْلُنَّ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ
إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانُ مَعَهُ إِلَهٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَشْعُرُونَ إِذَا لَبِثُوا لَكَ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ مُسَبِّحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

٣٦ - ولا تتبع أيها المرء مالا علم لك به من قول أو فعل، فلا تنقل : سمعت ، وأنت لم تسمع ، أو علمت ، وأنت لم تعلم ، فإن نعم السمع والبصر والقلب يسأل صاحبها عما يفعل بكل منها يوم القيامة .

٣٧ - ولا تمسُق في الأرض متكبِّرا مختالا ، فإنك مهما فعلت فلن تخرق الأرض بشدة وطائرك ، ولن تبلغ معها تطاولت أن تحاذي بطولك قم الجبال .

٣٨ - كل ذلك المذكور من الوصايا ، كان التنبيح منه من النهايات مكروها مبيغضا عند ربك .

٣٩ - وهو مما أوحاه إليك ربك من معرفة الحق بذاته ، والغير للصعل به ، ولا تجعل مع الله إلها غيره فتلقى في جهنم ملوما عند نفسك وعند غيرك هالكا مطرودا من رحمة ربك .

٤٠ - أنكر سبحانه على من قالوا : الملائكة بنات الله ، فقال : أنفصلكم ربكم على نفسه ، فنفصلكم بأقوى الأولاد ، وهم البنون ، والقد هو لنفسه من الملائكة بنات بزعيمكم ، انكم في قولكم هذا تفكرون جهانا عظيما .

٤١ - لقد بينا في هذا القرآن أحسن بيان ضروريا من الأمثال والواعظ والأحكام ، لينتظم هؤلاء المشركون ، ولكهم لتجبر قلوبهم لا يزيدهم ذلك التبيين إلا شردا عن الحق .

٤٢ - قل أيها النبي ، اظهرا لابطال زعيمهم الشركاء لله : لو كان مع الله آلهة في الوجود كما يقولون ، لطلب هؤلاء الآلهة طريقا يصلون منه إلى صاحب الملك المطلق لينازعوه عليه .

٤٣ - تنزه الله تنزها لاتقا به ، وتعالى جل شأنه عما يزعمون من أنه معه آلهة .

وَلَكِنْ لَا تَقْنَهُونَ نَسِيحَهُمْ ۖ إِنَّمَا كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآيَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ
فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّثَ وَلَوْ عَلَىٰ آذَانِهِمْ غُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْمَعُونَ ۚ إِذْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ
إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَقُمُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
مُجِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا تَرْتِفًا أَوْنَا لِمَبْعُوثِينَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾

٤٤ - ان السموات السبع والأرض ، ومن فيهن من المخلوقات ، تنزهه وتقدهس ، وتدل باتقان صنعها على كمال
ملك الله وتنزيه سبحانه عن كل نقص وأنه لا شريك له من شيء من المخلوقات في ملكه الواسع الا ينزهه كذلك
مع التناء عليه ، ولكن الكافرين لا يفهمون هذه الأدلة لا يستيلاء الفعلة على قلوبهم ، وكان الله حلما عليهم ، غفورا
لمن تاب فلم يعاجلهم بالعقوبة .

٤٥ - وإذا قرأت أيها النبي القرآن الناطق بدلائل الحق ، جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالبعث والجيزاء ،
حين ارادة الفتك بك ، حجابا ساترا لك عنهم ، فلا يرونك .

٤٦ - وجعلنا بمنعصى حكمتنا في الاضلال والهداية على قلوبهم أغطية : كراهة أن يفهموا القرآن على حقيقته ،
وفي آذانهم صمما ، فلا يسمعون صماح انتفاع ، لأنهم اسرقوا في النناد والمكابرة ، وإذا ذكرت ربك في القرآن منفردا
عن ذكر آلهم ، رجعوا على أعقابهم ناقرين عن استماعه .

٤٧ - نحن أعلم بما يسمعون القرآن متلبسين به من الاستهزاء والسخرية حين استماعهم اليك ، وهم ذوو
مسارة بما ذكر ، وذلك قول الظالمين لنبيهم في مسارتهم : ان اتبعتم فأتتم لا تتبعن إلا رجلا مغلوبا على عقله .

٤٨ - انظر كيف ذكر لك الأنبياء ، فشبهوك بالمسحور ، والكاهن ، والشاعر ، فضلوا بذلك عن منهاج المحجة
فلا يستطيعون طريقا إلى الطمن يمكن قبوله ، أو فضلوا بذلك عن الهدى فلا يجعلون طريقا إليه .

٤٩ - قال المنكرون للبعث : أثبت إذا صرنا عظاما تحرق ، وقطعا متفرقة ، فنكون خلقا جديدا فيه حياة ؟ ان
هذا مالا يدخل القول .

٥٠ - فقل لهم أيها النبي : لو كنتم حجارة لا تقبل الحياة مجال ، أو حديدا وهو أصلب من الحجارة .

أَوْ خَلَقًا مِمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِهِمْ فَيَقُولُونَ مَنْ يَعِينُهُ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُقْضَىٰ إِلَيْكَ رُءُوسُهُمْ
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلِ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥٦﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٥٧﴾ وَقُلِ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنْ الشَّيْطَانُ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا
مُبِينًا ﴿٥٨﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٩﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا ﴿٦٠﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ

٥٦ - أو خلقاً آخر غيرها، مما تنكر قلوبكم بقوله الحياة، لبعثهم، فسيقولون مستعجدين: من يعيننا؟ فقل لهم: يعيدكم الله الذي أوجدكم أول مرة فسيحركون إليكم رموسهم تعجبا، ويقولون استنزه: متى البعث الذي تعدنا به؟ فقل لهم: أرجو أن يكون قريبا.

٥٧ - وسيكون يوم يبعثكم الله فيه من قبوركم، فتنبشون حامدين ربكم على كمال قدرته وتظنون أنكم ما لستم في قبوركم إلا زمنا قليلا، تستقصرون المدة الطويلة في جنب ما أنتم قادمون عليه.

٥٨ - وقل يأياها النبي لعبادى المؤمنين، أن يقولوا عند محاربتهم المشركين العبارات التي هي أحسن للافتتاح، ويتركوا الكلام الحشن الذي يتسبب عنه الشر والفساد، فإن الشيطان يفسد بين المؤمنين والكافرين، لأنه دائما عدو للإنسان بين المداورة.

٥٩ - ربكم أعلم بماقبة أكرمكم، إن يشأ يرحمكم بالتوفيق للإيمان، أو إن يشأ يعذبكم بعصمه، وما أرسلناك موكولا إليك أمرهم فتجبرهم على الإيمان، وإنما أرسلناك بشيرا للمصدقين ونذيرا للمكذبين، فداهم، ورسأصحابك بالاحتال منهم.

٥٥ - وربك أعلم بكل من في السموات والأرض وبأحوالهم، فيختار منهم لنبوته من يشاء، وقد اختارك لرسالته، فلا يصح أن يستكثروا عليك النبوة، وهؤلاء الأنبياء ليسوا سواء في الفضل عنده، جل شأنه، بل بعضهم أفضل من بعض، ولقد فضل النبيين على بعض بالمعجزات وكثرة التابعين، لا بالملك، ففضل داود أنه أقوى الزبور، لا لأنه أقوى الملك، فلا عجب أن تنال الفضل العظيم بما أوتيت من القرآن.



قَالَ أَتَجِدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۖ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَتَّخِذَ إِلَهًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَأَحْسَنُ
فُوتَيْتُهُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ قَالَ أَقْبَبَ قَوْمَ نَجْعِكَ مِنْهُمْ فَإِنْ جِئْتُمْ بِجَزَاءٍ مَوْفُورًا ۖ وَاسْتَفْزِزْ مِنْ
أَسْطَعْتِ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَأْتِيبَ عَلَيْهِمْ بِخَبْرِكَ وَنَادَيْتُهُمْ فِي الْأُمُودِ وَالْأَوْدِيَةِ وَعَدْتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ
الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۖ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۖ رَبُّكَ الَّذِي يُزَيِّجُ
لَكَ الْفُلُوكَ فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِكُرْهِجِهِمْ ۖ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ
إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا خَلَّصْتُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا ۖ أَفَلَيْتُمْ أَنْ يُخَيَّفَ بِكُرِّ جَنبِ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ

٦١ - وإن الله يذكر بأصل الخلق والصدقة بين ابن آدم وإبليس ، إذ قال للملائكة : اسجدوا لآدم سجود
تحية وتكرام بالإنحنا ، فسجدوا على الفور ، إلا إبليس امتنع وقال منكرا : كيف أسجد لمن خلقته من طين وأنا من
نار فأنا خير منه .

٦٢ - قال إبليس : أخبرني يارب عن هذا الذي كرمته علي ، بأن أمرني بالسجود له لم كرمته علي وأنا خير
منه ؟ وعزته لأن أخرتني حيا إلى يوم القيامة لأهلكن ذريته بالاغواء ، إلا قليلا منهم ممن عصمته وحفظته .

٦٣ - قال له المولى تهديدا واستدراجا : امض لشأنك الذي اخترته لنفسك ، فإن أطاعك من ذرية آدم فلن
جهنم جزاؤك وجزاؤهم جزاء وأقرا كاملا .

٦٤ - واستخف واستنزل بدعائك إلى معصية الله من استطعت منهم ، وأفرغ جهدك في جميع أنواع الاغواء ،
وشاركهم في كسب الأموال من الحرام وصرفها في الحرام ، وتكثير الأولاد واغرائهم على الانسداد ، وعدم
المواعيد الباطلة كشفاعة ألقمهم ، والكرامة عند الله بأنسابهم ، وما يبعد الشيطان أتباعه إلا بالترغيب والوحي .

٦٥ - أبا عبادي المخلصون لي ، فليس لك على اغوائهم قدرة ، لتوكلهم على رجم ، وكفى به ناصرا يستمدون
منه العون في الخلاص منك .

٦٦ - ربكم هو وحده الذي يجري لكم السفن في البحر ، لتطلبوا من فضله الأرباح بالتجارة وغيرها . انه
دائم الرحمة بكم .

٦٧ - وإذا أصابكم الأذى وتعرضتم للمخاطر في البحر ، غاب عنكم كل من تدعونه في حوائجكم من
الأصنام ، إلا الله وحده ، فانكم لا تذكرن سواه ، فلما نجاكم من الفرق ، وأخرجكم إلى البر ، أعرضتم عن توجيهه
وكفرتم النعمة ، وشأن الإنسان دائما جحد النعمة .

عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ
فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَلَدِ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَقَضَلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا هُمْ يَخِفُّونَ خَلَقْنَا تَفْصِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ
فَمَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ بِإِيمَانِهِ فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ قِتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى
فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرًا
وَإِذَا لَا تَجِدُوا لَهُ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْعًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ

٦٨ - وإذا يموتكم بمروركم إلى البر، أفأمنتم من عذاب الله ؟ كلا ان شاء قلب بكم جانبنا من البر فهلكتم
تحته، وان شاء أرسل عليكم ريحا شديدة ترميكم بالمصى والحجر، فلا تجدون حافظا مما يصيكم.

٦٩ - أم أمتن أن يعيدكم بكم في البحر مرة أخرى، فيرسل عليكم قاصفا من الريح يكرس فلككم ؟
فيغرقكم بسبب جعوتكم نعمته حين أهاكم أولا، ثم لا تجدوا لكم علينا من بطلنا بما فعلنا انتصارا لكم.

٧٠ - ولقد كرما أولاد آدم بحسن القوام والنطق وتغير الأسماء، وأعطيناهم الكرامة والحرمة ان أطاعوا،
وحملناهم في البر على الدواب، وفي البحر على السفن، ورزقناهم من المستلذات، وقضلناهم على كثير من
المفوقات بالمقل والتفكير تفضيلا عظيما.

٧١ - واذكر أيها النبي لقومك، يوم ندعو كل جماعة بشعارهم الذي يعرفون به، أو زعيمهم من رئيس
اتبوعه، أو نهي، أو كتاب، فيقال: يا أهل موسى، يا أهل القرآن، وهكذا ليتسلموا كتب أفعالهم، فمن أعطى كتاب
أعماله يمينته، وهم السعداء، فأولئك يقرءون كتابهم مبتهجين ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء.

٧٢ - وأما الفريق الآخر، فيفهم ما يرى، وتسد عليه مسالك النجاة، ويصم عن كشف ضربه، كما كان
أعمى في الدنيا عن طريق الحق والرشاد، ومن كان في الدنيا أعمى، فهو أعمى في الآخرة، وأبعد عن سبيل
الخير.

٧٣ - وإن المشركين يتفنون في محاولة صرفك عن القرآن لتطلب غيره من المعجزات، وتكون كالمفتري
علينا، وحينئذ يتخفونك صاحباهم لهم، وإن هذه المحاولات قد تكررت وكثرت، وكان من شأنها أن تقربك
ما يريدون، ولكلك رسولنا الأمين.

٧٤ - وقد غمك لطفنا، فصرفناك عن الاستجابة لهم، وثبتناك على الحق، ولولا ذلك لأوشكت أن تقبل إلى
استجابتهم، طمعا في أن يكمل إيمانهم يوما إذا دخلوا في أوائل الاسلام.

الْحَيِزَّةَ وَضَعَفَ الْأَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسَانَتِنَا مُحْوِلًا ﴿٧٧﴾
أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ
فَتَجِدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي
مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ
زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى

٧٥ - ولو قاربت الركون اليهم ، لجمعنا عليك عذاب الدنيا ، وضاعفناه ، وعذاب الآخرة وضاعفناه ، ثم لا تجد لك نصيرا علينا يمنع عنك العذاب ، ولكن لا يكون ذلك أبدا لأنه مجتمع على رسولنا الأمين .

٧٦ - ولقد حاول كفار مكة ، وكادوا أن يزعموك من أرض مكة بصدابوتهم ومكرهم ، ليخرجوك منها ، ولو تحقق منهم ذلك لا يبقون بعد خروجك منها إلا زمنا قليلا ، ثم يطلبون على أمرهم وتكون الكلمة لله .

٧٧ - وذلك كطريقنا في الرسل قبلك ، من اهلاك من أخرجوا بينهم ، ولن تجد لطريقنا تبديلا .

٧٨ - أقم الصلاة المفروضة ، من أول زوال الشمس من وسط السماء نحو الغرب ، إلى ظلمة الليل ، وهذه صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وأقم صلاة الفجر التي تشهدها الملائكة .

٧٩ - وتيقظ من نومك في بعض الليل ، فتجد بالصلاة عبادة زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك ، رجاء أن يقيمك ربك يوم القيامة مقاماً يحملك فيه الخلائق .

٨٠ - وقل : يارب أدخلني ادخلا مرضيا كريما في كل ما أدخل فيه من أمر أو مكان ، واخرجني منه اخراجا مرضيا كريما ، واجعل من فضلك قوة تنصرك بها على أعدائي .

٨١ - وقل منندرا قومك المشركين : جاء الحق من التوحيد والدين الصحيح والعدل ، ونهب الباطل والشرك والدين الفاسد والظلم ، ان الباطل مضمحل زائل دائما .

٨٢ - وكيف لا يقرى الحق ، ونحن نزل من القرآن ما هو شفاء لما في الصدور من الشك والريب ، وسبب رحمة لمن آمن به ، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا لكفرهم به .

الْإِنْسَانِ أَعْمَىٰ ۖ وَنَظَرَ بِحَاجَتِهِ ۖ وَلَإِنَّمَا الشَّرُّ كَانَ يُفْجِسُ ۖ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۖ فَرَبُّكَ أَعْلَمُ ۖ بِمَن هُوَ أَعْدَىٰ سَبِيلًا ۖ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَلَٰكِن شِئْنَا لَنَذْمَنَ بِالْبَئِثِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قَوْلَ لَا تَجِدُ الْكَافِرِينَ عَلَىٰ عِلْيَا وَكَيْلًا ۖ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ ۖ إِن تَضَلُّهُ ۖ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۖ قُلْ لَّيْنِ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَٰلِيًّا ۖ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۖ وَلَوْ أَنَّ ثَمِينَ مِّنَ الْأَرْضِ يَدْعُونَ ۖ أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعَنِي فَتُفْجَرُ الْأَنْهَارُ

٨٣ - وإن في طبع الانسان الفرور والقنوط ، فإذا أنصتنا عليه بالصحة والسعة ، أعرض عن ذكرنا ودعائنا ، وبعد عنا بنفسه تكبرا ونعاطيا ، وإذا مسه الشر كالمرض والفقر ، كان شديد القنوط من رحمة الله .

٨٤ - قل أيها النبي لكفار قريش، رغبة عن آثارة الشر والجدال: كل منا وبمنكم يعمل ويسير على طريقته، فربكم علم علما ليس فوقه علم بين هو أوضح طريقا واتباعا للحق فيؤتيه أجره موقورا، ومن هو أفضل سبيلا فصافها بما يستحق.

٨٥ - ويسألك يا محمد قومي، بإيعاز من اليهود، عن حقيقة الروح، قل: الروح من علم ربى الذى استأنف به، وما أوتيت من العلم إلا شئنا قليلا فى جنب علم الله تعالى.

٨٦ - ولئن أردنا أن نخرج من صدورك القرآن الذي أوحينا إليك ، لفعلنا ثم لا تجد من يقوم لك ونصرك .

٨٧ - ولكن أبقينا رحمة من ربك لأن فضله في هذه المعجزة كان عليك عظيما.

٨٨ - قل لهم متحديا أن يأتيوا بمثلهم ، وانهم ليعجزون ، لأن اجتماعت الانس والجن ، وتعاونوا على أن يأتيوا بمثل هذا القرآن في نظمهم ومعانيه ، لا يستطيعون ، ولو كانوا متعاونين بعضهم بظاهر بعضا .

٨٩ - ولقد نوعنا مناهج البيان بوجوه مختلفة للناس في هذا القرآن ، من كل معنى هو كالمثل في غرابته ، فأبى أكثر الناس إلا المجهود والابتكار .

٩٠ - ولما ظهر اعجاز القرآن، ولزمته الحجة، اقترحوا الآيات والمعجزات، فعل الصغوج المبهوت المنحصر، فقالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من أرض مكة عينا لا ينقطع ماؤها.

خَلَقَهَا تَفْجِيرًا ۝ أَوْ سَفَطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مَنَافِقُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا ۝ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ بِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ نُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ ۚ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۝ قُلْ كُنْ يَاقَافُ شَيْدَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّمَا أَكُنُّ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ وَمَنْ يَبْدَأِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضِلَّ فَلَن يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عِيًّا ۖ وَيُكْشَرُ عَنْهُمْ سُدُّهُمْ ۖ وَمَا وَهَنُوهُمْ ۖ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ۝ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِمَا كَفَرُوا ۖ وَيَاقِيتَا ۖ قَالُوا أَوْدَا كَا عِظْمَانَا ۖ وَرَفُفْنَا أَوْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝

٩١ - أو يكون لك بكة بستان من لخل وعنب فتفجر الأنهار وسطه تفجيرا كثيرا .

٩٢ - أو تسقط السماء فوق رؤوسنا قطعا كما زعمت أن الله وعدتنا بذلك ، أو تأتي باله والملائكة نقابلهم معاينة ومواجهة .

٩٣ - أو يكون لك بيت من زخرف من ذهب ، أو تصعد في السماء ولن نصدقك في هذه الحبال إلا إذا جئتنا بكتاب من الله يقرر فيه صدقك نقروه ، قل لهم : أنزه ربي عن أن يتحكم فيه أحد ، أو يشاركه في قدرته ، ما كنت إلا بشرا كسائر الرسل ، ولم يأتوا قومهم بأية إلا باذن الله .

٩٤ - وما منع مشركي مكة أن يدعوا للحق حين جاءهم الوحي مقرنون بالمعجزات الا زعمهم جهلا منهم أن الله تعالى لا يبعث رسلا من البشر بل من الملائكة .

٩٥ - قل ردا عليهم : لو كان في الأرض بدل البشر ملائكة يمشون فيها كالأدمنين مستقرين فيها ، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولنا من جنسهم ، ولكن الملائكة لا يكونون كالإسراء ، ولو كانوا لجاموا في صورة البشر .

٩٦ - وقل إن أنكرتم رسالتي فكني الله حاكما بيني وبينكم مقروا صدق رسالتي إليكم انه كان بعابه علما بأهوائهم بصيرا بأفعالهم وهو مجازيهم عليا .

٩٧ - وقل لهم : من يبدأ الله لحسن استعداده فهو المهتدي ، ومن يضلل ففساد طبعه ، فلن نجد له أنصارا غيره يبدونهم في الدنيا ، ونحشرهم في الآخرة مسجودين على وجوههم لا ينظرون ولا ينطقون ولا يسمعون ، وكانهم الذي يأرون إليه جهنم ، كلما ضعف لديها زادها الله تلويها واشتعالا .

٩٨ - ذلك العذاب جزاؤهم ، بسبب كفرهم بالأدلة التي أتناها لهم على الحق ، وقولهم : أنبت خلقا جديدا بعد أن نصير عظاما ورفاتا ؟ .

* أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُّوا ﴿٩٩﴾ قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِِّّي فَلَمَّ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَلْمُوزِي مَن مَّحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءَ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَاحِدٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرِحُونَ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَلِلَّهِ أَنْزَلْنَاهُ وَلِلَّهِ تَرْتَّلُ

٩٩ - أغفلوا ولم يعلموا أن الله الذي خلق السموات والأرض، مع عظمها، قادر على أن يخلق مثلهم من الاتس والجن، ومن هو قادر على ذلك، كيف لا يقدر على إعادتهم، وهي أهون عليه، وقد جعل سبحانه لإعادتهم بعد الموت أجلا محددًا لاسك في حصوله، وهو يوم القيامة، ومع ذلك أبى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، بعد إقامة هذه الحجة إلا جحودا.

١٠٠ - قل هؤلاء المذنبين : لو كنتم تملكون خزائن رزق ربى، لبلغن خشية الفقر، لأن الانسان مطبوع على شدة الحرص والبخل، والله هو الفنى الجواد، يمنح ما شاء لمن يشاء، وينزل من المعجزات ما شاء لا ما شاء الناس ؟ وهو فى ذلك كله حكيم عليم .

١٠١ - ولو أرق هؤلاء من الآيات ما اقترحوا، لصرفوها عن وجهها، ولم يؤمنوا بها، ولقد آتينا موسى تسع آيات واضحات^(١) ومع ذلك كفروا، وقال فرعون : انى لأظنك مسحورا يا موسى .

١٠٢ - قال موسى : لقد علمت يا فرعون أن الذى أنزل هذه الآيات هو رب السموات والأرض لأنه هو الذى يقدر عليها وهي واضحات تبصرك بصدق، ولكنك تكابر وتساند، وانى لأظنك يا فرعون هالكا إذا لم ترجع عن عنادك .

١٠٣ - فتأذى فرعون فى طغيانه، فأراد أن يخرج موسى وبني اسرائيل من أرض مصر، فأغرقناه مع جنوده جميعا .

١٠٤ - ونجينا موسى وقومه، وقتلنا من بعد اغراق فرعون، لبني اسرائيل : اسكنوا الأرض المقدسة بالشام، فإذا جاء وقت الحياة الأخرى، جئنا بكم من قبوركم مختطفين ثم نحكم بينكم بالعدل .

(١) هذه الآيات التسع : ١- الصا - ٢- اليد البيضاء - ٣- الطوفان - ٤- الجراد والضفادع والقمل والدم - ٥- الجندب ونقص الار - ٦- فلق البحر - ٧- انجاس الله من الحبر - ٨- تنق الجبل كأنه طقة - ٩- خطابه لربه .

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أُوحِيَ إِلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا نَذِيرٌ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا إِلَىٰ مَا دَعَا إِلَهُي وَإِلَىٰ مِلَّةِ الْإِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٠٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا إِلَىٰ عِلْمٍ مِّنَ اللَّهِ أَنَّهُ يُخَوِّفُ لِمُنَافِقٍ ۚ لَّيَالِي نُفُوسٍ مُّكْثٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا إِلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١١٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا إِلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١١١﴾

١٠٥ - وما أنزلنا القرآن الا مؤيدا بالحكمة الالقية : التي اقتضت انزاله ، وهو في ذاته وما نزل إلا مشتقلا على الحق كله ، ففائدته هي الصحيحة ، وأحكامه هي المستقيمة . وما أرسلك أيها النبي إلا مبشرا من آمن بالجنة ، ونذيرا لمن كفر بالنار ، فليس عليك شيء إذا لم يؤمنوا .

١٠٦ - وقد فرقنا هذا القرآن ، ونزلناه منجها على مدة طويلة ، لتقرأه على الناس على مهل ليفهموه . نزلناه شيئا بعد شيء تنزيلا مؤكدا لا شبهة فيه .

١٠٧ - قل لكفار مكة تهديدا لهم : اختاروا لأنفسكم ما تحبون ، من الإيمان بالقرآن أو عدمه ، فإن الذين أوتوا العلم الصحيح والادراك السليم من قبل نزوله ، إذا بطل عليهم يقضون على الوجوه سجدا ، شكرًا لله على نعمته .

١٠٨ - ويقولون نزل ربنا عن خلف الوعد الذي وعد به من نعيم وعذاب ، ان وعده كان حاصلًا لا محالة .

١٠٩ - ويقضون ثانيا على الوجوه سجدا باكين من خوف الله ، ويزيدهم القرآن تواضعا لله .

١١٠ - قل هؤلاء المشركين : هموا الله باسم الله أو اسم الرحمن فأى اسم تسمونه فهو حسن ، وهو تعالى له الأسماء الحسنى ، ولا شبهة لكم في أن تعدد الأسماء يستوجب تعدد المسمى . وإذا قرأت القرآن في صلاتك ، فلا ترفع صوتك به ، لئلا يسمع المشركون فيسيبوك ويؤذوك ، ولا تسر به فلا يسمع المؤمنون ، وكن وسطا في قراءتك .

١١١ - وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ، لعدم حاجته إليه ، ولم يكن له شريك في الملك ، لأنه وحده منزه . ولم يكن له ناصر يعطيه عزة من ذل الحق ، وعظم ريك تطليا يليق به .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝ فَيَمَّا لَبِثْنَا فِي الْأَعْدَاءِ بِأَسَافٍ شَدِيدَةٍ إِذْ مَنَّا وَنَحْنُ نُدْعِي رَبَّنَا ۝ فَابْحَثْنَا آلِهَتَهُنَّ فَابْحَثْنَا آلِهَتَهُنَّ فَابْحَثْنَا آلِهَتَهُنَّ فَابْحَثْنَا آلِهَتَهُنَّ ۝ وَنَبِّئِ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْعَمُونَ الصَّلَاحَاتِ أَنَّ هُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَكِينٍ فِيهِ أَبَدٌ ۝ وَنَبِّئِ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْعَمُونَ الصَّلَاحَاتِ أَنَّ هُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَكِينٍ فِيهِ أَبَدٌ ۝ وَنَبِّئِ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْعَمُونَ الصَّلَاحَاتِ أَنَّ هُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَكِينٍ فِيهِ أَبَدٌ ۝

هذه السورة مكية ، ما عدا الآية ٣٨ والآيات التي تنبئ من ٨٣ إلى ١٠١ ففيها عشرين أية مدنية . وقد ابتدأت بحمد الله تعالى لانزاله القرآن الكريم ، وبيان أن القرآن هو الانذار والتبشير ، وفيه انذار الذين ادعوا أن الله ولدا ، وفيها ذكر حرص النبي ﷺ على إيمان الذين يدعهم بدعاية الله ثم ذكر قصة أهل الكهف الذين رقدوا ثم بعثوا بعد أن لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، وهو عدد من النصارى فروا من ظلم الحاكم الروماني ، ورددوا في الكهف تلك المدة ثم بعثوا للدلالة على قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت .

ثم بعد ذلك أمره الله بأن يتلو القرآن ، وينذر به ويبشر ، ثم بيان حال أهل الجنة فيها وأهل النار ، وضرب الله مثلا لرجلين أحدهما غني بعتز جاله ونيبه ، والثاني يعتر باله ، وبين سبحانه أن ولايته هي الحق ، ثم بين سبحانه زينة الحياة الدنيا الفانية ، ثم ما يكون يوم القيامة من نصيب مقيم أو عذاب أليم ، ثم ذكر سبحانه قصة موسى مع العبد الصالح الذي أوفى عليا من الله . وفي هذه القصة يصور ما يبجله الانسان ولو كان نبيا مرسل من أولى العزم من الرسل من قدرة الله إلا إذا أتاه الله علمه . ثم يحى ذكر ذى القرنين ووصوله إلى أقصى الشرق وبنائه للسد ، ثم يوم القيامة وما يكون فيه ، وجزاء المؤمنين ، وعلم الله تعالى وكلها التي لا تتعد ، وختمت السورة ببيان الطريق لأرضائه سبحانه .

١ - التناء الجميل مستحق لله تعالى الذي أنزل على عبده محمد القرآن ، ولم يجعل فيه شيئا من الانحراف عن الصواب ، بل كان فيه الحق الذي لا ريب فيه .

٢ - وجعله قويا مستقيما في تعاليمه لينذر الجاهدين بعذاب شديد صادر من عنده ، ويبشر المصدقين الذين يعملون الأعمال الصالحات بأن لهم ثوابا جزيلا .

٣ - هو الجنة خالدين فيها أبدا .

أَلَّهُ وَلَدًا ❶ مَلَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِإِبْرَاهِيمَ ❷ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ❸ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ❹
 فَلَمَّا كَبُخَ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ ❺ إِنْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ❻ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا
 لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ❼ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا ❽ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
 وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ❾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا
 مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ❿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ⓫ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى
 لِمَا لَيْسُوا أَعْدَا ⓫ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ⓫ وَرَبَطْنَا عَلَى

٤ - وينذر على وجه الخصوص الذين قالوا عن الله انه اتخذ ولدا، وهو المنزه عن أن يكون كالحوادث
 يلد أو يولد له .

٥ - وليس عندهم علم بذلك ولا عند آبائهم من قبل ، فاعظم الافتراء في هذه الكلمة التي تحيروا على
 اخراجها من أفواههم ا ما يقولون إلا افتراء ليس بعده افتراء .

٦ - لا تهلك نفسك - أيما النبي - أسفا وحزنا على اعراضهم عن دعوتك غير مصدقين بهذا القرآن .

٧ - انا قد خلقناهم للخير والشر ، وصيرنا ما فوق الأرض زينة لها ومنفعة لأهلها ، لتعاملهم معاملة المختبر
 ليظهر منهم الأفضل عملا ، فن استوتوه الدنيا ولم يلتفت إلى الآخرة ضل ، ومن آمن بالآخرة اهتدى .

٨ - وانا لمصيرين عند انقضاء الدنيا ما فوقها مثل أرض مستوية لا نبات فيها ، بعد أن كانت خضراء عامرة
 بظواهر الحياة .

٩ - لقد أنكر الذين استوتوهم الدنيا بزينة البعث ، مع أن الوقائع تثبت الحياة بعد الرقود الطويل ، وهذه
 قصة أهل الكهف في الجبل واللوح الذي رقت فيه أحوالهم بعد موتهم لم تكن عجبا وحدها دون سائر الآيات ، وان
 كان شأنها خارقا للعادة ، فليس أعجب من آياتنا الدالة على قدرتنا .

١٠ - اذكر حين صار هؤلاء الفتيان إلى هذه المأساة ، وجعلوها مأوى لهم ، فرارا بدينهم من الشرك
 والمشركين ، فقالوا : يا ربنا آتنا من عندك مفقرة وأمننا من عدونا ، وسر لنا من شأننا هداية وتوقيفا .

١١ - فاستجبت دعائهم فأمنناهم آمنين في الكهف سنين عديدة .

١٢ - ثم أبقظهم الله بعد أن ظلوا نياما أمدا طويلا ، لتكون عاقبة ذلك اظهار علمنا من أصاب من الفريقين
 في تقدير مدة مكثهم .

١٣ - نحن نقص عليك أيها الرسول خبرهم بالصدق . انهم فتيان كانوا قبل العهود السابقة على دين الحق ،
 صدقوا بوجدانية رجم وسط قوم مشركين ، وزدناهم يقينا .

قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ عَلَّمْنَا إِذَا سَطَطًا ۝١٤
هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝١٥
وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَاوْتُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ
مَرَفَقًا ۝١٦ * وَرَى السَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَوَارِعًا مَكْهِفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُهُمْ ذَاتَ

١٤ - وثبتنا قلوبهم على الايمان والصبر على الشدائد، حين قاموا في قريتهم، فقالوا متعاهدين: ربنا أنت الحق رب السموات والأرض، لن نعيد من غيره إلها، ولن نتحول عن هذه العقيدة. والله إذا قلنا غير هذا لكان قولنا بعيدا عن الصواب.

١٥ - ثم قال بعضهم لبعض: هؤلاء قومنا أشركوا بالله غيره، هلا يأتون على ألوهية من يعبدونهم من دون الله بحجة ظاهرة، انهم لظالمون فيها فعلموا، ولا أحد أشد ظلما ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك إليه.

١٦ - وقال بعضهم لبعض: ما مدنا قد اعتزلنا القوم في كفرهم وشركهم، فاجأوا إلى الكهف فرارا بدينكم، يبسط لكم ربكم من مغفرته، ويسهل لكم من أمركم ما تنتفعون به^(١) من مرافق الحياة.

(١) لم يكن على وجه التحقيق سرقة أصحاب الكهف، ولا زناهم ولا مكان الكهف الذي أوى إليه هؤلاء الفتيه، ومع ذلك فلا بأس من القيام بمحاولة قد تلقى ضوءا ولو خافتا عليهم. ولما كان القرآن الكريم قد نص على أنهم فتية آمنوا بربهم فزادهم ديمشق قد تعرضوا للاضطهاد ديني وأوى الله هؤلاء الفتيه للاختصاص بالكهف. ويشير التاريخ القديم إلى وقوع اضطهادات دينية في الشرق القديم، حدثت في أوقات مختلفة - ونذكر فيما يلي اضطهادين قد يكون أحدهما مناسبا للمقام:

أما أولا فقد حدث في عهد الملك السلوقي انتيوخوس الرابع الملعب بابليانييس (حوال ١٧٦ - ٨٤ ق. م) فإنه لما أعطل هذا الملك عرش سوريا، وكان مولدا أشد الفوارق والثقافة الإغريقية وحضارتها، فرض على اليهود بفلسطين - وكانت في قبضة سوريا منذ عام ١٩٨ ق. م - الدين بداية الإغريق وأبطل شريعتهم، ودنس الهيكل بوضعه قتال زوس معبود الإغريق الأعظم على المنح، وتقدم المختازير ذبايح له، ثم أنه أمرهم ما وجهه من تسخ الفورة.

ففي ضوء هذه الحقيقة التاريخية يبدو أن هؤلاء الفتيه يهود ويكون مكانهم في فلسطين عامة أو في أورشليم ذاتها، ويكونون قد بشوا حوال عام ١٢٦ م أبان حكم الروم للشرق، أي قبل مولد النبي ﷺ (حوال ٥٧١ م) بأربعائة وخمسة وأربعين عاما تقريبا. أما الاضطهاد الثاني فقد حدث في عهد الإمبراطور الروماني هادريانوس (١١٧ - ١٣٨)، فهذا الإمبراطور قد فعل باليهود مثل ما فعل انتيوخوس السالف الذكر تماما، وتفصيل ذلك أنه حدث في عهده أن أعلن اليهود العصيان على الإمبراطورية الرومانية (الروم) عام ١٣٢ م، فإطردوا الحاميات الرومانية واستولوا على أورشليم، وصكروا تقيدهم ذكرى لتحرير المدينة المنقصة، وقبضوا على زمام الأمور طوال ثلاث سنوات، وأخيرا تحرك هادريانوس وجيشه، ووقع الثورة، وأضعف فلسطين، واستعاد أورشليم، وقضى على القضية اليهودية قضاء تاما، وقد لاقى قواها حتفهم، وبيع اليهود في سوق النخاسة، وكان من نتائج ذلك أن عطل هادريانوس الشعائر اليهودية، وأبطل تصاليم اليهود وتواظيهم.

وفي ضوء هذه الحقيقة التاريخية يبدو أن هؤلاء الفتيه يهود، ويكون مكانهم في أي مكان في الشرق القديم أو في أورشليم نفسها، ويكون قد بشوا حوال عام ٤٣٥ م، أي قبل مولد النبي ﷺ بمائة وثلاثين عاما.

ويبدو أن الاضطهاد الأول أكثر تلازما مع أصحاب الكهف، لأنه كما أشد قرة، أما الاضطهادات المسيحية فلا تلازم مع مولد النبي ﷺ

الْتِمَالِ وَهُمْ فِي شَجَرَةٍ مِّنْ ذَلِكَ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَعُوهُ الْمُهْتَدُونَ وَمَن يُضِلِلِ فَلَن يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَكَهَنُهُمُ آيِقَانًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلْتُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَقَذَاتُ الْأَشْيَالِ وَكَلِمُهُمُ بَيْسٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَرِهْتُمْ قَالَوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ قَابِعْنَاهُمْ أَحَدٌ مِّنْهُمْ يَرْفَعُ صَوْتًا بِآيَاتِنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَيَنْظُرُ آبِيَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْكُلْهُمُ بِرِزْقِ مَنَّا وَلِيَتَلَطَّفَ وَلَا يَشْعُرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعْدُوْكُمْ فَمِنْهُمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَى ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَخْرَجْنَا عَلَيْهِمْ لِيُحِلُّوا أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَخْتَرِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ يُرَى قَالِ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ

١٧ - وقد كان الكهف فتحة متسعة في الجبل ، وهي متجهة إلى الشمال يمينهم فيها التسميع العليل ، وإذا طلعت الشمس من الشرق عن يمينهم مالت أنسختها عنهم ، وإذا غربت عن يسارهم تجاوزتهم ولم تدخل أنسختها في كهفهم ، فحرارة الشمس لا تؤذيهم . ونسيم الهواء يأتيهم ، وذلك كله من دلائل قدرة الله ، ومن يوفقه الله لإدراكها يستدعي ، ومن لا يوفقه فلا مرشد له من بعد ..

١٨ - وتظهر أبيا الناظر متنبئين . وفي الحقيقة هم نيام ، ونقلهم في نومهم بينا مرة ويسارا مرة لنحفظ أجسامهم من تأثير الأرض ، وكلهم الذي صاحبهم ماذا ذراعيه بالقناء وهو نائم أيضا في شكل البقطان ، لو اطلعت أبيا المخاطب عليهم وهم على تلك الحال لفررت منهم هاربا ، ولما قلبك منهم فزعا هيبتم في منامهم ، فلا يقع نظر أحد عليهم إلا هاجم ، كيلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد حتى تنتهي المدة .

١٩ - وكما أننا أيقظناهم ليسان بعضهم بعضا عن مدة مكثهم نائمين ، فقال واحد منهم : ما الزمن الذي مكثتموه في نومكم ؟ فقالوا : مكثنا يوما أو بعض يوم . ولما لم يكونوا مستيقظين من ذلك ، قالوا : انتركوا الأمر له ، فهو الأعلم به ، وليذهب واحد منكم بهذه العملة الفضية إلى المدينة وليخبر أطيع الأطمعة فيأتيكم بطعام منه ، وليكن حسن التفاهم ، ولا يظهرن أمركم لأحد من الناس .

٢٠ - انهم ان رأوكم يقتلونكم رجما بالحجارة أو يبيدوكم إلى الشرك بالقوة ، وإذا عدتم إليه فلن تفلحوا في الدنيا والآخرة .

أَمْرِهِمْ لِنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ❶ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَمَنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَلَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَحْزَنْ فِيهِمْ وَلَا مِرًاءَ ظَنُّهُمْ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ❷ وَلَا تَقُولْ لِنَاصِيَةٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا ❸ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَآذُنُ الرَّبِّ إِذَا نَسِبْتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ❹ وَلِيَتَوَّأ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ❺ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتَوَّأ لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْرِءَهُ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ❻ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ حِكْمِ رَبِّكَ لَا يَمِيلُ لِكَلْبِهِ

٢٦ - وكما أنقذهم وبصفتهم أطلعنا أهل المدينة عليهم ليعلم المطلعون أن وعد الله بالحق حق ، وأن القيامة لا شك في آياتها . فأمّن أهل المدينة بالله واليوم الآخر ، ثم أمّات الله الفتية فتنازعوا في شأنهم : فقال بعضهم إنوا على باب الكهف بنيانا ونتركهم وشأنهم فريم أعلم بحالهم ، وقال أصحاب الكلمة في القوم لتتخذن على مكانهم مسجدا للعبادة .

٢٧ - ويقول فريق من الحافظين في قصتهم من أهل الكتاب : هم ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقول آخرون : هم خمسة سادسهم كلبهم . ظنا خاليا من الدليل ، ويقول آخرون : هم سبعة وثامنهم كلبهم . قل هؤلاء المختلفين : ربي عليهم علما ليس فوقه علم بعددهم . ولا يعلم حقيقته إلا قليل من الناس أطلعهم الله على عددهم ، فلا يجادل هؤلاء المختلفين في شأن الفتية إلا جدالا ظاهرا لينا دون محاولة اقتناعهم ، فإنهم لا يقتنعون . ولا تسأل أحدا منهم عن نبئهم ، فقد جاءك الحق الذي لا مرية فيه .

٢٨ - ولا تقولن لشيء تقدم عليه وتهم به : إني فاعل ذلك فيما يستعمل من الزمان .

٢٩ - ألا قولنا مقترنا بنسبة الله بأن تقول : إن شاء الله ، وإذا نسيت أمرا فتدرك نفسك بذكر الله ، وقل عند اعتزامك أمرا وتعليقه على مشيئة الله : عسى أن يوفقني ربي إلى أمر خير مما عزمت عليه وأرشد منه .

٣٠ - وإن الفتية مكروا في كهفهم نياما ثلاثمائة سنين زادت تسعا ❶ .

٣١ - وقل أيها الرسول للناس : إن الله وحده هو العالم بزمانهم كله ، إنه سبحانه هو المختص بعلم الغيب في السموات والأرض ، فأعظم بصرة في كل موجود ، وما أعظم همه لكل مسموع ، وما لأهل السموات والأرض من يتولى أمورهم غيره ، ولا يشرك في قضائه أحدا من خلقه .

(١) تشير هذه الآية إلى حقيقة فلكية ، وهي أن ثلاثمائة سنة شمسية تقابلها ثلاثمائة وضع سنوات قمرية ، وقد سبقت الآية علم الفلك .

وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطَانًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ قُلْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِنْ يَسْتَكْبِرُوا يَفْخَرُوا بِمَا وَكَّلَ مُهَلِّئُ بَسْوَى أَلْوَجْهٍ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَنَّتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَدٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ فِيهَا بَاطُ خَضْرَاءٍ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَشَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمٌ

٢٧ - واقرأ - أيها الرسول - ما أوحى إليك من القرآن ، ومنه ما أوحى إليك من نيا الفتية ، ولا تستمع لما يهزءون به من طلب تبديل معجزة القرآن بمعجزة أخرى ، فإنه لا مفر لما ينشئه الله بكلمة الحق في معجزاته ، فإنه لا يقدر أحد على تبديله ، ولا تخالف أمر ربك فإنك حينئذ لن تجد غيره ملجأ يحفظك منه .

٢٨ - واحتفظ - أيها الرسول - بصحبة صحابيك من المؤمنين الذين يعبدون الله وحده في الصباح وفي العشي دائما ، يريدون رضوانه ، ولا تنصرف عيناك عنهم إلى المجاهدين من الكفار لإرادة التمتع معهم بزينة الحياة الدنيا ، ولا تطع في طرد فقراء المؤمنين من مجلسك من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا ، لسوء استعداده ، وصار عبدا لهواه ، وصار أمره في جميع أفعاله بعيدا عن الصواب ، والنهي للنهي تنهى لفريقه ، وأن النبي ﷺ لا يريد الحياة الدنيا وزينتها ، ولكن كان اتجاه النهي إليه لكي يحقرس غيره من استهواه الدنيا ، فإنه إذا فرض فيه إرادة الزينة للأبدان لفرض كل انسان في نفسه ذلك ليحقرس .

٢٩ - وقال أيها الرسول : ان ما جئت به هو الحق من عند ربكم ، فمن شاء أن يؤمن به فليؤمن ، فذلك خير له ، ومن شاء أن يكفر فليكفر فإنه لم يظلم الا نفسه . اننا أعدنا لمن ظلم نفسه بالكفر نارا تحيط بهم كالسرادق . وان يستفت الظالمون بطلب الماء وهم في جهنم . يؤت لهم بماء كالزيت العكر الشديد الحرارة ، يجرق الوجوه بلهبه ا قبح هذا الشراب لهم ، وقبحت جهنم مكانا لراحته !!

٣٠ - أما الذين آمنوا بالله وبنبيه الحق الذي يوحى إليك ، وعملوا ما أمرهم به ربهم من الأعمال الصالحة ، فانا لا نضيع أجرهم على ما أحسنوا من الأعمال ..



الْثَّوَابِ وَحَسَنَتْ مَرْفَعًا ﴿٣١﴾ * وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْثُلًا وَلَمْ تَغْلُمِ مِنْهُ شَيْعًا وَفَجَرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَهْرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ مِنْ سَوْنِكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ

٣١ - هؤلاء هم جنات يقيمون فيها متعمني أبداً ، تنساب الأنهار من بين أشجارها وقصورها يتحلون فيها بظواهر السعادة في الدنيا ، كالأساور الذهبية ، وملابسهم فيها الثياب المخضر من الحرير على اختلاف أنواعه ، متكين فيها على السرير بين الوسائد والستائر ، نعم الثواب لهم ، وحسنت الجنة دار مقام وراحة ، يجنون فيها كل ما يطلبون .

٣٢ - بين أيها الرسول في شأن الكفار الأغنياء مع المؤمنين الفقراء مثلا وقع فيا سلف بين رجلين : كافر ومؤمن ، وللکافر حديقتان من أعناب ، وأعطناها بالنخيل زينة وفائدة ، وجعلنا بين الجنتين زرعاً نضراً مثمراً .

٣٣ - وقد أثمرت كل واحدة من الجنتين ثمرها ناضجاً موفوراً ، ولم تنقص منه شيئاً ، وفجرنا نهراً ينساب خلالها .

٣٤ - وكان لصاحب الجنتين أموال أخرى مثمرة ، فداخله الزهو بتلك النعم ، فقال لصاحبه المؤمن غرور ، وهما يتناقشان : أنا أكثر منك مالا وأقوى عشيرة ونصيراً .

٣٥ - ثم دخل إحدى جنتيه مع صاحبه المؤمن ، وهو مأخوذ بفروره فقال : ما أظن أن تنفي هذه الجنة أبداً ! .

٣٦ - وما أظن القيامة حاصلة ، ولو فرض ورجعت إلى ربى بالبعث كما تزعم ، والله لأجدن خيراً من هذه الجنة عاقبة لي ، لأنني أهل للنعم في كل حال ، فهو يقيس الغائب على الحاضر ، ولا يعلم أن الغائب فيه الجزاء على الإيمان وفعل الخير .

٣٧ - قال صاحبه المؤمن بحسبها له : أتسوء لنفسك أن تكفر بربك الذي خلق أصلك آدم من تراب ، ثم من نقطة مائية ، ثم صورك رجلاً كاملاً ، فإن اعتزنت بك وعشيرتك ، فاذكر ربك وأصلك الذي هو من الطين .

رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِنَّ تَرِينَ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝ فَتَنَّى رَبِّي أَن يُوَيِّنَ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حَبَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَصَبَّحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غُورًا فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَهُ رُطْبًا ۝ وَأُحِيطَ بِخَمْرِهِ ۖ فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرْوَتِهَا وَيَقُولُ يَا بَنِيَّ لَرَأَيْتَكَ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ وَلَرَّ تَكُنْ لَهُ رَفْثَةٌ بَصُورَةٌ ۖ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۝ وَاضْرِبْ لَمْثَلِ الْحَيَّةِ الَّتِي بَايَعَتْ أَهْلَ الْاَلِ الْأَوَّلِ ۚ نَبَّأَتِ الْأَرْضُ فَاصْبِحْ هَيْمًا تَدْرُوهُ الرِّيحُ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

٣٨ - لكن أقول : ان الذى خلقنى وخلق هذا العالم كله هو الله ربي ، وأنا أعبده وحده ، ولا أشرك معه أحدا .

٣٩ - ولولا قلت عند دخول جنتك والنظر الى ما فيها : هذا ما شاء الله ولا قوة لي على تحصيله إلا بمعية الله ، فيكون ذلك شكرا كفيلا بدوام نعمتك . ثم قال له : إن كنت ترى أقل منك مالا ولدا نصيرا ؟

٤٠ - فلعل ربي يعطيني خيرا من جنتك في الدنيا أو الآخرة ، ويرسل على جنتك قدرا قدره لها كصواعق من السماء ، فتصير أرضا ملساء لا يثبت فيها شيء ، ولا يثبت عليها قدم .

٤١ - أو يصير مأواها غائرا في الأرض لا يمكن الوصول اليه ، فلا تقدر على اخراجه لسقيها .

٤٢ - قد عاجل الله الكافر ، وأحاطت للمهلكات بآرجنته ، وأهلكها ، وأبادت أصولها . فأصبح يقلب كفيه ندما وتحسرا على ما أنفق في عبادتها ، ثم عاجلها الخراب ، فتنتي أن لم يكن أشرك بربه أحدا .

٤٣ - عند هذه الهتة لم تكن له عشيرة تنتصره من دون الله كما كان يعتز . وما كان هو يقادر على نصرة نفسه .

٤٤ - فإن النصرة في كل حال ثابتة لله الحق وحده وهو سبحانه خير لعبده المؤمن يميز له الثواب ويحسن له العاقبة .

مُقْتَدِرًا ٤٥ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَغَيْرُ أَمَلًا ٤٦ وَيَوْمَ تُسْأَرُ أَعْيُنُ الْجِبَالِ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا لَهُمْ أَعْدَاءَهُمْ ٤٧ وَعَرَضْنَا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّ لَكُمْ مَعِدًا ٤٨ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُدْرِكُنَا الْمَالُ هَذَا الْكِتَابُ لَا يَغْنِئُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ٤٩ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ نَسِيَ اللَّطِيلِينَ بَدَلًا ٥٠

٤٥ - واذكر - أيها الرسول - للناس مثلا للحياة الدنيا في نضرتها وبعثتها ثم سرعة فنتائها ، بأنها كماء أنزل من السماء فارتوى به نبات الأرض فاختضر وأنبغ ، ثم لم يلبث طويلا حتى جف وصار يابسا متكرسا تفرقه الريح والله قادر على كل شيء اتشاه واقفاه .

٤٦ - المال والبنون جمال ومنته لكم في الحياة الدنيا وهي قوتها ، ولكن لا دوام لها ، بل هي غانية غير باقية ، والأعمال الصالحة الباقية خير لكم عند الله ، يميز ثوابها ، وخير أمل يتعلق به الإنسان .

٤٧ - وأندر الناس أيها الرسول بيوم يفسى هذا الوجود فيزيل فيه الجبال وتبصر فيه الأرض ظاهرة مستوية لا يسترها شيء مما كان عليها ، وتحشر فيه الناس للحساب فلا تترك منهم أحدا .

٤٨ - ويعرض الناس في هذا اليوم على الله في جموع مصفوفة للحساب ، ويقول الله تعالى : لقد جئناكم بعد الموت كما أهيئناكم أول مرة ، وجئتمونا فرادى بلامال ولا بنين ، وكنتم في الدنيا تكذبون بالبعث والحساب .

٤٩ - ووضع في يد كل واحد كتاب أعماله ، فيبصر المؤمنون فرحين بما فيه ، ويبصره الجاهلون خائفين مما فيه من الأعمال السيئة ، ويقولون إذا رأوها : ياهلاكنا ، إنا نمجب لهذا الكتاب الذي لم يترك من أعمالنا صغيرة ولا كبيرة إلا سجلها علينا ! ووجدوا جزاء ما عملوا حقا ولا يظلم ربك أحدا من عباده .

٥٠ - واذكر أيها الرسول لهم بدء خلقهم ، ليعلموا أنهم من الطين ، وليس لهم أن يفتروا بما هم فيه ويخضعوا بعدو أبيهم إبليس ، لأنه كان من الجن فاستكبر وتردد على الله ، فكيف بعد ما عرفتم من شأنه تتخذونه وذريته أنصارا لكم من دون الله ، وهم لكم أعداء ؟! قبح هذا البديل لمن ظلم نفسه فأطاع الشيطان .

* مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ﴿٥٦﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٧﴾ وَوَعَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِدُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَفِيٍّ وَجَدَلًا ﴿٥٩﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٦٠﴾ وَمَا يُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَسَائِرَ مَا أُتُوا بِهِ مَوْبِقًا ﴿٦١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ يُعَابَتِ رَبَّهُ فَأَغْرَصَ عَنْهَا وَلَيْسَ مَا قَدَّمَتْ يَدَايَ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ

٥٦ - ما أحضرت إبليس ولا ذريته خلق السموات والأرض . ولا أشهدت بعضهم خلق بعض لأستعين بهم ، وما كنت في حاجة الى معين فضلا عن أن اتخذ المفسدين أعوانا ، فكيف تطيعون الشيطان وتعصوني .

٥٧ - واذكر لهم يوم يقول الله للمشركين : نادوا الذين ادعيتهم في الدنيا انتم شركائي في العبادة ليشفعوا لكم بزعمكم ، فاستغاثوا بهم فلم يجيبوهم وجعلنا الآن ما كان بينهم هلاكا للكفار ، بعد أن كان في الدنيا تواصل عبادة وصحة .

٥٨ - وعاین المجرمون النار فأيقنوا أنهم واقعون فيها ، ولم يجدوا بديلا عنها مكانا يحلون فيه .

٥٩ - ولقد ذكر الله للناس في هذا القرآن الذي كفروا به . وطلبوا معجزة أخرى غيره ، مثلا متنوعة ليحطهم بما فيها ، ولكن الانسان في طبيعته حب الجدل فإذا كان جاحدا جادل بالباطل .

٥٥ - وما منع المشركين من الايمان حين جاءهم سبب الهدى ، وهو الرسول والقرآن ليؤمنوا ويستغفروا الله ، إلا تنهتهم وطلبهم من الرسول أن تأتيم سنة الله في الأولين . وهي الهلاك المستاصل الذي أتى الأولين ، أو يأتيمهم العذاب عيانا .

٥٦ - ولكن الله لا يرسل رسلا إلا للتبشير والانتذار ، ولم يرسلهم ليقرح عليهم للمساندون معجزات معينة ، ولكن الذين كفروا يعرضون عن الحق ، ويجادلون المرسلين بالباطل ليلطوا الحق وقد وقفوا من القرآن والنذر موقف المستهزئ الساخر الذي يسعى بطلب الحقائق .

فَلَنْ يَسْتَدُوا إِذَا أَبَدًا ۝ وَرَبِّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا الْعَجَلُ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ۝ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهَلَّكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ مَرًبًا ۝ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِنَّا غَدَاةٌ نَقْدُ لَقَيْنَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَتَّبِعُ ۝ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۝ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۝ فَأَرْقَا عَلَيْهِ أَنَارُهُمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ

٥٧ - وليس أحد أظلم من وعظ بآيات ربه فلم يتدبرها ، ونسى عاقبة ما عمل من المعاصي ! إنا بسبب ميلهم الى الكفر جعلنا على قلوبهم أغطية ، فلا تقبل ولا يصل اليها التور ، وفي آذانهم صمما فلا تسمع صماح فهم ! وان تدعهم أيها الرسول الى الدين الحق فلن يعتدوا ما دامت هذه طبيعتهم البتة .

٥٨ - وربك العظيم المغفرة لذنوب عباده ، صاحب الرحمة الواسعة لمن أناب إليه منهم ، ولو شاء أن يؤاخذهم بما اجترحوا من السيئات لمجل لهم العذاب كما سلف لغيرهم ، ولكنه لحكمة قدرها آخرهم لموعده يذوقون فيه أشد العقاب ولن يجدوا ملجأ يحفظهم منه .

٥٩ - وما هي ذى القرى الماضية التي دمرناها لما ظلم أهلها بتكذيب رسلهم ، وجعلنا لهلاكهم موعدا لا يتخلف ، فكذلك حال المكذبين من قومك إذا لم يؤمنوا .

٦٠ - وان علم الله لا يعيط به أحد ، الا أن يعطيه نبيا أو صالحا ، واذكر أيها الرسول أن موسى بن عمران قال لفتاه خادمه وتلميذه : لا أزال أسير حتى أبلغ ملتقى البحرين أو أسير زمنا طويلا .

٦١ - فلما بلغ موسى وفاته المكان الجامع بين البحرين نسيا فيه حوتها الذي حملاه بأمر الله ، فاتخذوا في البحر واتخذ طريقه في الماء

٦٢ - فلما ابتعد موسى وفاته عن المكان ، وأحسا بالجوع والتعب ، قال موسى لفتاه : أتنا ما نتفنى به ، لقد لقينا في سفرنا هذا تعبًا ومُشقة .

٦٣ - قال له فتاه : انذكر حين التجأنا الى الصخرة ، فاني نسيت الحوت ، وما أنساني ذلك إلا الشيطان ، ولابد أن يكون الحوت اتخذ سبيله في البحر ، وانى لأعجب من نسياني هذا .

٦٤ - قال له موسى : إن هذا الذي حدث هو ما كنا نطلب لحكمة ارادها الله ، فرجعا في الطريق الذي جاءه منه يتبعان أثر سيرهما .

رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُحَلِّينَ بِمَا عَلَّمْتُ رَسُولًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ وَتَحِثُّ لِي مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقْنَاهَا فَانْزَعْنَاهَا عَنْهُمْ لِيَنفِرُوا أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذَا لَمْ تَنْصُرْنِي بِمَا كُنْتُ نَسِيتُ وَلَا تَرَوْهُنِّي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٢﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٣﴾

٦٥ - حتى وصلا الصخرة ، فوجدا عبدا من عبادنا الصالحين ، أعطيناه الحكمة ، وعلّمناه من عندنا علما غزيرا .

٦٦ - قال موسى للعبد الصالح : هل أسير معك على أن تطلق بما علمك الله ؟

٦٧ - قال له : انك لن تستطيع الصبر على مصاحبي .

٦٨ - وكيف يمكنك الصبر على شيء لا خبرة لك به .

٦٩ - قال موسى : ستراى ان شاء الله صابرا مطيعا فيما تأمر به .

٧٠ - قال العبد الصالح : فإن اتبعتني ورأيت ما تنكره ، فلا تفاعى بالسؤال عنه حتى أهدئك عنه .

٧١ - فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، حتى وجدا سفينة ، فركباها ، فخرقها العبد الصالح في أثناء سيرها ، فاعترض موسى قائلا : أخرقتها قاصدا اغراق أهلها ، لقد ارتكبت أمرا منكرا .

٧٢ - قال العبد الصالح : انني قلت لك انك لن تستطيع الصبر على مصاحبي .

٧٣ - قال له موسى : لا تؤاخذني على نسيان وصيتك ، ولا تكلفني مشقة في تحصيل العلم منك وتجعله عسيرا .

٧٤ - وبعد أن خرجا من السفينة ذهبا منطلقين ، فلقيا في طريقها صبيا فقتله العبد الصالح ، فقال موسى مستنكرا : أقتلت نفسا طاهرة بريئة من الذنوب بغير أن يقتل صاحبها أحدا ؟ لقد أتيت فعلا مستنكرا .

* قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنَّا لَنَسْتَعِيجَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا فَوْجَدًا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَنَحَلْتَ عَلَيْهِ أْجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدَتْ أَنْ أَطْفِئَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْعَلَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسَخِّرَا كَنْزَهُمَا

٧٥- قال العبد الصالح لموسى : لقد قلت لك : انك لن تستطع صبرا على السكوت عن سؤال .

٧٦- قال موسى : إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فلا تصاحبني ، لأنك قد بلغت الغاية التي تصبر بها في فراق .

٧٧- ناسرا حتى أتيا قرية ، فطلبيا من أهلها طعاما ، فأبوا ضيافتها ، فوجدا فيها جدارا مائلا يكاد يسقط ، فنفضه العبد الصالح ، وبناء حتى أقامه ، قال موسى : لو شئت طلب أجرا على النفض والبناء لفعلت .

٧٨- قال العبد الصالح : هذا الترض منك مرارا لما أفضل سبب الفراق بيني وبينك . وسأخبرك بحكمة هذه التصرفات التي حق عليك أمرها ، ولم تستطع صبرا على ما حق حق تعرف حقيقته وسره .

٧٩- أما السفينة التي غرقها ، فهي لضغفاء محتاجين يعملون بها في البحر لتحصيل رزقهم ، فأردت أن أحدث بها عيبا يزهدها ، لأن خلفهم ملكا يقتصب كل سفينة صالحة .

٨٠- وأما الغلام الذي قتله ، فكان أبواه مؤمنين ، فقللنا - إن عاين - أنه سيصير سببا لكفرهما .

٨١- فأردنا بقتله أن يعوضها الله عنه خيرا منه ديناً وأعظم برا وعظما .



رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي^٤ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ^٥ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَهَأْتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَلْدَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنِ^٦ وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا

٨٢- وأما الجدار الذي أفتته - دين أجر - فكان لفلانين يتيمين من أهل المدينة ، وكان تحت كثر تركه أبوهما لها ، وكان رجلا صالحا ، فأراد الله أن يحفظ لها الكثر حتى يبلغا رشدهما ، ويستخرجاه ، رحمة بهما ، وتكريما لأبيهما في ذريته . وما فعلت ما فعلت باجتهادي إنما فعلته بتوجيه من الله ، هذا تفسير ما خفي عليك يا موسى ولم تستطع الصبر عليه .

٨٣- يسألك - أيها الرسول - بعض الكفار عن نيا ذى القرنين ، فقل لهم سأقص عليكم بعض أخباره .

٨٤- لقد مكنا لأمره في الأرض ، بتصرف فيها بتدبيره وسلطانه ، وأتيناك الكثير من العلم بالأسباب ما يستطيع به توجيه الأمور .

٨٥- فاستعان بهذه الأسباب على بسط سلطانه في الأرض ، واتخذ سببا يوصله الى بلوغ المغرب .

٨٦- وسار حتى وصل الى مكان سحيق جهة الغرب ، فوجد الشمس في رأى العين تغرب في مكان به عين ذات ماء حار وطين أسود ، وبالقرب من هذه العين وجد ذو القرنين قوما كافرين ، فألمه الله أن يتخذ فيهم أحد أمرين : إما أن يدعوهم الى الايمان ، وهذا أمر حسن في ذاته ، وإما أن يقاتلهم إن لم يقيموا داعى الايمان .

٨٧- فأعلن ذو القرنين فيهم : أن من ظلم منهم نفسه بالبقاء على الشرك ، استحق العذاب الدنيوى على يديه ، ثم يرجع الى ربه فيعذبه عذابا شديدا ليس معروفا لهم .

٨٨- وأن من استجاب له وآمن يربه وعمل صالحا ، فله العاقبة الحسنى في الآخرة ، وستعامله في الدنيا برفق ويسر . .

٨٩- ثم سار ذو القرنين كذلك ، مستعينا بتوفيق الله ، واتبع سببا للوصول الى مطلع الشمس شرقا .

بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْرِ لَدِّ جَعَلْ لَّهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَنْذِ الْأَقْرَبِينَ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ جَعَلْ لَكَ نَرْجًا عَلَيَّ أَنْ جَعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُرًّا الْحَدِيدَ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾

٩٠- حتى بلغ مشرق الشمس - في رأى الصين - في نهاية ما وصل اليه من العمران فوجدتها تطلع على قوم يعيشون على الفطرة الأولى ، لا يسرقهم من حرها سائر .

٩١- وكما دعا ذوالقرنين السابقين من أهل المغرب إلى الايمان ، دعا هؤلاء وسار فيهم سيرته الاولى .

٩٢- ثم سار كذلك مستعيناً بما هبأ الله من أسباب التوفيق ، سالكا طريقا بين الشرق والغرب .

٩٣- حتى وصل - في رحلته الثالثة - إلى مكان سمى بين جبلين مرتفعين .. وهناك وجد قوما لا يفقهون ما يقال لهم إلا في عسر ومشقة^(١) .

٩٤- فلما أنسوا فيه القوة والقدرة طلبوا منه أن يقيم لهم سدا في وجه يأجوج ومأجوج ، وهم قوم كانوا يشررون عليهم ، فيفسدون في أرضهم ويغشون ، على أن يعطوا له ضريبة في نظير هذا العمل .

٩٥- فرد عليهم قائلا : إن ما تمنعني الله من الثروة والسلطان خير مما تعرضون على . وشرع يقيم السد ، طالبا منهم أن يعينوه بكل ما يقدرون عليه من رجال وأدوات ، ليحقق لهم ما أرادوه .

٩٦- وطلب منهم أن يجمعوا له قطع الحديد فجمعوا له منها ما أراد ، فأقام به سدا عاليا ساوى به بين حافتي الجبلين ، ثم أمرهم أن يوقدوا عليه النار ، فأوقدوها حتى انصهر الحديد ، فصب عليه النحاس المذاب فأصبح سدا صلبا متينا .

(١) السد بين الجبلين المذكورين في التفسير . هما جبلان : أذربيجان وأرمينية . وقيل هما جبلان في أواخر الشمال منقطع أرض التركستان .

قَالُوا اسْتَطَعْنَا أَنْ يَظْهَرَهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقِبٌ ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ * وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ بِنُفْسِنَا جَمْعَهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾
وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاوَةٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَكْثَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَخَذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
ثَزْلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

٩٧- لما استطاع هؤلاء الكافرون أن يسلفوا السد لارتفاعه، ولا أن يبقوه لصلابه.

٩٨- وبعد أن أتم ذو القرنين بناء السد، قال شاكرًا لله: هذا السد رحمة من ربى عباده، وسيظل قائمًا حتى
يحيى أمر الله عبده، فيصير أرضًا مستوية، وأمر الله نافذ لا محالة.

٩٩- ومنذ أقام السد، ظل أبجوج وماجوج من ورائه يضطربون فيما بينهم، وحس شرهم عن الآخرين، فإذا
كان يوم القيامة ونفخ في الصور، جمع الله الخلق جميعًا للحساب والجزاء.

١٠٠- وعند ذلك يبرز الله جهنم للكافرين إبرازًا يروهم ويحشرهم فيها.

١٠١- وذلك لأن أعينهم في الدنيا كانت في غفلة عن التبصر في آيات الله كأن عليها غطاء وكانوا لضلالهم
لا يستطيعون سماع دعوة الحق كفافدى حاسة السمع^(١).

١٠٢- هل عمت بصائر الذين كفروا، فظنوا أن انقاذهم أمانة من عبادي كالملائكة وعيسى يمدونها من
دوني، نافع لهم وصارف عنهم العذاب؟ إنا اعتدنا لهم جهنم مفرا ينالون فيه ما يستحقون من جزاء..

١٠٣- قل أيها الرسول هؤلاء الكافرين: هل أخبركم بأشد الناس خسرانًا لأعمالهم، وحرمانًا من ثوابها؟

١٠٤- هم الذين بطل عملهم في الحياة الدنيا لفساد اعتقادهم، وهم يعتقدون أنهم يحسنون بعملهم صنيعًا

(١) الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سماع: الذين كانت أعينهم في غفلة عن تدبير مواضع التدكير
في السموات والأرض، وبذلك تدعو الآية الكريمة إلى دراسة كل ما يحيط بالإنسان من شواهد دالة على وجود الله.

وَزَنَّا ۝ ذَٰلِكَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝ قُلْ لَّوْكَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَّكَانَتْ رَبِّي لَتَفْعَلَ الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۝ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْبَشَرِ وَاحِدٌ ۚ فَنَنْكَرُ الْإِلَٰهَ لِقَاءَهُ قُلْ لَّيْسَ بِي إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أُعِدُّوا

وَعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أُعِدُّوا

١٠٥ - هؤلاء هم الذين كفروا بدلائل قدرة الله ، وأنكروا يوم البعث والحساب ، فضاعت أفعالهم واستحقوا يوم القيامة التحقير والاهمال ، إذ ليس لهم عمل يعتد به !

١٠٦ - ذلك الذى بيناه وفصلناه شأن هؤلاء وجزاؤهم عليه جهنم ، بسبب كفرهم وسخريتهم بما أنزل الله من آيات وما أرسل من رسل .

١٠٧ - ان الذين صدقوا في الايمان وعملوا الأعمال الصالحة ، جزاؤهم جنات الفردوس ينزلون فيها .

١٠٨ - ويتمنون أبدا لا يغيرون عنها بدبلا .

١٠٩ - قل أيها الرسول للناس : ان علم الله محيط بكل شئ ، ولو كان ماء البحر مدادا يسطر به كلمات الله الدالة على علمه وحكمته ، لتنفذ هذا المداد ، ولو مد مجمله قبل أن تنفذ كلمات الله ا .

١١٠ - قل أيها الرسول للناس : انما أنا انسان مثلكم ، مرسل اليكم أعلمكم ما علمنى الله اياه ويوحى الى انما الحكم اله واحد لا شريك له ، فمن كان يطمع في لقاء الله ونوابه فليعمل الأعمال الصالحة تخلصا وليتجنب الاشرار بالله في العبادة .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَتَمَ ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُ زَكِرِيَّا ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ
الْعَظْمُ مِنِّي وَأَسْتَعْلُ الرَأْسَ شَيْبًا وَلَوْ أَنَّكَ بِدُعَايِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِمِينَ مِنْ وَرَآئِي وَكَانَتْ

هذه السورة مكية ، وليس فيها مدنى إلا آية ٥٨ ، ٧١ ، وعدد آياتها ٩٨ آية ، وقد ابتدأت بالحروف الصوتية
كثير من السور ، وفيها قصة ولادة يحيى بن زكريا عليها السلام ، وطلب زكريا الولد بعد أن بلغ من الكبر عتيا ،
ومع أن امرأته عاقرة ، ولقد ذكر من بعد ذلك قصة السيدة البتول مريم عليها السلام ، وولادتها للمسيح عليه
السلام ، ثم ذكرت قصة ابراهيم عليه السلام ، ودعوته الى الوحدانية وطلبه من أبيه أن يجسر عبادة الأوثان ،
وما كان بينهما من مجاديات حول الأوثان وسيطرة الشيطان .

وفيها إشارة الى الأنبياء من ذرية ابراهيم : اسماعيل واسحق وذرية اسحق ثم إشارة الى قصة ادریس عليه
السلام وذكر بعد ذلك سبجانه الأخلاف الذين جاءوا بعد النبيين من طائفتين وعصاة وذكر أن الجنة هي جزاء
المؤمنين ، والنار هي جزاء الكافرين ، واحوال الكافرين في جهنم وأشار سبجانه الى المنحرفين الذين يقولون : ان
الله اتخذ ولدا ..

وقد بين سبجانه منزلة القرآن ، وأنذر الكافرين . وضرب الأمثال على هلاك العاصين للأنبياء وأشار الى أنهم
لا أنار لهم .

١ - حروف صوتية لبيان أن القرآن المجز من هذه الحروف ، ولتتبعهم فيسمعون .

٢ - هذا آية الرسول قصص ربك عن رحمته ليهده ونيه زكريا .

٣ - حين التجأ الى الله ودعاه في خفية عن الناس .

٤ - فقال : رب ان قد ضعفت وشاب رأسي ، وكنت بدعائك غير شقي يارب ، بل كنت سعيذا مستجاب
الدعوة .

أَمْرًا نِيَّ عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِئُنِي وَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ يَنْزَكِرُ يَا إِنَّا
تَبَشِّرْكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ آمْرًا نِيَّ عَاقِرًا
وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتَكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝
قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ
قَاوُحٍ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعِشَاءَ ۝ يَبْيَحِيحُ خُدَّ الْكِتَابِ وَقُوَّةً ۚ وَهَاتِنَاهُ الْخُكْرَ صَدِيدًا ۝ وَحَنَانًا مِنْ
لَدُنَّا وَزَكَاةً ۚ وَكَانَ تَقِيًّا ۝ وَبَرًّا بِوَالَدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ۝ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ
يُحْيَاهُ ۚ

٥ - وأني خفت أقاربي ألا يحسنوا القيام على أمر الدين بعد موتي ، وكانت ولا تزال أمراقي عفا ، فأرزقني من فضلك غلاما يخلصني في قومي

٦ - يرئني في العلم والدين ، ويرث من آل يعقوب الملك ، واجعله يارب مرضيا عندك وعند الناس .

٧ - فنودي : يا زكريا انا نبشرك بسلام مهيأه يحيى ، ولم نسم به أحدا قبل .

٨ - قال زكريا متعجبا : يارب كيف يكون لى ولد وزوجى عقيم وأنا فى من الشيخوخة ؟ .

٩ - فأوحى الله لعبده زكريا ، أن الأمر كما بشرت به ، وأن منحك الولد مع كبر السن وعقم الزوج هين على ولا تستبعد ذلك فقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا موجودا .

١٠ - قال زكريا : رب اجعل لى علامة تدل على حصول ما بشرت به . قال الله تعالى : علامتك أن نجيب عن الكلام ثلاث ليال ، وأنت سليم المحواس واللسان .

١١ - فخرج زكريا على قومه من مصلاه ، فأشار إليهم أن سبحوا الله صباحا ومساء ..

١٢ - ولد يحيى ، وشب ثم نوى ، وأمر بأن يعمل بما فى التوراة ، فى جد وعزم ، وقد آناه الله فى طور الصبا فقه الدين وفهم الأحكام .

١٣ - وطبج الله على الحنان ، وسمو النفس ونشأه على التقوى .

١٤ - وجعله الله كثير البر بوالديه ، والاحسان إليهما ولم يجعله متجبرا على الناس ، ولا عاصيا لله .

يَبْعَثُ حَيًّا ۖ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ
 حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۖ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۖ
 قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۖ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَوْلَاكَ
 بَغْيِي ۖ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَهَا آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ۖ
 * فَعَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهٖ مَكَانًا قَعِيًّا ۖ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا
 وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا ۖ فَتَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِينَ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۖ وَهَرَوَتْ إِلَىٰ يَدِهَا يَمْنَةً

١٥ - وسلامة له وأمان ، أن يسه ضر أو أذى يوم ولادته ، ويوم موته ، ويوم بعثه حيا .

١٦ - واذكر أيها الرسول ما في القرآن من قصة مريم ، حينما انفردت عن أهلها وعن الناس ، ونهبت الى مكان
 جهة الشرق من مقامها .

١٧ - وضربت بينها وبينهم حجابا ، فأرسل الله اليها جبريل في صورة انسان ثم الخلق ، حتى لا تنزع من
 رؤيته ، في هيئته الملكية التي لا تألفها ..

١٨ - قالت : مريم اني التحي الى الرحمن منك ، أن يرجى منك أن تنزل الله ، وتحضاه .

١٩ - قال الملك : ما أنا الا رسول من ربك لاكون سببا في أن يوهب لك غلام طاهر خير .

٢٠ - قالت مريم : كيف يكون لي غلام ولم يفرقي انسان ، ولست فاجرة ؟ .

٢١ - قال الملك : الأمر كما قلت : لم يمسك رجل . قال ربك : اعطاء الغلام بلا أب على سهل ، وليكون ذلك
 آية للناس تدل على عظم قدرتنا ، كما يكون رحمة لمن يعتدي به . وكان خلق عيسى أمرا مقدرا لا بد منه .

٢٢ - وتحققت ارادة الله ، وحملت مريم بعيسى على الوجه الذي اراده الله ، ونهبت بمحملها الى المكان البعيد
 عن الناس .

٢٣ - فاجلأها ألم الولادة ، الى أن تركن الى جذع نخلة لتستند اليه وتستتر به ، وتغيبات ما سيكون من
 انكار أهلها هذا الأمر ، وتمنت لو أدرکہا الموت ، وكانت شيئا منسيا لا يذكر .

٢٤ - فتاداهما الملك من مكان منخفض عنها : لا تحزني بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس ، قد
 جعل ربك بالقرب منك نهرا صغيرا .

النَّخْلَةَ لَسْتَ عَلَيْهِ رُبًّا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكَلِمَاتٍ وَأَشْرَىٰ وَفَرَىٰ عَيْنًا فَلَمَّا تَرَىٰ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا قَهَقَرْتُ إِيَّيْ نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ لِإِنْسِيَا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَنْعَمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾
يَتْلُكُنَّ هَذُورٌ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَنِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ
فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَ مُبَارَكًا إِيَّيَّ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِيَّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ
أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ

۲۵- وهزى النخلة تحرك ينساقط عليك الرطب الطيب (۱).

۲۶- فكل منه واشربه. وطهى نفسا. فلن رأيت احدا من البشر ينكر عليك امرك... فأستعيرى اليه انك
صائمه عن الكلام ولن تتحدق اليوم الى احد.

۲۷- فأقبلت مریم على أهلها تحمل عيسى، فقالوا لها في دهشة واستنكار: لقد أتيت امرأ فطعما منكرا.

۲۸- يا سلالة هارون النبي الحق الورع، كيف تأتين ما أتيت وما كان أبوك فاسد الأخلاق وما كانت أمك
فاجرة (۲)؟.

۲۹- فأشارت الى ولدها عيسى ليكلموه. فقالوا: كيف تتحدث مع طفل لا يزال في المهد.

۳۰- فلما سمع عيسى كلامهم أنطقه الله فقال: انى عبد الله سيؤتيني الانجيل، ويختارنى نبيا.

۳۱- ويصلى مباركا معلما للخير نفاعا للناس، ويأمرنى بإقامة الصلاة وأداء الزكاة مدة حياتي.

۳۲- كما يأمرنى أن أكون باراً بوالدى، ولم يصلى متجبرا في الناس، ولا شقيا بمحبيته.

۳۳- والأمان من الله على يوم ولاقى، ويوم موقى، ويوم يعى حيا.

۳۴- ذلك الموصوف بهذه الصفات، هو عيسى ابن مریم، وهذا هو القول الحق في شأنه، الذى يجادل فيه
المبطلون ويشك في أمر قوته الشاكرون.

(۱) «وهزى إليه بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا»: ثبت أن الباع الرطب يحتوى على المواد الغذائية الرئيسية في صورة
مركزة مهلفة الهضم وأنه بذلك يناسب الصلابة.

(۲) «يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا»: ذكر في دائرة المعارف الإنجليزية أن القرآن غلط غلطاً تاريخياً
حين قال: يا أخت هارون في سورة مريم مع أن بين حريم وهارون أمسى موسى مئات السنين، وقد غفلوا عن أن الاخوة تطلق في لسان
العرب على الاخوة الشبية، فالمراد يا من انتسب هارون في الصلاح والتقوى، ما الذى غير حاله من الصلاح إلى ضده، وما كان أبوك
كمرأ سوء باقى لغتنا، وما كانت أمك امرأة فضى.

سَبَّحْتُمْ إِذَا قَضَيْتُمْ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝
فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ قَوِيلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْرِيقِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ أَتَمْنَعُ يَوْمَ وَأَبْصِرُ يَوْمَ يَا تُوتُنَّا
لَكِنَّ الْفَالِغُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ۖ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهِا وَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ۝ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ
إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۝ يَا أَبَتِ

٣٥ - وما صح ولا استقام في العقل أن يتخذ الله ولدا - نزه الله عن ذلك - وشأنه سبحانه أنه إذا قضى أمرا من الأمور نفذت إرادته لا محالة .. بكلمة - كن - فيتحقق في الوجود كائننا .
٣٦ - وإن الله سيدي وسيدكم فاعبدوه ، ولا تشركوا به أحدا ، وهذا الذي دعوتكم اليه طريق يوصلكم الى السعادة .

٣٧ - ومع ما تقدم من قول الحق في عيسى ، قد اختلف أهل الكتاب فيه وذهبوا مذاهب شتى . والعذاب الشديد يوم يحضرون موقف الحساب ، ويشهدون موقف القيامة ويلقون سوء الجزاء .
٣٨ - ما أشد معهم وأقوى بصيرهم يوم يلقون الله !! لكنهم اليوم في الدنيا يظلمهم أنفسهم ، وتركهم الانتفاع بالسمع والبصر ، في ضلال عن الحق ، ظاهر لا يخفى .

٣٩ - وحضر أيها الرسول هؤلاء الظالمين ، يوما يتحسرون فيه على تفریطهم في حق الله وحق أنفسهم - وقد فرغ من حسابهم ، ونالوا جزاءهم - وقد كانوا في الدنيا غافلين عن ذلك اليوم ، لا يصدقون بالمت ولا بالجزاء .
٤٠ - الا فليعلم الناس أن الله هو الوارث لهذا الكون وما فيه ، وحسابهم على الله .

٤١ - واذكر أيها الرسول للناس ، ما في القرآن من قصة ابراهيم ، أنه كان عظيم الصدق ، قولا وعظما ، محمدا عن الله تعالى .

٤٢ - واذكر حين وجه ابراهيم الخطاب الى أبيه في رفق قائلا له : يا أباي كيف تعبد أصناما لا تسمع ولا تبصر ولا تعجب لك شيئا ، ولا تدفع عنك شرا ١٢



إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ
كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ
أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ الْمُنَى يَكْرِهُهُمُ لِيَنْ لَزَنَتَهُ لَا رَجْمَ لَكَ وَالْجُرْمُ مَلِكِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي
إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزُّكَرَ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَفِيًّا ﴿٤٨﴾
فَلَمَّا أَعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمُ مِنْ رَحْمَتِنَا



۴۳ - یا ابی ، لقد جاءنی من طریق الوحي الالهی ما لم یأتک من العلم بالله ، والمعرفة بما یلزم الانسان نحو
ربه ، فاتبعنی فما ادعواک الیه من الايمان ، أدلک علی الطريق المستقیم ، الذی یوصلک الی الحق والسعادة .

۴۴ - یا آبت : لاتطع الشیطان فیما یرین لک من عبادة الأصنام ، فإن الشیطان دائب علی معصية الرحمن
وعخالفة أمره .

۴۵ - یا آبت : انی أخشى إن أصررت علی الکفر أن یصیبک عذاب شدید من الرحمن ، فتکون قرینا للشیطان
فی النار تلیه ولیک .

۴۶ - قال الأب لابراہیم منکرًا علیہ ، مهبطا له : کیف تنصرف عن ألقی یا ابراهیم وتدعونی الی عبادة
الھک ؟ لئن لم تکف عن شتم الأصنام لأضربنک بالھجارة ، فأحذرنی واترکنی زمانا طویلا ، حق تهدأ فأترق عنک .

۴۷ - تلطف ابراهیم مع ابيه وودعه قائلا : سلام علیک منی ، وسأدعو لک ربی بالھدایة والمغفرة ، وقد عودنی
ربی أن یکون رحیما بی وقریبا منی .

۴۸ - وهابذا المجرم وأبتدع عما تعبدون من دین الله ، وأعبد ربی وحده - راجیا أن یقبل طاعنی ولا یغیب
رجائی .

۴۹ - فلما فارق ابراهیم ابيه وقومه وأهلهم ، أكرمه الله بالذرية الصالحة ، علی یأس منها ، إذ بلغ هو وزوجه
حد الکبر ، الذی لا ینجب ، فوهب له اسحق ، ورزقه من اسحق یعقوب ، واختار منها نبیا .

وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۖ وَآذْكَرُفِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ۚ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۖ وَنَذَرْنَاهُ مِنَ الْجَبْرِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَشْنَاهُ خَيْمًا ۖ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ وَآذْكَرُفِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ۚ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۖ وَآذْكَرُفِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسُكُوتًا ۖ * نَخَلْفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا

— ۵۰ —

۵۰ - وأعطيناهم فوق منزلة النبوة كثيرا من خير الدين والدنيا برحمتنا ، وأورثناهم في الدنيا ذكرى طيبة خالدة بلسان صدق على يتحدث بذكرهم .

۵۱ - وأتل - أيها الرسول - على الناس مافي القرآن من قصة موسى ، انه كان خالعا بنفسه وقلبه وجسمه لله ، وقد اصطفاه الله للنبوة والرسالة .

۵۲ - وكرمناه ، فناديناه عند جبل الطور ، وسمع موسى النداء الالهي من الجهة اليمنى ، وقريناه تقريب تشريف ، واصطفيناه لماجاتنا .

۵۳ - وبنحناهم من رحمتنا ونعمنا ، واخترنا معه أخاه هارون نبيا ، يعاونه في تبليغ الرسالة .

۵۴ - وأتل - أيها الرسول - على الناس مافي القرآن من قصة اسماعيل . . انه كان يصدق في وعده ، وقد وعد أباه بالصبر على ذبحه له ، ووفى بوعده ففداه الله وشرقه بالرسالة والنبوة .

۵۵ - وكان يأمر أهله باقامة الصلاة وابتاء الزكاة ، وكان في المقام الكريم من رضا ربه .

۵۶ - وأتل - أيها الرسول - على الناس مافي القرآن من قصة إدريس ، انه كان شأنه الصدق قولا وفعلنا وعملنا ، وقد منحه الله شرف النبوة .

۵۷ - وقد رفعه الله بذلك مكانا ساميا .

۵۸ - أولئك الذين سلف ذكرهم ، ممن أنعم الله عليهم من النبيين ، بنعم الدنيا والآخرة ، من ذرية آدم ومن ذرية من نجاه الله مع نوح في السفينة ، ومن ذرية ابراهيم كاسماعيل ، ومن ذرية يعقوب كأيمن بنى اسرائيل ، ومن هديناهم الى الحق ، واخترناهم لاعلاء كلمة الله . . هؤلاء اذا سموا آيات الله تتلى عليهم ، خشعوا وخروا ساجدين لله متضرعين له .

الشَّهَوَاتِ سَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝ جَنَّتٌ عَدْنٌ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا غَمَّاهِينَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَأْيِنٌ أَيْدِينَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُنْرَجُ حَيًّا ۝ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَرَبِّكَ شَيْئًا ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ

٥٩ - ثم جاء بعد هؤلاء الاخبار أجيال على غير هديهم، تركوا الصلاة، وأهلوا الانتفاع بيهديا، وانهمكوا في المعاصي، وسيلق هؤلاء جزاء غيهم وضلالهم في الدنيا والآخرة.

٦٠ - لكن من تداركوا أنفسهم بالتوبة، وصدقوا الإيمان، والعمل الصالح، فإن الله يقبل توبتهم، ويدخلهم الجنة، ويرفئهم أجورهم.

٦١ - هذه الجنات دار خلود، وعد الرحمن بها عبادته التائبين، قَامُوا بِهَا بِالْغَيْبِ، فهم داخلوها لاجتماعها، فإن وعد الله لا يتخلف.

٦٢ - وهم في تلك الجنات لا يبرى بينهم لغو الحديث، ولا يسمعون الا خيرا وأمنا، ورزقهم فيها رغد مكفول دائما.

٦٣ - ولما يؤق الله تلك الجنة، ولكلها لمن كان تقيا في الدنيا، بترك المعاصي وفعل الطاعات.

٦٤ - وحين دخولهم، واستقرارهم فيها، يقولون حامدين لله : ما دخلنا في الجنة، ولا ننقل فيها من منزل الى منزل، الا بأمر الله وفضله، فهو سبحانه المالك والمدير، العالم بمستقبلنا وماضينا، وما بين ذلك، ولا ينسى الله تحقيق وعده لمن وعده من عبادته الثقلين.

٦٥ - فهو سبحانه الخالق المالك للسموات والارض وما بينهما، والمدير لشؤونها، والمستحق وحده للعبادة، فاعبده أيها المخاطب، وثابر على عبادته صابرا مطمئنا، فهو سبحانه المستحق - وحده - للعبادة، وليس له نظير يستحق العبادة، أو يسمى باسم من أسماءه..

٦٦ - ويقول الانسان مستغربا البعث : كيف أبثت حيا بعد الموت والفناء !!!.

٦٧ - كيف يستغرب قدرة الله على البعث في الآخرة، ولا يذكر انه تعالى خلقه في الدنيا من عدم، مع أن إعادة الخلق أعون من بدئه في حكم العقل.

لَنَحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثًا ۖ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَنتَدَّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِثًا ۖ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ
بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلًا ۖ وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضًى ۖ ثُمَّ تَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَتَذَرُ
الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ۖ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيِ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۖ وَكَرَّهَتْكَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أُنثًا وَرَبًّا ۖ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ
لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ



٦٨ - وإذا كان أمر البعث غربيا ينكره الكافرون، فوالذي خلقك وربك وفاك، لتجتمعن الكافرين يوم
القيامة مع شياطينهم، الذين زينوا لهم الكفر، وسنحضرهم جميعا حول جهنم، جاثين على ركبهم في ذلة، لشدة
الطول والفرج.

٦٩ - ثم لننزعهن من كل جماعة أشدهم كفرا بالله، وقدرا عليه، فيدفع بهم قبل سواهم الى أشد العذاب.
٧٠ - ونحن أعلم بالذين هم أحق بسبقهم الى دخول جهنم والاصطلاء بلهيبها.

٧١ - وان منكم ممشر الخلق الا حاضر لها، يراها المؤمن ويمر بها، والكافر يدخلها، وتنفيذ هذا أمر واقع
حتم، جرى به قضاء الله.

٧٢ - ثم اننا نتمثل المتقين برحمتنا، فننجيهم من جهنم، ونترك بها الذين ظلموا انفسهم جاثين على ركبهم،
تعذبا لهم.

٧٣ - وكان الكافرون في الدنيا، اذا تليت عليهم آيات الله واضحة الدلالة، أعرضوا عنها، وقالوا للمؤمنين -
معتزين بمالهم وجمعهم - : لستم مثلنا حفظا في الدنيا، فنحن خير منكم منزلا ومجلسا. فذلك سيكون حطنا في
الآخرة التي تؤمنون بها.

٧٤ - وكان على هؤلاء الكافرين أن يتصوروا بين سبقهم من أمم كثيرة، كفرت بالله وكانوا أحسن منهم حفظا
في الدنيا، وأكثر متاعا، وأبهى منظرا، فأهلكهم الله بكفرهم - وهم كثيرين - وفي آثارهم عبر لكل معتبر.

جُنْدًا ۞ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلَقِيتُ أَصْلَحْتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ۞
 أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِعَاقِبَتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۞ أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَلْحَدَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۞ كَلَّا
 سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۞ وَنَزَعُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۞ وَأَلْحَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
 ءَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۞ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۞ أَلَمْ نَرَأَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ

٧٥ - قل - أيها الرسول - هؤلاء : من كان في الضلالة والكفر أمهله الرحمن ، وأمل له في العمر ، ليزداد طغيانا وضلالا ، وسيرد الكفار قولهم للمؤمنين : أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ؟ إلى أن يشاهدوا ما يوعدون ، أما تعذيب المسلمين إياهم في الدنيا بالقتل والاسر واما غزى القيامة لهم ، فحينئذ يعلمون أنهم شر مغرلا وأضعف انصارا .

٧٦ - أما المؤمنون بآيات الله ، فحينئذ يسمعونها ، يقولون عليها ، ويزيدهم الله بها توفيقا لحسن العمل ، والاعمال الصالحة خير وأعلى عند الله ثوابا وعاقبة .

٧٧ - تعجب أيها الرسول من أمر الكافر بآيات الله ، الذي فتنه دنياه ، فأنكر البعث وقال - مستهزئا - : إن الله سيعطيني في الآخرة التي نزعونها مالا وولدا أعز بها هناك ، وطن إن الآخرة كالدنيا ، تقاس عليها ، ونسى أنها جزاء الخير والشر ، وإن الفضل فيها بالعمل الصالح .

٧٨ - فهل أطلع ذلك الكافر على الغيب ، حتى يخبر عن صدق ، وهل أخذ من الله عهدا بذلك حتى يتعلق بأمل ؟ .

٧٩ - فليرتدع عما يقتربه ، فاننا نحصى عليه افتراءه ، وسبصل عذابه بمدد مدد طويلا لا يتصوره .

٨٠ - سبيلبه الله ما يعتز به في الدنيا ، من مال وولد ، وبذلك ، وبأني في الآخرة وحيدا منفردا ، دون مال أو ولد أو نصير .

٨١ - أولئك الكافرون اتفقوا غير الله الهة مختلفة عبيدها ، لتكون لهم شفعا في الآخرة .

٨٢ - عليهم ان يرتدعوا عما يظنون ، سيجحد الآلهة عبادتهم وينكرونها . ويكون هؤلاء المعبودون خصما للمشركين ، يطالبون بتعذيبهم .

عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْزَعُهُمْ أَزًا ۝ فَلَا تَعْبَلْ عَلَيْهِمْ ۝ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ۝ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ
وَقَدْ ۝ وَنَسُوقُ الْكَافِرِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًا ۝ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۝
وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۝ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
الْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ عَبْدًا ۝ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ أَتَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ قَرْدًا ۝

٨٣ - ألم تعلم، أيها الرسول، أننا مكنا الشياطين من الكافرين - وقد استحوذت على هؤلاء الكافرين - تفرهم
وتدفعهم إلى القرد على الحق فانقادوا لها ..

٨٤ - فلا يضيق صدرك - أيها الرسول - بكفرهم، ولا تستعجل لهم العذاب، فانما نتركهم في الدنيا امدا محدودا
ونحصى عليهم اعمالهم ودنوبهم، لنحاسبهم عليها في الآخرة ..

٨٥ - اذكر - أيها الرسول اليوم الذي تجمع فيه المتقين الى جنة الرحمن وقودا وجماعات مكرمين .

٨٦ - وتدفع فيه الكافرين الى جهنم عطاشا، كاندفاع الدواب العطاش الى الماء .

٨٧ - ولا يملك الشفاعة في هذا اليوم أحد الا من يأذن الله تعالى له، ليهدي كان له .

٨٨ - لقد قال المشركون واليهود والنصارى : ان الله اتخذ ولدا، من الملائكة أو من الناس .

٨٩ - لقد أتيتهم أيها القائلون ذلك القول أمرا منكرا، تنكروه العقول المستقيمة .

٩٠ - تكاد السموات يتشققن منه، وتنخسف الأرض، وتسقط الجبال قطعا مفتتة .

٩١ - وانما تقرب حوادث السموات والأرض والجبال ان تقع، لانهم سموا الله ولدا .

٩٢ - وما يستقيم في العقل ان يكون لله ولد، لان اثبات الولد له يقتضئ حدوده وحاجته .

٩٣ - ما كل من في السموات والأرض الا سائق الله سبحانه يوم القيامة عبدا خاضعا لأوليئته .

٩٤ - لقد أحاط علمه بهم جميعا وأبغى عليهم، فلا يخفى عليه أحد منهم ولا شيء من أعمالهم .

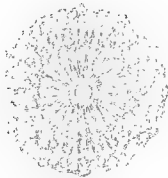
٩٥ - وهم جميعا يجيئون اليه يوم القيامة منفردين عن النصراء وعن الولد والمال .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ لِنِيسَرِهِ لِنُبَيِّنَ لِمَنِ التَّوْبَةُ وَتُذَلِّقَ بِهِمْ قَوْلًا لِّدُنَا ﴿٩٧﴾ وَكَرَّهْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِصُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

۹۶۔ ان المؤمنین العالمین الصالحات یحبهم الله، ویحبهم الى الناس .

۹۷۔ فانما یسرنا القرآن بلفظک لتبشر برضا الله ونعمه من اتبع أوامره واجتنب نواهیہ . وتندر بسخط الله وعذابه من کفر به واشتد فی خصوصته .

۹۸۔ فلا یحزنک - ایہا - الرسول - عنادهم لك ، فقد أهلك الله قبلهم كثيرا من الأمم والأجبال ، لعنادهم ولکفرهم ، ولقد اندبروا ، فلا ترى منهم أحدا ، ولا تسمع لهم صوتا . .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرٌ لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَزِيلًا لِمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ

هذه السورة سورة مكية الا آيتين : هما الآية رقم ١٣٠ ، ١٣١ . وعدد آياتها ١٣٥ ، وقد ابتدأت السورة بحرفين صوتيين للتنبيه على اعجاز القرآن ، ولحمل السامعين على الانصات . وقد ذكرت منزلة القرآن بعد هذين الحرفين ، وشرفه بشرف منزله ، وهو الله سبحانه وتعالى ، مالك السموات والارض ، والذي يعلم السر ، وما هو اخفى من السر ، ثم ذكرت قصة موسى عليه السلام مع فرعون ، وكيف ابتدأ بت موسى عليه السلام ، وطلبه ان يكون اخوه هارون عليهما السلام عوناً له وموازراً ، ثم كيف التقيا بفرعون بعد الهية من لقاءه لهظم طفليته ، وفي هذه الاثناء بين الله تعالى نشأة موسى عليه السلام .

وفيها المجاهدة بين موسى وفرعون ، ثم بين موسى عليه السلام والسحرة ، وحال موسى من خوف المضيقه أمام السحرة ، والتفاف عصاه لما ألقوا من حبال ، ثم فيها كيف انتهى أمر السحرة ، وإيمانهم ، وتعذيب فرعون لهم ، ثم نجاة موسى مع بنى اسرائيل من فرعون ، وكيف غرق فرعون ، وقد تبعهم بعد انغلاق البحر ، وكيف نجى موسى الى الطور ، وقد ترك قومه لينذهب لمناجاة ربه ، ففتنهم السامري ، ووسوس لهم أن يعبدوا هيكل عجول عمل من الذهب ، وكان مرور الهواء في جوفه يحدث خواراً ، وقد غضب موسى لما حدث ، وأخذ برأس اخيه يجره اليه .

ثم جاء في السورة الكريمة ما أصاب السامري ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى المعبر في قصص موسى وغيره ، وجاء في آخر السورة بوصايا كريمة بالصبر والهمة والصلاة ، ثم بيان نهايت المشركين في طلبهم معجزة غير القرآن ، وأشار سبحانه الى حكمة ارسال الرسل ، ثم ختمت السورة الكريمة بالاشارة الى ما يكون للكافرين من عذاب ، وما يكون للمؤمنين من ثواب . .

١ - بدأ الله تعالى السورة بهذه الحروف ، لتحدى المتكبرين والاشارة الى ان القرآن مكون من هذه الحروف التي تتكلمون بها ، ومع ذلك عجزتم عن الاتيان بسورة قصية او آيات من مثله .

٢ - انا ما أوحينا اليك - أيها الرسول - هذا القرآن ليكون سبباً في ارهاق نفسك اسفاً على اعراض المراضين عنك .

٣ - لكن أنزلناه تذكراً لمن يخاف الله فيطيعه .

وَالسَّمَوَاتِ أَلْعَلَّ ① الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ② لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
الْأَرْتِ ③ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى ④ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ⑤ وَهَلْ أَتَاكَ
حَدِيثُ مُوسَى ⑥ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جُدٍ عَلَى الْغَارِ
هُدًى ⑦ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَلْمُوزُكَ ⑧ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاسْلُطْ نَعْلَيْكَ ⑨ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ⑩
وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ⑪ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ⑫

٤ - قد نزل عليك هذا القرآن من عند الله القادر خالق الارض والسماوات الرزقة العالية .

٥ - عظيم الرحمة على ملكه استولى .

٦ - له - وحده - سبحانه ملك السماوات وما فيها والارض وما عليها ، وملك ما بينها ، وما اختبأ في الارض من
معادن وغيرها .

٧ - وكما شملت قدرة الله كل شيء قد أحاط علمه بكل شيء ، وان ترفع صوتك أيما الانسان بالقول ، فان الله
يعلمه ، لانه يعلم حديثك مع غيرك ويعلم حديث نفسك .

٨ - هو الله الاله الواحد المستحق للعبادة دون سواء ، اذ هو المتصف بصفات الكمال ، وله الصفات الحسنى .

٩ - هل علمت أيما النبي خير موسى مع فرعون ؟

١٠ - حين أبصر نارا في مسيره ليلا من مدين الى مصر ، فقال عند ذلك لزوجه ومن معها : انتظروا في
مكانكم ، انى ابصرت نارا ، ارجو ان احمل لكم منها جرة تدفئكم ، او اجد حول النار من يدينى الى الطريق .

١١ - فلما بلغ مكانها ، سمع صوتا علويا يناديه : يا موسى .

١٢ - انى انا الله ربك ، فازرع نعليك تكريما للموقف ، فانك بالوادى المطهر المبارك وهو « طوى » .

١٣ - وأنا الله اصطفيتك بالرسالة ، فاصغ لما أوحى اليك لتعلمه وتبلغه قبيك .

١٤ - اننى انا الله الاله الواحد ، لامعبود بحق سوى ، فأمن بى واعبدنى ، وداوم على اقامة الصلاة لتظل فى
ذكر دائم بى .

إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا يُخْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۖ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ
 هَوَاهُ فَرَدَدَتْهُ ۚ وَمَا تِلْكَ بِمَعِينِكَ يَمْوَسَّىٰ ۖ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّوْا عَلَيَّهَا وَهَاشَ وَهَاشَ عَلَيَّ غَنَمِي وَلِي فِيهَا
 مَغَارِبُ أُخْرَىٰ ۚ قَالَ أَلْقِهَا يَمْوَسَّىٰ ۖ فَالْقِهَا فَإِذَا هِيَ حِجَّةٌ تَسْمَىٰ ۖ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْتَفِظْ سَنُعِيدُهَا
 سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ۖ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بِيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةُ أُخْرَىٰ ۖ لِزُرِكَ مِنْ
 عَيْنِنَا الْكُبْرَىٰ ۖ أَذْهَبَ إِلَيْكَ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَنَّ ۖ قَالَ رَبِّ اشرح لي صدري ۖ وَسِّرْتَ أَمْرِي ۖ

١٥ - ان الساعة التي هي موعد لقائى وقد أخفيت موعدها عن عبادى ، وأظهرت لهم دلائلها ، آية لاهالة ، لحاسب كل نفس على ما عملت وتخزى به .

١٦ - فلا يصرفك ياموسى عن الايمان بالساعة والاستعداد لها من لا يصدق بها ، ومال مع هواه فتهلك .

١٧ - وما تملك التي تمسكها بيدك اليمنى ؟

١٨ - وأجاب موسى : إنها عصاى أعتد عليها فى سبرى ، وأسوق بها غنمى ، ولى فيها منافع أخرى ، كدفن أذى الحيوان .

١٩ - قال الله سبحانه لموسى : ارم بها على الأرض .

٢٠ - فرمى بها موسى ، ففوجىء بها تتقلب حية تمشى !

٢١ - فارتاع منها ، فطمأنه الله قائلاً : تناولها دون خوف ، فأننا سنعيد لها عصا كما كانت .

٢٢ - وأدخل يدك فى جيب ثوبك مضمومة الى جنبك ، تخرج بيضاء ناصعة من غير داء وقد جعلناها لك معجزة ثانية على رسالتك .

٢٣ - لتريك بعض معجزاتنا الكبرى لتكون دليلاً على صدقك فى الرسالة .

٢٤ - اذهب الى فرعون وادعه الى الايمان بالله الواحد الأحد ، فانه قد تجاوز الحد فى كفره وطميانه .

٢٥ - فتضرع موسى إلى ربه أن يشرح له صدره : لينهب عنه الغضب ، وليؤدى رسالة ربه . .

٢٦ - وسهل لى أمر الرسالة لأؤدى حقها . .

وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ❶ يَقْفَهُوا قَوْلِي ❷ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ❸ هَارُونَ أَيُّ ❹ أَشَدُّ
بِهِ أَزْرَى ❺ وَأَثَرِكُهُ فِي أَمْرِي ❻ كَيْ أَسْجَحَ كَثِيرًا ❼ وَتَذَكُّرُكَ كَثِيرًا ❽ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ❾
قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُومِيُّ ❿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ❶ ٥ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَكَ مَا يُوْحَى ❷ ٥
أَنْ أَقْبِضِيهِ فِي الثَّابُوتِ فَأَقْبِضِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوْلُهُ ❸ ٥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةً
مِّنِّي وَلَمْ نَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي ❹ ٥ إِذْ تَمَثَّلَ لَكَ خُضُوعًا فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ❺ ٥ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ
كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ❻ ٥ وَقُلْتُ نَفْسًا فَنَجِّجَنَّكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَنَّكَ فَعَزَّزْنَا ❷ ٥ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ

٢٧ - وفك عقدة لساني لأين .

٢٨ - ليفهم الناس فيها دقيقا ما أقول لهم .

٢٩ - واجعل لي مؤازرا من أهلي .

٣٠ - هو أخى هارون .

٣١ - أشدد به قوتي .

٣٢ - وأثره معي في تحمل أعباء الرسالة وتبليغها .

٣٣ - كي تنزهك كثيرا عما لا يليق بك .

٣٤ - وزيد أحمالك المحسى كثيرا .

٣٥ - ياربنا : انك دائما بصير بنا ، ومتكفل بأمرنا .

٣٦ - نادى الله رسوله موسى قائلا : قد أعطيتك ما سألت ، وهذه منة عليك .

٣٧ - ولقد سبق ان تفضلنا عليك بمئة أخرى دون سؤال منك .

٣٨ - حين الهنا أهلك الهاما كريما كانت فيه حياتك .

٣٩ - الهناها ان تضعك - طفلا رضيحا - في الصندوق ، وأن تلقى به في النيل ، لتنجيك من قتل فرعون .

اذ كان يقتل من يولد في بني اسرائيل من الذكور ، وسخرنا الماء ليلقي الصندوق بالشاطئ ، وشاءت ارادتنا أن يأخذ الصندوق فرعون عدوى وعدوك ، وأحببتك حسب رحمة وولاية ، ليحبك كل من يراك ، ولتربي تربية كريمة ملحوظا برعائقي .

جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَمُوسَى ۝ وَأَسْطَفَيْتُكَ لِنَفْسِي ۝ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِإِئْتِنِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۝
 أَذْهَبَا إِلَيَّ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ غَالِي ۝ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَكَ بِذِكْرٍ أَوْ يُحْشَى ۝ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ
 يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفَنَ ۝ قَالَ لَا تَحْزَنْ إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَى ۝ فَأَنبِئْهُ قَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ
 مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا نُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ ۝ وَاسْلُكْ عَلَى مَنِ اسْتَجَبَ الْهَدْيَ ۝ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ
 إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝ قَالَ قَدْ رَبَّنَا يَمُوسَى ۝ قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ نَفْسٍ

٤٠ - واعلم يا موسى سابق عنايتنا بك حين مشت أختك ترقب أمرك ، فلما صرت في قصر فرعون ، ورأيتهم
 يحشون لك عن مرضع ، دلهم على أمك ، فردناك اليها لتفرض بحباثك وعودتك ، ولتكف عن الحزن والبكاء ،
 ولما كبرت وقتلت خطأ رجلا من قوم فرعون ، نحيثناك من الغم الذي لحق بك ، وخلصناك من شرهم ، فذهبنا الى
 مدين ومكثت فيها سنين عدة ، ثم عدت من مدين في الموعد الذي قمرناه لارسالك ..

٤١ - واسطفيك لوحى وحمل رسالتى .

٤٢ - اذهب مع اخيك مؤيدىن بمجراتى الدالة على النبوة والرسالة والاتضعا في تبليغ رسالتى ، ولا تغفلا عن
 ذكرى والاستعانة بى .

٤٣ - اذهب مع اخيك هارون الى فرعون ، انه كافر تجاوز الحد في كفره وطغيانه .

٤٤ - فادعوا الى الايمان بى في رفق ولين ، راجين أن يتذكر ماغفل عنه من الايمان ، ويغشى عاقبة كفره
 وطغيانه .

٤٥ - فاضرع موسى وهارون الى الله قائلين : ياربنا اننا نخشى ان يبادرنا فرعون بالاذى ، ويتجاوز الحد في
 الاساءة .

٤٦ - فطمأنها الله بقوله : لا تخافا فرعون ، اننى معكما بالرعاية والحفظ ، جميع لمايقول ، مبصر لما يفعل ،
 فلا أملكه من ايدائكما .

٤٧ - فاذعبا الى فرعون قولا له : اننا رسولان اليك من ربك ، جئنا ندعوك الى الايمان به ، وان نطلق بنى
 اسرائيل من الاسر والعذاب ، قد أنبئك بمجزة من الله تشهد لنا بصدق مادعونك اليه ، وبالايمان من عذاب الله
 وغضبه لمن اتبع هدا .

٤٨ - وان الله قد أوحى الينا ان عذابه الشديد واقع على من كذبنا وأعرض عن دعوتنا .

٤٩ - قال فرعون في طغيانه وجبروته : فمن ربكما يا موسى ؟

خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى ٥٠ قَالَ قَالِ بِلِ الْقُرُونِ الْأُولَى ٥١ قَالَ عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ
نَّبَاتٍ شَتَّى ٥٣ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ٥٤ * مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا
نُعِيدُكُمْ وَفِيهَا نَخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ٥٥ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا كَاهِنًا فَكَذَّبَ بِآيَاتِنَا ٥٦ قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَكُمْ مِّنْ
أَرْضِنَا بِسِحْرِ يَدْمُوسَ ٥٧ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ مَنٌّ وَلَا أَنْتَ

٥٠ - فأجابه موسى : ربنا الذي منح نعمة الوجود لكل موجود ، وخلق على الصورة التي اختارها سبحانه له ، ووجهه لما خلق (١) .

٥١ - قال فرعون : فاشأن القرون الماضية وما جرى لها ؟

٥٢ - قال موسى : علم هذه القرون عند ربى وحده ، وهى مسجلة فى صحائف أعمالهم ، لا يغيب عن علمه شئ منها ولا ينسا .

٥٣ - هو الاله المنفصل على عباده بالوجود والحفظ ، مهد لكم الارض فبسطها بقدرته ، وشق لكم فيها طرقا تسلكونها ، وأنزل المطر عليها تجري به الانهار فيها ، فأخرج سبحانه أنواع النبات المختلفة المتقابلة فى ألوانها وطعمها ومنافعها ، فلها الابيض ، ومنها الاسود ، ومنها الحلو ، ومنها المر .

٥٤ - وجهه - سبحانه - عباده الى الانتفاع بما أخرج من النبات ، بالاكل ورعى الانعام ، ونحو ذلك . فذكر ان فى هذا الخلق وابداعه والانعام به دلائل واضحة ، يتدى بها ذوق العقول الى الايمان بالله ورسالاته .

٥٥ - ومن تراب هذه الارض خلق الله آدم وذريته ، واليا يردهم بعد الموت لمواراة أجسامهم ، ومنها يخرجهم أحياء مرة أخرى للبحث والجزاء .

٥٦ - ولقد أرينا فرعون على يد موسى المعجزات البينة المؤيدة لرسالاته وصدقه فى كل ما أخبره به عن الله وعن آثار قدرته ، ومع هذا فقد تمادى فرعون فى كفره ، فكذب بكل ذلك ، وأبى أن يؤمن به .

٥٧ - قال فرعون لموسى : أجئتنا لتخرجنا من أرضنا ، وتجهلنا فى يد قومك بسحر الذى قتلت الناس به ١٢

(١) أودع الله سبحانه وتعالى فى كل شئ صفاته الخاصة التى تؤمله لأداء وظيفته التى خلق لها فى هذه الحياة كما أنها سبيل هداية الإنسان .

مَكَانًا سَوًى ٥٨ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ فُجًى ٥٩ فَنُفِثَ فِرْعَوْنُ بِجَمْعٍ كَيْدِهِمْ أَلَّا يَكُونَ لَهُمُ مُوَسِّمٌ ۖ وَلَوْلَا تَفَقُّهُوْا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِكُمْ يَعْذَابُ ۚ وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْرَقِي ٦٠ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَأُوا النُّجُوزِ ٦١ قَالُوا لَإِنْ هَذَا إِلَّا نَسْجِنٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ٦٢ فَأَجْعَلُوا كَيْدَكُمْ ثَمًّا ۖ أَتُؤْتُوا مَقَافَ ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ٦٣ قَالُوا يَلْمُوزُكُمْ أَمَّا أَنْ تُخَلِّقَ لِلْإِنسَانِ أَتُكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ٦٤ قَالَ بَلَى ۖ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَأْفِكُ ۚ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ٦٥

٥٨ - وأنا سنبتل سحرَك من عندنا ، فاجعل بيننا وبينك موعدا نلتقي فيه ، ولا يختلف منا أحد .

٥٩ - فأجابه موسى : موعدنا يوم عيدكم الذى تزيّنون فيه مبهجين به ، فيجتمع الناس في ضحى ذلك اليوم ، ليشهدوا ما يكون بيننا وبينكم .

٦٠ - فأنصرف فرعون ، وتولى الامر بنفسه ، فجمع وسائل تدبيره ، وعلية من السحرة ، وأدوات السحر ، ثم حضر في الموعد بكل ذلك .

٦١ - قال لهم موسى : يحذرهم هلاك الله وعذابه ، وينهاهم عن اختلاق الكذب ، بزعمهم الوهية فرعون ، وتكذيبهم رسل الله ، وانكارهم المعجزات ، وهدمهم بأن الله يستأصلهم بالمذاب ان استمروا على هذا ، ويؤكد خسران من افترى الكذب على الله .

٦٢ - فذعروا من تحذير موسى ، وتفاوضوا سرا فيما بينهم متجاذبين وكل يشير برأى فهايلقون به موسى .

٦٣ - وأجموا فيما بينهم على أن موسى وهارون ساحران ، يعملان على اخراجهم من بلادهم ، باخراج السلطان من أيديهم ، وذلك بالسحر ليتمكن بنو اسرائيل فيها ، وليبطلا عقيدتهم الطيبة في زعمهم ! .

٦٤ - فاجعلوا ماتكيدون به موسى أمرا متفقا عليه ، ثم احضروا مصطفين ، لتكون لكم في نفوس الرائيين الهية والغلبة ، وقد فاز اليوم من غلب .

٦٥ - واجه السحرة موسى برأى واحد ، وخبروه في شيوخ واعتزاز ، بين ان يبدأ فيلقى عصاه ، أو ان يكونوا هم البادئين .

سَمِعَ ۝ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ۝ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ۝ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقْبَلَ ۝ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ فَجَدًّا قَالُوا هَٰذَا رَبُّ هَارُونَ وَمُوسَى ۝ قَالَ ءَأَمْنُكُمْ لَهُ مُلْكُ قَبْلِ أَنْ ءَاذَنَّا لَكُمْ ؕ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُرِّ الدِّى عَلَى السَّحْرِ فَلَا تُقَطَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صُلْبُكُمْ فِي جُلُوعٍ النَّخْلِ وَلِتَلْعَلَّنَّ آيَاتُنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۝ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْصِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْفَىٰ هَٰذِهِ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ۝

٦٦ - قال موسى : بل ابتدؤا ، فألقوا جهالهم وعصيم ، فنخيل موسى من السحر انها انقلبت نصابين تتحرك وتسير .

٦٧ - فأحس موسى بالخوف لما رآه من اثر السحر ، ومن احتمال أن يلتبس السحر على الناس بالمعجزة ! .

٦٨ - فأدركه الله بلفظه قاتلاً : لا تخش شيئاً ، انك الغالب المنتصر على باطلهم .

٦٩ - وألق العصا التي يمينك لتبتلع مازوروا من السحر ، ان صنيعهم لا يجاوز نموه السحرة ، وان الساحر لا يفوز أبداً كان .

٧٠ - فألقى موسى عصاه فإذا بها تتقلب حقاً بقدره الله حية كبيرة مخيفة ، وابتلعت كل ما عدوه ، فلما رأى السحرة تلك المعجزة بادروا الى السجود ، موقنين بصديق موسى ، قائلين : آمنا بالله - وحده - رب هارون وموسى ، ورب كل شيء .

٧١ - قال فرعون : كيف تؤمنون به دون اذن منى ؟ انه لرئيسكم الذى علمكم السحر ، وليس عمله معجزة كما توهنهم !! وهددهم : لأقطعن ايديكم وارجلكم مختلفات بقطع اليمنى من واحدة واليسرى من الاخرى ، ولأصلبكنم في جذوع النخل ، وستعلمون أى الالهين أشد عذاباً وأدم زمناً ، أنا أم اله موسى .

٧٢ - ثبت السحرة على ايمانهم ، ودفعوا تهديد فرعون بقولهم : لن نبقى على الكفر معك بعدما تبين لنا الحق في معجزة موسى ، ولن نغترك على اله موسى الذى خلقنا ، فاقصل ماتريد ان تفعله !! ان سلطانك لا يتجاوز هذه الحياة القصيرة .

إِنَّا لَمَنَّا بِرَبِّنَا لِنُبَغِّرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا أَن يَأْتِي رِيحُهُ مُجُرمًا فَلَا إِلَهَ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْتًى قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۝ جَنَّاتٌ عَذْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ۝ وَلَقَدْ آوَيْنَا إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَامَ رَبُّهُ أَنْ أَمَرَ بِمَعْبَادِي فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَحْلِفُ دَرَكًا وَلَا تَحْشَى ۝ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ بِمُجْنِبِهِ فَعَبَّوهُ فَعَبَّوهُمْ مِنَ الْأَلَمِ مَا غَشِيَهُمْ ۝ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ۝ يَلْبِثُ إِسْرَءِيلُ قَدْ أَحْبَبْنَاهُ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاهُ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَزَلَّنا عَلَيْكَ الْمَنَّاءَ وَالسَّوْىَ ۝ كَلَّوْا مِنْ طَبِئَتِ

٧٣ - فإنا مقيمون على الايمان بربنا الحق ، ليتجاوز لنا عما سلف من السيئات ، وليغفر لنا ممارسة السحر الذى أكرهتنا على تعلمه ، والعمل به وربنا خير منك نوابيا ، اذا أطيع ، وابق منك سلطانا وقدرة على الجزاء .

٧٤ - ان من يموت على الكفر ويلقى الله مجرما فجزاؤه جهنم لا يموت فيها فيستريح من العذاب ، ولا يحيا حياة يتمتع فيها بنعيم .

٧٥ - ومن يلاق ربه على الايمان وصالح العمل ، فله المنازل السامية .

٧٦ - تلك المنازل هى جنات الاقامة فى النعيم ، تجري بين أنهارها الانهار خالدين فيها ، وذلك جزاء لمن طهر نفسه من الكفر بالايمان ، والطاعة بعد الكفر والمصيبة .

٧٧ - ثم تتابعت الاحداث بين موسى وفرعون ، وأوحى الله إلى رسوله موسى أن يخرج بنى اسرائيل من مصر ليلا ، وأن يضرب البحر بعصاه فتحدث معجزة أخرى ، اذ يفتح له الطريق يبسا فى الماء . وطمانه ألا يخاف من ادراك فرعون لهم ، ولا أن يفرقهم الماء .

٧٨ - فنفذ موسى ما أمر الله به ، فخرج فرعون بمجنوده ورايه ، فأدركهم عند البحر . وسار وراهم فى الطريق الى فتحت فى البحر لموسى وقومه ، وهنا تحققت المعجزة الاخرى ، وهى انطياق مياه البحر على فرعون وقومه ، فأغرقهم جميعا .

٧٩ - وهكذا الحرف بقومه عن طريق الحق ، وغرر بهم فهلكوا جميعا .

٨٠ - يابى اسرائيل ، قد أعطيناكم من عدوكم فرعون ، واعدناكم بالنجاة من عدوكم على لسان موسى ، أن تصلوا آمنين الى جانب الطور ، وزلنا عليكم المن والسوى ، رزقا طيبا ، من الحلو ولحم الطير الشهى .

مَا رَزَقْنٰكَ وَلَا تَطْفَؤْا فِيْهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكَ غَضَبِيْ ۖ وَمَنْ يَحِلَّلْ عَلَيْهِ غَضَبِيْ فَقَدْ هَوَىٰ ۖ ۝٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ
وَعَاسَىٰ ۖ وَيَحِلُّ عَلَيْهِمْ مِّمَّا عَمِلُوا مِنْ قَبْلِهِ ۖ ۝٨٢ وَمَا أَجْعَلُ عَنْ قَوْمِكَ يَلْمُؤِيْنَ ۖ ۝٨٣ قَالَهُمْ أَتَدْعِيْ ۖ هُمْ أَتَدْعِيْ ۖ قَالَهُمْ
إِلَیْكَ رَبِّ لِيَرْصِدَ ۖ ۝٨٤ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَوْمًا مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۖ ۝٨٥ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ
غَضِبَانَ إِسْفًا ۚ قَالَ يَقَوْمُ الرَّبُّ يَدْعُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ
مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِيْ ۖ ۝٨٦ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلٰكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا

٨١- كلوا من هذه الطيبات التي رزقتم بها دون مجهود، ولا تظلموا، ولا تتركوا معصية الله في هذا العيش
الرغيد، حتى لا ينزل بكم غضبي، فإن من ينزل عليه غضبي ينحدر إلى أسفل الطبقات من عذاب الله.

٨٢- وإلى عظيم الغفران لمن رجع عن كفره، وأحسن الإيمان، وأصلح العمل، واستمر على ذلك حتى يلقي
الله.

٨٣- سبق موسى قومه إلى الطور، ليظفر بمناجاة ربه، فسأله الله عن السبب الذي أعجله بالحضور دون
قومه.

٨٤- قال موسى: إن قومي قريبون مني، للاحقون بي، وإنما سبقتهم إليك يارب رغبة في رضاك.

٨٥- قال الله له: أنا قد امتعنا قومك من بعد مفارقتك لهم، فوقعوا في فتنة، إذ أضلهم السامري.

٨٦- فعاد موسى إلى قومه في غضب شديد وحزن مؤلم، وخطب قومه منكرًا عليهم بقوله: لقد وعدكم ربكم
النجاة والهداية، بنزول التوراة، والنصر بدخول الأرض المقدسة، ولم يطل عليكم العهد حتى تنسوا وعد الله
لكم، أردتم بسوء صنيعكم أن ينزل بكم غضب الله بظفانيكم الذي حذركم منه فأخلفتم عهدكم لي بالسير على
سنتي والهيء على أثرى.

فَكَذَلِكَ أُنْقِيَ السَّامِرِيُّ ۝ فَاتَّخَذَ لَهُمْ عِجْلًا جِسْدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِنَّهُ مُوسَىٰ قَتَلَهُ ۝ أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَمِيعَ النَّارِ جِثًّا ۝ وَإِذْ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًا وَلَا نَفْعًا ۝ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ۝ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۝ قَالَ يَثْرِوُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۝ أَأَلَّا تَفْهَمُ ۝ انصَبْتَ أَمْرِي ۝ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَتِي وَلَا يَأْمُرُ ۝ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۝ قَالَ لَمَّا خَلَّيْتُكَ

٨٧ - قال قوم موسى معتذرين : لم تتخلف عن موعدك باختيارنا ، ولكننا حملنا حين خرجنا من مصر أثقالا من حل القوم . ثم رأينا - لتؤمها علينا - أن نتخلص منها ، فأشعل السامري النار في حفرة ورمينا فيها هذه الأنفال ، فكذلك رمى السامري ماله من الحل .

٨٨ - فصنع السامري لهم عجلا مجسما من الذهب ، يزرع في جوفه فيكون له صوت يسمع كخوار البقر ، لتتم الخديعة به ، ودعاهم الى عبادته فاستجابوا ، وقال هو واتباعه ، هذا مبدؤكم ومعبود موسى ففسى ، انه يسهل بالتأمل والاستدلال على أن العجل لا يكون الها .

٨٩ - لقد عميت بصائرهم حين يمترون هذا العجل الها ! أفلا يرون انه لا يرد على اقوالهم ، ولا يستطيع ان يدفع عنهم ضرا ، ولا أن يجلب لهم نفعا ؟

٩٠ - وكان هارون مقيا فيهم ، حين قيام هذه الفتنة ، ولقد قال لهم قبل رجوع موسى عليه السلام : يا قوم ، لقد وقعت في فتنة السامري بهذا الباطل ! وإن الحكم الحق هو الله الرحمن دين سواء ، فاتبعوني فيما أنصحكم به ، وامتثلوا رأيي بالامتناع عن هذه الضلالة .

٩١ - قالوا : سنظل مستمرين على عبادة هذا العجل الى أن يعود موسى إلينا .

٩٢ - قال موسى متأثرا بما علمه ورآه من قومه : يا هارون ، أى سبب منعك أن تكفهم عن الضلالة إذ رأيتهم وقعوا فيها ؟

٩٣ - ولم تقم مقامى بنصحتهم كما عهدت اليك ، أفلا تتبين فيما عهدت به اليك أم هل عصيت أمرى ؟

٩٤ - قال هارون لموسى : يا ابن أُمى ، لاتماجننى بغضبك ، ولا تمسك بلحيتى ولا برأسى لقد خفت ان شددت عليهم فنفروا شيعا وأحزابا أن تقول لى : فرقت بين بنى اسرائيل ، ولم تخلفنى فيهم كما عهدت اليك .

يَسْمِعُهُ ۝ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ۖ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي
نَفْسِي ۝ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۚ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا أَن تُخَلَّفَهُ ۚ وَانْظُرْ لَكَ إِلَٰهَكَ
الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْبِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ۝ لَّيْسَ إِلَٰهُكَ إِلَّا الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِّنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝ مِّنْ أَعْرَضَ
عَنهُ فَأَنَّهُ يُجْعَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَدًّا ۝ خُلِدِلِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ۝ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ

٩٥ - قال موسى عليه السلام للسامري: ما هذا الامر الخطير الذي بعد خطيأ ووقعت فيه ؟

٩٦ - قال السامري لموسى: عرفت من حذق الصناعة وحيلها ما لم يعلمه بنو اسرائيل، وصنعت لهم صورة
عجل له هذا الصوت، وقبضت قبضة من التوراة فألقيتها في جوف العجل، فتمسها على الناس، وكذلك زينت لي
نفسى أن أفعل ما فعلت.

٩٧ - قال موسى للسامري: اخرج من جماعتنا، وأبعد عنا، وإن جزاءك في الدنيا أن نقيم على وجهك، ونفرض
الناس منك، حتى لا تكون بينك وبينهم صلة، فلا يقربك أحد، ولا تقترب أنت من أحد، وإن لعذابك في الآخرة
موعداً محمداً لا تستطيع الفرار منه !! وتند موسى به ويبله قائلاً: أنظر الآن ماذا تصنع بالهلك الذى عكفت على
عبادته، وقتلت الناس به، لتحرقته ثم لتفروه في البحر فزوا !!

٩٨ - وقام موسى بالهجاز ما قال، ثم اتجه الى بنى اسرائيل بعد هذه العبرة قائلاً لهم: ان الحكم الواحد، هو
الذى لا يعيد بحق سواء، وقد أحاط علمه بكل شيء مما كان وما سيكون.

٩٩ - كما قصصنا عليك أيها الرسول نبأ موسى، فمجهرك بالحق عن الامم السابقة وقد أنزلنا عليك من عندنا
كتاباً فيه تذكير لك ولأمتك، بما فيه صلاح دينكم ودنياكم.

١٠٠ - من انصرف عن تصديقه والاهتداء به، فانه يضل في حياته، ويأتى يوم القيامة حاملاً اثم ما صنع،
ويجازى بالعذاب الشديد.

١٠١ - ويحذر في هذا العذاب، ويشس هذا الحمل السيء يوم القيامة ١.



وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾
وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَكُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَلَّى
اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾
وَلَقَدْ عَهِدْنَا لَآدَمَ مِنْ قَبْلِ فَسَىٰ وَلَمْ يُحْدِثْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ قُلْنَا يَتَدَبَّرُ مِنْ قَدَمَيْهِ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَزَوْجُكَ فَلَا يُخْرِجُكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ

١١١ - وذلت وجوه في هذا اليوم ، وخضعت للحي الذي لا يموت ، القائم بتدبير أمور خلقه . وقد خسر النجاة والثواب في اليوم الآخر من ظلم نفسه في الدنيا فأفرك برهه ١ .

١١٢ - ومن يعمل من الطاعات وهو مصدق بما جاء به محمد ﷺ فهو لا يخاف ان يزداد في سيئاته ، أو ينقص من حسناته .

١١٣ - ومثل هذا البيان الحق الذي يهلف في هذه السورة - في تمجيد الله وقصة موسى ، وأخبار القيامة - أنزل الله هذا الكتاب قرآنًا عربيًا ، وصرف القول في أساليب الوعيد ووجوهه ، ليتبها عما هم فيه من العصيان ، وليجهد القرآن لهم عظة واعتبارا .

١١٤ - فارتفع عن الظنون ، وتغزه عن مشابهة الخلق للملك الذي يحتاج اليه المهاكمون والمكرمون ، الحق في الوهية وعظمته ، ولا تعجل يا محمد بقراءة القرآن من قبل ان يفرغ الملك من القائه اليك ، وقل : رب زدني علما بالقرآن ومعانيه .

١١٥ - ولقد وصينا آدم - أيها الرسول - من أول أمره ، ألا يخالف لنا أمرا ، ففسى العهد وخالف ، ولم نجد له أول أمره عزما وثيقا ، وتصميا قويا يمنع من أن يتسلل الشيطان الى نفسه بوسوسته ١ .

١١٦ - واذكر ، أيها الرسول ، حين أمر الله الملائكة بتعظيم آدم على وجه أراحه سبحانه ، فامتثلوا ، لكن إبليس وهو معهم - وكان من الجن - خالف وامتنع ، فأخرج وطرد ١

١١٧ - فخطب الله آدم قائلا : ان هذا الشيطان الذي خالف امرنا في تعظيمك عدوك ولعسواء زوجتك ، فاحذروا وسوسته بالمصية ، فيكون سببا في خروجكما من الجنة ، فتشقى يا آدم في الحياة بعد الخروج من الجنة .

لَكَ الْآتِجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِى ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ۚ فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَأَدَّمُ
 هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ۚ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا
 مِنْ وَرَقٍ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۚ ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ۚ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا
 بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۚ وَمَنْ أَعْرَضَ
 عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَجْزُمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۚ قَالَ رَبِّ لِي حَشْرَتَيْنِ اأَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ

١١٨ - ان علينا أن نكفل لك مطالب حياتك في الجنة ، فلن يصيبك فيها جوع ولا عرى .

١١٩ - وأنه لن يصيبك فيها عطش ، ولن تتعرض فيها لحر الشمس كما هو شأن الكادحين في خارج الجنة :

١٢٠ - فاحتال عليه الشيطان يمس في نفسه ، مرغبا له وزوجه في الأكل من الشجرة النهى عنها ، قائلا : أنا
 أدلك بأدم على شجرة ، من أكل منها رزق الخلود ، ورزق ملكا لا يفنى !

١٢١ - ودله على الشجرة المحرمة فخدع آدم وزوجه باغراء اليلس ، ونسبا نهي الله ، وأكلا منها ! فظهرت لها
 عوراتها ، جزاء طمعها ، حتى نسبا ووقعا في مخالفتها ، وصارا يقطعان من ورق شجر الجنة ويستتران مابدا منها ،
 وخالف آدم ربه ، وكان ذلك قبل النبوة ، فحرم الخلود الذي تمتناه وفسد عيشه !

١٢٢ - ثم اصطفاه الله للرسالة ، فقبل توبته ، وهداه الى الاعتذار والاستغفار .

١٢٣ - أمر الله آدم وزوجه أن يخرجوا من الجنة ويهيلا الى الأرض وأحبرهما سبحانه بان العداوة ستكون في
 الأرض بين ذريتهما ، وأنه سبحانه سيدعم بالهدى والرشاد ، فن اتبع منهم هدى الله فلا يقع في المأثم في الدنيا ،
 ولا يشقى بالعذاب .

١٢٤ - ومن أعرض عن هدى الله وطاعته ، فانه يحيا حياة لا سعادة فيها ، فلا يقع بما قسم الله ، ولا يستسلم
 الى قضاء الله وقدره ، حتى اذا كان يوم القيامة جاء الى موقف الحساب مأخوذا بذنبه ، عاجزا عن الحجعة التي
 ينتظرها ، كما كان في دنياه أعمى البصيرة عن النظر في آيات الله .



بَصِيرًا ﴿١٣٦﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٣٧﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشدُّ وَابْقَى ﴿١٣٨﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُرْهُهُنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِينَهُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٣٩﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٤٠﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٤١﴾ وَلَا تَحْذَرْتِ غَيْبِكَ إِلَيَّ مَا مَتَعْنَا بِهِ ۖ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ ۖ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَآبِقَى ﴿١٤٢﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا

١٢٥ - وفي هذا الموقف يسأل ربه ، في فزع : يارب ، كيف استغنى الهبة ، وأعجزتني عن المعذرة ، ووقفني كالأعمى ؟ ! وقد كنت في الدنيا أبصر ماحول واجادل وادافع !!

١٢٦ - الأمر في شأنك كما وقع : جاءتك دلائلنا ورسلا في الدنيا فنسيها ، وتعامت عنها : ولم تؤمن بها ، وكذلك اليوم تترك منسيا في العذاب والموان !

١٢٧ - ومثل هذا الجزاء السيء ، نجزي في الدنيا من أقبل على المعصية ، وكذب بالله وآياته ، وان عذاب الآخرة لأشد ألما ، وأدوم مما كان في الدنيا . .

١٢٨ - كيف يتعامون عن آيات الله ، وقد تبين لهم اهلاكتا لكثير من الامم السالفة بسبب كفرهم ، ولم يتعظوا بهم مع أنهم يمشون في ديارهم وساكنتهم ، ويشهدون آثار ماحول بهم من العذاب ؟ ! وان في تلك المشاهد لعظات لأصحاب العقول الراجحة .

١٢٩ - ولولا حكم سبق من ربك بتأخير العذاب عنهم الى أجل مسمى هو القيامة ، لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كالزعم كفار القرون الماضية .

١٣٠ - فاصبر - أيها الرسول - على مايقولونه في رسالتك من تكذيب واستهزاء ، ونزه ربك عما لا يليق به ، بالثناء عليه ، وعبادته وحده دائما ، وخاصة قبل أن تشرق الشمس وقبل أن تغرب ، ونزهه واعبده في ساعات الليل ، وفي أطراف النهار بالصلاة ، حتى تدوم صلتك بالله ، فلتطمئن الى ما أنت عليه ، وترضى بما قدر لك .

١٣١ - ولاتمد بنظرك الى مامتنا به أصنافا من الكافرين ، لأن هذا الناع زينة الحياة الدنيا وزخرفها ، يمنح الله به عباده في الدنيا ، ويدخر الله لك في الآخرة ما هو خير وأبقى من هذا الناع .

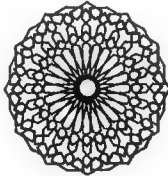
مَنْ تَزُكَّ وَالْعَصِيَّةَ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا بَيِّنَاتٌ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّهِ أَوْ لَوْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَافِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ ءَابَتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُحْزَى ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مَرِيضٍ مُرِيضٌ فَتَرَبَّصُوا فَتَسْأَلُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصَّرِطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾

١٣٢ - وجه أهلك الى أن يؤدوا الصلاة في أوقاتها ، فالصلاة أقوى ما يصلهم بالله ، وداوم على اقامتها كاملة ، لا تكلفك رزق نفسك ، فنحن متكفلون برزقك ، وإن العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة مكفولة لأهل الصلاح والتقوى .

١٣٣ - وقال الكافرون في عنادهم : لماذا لا يأتينا محمد بدليل من ربه ؟ يلزمنا الايمان به ! فكيف يتحدثون القرآن - وقد جاءهم به مشتملا على ما في الكتب السابقة من آباء الامم الماضية ، واهلاكهم بسبب تكذيب الرسل ، وليس محمد بدعا في ذلك ؟ !

١٣٤ - ولو عاجل الله هؤلاء الكافرين بالاهلاك ، قبل أن يرسل اليهم محمدا ، لاعتذروا يوم القيامة قائلين : يا ربنا لم ترسل إلينا رسولا في الدنيا مؤيدا بالآيات لتنبيهه ، قبل أن يزل بنا العذاب والحزى في الآخرة .. ولكن لا عذر لهم الآن بعد ارسال الرسول !

١٣٥ - قل أيها الرسول هؤلاء المعاندين : اتنا جميعا منتظرون لما يؤول اليه أمرنا وأمركم ، وستعلمون حقا ، أي الفريقين صاحب الدين الحق والمهتدى بهدى الله ؟





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حَابِبُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَعْرُضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَتَمَّعُوهُ وَهُمْ يَعْبَهُونَ ﴿٢﴾ لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَاءَ بَلْعًا عَمَّ يَتَّبِعُونَ

سورة مكية نزلت بعد سورة ابراهيم وآياتها ١١٢ آية وهي تبين قرب الساعة، مع غفلة المشركين عنها. وقد دعوا أن الرسول لا يكون بشرا، وقالوا مرة عن القرآن سحر، ومرة شعر، ومرة أضغاث أحلام. والنذر بين أيديهم قائم، وما كان الرسل الا رجالا مثل محمد ﷺ، وان السابقين قبلهم كذبوا. كما كذبت قريش فقصم الله قراهم، وهو القادر على الاهلاك والابقاء، وله كل مافي السموات والارض، والملائكة في مصارعهم يسبحون الله تعالى ولا يفترقون وان صلاح السموات والارض دليل على أن منشئها واحد، فلو شاركه أحد لفسدنا والرسول جيعا جاءت عبادة الله وحده، وليس له ولد. ولا يقول أحد انه اله مع الله، والا فجزاؤه جهنم، .. وبين سبحانه شأن عظمة خلقه، وعجائب التكوين في السموات والارض، وبين حال المشركين والكافرين، ونبه سبحانه وتعالى الى حفظ الله تعالى للناس، وأشار سبحانه الى ما يكون من جزاء يوم القيامة للكافرين. وذكر قصة موسى وهارون مع فرعون وقصة ابراهيم مع قومه وانعامه عليه بالذرية الطيبة، وذكر سبحانه قصة لوط وقومه وهلاكهم وقصة نوح عليه السلام وكفر قومه، وابادتهم الا من آمن ثم أشار سبحانه وتعالى الى قصص سليمان. وداد. وأيوب واسماعيل. وإدريس. وذى الكفل. وذى النون. ويريم. وتحدث عن يأجوج ومأجوج. وبين سبحانه العمل الصالح وثمرته. وما يجازى به الذين اتقوا واحسنوا. وحالهم يوم القيامة، ورحمة الله في الرسالة المحمدية. وانذار الله للمشركين، وأن الامر له يحكم وهو خير الحاكمين.

١ - دنا للمشركين وقت حسابهم يوم القيامة، وهم غافلون عن هوله، معرضون عن الايمان به.

٢ - ما يأتيهم قرآن من ربهم يجدد نزوله، مذكر لهم بما ينفعهم، الا استمعوه وهم مشغولون عنه بما لا نفع فيه، يلعبون كما يلعب الاطفال.

تُصِرُّونَ ۝ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ بَلْ قَالُوا أَضَلَّتْ أَهْلِيهِمْ بَلْ
 أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ۝ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝
 وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاعْلَوْا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
 لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ۝ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۝
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهِ ذِكْرُكَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَكَرِهْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ظَالِمَةٌ وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا

٣ - لاهية قلوبهم عن التأمل فيه ، وبالفلو في اخفاء تأمرهم على النبي وعلى القرآن ، قائلين فيما بينهم : ما محمد
 الا بشر مثلكم والرسول لا يكون الا ملكا ، تصدقون محمدا فتحضرون مجلس السحر وأنتم تشاهدون أنه سحر ؟ !

٤ - قال الرسول لهم وقد أطلعهم الله على حديثهم الذي أسروه : ربي يعلم كل ما يقال في السماء والارض ،
 وهو الذي يسمع كل ما يسمع ، ويعلم كل ما يقع . .

٥ - بل قالوا : انه اخلاط احلام رآها في المنام ، بل اختلقه ونسبه كذبا الى الله . . ثم عرضوا عن ذلك
 وقالوا : بل هو شاعر يستولى على نفوس سامعيه ، فلأتينا بجمعة مادية دالة على صدقه ، كما أرسل الأنبياء الاولون
 مؤيدين بالمعجزات .

٦ - لم تؤمن قبلهم أمة من الأمم التي أهلكناها بعد أن كذبت بالمعجزات المادية ، فهل يؤمن هؤلاء اذا جاءهم
 ما يطلبون ؟ !

٧ - وما أرسلنا الى الناس قبلك أيها النبي الا رجالا من البشر ، نوحى اليهم الدين ليلفوه الناس . فاسألوا أيها
 المنكرون أهل العلم بالكتب المخرجة ان كنتم لا تعلمون ذلك .

٨ - وما جعلنا الرسل اجسادا تخالف اجساد البشر يعيشون دون طعام ، ويعقون على الايام ، وما كانوا ياتين
 مخلدين . .

٩ - ثم صدقناهم ، وحققنا لهم الوعد ، فأنجيناهم وأنجيناهم معهم من أردنا نجياتهم من المؤمنين ، وأهلكنا الكافرين
 المسرفين في تكذيبهم وكفرهم برسالة انبيائهم .

١٠ - لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه تذكير لكم اذا علمتموه وعملتم بما فيه ، فكيف تعرضون وتكفرون به ؟ ! ابلغ
 بكم العناد والحق الى ما أنتم عليه فلا تعقلون ما ينفعكم فتسارعون اليه ؟

قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ
وَسِتِّكُمُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ زَالَتْ دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ
حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَكُمُ اللَّهَ
مِن دُونِنَا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا
تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُمْ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾

١١ - وكثير من أهل القرى اهلكناهم بسبب كفرهم وتكذيبهم لأنبيائهم وأنشأنا بعد كل قوم منهم قوما غيرهم
أحسن منهم حالا ومالا .

١٢ - فلما أوردنا اهلكهم ، واحسوا بما يقع عليهم من شدة عذابنا وقدوتنا على انزاله سارعوا الى الهرب ،
والقاس النجاة بما يشبه عمل الدواب .

١٣ - لاسرعوا أيها المكرون ، فلن يعصمكم من عذاب الله شيء ، وارجعوا الى ما كنتم فيه من نعيمكم
وساكنكم ، لعل خدمكم وأنبياءكم يسألونكم المعونة والرأي كما كان شأنكم . واني تستطيعون ؟؟

١٤ - قالوا - وقد سمعوا الاستهزاء بهم منادين هلاكهم موقنين به - : انا كنا ظالمين حين اعرضنا عما ينقذنا ، ولم
نؤمن بآيات ربنا .

١٥ - فزالَت هذه الكلمات يرددونها . ويصيحون بها . حتى جعلناهم - بالعذاب - كالزرع المحصود خاسدين
لاحياة فيهم .

١٦ - وما خلقنا السماء والارض وما بينهما بهذا النظام المحكم ، والصنع البديع لنصب بها ، بل جعلناها لحكم
عالية يدرکہا المتأملون .

١٧ - لو أوردنا أن نتخذ مانلهو به لما أمكن أن نتخذنه الا من ملكنا الذي ليس في الوجود ملك غيره ، ان كنا
من يفعل ذلك . ولنا من يفعله لاستحالته في حقنا .

١٨ - بل أمرنا الذي يليق بنا هو أن نقذف الحق في وجه الباطل فيذهب ، ولكم أيها الكافرون الهلاك ، بسبب
افتراكم على الله ورسوله .

١٩ - والله وحده كل من في السموات والارض خلقا وملكا ، فن حقه وحده أن يعبد ، والمقربون اليه من
اللائكة لا يستكبرون عن عبادته والخضوع له . ولا يشعرون بالاعياء والمثل من طول عبادته بالليل والنهار .

يُسْجُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يَبْشُرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ
لَقَدْ تَأْتَيْنَا فُسْحًا لِّلرَّبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يَسْعَىٰ عَمَّا يُفَعِّلُ وَهُمْ يَسْتَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِن
دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَّعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ
فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا
الْحَمْدُ لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

٢٠ - يزعمونه جل شأنه عما لا يليق به . لا يتدخل تزعيمهم هذا فتور . بل هو تزويه دائم لا يسلطهم عنه شاغل . .

٢١ - لم يفعل المشركون ما يفعله المفلحون من اخلاص العبادة لله . بل عبدوا غيره واتخذوا من الأرض آلهة
لا تستحق أن تعبد . وكيف يعبد من دون الله من لا يستطيع اعادة الحياة ؟

٢٢ - لو كان في السماء والأرض آلهة غير الله تدبر أمرها . لاختل النظام الذي قام عليه خلقها . وبلغ غاية
الدقة والاحكام . فتزعمها الله صاحب الملك عما ينسبه اليه المشركون .

٢٣ - لا يحاسب - سبحانه - ولا يسأل عما يفعل . لأنه الواحد المتفرد بالمرزة والسلطان . الحكيم العليم .
فلا يخطئ في فعل أي شيء . وهم يحاسبون ويسألون عما يفعلون لأنهم يحسبون لضغطهم وجهلهم وغلبة الشهوة
عليهم .

٢٤ - لم يعرفوا حق الله عليهم . بل اتخذوا من غيره آلهة يعبدونها دون دليل معقول أو برهان صادق . قل
أيها النبي : هاتوا برهانكم على أن الله شريكا في الملك يبرر اشراكه في العبادة . هذا القرآن الذي جاء مذكرا لأمر
بما يجب عليها . وهذه كتب الانبياء التي جاءت لتذكر الامم قبل تقوم كلها على توحيد الله . بل أكثرهم لا يعلمون
ما جاء في هذه الكتب لأنهم لم يهتموا بالتأمل فيها . فهم معرضون عن الايمان بالله .

٢٥ - وما أرسلنا الى الناس قبلك أيها النبي رسولا ما . الا اوحينا اليه أن يبلغ الله انه لا يستحق العبادة
غيري . فأخلصوا الى العبادة .

٢٦ - وقال بعض كفار العرب : اتخذ الرحمن ولدا . يزعمهم أن الملائكة بناته . نزه عن أن يكون له ولد . بل
الملائكة عباد مكرمون عنده . بالقرب منه . والعبادة له .

٢٧ - لا يسبقون الله بكلمة يقولونها . قبل أن يأذن لهم بها . وهم بأمره دون غيره يعملون . ولا يتعدون حدود
ما يأمرهم به .

أَيُّسِهِمْ وَمَا خَلَقَهُمْ وَلَا يَسْمَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ مِنْهُمْ مِنْ خَشْيَةٍ مُتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَقَدْ آتَاكَ بِهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ يَمِيدَ

٢٨- يعلم الله كل أحوالهم وأعمالهم - ماقدومه وما اخروه - ولا يسفحون عند الإل من رضى الله عنه ، وهم من شدة خوفهم من الله تعالى ، وتطعيمهم له ، في حذر دائم ..

٢٩- ومن يقل من الملائكة : انى له يعبد من دون الله ، فذلك نجزيه جهنم . مثل هذا الجزاء يجزي كل الذين يتجاوزون حدود الحق ، ويظنون أنفسهم بادعاء الربوبية والشرك .

٣٠- أسمى الذين كفروا ، ولم يمسروا أن السموات والارض كانتا في بدء خلقهما ملتصقتين ، فبقدرتنا فصلنا كلا منها عن الاخرى ، وجعلنا من الماء الذى لاحياة فيه كل شئ حتى ؟ ! فهل بعد كل هذا يعرضون ، فلا يؤمنون بأنه لا اله غيرنا ؟ (١) .

(١) « أليس يرى الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شئ حى » . تقرر هذه الآية معاني علمية أثبتتها النظريات الحديثة في تكوين الكواكب والارض ، إذ أن السموات والارض كانتا في الأصل متصلة ببعضها بعض على شكل كتلة متصلة متمسكة .. والحقيقة العلمية التي اتفق عليها هي أن السموات والارض كانتا متصلتين ، واستعمل على ذلك بأدلة علمية عديدة . أما اللقن فمنا الانفصال ، وهو ما قرره الآية الشريفة وأبهد العلم بعد ذلك . وهناك نظريات عديدة تقرر بعض الظواهر في هذا الشأن وتتميز عن تفسير الأخرى ، لذلك فليس بين هذه النظرية ما هو مقطوع به لدى العلماء بالإجماع . وسنذكر فيما يلى على سبيل المثال نظريتين :

النظرية الأولى : الخاصة بتكوين المجموعة الشمسية - مثلا - تقرر أن الفجر الكونى حول الشمس بدأ في التمدد في الفضاء البارد ، وأخذت حبيبات الغاز الذى يتألف منه اليوم بالتكثف على الذرات القلرية ذات الحركة السريعة ، ثم تجمعت هذه الذرات بالتصادم والتراكم ، وهي تحس في داخلها كميات من الغاز الثقيلة ، وازداد التراكم والتجمع على مر الأحقاب حتى تكونت الكواكب والأقمار والارض على أبعاد مناسبة ، ومن المعروف أن التجمع والتراكم يؤدي إلى زيادة في الضغط الذى يؤدي بدوره إلى زيادة شديدة في الحرارة ، وعندما تتطور القشرة الأرضية بالبرودة وخلال عمليات الانفجارات البركانية الشديدة التي أعقبت ذلك حصلت الأرض على كميات هائلة من بخار الماء وثاني أكسيد الكبريت بالانفصال عن القشر البركانية السائلة .. وما ساعد على تكوين الأكسجين الطليق في الهواء بعد ذلك نشاط وتفاعل أشعة الشمس عن طريق التبلب الضوئى مع النباتات الأولية والأعشاب .

أما النظرية الثانية : الخاصة بنشأة الكون عامة فتتلخص في أن قوله تعالى : « كانتا رتقا » أى مضمومتين ملتصقتين في صورة كتلة واحدة ، وهذا آخر ما وصل إليه البحث العلمى في نشأة الكون ، وهو أنه قبل أن يأخذ صورته الحالية كان حشدا هائلا متجمعا في أبسط صورة لتوى الذرات المتصلة الواقعة تحت ضغط هائل لا يكاد يصوره العقل ، وأن جميع أجسام السماء اليوم وبعضياتها يا فيها المجموعة الشمسية والارض كانت مكسمة تكسبا شديدا في كرة لا يزيد نصف قطرها على ثلاثة ملايين من الأميال . وقوله تعالى « ففتقناها » إشارة لما حدث لذلك السائل النوى الأول من انفجار عظيم انتشرت بسببه مادة الكون فيما حولها من أجواء . انتهت بتكوين مختلف أجرام السماء المختلفة المنفصلة يا فيها المجموعة الشمسية والارض .

« وجعلنا من الماء كل شئ حى » : تقرر هذه الآية حقيقة علمية أثبتها أكثر من فرع من فروع العلم ، وقد أثبت علم الخلية أن الماء هو المكون الأساسى في تركيب مادة الخلية ، وهي وحدة البناء في كل كائن حى نباتا كان أو حيوانا ، وأثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحويلات التي تتم داخل أجسام الأحياء ، فهو أما وسط أو عامل مساعد أو داخل في التفاعل أو ناتج عنه .

وأثبت علم وظائف الأعضاء أن الماء ضرورى لقيام كل عضو بوظائفه التي يندوتها لا تتوفر له مظاهر الحياة ومقوماتها .

بِسْمِ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَبَالًا سَبِيلًا لِّمَن يَشَاءُ ۚ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۚ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۚ وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَلَا يَمْتَنِعُونَ ۚ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ وَبَلَوْكُمْ بِالْبَشْرِ وَالْفِتْنَةِ ۖ وَاللَّيْلِ

٣٦ - ومن دلائل قدرتنا ، انا جعلنا في الأرض جبالا نوابت ، لتلا تضرب بهم ، وجعلنا فيها طرقا مضيئة ، ومسالك واسعة لكي يهتدوا بها في سيرهم الى اغراضهم .

٣٧ - وجعلنا السماء فوهم كالسقف المرفوع ، وحفظناها من أن تقع ، أو يقع ما فيها عليهم . وهم مع ذلك منصرفون عن النظر والاعتبار بآياتنا الدالة على قدرتنا ، وحسبنا ورحمتنا .

٣٨ - والله هو الذي خلق الليل والنهار ، والشمس والقمر ، كل من هذه يجري في مجاله الذي قدره الله له ، ويسبح في فلكه لا يبعد عنه .

٣٩ - وما جعلنا لأحد من البشر قبلك - أيها النبي - الخلود في هذه الحياة حتى يرضى بك الكفار الموت . فكيف ينتظرون موتك ليشتبوا بك وهم سيموتون كما تموت ؟ أفلا يمتنع هؤلاء احياء دون غيرهم من سائر البشر ؟ .

تعلق الجبال على الآية ٣٦ :

« وجعلنا في الأرض رؤاسي أن يهد بهم وجعلنا فيها سبيلا لئلا يمتنعوا : لما كان باطن الأرض منصهرا سائلا ، فلورسنا أن الجبال وضعت في بعض نواحي الكرة الأرضية كأنها صخور عاتلة مرتبطة لأن ثقلها قد يزدى بالثقل الأرضية أن تبتدأ أو تنشق أو تصعد . لذلك جعل - جل شأنه - الجبال رؤاسي ، أي ذات جهور ممتدة في داخل القشرة الأرضية إلى أعماق كبيرة تتناسب مع ارتفاعها ، فهي كأنها أوتاد كما جعل كاتبة هذه الارتفاعات والمهندسون أقل من كثافة القشرة الخفيفة بها . كل ذلك حتى يبرز الضغط على القشرة الصلبة بحيث يكون مساري في جميع أمانها فلا تبتدأ أو تصعد لأن التوزيع المتجانس للأثقال على سطح كروي يكاد لا يحدث تأثيرا يذكر . وقد أثبت العلم الحديث أن توزيع اليابس والماء على الأرض ووجود سلاسل الجبال عليها ما يمتنع الوضع الذي عليه الأرض وقد ثبت أن الجبال الثقيلة دائما أسفلها مواد خفيفة وخفيفة ، وأن تحت ماء المحيطات توجد المواد الثقيلة الوزن ، وبذلك تتوزع الأوزان على مختلف الكرة الأرضية . وهذا التوزيع الذي أساسه الجبال دائما مقصد به حفظ توازن الكرة الأرضية ، ولما ارتفعت الجبال حدثت السهول والوديان والممرات بين الجبال وشواطئ البحار والمحيطات والفيضات ، وكانت سبلا وطرقا .

تعلق الجبال على الآية ٣٧ :

« وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون » : تقرر هذه الآية الكريمة أن السموات وما فيها من أجرام محفوظة بكيانها متمسكة لا خلل فيها ، وبحفظه من أن تقع على الأرض . والسماء هي كل ما علا . تبدأ بالفضاء الهوائية التي يسمي لها الأرض من كثير من أحوال الفضاء التي لا تستقيم معها الحياة ، مثل السحب والنيازك والأشعة الكونية . وفوق الأرض الغلاف الهوائي الذي تحفظ به الأرض بقوة الجاذبية لا يسيل إلى فضاء في خضم الفضاء المتناهي وفوق الغلاف الهوائي أجرام السماء على أبعاد عظيمة تحفظ بنظام دوراتها وكيانها منذ القدم ككلها .

« وجعلنا السماء سقفا محفوظا » : أي أن الغلاف الجوي ومئات الأجرام السابرة التي تتشابه بمساحتها على القبة التي تبدو لناظرا كأنها على سطح هذه القبة السابرة وتظهر لنا كأنها ممتدة امتداعا كبيرا أفقيا ، ينفذ يظهر الانعكاس الرأسي أقل بكثير من الامتداد الأفقي ، وتمثل هذه الظاهرة عند مشاهدة قرص الشمس أثناء الشروق أو الغروب حيث يظهر أكبر مما هو عليه عندما تكون الشمس في سمت الرأس ، ومصدر ذلك هو الانحناء البصري الذي يمتدد تقدر المسافات الأفقية بقدر أكثر من للمسافات الرأسية . وهذه القبة السابرة تشمل الغلاف الجوي للأرض التي له مميزات وخصائص تختلف كلما زاد الارتفاع على الأرض كما تشمل أيضا سائر الأجرام السابرة التي يظنها الخط البصري على القبة السابرة .

تعلق الجبال على الآية ٣٨ :

« وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلكه يسبحون » : لكل جرم سماوي مداره الخاص الذي يسبح فيه ، وأجرام السماء كلها لا تعرف السكون ، كما أنها تتحرك في مسارات خاصة هي الأفلاك ، ونحن نرى هذه الحقيقة محقة واضحة في الشمس والقمر . كما أن دوران الأرض حول محورها يجعل الليل والنهار يتعاقبان عليها كأنها يسبحان .

تَرْجِعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَآتِيهِمْ بِطُغْيَانٍ ۖ وَلَئِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ تَوَيْعَلُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُونُونَ عَنْ وُجُوهِهِم النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٧﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَأَ رُسُلُكَ مِنْ قَبْلِكَ لِقَافِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٩﴾ قُلْ مَنْ يَكُونُ بِأَيْدِي النَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ۚ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤١﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءَ وَءَابَاؤَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ

٣٥- كل نفس لابد ان تنفك الموت . ونسلمكم في هذه الحياة معاملة المختبر بما يصيبكم من نفع وضرر ، لتمييز الشاكر للغير والصابر على البلاء ، من الجاهد للنعم والجاذع عند المصيبة . والينا ترجعون لنحاسبكم على أعمالكم .

٣٦- وإذا رآك - أيها النبي - الذين كفروا بالله وبما جئت به لا يضيغوك الا في موضع السخرية والاستهزاء . يقول بعضهم لبعض : هذا الذي يذكر ألهتكم بالعبث ؟ وهو يذكر الله الذي يمسهم برحمته هم لا يصدقون .

٣٧- وإذا كانوا بطليون التحجیل بالذاب فان طبيعة الانسان التصلل سأريكم - أيها المستعجلون - نمتى في الدنيا وعذابي في الآخرة فلا تشغلوا أنفسكم باستعمال مالا يد منه .

٣٨- ويقول الكافرون مستعجلين العذاب مستعدين وقومه . متى يقع هذا الذي تصدقنا به أيها المؤمنون ان كنتم صادقين فيما تقولون ؟

٣٩- لو يعلم الذين كفروا بالله حالهم حين لا يستطيعون أن يدفعوا عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ، ولا يجدون من ينصرهم بدفعها ، ما قالوا هذا الذي يقولونه .

٤٠- لاتأتيهم القيامة على انتظار وتوقع ، بل تأتيهم فجأة فتحيرهم ، فلا يستطيعون ردّها . ولا هم يهلون ليتوبوا ويستغفروا عما فعلوا .

٤١- ولقد حدث للرسول قبلك أن استهزأ بهم الكفار من أسمهم ، فعل بالذين كفروا وسخروا من رسلهم العذاب الذي جعلوه مثار السخرية والاستهزاء .

٤٢- قل أيها النبي لهم : من يحتفظكم في الليل والنهار من نعمته ويرحمكم وينم عليكم ؟ لأحد يستطيع ذلك . بل هم عن القرآن الذي يذكرهم بما ينضمهم ويدفع العذاب عنهم منصرفون .

٤٣- ألهم آلهة تمنع العذاب من دوننا ؟ كلا : انهم لا يستطيعون أن يمينوا أنفسهم حتى يصينوا غيرهم . ولا أحد يستطيع أن يحفظ واحدا منهم في جواره وصحبته اذا أردنا بهم العذاب والهلاك .

تأليل الحيرة على الآية ٣٧ :

« غاف الإنسان من عجل ، سأريكم آياتي فلا تستعجلون » : أن المقصود بالآيات هي الكونية الدالة على وجود الله وقدرته . وسيكتف المعلم عنها بتابعها بحكم ارتقاء العقل البشري . وذلك في مواعيد مرفوعة ، كلما حل أجل آية أظهرها الله أو سر الله للبشر الوصول إلى إحدى هذه الآيات .

أَطْرَافَهَا أَهْمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءُ إِذَا مَا يَنْدُرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَيْنَ مَسَّتْهُمُ نَفْعَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَنْزِلُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنْ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَلَّا ذُكِّرْنا أَنْزَلْنَاهُ أَقْلَانِمَ لَهُمْ مَسْكُونُونَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ

٤٤ - لم نجعل عقاب هؤلاء بكفرهم ، بل استدرجناهم ومتصنامهم في الحياة الدنيا كما متصنا بأبائهم قبلهم حتى طال عليهم العمر . أتباعون عما حولهم فلا يرون أنا نقصد الأرض افتتصها من أطرافها بالفتح ونصر المؤمنين ١١ أهم الغالبون أم المؤمنون الذين وعدهم الله بالنصر والتأييد ؟

٤٥ - قل أيها النبي : لا أحذرکم بكلام من عندي ، وإنما أحذرکم بالوحي الصادر عن الله لي ، وهو حق وصديق ، وهم لظول إعراسهم عن صوت الحق ختم الله على سمعهم حتى صاروا كالصم ، ولا يسمعون الصم الدعاء حين يخفون بالعداب .

٤٦ - وتأكد أنهم ان أصابهم إصابة خفيفة من العذاب الذي يسفرون منه يصيحون من الهول قائلين : ياويلنا انا كنا ظالمين لانفسنا وغيرنا ، اذكفنا بما أخيرنا به .

٤٧ - ونضع الموازين التي تقيم العدل يوم القيامة ، فلا تظلم نفس بنفس شيء من حسناتها أو زيادة شيء من سيئاتها ، ولو كان وزن حبة صغيرة أتينا بها وحاسبتها عليها ، وكفى ان نكون العاسبين فلا تظلم نفس شيئاً .

٤٨ - ولقد أعطينا موسى وهارون التوراة التي تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام . وهي الى ذلك نور يهدي الى طرق الخير والرشاد ، وتذكير ينتفع به المتقون .

٤٩ - الذين يخافون خالقهم ومالك أمرهم في حال بعد الناس عنهم ، لا يرامون أحداً ، وهم من أفعال يوم القيامة في خوف دائم .

٥٠ - وهذا القرآن تذكير كثير الخير ، أنزلناه لكم كما أنزلنا الذكر على موسى ، فكيف يكون منكم إنكاره وأنتم أول الناس بالإيمان ؟

٥١ - ولقد أعطينا إبراهيم الرشد والتفكير في طلب الحق مخلصاً من قبل موسى وهارون ، وكنا بأحواله ونصائله التي توحيه لحمل الرسالة عالين .

تطبيق الجبراه على الآية ٤٤ :

« أفلا يرون أنا تأتي الأرض فتصفيها من أطرافها ، أنهم الغالبون » هذه الآية من آيات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ، فهي تشير إلى أن الأرض ليست كاملة الاستدارة ، ولم يكن العلماء من قياس أبعاد الأرض بالذرة إلا منذ ٢٥٠ سنة تقريباً ، عندما قامت بعض من الإحصائيين في علم المساحة بقياس المسافة الطولية بين عرضين متساويين في الطول تفصلهما درجة واحدة قوسية ، وذلك في مختلف أنحاء العالم ، وبين من هذه القياسات أن نصف القطر الاستوائي يزيد على نصف القطر القطبي بقدر ٢١,٥ كيلو متر تقريباً ، أي أن الأرض انضمت من أطرافها بمثل في القطبين ، ومن المعلوم أن شكل الأرض وأبعاده هو الأساس في رسم الخرائط .

تطبيق الجبراه على الآية ٤٧ :

« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكل بنا حاسبين » : تشير هذه الآية الكريمة إلى أن حبة الخردل تتلوى في صغر الوزن . وأثبت التجارب التحليلية أن الكيلو جرام من حبيب الخردل يجرى على ١١٢ ألف حبة ، وتكون الحبة بذلك حوالي جزء من ألف جزء من الجرام ، أي مليجرام تقريباً ، وهذا أصغر وزن لحبة نبات عرف حتى الآن . وهي تتحصل لذلك في مقارنة الكمايل بالموازين الدقيقة نوعاً .

مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٨﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي شَكٍّ مِمَّنْ ﴿٥٩﴾ قَالُوا أَيْخَتَانِ الْخَيْرِ أَنْ آتَيْتُمُ اللَّعِينِينَ ﴿٦٠﴾ قَالَ بَلْ رُبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦١﴾ وَقَالَهُ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدِيرِينَ ﴿٦٢﴾ فَعَجَلَهُمْ جَذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٤﴾ قَالُوا مِمَّنْ قَبْلُكُمْ يُقَالُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٥﴾ قَالُوا قَاتُوا بِهِ عَلَى عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَذَّكَّرُ لَهُمْ ﴿٦٧﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٨﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ نَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَاهُنَّوَالَّذِينَ يَنْطِقُونَ ﴿٧٠﴾

٥٧ - واذكر أيها النبي حين قال إبراهيم لأبيه وقومه مستخفا بالآصنام التي كانوا يعظمونها ويعكفون على عبادتها : ما هذه التماثيل التي أنتم تقومون على عبادتها ؟

٥٨ - قالوا : وجدنا آباءنا يعظمونها ويعبدها بعبادتهم ، فاتباعهم .

٥٩ - قال : لقد كنتم في هذه العبادة وكان آباؤكم من قبلكم في بعد عن الحق واضح .

٦٠ - قالوا : أجبنا في هذا الذي نقوله بما تعتقد أنه الحق ، أم أنت بهذا الكلام من الذين يلهون ويلعبون ، غير متعلمين أي تامة ؟

٦١ - قال : لا حول فيما قلته ، بل ربكم الذي يستحق دون غيره التعظيم والخشوع والعبادة ، هو الذي خلق السموات والأرض وأوجهن على غير مثال سابق . فحقه وحده أن يعبد ، وأنا على ذلك الذي أقوله من المتحققين الذين يقولون ما يشاهدونه ويعلمونه .

٦٢ - وقال في نفسه : أقسم بالله لأدين تدبيراً أكره به أصنامكم بعد أن تتبعوا عنها ، ليظهر لكم ضلال ما أنتم عليه .

٦٣ - ذهب إبراهيم بعد انصرافهم إلى الأصنام فسطعها وجعلها قطعاً ، إلا صنماً كبيراً تركه ليرجعوا إليه ، ويسألوه عما وقع لأهلهم فلا يجيبهم فيظهر لهم بطلان عبادتهم .

٦٤ - قالوا بعد أن رأوا ما حصل لأصنامهم : من فعل هذا بآلهتنا ؟ انه دون شك من الذين ظلموا أنفسهم بتعرضها للقتال .

٦٥ - قال بعضهم : سمعنا شايها يذكرهم بالسب يدعى إبراهيم .

٦٦ - قال كبارهم : انهبوا إليه فاضروه ، ليحاسب على مرأى من الناس ، لعلهم يشهدون بما فعل .

٦٧ - قالوا بعد أن اضروه : أنت الذي فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟

٦٨ - قال منها لهم على ضلالهم متهمين بهم ، بل فعله كبيرهم هذا . فاسألوا الآلهة عن فعل بها هذا ان كانوا يستطيعون أن يردوا جواب سؤالكم .

٦٩ - فعادوا إلى أنفسهم يفكرون فيما هم عليه من عبادة مالا ينفع غيره ولا يدفع عن نفسه الشر ، فاستبان لهم غلظهم . وقال بعضهم : ليس إبراهيم من الظالمين . بل أنتم عباد مالا يستحق العبادة الظالمون .

٧٠ - ثم انقلبوا من الرشد الطارىء إلى الضلال ، وقالوا لإبراهيم : انه قد علمت ان ليس هؤلاء الذين نعبدهم ينطقون ، فكيف تطلب منا أن نسألهم ؟

قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۝ لَمَّا يَنزَلُ فِي بَرْدٍ وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ۝ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ كُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۝ وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَتَّبِعُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمُ فَعْلَ الْخَيْرَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَكَانُوا بِنَا عَابِدِينَ ۝ وَلُوطًا إِتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمْرِ ۖ إِنَّهُ لَمِنَ الْأَخْسَرِينَ ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ فَاسِقِينَ ۝ وَأَدَخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَفُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلِ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ۖ فَجَعَلْنَاهُ وَاهِلَةً لِّأَهْلِهِ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْغَمْرِ ۖ

٦٦ - قال : أَيْكُون هَذَا حَالِهِم مِنَ الْعِزِّ وَيَكُون هَذَا حَالُكُمْ مَعَهُمْ ، فَصَبِّحُوا مِنْ غَيْرِ اللَّهِ مَا يَنْفَعُكُمْ أَقْلُ نَفْعٍ أَنْ عِبْتُمُوهُ وَلَا يَضُرُّكُمْ أَنْ اهِلْتُمُوهُ ١٤

٦٧ - قَبِحا لَكُمْ وَلَا تَحْكُمُوا : أَنْتُمْ تَطْلُبُونَ تَفْكِيرَكُمْ وَتَهْمِلُونَ الْإِعْتِبَارَ بِمَا تَدْرِكُونَ ؟ . انْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ لَا تَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ .

٦٨ - قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : احْرِقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ عَلَيْهِ بِهَذَا الْعِقَابِ ، انْ كُنْتُمْ تَزِيدُونَ أَنْ تَفْعَلُوا مَا تَنْصُرُونَ بِهِ أَفْئَتَكُمْ .

٦٩ - فَجَعَلْنَا النَّارَ بَارِدَةً وَسَلَامًا لَا ضَرَرَ فِيهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ .

٧٠ - وَأَرَادُوا أَنْ يَبْطِلُوهُ بِهِ ، فَأَلْبَيْنَاهُ ، وَجَعَلْنَاهُمْ أَشَدَّ النَّاسِ خُضْرَانًا .

٧١ - وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا مِنْ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ، فَانْقَاهَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَكْثَرْنَا فِيهَا الْخَيْرَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا ، وَأَرْسَلْنَا فِيهَا كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .

٧٢ - وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ، وَمِنْ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ هِيَ زَائِدَةٌ عَلَى مَا طَلَبَ . وَكُلًّا مِنْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ جَعَلْنَاهُ أَهْلًا صَالِحًا .

٧٣ - وَجَعَلْنَاهُمْ أَنْبِيَاءَ يَدْعُونَ النَّاسَ ، وَيَهْدُونَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ بِأَمْرِنَا لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا مُرْشِدِينَ ، وَأَهْلَيْنَاهُمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَادَامَةَ الْقِيَامِ بِالصَّلَاةِ عَلَى وَجْهِهَا وَإِعْطَاءَ الزَّكَاةِ ، وَكَانُوا لَنَا دُونَ غَيْرِنَا خَاضِعِينَ مُخْلِصِينَ .

٧٤ - وَآتَيْنَا لُوطًا الْقَوْلَ الْفَصْلَ وَالسَّدَادَ مِنَ الْحُكْمِ وَالْعِلْمِ النَّافِعَ ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمْرِ الَّتِي كَانَ أَهْلُهَا يَعْمَلُونَ الْأَعْمَالِ الشَّاذَّةَ فِي سَوْبِهَا ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا مُلَاقِمِينَ لِمَا يَسُوهُ التَّكْرَارُ خَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَمَأْلُوفِ الطَّيَاعِ .

٧٥ - وَسَلَكْنَاهُ فِي أَهْلِ رَحْمَتِنَا ، إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَسْلِمُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَيَهْدِيهِمْ بَصَرَهُ .

٧٦ - وَلِنَذَكِّرْ هَذَا نَوْحًا مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطَ ، حِينَ دَعَا رَبَّهُ أَنْ يَطْهَرَ الْأَرْضَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا دَعَاءَهُ وَنَجَّيْنَاهُ هُوَ وَمَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِهِ مِنَ كَرْبِ الطُّوفَانِ الْعَظِيمِ .

الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَاتِنًا ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكَانَ لِحُكْمِهِمْ فَتُونٌ ﴿٧٨﴾ فَهَمَّ نَهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ؕ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَحْمِلَا عَلَيْهِمَا وَعِزَّرُنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالِ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرُ وَكَانَ قَاعِلَيْنِ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنَحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكَانَ كُفْلًا ۖ وَكُنَّا لَهُمْ خَافِظِينَ ﴿٨١﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أُنِىَّ مَسْنَى الضُّرِّ وَاتَّتِ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا

٧٧ - وعتناه بنصرنا من كيد قومه الذين كذبوا بآياتنا الدالة على رسالته . انهم كانوا أصحاب شر ، فأغرقناهم أجمعين .

٧٨ - واذكر أيها النبي داود وسليمان حين كانا يحكما في الزرع ، إذ انتشرت فيه غم القوم من غير أصحابه وأكلته ليلًا ، وكنا لحكما في القضية المتعلقة به عليين^(١) .

٧٩ - ففهمنا الفتوى سليمان ، وكلا منها أعطينا حكمة وعلمًا بالحياة وشئونها ، وسخرنا مع داود الجبال ينزهن الله كما ينزهه داود عن كل ما لا يليق به ، وسخرنا الطير كذلك يسبحن الله معه ، وكنا فاعلين ذلك بقدرتنا التي لا تمجز .

٨٠ - وعلمنا داود صنعة نسج الدروع ، لتكون لباسًا يمتكم من شدة بأس بعضهم لبعض ، فاشكروا الله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم ..

٨١ - وسخرنا لسليمان الريح قوة شديدة المهبوب ، تجرى بحسب رغبته وأمره إلى الأرض التي زدنا فيها الخير ، وكنا بكل شيء عالمين ، لا تغيب عنا كبيرة ولا صغيرة .

٨٢ - وسخرنا له من الشياطين من يفوصون في الماء إلى أعماق البحار . ليستخرجوا اللؤلؤ والمرجان ، ويعملون عملاً غير ذلك ، كبناء الحصون والقصور ، وكنا لهم مراقبين لأعمالهم ، فلا ينالون أحدا بسوء ، ولا يتبردون على أمر سليمان .

٨٣ - واذكر أيها النبي أيوب حين دعا ربه - وقد أضناه المرض - وقال : يارب . أنى قد أصابني الضر وأنى ، وأنت أرحم الراحمين ..

(١) قصة الحكم : أن القوم رعت ليلًا زرع صاحب حرث . فلم يبق منه شيء . فعلم داود بأن الغم لصاحب الحرث في نظير زرع ، فخالفه سليمان . وقال : تبق الغم في يد صاحب الزرع حتى ينته زرع ، ويصير إلى ما كان عليه ، ويقرادان من بعد .

مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ
وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ
مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نَجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرَ يَا إِذْ نَادَى رَبُّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ
خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ الْيَمِينَ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْئِرُونَ فِي الْأَعْمَارِ
وَيَدْعُونَ رَبًّا وَرَبًّا وَكَانُوا لَنَا خَشِيسِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرَجَهَا فَتَفَعَّلْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا

٨٤- فأجبتاه إلى ما كان يرجوه، فرفعنا عنه الضر وأعلمناه أولادا بقدر ما من أولاده وزدناه مثلهم
رحمة به من فضلنا، وتذكروا لغيره ممن يعبدوننا ليصبروا كما صبر، ويطيعوا في رحمة الله كما طمع.

٨٥- وأذكر أنبياء الذين لقوكم إسماعيل وإدريس وذا الكفل، كل منهم من الصابرين على احتمال التكليف
والشدائد.

٨٦- وجعلناهم من أهل رحمتنا، أنهم من عبادنا الصالحين.

٨٧- وأذكر أنبياء الذين قصه يونس صاحب الحوت، إذ ضاق بأعراض قومه عن دعوته، فهجرهم ورحل
عنهم بعيدا غاضبا عليهم، ظانا أن الله أباح له أن يهجرهم وأنه لن يقضى عليه الأمر، فأبطله الحوت، وعاش
وهو في ظلمات البحر، ونادى ربه ضارعا إليه معترفا بما كان منه قائلا: يارب، لا لعبود بحق إلا أنت. أنزهك
عن كل ما لا يليق بك، أعترف أنني كنت من الظالمين لنفسي بعمل ما لا يرضيك.

٨٨- فأجبتاه إلى ما كان يرجوه ونجينا من الغم الذي كان فيه. ومثل هذا الإجماع من البلاء تنجي المؤمنين
الذين يتصرفون بأخطائهم ويدعوننا لمخلصين.

٨٩- وأذكر قصة زكريا، حين نادى ربه بعد أن رأى من قدرته سبحانه ما بعث في نفسه الأمل في رحمة.
فقال: يارب، لا تتركني وحيدا دون وارث، وأنت خير الذين يرثون غيرهم، فإليك الباقي بعد فناء الخلق.

٩٠- فحققنا رجاءه، وأجبنا دعاءه، ووهبنا له على الكبر ابنه يحيى، وجعلنا زوجه العقيم سالمة للولد، أن
هؤلاء الأصفياء الأنبياء كانوا يسارعون في عمل كل خير تدعوهم إليه، ويدعوننا طمعا في رحمتنا وخوفا من
عذابنا. وكانوا لا يحظون ولا يهابون أحدا غيرنا.

وَأَنْبَاءَ آيَةِ اللَّعَلِينَ ۝ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ۝ وَتَقَطُّوا أَرْحَامَكُمْ ۚ إِنَّكُمْ إِلَىٰ إِلَهِكُمْ رَاجِعُونَ ۝ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَكْفُرْ بِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُزُودٌ ۝ وَحَرِّمْنَا عَلَىٰ قُرْبَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لََّا يَرْجِعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ۝ وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ لِمَآذَا هِيَ شِخْصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْتَيْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كَا ظَالِمِينَ ۝ إِنَّا نُرَىٰ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ۝ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ إِلَهًا مَاوردوها ۚ وَكُلٌّ فِيهَا

٩١ - واذكر مع هؤلاء قصة مريم التي صانت فرجها ، فألقينا فيها سرا من أسرارنا ، وجعلناها تحمل دون زوج ، وجعلنا ابنها دون أب ، فكانت هي وابنها دليلا ظاهرا على قدرتنا على تغيير الأسباب والمسببات ، وأنتا قادرين على كل شيء .

٩٢ - ان هذه الملة التي هي الإسلام هي ملتكم الصحيحة التي يجب أن تحافظوا عليها ، حال كونها ملة واحدة متجانسة لا تنافر بين أحكامها .. فلا تفرقوا فيها شيئا وأحزابا ، وأنا خالقكم ومالك أركم ، فاخلصوا لى العبادة ولا تشركوا معى غيرى .

٩٣ - ومع هذا الإرشاد تفرق أكثر الناس بحسب شهواتهم ، جاعلين أمر دينهم قطعا ، فصاروا به فرقا مختلفة ، وكل فريق منهم راجع إلينا بحسب على أعماله .

٩٤ - فمن يعمل عمله من الأعمال الصالحة ، وهو يؤمن بالله ودينه الذى ارتضاه فلا نقص لشيء من سعيه ، بل سيوفى جزاءه كاملا ، وإنا لهذا السعى كاتوبن ، فلا يضيع شيء منه .

٩٥ - ويمتنع على أهل كل قرية أهلكتهم بسبب ظلمهم أنهم لا يرجعون إلينا يوم القيامة ، بل لابد من رجوعهم وحسابهم على سوء أعمالهم ..

٩٦ - حتى إذا فتحت أبواب الشر والفساد ، وأخذ أبناء يأجوج ومأجوج يسرعون خفافا من كل مرتفع فى الجبال والطرق بعوامل الفوضى والقلق .

٩٧ - واقرب الموعود به الذى لابد من تحققه وهو يوم القيامة ، فيفاجأ الذين كفروا بأبصارهم لا تغمض أبدا من شدة الهول ، فيصيحون قائلين : يا خوفنا من هلاكنا ، قد كنا فى غفلة من هذا اليوم ، بل كنا ظالمين لأنفسا بالكفر والعناد .

٩٨ - ويقال لهؤلاء الكفار : انكم والالهة التي عبدتموها من غير الله وقود نار جهنم ، أنتم داخلون فيها معذبون بها .

خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعْمَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً وَهُمْ فِي مَا تَأَسَّوْا أَنفُسُهُمْ فَخَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَجْزِيهِمُ الْفَرْعُ الْكَبِيرُ وَتَلْقَاهُمُ الْمَلَكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَمَا تَطْوِي السَّجَّةَ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدَّا عَلَيْهِمْ إِنَّا كَا فَعَلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْبَشَرِ إِلَهٌ

٩٩ - لو كان هؤلاء الذين عبدتهم من دون الله آلهة تستحق أن تعبد ما دخلوها معكم ، وكل من الصابدين والمعبودين باقون في النار .

١٠٠ - لهم فيها نفس يخرج من الصدور بصوت مخنوق ، لا يلاقونه من الضيق ، وهم فيها لا يسمعون شيئاً يسره .

١٠١ - ان الذين وفقناهم لاتباع الحق وعمل الخير ، وعدناهم بالمعاقبة الحسنة ، أولئك من جهنم وعذابها مبعدون .

١٠٢ - لا يسمعون صوت فوران نارها ، وهم فيها تشبه أنفسهم خالدين .

١٠٣ - لا يجزيهم المول الأكبر الذي يفرع منه الكفار ، وتستقبلهم الملائكة بالتهنئة ، يقولون : هذا يومكم الذي وعدكم ربكم النعيم فيه .

١٠٤ - يوم تطوى السماء كما تطوى الورقة في الكتاب ، وتعيد الخلق إلى الحساب والجزاء ، لا نجزنا اعدائهم ، فقد بدأنا خلقهم ، وكما بدأناهم نعيدهم ، وعدنا بذلك وعداً حقاً ، انا كنا فاعلين دائماً ما تعد به .

١٠٥ - ولقد كتبنا في الزبور - وهو كتاب داود من بعد التوراة - أن الأرض يرثها عبادي الصالحون لممارستها ، وتيسير أسباب الحياة الطيبة فيها .

١٠٦ - ان في هذا الذي ذكرناه من أخبار الانبياء مع أقوامهم وأخبار الجنة والنار لكفاية في التذكير والاعتبار ، لقوم مستعدين لعبادة الله وحده ، لا تفتنهم زخارف الدنيا .

١٠٧ - وما أرسلك إلا لتكون رحمة عامة للعالمين .

وَأَحَدٌ قَهْلَ أَتَمُّ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ عَادَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
 إِنَّهُمْ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتْنٌ لِي جَبِينٌ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ احْكُمْ
 بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

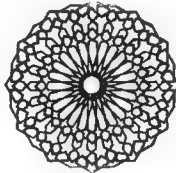
١٠٨ - قل أيها النبي للناس كافة: إن لب الذي أوحى الله به إلى هو: أنه لا إله لكم إلا هو وأن بقية ما يوحى به بعد ذلك تابع لهذا الأصل، وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن تستسلموا وتخضعوا لله وحده.

١٠٩ - فإن أعرضوا عن دعوتك، فقل لهم: لقد أعلمتكم جميعاً بما أمرني به ربي، وبذلك استوتينا في العلم، ولا أدري ما توعدون به من البعث والحساب، أهو قريب أم بعيد؟

١١٠ - إن الله يعلم كل ما يقال عما تجهرون به، وما تكتُمون في أنفسكم.

١١١ - وما أدري لعل أمهالكُم وتأخير العذاب عنكم اختبار يمتحنكم الله به، ويتمكم فيه بلذائذ الحياة إلى حين قدره الله بحسب حكته.

١١٢ - قل أيها النبي: يارب احكم بيني وبين من بلغتهم الوحى بالعدل حتى لا يستوى المؤمنون والكافرون وربنا النعم بمجلائل النعم، المستحق للحمد والشكر. وهو المستعان به على إبطال ما تزغرفون افتراءه أي الكافرون..





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۖ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَهُمْ لَا يُسْكَرُونَ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ② وَمِنَ النَّاسِ مَن

سورة مدنية إلا الآيات ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، وآياتها ثمان وسبعون آية.

بدأت بالتخويف من الله، والتذكير بأهوال القيامة، والترغيب بالمجادلين بالباطل والجهل. وعقبت ذلك بسوق دليل البعث، مصورا في تطور خلق الإنسان وخروج النيات، وتعرضت للمخاصمة في الله ونتيجتها. وذكرت الحج وتعظيم الشعائر. وبعد ذلك اذن الله فيها للمؤمنين بالتقاتل الدفاعي. واتبع ذلك بنسبية الرسول ﷺ عما أصابه من قومه، يذكر ما أصاب الرسل قبله من عنت واضطهاد. وبين آيات السورة أدلة على قدرته تعالى ووحدانيته. وتحديد لوظيفة الرسل. وأنها الإنذار دين الإلجاء. وفي ختام السورة، تحدى الشركاء المزعومين، تنفيها لقبول الشركين، بأنهم عاجزين عن خلق أضعف مخلوق. وهو الذباب، وإن يسلمهم الذباب شيئا لا يستخلصونه منه. ودعت إلى الصلاة، والزكاة، والعبادة والجهاد. في غير حرج بقصد، فهو دين أبيكم إبراهيم والد إسماعيل، الذي توالدت منه العدنانية، وعاقبة أمركم أن يشهد عليكم رسولكم بالتبليغ، وتشهدون على الأمم السابقة أن رسلها بلغتها كما جاءكم به القرآن. وختمت السورة بطلب الاعتصام بالله، فهو نعم المولى ونعم النصير.

١ - يَا أَيُّهَا النَّاسُ: احذروا عقاب ربكم، وضعوا في قلوبكم ذكر يوم القيامة، لأن الاضطراب الذي يحدث فيه شديد مزعج ترهف منه الخلائق.

٢ - يوم تشهدون القيامة ترون هولا يبلغ من شدته أنه لو كانت هناك مرضعة لديها في قم رضيعها لنهلت عنه وتركته. ولو كانت هناك امرأة ذات حمل اسقط جنينها في غير أوانه فزعا ورعبا، وتشاهد أمها الناظر حال الناس في ذلك اليوم من نظراتهم الذلعة، وخطواتهم المترنحة، فتظنهم سكارى وما هم من سكر، ولكن الهول الذي شاهده، والخوف من عذاب الله الشديد هو الذي أفقدهم توازنهم.

يُجَنِّدُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَسْعَى كُلُّ شَيْطَانٍ مَرِيدٌ ﴿٦﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَتَاهُ بِضَلَالٍ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ
السَّعِيرِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْتِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِمَّنْ نُطْفِئُهُ مِمَّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِمَّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِمَّنْ
مُضْغَةٍ مُّخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لِّنَبِّئَنَّكُمْ وَنَقْرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِنَبْلُوَهُمْ أَشَدُّكُمْ
وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتَّقَى وَيُؤْتِي مِّن رَّدٍّ إِلَّا أَرَادَ الْعُمُرُ لِكَيْلًا يَعْلَمُ مَن بَعْدَ عِلْدٍ شَيْئًا وَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ رَوْحٍ يَبْرِجُ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ
يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَإِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿١٠﴾

٣ - ومع هذا التحذير الشديد الصادق فإن بعض الناس دفعه العناد أو التقليد إلى الجدل في الله وصفاته ، فأثبت له الشركاء أو أنكى قدرته على البعث ومجازاة الناس على أعمالهم ، غير مستند في جدله وانكاره إلى علم صحيح أوجهة صادقة ولكنه يقلد ويتبع خطوات كل شيطان متمرد على ربه بعيد عن هديه .

٤ - قسى الله أن كل من اتبعه واتخذ له ولياً وهادياً أضله عن طريق الحق ، ووجهه إلى الباطل المفضى إلى عذاب النار المسعرة المتأججة .

٥ - يأبى الناس أن يأتوا من حيث لا يشعرون ، فخلقكم من طين ، ثم جعلنا من طينة حولها بعد مدة إلى قطعة دم متجمدة ، ثم جعلناها قطعة من اللحم مصورة ، فيها معالم الإنسان ، أو غير مصورة ، لتبين لكم قدرتنا على الإبداع والتدرج في التكوين ، والتغيير من حال إلى حال ، ونسقط من الأرحام ما نشاء ، ونقر فيها ما نشاء ، حتى تكمل مدة الحمل ، ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً ، ثم نزعكم لتبلغوا تمام العقل والقوة ، ومنكم بعد ذلك من يتوفاه الله ، ومنكم من يد له عمره حتى يصير إلى الهرم والحرف فينوقف علمه وإدراكه للأشياء ، ومن بدأ خلقكم بهذه الصورة لا تعجزه عاديتكم . وأمر آخر يدل على قدرة الله على البعث أنك ترى الأرض قاحلة يابسة ، فإذا أنزلنا عليها الماء دب فيها الحياة وتحركت وزادت وارتفع سطحها بما تحمله من الماء والهواء ، وأظهرت من أصناف النباتات ما يروق منظره ، ويبهج حسنه ، وتنتج لمرأه .

٦ ، ٧ - ذلك الذي تقدم من خلق الإنسان ونبات الزرع شاهد بأن الله هو الإله الحق ، وأنه الذي يحيى الموتى عند موتهم كما بدأهم ، وأنه القادر على كل شيء ، وأن القيامة آتية لا شك فيها تحقيقاً لوعده ، وأن الله يحيى من في القبور ببعضهم للحساب والمجازاة .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفُهُ، لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ؕ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ؕ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ؕ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ؕ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ؕ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ؕ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ

٨ - ومع ما تقدم فيفضي الناس يجادل في الله وقدرته ، وينكر البعث على غير أساس علمي أو إلهام صادق ، أو كتاب منزل من الله يستبصر به . فجذاله ليجرد الهوى والعناد .

٩ - وهو مع ذلك بلوى جانبية تكبرا واعراضا عن قبول الحق ، وهذا الصنف من الناس سيصيبه خزي وهوان في الدنيا ينصر كلمة الحق ، ويوم القيامة يعذبه الله بالنار المحرقة .

١٠ - ويقال له : ذلك الذي تلقاه من خزي وعذاب انما كان بسبب افتراءك وتكبرك ، لأن الله عادل لا يظلم ، ولا يسوى بين المؤمنين والكافرين ، والصالح ، والفاجر ، بل يجازي كلانهم بمعمله .

١١ - ومن الناس صنف ثالث لم يتمكن الإيمان من قلبه . بل هو مزعزع العقيدة ، تتحكم مصالحه في إيمانه ، ان أصابه خير فرح به واطمأن ، وان أصابته خسارة في نفسه أو ماله أو ولده ارتد إلى الكفر ، ففسد في الدنيا راحة الاطمئنان إلى قضاء الله ونصره ، كما خسر في الآخرة النعيم الذي وعده الله للمؤمنين الثابتين الصابرين ، ذلك الحسran المزدوج هو الحسran الحقيقي الواضح .

١٢ - يعبد هذا الحاسر من دون الله أصناما لا تضره ان لم يعبدوا ، ولا تنفعه ان عبدها ذلك الفصل منه هو الضلال البعيد عن الحق والصواب .

١٣ - يدعو من دون الله من ضره بإفساد العقول وسيطرة الاوهام أقرب للنفس من اعتقاد مناصرته ، فليس ذلك المعبود تصيرا ، وليس ذلك المعبود عشيرا .

١٤ - ان المؤمنين بالله ورسله إيمانا اقترن بالعمل الصالح يدخلهم رسم يوم القيامة جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار ، ان الله يفعل ما يريد من عقاب المفسد وإثابة المصلح .

أَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدَهُ مَا يَغِيبُ ۝١٥
وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنِ يُرِيدُ ۝١٦ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ
وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۝١٧ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝١٨
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ
وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فِتْنَةً لَمْ يُمْسِكْهُ إِلَّا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝١٩
* هَٰذَانِ خَصِمَانِ ائْتَصَمَا فِي رَيْبِهِمَا قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَطَلْتَ لَهُمْ نِسَابًا مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ تَوْقِ رُءُوسِهِمْ
الْحَرِيمُ ۝٢٠ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۝٢١ وَهُمْ مَقْلَعُونَ مِنْ حديدٍ ۝٢٢ كَلَّا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا

١٥ - من كان من الكفار بطن أن الله لا ينصر نبيه فليمدد بجبل إلى سقف بيته ، ثم ليختنق به وليقصد في نفسه وينظر ، هل ينهب فعله ذلك ما يغيظه من نصر الله لرسوله ؟ .

١٦ - ومثل ما بينا حيننا واضحة فما سبق أن أنزلنا على الرسل ، أنزلنا القرآن كله على محمد آيات واضحات لتقوم الحجة على الناس ، وإن الله يهدي من أراد هدايته لسلامة فطرته وبعده عن العناد وأسبابه .

١٧ - أن الذين آمنوا بالله ورسوله جميعا ، واليهود المنتسبين إلى موسى ، وعباد النجوم ، والملائكة ، والنصارى المنتسبين إلى عيسى ، والمجوس عباد النار ، والمشركين عباد الأوثان . . أن هؤلاء جميعا سيفصل الله بينهم يوم القيامة بإظهار الحق من الباطل منهم ، لأنه مطلع على كل شيء عالم بأفعال خلقه ، وسيجازيهم على أفعالهم .

١٨ - ألم تعلم أيها العاقل أن الله يخضع لتصريفه من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ، وكثير من الناس يؤمن بالله ويخضع لتعاليمه فاستحقوا بذلك الجنة ؛ وكثير منهم لم يؤمن به ولم ينفذ تعاليمه فاستحقوا بذلك العذاب والإهانة ، ومن يطرده الله من رحمته لا يقدر أحد على إكرامه ، أن الله قادر على كل شيء ، فهو يفعل ما يريد .

١٩ - هذان فريقان من الناس تنازعا في أمر ربهم ، وما يليق به ، وما لا يليق ، فآمن به فريق وكفر فريق ، فالذين كفروا أعد الله لهم يوم القيامة نارا تحيط بهم من كل جانب ، كما يحيط التوب بالمجسد ، ولزينة تصذيبهم تصبب الملائكة على رؤوسهم الماء الشديد الحرارة ؛

٢٠ - فينفض إلى ما في بطونهم فيذيبها كما يذيب جلودهم .

٢١ - وأعدت لهم أعمدة من حديد .

مِنْهَا مَنْ عَمِيَ أَعْدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُطَوَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنَافِ فِيهِ وَالْبَيْدِ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْجِلْدِ يَظْلِمِ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْعًا وَعَهِدْ بَيْنِي لِلطَّالِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامِ مَعْلُومَاتٍ

٢٢ - كلما حاولوا الخروج من النار من شدة الغم والكرب ضربتهم الملائكة بها وردتهم حيث كانوا ، وقالت لهم : ذوقوا عذاب النار العذبة جزاء كفركم .

٢٣ - أما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة ، فإن الله يدخلهم جنات تجري من تحت قصورها وأنهارها الانهار ، يتمتعون بما يتمتعون فيها من صنوف النعيم ، وتزينهم الملائكة بأساور الذهب واللؤلؤ ، أما لباسهم المضاد فن حرير .

٢٤ - وزيادة في تنعيمهم بالجنة أهمهم الله فيها الطيب من القول ، والحمد من الفعل ، فيسبحون الله ويقسونه ويشكروه ، ويحاشر بعضهم بعضا بمحبة وسلام .

٢٥ - ان الذين كفروا بالله ورسله واعتادوا مع ذلك منع الناس من الدخول في الإسلام ، ومنع المؤمنين من دخول المسجد الحرام في مكة - وقد جعله الله حرما آمنا للناس جميعا ، المقم والطاوىء - يجازيهم على ذلك بالعذاب الشديد ، وكذلك كل من ينحرف عن الحق ، ويرتكب أى ظلم في الحرم عذبه عذابا أليما .

٢٦ - واذكر أيها النبي هؤلاء المشركين الذين يدعون اتباع ابراهيم عليه السلام ، ويتخذون من البيت الحرام مكانا لاصنامهم ، اذكرهم قصة ابراهيم والبيت الحرام حين أُرْسِدناه إلى مكانه ، وأمرناه ببنائه وفلنا له : لا تشرك بى شيئا ما في العبادة ، وطهر بقى من الأصنام والأقدار ليكون ممدا لمن يطوف به ، ويقم بجواره ، ويتعب عنه .

٢٧ - وأعلم الناس أيما النبي أن الله فرض على المستطيعين منهم أن يقصدوا هذا البيت ، فيلبوا نداءك ، ويأتون إليه مشاة وركابا على ابل يضمرها السفر من كل مكان بعيد .

عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَةٍ الْأَنْعَمَ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ
وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۖ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَمَ
إِلَّا مَا يُنْتَلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا تَرَمَّى السَّمَاءَ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ بَحِيرٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمْ
شَمْعَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

٢٨ - ليحصلوا منافع دينية لهم بأداء فريضة الحج ، ومنافع دنيوية بالتصاف مع اخوانهم المسلمين والتشاور معهم فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، وليذكروا اسم الله في يوم عيد النحر والأيام الثلاثة بعده على ذبح ما رزقهم ويسر لهم من الإبل والبقر والغنم ، فكلوا منها ما شئتم وأطعموا الذي أصابه البؤس والفقير .

٢٩ - ثم عليهم بعد ذلك أن يزيلوا من أجسامهم ما علق بها أثناء الإحرام ، من آثار العرق وطول السفر ، ويصرفوا ما نفروه لله ان كانوا قد نذروا شيئاً ، ويطوفوا بأقدم بيت بنى لعبادة الله في الأرض .

٣٠ - ومن يلزم أوامر الله ونواهيها في حجه تعظيها في نفسه كان ذلك خيراً له في دنياه وآخرته ، وقد أحل الله لكم أكل لحوم الإبل والبقر والغنم ، إلا في حالات تعرفونها مما ينزل عليكم في القرآن كالميتة وغيرها ، فاجتنبوا عبادة الأوثان ، لأن عبادتها قذارة عقلية ونفسية لا تليق بالإنسان ، واجتنبوا قول الزور على الله وعلى الناس !

٣١ - وكونوا مخلصين لله حريصين على اتباع الحق . غير متخذين أي شريك لله في العبادة فإن من يشرك بالله فقد سقط من حصن الإيمان ، وتنازعت الضلالات ، وعرض نفسه لأبشع صورة من صور الهلاك . وكان حاله حثيثاً كحال الذي سقط من السماء فتمزق قطعاً تحاطفتها الطيور فلم يبق له أثر ، أو عصفت به الريح العاتية ففتشت أجزأه وهوت بكل جزء منه في مكان بعيد .

٣٢ - ان من يعظم دين الله وفرائض الحج وأعماله والهدايا التي يسوقها إلى فقراء الحرم ، فيختارها عظيمة مماناً صحاحاً لا عيب فيها فقد اتق الله ، لأن تعظيمها أثر من آثار تقوى القلوب المؤمنة ، وعلامة من علامات الإخلاص .

٣٣ - لكم في هذه الهدايا منافع دنيوية ، فركبونها وتشربون لبنها إلى وقت ذبحها ، ثم لكم منافعها الدينية كذلك حيناً تذيبونها عند البيت الحرام تقرباً إلى الله .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَسْكًا يُذَكِّرُ أَهْلَهُ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَرِّهِمْ أَلا تَعْلَمُونَ فَلْيَهْكُرْ إِنَّهُ وَحْدَ قَلْبِهِ أَسْلَمُوا
وَيَسِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهِ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرٍ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ
فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِمْعُوا الْقَاتِعَ وَالْمَعْتَرَّ كَذَلِكَ نَعَزِّنُهَا لَكُمْ وَلَكُمْ سَكْرُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ
يُنَالُ اللَّهُ لَحُمُومًا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنَّ بَنَاهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ نَعَزُّهَا لَكُمْ لِنُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَيَسِّرَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ

٣٤ - ليست هذه الفرائض التي تتعلق بالحج خاصة بكم ، فقد جعلنا لكل جماعة مؤمنة فرائض يتقربون بها إلى الله ، ويذكرون اسمه ويعظمونه عند ذبحها شكرا له على ما أنعم عليهم ، وبسرهم من بهائم الأبل والبقر والغنم ، والله الذي شرع لكم هذه الواجبات ، فاسلموها له وحده أكرمكم وأخلصوا له عملكم ولا تشركوا معه أحدا ، وبشر أيها النبي بالجنة والثواب الجزيل للمخلصين المحاضرين لله من عباده .

٣٥ - الذين إذا ذكر الله اضطربت قلوبهم من خشيته وخشعت لذكره والذين صبروا على ما أصابهم من الكاره والمنازع استسلاما لأمره وقضائه ، وأقاموا الصلاة على أكمل وجهها ، وأنفقوا بعض أموالهم التي رزقهم الله إياها في سبيل الخير .

٣٦ - وقد جعلنا ذبائح الأبل والبقر في الحج من أعلام الدين ومظاهره ، وأنتم تقررون بها إلى الناس ، ولكم فيها خير كثير في الدنيا بركتها وشرب لبنها ، وفي الآخرة بالأجر والثواب على ذبحها وإطعام الفقراء منها ، فاذكروا اسم الله حال كونها مصطفة معدة للذبح خالية من العيب . . فإذا تم لكم ذبحها فكلوا بعضها ، إن اردتم ، وأطعموا الفقير القانع المتصدق عن السؤال ، والذي دفعت حاجته إلى ذل السؤال ، وكما سخرنا كل شيء لما نريده منه سخرناها لنفصلكم ، وذلكنا لإيرادكم لتشكرونا على نعمنا الكبيرة عليكم .

٣٧ - واعلموا أن الله لا ينظر إلى صوركم وأفعالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ، ولا يريد منكم مجرد التظاهر بالذبح وراقة الدماء ، ولكنه يريد منكم القلب الخاضع ، فلن ينال رضاه من وزع تلك اللحوم ولا الدماء ، ولكن الذي ينال رضاه هو تقواكم وإخلاص نواياكم . مثل هذا التفسير سخرناها لتفحصوا فقتضوا الله على ما هداكم إليه من إقام مناسك الحج ، وبشر أيها النبي المحسنين الذين أحسنوا أعمالهم ونواياهم بتواب عظيم .

٣٨ - إن الله يدافع عن المؤمنين ويحسبهم وينصرهم بإيمانهم ، لأنه لا يجب للمؤمنين لأماناتهم المبالغين في كفرهم برجم ، ومن لا يحبه الله لا ينصره .

يَأْتِيهِمْ ظُلُمًا ۖ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَجْمِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ أُتْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ۖ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعَهُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هُمَلَّتْ صَرْمَعُ رُيُوسٍ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكِّرُهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَاللَّهُ عَلَيْهُ الْأُمُورُ ﴿٥٧﴾ وَإِنْ يَكِيدُوكَ فَلْيَكِيدُوا ۖ فَقَدْ كَلَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَهَمُودٌ ﴿٥٨﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٥٩﴾ وَرَأَيْتَ مَدْيَنَ وَكُلَّابَ مَوْسَىٰ ۖ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ

٣٩- أذن الله للمؤمنين الذين قاتلهم المشركون أن يردوا اعتداءهم عليهم ، بسبب ما نالهم من ظلم صبروا عليه طويلا ، وإن الله لتقدير على نصر أوليائه المؤمنين^(١).

٤٠ - الذين ظلمهم الكفار وأرغموهم على ترك وطنهم مكة والمجرة منها ، وما كان لهم من ذنب عندهم الا أنهم عرفوا الله فعبدوه وحده . ولولا أن الله سخر للحق أعوانا يتصورونه ويدققون عنه طغيان الظالمين لساد الباطل ، وقادى الطغاة في طغيانهم ، واخلدوا صوت الحق . ولم يتركوا للنصارى كنائس ولا لربهايتهم صوامع ولا لليهود معابد ، ولا للمسلمين مساجد يذكر فيها اسم الله ذكرًا كثيرًا وقد أخذ الله العهد الأكيد على نفسه أن ينصر كل من نصر دينه ، وأن يعز كل من أعز كلمة الحق في الأرض .. ووعد الله لا يتخلف ، لأنه قوى على تنفيذ ما يريد عزيز لا يقبله غالب .

٤٦ - هؤلاء المؤمنون الذين وعدنا بنصرهم هم الذين ان مكنا سلطانهم في الأرض حافظوا على حسن صلتهم بآلهم وبالناس، فيؤدون الصلاة على أنف وجوهها، ويعطون زكاة أموالهم مستحقيها، وأمروا بكل ما فيه خير، ونهوا عن كل ما فيه شر، وفقه وعنده مصير الأمور كلها، فيعز من يشاء، ويذل من يشاء حسب حكيمته.

٤٢ - وإذا كنت للاق أيا النبي فكذبوا وإنيما من قومك فلا تخزن . وتأمّل في تاريخ المرسلين قلبك تجد أنك
لست أول رسول كذبه قومه وآذروه ، فن قيل هؤلاء الذين كذبوك ، كذبت قوم نوح رسوله نوحا ، وكذبت قوم عاد
رسوله هودا ، وكذبت قوم رسوله صالحا .

٤٣ - وكنب قوم ابراهيم رسولهم ابراهيم ، وقوم لوط رسولهم لوطا .

(١) «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير»: أن ما ذكره القرآن الكريم من الحكم في الآية ٣٩ «سبى به القوانين الوضعية، وهو أن الدفاع عن النفس أمر مشروع مهما كانت نتائجه، وأن المدافع عن نفسه وماله ووطنه، لا يؤاخذ أمام الله وأمام العدالة ولو قتل نفساً وأزوى أرواحاً». إن هذه الآية قوت أن المسلمين مأذون لهم في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدى عليهم، ومن ذلك تأخذ أن حروب المسلمين كانت حروب دفاع لا حروب هجوم، وأنهم أقاموا الإسلام ودعموه بالحسبة البينة والأدلة الواضحة.

(المستحب - م ٣٢)

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤٨ وَالَّذِينَ سَمَوْا قِيَامَنَا مَعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ٤٩ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا بَلَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ قِيَامَنَا ٥٠ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥١ لِيَجْعَلَ مَا بَلَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ٥٢ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ

٤٨ - وكثير من أهل القرى كانوا مثلهم ظالمين ، فأمهاتهم ولم أعاجلهم بالعقاب ثم أنزلته بهم ، وإلى وحدي مرجع الجميع يوم القيامة فأجازهم بما يستحقون ، فلا تفردوا - أيها الكفار - بتأخير العذاب عنكم .

٤٩ - قل أيها النبي هؤلاء المكذبين الذين يطلبن منك التعجيل بعذابهم : ليس من مهمي أن أجازيكم على أفعالكم ، وإنما أنا مخبر من عقاب الله تحذيرا واضحا ، والله هو الذي يتولى حسابكم ومجازاتكم .

٥٠ - فالذين آمنوا بالله وبرسوله وعملوا الأعمال الصالحة لهم مغفرة من الله لذنوبهم التي وقصوا فيها ، كما أن لهم رزقا كريما في الجنة .

٥١ - والذين أجهدوا أنفسهم في محاربة القرآن مسابقين المؤمنين معارضين لهم ، فتأقن زاعمين - خطأ - أنهم بذلك يفلتون ما يريدون ، أولئك يخلصون في عذاب الجحيم .

٥٢ - لا تحزن - أيها النبي - من محاولات هؤلاء الكفار ، فقد جرت الحوادث من قبلك مع كل رسول من رسلنا ونهى من أنبيائنا أنه كلما قرأ عليهم شيئا يدعوهم به إلى الحق تصدى له شياطين الإنس المنردون ، لا يبال دعوته وتشكيك الناس في يتلوه عليهم ، لكي يحولوا بين النبي وبين أمنيته في إجابة دعوته ، فيزيل الله ما يدبرون ، ثم تكون الغلبة في النهاية للحق حيث يثبت الله شريعته وينصر رسوله ، وهو عليم بأحوال الناس ومكانتهم ، حكيم في أفعاله يضع كل شيء في موضعه .

٥٣ - وإنما يمكن الله المتدبرين على الحق من لقاء الشبه والعراقيل في سبيل الدعوة ليكون في ذلك امتحان واختبار للناس ، فالكفار الذين تنجرت قلوبهم ، والمنافقون ومرض القلوب ، يزدادون ضللا بترويج هذه الشبه ومناصرتها ، ولا عجب في أن يقف هؤلاء الظالمون هذا الموقف فإنهم لجوا في الضلال وأوغلوا في العناد والشقاق .

الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْثَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ۝ أَلَمْ تَرَ يَوْمَئِذٍ لَّهُ يَمُكِّرُ بَيْنَهُمْ فَأَلَّيْنِ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَالَّذِينَ هَلَجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ۝ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝
* ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ۖ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ

٥٤ - وليزداد الذين آمنوا علم النزع والایمان به ایمانا وعلما بان مايقوله الرسل والاینها انما هو الحق المنزل من عند الله . وان الله ليتولى المؤمنین دائما بعنايته في المشاكل التي تفرجهم ، فيهديهم الى معرفة الطريق المستقیم فينبهونه .

٥٥ - والذين كفروا لا يوقفون فيستمرن على شكهم في القرآن حتى يأتيهم الموت ، أو يأتيهم عذاب يوم لا خير لهم فيه ولا رحمة وهو يوم القيامة .

٥٦ - حيث يكون السلطان القاهر ، والتصرف المطلق لله وحده في هذا اليوم الذي يحكم فيه بين عباده ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات يخلدون في جنات تتراهم فيها كل صنوف النعيم .

٥٧ - والذين كفروا وكذبوا بآيات القرآن التي أنزلناها على محمد ، فأولئك لهم عذاب يلحقون فيه الذل والهوان .

٥٨ - والذين تركوا أوطانهم لإعلاء شأن دينهم يبتغون رضا الله ، ثم قتلوا في ميدان الجهاد ، أو ماتوا على فراشهم ، يمجيزهم الله أحسن الجزاء ، وإن الله هو خير من يعطي الثواب الجزيل .

٥٩ - ولينزلهم في الجنة درجات يرضونها ويسعدون بها ، وإن الله لعليم بأحوالهم فيجزئهم الجزاء الحسن ، حلیم يتجاوز عن هفواتهم .

٦٠ - ذلك شأننا في مجازاة الناس : لا نظلمهم ، والمؤمن الذي يقتص من جنس عليه ، ويجازيه بمثل اعتدائه دون زيادة ، ثم يهدي الجاني في الاعتداء عليه بعد ذلك ، فإن الله يعطي عبدا مؤكدا نصره على من تعدى عليه ، وإن الله لكثير العفو عمن جازى بمثل ما وقع عليه ، فلا يؤاخذ به ، كثير المغفرة فيستر هفوات عبده الطائع ولا يقضه يوم القيامة .

يُولِجُ أَيْلٌ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي أَيْلٍ ۖ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ ذَٰلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ۖ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَخَسَّبُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۖ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ مَخْرَجَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ ۖ وَالْفَلَكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ يَلْتَمِوهُ ۖ وَبِمَسْكِ السَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ۝ لِكُلِّ أَمَةٍ جَعَلْنَا مَرْسَكَهُمْ نَأْسِكُوهُمْ فَلَا يَنْتَرِعُونَكَ فِي الْأَمْرِ ۖ وَأَذْعُمُ لَكَ رَبُّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَى

٦١ - ذلك النصر حين على الله لأنه قادر على كل شيء، ومن آيات مدره البارزة أمامكم هيمنته على العالم، فيدالو بين الليل والنهار بأن يزيد في أحدها ما ينقصه من الآخر، فتصير بعض ظلمة الليل مكان بعض ضوء النهار، ويتمسك ذلك، وهو سبحانه مع تمام قدرته جميع لقول المظلوم، بصير بفعل الظالم، فينتقم منه.

٦٢ - ذلك النصر للمظلومين منه تعالى، وتصرفه المطلق في الكون كما تلمسون مرجعه أنه هو الإله الحق الذي لا إله معه غيره، وإن ما يعبد المشركون من الأصنام هو الباطل الذي لا حقيقة له وأن الله وحده هو المولى على ما عده شأنا، الكبير سلطانا.

٦٣ - ألا تتعجب أيها العاقل بما ترى حولك من مظاهر قدرة الله فتعبد وحده؟ فهو الذي أنزل ماء الأمطار من السحاب فأصبحت الأرض به مخضرة بما بينت فيها من النبات، بعد أن كانت مجعدة، إن الله كثير اللطف بعباده، خير بما ينفعهم فيبيته لهم بقدرته.

٦٤ - كل ما في السموات وما في الأرض ملك له، وعبيد له وحده، ويتصرف فيه كما يشاء، وهو الغني عن عباده، وهم المفتقرون إليه، وهو الحق وحده بالمحمد والثناء عليه، من جميع خلقه.

٦٥ - ألا تنظر أيها العاقل إلى مظاهر قدرة الله فتراه ييسر للناس جميعا الانتفاع بالأرض وما فيها، وهما لهم البحر تسير فيه السفن بمشيئته وأمسك الكواكب في الفضاء بقدرته حتى لا يختل نظامها، أو تقع على الأرض إلا إذا اقتضت إرادته ذلك، إن الله سبحانه شديد الرأفة والرحمة بعباده فيسبب كل سبيل الحياة الطيبة لهم، فكيف بعد ذلك كله لا يخلصون في شكره وعبادته؟ (١).

٦٦ - وهو الذي أوجد فيكم الحياة، ثم يمتكم حين تنفض أجالكم، ثم يحياكم يوم القيامة للحساب والمجازاة، إن الإنسان مع كل هذه النعم والدلائل لشديد الجحود بالله وبمنه عليه.

تطبيق الجهره على الآية ٦٥:

(١) «ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض، والفلك تجري في البحر بأمره، ويسكن السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، إن الله بالقضاء، فأجرام السماء المنع منها لذاته مثل النجوم والمجموعات النجمية والسموم، والمجرات، وغير المنع لذاته كالأنوار، والكواكب والمذنبات، البلازما، الجزيرات، الفرات، والفيار الكوي، جميع هذه التوال محظوظ بكيناتها وتلكها تحت تأثير قوى عري، أهمها الجاذبية والقوى الناشئة عن الحركة.

ولقد جعلت مشيئة الله ورائته بالعباد بأن هيا غللا جوا يجرى على العناصر الغازية التي لا غنى للحياة عنها، كما أنه يمس سكان الأرض من الانشعاعات الكونية وأسراب الشهب والنيازك التي تهيم في الفضاء والتي عندما تدنو من الأرض تنفجر في جودها العلوي قبل أن تصل إلى السطح.

ومن إرادته تعالى ووعده أن سقط النيازك التي تنمر سطح الأرض نادر الحدوث جدا، وهو يتم في الأماكن الحالية من السكان. وهذه الظاهرة تدل على غاية الله تعالى وتعالى ووعده بعباده، وفي هذا تأكيد وتصديق لقوله تعالى: «ويسكن السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم».

هَذِي مُسْتَقِيرٌ ۖ وَإِنْ جَدَلْتُكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْزِلُ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۝ وَإِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ أَنبِئْنَاهُمْ بِبَشِيرٍ أَوْ نَذِيرٍ فَذَكَرُوا الَّذِينَ كَفَرُوا الشُّرَكَاءَ الَّذِينَ يَكَاذِبُونَ يَسْعَوْنَ بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِمَّنْ ذَكَرَ النَّارَ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَ الْأَمْصِرُ ۝ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ

٦٧ - وقد جعلنا لكل أمة من أصحاب الشرائع السابقة شريعة خاصة بهم لائحة بمعصمهم يعبدون الله عليها الى ان ينسخها ما يأتي بعدها . ومن أجل هذا جعلنا لأمتك - أيها النبي - شريعة يعبد الله عليها الى يوم القيامة . وإذا كان هذا امرنا ووضنا ، فلا يجوز ان يشتد في منازعتك فيه هؤلاء المتعبدون بأديانهم السابقة عليك ، فقد نسخت شريعتك شرائعهم ، فلا تلتفت لمجادلتهم ، واستمر في الدعوة الى ربك حسب يومى اليك . انك لتسير على هدى ربك المستقيم .

٦٨ - وان أصروا على الاستمرار في مجادلتك . فأعرض عنهم ، وقل لهم : الله أعلم بأعمالكم ، وبما تستحقون عليها من الجزاء .

٦٩ - الله يحكم بيني وبينكم يوم القيامة ، فما كنتم تختلفون فيه معي ، فيشيب المهدي ويماقب الضال .

٧٠ - واعلم أيها السائل أن علم الله محيط بكل ما في السماء وما في الأرض ، فلا يخفى عليه شيء من أفعال هؤلاء المجادلين ، فكل ذلك ثابت عند الله في لوح محفوظ ، لأن إسطمته بذلك وإثباته وحفظه يسير عليه كل اليسر .

٧١ - ويعبد المشركون من دون الله أوثانا وأشخاصا لم ينزل بعبادتها حجة في كتاب محامى ، وليس لديهم عليها دليل عقل ، ولكن مجرد الهوى والتقليد ، وليس هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وامتنتوا عقولهم بنسبهم ينصرهم ، ويدفع عنهم عذاب النار يوم القيامة كما يزعمون .

٧٢ - هؤلاء المشركون اذا تلا أحد عليهم آياتنا الواضحات ، وفيها الدليل على صحة ما تدعو اليه - أيها النبي - وفساد عبادتهم ، تلحظ في وجوههم الحق والغيظ الذى يستبد بهم ، حتى ليكاد يدفعهم الى الفتك بالذين يتلون عليهم هذه الآيات . قل لهم أيها النبي ، نيكيتا وإنذارا : هل تستمعون الى فأخبركم بشيء هو أشد عليكم شرا من الغيظ الذى يحرق نفوسكم ؟ انه هو النار التى توعد الله بها الذين كفروا أمثالكم يوم القيامة وما أسوأها مصيرا ومقاما .

فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۚ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَسْمَعُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رَسُولًا مِنْ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاجْعِدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ مَنَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

٧٣ - يا أيها الناس : انا نبرز أمامكم حقيقة عجيبة في شأنها . فاستمعوا إليها وتدبروها : ان هذه الأصنام لن تستطيع أبدا خلق شيء ، مهما يكن نافها حقيرا كالذباب ، وان تضافروا جميعا على خلقه ، بل ان هذا المخلوق النافه ، لو سلب من الأصنام شيئا من القرايين التي تقدم إليها فانها لاستطيع بحال من الاحوال ان تمنعه عنه أو تسترده منه . وما أضعف الذي يزم أمام الذباب عن استرداد ما سلبه منه . وما أضعف نفس الذباب ، كلاهما شديد الضعف ، بل الأصنام كما ترون أشد ضعفا فكيف يليق بانسان عاقل أن يعبدها ويبتسئ النفع منها ؟

٧٤ - هؤلاء المشركون ما عرفوا الله حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه حين أشركوا به في العبادة أعجز الأشياء ، مع أن الله هو القادر على كل شيء العزيز الذي لا يفلته غائب .

٧٥ - وقد اقتضت ارادة الله وحكمته ان يختار من الملائكة رسلا ، ويختار من البشر كذلك رسلا ، ليلفوا شرعا الى خلقه ، فكيف تعترضون على من اختاره رسولا اليكم ؟ ان الله سمع لأقوال عباده ، بصير بما يفعلون وبجاسوسهم عليه .

٧٦ - وهو سبحانه يعلم أحوالهم الظاهرة والباطنة لا تخفى عليه منهم خافية واليه وحده ترجع الأمور كلها .

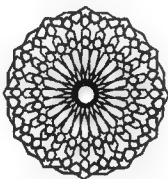
٧٧ - يا أيها الذين آمنوا لا تلتفتوا الى تضليل الكفار . واستمعوا على أداء صلاتكم تامة وافية راكعين ساجدين ، واعبدوا ربكم الذي خلقكم ورزقكم ، ولا تشركوا به أحدا ، واعملوا كل ما فيه خير ونفع ، كي تكونوا من المصلحين السعداء في أفلاككم ودنياكم .



وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

٧٨ - وجاهدوا في سبيل اعلاء كلمة الله وابتغاء مرضاته حتى تنتصروا على اعدائكم وشهواتكم لأنه سبحانه قريبكم اليه ، واختاركم لنصرة دينه ، وجعلكم أمة وسطا ، ولم يكلفكم فيما شرعه لكم ما فيه مشقة عليكم لاحتماولها ويسر عليكم ما يحترضكم من مشقة لاتطيقونها بما جمعه لكم من أنواع الرخص ، فآزموا هذا الدين ، فهو دين أبيكم ابراهيم في مبادئه وأأسسه ، وهو سبحانه الذي سماكم المسلمين في الكتب المنزلة السابقة ، وفي هذا القرآن لاذعانكم لما شرعه لكم ، فكونوا كما سماكم الله لتكون عاقبتكم أن يشهد رسولكم بأنه بلغكم وعلمكم بما بلغكم به فاستمدوا وتكونوا شهداء على الأمم السابقة بما جاء في القرآن من أن رسلها بلغتها ، وإذا كان الله قد خصكم بالطاعة له ، فتنقيوا الصلاة على أتم الميزات كلها ، فمن الواجب عليكم أن تقابلوها بالشكر والطاعة له فتقيموا الصلاة على أتم وجوهها ، وتعطوا الزكاة لمستحقها وتتوكلوا على الله في كل أموركم وتستمدوا منه العون فهو معيكم وناصركم .

فنعم المولى ونعم النصير .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ النَّفَرِ مَعْرُوفُونَ ﴿٣﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ

سورة مكية، وأياتها مائة وعشرون آية، ابتدأت بآيات الفلاح للمؤمنين، وأنبت ذلك ببيان صفاتهم. ثم ذكرت أصل خلق الانسان، وتطور أصله، وتسلسل سلالاته، وبعض مظاهر قدرة الله تعالى وعقبت ذلك بقصص الأنبياء، المردفة باتحاد الرسالات ووحدة الانسان، وان اختلف الناس الى معترف ومنعترف، ووصفت طالب الهدى وصاحب الضلال، وبينت موقف المشركين من النبي ﷺ، وانتقلت من ذلك الى مظهر قدرة الله في أحكام خلق الانسان، وأخذ سبحانه فيها يسأل الناس ليجيبوه بفطرهم، بما يقرر وجوده، وبثبت ألوهيته، ثم بينت السورة أحوال الناس في القيامة، وانهم سيحاسبون، ويؤخنون بالعدل، وتتم السورة ببيان جلاله سبحانه وتعالى، وتبنيته رسوله الى طلب المغفرة والرحمة من أرحم الراحمين.

١ - تحقق الفلاح للمؤمنين بالله وبما جاءت به الرسل، وغاؤوا بأمانهم.

٢ - الذين ضموا الى آياتهم العمل الصالح، فهم في صلاتهم متوجهون الى الله بقلوبهم خاشعون منه متذللون له، يحسون بالحضور المطلق له.

٣ - هم مؤثرون للجد، معرضون عما لا خير فيه من قول وعمل.

٤ - وهم محافظون على اداء الزكاة الى مستحقها، وبذلك يجمعون بين العبادات البدنية والعبادات المالية، ويبين تطهير النفس وتطهير المال^(١).

٥ - وهم محافظون على أنفسهم من أن تكون لها علاقة بالنساء^(٢).

(١) «والذين هم للزكاة فاعلون»: هدف فرضية الزكاة الى توثيق الروابط الاجتماعية بين المسلمين، وإشعار كل فرد منهم بأنه مسئول عن أخيه. يحس بإحساسه، ويتألم لآله، فيعمل ما استطاع ليقيه نائبات الزمان ومرارة الحرمان، فلا يهتد فقير أو مسكين على غنى. بل يشمر الجميع بأنهم أسرة واحدة متعاونة متعصدة بميل الله، ولا يأس مدمن من أن يعطى ما يقى به دينه إذا كان لا يملك ما يوقى به هذا الدين... ولا توهم غربة غاز في سبيل الله لشجرة دينه وتحرير وطنه حاجة الى مال يمينه على تحقيق غايته، ولا يصد مسافر أو غريب محتاج أو منقطع عن ماله من يذل له نفقة يستعين بها حتى يصل الى وطنه والزكاة بجانب هذا كله كانت وسيلة من الوسائل الفعالة التي اقتضها الإسلام لفك الرقابة وإلغاء الرق، ولقد توسع الإسلام في تحقيق أهدافه الاجتماعية المالية، وبذبت النصب الذي المقتوت، فأباح أن يعطى الكفار من الزكاة إذا دعت الحاجة الى استئلافهم، وكذلك المملوكون عبيدا، والمكاتبون، وأبناء السبيل والفاقرمون لإصلاح ذات البين، والذين يمارنون المسلمين في القتال. أما الهدف الاقتصادي للزكاة فهو القضاء على الفقر أينما حل، ومعاونة كل ذي حاجة على التمر الذي تقدم.

(٢) «والذين هم لفروجهم حافظون، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون»: تصل هذه الآيات بآيات أخرى في سورة النور أولا: «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة... ان الآيات الكريمة المذكورة تشير الى ما ينتج عن الزنا من آثار اجتماعية... أما الناحية الاجتماعية فيؤدي الزنا الى اختلاط الأنساب. كما أنه من الناحية الطبية ينقسم تأثير الزنا الى نوعين:

الأول: هي الناحية الجسدية وما ينتج عنها، مثل السيلان والزهري والقرحة والزفرة. ومن مضاعفاتها أن السيلان ينتهي بمضاعفات بولية تناسلية أو مفصلية أو وريدية قد ينتج عنها فقد الإخصار، أما الزهري فينتشر في الجسم كله ويصيب الأنسجة والشرابيين والمجهاز العصبي، وقد ينتهي بصاحبه الى الجنون، كما يؤثر على النسل، فيموت الجنين أو يشوه.

الثانية: الناحية المعنوية، فإن الزنا منتهى من قد يصاب بتأليب الضمير والشعور بالآثم، وفي النهاية يصاب بتأليب عصبه، ومن كثرة الاضرار قد يؤدي به الى طريق الجنون.

أَيْمَنَهُمْ فَلَا تَحْمِلُهُمْ غَيْرُ مَوْلَايِنَّ ① فَمَنْ أَبْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ قَوْلَكَ مِمَّا أَلْهَدُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ ④ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑤ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ⑥ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ⑦ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً فِي فَرْثِ مَكِينٍ ⑧ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّفْثَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا غَايِرًا فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ⑨ ثُمَّ إِنَّمَا بَعَدَ ذَلِكَ لَمَبْتُونَ ⑩ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَبِيَّهُنَّ ⑪ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ ⑫ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً وَقَدَرًا فَأَسْكَنَّاهُ

٦ - الباطن طريق الزواج الشرعي أو بملكية الجوارى^(١) فلا مؤاخنة عليهم فيه .

٧ - من أراد الاتصال بالمرأة عن غير هذين الطريقين فهو متعد للحدود المشروعة غاية التعدي .

٨ - وهم محافظون على كل ما انتخبوا عليه من مال أو قول أو عمل أو غير ذلك ، وعلى كل عهد بينهم وبين الله أو بينهم وبين الناس ، فلا يخونون الأمانات ولا ينقضون المهود .

٩ - وهم مداميون على أداء الصلاة في أوقاتها ، يحققون لأركانها وخشوعها ، حتى تؤدي إلى المقصود منها ، وهو الالتئام عن الفحشاء والمنكر .

١٠ - هؤلاء الموصوفون الذين يرون الخير كله وينالونه يوم القيامة .

١١ - هم الذين ينفضل الله عليهم بالفردوس ، أعلى مكان في الجنة ، يتمتعون فيه دون غيرهم .

١٢ - وإن على الناس أن ينظروا إلى أصل تكوينهم ، فانه من دلائل قدرتنا الموجبة للإيمان بالله وبإبعثنا فنانا خلقنا الإنسان من خلاصة الطين .

١٣ - ثم خلقنا نسله فجعلناه نطفة - أي ماء فيه كل عناصر الحياة الأولى - يستقر في الرحم وهو مكان مستقر حصين .

١٤ - ثم صيرنا هذه النطفة بعد تلقيح البويضة والاختصاص دماً . ثم صيرنا الدم بعد ذلك قطعة لحم ، ثم صيرناها هيكلًا عظميًا ، ثم كسونا العظام باللحم ، ثم أقمنا خلقه فصار في النهاية بعد نفخ الروح فيه خلقًا مغايرًا لمبدأ تكوينه ، فتعال شأن الله في عظمتة وقدرته ، فهو لا يشبهه أحد في خلقته وتصويره وأبداعه .

١٥ - ثم أنكم ، يا بني آدم ، بعد ذلك الذي ذكرناه من أمركم صائرئون إلى الموت لا محالة .

١٦ - ثم أنكم تبعثون يوم القيامة للحساب والمجازاة .

١٧ - وإنا قد خلقنا سبع سموات مرتفعة فوقكم فيها مخلوقات لم ننفل عنها فحفظناها وديرتها ، ونحن لا ننفل عن جميع المخلوقات ، بل نحفظها كلها من الزوال والاختلال وتدبر كل أمورها بالحكمة^(٢) .

(١) كان الرق في الماضي ثابتاً ، وكان للرجل أن يعطي من جواربه من يتخفها كزوجة ، والإسلام أباح الرق في القتال للمشروع

إذا كان الأعداء يسترغون من قبيل العاملة ، فإن لم يسترغ الأعداء فإن المسلمين لا يسترغون

(٢) « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين » ، الطرائق السبع في الآية كناية عن عدد السموات ، وإنا ليست

بسماء واحدة ، وهو - عز وجل - لا يخل عن هذه السموات وما فيها من خلق .

فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِيرُونَ ﴿١٥﴾ فَأَنشَأْنَا لَكَ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ تُحِيلُ وَأَعْتَبْنَا لَكَ فِيهَا فَرَكَ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٦﴾ وَجَعَلْنَا تَخْرُجَ مِنْ مَّوَارِسِنَا نَبْتُ بَالِغِينَ وَمِنْهُ لَلْكَائِنُ ﴿١٧﴾ وَإِن لَّكَ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّفَعْلِكَ إِن كَانَ يَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ لَكَ بِأَعْيُنِنَا قَدْ خَلَّيْنَا فِي غَوْنِهَا وَلَكَ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٨﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتْلُوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٠﴾

١٨ - وأزلنا من السماء مطرا بحكمة وتقدير في تكوينه وإنزاله، وتيسيرا للانتفاع به جعلناه مستقرا في الأرض على ظهرها وفي جوفها، وأنا لقادرون على إزالته وعدم تمكيبهم من الانتفاع به، ولكننا لم نفعل رحمة بكم، فأنابوا بخالفه وأشكروه^(١).

١٩ - فخلقنا لكم بهذا الماء حدائق من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة . ومنها تأكلون .

٢٠ - وخلقنا لكم شجرة الزيتون التي تثبت في منطقة طور سيناء ، وفي ثمارها زيت تنتفعون به ، وهو ادم
الأكلين (١) .

٢١ - وإن لكم في الأنعام وهي الإبل والبقرة والغنم ما يدل على قدرتها وتفضلنا عليكم بالنعم، نسفيكم لبنا مستخرجاً مما في بطونها خالصاً سائفاً سهلاً للشاربين، ولكم فيها سوى اللبن منافع كثيرة كاللحم والأصواف والأوبار ومنها تعيشون وترزقون.

٢٢- وعلى هذه الأنعام ، وعلى السفن تركبون وتحملون الأثقال ، فخلقنا لكم وسائل الانتقال والحمل في البر والبحر ، وبها يكون الاتصال بينكم .

٢٣ - وفي قصص الأولين عبرة لكم لتؤمنوا ، فقد أرسلنا نوحا الى قومه ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ، فليس لكم اله يستحق العبادة غيره ، ألا تخافون عقابه ، وزوال نعمه ان عصيتم .

(١) «وأزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض، وإنا على ذهاب بقنابرون» : تشير هذه الآية الكريمة إلى معانٍ عديدة خاصة بالوفرة المائية في الأرض، من الظهور أن عمليات البحر من العطلات والارتفاعات بما إثارة السحاب التي ينزل منها المطر الذي هو أساس الحياة النباتية على سطح الأرض، وعناصر الأساس للحياة على الأرض. وبالرغم أن السحاب التي تجلب المياه للمناطق القاحلة في العالم، ثم هي أخيراً تصب في البحار، وتعيد الطبيعة الكرة من البحر إلى الجو إلى البر ثم إلى البحر ثانية . . غير أن بعض مياه الأنهار في أثناء هذه الوفرة المائية يسرب إلى باطن القشرة الأرضية مكوناً المياه الجوفية التي تتغلغل في مكان إلى آخر، وتكونها ما تستغل وتغلغل في أحواض كثيرة شاسعة تحت السطح تتبدع في أماكن أبعداً منها، كذلك التي توجد تحت الصحراء والكهنة اللبية، والتي كشفت البحوث الحديثة عن أصلها القديم، وقد تدرى مثل هذه التراكيب الجيولوجية الحازنة تغيرات حرارية يسميها العلماء بالتورثات الجيولوجية، فتعقب بها رماها من أن قد تكونت عرى قاحلة، فتصحب بدورها.

وتشير هذه الآية إلى الحكمة العالية في توزيع الماء بقدر إلى بقدر لا يتغير لائق حكم، لاستحباب النائم وعدم الضمار . . ومن معنى آخر للآية الكريمة يذم من شبه الخالق - جل وعلا - انتفض أن يسكن في الأرض كمية معلومة من المياه في عيالاتها وإعمارها لحسود التوازن الحراري المناسب في هذا الكوكب، وعدم وجود فرق عظيم في درجات الحرارة والصفى والانتعاش لتمام الحياة . . كما في بعض الكواكب والتوابع، والشمس . . كما أن مياه الأرض أزلت بقدر عظيم، لا يزيد قطيعة كل سطحها، لا يزيد بقدر صفر إلى ألف مرة في حينها.

(٢) «وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت باليمن وصبغ للأكليم» : تقرر هذه الآية الكريمة أن شجرة الزيتون من ضمن المم إلى أنتم أهل إلى الإنسان وعند بعضها في الآيات السابقة والأجعة هذه الآية إذ أنها من الأشجار الخشبية التي تزرع حول بلاد تدعى زيل مئات السنين، فلا يزيد أمرها بهذا من الإنسان إذ غامر آثاراً مستندة إليها . . كما تشير بأنها دالة الحضرة بين النظر.

فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ
 مَلَكًا مَعَهُمَا يَنْزِلُ فِي آيَاتِنَا الْأُولَى ٢٤ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَرَصُوا بِهِ حَتَّى جِئَ ٢٥ قَالَ رَبِّ
 انصُرْنِي وَعَسَى أَكْذُوبٌ ٢٦ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا لَهُمَا جَاءَ آمُرْنَا وَفَارَ التَّنُورَ فَاسْلُكْ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَمَّا الْفُلُ فَإِنَّهُ عَلَى الْقَوْلِ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُ فِي الَّذِينَ عَلِمُوا لَهُمْ مَقْرُونٌ ٢٧
 فَلَمَّا اسْتَوَتْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢٨ وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي
 مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ٢٩ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ٣٠ ثُمَّ أُنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ

٢٤ - فقال الكبراء من قومه الذين كفروا متكررين لدعوته صالدين المصاة عن اتباعه : لانقر بين نوح
 وبينكم . فهو مثلكم في البشرية ، ولكنه يريد أن يتميز عليكم بهذه الدعوة . ولو كان هناك رسول من الله
 كما يزعم ، لأسلمهم ملائكة ماصحين في تاريخ آياتنا السابقين بهذه الدعوة ولا بإرسال بشر رسولاً .

٢٥ - ما هو إلا رجل به جنون ولذلك قالوا : فانتظروا واصبروا عليه حتى ينكشف جنونه ، أو يحين هلاكه .

٢٦ - دعا نوح ربه بعد مايش من ايمانهم فقال : يارب انصُرني عليهم . وانتقم منهم بسبب تكذيبهم لدعوتي .

٢٧ - فقلنا له عن طريق الوحي : اصنع السفينة ، وعنايتنا تراك ، فتدفع عنك شرهم ونرشدك في عملك ،
 فاذا حل ميعاد عذابهم ، ورأيت التنور ينفور ماء بأمرنا ، فأدخل في السفينة من كل نوع من الكائنات الحية ذكراً
 وأنثى ، وأدخل أملاك أيضاً ، الا من تقرر تعذيبهم لعدم ايمانهم ، ولانسألي نجاة الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم
 بالكفر والظلم ، فإني حكمت باغرائهم لظلمهم بالاشراك والمصيان^(١) .

٢٨ - فاذا ركبت واستقرت أنت ومن معك في السفينة فقل شاكراً ربك ، الحمد لله الذي نجانا من شر القوم
 الكافرين الطاغين .

٢٩ - وقل يارب مكى من النزول في منزل مبارك تطيب الإقامة فيه عند النزول الى الأرض ، وهب لي
 الأمن فيه ، فأنت وحدك الذي تنزل في مكان الخير والأمن والسلام .

٣٠ - ان في هذه القصة عبراً ومواعظ ، وانا نختبر العباد بالخير والشر ، وفي أنفسهم الاستعداد لكل منها .

= وتزيد الأبحاث العلمية أن الزيتون يستمر مادة غذائية جيدة ، فيه نسبة كبيرة من البروتين ، كما تتميز بوجودة الأحماض الكلسية
 والمعدنية والفسفورية ، وهو مواد هامة وأساسية في غذاء الإنسان ، وعلاوة على ذلك فإن الزيتون يحتوي على فيتامين « أ » ، وفيتامين ب
 ويستخرج من افار زيت الزيتون الذي يحوى على نسبة عالية من الدهون السائلة ، وهذا الزيت يستعمل بكثرة في التغذية .
 وتغيب الأبحاث الطبية إلى زيت الزيتون فوائد عديدة ، فهو يقيد الجهاز الهضمي عامة .. والكبد خاصة . وهو يفضل كافة أنواع
 الدهون الأخرى نباتية أو حيوانية ، إذ لا يسبب أمراضاً للدهون أو الترايبس كغيره من الدهون ، كما أنه ملطف للجهد ، إذ يسهل
 ما عايناه . وازيت الزيتون استعملات أخرى كثيرة صناعية ، إذ يحضر منه بعض الصناعات ويدخل في تركيب أفضل وأحسن أنواع
 الصابون وغير ذلك من مختلف الصناعات الغذائية والصناعية .

(١) « فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا . فلما جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأملاك إلا من
 سبق عليه القول منهم . ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنيهم مغرورون » : أن ما جاءه في وصف حدوث الطوفان في الآيات الكريمة ورغم أنه
 موجز ، إلا أنه بالنسبة للعقل المفكر يتضمن من اللطائف والمفاتيح الصليبية ما يهزج من البحر من البشر .. والتنور لغة : هو الكانون يميز
 فيه . أو هو وجه الأرض وكل مفرج ماء ، وكل حقل ماء .

قَرَأْنَا النَّحْرِينَ ﴿٣١﴾ فَلَمْ نَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ
مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا
تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا عُلِّيسُونَ ﴿٣٤﴾ أَيْدُكُمْ أَنْتُمْ
إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ * هِيَكَ هِيَكَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتِنَا
الْذِي تَمُوتُ وَحَيَاتِنَا وَمَا نَحْنُ بِمُحْجُورِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾
قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنْتُ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا غَلَبَ لِيُصْبِحُنَا نَدِيمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَعْلَنَتْهُمْ الصَّبِيحَةُ بِالْحَقِّ ۖ جَلَسَتْهُمْ غُتَاةٌ
فَبَعْدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْوَنًا النَّحْرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَفْهِرُونَ ﴿٤٣﴾

- ٣١- ثم خلقنا من بعد نوح طبقة من الناس غيرهم وهم عاد.
- ٣٢- فأرسلنا إليهم هوداً وهو منهم. وقتلناهم على لسانه: اعبدوا الله وحده فليس لكم اله يستحق العبادة غيره، وهو وحده الجدير بأن تخافوه، فهلا خفتم عقابه إن عصيتموه؟
- ٣٣- وقال الكبراء من قومه الذين كفروا وكذبوا بآيات الله وما في الآخرة من حساب وجزاء، وأعطيناهم أكبر حظ من الترف والتعظيم، قالوا منكربين عليه دعوته، صادين العامة عن اتباعه: لا تفرق بين هود وبينكم، فما هو إلا بشر مماثل لكم في البشرية، يأكل من جنس ما تأكلون منه، ويشرب من جنس ما تشربون، ومثل هذا لا يكون رسولاً لعلم تميزه عليكم.
- ٣٤- وحزنوهم في قوة وتأكيد، فقالوا: إن أطعتم رجلاً يماثلكم في البشرية، فأنتم حقاً خاسرون لعدم انتفاعكم بطاعته.
- ٣٥- وقالوا لهم أيضاً منكربين للبهت: أيعدكم هود أنكم تبعثون من قبوركم بعد أن تموتوا وتحسروا تراباً وعظاماً مجردة من اللحم والأعصاب.
- ٣٦- إن ما وعدكم به بعيد جداً ولن يكون أبداً.
- ٣٧- ليس هناك إلا حياة واحدة هي هذه الحياة الدنيا التي نوجد فيها الموت والحياة يتواردان علينا، فقولوا يولد وحى يموت، ولن نبعث بعد الموت أبداً.
- ٣٨- ما هو إلا رجل كذب على الله، وادعى أن الله أرسله، وكذب فيما يدعو إليه، ولن تصدقه أبداً.
- ٣٩- قال هود، بعد ما ينش من إيمانهم: يارب انصُرني عليهم وانتقم منهم، بسبب تكذيبهم لدعوتي.
- ٤٠- قال الله له مؤكداً وعده: سينصرون بعد قليل من الزمن على ما فعلوا عندما يحل بهم العذاب.
- ٤١- فأخفهم صيحة شديدة أهلكتهم لاستحقاقهم ذلك الهلاك، وجعلناهم في الحفارة والضعف كالشيء الذي يعرفه السيل أمامه من أعواد الشجر وأوراقه وهلاكه وبعداً عن الرحمة للظالمين بكفرهم وطفيتهم.
- ٤٢- ثم خلقنا من بعدهم أقواماً غيرهم، كقوم صالح ولوط وشعيب.
- ٤٣- لكل أمة زمنها المين لها، لا تتقدم عنه ولا تتأخر.

= ونحن عندما نحاول تحديد تاريخ حدوث الطوفان نجد أنه ليس بالأمر السهل، فقد حدثت طوفانات عديدة في أزمنة غير صحيحة في عهد البشرية، كما حدث في أرض بابل وفي الهند وفي الصين وفي الأمريكيتين.

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۖ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِلْدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَآمَهُ ۖ ءَايَةً وَأَوْسَنَاهُمَا إِلَهَ رَبِّوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَأْتِيهِمُ الرُّسُلُ كُلًّا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أَمْثَلُ أُمَّةٍ

٤٤ - ثم أرسلنا رسلنا متتابعين كلا إلى قومه، وكلما جاء رسول إلى قومه كذبوه في دعوتهم، فأهلكناهم متتابعين، وجعلنا أخبارهم أحاديث يرددونها الناس ويعجبون منها، فبعدا عن الرحمة، وهلاكاً لقوم لا يصدقون الحق ولا يدعون له.

٤٥ - ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بالدلائل القاطعة الدالة على صدقهما، وبجدة واضحة تبين أنها قد أرسلنا من عندنا.

٤٦ - أرسلناهما إلى فرعون وقومه فامتنعوا في تكبر عن الإيمان، وهم قوم موصوفون بالكبر والتعالى والقهر.

٤٧ - وقالوا في تعجب وانكار: أنؤمن بدعوة رجلين عائلين لنا في البشرية، وقومها بنو إسرائيل خاضعين لنا ومطيعون كالعبيد.

٤٨ - فكذبوهم في دعوتهم فكانوا من المهلكين بالفرق.

٤٩ - ولقد أوحينا إلى موسى بالتوراة، ليهتدى قومه بما فيها من إرشادات إلى الأحكام وأسباب السعادة.

٥٠ - وجعلنا عيسى بن مريم وأمه في حملها به من غير أن يمسهما بشر، وولادته من غير أب دلالة قاطعة على قدرتنا البالغة، وإزلائها في أرض مرتفعة منبسطة تستقر فيها الإقامة ويتوافر الماء الذي هو دعامه العيش الرغيد.

٥١ - وقتلنا للرسل ليلوا أقوامهم: كلوا من أنواع الحلال الطيب، وتقمصوا واشكروا نعمتي بعمل الصالحات، إلى عليم بما تعملون ويجاز لكم عليه.

= وجاء ذكر بعض هذه الطوفانات في القصص النسخ، إلا أنه من المستبعد أن يكون لها علاقة بالطوفان العظيم أو طوفان نوح. وقد ثبت من البحث والملاحظة أن العالم انتهى طوفانات عالية كثيرة، وأن آخر الطوفانات الصالحة كان سببه انقضاء عصر الجليد الأخير وانصهار منجم الثلج المتجمد في القطبين، ونحن لا نعلم علم اليقين متى انقلب الميزان وفار التور - وجه الأرض - نتيجة للارتفاع المفاجيء في سرعة انصهار الجليد حتى علا منسوب الماء للعالم للبحار، وظفت للبلاد.

ويجدر بالذكر أنه قد صاحب انصهار تلوج العصر الجليدي الأخير مناج شديد المطر في مناطق نائية عن القطبين، مثل حوض البحر الأبيض المتوسط.

ومما يمكن من شيء من السلم به أنه ليس لدينا من الوثائق ما يمكننا من تحديد عصر نوح وقومه، فالطائفة كلها معجزة ليلية. ومن الإعجاز أن ينصح نوح وقومه ويحذرهم من غضب الله، ويوصي الله أنه مفرقهم إذا لم يتصالحوا... ثم يوصي إليه أن يصنع الفلك، ثم يأتي أمر الله، وينقلب الميزان، ويغمر التور، ويهتر المطر حقيقة لما أخبر الله به نوحاً من أن الله يعلم أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن.

وَحِدَّةً وَأَنَا رَبُّكَ فَاتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حَبِيبٌ مِمَّا لِيَسْمَ فِرْحُونَ ﴿٥٣﴾ فَلَدَرَهُمْ فِي عَمْرِيَّتِهِمْ
 حَتَّىٰ حَبِيبٌ ﴿٥٤﴾ لِيَحْسَبُونَ أَنَّمَا عُدَّتُهُمْ بِهٖ مِنْ مَّالٍ وَيَتَنَبَّأُ ﴿٥٥﴾ يُسْرِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾
 إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِعِبَادَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ
 لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ لِكِ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ
 فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكُلِفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

٥٢ - وقلنا لهم ليبلغوا أحوالهم : ان هذا الدين الذي أرسلتكم به دين واحد في العقائد وأصول الشرائع .
 وانكم أمة واحدة في كل الاجيال ، منهم المهتدى ومنهم الضال . وانا ربكم الذي امرتكم باتباعه فحاقوا عقابي ان
 عصيتم .

٥٣ - فقطع الناس أمر دينهم . فهم المهتدون ومنهم الضالون الذين اتبعوا اهلواهم فتفرقوا بسبب ذلك
 جماعات مختلفة متعادية . كل جماعة فرقة بما هي عليه . طائفة أنه وحده الصواب .

٥٤ - فارتكز الكافرين يا محمد في جهالتهم وغفلتهم ما مدت قد نصحتهم حتى يفضي الله فيهم بالعذاب بعد حين .

٥٥ - أبطن هؤلاء الماوسون انا اذ تركهم يمتعون بما أعطيناهم من المال والبنين .

٥٦ - تكون قد رضينا عنهم ، فتفيض عليهم الخيرات بسرعة وكثرة ، انهم كالبهايم لا يشعرون لعدم استخدامهم
 عقولهم . اني غير راض عنهم ، وان هذه النعم استدراج منا لهم .

٥٧ - ان الذين هم يحشون الله وصايرته وقد تربت فيهم الخفاقة منه سبحانه .

٥٨ - والذين هم يؤمنون بآيات ربيهم الموجودة في الكون والمتلوة في الكتب المنزلة .

٥٩ - والذين هم لا يشركون بالله أحدا .

٦٠ - والذين يعطون مآزرهم الله . ويؤدون عملهم وهم خائفون من التقصير ، لأنهم راجعون الى الله بالبحث
 ومحاسبين .

٦١ - أولئك يسارعون بأعمالهم الى نيل الخيرات ، وهم سابقون غيرهم في نيلها .

٦٢ - ونحن لا نكلف أحدا الا بما يستطيع ان يؤديه ، لأنه داخل في طاقته ، وكل عمل من أعمال العباد مسجل
 عندنا في كتاب ، وسنخبرهم به كما هو ، وهم لا يظلمون بزيادة عقاب أو نقص ثواب .

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَمْ يَأْمُرْ لِمَنْ دُونَ ذَٰلِكَ هُمْ مَّا عَمِلُوا ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ
بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تَتَصَرُّونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَادِي عَلَيْكُمْ فَاكْتُمُوا
عَلَيَّ أَفَتُكْرِمُنِي كِتَابُوتَ ﴿٦٦﴾ مُتَكَبِّرِينَ بِهِ سَمِعُوا تَجْعَرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَّاءٌ يَنَابُتُ
آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ
وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَذِبُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ
بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ نَسْأَلُهُمْ خُرْجًا مِّنْ خَيْرٍ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَذَكَ

٦٣ - لكن الكافرين بسبب عنادهم وتصميمهم غافلون عن عمل الخير والتكليف بالمستطاع ودقة الحساب ،
والى جانب ذلك لهم أعمال أخرى خبيثة مداومون عليها .

٦٤ - فإذا أوقفنا العذاب بالأغنياء المترفين ضجوا وصرخوا مستغيثين .

٦٥ - فنقول لهم : لا تصرخوا ولا تستغيثوا الآن ، فلن نفلتوا من عذابنا ، ولن ينفعكم صراخكم شيئا .

٦٦ - لا عنز لكم ، فقد كانت آياتي الموحى بها تقرأ عليكم فكنتم تعرضون عنها اعراضا بقلب احوالكم ،
ولا تصدقونها ولا تعملون بها .

٦٧ - وكنتم في اعراضكم متكبرين مستهزئين ، تصفون الوحي بالأوصاف القبيحة عندما تجمعون للسمر .

٦٨ - أجهل هؤلاء المعرضون فلم يتنبؤوا القرآن ليعلموا انه حق ؟ ام كانت دعوة محمد لهم غريبة عن
الدعوات التي جاء بها الرسل الى الأتواء السابقين الذين أنذركم أبائهم ؟

٦٩ - أم لم يعرفوا رسولهم محمدا الذي نشأ بينهم في أخلاقه العالية التي لا يبعد معها الكذب . فهم ينكرون
دعوته الآن بقيا وحسدا ؟

٧٠ - أم يقولون : انه مجنون ؟ كلا : انه جاهم بالدين الحق وأكثرهم كارهون للحق . لأنه يخالف شهواتهم
واهوائهم فلا يؤمنون به .

٧١ - ولو كان الحق تابعا لأهوائهم لشاع الفساد في الأرض ولتنازعت الأهواء . ولكننا ارسلنا اليهم القرآن
الذي يذكرهم بالحق الذي يجب ان يجتمع عليه الجميع ، ومع ذلك هم معرضون عنه^(١) .

٧٢ - بل أنطلب منهم أيها النبي أجرا على اداء الرسالة ؟ لم يكن ذلك ، فان اجر ربي خير مما عندهم ، وهو
خير المحطين .

(١) « ولو أتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن . بل أنبأهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون » : كلمة
« الحق » من الألفاظ المشتركة . قد يراد بها « الله » سبحانه وتعالى نحو قوله تعالى « فقال الله الملك الحق » يراد بها « القرآن » نحو قوله
تعالى « إنا أرسلناك بالحق » ويراد منها الدين كله « ما فيه من قرآن وسنة صحيحة نحو قوله : « وقال جاء الحق وذهق الباطل » والأظهر في
كلمة الحق هنا هو أن المراد للمعنى الأول « الله » سبحانه وتعالى . ويكون المراد من الآية : لو جرت سنة الله على سيطرة الكافرين
فيما يشتهرون ويقرحونه لما استقام النظام الذي قام عليه شأن السموات والأرض . وما فيها من خلاق . ولكن الله فوحكمة عالية وقوة
نافذة وقد أحاط علمه بما خلق . وتكفلت حكمته بالتدبير الحكيم . وتصرح القرآن بأن السموات فيها خلقات لما يرجعها هذا :
أولا : إلى أن الإيمان بذلك على وجه الإجمال يثبتي . تاركين التضرع إلى التفصيل إلى أن يشاء الله - سبحانه - بيانه ينفضي قوله
« فترسم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم » .

ثانيا : يرجعها أيضا إلى محاولة البحث العلمي إن استطعنا ، « لأن الوصول إلى هذه الحقيقة يؤكد إيماننا . . والإيمان هو الهدف الحام من
توجيهنا إلى تلك الآيات » .

لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّتُ ﴿٧٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ظُلُمِ الْجَاوِي مُغْفِرِينَ يَعْهَدُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا لَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسُوتُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَأُودَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وِعَظْمَانَا لَنَسْجُودَنَّ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَهَآؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنَّا هَذَا أَلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لَيْنِ

٧٣- وانك يا محمد، لتدعوهم الى الدين الذي هو الطريق المستقيم الموصل الى السعادة .

٧٤- وان الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من نعم أو يجحّم يمدلون عن الطريق المستقيم الذي يأمن السائر فيه الى طريق الهيرة والاضطراب والفساد .

٧٥- ولو رحمناهم وأزلنا عنهم منازلهم من ضرر في أبدانهم وقطع في أموالهم ونحو ذلك لزدادوا كفرا ، وقادروا في الطغيان .

٧٦- ولقد عذبناهم بغضاب أصابع كالقتل أو الجسوع فاضسعوا بعصه لربهم ، بل أقاموا على عتوهم واستكبارهم بمجرد زواله .

٧٧- سيستمررون على إعراضهم ، حتى اذا عذبناهم عذابا شديدا بالجسوع أو القتل في الدنيد صاروا حيارى يائسين من كل خير ، لا يجدون مخلصا .

٧٨- وكيف تكفرون بالله ، وهو الذي أنشأ لكم السمع لتسمعوا الحق ، والأبصار لتروا الكون وما فيه ، والعقول لتدركوا عظمتة تؤمنوا ؟ انكم لم تشكروا خالقها بالآيمان والطاعة الا قليلا أى قلة .

٧٩- وهو الذي خلقكم في الأرض ، وإليه وحده ترجعون للجزاء يوم القيامة .

٨٠- وهو الذي يحيى ويميت وبأمره وقوانينه تعاقب الليل والنهار واختلافها طولاً وقصراً الا تعقلون دلالة ذلك على قدرته ووجوب الآيمان به وبإلوهيته ؟ (١)

٨١- لم يفعلوا ذلك ، بل قلدوا السابقين المكذبين ، فقالوا مثل قولهم .

٨٢- قالوا منكرين للبعث : أتبعث بعد الموت وبعد ان نصير ترابا وعظاما ؟

٨٣- لقد وعدنا وأبأنا من قبلنا بذلك ، وما هذا الوعد الا أكاذيب السابقين التي سطروها .

(١) يجوز هو الذي يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون وردت آيات الليل والنهار في مواضع كثيرة من القرآن الكريم مما يدل على أن الحق سبحانه وتعالى - يذكر عباده هذه الآية الكونية ، وبما تتضمنه من معاني عميقة تحفز المفكرين إلى التأمل والبحث .

واختلاف الليل والنهار ينصب على ناحيتين رئيسيتين :

الأولى : الاختلاف الزمني طولاً وقصراً . والثانية : الاختلاف في الظواهر الطبيعية وغير المرتبة .

أولاً - الاختلاف الزمني :

النهار هو الفترة الزمنية بين ظهور حجاب الشمس واختفائها من أفق المكان حيث يلاص سطح الأرض . وكما نشاهد بالعين . وحيث أن موقع الحافة العليا للشمس في الحقيقة ليس عند الأفق . وإنما نشاهد كذلك لأن الإشعاع المنبعث منها يتقوس لدى انكساره أثناء مروره في طبقات الجو ، حتى يصل إلى عين الراصد ، فنشاهد كما لو كانت عند الأفق . والواقع أن هذه الحافة منخفضة عند الأفق بقدر ٣٥ دقيقة قوسية .

والليل هو الفترة الزمنية للتمتع لفترة النهار . حتى يبلغ مجموعها فترة دوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق . =

وفيما بين الليل والنهار فترتان زمنيان : هما فترة الشفق الزهري ، وفترة الشفق الشرقي . وفترة النهار تختلف باختلاف عرض المكان ونقصور السنة . وتختلف أيضا فترة الليل تبعاً لذلك . وتحدد موافقة الصلاة والصوم تبعاً لوضع قرص الشمس بالنسبة للأفق .

ثانياً - الاختلاف في الظواهر الطبيعية :

وهذه هي الظواهر العديدة المختلفة الألوان ، والتي تنشأ من تفاعل الإشعاع الشمسي - بما يتغير من إشعاعات موجبة وغير موجبة مرتبة . وجسيات تعمل شحنتان كهربائية مع الغلاف الجوي وأسطح البحار والصحاري . إلخ . كما أن هناك مشاهدات فلكية كالشفوق والكسوف والمذنبات والنجوم والكواكب السيارة والنهب والنيازك التي قد تحدثها شدة أضائة الشمس أثناء النهار ، بينما تظهر واضحة أثناء الليل . وأهم الظواهر الفيزيائية التي يختلف فيها الليل عن النهار هي الضوء بالنهار ، وسببه أن الإشعاع المباشر للشمس عندما يسطع على الغلاف الجوي الذي يتألف من جزيئات صغيرة ويوصل الفترات الفارسية ، فإنه ينعكس في مختلف الاتجاهات ويشتت .

فلذا كان الجو تبعاً ، وأحجام الفترات الفيزيائية صغيرة جداً ، والشمس مرتفعة عن الأفق ، فإن اللون الأكثر تشتتاً وحساسية للعين هو اللون الأزرق ، فتظهر السماء زرقاء . أما عند شروق الشمس أو غروبها فإن الأفق يظهر بلون برتقالي متدرجاً إلى الأحمر ، بينما يكون الضوء الأزرق الممتد قليلاً نسبياً ، ولذلك يميل لون السماء عند السمت إلى الزرقة الخافتة .

وفي لحظة غروب الشمس عند الأفق تساعد لونا أخضر عند حافتيها العليا لمدة ثانية أو أقل ، وهذه الظاهرة تسمى بالبريق الأخضر ، وتساعد عادة على سطح البحر أو وراه قم الجبال أو حتى جدران المنازل . وترجع هذه الظاهرة إلى حيود الأشعة الشمسية الذي ينتج عنه تحالط طيفها إلى ألوان نيف الضوء الأخضر .

وللملاحظة أن الإشعاع الشمسي يتألف من مجموعة من الألوان المرئية وغير المرئية ، ويتغير بعضها من بعض بطول الموجة وتضعف هذه الموجات لخصائص عديدة كالانكسار والانعكاس والشتت والتداخل والاستقطاب والمحيو . فلذا ما نتفاعل مع الغلاف الجوي في حالات خاصة فإننا نشاهد نتيجة لهذا التفاعل ضوء النهار والسراب وأقواس زرق والمطلة الشمسية إلى غير ذلك من آيات السماء من الظواهر الكونية وعندما "تجيب الشمس وراء الأفق تظهر السماء بألوان مختلفة نظراً لشتت الضوء في طبقات الجو العليا ، وكما تخفض قرص الشمس تحت خط الشفق ، وتقل ألوانه الطبيعية ، حتى إذا ما بلغ ١٨.٥ درجة قوسية أصبحت السماء قلقة ، وقد اصطلاح المبشرون على أن تلوّن هذه الطبقة اللون القرمي إبقاءً بصلة الضلمة ، وتلك الطبقة يبدأ عندئذ الضوء البروجي على شكل مخروط قاعدته عند الأفق الغربي ، ويعد في ليال الشتاء الصافية حتى تبلغ قبة القوس السمّ ، وفي منتصف الليل تظهر الأضواء البروجية عند الشروق أولاً كراس قد تمرحوظ ضوئي خافت ، تزداد له في الارتفاع ، وتعد قاعدته عند الأفق الشرقي ، حتى إذا برز النجم ، أي عندما تكون الشمس منخفضة عن الأفق الشرقي بقدر ١٨.٥ درجة ، وهي إبقاءً بصلة النجم ، تبدأ ألوان الشفق الشرقي في الظهور تدريجياً وعكساً للشفق الزهري ، وما القير الكائن سري الضوء البروجي الذي يبلغ أقصى شدته عندما تكون الشمس منخفضة عن الأفق الشرقي بأكثر من ١٨.٥ درجة قوسية . ولقد تبين حديثاً أن للشمس غللاً تقريباً عند اعتدالها حالاً في الفضاء حتى يكاد يلامس جو الأرض . هذا هو الشلال الرقيق الذي يسبب الأضواء البروجية بأشكالها المختلفة .

هذه الظواهر العديدة التي ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر تتكشف لنا إذا كانت السماء خالية من السحب والأعاصير العملة بالقرب ، لأنها تظهر عندئذ وهي قائمة اللون ، وإذا كانت السحب عملة بتفطرات ماء المطر فهي تتفاعل مع الأشعة الشمسية ، وتحدث أقواس زرق في أحوال مناسبة .

وإذا كان السحب من نوع السحب الذي يجعل حبيبات بلورية مسهمة من الماء المتجمد ، فإن هذه البلورات تتفاعل مع الإشعاع الشمسي فتعكس من سطحها إلى داخلها ، ويمكن على الأسطح الداخلية ، ثم تنعكس إلى الخارج . وقد تساعد في ظروف وأحوال مناسبة الملاحظة الشمسية بتطوّرها الجميلة وهي دائرة ملونة كبرى حول الشمس . وعند سواد الليل تظهر النجوم مثلاً على سطح القبة المسارية كما لو كانت على مسافة قريبة منا . وفي الواقع هي على مسافات شاسعة . تنافس بالنسبة الضوئية كما تظهر على هذه القبة أيضاً الكواكب السيارة والمذنبات والنهب والنيازك وهي تبدو قريبة جداً نسبياً ، كما لو كانت فروع المسافات قد أتمدت . وهذا ما يجعلنا ندرك المصنق الحق في قوله تعالى : وحفظا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون . وكما يتبين سابقاً بالإضافة إلى الإشعاعات المرحية من الشمس هناك إشعاع من الجبال ، ينبعث من مناطق شمسية شديدة النشاط ، وتعمل شحنتان كهربائية . كما تمتد منها إشعاعات شديدة فري البنفسجية ، هذه الجسيمات والإشعاعات تتفاعل مع الطبقات الجوية العليا ، وتؤثر بالجال المغناطيسي حول الأرض ، فتثير الأضواء الشمالية أو الجنوبية ، وتظهر قلقة في أعالي الشالية كأنها مساتر من الإشعاعات الجميلة الألوان غضراء اللون ، ويميل إلى الإحمرار والزرقة عند الحواف . هذه الأشكال قد تستمر ساعات طويلة في السماء الشمالية وتكون شاهدها في ليال عديدة عندما تكون الشمس في أوج نشاطها . نرى هذه المساتر ليس فقط في العروض الشالية بل أيضاً في العروض المتوسطة الاستوائية .

وهناك شحنتان كهربائية في السحب والجو يتولد عنها البرق وإضاءة بعض السحب العالية . جيع هذه الظواهر العديدة التي تتسلسلها تحفنا ندرك الحق في لقوله سبحانه وتعالى : إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . وما عاين يتضح أن الاختلاف في الظواهر الفيزيائية إلا لأسباب لا يمكن للإنسان أن يتدخل فيها ، وإن الله - جل شأنه - هو الذي له اختلاف الليل والنهار ، ولا سبل المخلات إلى تحكم الإنسان في أي يوم على الليل والنهار . وهو - جل شأنه - بما وضع من موازين دقيقة وتدريعات عمدة يتناوب الليل والنهار ، ويحفظ على مدار السنة طولاً وقصرًا .

الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِينُهُ مَلَائِكَةٌ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يَمُوتُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ آتَيْنَهُمُ الْبَاقِيَ وَأَنَّهُمْ لَنُكَلِّبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾

٨٤- قل لهم يا محمد: من الذى ملك الأرض ومن فيها من الناس وسائر المخلوقات، ان كان لكم علم فأجيبوني؟

٨٥- سيقرون بأن الأرض لله. قل لهم اذن: فلم تشركون به؟ ألا تذكرون ان من يملك ذلك جدير بأن يعبد وحده؟

٨٦- قل لهم أيضا: من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟

٨٧- سيقرون بأنه هو الله. قل لهم اذن: ألا تخافون عاقبة الشرك والكفر والعصيان لصاحب هذا الخلق العظيم.

٨٨- قل لهم أيضا: من يبدع ملك كل شيء ومن له الحكم المطلق فى كل شيء، وهو يحىيى بقدرته من يشاء، ولا يمكن لأحد أن يحىيى أحدا من عذابه؟ ان كنتم تعلمون جوابا فأجيبوا؟

٨٩- سيقرون بأنه هو الله. قل لهم: اذن كيف تهدعون بالهوى ووسى الشياطين، وتتصرفون عن طاعة الله؟

٩٠- لقد بينا لهم الحق على لسان الرسل. وانهم لكاذبون فى كل ما يخالف هذا الحق.

٩١- ما اتفقد الله له ولدا، وقد تنزه عن ذلك، وما كان له شريك. اذ لو كان له شريك لاستبد كل بماخلق، وصار له ملكه، ولتناحر بعضهم مع بعض كما يرى بين الملوك، ولفسد الكون بهذا التنازع، فتنزه الله عما يقوله المشركون مما يخالف الحق.

٩٢- هو محيط بكل شيء علما. يعلم مايبغى عنا وما يظهر لنا فتنزه الله عما ينسبه الكافرون اليه من وجود الشريك له.

٩٣- قل ياأيها النبي: يارب: ان أنزلت بهم ما أوعدتهم من العذاب فى الدنيا وأنا موجود بينهم.

رَبِّ فَلَا تَحْمِلْنِي فِي الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۝ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعْنَهُمْ لَقَدِيرُونَ ۝ أَدْنَعُ بَالِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُوا ۝ حَقًّا إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا إِنَّمَا كَلَمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَآهُمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسَاءَلُونَ ۝ لَنْ نَقُولَ لِلَّذِينَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝ تَلْعَقُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ۝ أَلَمْ تَكُنْ أَتَيْنِي بَشِيرًا فَنَقَضْتُهَا

٩٤ - فأرسل اليك ألا تحملي مع القوم الكافرين الطاغين .

٩٥ - ونحن قادرين تماماً على أن نريك ما أوعدناهم به من العذاب نازلًا بهم ، فاطمئن لنصرنا .

٩٦ - استمر في دعوتك وقابل اسماهم بالعمل الذي هو أحسن من الضم أو غيره ، ونحن عالمون تماماً بما يصفونك به ، ويصفون به دعوتك من سوء وإفراء ، وسنجازهم عليه .

٩٧ - وقل : يا رب : استعِذ بك من أثر وسواس الشياطين على نفسى بعمل مالا يرضيك .

٩٨ - وأستعِذ بك يا رب . أن يكونوا معي في أى عمل من الأعمال ، ليكون سلباً خالصاً لوجه الكرم .

٩٩ - سيستمرون على تكذيبهم ، حتى إذا حل موعد موت أحدهم ندم وقال : يا رب ردى الى الدنيا .

١٠٠ - لأعمل عملاً صالحاً فيما تركته من مالى أو زنى ، وإن يهب الى طلبه ، فهذا كلام يقوله دون قاعدة لا يقبل منه ، ولو استجيب له لم يعمل به ، ومع ذلك قلن يعود أبداً ، فالوقت حاجز بينهم وبين ما يمتنون الى أن يبطههم الله .

١٠١ - فإذا جاء موعد البعث بشناهم بدعوتهم الى الخروج من مقابرهم ، وذلك بما يشبه النفخ في البوق فيحيون متفرقين ، لا تنفع أحداً قرابة أحد ، ولا يسأل بعضهم بعضاً شيئاً بنفعه ، فلكل منهم يومئذ ما يشغله .

١٠٢ - فالعمل هو ميزان التقدير ، فمن كانت لهم عقائد سليمة وأعمال صالحة لها وزن في ميزان الله ، فأولئك هم الفائزون .

١٠٣ - ومن لم يكن له حسنات أو أعمال لها وزن عند الله ، فأولئك هم الذين خسروا أنفسهم بيئهم للشيطان ، وهم معذبون في النار ، خالدين فيها .

١٠٤ - تحرق النار في وجوههم ، وهم فيها عاسون من سوء مصيرهم .

تَكْذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِرًّا بَاطِلًا لِّئَلَّا تُدْرِكُوا الْيَوْمَ الَّذِي فِيهِ يَصْعَدُ السَّامِرَةُ ﴿١١٠﴾ قُلْ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١١﴾ قُلْ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١٢﴾ قُلْ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١٤﴾ قُلْ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١٥﴾

١٠٥ - يؤمنهم الله ويقول لهم . قد كانت آياتي المنزلة تقرأ عليكم في الدنيا ، فكنتم تكذبون بما فيها .

١٠٦ - قالوا مفرين بظلمتهم : ربنا كثرمت معاصينا التي أوردتنا الشقاء ، وكنا بذلك ضالين عن طريق الثواب .

١٠٧ - وقالوا : ربنا ، أخرجنا من النار وأعدنا إلى الدنيا ، فان عدنا إلى الكفر والعصيان كنا ظالمين لأنفسنا .

١٠٨ - قال الله لهم تحقيراً : اسكنوا آذلاء مهانين ، ولا تكلموني مطلقاً .

١٠٩ - ما ظلمتكم بل ظلمتم أنفسكم ، إذ كان المؤمنون الصالحون من عبادي يقولون في الدنيا : ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين .

١١٠ - فكنتم تسخرون منهم دائماً ، حتى أنساكم الاشتغال بالسخرية منهم ذكرى وعبادتي فلم تؤمنوا وتطيعوا ، وكنتم منهم تضحكون استهزاء .

١١١ - إلى جزيتهم اليوم بالفلاح ، لأنهم صبروا على سخريتكم وابتدأكم .

١١٢ - قال الله للكافرين : كم سعة عشتموها في الدنيا ؟

١١٣ - قالوا : استقصاراً لمدة معيشتهم بالنسبة لطول مكثهم في العذاب : عشنا يوماً أو بعض يوم ، فأسأل من يتكلمون من الله ، لأننا مشغولون بالعذاب .

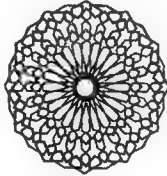
١١٤ - فيقول الله لهم ، ما عشت في الدنيا إلا زمناً قليلاً . ولو انكم كنتم تعلمون عاقبة الكفر والعصيان وأن متاع الدنيا قليل ، لآمنت وأطعتم .

١١٥ - أظننتم أننا خلقناكم بغير حكمة فافسدتم في الأرض . وظننتم أنكم لا تبغون لجهازاتكم ؟ كلا .

الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا
حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾



- ١١٦ - العظمة لله وحده ، هو مالك الملك كله ، لا معبود بحق سواه ، هو صاحب العرش العظيم .
١١٧ - ومن يعبد مع الله الهاً آخر لا دليل له على استحقاقه العبودية . فان الله يصاقبه على شركه لا محالة ،
ان الكافرين لا يفلحون ، وانما الذى يفلح هم المؤمنون .
١١٨ - وقل - يا أيها الذى داعياً الله ضارعاً اليه - : يا رب اغفر لى ذنبي وارحمى فأنت خير الراحمين ، لأن
رحمتك واسعة وقريبة من الحسنين .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى



سورة النور مدنية، وآياتها ٦٤، بين الله فيها وجوب تطهير المجتمع من الزنا، واتساعه الفاحشة بالفصل وبالقول بين المؤمنين، وشرع لذلك عقوبات رادعة، كما شرع في زنا الزوج تشريعا خاصا لتوفر الثقة بين الزوجين. واستطرد الحديث في الزنا الى ذكر الكذب في هذه المواقف، وما يجب على المؤمنين ازاله قوله السوء التي يعوزها الدليل، ويتبع ذلك بأداب دخول البيوت، ومن له حق الاطلاع على زينة المرأة، ويردف بعدد الحكم بالدعوة العامة الى العفة المطلقة. ثم يأتي نور الله، وتذكر الساجد، وتعرض أعمال الكافرين، وأحوال المعاندين، ويجهانهم تظهر أحوال المؤمنين. وبعد ذلك تعرض السورة آداب الأسر، وأصحاب القرباب والأطفال والكبار في شأن المخالطة، ومن يحق للمرء أن يأكل على موائعهم. وفي ختامها ذكرت أوصاف المؤمنين اذا دعاهم الرسول لأمر جامع، وبيئت كبير سلطانه تعالى وواسع علمه.

١ - هذه سورة أوجبت بها وأوجبت أحكامها. ونزلنا فيها دلائل واضحة على قدرة الله ووحدانيته. وعلى أن هذا الكتاب من عند الله، لتستظروا بها.

٢ - ومن تلك الأحكام حكم الزانية والزاني فاضربوا كل واحد منها مائة جلدة ولا يمتنعكم شيء من الرأفة بها عن تنفيذ الحكم، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. لأن مقتضى الايمان ايثار رضا الله على الناس، وليحضر تنفيذ الحكم فيها جماعة من المؤمنين. ليكون العقاب فيه روع لغيرها.

الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحْيِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝ وَالْعَلَمَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابُ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَالْعَلَمَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ وَلَوْلَا تَفَضُّلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝ إِنْ الَّذِينَ جَاءُوا بِإِلْفِكَ عَصَبَةً مِنْكَ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۝ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ

٣ - الخبيث الذي من دأبه الزنا . لا يرغب الا في نكاح خبيثة عرفت الزنا أو الشرك^(١) والخبيثة التي من دأبها الزنا لا يرغب في نكاحها الا خبيث عرف بالزنا أو الشرك . ولا يليق هذا النكاح بالمؤمنين لما فيه من التشبه بالفسق والتعرض للثم .

٤ - والذين يتهمون المغيبات الزنايات بالزنا ، ثم لم يأتوا بأربعة شهود يثبتون صدق الاتهام ، فعقابهم بالضرب ثمانين جلدة ويعدم قبول شهادتهم على أي شيء كان مدى الحياة . فهؤلاء هم الجديرون باسم الخارجين خروجاً شنيعاً على حدود الدين .

٥ - لكن من تاب منهم فندم على هذه المعصية ، وعزم على الطاعة وظهر صدق توبته بصدق سلوكه ، فإن الله يتجاوز عن عقابه .

٦ - والذين يتهمون زوجاتهم بالزنا ، ولم يكن هناك عدد يشهد بصدق اتهامهم ، فيطالب الواحد منهم ليدفع عن نفسه الحد والعقوبة ، بأن يشهد بالله أربع مرات أنه صادق في هذا الاتهام .

٧ - ويذكر في المرة الخامسة أنه يستحق الطرد من رحمة الله ان كان من الكاذبين في ذلك .

٨ - ولو سكنت الزوجة بعد ذلك أقيم عليها عقوبة الزنا ، ولكي تدفع عنها العقوبة يجب عليها أن تشهد بالله أربع مرات أن الزوج كاذب في اتهامه اياها بالزنا .

٩ - وتذكر في المرة الخامسة انها تستحق أن يزل بها غضب الله ان كان من الصادقين في هذا الاتهام .

١٠ - ولولا تفضل الله عليكم ورحمته بكم ، وأنه كثير قبول التوبة من عبده ، يحكم في كل أمثاله ، لما شرع لكم هذه الأحكام ، ولعل عقوبتكم في الدنيا على المعصية .

(١) هذا إما لم يكن توبة ، والتفسير على هذا يكون لبيان طيعة أهل الشرك أو الزنا في أنهم لا يرغبون إلا في الفساد . ورأى الحنابلة والظاهرية عدم صحة الزواج من الزانی أو الزانية قبل التوبة .

عَظِيمٌ ۝ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝ لَوْلَا جَاءَهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِذْ تَلَقَّوهُ بِالْيَمِينِ وَأَلْتَمَسْتُمُ النَّاسَ فَأَقُولُهُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ۝ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ

١١ - ان الذين اخفروا الكذب الصارف عن كل هداية بالنسبة لعائشة زوج النبي ﷺ - إذ اشاعوا حولها الافك والكذب - هم جماعة ممن يعيشون معكم ، لا تظنوا هذه الحادثة شرًا لكم بل هي خير لكم ، لأنها ميزت المنافقين من المؤمنين الخالصين ، وأظهرت كرامة المبرئين منها ، والمؤمنين ، ولكل شخص من هذه الجماعة التهمة جزاءه على مقدار اشتراكه في هذا الاتهام . ورأس هذه الجماعة له عذاب عظيم لعظم جرمه .

١٢ - كان مقتضى الايمان انكم عند سماع خبر التهمة ، أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً من العفاف والطهر وأن يقولوا في انكاره : هذا كذب واضح البطلان ، لتعلقه بأكرم المرسلين وأكرم الصدقات .

١٣ - هلا أحضر الفالحن بالاتهام أربعة شهود يشهدون على ما قالوا ؟ انهم لم يفعلوا ذلك .. وإذا لم يفعلوا فأولئك في حكم الله هم الكاذبون .

١٤ - ولولا تفضل الله عليكم ببيان الأحكام ، ورحمته لكم في الدنيا بعدم التعجيل بالعقوبة وفي الآخرة بالمغفرة لتزل بكم عذاب عظيم بسبب الخوض في هذه التهمة .

١٥ - فقد تناقلتم الخبر بالستكم وأنتموه بينكم ، ولم يكن عندكم علم بصحته وتظنن ان هذا العمل حين ، لا يعاقب الله عليه ، أو يكون عقابه سيراً مع أنه خطير يعاقب الله عليه أشد العقاب .

١٦ - وكان ينبغي عند سماع هذا القول الباطل ، أن تصحروا بعدم الخوض فيه ، لأنه غير لائق بكم ، وأن تستعجوا من اختراع هذا النوع القبيح المظلم من الكذب .

١٧ - وأن الله ينهاكم أن تعودوا لمل هذه المحبة البتة ان كنتم مؤمنين حقاً لأن وصف الايمان يتناقض معها .

١٨ - وينزل الله لكم الآيات الدالة على الأحكام واضحة جلية .. والله واسع العلم لا ييب عنه شيء من أعمالكم ، وهو الحكيم في كل ما يشرع ويظن ، فكل شرعه وخلقه على مقتضى الحكمة .

الِيم فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ
رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ * يَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ
بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَلِيَعْلَمَوا وَلِيَصْفَحُوا ۚ أَلَا يَحْسِبُونَ أَنَّ يُغْفَرَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ
الْمُحْصَنَاتِ الْفُتَيَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ نَسْهَدُ عَلَيْهِمْ

١٩ - ان الذين يجهلون أن يفشوا ذكر القبايح ، فيفشوا معه القبايح نفسها بين المؤمنين ، لهم عذاب مؤلم في الدنيا بالمقبولة المقررة ، وفي الآخرة بالنار ان لم يتوبوا . والله عليم بجميع أحوالكم الظاهرة والباطنة ، وأنتم لا تعلمون ما يعلمه .

٢٠ - ولولا فضل الله عليكم ورحمته بكم ، وأنه شديد الرأفة واسع الرحمة ، لما بين لكم الأحكام ، لمجمل عقوبتكم في الدنيا بالمصيبة .

٢١ - يألها الذين آمنوا حصنوا أنفسهم بالإيمان ، ولا تسيروا وراء الشيطان الذي يجركم إلى إشاعة الفاحشة والمعاصي بينكم . ومن يتبع الشيطان فقد عصي ، لأنه يأمر بكبائر الذنوب وقبايح المعاصي ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته بكم ببيان الأحكام وقبول توبة العصاة ما طهر أحد منكم من دنس المعصيان . ولكن الله يطهر من ينجه إلى ذلك بتوفيقه للبعد عن المعصية ، أو منفعتها له بالنوبة ، والله صميع لكل قول ، عليم بكل شيء ، ومجازيكم عليه .

٢٢ - ولا يخلف الصالحون وذوو اليسار منكم ، على أن يمنوا احسانهم ممن يستحقونه من الأقارب والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وغيرهم لسبب من الأسباب الشخصية ، كاسائتهم اليهم ، ولكن ينفي أن يساءلهم ويصرضوا عن مجازاتهم ، وإذا كنتم تحبون أن يحضر الله عن سيئاتكم ، فاقبلوا مع المسيء اليكم مثل ما تحبون أن يفعل بكم ربكم ، وتأدبوا بأدبه فهو واسع المغفرة والرحمة^(١) .

٢٣ - ان الذين يتهمون بالزنا المؤمنات اللطيفات الطهارات ، اللاتي لا يظن فيهن ذلك ، بل هن لفسرط انصرافهن الى الله غافلات عما يقال عنهن ، يعصمهم الله عن رحمته في الدنيا والآخرة ، وهم عذاب عظيم ان لم يتوبوا .

(١) نزلت هذه الآية عندما حلف أبو بكر الصديق أن يمنع موته عن قريه مسلح بين أئامه فحوشه في حديث الألفك حول السيدة عائشة رضي الله عنها .

الْإِنْسَانُ وَأَبْدِهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْفَ الْحَقِّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ اتَّخَذَتِ الْغَيْبِينَ وَالْخَبِيثُونَ اتَّخَذَتِ الْطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبِينَ اتَّخَذَتِ الْفَاسِقِينَ اتَّخَذَتِ الْمُبِينَاتُ مِثْلَهُنَّ وَمَا يَقُولُنَّ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَلَمَّا سَأَلْتُمْ عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْعَلُوا مِنْ

٢٤ - ذلك العذاب يكون يوم القيامة حيث لا سبيل للانكار ، بل ثبت عليهم ما ارتكبوا اذ تشهد عليهم أنسنتهم وأبدتهم وأرجلهم بجميع ما ارتكبوا من أثم ، وذلك بظهور آثار ما عملوه عليها ، أو بأن ينطقها الله الذي أنطق كل شيء .

٢٥ - في ذلك اليوم يعاقبهم الله العقاب المقرر لهم كاملاً غير منقوص ، وهنا يعلمون علم اليقين ألوهية الله وأحكام شريعته ، وصلى وعده ووعيده ، لأن كل ذلك واضح دون خفاء .

٢٦ - الخبيثات من النساء يكن للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال يكونون للخبيثات من النساء ، وكذلك الطيبات من النساء يكن للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال يكونون للطيبات من النساء ، فكيف يتصور السوء في الطيبة المصونة زوج الطيب الأمين ، والرسول الكريم ﷺ ؟ وهؤلاء الطيبون مبرأون من التهم التي يصفهم بها الخبيثون ، وهم مغفرة من الله ما لا يخلو منه البشر من صفات الذنوب ، وإكرام عظيم بنعم الجنة وطيباتها .

٢٧ - يأياها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً ليست لكم ، إلا بعد أن تطلبوا الاذن من ساكنها ويسمع لكم بالدخول ، وبعد أن تلقوا تحية السلام على ساكنها ذلك الاستئذان والسلام خير لكم من الدخول بدونها ، وشرعه الله لكم لتحتفظوا وتعملوا به .

٢٨ - فإن لم تجدوا في هذه البيوت أحداً يأذن لكم ، فلا تدخلوا حتى يجيء من يسمع لكم به . وإن لم يسمع لكم وطلب منكم الرجوع فارجعوا ، ولا تلحقوا في طلب السباح بالدخول ، فإن الرجوع أكرم بكم وأطهر لنفسكم . والله مطلع على كل أحوالكم ويجازيكم عليها فلا تخالفوا إرشاداته .

٢٩ - وإذا أردت دخول بيوت عامة غير مسكونة بقوم مخصوصين ، ولكم فيها حاجة كالمرافقة والفتاوى ودور العبادة ، فلا حرج عليكم ان دخلتم بدون استئذان . والله عالم أتم العلم بجميع أعمالكم الظاهرة والباطنة فانفسوا مخالفته .

أَبْصَرَهُمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَحْضَرْنَ
 مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُجُوبِهِنَّ ۚ لَا يَبْدِينَ
 زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ
 أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ الْوَالِدِ الْأَزَلِيِّ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْوَالِدِ الْأَزَلِيِّ
 لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِتَابَ
 الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالْمُضِلِّينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ۖ وَإِمَّا يَكُنْ لَهُنَّ آهَرَاءُ

٣٠ - قل يأيا النبي للمؤمنين - محذراً لهم مما يوصل الى الزنا ويعرض للهم : أنهم مأمورون ألا ينظروا الى ما يحرم النظر اليه من عورات النساء ومواطن الزينة منهن ، وأن يصونوا فروجهم بسترها وعدم الاتصال غير المشروع ، ذلك الأدب أكرم بهم وأظهر لهم وأبعد عن الوقوع في المصيبة والتهم . ان الله عالم أتم العلم بجميع ما يعملون ويجازيهم على ذلك .

٣١ - قل أيضاً يأيا النبي للمؤمنات : انهن مأمورات بكف نظرن عما يحرم النظر اليه ، وأن يصن فروجهن بالستر وعدم الاتصال غير المشروع ، والا يظهرن للرجال ما يفرهم من العار من الخلقية والزينة كالصدر والخصد والقلادة ، الا ما يظهر من غير اظهار كالوجه واليد ، واطلب منهن يأيا النبي أن يسترن المواضع التي تبدو من فتحات الملابس ، كالعنق والصدر ، وذلك بأن يسترن عليا أعطية رؤوسهن ، والا يسمحن بظهور محاسنهن ، الا لأزواجهن والأقارب الذين يحرم عليهم التزوج منهن تحريماً مؤبداً كأبائهن أو آباء أزواجهن ، أو أبنائهن أو أبناء أزواجهن من غيرهن ، أو اخواتهن أو أبناء اخواتهن أو أبناء اخواتهن ، ومثل هؤلاء صواحين ، وسواء منهن الحرائر والملوكات ، والرجال الذين يعيشون معهن ، ولا يوجد عندهم الحاجة والميل للنساء كاطلاعتين في السن ، وكذلك الأطفال الذين لم يبلغوا حد الشهوة ، واطلب منهن أيضاً الا يغفلن شيئاً يلتفت انظار الرجال الى ما خفي من الزينة ، وذلك كالضرب في الأرض بأرجلهن ، لسمع صوت خلايلهن المستترة بالقياب ، هتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون فها خالفتم فيه أمر الله ، والتزموا آداب الدين لتسموا في دنياكم وأخراكم .

يُتِيمُ اللَّهِ مِنْ فَضْلِهِ ۖ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَيْسَتِ الْيَتَامَى الَّذِينَ لَا يَحْسِبُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُنْكِحَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَالَّذِينَ يَسْتَفْتُونَ الْكَاتِبَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوا لَهُمْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيْنَكُمْ عَلَى الْإِنْفَاءِ ۚ إِنْ أَرَدْتُمْ مَحْصَنًا لِنَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَبِيزَةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَنْ يَكْرِهِنَّ فَلِإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ۚ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلِ شَصَابٍ مِّصْبَاحٍ ۚ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۚ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ

٣٢ - وأعينوا على الابتعاد عن الزنا وما يوصل اليه ، بتزويج من لم يتزوج من رجالكم ونسائكم ، ومن كان صالهاً من ممالئكم لذلك ، ولا تكن رقة الحال مانعة من الزواج ، فان الله سبحانه وسائل العيش الكريم لمن أراد إعفاف نفسه ، وفضل الله واسع لا يقبله اغناء الناس ، وهو عالم أتم العلم بالنيات ويكل ما يجري في الكون .

٣٣ - والذين لا يحيدون القدرة على ثنونات الزواج ، فقلهم أن يسلكوا وسيلة أخرى كالصوم والرياضة^(١) . والأعمال العقلية ، يعقون بها أنفسهم ، حتى يحس الله لهم من فضله ما يستطيعون به الزواج ، والارقاء الذين يطلبون منكم تعاقداً على دفع عوض مقابل عتقهم ، عليكم أن تجيبوهم الى ما طلبوا ، ان علمتم أنهم سيصدقون في الوفاء ويستطيعون الأداء وعليكم أن تساعدهم على الوفاء بما توافدوا عليه وذلك مثلاً بتخفيض ما اتفقت عليه أو اعطائهم بعض المال الذي أنعم الله به عليكم بالزكاة أو الصدقة . وعصرم عليكم أن تحملوا جواريتكم وسيلة للكسب الدنيوي الرخيص باحتراف البغاء وتكرهوهن عليه . كيف تكرهوهن وهن يردن العفاف ؟ ومن يكرههن عليه فان الله يفر لمن يكرهوهن بالتوبة عن الاكراه . لأن الله واسع المغفرة والرحمة .

٣٤ - ولقد أنزلنا اليكم في هذه السورة وغيرها آيات واضحة مبينة للأحكام ، وأنزلنا إليكم أمثلة من أحوال السابقين وارشادات ومواعظ يفيد منها الخائفون من الله .

(١) يفسر هذا قول النبي ﷺ : يا معشر الشباب من استطاع منكم البائة - أي ثنونات الزواج - فليتزوج فإنه أحسن للبر وأحسن للفرج ، ومن لم يستطيع فليصم بالصوم فإنه له وجيل .

تَمْسَهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُّورٍ يَهَيِّئُ اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَصَرِيبُ اللَّهِ الْأَمْثَلُ لِلنَّاسِ ۖ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾
 فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ
 وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهم
 اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهم

٣٥ - الله مصدر النور في السموات والأرض ، فهو منورها بكل نور حتى نراه ونسير فيه ، وبكل نور معنوي ، كنور الحق والعدل ، والعلم والفضيلة ، والهدى والإيمان ، وبالشواهد والآثار التي أودعها مخلوقاته ، وبكل ما يدل على وجود الله ويدعو إلى الإيمان به سبحانه ، ومثل نوره العظيم وأدلة الباهرة في الوجود ، كمثل نور مصباح شديد التوهج ، وضع في فجوة من حائط تساعد على تجميع نوره وفرة أضائته ، وقد وضع المصباح في قارورة صافية لامتصاص كوكب مشرق ، بتلألأ كاللؤلؤ ويستمد المصباح وقوده من زيت شجرة كثيرة البركات ، طيبة القربة والموقع ، هي شجرة الزيتون المفروسة في مكان معتدل متوسط ، فلا هي شرقة فتحرم حرارة الشمس آخر النهار ، ولا هي غربية فتحرمها أول النهار ، بل هي على قمة الجبل ، أو في فضاء الأرض تفيد من الشمس في جميع أجزاء النهار ، يكاد زيت هذه الشجرة لثمة صفاته بضع ، ولولم تمسه نار المصباح ، فهذه الصوامل كلها تزيد المصباح أضائة فوق أضائة ، ونوراً على نور .

وهكذا تكون الشواهد المثبتة في الكون حسياً ومعنوياً ، آيات واضحة لا تدع مجالاً للشك في وجود الله ، وفي وجوب الإيمان به وبرسالته وما جاءت به . والله يوفق من يشاء إلى الإيمان عن طريقها ، إذا حاول الانتفاع بنور عقله . وقد أتى الله بالأمثلة المحسوسة ليسهل إدراك الأمور المعقولة ، وهو سبحانه واسع العلم ، يعلم من نظر في آياته ، ومن أعرض واستكبر ، ويجازيهم على ذلك .

٣٦ - إن هناك قوماً يسبحون الله ويعبدونه في المساجد التي أمر الله أن تبنى وتعتظم وتعمر بذكر الله ، وهم يترددون عليها صباحاً ومساءً .

٣٧ - لا تشغلهم الدنيا بما فيها من بيع وشراء عن تذكر الله ومراقبته فهم يقيمون الصلاة ويؤدون الزكاة خائفين من يوم القيامة الذي لا تستقر فيه القلوب من القلق والحلم ، وترقب المصير فيه وتلتفت فيه الأنظار في حيرة ودهشة من غرابة المنظر وشدة الهول .

٣٨ - وستكون عاقبة عملهم مكافأة الله لهم أحسن مكافأة على أعمالهم الطيبة ، وأن يتفضل عليهم بأكثر مما يستحقون ، فهو سبحانه واسع الفضل يعطي من يشاء من عباده الصالحين عطاء كبيراً ، لا يحاسبه عليه أحد ولا يستطيع العادون احصاءه .

كَرَّابٍ بَقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ قَوْلَهُ حَسْبِيَ اللَّهُ وَمِمَّا يَرِيعُ
 الْحَسْبُ ۝ أَوْ كَلْبَاتٍ فِي بَحْرِ لَحْمٍ يَفْتَنُهُ مَوْجٌ مِّنْ قَوْفِهِ مَوْجٌ مِّنْ قَوْفِهِ حَسْبٌ ۖ ظَلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ
 بَعْضٍ إِذَا أُخْرِجَ يَدْعُو لَهُ يَكْدِرُهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِّن
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْأَشْيَاءِ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝
 وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِلَّهِ الْمَصِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْسِلُ حَبَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ مِنْهُ لُحُومًا يَكُونُ رُكَاةً

٣٩ - والذين جعلوا أنكروا يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وأن أعاليهم المستغنيهم يوم القيامة،
 ولكمهم مخطرون في ظنهم هذا، فنزل أعاليهم في بطلاتها وعدم جدواها كمثل اللعنان الذي يحدث من سقوط أنسة
 الشمس وقت الظهيرة على أرض مستوية في بيده، فيظنه المظثمان ماء، حتى إذا جاءه لم يجد شيئا ناعما كما كان
 يقن، كذلك أعمال الكفار يوم الجزاء ستكون هباء منثورا، وسبيد الكافر عقاب الله ينتظره واقفا ناعما لا نقص
 فيه، ان حساب الله أت لا ريب فيه، وهو سبحانه سريع في حسابه لا يطير ولا يحيط^(١).
 ٤٠ - وهذا مثل أنكر لأعمال الكفار، فتلها كمثل ظلمات البحر الواسع العميق، الذي تتلاطم أمواجه عند
 هياجه ويصل بعضها فوق بعض، ويظلمها سحب كيف قائم يجب النور عنها، ففقد ظلمات متراكمة، لا يستطيع
 راكب البحر معها أن يرى يده ولو أدناها إلى بصره، فوقف حائرا مهتورا، وكيف يرى شئنا وتخلص من هذه
 الحيرة بدون نور عبيد في سيرة وفيه الانظام والهلاك؟ وكذلك الكافرون لا يفيدون من أعاليهم، ولا يخرجون
 من عابثهم وضلالهم، ولا ينجون بأنفسهم إلا بنور الايمان، ومن لم يوفقه الله لنور الايمان، فليس له نور يسديه
 إلى الخير ويده على الطريق المستقيم، فيكون من المالكين.
 ٤١ - ألم تعلم بأيا التي علم يقينا أن الله يخضع له كل من يسكن السموات والأرض، ويخضع له الطير
 كذلك، وهي باسطة أجنحتها، فهذه المخلوقات كلها خاضعة لأمر الله وتدبيره، تنزهه عن الشريك وعن كل
 ما لا يليق، وكل منها قد علم بالهام الله ما وجب عليه من خضوع وتنزيه وأداء لوظيفته في الحياة. والله من
 ورائهم عالم أتم العلم بصلاة كل مصل، وتسبيح كل مسبح، وجميع ما يفعله العباد فكيف لا يؤمن به الكافرون؟
 ٤٢ - والله وحده هو مالك السموات والأرض وما فيهن، وصاحب السلطان عليهما وكلهم راجع إليه يوم
 القيامة للحساب والجزاء.

(١) «والذين كفروا أعاليهم كراب بقية يحسب الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجد شيئا وجد الله عنده فوات حسابه، والله سرح
 الحساب: السراب مجرد ظاهرة ضوئية سببا انعكاس الشعاع للثمن من الأجسام اللسبية، وارتداده من سطح أرض مسطحة جسروله
 عندما على التدرج بمثل سطح الأرض، متباعدة عنها قليلا قليلا ترتفع درجة حرارتها أثناء النهار، فيمتد الشعاع للثمن حتى يصل إلى
 الراسد. وعندما ترى صور الأجسام المضيئة مقلوبة كما لو كانت مرآة كبيرة تمتد. وكذلك ترى صورة السماء الزرقاء الصافية كأنها مبهمة
 من الماء على أديم الأرض، بينا تظهر بألوان الأجسام مثل الأشجار والتخيل مقلوبة مؤكدة وجود الماء طاعرا. وتبدو ظاهرة السراب هذه
 بأجل ممانها إذا ما بلغ الفرق بين درجة حرارة سطح الأرض والجو اللامس له بنسب درجات مئوية. وهي تشاهد عادة في الصحاري
 والمناطق المنبسطة والفرق الصحراوية المستقيمة الممتدة بالأسفل. وما سبق يتضح أن السراب مجرد وهم.
 تعليق للجزء على الآية ٤٠:

«أو كلبات في بحر لحم يفتنه موج من قوته موج من قوته سحب، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم
 يجعل الله لهما فاه لهما من نوره. فجميع هذه الآية الكريمة أهم ظواهر عواصف البحر، فالعريف أن عواصف البحار المبيضة أو المغطيات
 تتلطف فيها أمواج عظيمة الطول أو السعة أو الارتفاع، بحيث يبدو الموج منتظما في طبقات بعضها فوق بعض، فيجذب ضياء الشمس،»

فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلْقِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ
مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَافِرُهُ يَغْثِبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُغَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى
أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

٤٣ - ألم تر أنها التي أن الله يسوق بالريح سحباً ، ثم يضم بعضها الى بعض ويجمعه متراكباً ، فترى المطر
يخرج من خلال السحاب ، والله ينزل من مجموعات السحب المتكاثفة التي تشبه الجبال^(١) في عظمتها برذاً ،
كالهصى ينزل على قوم فينفضهم أو يضرهم تباً لفوائته وراדתه ولا ينزل على آخرين كما يريد الله فهو سبحانه
الفاعل الغفار ، ويكاد ضوء البرق الحادث من اصطكاك السحب يذهب بالابصار لشدته ، وهذه الظواهر دلائل
قدرة الله الموجبة للإيمان به^(٢) .

٤٤ - يغير الله أحوال الليل والنهار بالطول والقصر والبدء والانتهاه بدوران الفلك ، إن في ذلك لعبرة
لنوى العقول السليمة المتبصرة ، يؤمنون عن طريقها بالله :

٤٥ - الله خالق كل شيء ، وأبدع الأشياء بأرادته ، وخلق كل حي يدب من أصل مشترك هو الماء ، لذلك
لا يعرف الحي منه ، ثم يختلف بينها في الأنواع والاستعدادات ووجوه الاختلاف الأخرى ، فمن الدواب نوع يزحف
على بطنه كالأسماك والزواحف ، ومنها نوع يمشي على رجله كالإنسان والطير ، ومنها نوع يمشي على أربع
كالبهائم ، يخلق الله ما يشاء من خلقه على أية كيفية تكون للدلالة على قدرته وعلمه ، فهو المريد الغفار ، وهو
القادر على كل شيء .

لما تكرر هذه العواصف من سحب ركابية سمكة بحجب بدورها ضوء الشمس وعظم معها الظلام في سلسلة من عمليات الاعنام التي تصل
إلى حد انعدام رؤية الأجسام رغم سلامة النظر . ولما كانت نشأة الرسول - ﷺ - في البادية . فإن ورود الدقائق العلمية على لسانه
وحيا من الله ، دليل على أن القرآن الكريم من عند الله ، وعلى أنه مميزة هذا الرسول الكريم .
(١) لا يعرف التشابه بين السحب والجبال إلا من يركب طائرة تطو به فوق السحاب ، فربما من فوق كأنها الجبال والأكام ، وإذا
لم تكن تلك الظواهر في عصر النبي ﷺ فإنه يكون ذلك دليلاً على أن هذا الكلام من عند الله الذي يعلم ما علا ، وما انخفض .
(٢) « ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من
برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » : تسبق هذه الآية الركبة ركب العلم ، فأنها تتناول
مراحل تكوين السحب الركابية وخصائصها . وما عرف عليها في العهد الأخير من أن السحب المطيرة تبدأ في هيئة وحدات يتألف
عدد منها في مجموعات هي السحب الركابية : أي السحب التي تنمو في الاتجاه الرأسي ، وترتفع فيها إلى علو ١٥ أو ٢٠ كيلو متراً ، فتبدو
كالجبال الشاهقة .

والمعروف عليها أن السحب الركابية المطيرة تمر بأراحل ثلاث هي :

١- مرحلة الانعنام والحر .

٢- ثم مرحلة المطرول .

٣- وأخيراً مرحلة الانتهاه .

كما أن هذه السحب هي - رحلها - التي تجرد بالبرد وتضمحل بالكهرباء . وقد يتلاحق حدوث البرق في سلسلة تكاد تكون متصلة
« و تفرقا في الدقيقة الواحدة » فيذهب بصير الرامد من شدة الضياء . وهذا هو عين ما يحدث للملاحين والطيارين الذين يخترقون
عواصف الرعد في المناطق الحارة . ويتم عن فقد البصر هذا اضرار بالغة تشكل خطراً حقيقياً على أعمال الطيران وسط العواصف
الرعدية .

تطبيق الحديث على الآية ٤٥ :

« والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع ، يخلق الله ما يشاء ، إن الله
على كل شيء قدير » : الماء في الآية الركبة هو ماء التماسل أي للتمسك على الحيوانات المنوية ، والآية الركبة في تسبق فقط ركب العلم
في بيان تنوع الإنسان من البقعة ، كما جاء في قوله تعالى : « فليظفر الإنسان من خلق . خلق من ماء دافق » (٦٠ هـ من سورة الطارق)
بل سبقتة كذلك في بيان أن كل دابة تدب على الأرض خلقت كذلك طريق التماسل من الحيوانات المنوية ، وإن اختلفت أشكال هذه
الحيوانات المنوية وخصائصها في كل نوع من أنواع هذه الدواب .

إِلَّا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٥١ وَيَقُولُونَ هَٰذَا إِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُ آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ٥٢ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَخِرُّوْنَ ٥٣ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ٥٤ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥٥ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ اللَّهَ وَيَتَّقِ اللَّهَ فَقُلُوبُهُمْ أَلْقَاوْنَ ٥٦ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَعْيُنِهِمْ أَنَ لَأَتَقَسِّمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ ٥٧ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ٥٨ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ٥٩ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ

٤٦ - لقد أنزلنا بالرحمى آيات واضحة بين الأحكام والصلوات، وتضرب الأمثال، والله يوفى إلى الخير من يشاء من عباده الذين استعدوا لنظر فيها والالتفات منها.

٤٧ - والمتنافقون يقولون بأنهم: إنما بالله وبالرسول وأطعنا أوامرهما. وعند اختيارهم يعرض فريق منهم عن مشاركة المسلمين في أعمال الخير كالجهاد وغيره، بعد قولهم هذا، وهؤلاء ليسوا بيمينين خالصين، ولا جديرين بإطلاق اسم المؤمنين عليهم.

٤٨ - ومن أحوالهم أنهم إذا طُلِبوا إلى التحاكم أمام الرسول يفتنى ما أنزل الله، ظهر نقاي بعضهم لرفضوا التحاكم إذا عرفوا أن الحق في جانب خصمهم.

٤٩ - أما إذا عرفوا أن الحق في جانبهم، فهم يأتون إلى الرسول مسرعين ليحكم بينهم وبين خصومهم.

٥٠ - ولماذا يفتنون هذا المرتفع من التحاكم أمام الرسول؟ لأن نفوسهم مريضة بالسيئ فلا تخضع لملكه الحق، أم لأنهم شكوا في عدالة محمد ﷺ في الحكم؟ لا شيء من ذلك أصلاً. ولكنهم هم الطائفة لأنفسهم ولغيرهم بسبب كفرهم ونفاقهم وعدولهم عن الحق.

٥١ - إنما كان القول للحق للمؤمنين الصادقين إذا دعوا إلى التحاكم يفتنى ما جاء عن الله ورسوله، أن يقولوا قائلين مذهبين: معنا دعوتك يا محمد وديننا حنكك، وهؤلاء يكونون لعل فلاح في دينهم وأخراهم.

٥٢ - ومن يطع الله ورضى بما يأمُر به الرسول ﷺ، ويعتق ذات الله السلية، ويستحضر جلاله ويتقاضيه، فأولئك هم الفائزون برضى الله وعونه، ونعيم الجنة، والفائزين بالخير المطلق.

٥٣ - وأقسم المتنافقون بالله أقسم ما يكون من إيمان مغلف، انه يا محمد إن أمرتهم بالخروج مملك للفرز أطاعوا، قل لهم: لا تفتلوا فالأمر المظلمة منكم معروفة لكم لا يتكرها أحد منكم، ولا ينق العلم بها إيمان تكفين فيها، وإن الله لطلع قام الاطلاع على كل ما يقع منكم ومجازيكم عليه.

= وما فصله الآية من معان علمية إلى الله فوام تكوين كل كائن حسي، فثلا يمتدى جسم الإنسان على نحو ٧٠ في المائة من وزنه ماء.. أى أن الشخص الذى وزن ٧٠ كجم، في جسمه نحو ٥٠ كجم ماء. وإم يكن تكوين الجسم والمتنوعة هذه الكية الكبيرة من الماء معروفة مطلقاً قبل نزول القرآن.

والله أكثر ضرورة للإنسان من الماء.. فببب الإنسان يكتنه أن يعيش ٦٠ يوماً بدون غذاء، لا يكتنه أن يعيش بدون الماء إلا من ٣-١٠ أيام على أقصى تقدير.

والله أساس تكوين الدم والسائل اللينغوى والسائل النخاعى وإفرازات الجسم كالبول والقرى والدموع واللعاب والفسفرة واللين والغلط والسوائل الموجودة في الفواصل، وهو سبب خواصة الجسم وليونه، ولو فقد الجسم ٢٠ في المائة فإن الإنسان يكون ممرضاً للموت.

والله ينبب المواد الغذائية بعد مضغها فيمكن لتصاصها، وهو كذلك ينبب الفضلات من عضوية ومعدنية في البول والقرى. وهكذا يكون الماء الجزء الأكبر والأهم من تكوين الجسم، ولذلك يمكن القول بأن كل كائن حى مخلوق من الماء.

إِلَّا الْبَلْعُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَأَحْصِيَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْدَاتٍ لَكِنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامٌ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ مَعَهُمْ طَوُّونَ عَلَيْكُمْ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ

٥٤ - قل لهم : اطيعوا الله واطيعوا الرسول طاعة صادقة تدل عليها أفعالكم ، فإن أعرض المنافقون ولم يتنلوا ، فإنا على محمد ما حمله الله من أمر التبليغ وليس مكلفاً بهديهم ، وعليكم ما حاكم الله من التكليف والطاعة ، وستعاقبون إذا استمررت على العصيان ، وإن تطيعوا الرسول تبتدوا إلى الخير ، وما عليه سوى التبليغ الواضح - أطعم أم عصيت - وقد بلغ .

٥٥ - وعد الله الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له منكم ، وعملوا الأعمال الصالحة وعداً مؤكداً ، أن يجعلهم خلفاء لمن سبقهم وارتبى لهم في الحكم والولاية في الأرض ، كما كان الشأن فيمن سبقهم وأن يمكن لهم الإسلام الذي ارتضاه ديناً لهم ، فتكون لهم المهابة والسلطان ، وأن يبدل حالهم من خوف إلى أمن بحيث يعبدونهم مطمئنين ، لا يشركون معي أحداً في العبادة . ومن اختاروا الكفر بعد هذا الوعد الصادق ، أو ارتدوا عن الإسلام فأولئك هم الخارجون المتمردون المجاهدون .

٥٦ - وأقيموا الصلاة كاملة الأركان في خشوع وخضوع ، بحيث تكون مائة من الفحشاء والمنكر ، واعطوا الزكاة مستحقها . واطيعوا الرسول في سائر ما يأمركم به ليكون لكم رجاء في رحمة الله ورضوانه .

٥٧ - لا تظن أنها التي أن الكافرين سيعجزون الله عن أخضعهم بذنوبهم ، أو تمكن أهل الحق من رقايقهم في أي مكان من الأرض ، بل أنه القادر ، قصيرهم يوم القيامة هو النار وبئس المصير مصرهم .

٥٨ - يأتيها الذين آمنوا ، يجب أن تأمروا عبيدكم وصبيانكم الذين لم يصلوا إلى حد البلوغ ألا يدخلوا عليكم إلا بعد الاستئذان في ثلاثة أوقات ، وهي قبل صلاة الفجر^(١) وحين تستغفنون من ثيابكم وقت القيلولة ، ومن بعد صلاة العشاء عند الاستعداد للنوم ، فهذه الأوقات بتغير فيها نظام اللبس باستبدال ثياب النوم بثياب

(١) يأتيها الذين آمنوا لستأنفكم الذين ملكت أيهاكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر ، وحين تصوم ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضهم على بعض ، كذلك بين الله لكم الآيات والله عليم حكيم : هذه الآية الترفية إحدى الآيات التي توجه أنظار الناس إلى اللياقة الاجتماعية في محيط الأسرة ، وذلك أن امتناع المالك - الخدم - والصبيان في أسرهم ، قد يتجاوز بهم الاختصاص في المصاطبة ، فيدخلون على الغير دون استئذان في الأوقات المذكورة في الآية ، ونظراً لأنها أوقات خلوة وحرية شخصية وتحلل من لباس الحمسة ، عتبت الآية بتسريع الاستئذان في تلك الأوقات بالنسبة لمن ذكرتهم من المالك والصبيان ، حتى لا يظلموا على ما يعتبر سراً لا يستشاع إطلاعهم عليه ، إذ هو كالمعورة التي ينبغي سترها ، وفي هذا توجيه لأعضاء الأسرة إلى إغفاء الملابس اللاتقة بمقابلتهم بعضهم البعض ، حتى تظل كرامتهم معصومة ، وحرمتهم مكفولة وأحاديثهم مربية ، والقرآن جدير بهذه التوجيهات التي تنهى بأخلاقنا إلى المستوى الرفيع .

أَحْلُمُ فَلْيَسْتَعِذُّوا كَمَا اسْتَعِذَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ مَمْلُوكَتِكُمْ مِمَّا بَيْنَكُمْ أَوْ عَدِيدِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْهَا أَوْ أَشْتَابُوا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَّكةٌ طَيِّبَةٌ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَإِذَا كَانُوا

البقعة، ويبدو من عورات الجسم ما لا ينبغي رؤيته، ولا حرج عليكم ولا عليهم في الدخول بغير استئذان في غير هذه الأوقات، لأن العادة جرت بأن يتردد فيها بعضهم على بعض لقضاء المصالح، وبمثل هذا التوضيح يوضح الله لكم آيات القرآن لبيان الأحكام، والله سبحانه واسع العلم عظيم الحكمة، يعلم ما يصلح لعباده ويشرع لهم ما يناسبهم ويصالحهم عليه.

٥٩ - وإذا وصل صبيانكم حد البلوغ وجب عليهم أن يستأذوا للدخول في كل بيت، وفي جميع الأوقات، كما وجب ذلك على الذين بلغوا من قبلهم، وبمثل هذا التوضيح يوضح الله لكم آياته التي أنزلها، والله سبحانه واسع العلم، عظيم الحكمة، يعلم ما يصلح لعباده ويشرع لهم ما يناسبهم ويصالحهم على أفعالهم.

٦٠ - والنساء الطاعنات في السن اللاتي لا يطمعن في الزواج، لا مواخذة عليهن إذا تخففسن من بعض الملابس، بحيث تكن غير مظهرات زينة أمر الله بإخفائهن من أجسامهن، ولكن استغفاهن بالاستتار الكامل خير لمن من التخفف، والله سميع لقولهن علم يظلمهن وقصدن ومجازين على ذلك.

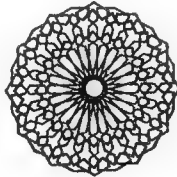
٦١ - ليس على أصحاب الأعذار كالأعمى والأعرج والمريض حرج، بل ولا عليكم أيها الأصحاء حرج، في أن تأكلوا من بيوت أولادكم فهي بيوتكم، ولا أن تأكلوا بيوت آبائكم أو أمهاتكم أو إخوانكم أو أخواتكم أو بيوت أمهاتكم أو عائلاتكم أو أخوالكم أو خالاتكم، أو البيوت التي وكل اليكم التصرف فيها، أو بيوت أصدقائكم المصالحين إذا لم يكن فيها حرمان، وذلك كله إذا علم صحاح رب البيت بأن ذوق قرينة، وليس عليكم جناح في أن تأكلوا مجتمعين أو منفردين، فإذا دخلتم بيوتا حيوا بالسلام أهلها الذين هم قطعة منكم، بسبب اتحاد الدين أو القرابة - فهم كأنفسكم، وهذه التحية تحية مشروعة مباركة بالثواب وفيها تطيب للنفوس. وعلى هذا النحو يوضح الله لكم الآيات لتعلموا ما فيها من العظات والأحكام وتفهموها وتعملوها بها.

مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَعِذُّوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا
 اسْتَعِذُّوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَنْزَلْنَا مِنْهُمْ مِثْلَ مَا اسْتَغْفَرُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
 بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لِرِوَادَا فليَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ
 فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ
 فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

٦٢ - ان المؤمنين الصادقين هم الذين آمنوا بالله ورسوله ، ولم يتركوا الرسول وحده في أمر مهم يتطلب
 اجتماعهم كالجهاد ، الا بعد أن يستأذنه في الانصراف ويسمح لهم به ان الذين يقيدونك لها التي حق قدرك ،
 ويدركون خطر الاجتماع فلا ينصرفون الا بعد موافقتك . وهم الصادقون في ايمانهم بالله ورسوله ، فاذا استأذنتك
 هؤلاء لقضاء بعض مصالحهم فاذن بالانصراف لمن تشاء منهم ، اذا رأيت من الدلائل أنه في حاجة ماسة الى
 الانصراف ، ولا يحتم الاجتماع وجوده ، ومع ذلك اطلب المغفرة لهم من الله على انصرافهم الذي ما كان يليق أبدا ،
 ان الله واسع المغفرة والرحمة .

٦٣ - احرصوا على احترام دعوة الرسول لكم الى الاجتماع للأمور الهامة ، واستجيبوا لها ولا تجعلوها كدعوة
 بعضكم في جواز التهاون فيها والانصراف عنها ، ولا تنصرفوا الا بعد الاستئذان والموافقة ، وفي أضيق الحدود
 وأشد الضرورات . فانه سبحانه يعلم من ينصرفون بدون اذن مختفين بين المجموع حتى لا يراهم الرسول ، فليحذر
 الخالفون عن أمر الله أن يعاقبهم سبحانه على عصيانهم بمحنة شديدة في الدنيا كالقحط والزوال ، أو بعذاب شديد
 الايلاء قد أعد لهم في الآخرة وهو النار .

٦٤ - تنهوا أيها الناس أن الله وحده هو مالك السموات والأرض وما فيها ، يعلم ما أنتم عليه من الكفر
 والاسلام والعصيان والطاعة ، فلا تخالفوا عن أمره ، وسيخبر الناس عند رجوعهم اليه يوم القيامة بكل ما عملوا
 في الدنيا وسيجازيهم عليه ، لأنه محيط بكل شيء علماً ..





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ۖ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ خِزْيُ
وَلَدًا ۖ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ
شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ

عدد آيات هذه السورة سبع وسبعون آية، كلها مكية إلا الآيات رقم ٦٨، ٦٩، ٧٠.

بدأت السورة ببيان منزلة القرآن، وسعة ملك منزله، الذي له ملك السموات والأرض، ومع عظم سلطانه، يتخذ المشركون من دونه الأوثان، ويكفرون بالقرآن، وينكرون رسالة الرسول ﷺ، بحجة أنه بشر، يأكل الطعام، ويشتى في الأسواق، ويطلبون ثمنًا ملائكة بلفهم الرسالة، ولو جعلهم ملائكة لجعلهم رجالاً، يمكنهم التفاهم مع البشر. فينبى اللباس، وقد اعترضوا على نزول القرآن تنجيًا، فأجيبوا بحكمة ذلك، وأتبع هذا العناد بأدلة معبرة عن الأنبياء وأقوامهم، لكن القوم اتبعوا أهواءهم، فصادوا كالأنعام أراضيل سبيلاً، وجسدت الآيات الكونية الدالة على كمال قدرته تعالى، الوجهة التي النظر والمعرفة، وحنمت السورة بأوصاف المؤمنين التي ورثتهم غرف الجنة العالية، يلقون فيها تحية وسلاماً.

١ - تعالى أمر الله وتزايد خيره، هو الذي نزل بالقرآن فارقاً بين الحق والباطل، على عبده محمد ﷺ، ليكون نذيراً به مبلغاً إياه إلى العالمين.

٢ - هو سبحانه الذي يملك وحده السموات والأرض، والمزده عن اتخاذ الولد، ولم يكن له أى شريك فى ملكه، وقد خلق كل شيء وقدره تقديرًا دقيقاً بنوايس تكفل له أداء مهمته بنظام^(١).

٣ - ومع ذلك ترك الكافرون عبادته، واتخذوا آلهة يعبدونها من دون الله من أصنام وكواكب وأشخاص وهم لا يستطيعون أن يخلقوا شيئاً ما، وهم مخلوقون لله، ولا يملكون دفع الضر عن أنفسهم ولا جلب خير لها، ولا يملكون إمامة أحد ولا إسماءه، ولا يملكون الموت من قبورهم، وكل من لا يملك شيئاً من ذلك لا يستحق أن يعبد، وما أجهل من يعبد، والمستحق للعبادة وحده هو مالك كل هذا.

(١) - الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك، وخلق كل شيء وقدره تقديرًا: أثبت العلم الحديث أن كل الموجودات تسير بحكم كونيها وما يجرى عليها من تطورات مختلفة وفق نظام دقيق ثابت لا يقدّر عليه إلا خالق قدير مدع. فمن حيث التكوين فقد تبين أن جميع هذه الوجودات والتطورات على اختلاف أشكالها وتباين صورها تتألف من أعداد عناصر محدودة العدد، إذ يبلغ عددها قرابة المائة عنصر منها ٩٦ معروفة حتى الآن، وهي تتدرج فى صفاتها الطبيعية والكيميائية ولوازمها الفيزيائية وتبدأ بالعنصر رقم ١ وهو الهيدروجين وزنه الذرى ١ - وتنتهى - حتى الآن - بالعنصر رقم ٩٢ وهو عنصر اليورانيوم وزنه الذرى غير معلوم، وآخر عنصر علم وزنه الذرى هو اليورانيوم ويبلغ وزنه الذرى ٢٣٨.٥٧، وتسير هذه العناصر فى القاطعة لتكوين المركبات حسب قوانين ثابتة لا تتغير عنها، وكذلك النبات والحيوان على نكلا منها ينقسم إلى أسر وفصائل وأنواع تتدرج صفاتها فى مدارج الرق من الكائنات الحية ذات الحلية الواحدة مثل البكتيريا إلى كائنات متعددة الخلايا إلى الإنسان وهو أكملها، وكل من هذه الأنواع صفات خاصة تتوارث فيما بينها جيلاً بعد جيل وكل هذا يسير فيما لقوانين ونظم ثابتة دقيقة تنهى عن الجلاء ووضوح عن عظمة الخالق وقدرته، فسبحانه وتعالى عما يشركون.

كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا فَنَّاكَ أَفْتَرْتَهُ وَأَعْلَفْتَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿١﴾ وَقَالُوا أَسْلَطِيرُ الْأَوَّلِينَ
اَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تَحْمِلُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأُسَيْلًا ﴿٢﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانَ غُفُورًا
رَحِيمًا ﴿٣﴾ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ
نَذِيرًا ﴿٤﴾ أَوْ يُلَاقَى إِلَيْهِ كَذْرٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُسْحُورًا ﴿٥﴾
أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٦﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ

٤ - وطعن الكفار في القرآن وقالوا : انه كذب اخترعه محمد من عند نفسه ونسبه الى الله ، وساعده في
اختراعه جماعة آخرون من أهل الكتاب ، فارتكب الكفار بقولهم هذا ظلمًا في الحكم واعتداه على الحق ، وجاموا
بزور لادليل عليه ، لأن من أناروا اليهم من أهل الكتاب. لسانهم أعجمي ، والقرآن لسان عربى مبين .

٥ - وقالوا عن القرآن أيضاً : انه أكاذيب السابطين سطرورها في كتبهم ، ثم طلب منهم أن تكتب له وتقرأ عليه
على الدوام صباحاً ومساء حتى يحفظها ويقولها .

٦ - قل لهم أيها النبي : ان القرآن أنزله الله الذي يعلم الأسرار الخفية في السموات والأرض ، وقد أودعها
في القرآن المعجز دليلاً على أنه وحى سبحاته ، ان الله واسع المغفرة والرحمة ، يتجاوز عن العصاة اذا تابوا
ولا يجعل بمعصيتهم .

٧ - وسخروا من محمد فقالوا : أى شيء يمتاز به هذا الذي يزعم أنه رسول حتى أنه يأكل الطعام كما نأكل ،
ويتردد في الأسواق لكسب عيشه كما يفعل سائر البشر ؟ لو كان رسولاً لكفاه الله ذلك ، ولسأل ربه أن ينزل له
ملكاً من السماء يساعده على الانذار والتبليغ ويصدقته في دعواه فتؤمن به .

٨ - وهلا سأل أن يكفيه مؤونة التردد على الأسواق ، فيلقى اليه كثرًا من السماء ينفق منه أو يجيل له حديقة
يقتات من غارها ؟ وقال كبار الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر صادين الناس عن الايمان ب محمد ، ومحاولين
تشكيك المؤمنين : ماتتبعين الا رجلاً مسحوراً عقله ، فهو يهذى بما لا حقيقة له .

٩ - انظر أيها النبي كيف ضربوا لك الأمثال ، فتلوك مرة بمسحور ، وأخرى بمجنون ، وثالثة بكذاب ، ورابعة
بتلق القرآن عن أعلاهم ، انهم بذلك قد ضلوا طريق الحق . والمهاجرة الصحيحة فلا يجدون اليها سبيلاً .

جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَتَبُوا بِالْإِسَاءَةِ وَاعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالْإِسَاءَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾
 إِذَا رَأَوْهُمُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
 لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ
 لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ هُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ بَلْغِي لَسَانِ

١٠ - تعالى الله وتزايد خيره، هو الذي ان شاء جعل لك في الدنيا أحسن مما اقترحوا، فيجعل لك فيها مثل ما وعدك في الآخرة من جنات كثيرة تجري الأنهار في جناتها وخلال أنجارها ومن قصور مشيدة.

١١ - والحقيقة أنهم جاحدون بكل آية، لأنهم كذبوا بالبعث ويوم القيامة، فهم لهذا يتطلون هذه المطالب ليصرفوا الناس إلى باطلهم، وقد أعدنا لمن كذب بيوم القيامة نارا مستعرة شديدة الالتهاب.

١٢ - اذا رأوها ورأته من بعيد سمعوا لها صوتا متغيظا متحفزا لإهلاكهم، وفيه مثل الزفرات التي تخرج من صدر متغيظ علامة على ما هي عليه من شدة.

١٣ - واذا ألقوا في مكان ضيق منها ينتاسب مع جرمهم وهم مقرونة أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال، نادوا هناك : طالبين تمجيد هلاكهم ليستريحوا من هول العذاب.

١٤ - فيقال لهم توبيخاً وسخرية : لا تظنوا هلاكاً واحداً بل اطلبوه مراراً، فلن تجدوا خلاصاً عما أنتم فيه، وأن أنواع عذابهم كثيرة.

١٥ - قل بأننا النبي للكاافرين : أهذا المصير الذي أوعد به الكافرون خير أم الجنة الدائم نعيمها، والتي وعد المؤمنين الاتقياء بأن تكون لهم نواباً ومصيراً بصيرون إليه بعد البعث والحساب ؟.

١٦ - لهم فيها ما يرغبون ينعمون به نبياً دائماً دون انقطاع، وكان هذا النعم وعداً من الله لهم، سألوا ربه تحقيقه فأجابهم إلى ما سألوه، لأن وعده لا يتخلف.

١٧ - واذكر للظة يوم يحشر الله المشركين للحساب في يوم القيامة مع من عبدوه في الدنيا من دون الله، كعبس وعزير والملائكة، فيسأل الله المعبودين : أنتم الذين أضللتم عبادي فأمرتكم بأن يعبدوك، أم هم الذين ضلوا السبيل باختيارهم فعبدوكم ؟.

تَحَدِّثُكَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاؤَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا اللَّهَ ۖ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ لَمَّا امْتَسْتَعِينُونَ صَرَفًا وَلَا حَافَظًا ۖ وَمَنْ يَظْلِمِ مَنكَ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنْهُمْ لَيَاكُونُ الْعِلْمُ وَعَمَلُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۖ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۖ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ * وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلِيكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ

١٨ - فيكون جوابهم : تزهت وتقدمت ، ما كان يحق لنا أبداً أن نطلب من دونك ولياً نصبرنا ونبتلى أمرنا ، فكيف مع هذا ندعو أحداً أن يعبداً دونك ؟ ولكن السبب في كفرهم هو انعامك عليهم بأن متعتهم طويلاً بالدنيا هم وآبائهم ، فأطافهم ذلك ونسوا شكرك والتوجه اليك وحذك بالعبادة ، وكانوا بذلك الطغيان والكفر قوماً مستحقين للهلاك .

١٩ - فيقال للصائدين المشركين : لقد كذبكم من عبديهم فما زعمتم من اضلالهم اياكم . فأنتم اليوم الى العذاب صائرون ، لا تملكون حيلة لصرفه عنكم ولا تهجدون نصراً من أحد يخلصكم منه ، وليعلم العباد جميعاً أن من يظلم بالكفر والطغيان كما فعل أولئك فانتا نعتبه عذاباً شديداً .

٢٠ - وإذا كان المشركون يسيئونك - أيما النبي - بأكلك الطعام ومشيك في الأسواق للعمل والكسب فظك سنة الله في المرسلين من قبلك ، ما أرسلنا أحداً منهم الا كان يأكل الطعام ويتردد في الأسواق ، وجعلنا بعضهم أيما الناس ابتلاء لبعض ، والمفسدون يجارلون سد الطريق الى الهداية والحق يشق الأساليب ، فهل تصبرون على حقكم أيما المؤمنون وتستسكن بدينكم حتى يأتي أمر الله بالنصر ؟ اصبروا فإله مطلع على كل شيء ويجازي كل ما عمل ..

٢١ - وقال الذين ينكرون البعث ولا يتوحدون الجزاء على أفعالهم : لماذا لا تنزل علينا الملائكة بتأييدك أو يقرأ لنا الله فيخبرنا بأنه أرسلك ؟ لقد تمكن الكبر من نفوسهم وجاوزوا الحد في الظلم والطغيان .

٢٢ - يوم القيامة يرون الملائكة كما تمنوا ، وسيكون ذلك مصدر تفجير لهم لا بشارة .. يستعينون منهم كما كانوا يستعينون بما يفرعون في الدنيا .

بَعَثْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تُسْفَقُ السَّمَاةُ بِالدِّمِ
وَيَزُلْ زَلِيلًا فَيُجَنَّبَكُ تَرْتِيلًا ﴿٢٥﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ الْغَنَى الرَّحْمَنُ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعْصُفُ الظَّالِمُ
عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يُرَوِّلَنِي لَيْتَنِي لَأَتَّخِذَ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي
عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَذَّكَّرُ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا
الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ

٢٣ - يوم القيامة، تأتي الى ما عملوه من مظاهر البر والاحسان في الدنيا فنجيهه ونحرمهم نوابه، لصدم
ايمانهم الذي به تتغير الاعمال .

٢٤ - اصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقراً وأحسن منزلاً ومأوى للاسترواح، لأنه الجنة المعدة للمؤمنين
لا النار المعدة للكافرين .

٢٥ - واذكر - أيها النبي - يوم تنفجر السماء وتنفتح، ويظهر من فرجها النعام، وتنزل الملائكة نزولاً مؤكداً .

٢٦ - في هذا اليوم، تبطل أملاك المالكين من الناس وتنقطع دعاوهم، ويخلص الملك الرحمن وحده، ويكون
يوماً شديداً عصبياً على الكافرين .

٢٧ - يوم القيامة بعض الظالم لنفسه - بالكفر ومخالفة الرسل - على يديه أسفاً ونداماً يقول متنبهاً : يا ليتني
اتبعت الرسل فسلكت طريق الجنة وتجنبت طريق النار .

٢٨ - يقول نادماً على اتباعه من أضلوه : يا ليتني لم أصفق فلاناً الذي ملكته قباضى ..

٢٩ - لقد أهدنى هذا الصديق عن ذكر الله وذكر القرآن بعد أن يسر لي، وهكذا يضل الشيطان الانسان
ويسلمه الى ما فيه هلكته .

٣٠ - وقال الرسول يشكو الى الله ما يلاقيه تمتت قومه : انهم تركوا القرآن وهجروه، وقادروا في اعراضهم
وعنادهم وعدائهم .

٣١ - كما جعلنا قومك، يا محمد بصادوك ويكذبوك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين يصادونه ويقاسون
دعوتهم، وسينصرك الله ويهديك الى قهرهم، وحسبك به هادياً ونصيراً .

٣٢ - وقال الذين كفروا طمناً في القرآن : لم لم ينزل دفعة واحدة ؟ لقد أنزلناه كذلك مفزقاً لئيب به فؤادك
بأسنك به وحفظك له، ورتلناه فرقناه آية أو قرآنه على لسان جبريل شيئاً شبيهاً على نزوده وقبول .

يَمْدُلْ إِلَّا جَنَّتَكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يَحْشُرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ نَذِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمٌ نُوْحٌ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ﴿٣٧﴾ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٨﴾ وَعَادًا وَهُمُودًا وَأَحْبَبَ الرِّسَاقَ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٩﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَلَكَّا تَبَرُّنَا تَنْبِيْرًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمِطْرَتْ مَطَرُ السَّوَاءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنها بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُصُورًا ﴿٤١﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ أَنْ يَخْذُوكَ إِلَّا هُرُّوا أَمْعَدًا الَّذِي يَبْعَثُ اللَّهُ رُسُلًا ﴿٤٢﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ

٣٣ - ولا يأتونك بحال من الاعتراضات الواهية الا جشاك بالحق نبينه ونفسره أحسن تفسير .

٣٤ - والذين كفروا برسالتك سيسحبون الى النار على وجوههم أدلة ، وهم شر الناس منزلة وأغلهم في الضلال .

٣٥ - وبسبب الرسول مما وقع للرسول قبله ، ولقد نزلنا على موسى التوراة وكلفناه أن يقوم بتبليغ رسالتنا ، وأيدناه بأخيه هارون وزيراً له ومعيناً في أمره .

٣٦ - فقلنا : اذهب انت وأخوك الى فرعون وقومه وأيدناه بالمعجزات التي تدل على صدقه ، فلم يؤمنوا بها ، وكذبوه ، فكان عاقبتهم أن أهلكناهم ومحقناهم محقاً .

٣٧ - وكذلك فعلنا من قبل موسى مع قوم نوح لما كذبوه ، ومن كذب رسولاً فقد كذب الرسل أجمعين ، فقد أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم عبرة للناس ، وجعلنا لهم ولكل مشرك في الآخرة عذاباً أليماً .

٣٨ - وكذلك أهلكنا عاداً وهموداً وأصحاب الرس(١) لما كذبوا رسلهم ، وأهلكنا أماً كثيرة كانوا بين أمة نوح وبين عاد فأصابهم جزاء الظالمين .

٣٩ - ولقد أنذرنا هؤلاء الأقوام كلهم ، وذكرنا لهم المظالم والأمثال الصحيحة النافعة ، ولكنهم لم ينتظروا ، فأنذناهم كلهم بالعذاب وأهلكناهم ودمرنا ديارهم تدميراً .

٤٠ - وهؤلاء قريش يرون في أسفارهم الى الشام على قرية قوم لوط التي أمطرتنا عليها شر مطر وأسوأه ، حجارة من سجيل ، أفلم يروا هذه القرية فينتظروا ما حل لأهلها ؟ . . . انهم يرونها ولكن لا بأعين الاعتباط والاعتبار ، إذ كانوا لا يؤمنون بمعاد ولا بعث ، ولا يتوقعون يوماً ينشرون فيه الى الحساب .

٤١ - وإذا أبصرك هؤلاء لا يتخذونك الا موضع هزؤ وسخرية ، ويقول بعضهم لبعض : أهذا هو الذي بعثه الله رسولاً ؟ ليتنا نريه ونسبر ورله ؟ !

(١) الرس : كما جاء في مفردات الراغب الأصفهاني : هو واد ، وقد استشهد بقول الشاعر : (ومن الراوي الرس كاليه للفسم) وأصحاب الرس كما جاء في الآية الكريمة : قوم كانوا يعبدون الأصنام ، فبعث الله نبياً لهم ، فهم من أرسل فيهم شجب عليه السلام ، وقد عبر الله سبحانه وتعالى عن قوم شجب مرة بأصحاب الأيكة - وهو للكان الذي ينثر فيه شجر امتاز بالنوم - ومرة بأصحاب الرس - وهو واد فيه خير عظيم - للإشارة إلى ما كانوا فيه من نعيم أنهم الله به عليهم ، فكفروا بأنهم ، وعبدوا الأوثان .

ءَالِهِنَا لَوْلَا اَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ اَفْضَلُ سَبِيلًا ۝ اَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَلَفَ الْاَلِهَةُ هَوْنَهُ اَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ اَمْ تَحْسَبُ اَنْ اَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ اَوْ يَعْقِلُونَ اِنْ هُمْ اِلَّا كَا لَا تَعْمَلُ بَلْ هُمْ اَفْضَلُ سَبِيلًا ۝ اَلَمْ تَرَ اَنَّ لَكَ يَدَ الْاِظْلَ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُمُ سَاكِنَاتٍ مَّجْلَنَاتٍ اَلشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ اِلَيْنَا قَبْضًا سَيْرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكَ الْاَيْلَ لَيْسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُسُورًا ۝ وَهُوَ الَّذِي اَوْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۝ وَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۝ لَنَحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ

٤٢ - لقد أوق هذا الرجل من حسن البيان وقوة الحججة ما يجذب السامعين ، ولقد نال من عقائدنا حتى لقد كاد يزعجنا عن أفتنا ويهينا إل الله ولكننا ثبتنا على أفتنا وديننا ، سنين لهم جليلة الأمر حين يرون العذاب يوم القيامة ويعلمون من هو أثبت في الضلال والغوياة .

٤٣ - أرايت أيها الرسول ضلال من اتبع هواه وشهوته حتى أنه ليعبد حجارة لا تضر ولا تنفع ؛ وأنت قد بعثت نذيراً وبشيراً ولست موكلاً بأهائهم وهدايتهم .

٤٤ - وهل نظن أن أكثرهم يسمعون سماع الفهم أو يعتدون بعقولهم ؟ لقد نبذوا ما تأمرهم به أحلامهم ، وصاروا كالبهائم لا هم لهم إلا الأكل والشرب ومتاع الحياة الدنيا ، ولا تفكير لهم فيها وراء ذلك ، بل هم شر مكاناً من البهائم ، فاليهائم تنقاد لأصحابها إلى ما فيه خيرها ، وتنتأ عما يضرها وهؤلاء يلقون بأنفسهم فيما يهلكهم .

٤٥ - لقد نصبنا من الدلائل على التوحيد ما يهدى ذوى الأبواب ، انظر إل الظل فقد بسطه الله وجعله ساكناً أول النهار ، ثم سلطان الشمس تزيل منه بما يجعل محله من أشتاتها ، فكانت الشمس دالة عليه ولولاها ما عرف الظل . ولو شاء الله لجعل الظل ساكناً مطبقاً على الناس فتفت مصلحتهم ومراقبتهم^(١) .

٤٦ - ولقد كان تسخفاً للظل بالشمس تدريجياً بقدر ولم يكن دفعة واحدة ، وفي ذلك منافع للناس .

٤٧ - ومن آيات التوحيد أن جعل الليل سقراً بظلامه ، يدخل فيه الخلق فيحيطهم احاطة النوب بلاسه . وهياً الناس للنوم فكان راحة لهم يستجمون به من التعب ، بضياته تشرأ للناس باحتين عن معاشهم طالعين لرزقهم .

٤٨ - وهو الذي سخر الرياح فتسوق السحب وتبشر الناس بالمطر الذي هو رحة منه لهم . ولقد أنزلنا من السماء ماء طاهراً مطهراً مزيلاً للأجاس والأوساخ^(٢) .

(١) « ألم تر إل ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً » : هذه الآية تظهر عناية الخالق وقدرته . فقد الظل يدل على دوران الأرض وعلى ميل محور دورانها ولو أن الأرض سكنت بحيث أنها ظلت غير متحركة حول الشمس وكذلك انعدم دورانها حول محورها لسكن الظل وظلت لثة الشمس مسلطة على نصف الأرض بينا يظل النصف الآخر لئلا ما يحدث اختلاف التوازن الحراري ويؤدي إلى انعدام الحياة على الأرض وكذلك إذا كان هذا هو حال الأرض فإن الظل يظل ساكناً . وهذا أيضاً يحدث إذا كانت فترة دوران الأرض حول محورها هي نفسها فترة دوراتها من حول الشمس . أي أن اليوم يصبح ستة كيلة ولكن لا يمكن أن يفعل ذلك غير الله ، هذا فضلاً عن أن الظل ذاته نعمة من نعم الله ، ولو أن الله خلق الأشياء كلها شغوفة لما وجد الظل ولا انصرفت فرص الحياة أمام الكائنات التي تحتاج إليه .

(٢) « وَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا » : في هذه الآية الكريمة ين الله على البشر بإزالة الله طاهراً إليهم من السماء ، وتتضمن الآية الإشارة إلى أن ماء المطر عند بدء تكوينه يكون في أعلى درجات النقاء . وعلى الرغم من أن حله بعد ذلك ما في الجو من أجسام وفترات فإنه يكون في أعلى درجات الطهارة .

بِمَا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأَنْلَيْنَا كَثِيرًا ۝ وَلَقَدْ صَرَقْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذُروا قَائِبًا أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ۝ فَلَا طَیْعَ الْكَافِرِينَ وَجَهَنَّمُ بِهِ جَهَادًا كَبِيرًا ۝ * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِزًّا تَجْوَرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا يُجْعَلُهُ سَبًّا وَصَرًّا ۝ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۝ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ۝ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ

٤٩ - أنزلنا المطر لينبت به الزرع ، فتحيا به الأرض الجديدة بعد موتها ، ويتنضج به السقيا مما خلق أنعاماً وأناس كَثِيراً .

٥٠ - وهذا القرآن قد بينا آياته وصرفناها ، ليجتزك الناس ربههم وليتعتظوا ويعملوا بموجبه ، ولكن أكثر الناس أُولاءِ الا الكفر والعناد .

٥١ - ولو شئنا لبعثنا في كل بلدة نذيراً ، فاجتهد في دعوتك ، ودع كلام الكافرين ، وانبذ ما يأتون به . .
٥٢ - واستمر في دعائك الى الحق وتبليغ رسالة ربك ، وان قاوموا دعوتك واعتدوا على المؤمنين فحاربهم وجاهد في ذلك جهاداً عظيماً .

٥٣ - والله هو الذي أجرى البحرين : البحر العذب والبحر الملح ، وجعل المجرى لكل واحد يجاور المجرى الآخر ، ومع ذلك لا يختلطان ، نعمة ورحمة بالناس (١) .

٥٤ - والله هو الذي خلق من النطفة هؤلاء الناس ، وجعلهم ذكوراً وإناثاً ذوى قربات بالنسب أو المصاهرة ، وكان الله قديراً على ما يريد اذ خلق من النطفة الواحدة نوعين متباينين . .

٥٥ - ويعد هذه الآيات الدالة على استحقاق الله وحده العبادة ، وأن لا اله سواه ، يعبد فريق من الناس ما لا ينفع ولا يضر من الأوثان ، وهؤلاء يعلمهم هذا يعاونون الشيطان وهو يضلهم ، فهم متظاهرون على الحق الذي دُعاهم اليه الله .

٥٦ - وليس عليك أيها النبي الا تبليغ ما أرسلت به ، وتشير المؤمنين بالجنته ، وتطوف الكافرين ما سيلقونه ، وليس عليك بعد ذلك شيء ، تطالب به .

٥٧ - وقل لهم : اني لا أبتغي على دعوتكم الى الاسلام أجراً وجزاء ، الا أن يعتدي أحدكم ويسلك سبيل الحق ويرجع الى ربه .

(١) وهو الذي مرج البحرين هنا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً مججوراً : قد تشير هذه الآية إلى نعمة الله على عباده بعدم اختلاط الماء للملح المتسرب من البحار في الصخور القريبة من الشاطئ بالماء العذب المتسرب إليها من البر اختلاطاً تاماً بل أنها يلتقيان مجرد تلاقى . بطور العذب منها فوق للملح كأن بينها برزخاً يمنع بينهما أحداهما على الآخر ، وحجراً مججوراً ، أي حاجزاً خفياً صخوراً لا تراه .

وليس هذا فقط بل ان هناك قانوناً ثابتاً يحكم هذه العلاقة ويحكم فيها لمصلحة البشر من يسكنون في تلك المناطق وتتعرف حياتهم على توفر الماء العذب ، فقد ثبت ان طبقة الماء العذب العليا يزداد سمكها مع زيادة الارتفاع عن منسوب البحر بملاحة منتظمة حتى أنه يمكن حساب العمق الأقصى للماء العذب الذي يمكن الوصول إليه . فهو يساوي قدر الفرق بين منسوب الأرض ومنسوب البحر أربعين مرة .

خَيْرًا ۝ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ
خَيْرًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ
فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ
أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝

٥٨ - وتوكل في أمورك على الله الهى الذى لا يمكن أن يموت ، ونزهه وقده حامداً أنعمه ، ودع من خرج عن الجادة ، فאלله خير بهم مكافئه لهم على ذنوبهم .

٥٩ - والله هو الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، وقد استولى على العرش الملكوت وعم سلطانه كل شيء ، وهو الرحمن ، وإن اثبتت أن تعرف شيئاً من صفاته فاسأل الحبيب عنه يبيك وهو الله العليم الحكيم^(١) .

٦٠ - وإذا قيل هؤلاء الكفار : اخضعوا للرحمن واعبدوه . كان جوابهم بالانكار وبجاهل الرحمن وقالوا : من هو الرحمن ؟ نحن لا نعلمه حتى نسجد له ، فهل نخضع لأمرك وحسب ؟ ، وازدادوا عن الأيمان بعداً ونفوراً . .

٦١ - تعالى الرحمن وتزايد فضله ، انشأ الكواكب في السموات وجعل لها منازل تسير فيها ، وجعل من الكواكب الشمس سراجاً مضيئاً والقمر منيراً^(٢) .

٦٢ - والرحمن هو الذى جعل الليل والنهار متعاقبين يخلف أحدهما الآخر ، وقد دبرنا هذا ليتذكر من شاء هذا التدبير ، فيعرف حكمة الله وقدرته ، أو يشكره على هذه النعمة الجليلة .

٦٣ - فعباد الرحمن هم الذين يتواضعون في الدنيا ، إذا مشوا على الأرض مشوا في سكونة وقوار ، وكذلك في سائر أعمالهم ، وإذا ساءلهم السفهاء من المشركين تركوهم وشأنهم وقالوا لهم : لا شأن لنا بكم بل أمرنا سلام عليكم .

(١) « الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ، الرحمن فاسأل به خيراً » : الستة أيام تعبر من جانب الله - عز وجل - عن الزمن ، وهو تعالى أعلم بقدر اليوم ، ومن الوجهة العلمية تتطلب عملية خلق الكون الردود بمراسل وأدوار مختلفة والسموات والأرض وما بينهما تسير إلى سائر أجرام السماء من نجوم ومجرات وكواكب وأقمار وأثرية كونية ، وغازات وطافات يتألف الكون منها « ثم استوى على العرش » يثبت أن للكون بداية من حيث الزمان وأن نشوء الكون لازمه نظم كونية أو إلهية منظمة له ، وينتظم الكون على الوجهة التفصيل الكامل الذى شمل كل شيء اتضح استيلاء الله - سبحانه - على الكون إيجاباً وتفصيلاً .
« فاسأل به خيراً » في هذه الجملة من الآية الكريمة توجيه علمي من الله إلى ضرورة البحث والتدقيق فيما يمكن بحثه من مظاهر الكون ونظمه الخفية للوقوف على أسرار قدرة الله في ابداع الكون .

(٢) « تبارك الذى جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقمرًا منيراً » : تسير الآية الكريمة إلى المآل العلمية التضخمت في نظام الكون الذى خلقه الله - سبحانه وتعالى - وتزايد فضله . رأينا لنشاهد نجوم السماء على هيئة مجموعات تكاد تحتفظ بمسورها على مر الأجيال والبروج هي تلك المجموعات من النجوم التي تمر أمامها الشمس أثناء دوراتها الطائفة من حول الأرض . فالبروج كلها منازل الشمس في دوراتها أثناء السنة . وكل ثلاثة منها تتركب فصلاً من فصول السنة وهي كنفورات مبدئين بفصل الربيع : الحمل - الثور - الجوزاء - السرطان - الأسد - السنبلة - الميزان - القرب - القوس - الجدى - الدلو - الحوت . والشمس هي إحدى النجوم المتوسطة القدر وهي كسائر النجوم مضيئة بذاتها نظراً للتفاعلات الذرية في داخلها ، فالإشعاع الشمسي التبعث من هذه الطاقة يسقط على الكواكب والأقمار وسائر أجرام غير المصنعة بذاتها ، فينبهها أي أن الشمس هي سراج وهاج - أما القمر فينبه بضياء الشمس المرتد من سطحه وأن في وصف الشمس بأنها سراج ووصف القمر بأنه منير إشارة إلى أن الشمس مصدر الطاقة الحرارية .

وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ رِيبًا مِمَّا عَمِلُوا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٤﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٥﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَعُوا لَمْ يَرْفَعُوا وَلَا يَقْرَأُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقُولُونَ لِنَفْسِ أَلْنِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزِفُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٧﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٨﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٩﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧٠﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْعُدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَقَدْ بَرَّغْنَا قُرْةَ عَيْنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٣﴾

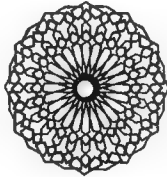
- ٦٤ - والذين يبتغون ريباً مما عملوا ويذكرون الله كثيراً .
 ٦٥ - والذين يطوبون الخوف على الرجاء - شأن الاتقياء - فيخافون عذاب الآخرة ، يكون دأبهم أن يدعوا الله أن ينجيهم من عذاب جهنم ، فإن عذابها إذا نزل يجرم يلزمه ولا يفارقه .
 ٦٦ - وأن جهنم شر مستقر لمن يستقر فيها وشر مقام لمن يقيم .
 ٦٧ - ومن مات عباد الرحمن الاعتدال في انفاقهم المال على أنفسهم وأسرهم ، فهم لا يبدرون ولا يضيقون في النفقة ، بل نفقتهم وسط بين الأمرين .
 ٦٨ - ومن شأنهم أنهم أخلصوا التوحيد ونهضوا كل أثر للشرك في عبادة ربهم ، ونهضوا عن القتل للنفس التي نهى الله عن قتلها لكن ان اعتدت قتل بالحق . . وقد تجنبوا الزنا ، وقصروا أنفسهم على الحلال من أوجه المنافع ، لينجوا من عقاب هذه المهلكات ، فإن من يفعل هذه الأمور يلق منها شراً وعذاباً .
 ٦٩ - فإنه سيلقى يوم القيامة عذاباً مضاعفاً ، ويخلد فيه ذليلاً مهاناً .
 ٧٠ - ولكن من تاب من هذه الذنوب وصدق في إيمانه واتبع ذلك بالطاعات والأعمال الصالحة ، فهو لا يفر لهم رحمة منه ويجعل لهم مكان السيئات السالفة حسنات يثيبهم عليها أجزل التواب ، وإن الله من شأنه الرحمة والفرقان .
 ٧١ - وهكذا مضى أمرنا أن من تاب من الله وظهر أثر ذلك في أقباله على الطاعة واجتنابه المصيبة ، فهو الذي يقبل الله توبته . وبها يرجع إلى ربه بعد نفاذه .
 ٧٢ - ومن أخلاق عباد الرحمن أنهم ، ينهضون عن شهادة الزور ، وإنهم إذا صادفوا من إنسان ما لا يحمده من قول أو فعل لم يشتركوا فيه ورفضوا أنفسهم عن مقارنته .
 ٧٣ - ومن صفاتهم أنهم إذا وعظهم واعظ وتلا عليهم آيات الله ألفوا بمسامحهم إليها ، فوعتها قلوبهم ، وتفتحت لها بصائرهم ، ولم يكونوا كأولئك الذين يضطربون عند سماعها معرضين عنها ، لا تحرق أذانهم وتسد عنها أبصارهم .
 ٧٤ - وهم يسألون ربهم أن يجعل تسامحهم وأولادهم موضع أنس أنفسهم بما يعملون من خير . وأن يجعلهم أئمة في الخير يقتضيه بهم الصالحون .

أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مَسَاجِدُ الْمُقَلِّدِينَ ﴿٧٦﴾
 قُلْ مَا يَعْجُبُ بِكُمْ رَّبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

٧٥ - هؤلاء الموصوفون بما وصفناهم عباد الله حقاً، وجزاؤهم غرف الجنة العالية كفاء صبرهم على الطاعات، وسيلقون في الجنة التحية والتسليم..

٧٦ - ونعيمهم في الجنة خالد لا انقطاع له، فنعيم الجنة مستقراً ومقاماً..

٧٧ - قل أيها الرسول للناس: إن الله لا يعنيه منكم إلا أن تعبدوه وتدعوه في شؤونكم ولا تدعوا غيره، ولذلك خلقكم، ولكن الكافرين منكم كذبوا ما جاء به الرسل فسيكون عذابهم لازماً لهم لا منجى لهم منه.



(٣٦) سُورَةُ الشَّعْرَاءِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأْنَاهَا سَبْعَ وَعِشْرِينَ وَائِثْنَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ١ نَكَأَيْتُ الْكِتَابِ الْيَمِينِ ٢ لَعَلَّكَ بَلِغٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٣ إِنْ فُسَا نَزَلَ
عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ٤ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ
مُعْرِضِينَ ٥ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ٦ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَأْنَبَتْنَاهَا

اشتملت السورة في بدايتها على التنويه بشأن القرآن، وانتقلت بعده الى ذكر تهديد الكافرين بقدره الله على ازالة العذاب عنهم، وتسليته النبي - ﷺ - عن تكذيب قومه بما لقيه فريق من رسل الله، من تكذيب أمهم، فحدثت عن لقاء موسى وهارون لفرعون، وتكذيبه لهما، ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم أبي الأنبياء، ونبا نوح مع قومه، وشأن هود مع عاد، وصالح مع ثمود، ثم شرحت السورة دعوة لوط، وقصة شعيب مع أصحاب الأيكة.

ويرى المتأمل في قصص هؤلاء النبيين السبعة أن أصول دعوتهم واحدة، وأسلوب الكافرين في رد رسالتهم واحد، ثم ختمت السورة بالتنويه بشأن القرآن، كما افتتحت به، وانتهت الحديث بإبطال أن يكون الرسول من الشعراء وأن يكون القرآن شعراً.

١ - هذه الحروف لبيان أن القرآن المعجز ليس ركبته كليانه منها ومن أخواتها، وهي في طوقهم، فن ارتاب في أنه من عند الله فليأت بمثل، ولن يستطيع.

٢ - هذا الكلام الذي أوصيت به إليك آيات الكتاب الموضع لما اشتمل عليه من أحكام.

٣ - أضيق على نفسك - أيما التي - أن تقلها حزناً على عناد قومك، وعدم إيمانهم.

٤ - ان في قدرتنا أن تأتيهم بمجزة تلجهم الى الايمان، فيخضعون لأمره، ويتم ما تريده، ولم تأتهم بذلك لأن سننتا تكليف الناس بالايمان دون الجاه، كي لا تفوت الحكمة في الابتلاء، وما وراءه من ثواب وعقاب.

٥ - وما يجدد الله لقومك بوجبه ما يذكرهم بالدين الحق، رحمة بهم، الا جددوا اعراضاً عنه، وكفراً به، حيث أغلقت أمامهم طرق الهداية.

٦ - فقد كذب هؤلاء بالحق الذي جشهم به، وسخفوا منه، فاصبر عليهم، فسيرون عاقبة استهزائهم الفاقصة.

مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ ۝ إِنِّي فِي ذَلِكَ لِآيَةٌ ۖ وَمَا كَانُوا أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ رَحِيمٌ ۝
وَلَا تَدْعُ رَبَّكَ مُوسِعٌ إِنَّ أَتَيْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَكَّا يَنْفِقُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يُكَذِّبُونِ ۝ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۝ وَلَمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۝
قَالَ كُلًّا قَدْ جَاءَ بِهَا نَبَأٌ ۖ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ۝ فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَنْ أَرْسِلَ
مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ۝ قَالَ أَلَمْ نَرْبِكُمْ فِينَا وَلَبَدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝ وَقَعَلْتَ فَعَلْتَكَ أَنِّي فَعَلْتُ

٧ - أفعلوا ما فعلوا من الكفر والتكذيب ، ولم ينظروا الى بض خلق الله في الأرض ؟ ولو نظروا متأملين
لاحتسوا ، فهذه الكثرة من أصناف النباتات النافعة أخرجناها من الأرض ، ولا يستطيع ذلك غير اله واحد قدير .

٨ - ان في اخراج النبات من الأرض لدلالة عظيمة على وجود الخالق القدير ، وما كان أكثر القوم مؤمنين .

٩ - وان مالك أمرك وحافظك هو المنتقم من المكذبين ، المتفضل بالرحمة على المؤمنين .

١٠ - واذكر - يا محمد - لقومك قصة موسى حين ناداه ربك : يا موسى . انهب رسولاً الى القوم الذين ظلموا
أنفسهم بالكفر ، وبني اسرائيل بالاستعباد وذبح الأولاد .

١١ - اتت قوم فرعون ، فانهم ماضون في ظلمهم . عجباً لهم ! أما يخافون عاقبة ذلك ، ويصغرونها ؟

١٢ - قال موسى : يارب اني أخشى ألا يقبلوا رسالتي ، كبراً وعناداً .

١٣ - ويحيط بي الغم اذا كذبتني ، ولا ينطلق لساني حينئذ في محاجتهم كما أحب ، فأرسل جبريل الى أخى
هارون ليؤازرنى في أمرى .

١٤ - وهؤلاء ذنب على ، فقد قتل منهم رجلاً ، فأخاف أن يقتلوا قصاصاً قبل أداء مهدي ، ويزيدنى ذلك
خوفاً .

١٥ - قال الله له : لن يقتلوك ، وقد أجهت سؤلك في هارون ، فاذعبا مزودين بمجزاتنا ، الى معكم بالحفظ ،
أسمع ما يجرى بينكما وبين فرعون ، فلنكلم النصر والتأييد ..

١٦ - فتوجه الى فرعون فقولا له : انا مرسلان اليك من رب العالمين .

١٧ - يقول لك رب العالمين : اطلق سراح بني اسرائيل ، لينهبوا معنا .

١٨ - قال فرعون لموسى مبتأناً - وقد عرفه حينئذ دخلاً عليه وأدبا الرسالة ، حيث ترى في قصته - : ألم نربك
فينا ولبدًا ، ومكنت في رعايتنا سنين من عمرك ؟

وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلَيْهَا إِذَا أَنَا مِنْ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكَ لَمَّا خَشَّكَ فَوْهَبَ لِي رَبِّي
حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمِعُونَ ﴿٢٥﴾
قَالَ رَبُّكَ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكَ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ

١٩ - وجئت جنابك المكراه ، يقتلك رجلاً من قومي ، وجعدت نعمتي التي سلفت منا عليك ، فلم تحفظ رعتي ، واعتديت على ألوهيتنا بادعاء انك رسول رب العالمين .

٢٠ - قال موسى : لقد فعلت ما ذكرت جهلاً بما يفضي اليه العقل من القتل ، فلا ترهب علي .

٢١ - ففرت منكم لما خفت أن تقتلوني بهذه الجناية التي لم تكن عن عمد ، فوهب لي ربي فيها علماً ، تفضلاً وانصافاً ، وجعلني من المرسلين .

٢٢ - أشار موسى الى خصلة نسيمة من خصال فرعون ، وبين أنها تعيب بني اسرائيل وذبح أبنائهم ، وأبى أن تسمى تربيته في بيته نعمة ، فسيبها انتصافه بما تقدم ، فألقى في اليم لينجوا من قتله ، قال الى بيته ، ولولا ذلك لرباه أبواه .

٢٣ - قال فرعون : وما صفة رب العالمين الذي تذكره كثيراً ، وتدعي انك رسوله : حيث لا تعلم عنه شيئاً ؟

٢٤ - قال موسى هو مالك السموات والأرض وما بينها ، ان كنتم موقنين بصدق هذا الجواب لا تنتفعتم ، واهتديتم ، وعرفتم أن ملك فرعون المدعي لا يذكر في جانب ملكه ، فهو لا يعدو إقلياً واحداً في الأرض .

٢٥ - قال فرعون - يعجب لمن حوله من جواب موسى ، اذكر رباً غيره لا يذكر في جانب ملكه ملك فرعون - : كيف تسمعون كلام موسى ؟

٢٦ - قال موسى ماضياً في أمره غير مبال بغيظ فرعون وسوء مقالته : رب العالمين خالفكم وخالف آياتكم السابقين ، ومنهم من كان يدعي الألوهية كما تدعي ، وقد لحقهم القضاء ، وسنقضي مثلهم فيبطل ما تدعيه ، اذ الاله الحق لا يموت .

٢٧ - قال فرعون مخاطباً قومه بما يثير غضبهم ، اذ أضاف رسالة موسى اليهم دونه ، مع وصفه بالجنون ، حيث يسأل عن الشيء فيجيب عن غيره ، وينعت الرب بصفات عجيبة ، وفرعون بهذا يحرضهم على تكذيبه .

وَالْمَغْرِبَ وَمَا يَنْهَمُ^{٢٨} إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ^{٢٨} قَالَ لَنْ أَخْلُتَ لَهَا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ^{٢٩}
 قَالَ أَوْلَوْجِنَّكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ^{٣٠} قَالَ فَأَتِ بِهِ^{٣١} إِنَّ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ^{٣٢} فَأَتَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ
 مُبِينٌ^{٣٣} وَزَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ^{٣٤} قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ^{٣٥} يُرِيدُ أَنْ
 يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ^{٣٦} قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ^{٣٧} يَا قَوْمِ

٢٨ - قال موسى : ان كنتم تعقلون فآمنوا برسالي ، لأن شرور الشمس وغروبها بتقدير محكم دليل ظاهر على الخالق ، انن فأنتم الأحقاء بصفة الجنون .

٢٩ - قال فرعون لموسى : لئن اخلت لها غيرى لأجعلنك واحدا ممن عرفت سوء حالهم في سجونى . وقد لجأ إلى تهديده بهذا بعد أن يس من رفع آثار صنع الخالق .

٣٠ - قال موسى متلطفا لمعا في ايمانه : أتطمئني من المسجونين ولو جئتكم ببرهان عظيم يصدقني فما أقول !

٣١ - قال فرعون : فأت به الذى يشهد بنيتك ان كنت صادقا في دعواك ، قال ذلك لمعا في أن يجد موطن ضعف في حجته .

٣٢ - فأتى موسى عصاه في الأرض أمامهم ، فانقلب ثعبانا حقيقيا ، لا شيئا مزورا بالسحر يشبه الثعبان .

٣٣ - وأخرج موسى يده من جيبه آية ثانية ، فإذا هي بيضاء ، اشتد بياضها من غير سوء ، حتى يسر الناظرين .

٣٤ - قال فرعون لقومه : ان موسى لساخر فأتني في سحره . قال ذلك خشية أن يعضوا للحق الذى رأوه من موسى .

٣٥ - وقال فرعون أيضا : يريد هذا الساحر أن يقهرنى فيخرجكم من أرضكم ، وذلك تمريض على موسى ، إذ من أشق الأشياء مغارقة الوطن ، لا سيما إذا كانت قهرا ، وطلب الرأى بمن يبدونه ناسيا الوهية ، لقوة آيات موسى .

٣٦ - قال له قومه : أجل الفصل في أمرها ، وأرسل الجند في المدائن يجمعون لك السحرة من رعيتك ، فالسحر بما راض بالسحر .

يَكُلُّ حِمَارٌ عَلَيْهِ ❶ جَمِيعَ السَّحَرَةِ لِمَقِيَّتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ❷ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ❸ لَعَلَّنَا
تَلْبِغَ السَّحَرَةِ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ❹ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَهِنَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ❺
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ❻ قَالِ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ❼ قَالُوا حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا
بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ❸ قَالَتِ الْمَوَدَّةُ الْغُلْبَى ❶ قَالَتِ مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ❷ قَالَتِ السَّحَرَةُ
سَاجِدِينَ ❸ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ❹ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ❺ قَالِ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ

٣٧ - يأتوك بالعدد الكثير، وكلهم قد أجاد في السحر، ويفوق موسى عملا به ومارأنا عليه. وقصدوا بهذا التخفيف من قلق فرعون.

٣٨ - فجمع السحرة من كل أرجاء البلاد، وحدد لهم وقت الضحى من يوم الزينة للاجتماع بموسى.

٣٩ - وقال الناس - يبحث بعضهم بعضا على الاجتماع في اليوم المعلوم، لحضور الحفل المشهود -: « هل أنتم مجتمعون » أى اجتمعوا.

٤٠ - وأعلنوا توقعهم انتصار السحرة، فيثبتون على دينهم، حملا على الابهام والجد في مغالبة موسى.

٤١ - فلما جاء السحرة فرعون قالوا له: أيبكون لنا قبلك أجر عظيم ان كنا نحن الغالبين؟

٤٢ - قال فرعون: نعم لكم ما ذكرتم. ومع هذا الأجر العظيم تكونون من المقربين لدى، ومن أصحاب الجاه والسلطان.

٤٣ - قال موسى للسحرة - حينما جاء الوقت المحدد في اليوم الموعد - ألقوا ما تريدون القاهه من السحر.

٤٤ - فألقوا حبالهم وعصيم، وخيل للناس أنها حيات تسعى، وأقسموا بركة فرعون وقوته أنهم الغالبون.

٤٥ - فألقى موسى عصاه، فإذا هي حية عظيمة تبتهل ما كانوا يزورونه بالسحر من حبالهم وعصيم، متوهين أنها حيات تسعى..

٤٦ - فبادر السحرة بالسجود لله، حيثما أيقنوا أن أمر موسى ليس بالسحر.

٤٧ - قالوا مؤكدين فعل السجود بالقول: « آمنا برب العالمين ».

٤٨ - وبينوا أن رب العالمين الذى آمنوا به « رب موسى وهارون ».

كَبِيرُكَ الَّذِي عَلَى الْبَحْرِ فُلُوفٌ تَعْلَمُونَ ۚ لَا تَطْمَئِنُّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ غَلَبٍ وَلَا صَلْبِيكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٨﴾
 قَالُوا لَا صَبِيرٌ إِنَّا إِلَيْكَ رَبَّنَا مُتَقِلُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾
 * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَمْرِ يَمَادَى إِنَّكُمْ مُتَجَبَّوْنَ ﴿٦١﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٦٢﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ
 لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٦٣﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَاظِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَإِنَّا بِجَمِيعِ حَشِيرِهِمْ لَخَالِدُونَ ﴿٦٥﴾ فَأَتَرَجْنَهُمْ مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونِ ﴿٦٦﴾

٤٩ - قال فرعون - منكرا على السحرة إيمانهم بموسى قبل إذنه لهم ، مهددا إياهم على ذلك بأنه
 استأذمهم الذي عليه تلقوا فنون السحر ، وسيطعون ما سينزل بهم من المطاب - : لأطمئن أيديكم وأرجلكم
 من خلاف . أقطع اليمنى مع اليسرى أو العكس . ولأصلبكم أجمعين ..

٥٠ - قال السحرة : لا ضرر علينا بما يلحقنا من عذابك الذي توعدتنا به ، لأننا راجعون إلى نواب ربنا ،
 وهو خير نواب وخير عاقبة .

٥١ - انا نرجو أن يغفر لنا ربنا خطايانا التي أسلفناها ، إذ كنا أول المؤمنين في قومك .

٥٢ - وأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يسير ليلا بالمؤمنين من بني إسرائيل ، حينئذ لم تجد مصايرة موسى ،
 وقد نظم أمر الفريقين على أن يتقدم موسى بقومه ، ويتبعهم فرعون بقومه ، حتى يدخلوا مدخلهم من طريق البحر ،
 فيهلكهم الله .

٥٣ - فأرسل فرعون جنده في مدائن مملكته ، يجمعون الأتداء من قومه ، حينئذ علم بسير موسى ببني
 إسرائيل ، ليحول بينهم وبين ما يقصدون .

٥٤ - قال فرعون : ان بني إسرائيل الذين فروا مع موسى طائفة خسيئة في شأنها ، قليل عددها ، يثير بذلك
 الحمية في نفوس جنده .

٥٥ - وأتهم مع هذا قاعلون ما يثير غيظنا ، بمخالفة أمرنا والمخروج بشير اذتنا .

٥٦ - وإنا لجميع ، من عاداتنا الحذر واليقظة ، والحزم في الأمور .

٥٧ - فأخرجنا فرعون وجنوده من أرضهم الشبية بمجнат تجري من تحتها الأنهار ، فأهلكوا بهرهم عن
 الحق ، واثارتهم إلى الخروج وراء موسى ، بما جاء في الآيات الثلاث السابقة .



وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَالْجَبِينَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأَيِّهِ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَأَتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا

٥٨ - وأخرجناهم كذلك من كنوز الذهب والفضة والأماكن التي كانوا يقيمون فيها ، متعجبين بهاها وحسن مراقبتها .

٥٩ - مثل هذا الاخراج العجيب الذي وصفناه لك أخرجناهم ، وجعلنا هذا الملك وما فيه من ألوان النعيم لبني اسرائيل ، بعد أن كانوا معدمين .

٦٠ - بعد فرعون وقومه في السير ليلحقوا ببني اسرائيل ، فلققوا بهم وقت شروق الشمس .

٦١ - فلما رأى كل من الجمعين الآخر قال أصحاب موسى : ان فرعون وقومه سيذكركم ، فيزل بنا الهلاك .

٦٢ - قال موسى : ان معي عناية الله تلاحقني بالمحفظ ، وسيرشدني إلى طريق النجاة ، ليطمئنوا على سلامتهم ، ولتبتعد عن أذهانهم فكرة الادراك المفزعة .

٦٣ - فأوحينا إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه ، فانفلق البحر إلى اثني عشر طريقاً بعدد طوائف بني اسرائيل ، وكان كل طريق من هذه الطرق حاجزاً من الماء كالجبل العظيم الثابت .

٦٤ - وقربنا فرعون وقومه ، حتى دخلوا هذه الطرق وراء موسى وقومه .

٦٥ - وأنجينا موسى ومن معه بحفظ البحر متأسكاً ، حتى تم عبورهم .

٦٦ - ثم أغرقنا فرعون ومن معه باطباق الماء عليهم عندما تبعوهم .

٦٧ - ان في ذلك التصرف الآلهي العجيب لعبرة لمن أراد أن ينتفع ، وما كان أكثر القوم مصدقين .

٦٨ - وان خالقك ومريك هو القوى في الانتقام من الكذابين ، النعم بالرحمات على المؤمنين .

٦٩ - وأتى على الكافرين - أيها الرسول - قصة ابراهيم عليه السلام .

٧٠ - إذ قال لأبيه وقومه : أي شيء هذا الذي تعبدونه عما لا يستحق العبادة ؟ بقصد تنقيح عبادة الأصنام .

عَبِيدِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا
كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ إِلَّا رَبَّ
الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾
وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْخِفْ لِي

٧١ - قالوا يحيين بطريق المباهاة : نريد أصناما فنقيم على عبادتها دائما ، نطعمها ونعجدها .

٧٢ - قال ابراهيم : هل بسمعون دعاءكم ، أو يستجيبون لكم إذ تدعونهم ؟ يقصد بذلك التنبيه على فساد
سلوكهم .

٧٣ - أو يقدمون لكم نفعا إذا أطعتموهم ، أو يصيبونكم بضر إذا عصيتموهم ؟

٧٤ - قالوا : لا يفعلون شيئا من ذلك ، ولكن وجدنا آباءنا يعبدونها مثل عبادتنا ، فقلدناهم فما كانوا يفعلون .

٧٥ - قال ابراهيم - تيكيتا لهم - : أفكرتم فعلتم أى شئء تستمرون على عبادته ؟

٧٦ - أنتم وأباؤكم الأقدمون . أهو أهل لأن يعبد أم لا ؟ . لوتألمتم لعلتم أنكم فى الضلال المبين .

٧٧ - فإن ما تعبدونهم من دين الله أعداء لى ولكم ، فلا أعبدهم ، لكن خالق العالمين ومالك أمرهم وحافظهم
هو الذى أعبده ، وأتقرب إليه .

٧٨ - الذى أوجدنى من العدم فى أحسن تقويم ، ووهبنى الهداية لما يوصلنى إلى سعادتى فى الدنيا والآخرة .

٧٩ - وهو الذى أنعم على بالطعام والشراب ، وأقدرنى على تناولها والانتفاع بها ، حفظا لحياتى .

٨٠ - وإذا نزل بى مرض فهو الذى يشفى بى أسباب الشفاء ، وتقوى الأمر إليه .

٨١ - والذى يميتى إذا حل أجلى ، والذى يحيى مرة أخرى للحساب والمجازة .

٨٢ - والذى أطعم فى غفرانه وتجاوز عما فرط منى من المفوات فى الدنيا ، إذا جاء وقت الحساب .



بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لَائِي إِنَّهُ
كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ إِنْ مَأْكُنتُمْ تُعْبِدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصَرُونَ ﴿٩٢﴾ فَكُفُّوا فِيمَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٣﴾ وَجَنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٤﴾

٨٣ - قال ابراهيم عليه السلام داعيا : رب امنعني كمالا في العلم والعمل ، حتى أكون أهلا لحمل رسالتك
والحكم بين عبادك ، ووفقني لأنتظم في عداد الصالحين .

٨٤ - واجعل لي ثناء حسنا ، وذكرًا جليلا في الأمم التي تحيى بعدى ، يبق أثره بين الناس إلى يوم القيامة .

٨٥ - واجعلني من عبادك الذين منحتهم نعم الجنة ، ثوابا على إيمانهم بك وعبادتهم لك .

٨٦ - واجعل أبى أهلا للمغفرة بتوقيفه للاسلام ، وكان قد وعده بالاسلام يوم فارقه ، لأنه كان من المنحرفين
عن طريق الهدى والرشاد .

٨٧ - ولا تلحق بى هوانا أو خجلا بين الناس ، يوم يخرجون من القبور للحساب والمجازاة .

٨٨ - يوم لا ينفع أحدا مال يبذل ، ولا بنون ينصرون .

٨٩ - إلا من كان مؤمنا ، وأقبل على الله بقلب يريه من مرض الكفر والنفاق والرياء .

٩٠ - وأدنت الجنة ، وقربت من مكان السعداء ، فيسير إليها الذين انتقروا الكفر والمعاصي ، وأقبلوا على
الإيمان والطاعة في الدنيا ..

٩١ - وأظهرت الجحيم للنصرفين عن دين الحق ، حتى يكاد يأخذهم لها فيتصرون ..

٩٢ - وقيل لهم توبوا : أين ألفتكم التي كنتم تعبدونها من دون الله ؟

٩٣ - من دون الله وتزعمون أنها تشفع لكم اليوم ، هل ينفعوكم بنصرتهم لكم ، أو ينفعون أنفسهم
بانتصارهم ؟ لا شيء من ذلك ، لأنهم وأهلهم وقود النار .

٩٤ - فالتقوا في الجحيم على وجوههم ، ينقلبن مرة بعد أخرى إلى أن يستقروا في قاعها هم والذين أضلوههم
وأوقعوهم في النار والضلال .

٩٥ - ومهم أعوان ابليس الذين كانوا يزینون للناس الشرور والآثام ، أو الذين اتبعوه من عصاة الانس
والجن .

قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنَّ كَافِيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نَسُواكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلُّوا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ ﴿٩٩﴾ قَالَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صِدْقَ حَمِيدٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا زُرَّةً فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَبْتَ قَوْمٌ نُوْحُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنْتُمْ

٩٦ - قالوا متفرقون يخطئونهم - وهم يتخاصمون مع من أضلهم من معبوداتهم .

٩٧ - والله أن كنا في ديانا لنى نخطى واضح ، وجهل مطبق ، وزبح عن الحق الذى لا خفاء فيه .

٩٨ - إذ نسويكم أيها المعبودون من دين الله رب العالمين في استحقاق العبادة ، مع عجزكم وقدرته .

٩٩ - وما أوتعنا في هذا الهلاك إلا الجرمون الذين أضلونا عن سواه السبيل .

١٠٠ - فلا يوجد لنا شافعون يخلصوننا من العذاب كما توهمنا من قبل .

١٠١ - ولا صديق يتوجه لحاطم ، وإن لم يخلصهم .

١٠٢ - فيستنون لأنفسهم حينئذ رجعة إلى الدنيا ، ليكونوا من المؤمنين حتى ينجوا ..

١٠٣ - أن فيها ذكر الله من نيا إبراهيم لطفة وعبرة لمن أراد أن يتعظ ويعتبر ، وما كان أكثر قولك الذين تنلو عليهم هذا النبا مدعين لدعوتك .

١٠٤ - وإن ربك هو القادر على الانتقام من المكذبين ، المتفضل بالانعام على المحسنين .

١٠٥ - وذكر الله نيا نوح في قوله : كذبت قوم نوح رسالته ، وردوها عليه ، وهذا كانوا مكذبين لجميع رسل الله ، لاهلاد دعوتهم في أصوها وغايتها .

١٠٦ - كذبوا هذه الرسالة حين قال لهم أخوهم نوح - نسبا لا ديننا - محذرا : ألا تتقون الله فتركوا عبادة غيره .

١٠٧ - إني رسول الله اليكم لأهديكم إلى طريق الرشاد ، آمين على تبليغ هذه الرسالة .

١٠٨ - فخافوا الله ، وامتلوا أسرى فيا أدعوكم إليه من توحيد الله وطاعته .

١٠٩ - وماأطلب منكم أى أجر على ماأبدله لكم من النصيح والدعاء ، ما جزائى إلا على خالق العالمين وما لك أمرهم .

١١٠ - فاحذروا عقاب الله ، وامتلوا ماأمركم به .

لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ فِيْكَ يَنْحُوحٌ لَّنْكَوْنُ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذِبُونَ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَصًّا وَبَيِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَجْبِئْهُمْ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

١١١ - قال قوم نوح - يردون دعوته - : لن يكون منا إيمان لك في حال اتباع سفلة الناس وأقلهم جلالاً ومالاً لك .

١١٢ - قال نوح : أي شيء أعلمني ما هم عليه من قلة الجاه والمال ؟! إنما أطلب منهم الإيمان دون تعرض لمعرفة صناعاتهم وأعمالهم .

١١٣ - ما جزأهم على أعمالهم إلا على ربي ، فهو المطلع على براطنهم ، لو كنتم من أهل الشهور لعلمتم ذلك .

١١٤ - وما أنا بطارد الذين يؤمنون بدعوى مهملها كان حالهم من فقر أو غنى ، تلبية لرغبتكم كي تؤمنوا بي .

١١٥ - ما أنا إلا رسول من الله ، لإنتذار المكلفين إنذاراً واضحاً بالبرهان الذي يتميز به الحق من الباطل ، لا فرق بين شريف وضعيف ، فكيف يليق بي طرد المؤمنين لفقيرهم ؟!

١١٦ - قالوا : لأن لم ترجع يا نوح عن دعوتك ، لترجعتك بالمجاعة ، يقصدون بهذا القول تهديده بالقتل .

١١٧ - قال نوح مظهراً استمرار قومه على التكذيب بنداؤه : « رب ان قومي كذبون » ليبرر دعوته عليهم .

١١٨ - فاحكم بيني وبينهم حكماً تدين به من جسد توحيدك ، وكذب رسولك ، ولجئني ومن معي من المؤمنين من عذاب بهم .

١١٩ - فأجيبهم ومن آمن معه في السفينة المملوءة بهم ، وبما يحتاجون إليه ، استجابة لدعوته .

١٢٠ - ثم أغرق الله بعد الجاه نوح ومن آمن الباقين الذين لم يؤمنوا من قومه .

١٢١ - ان فيها ذكره القرآن من نبأ نوح ، لحجة على صدق الرسل وقدره الله ، وما كان أكثر الذين تنزل عليهم هذا القصص مؤمنين .

وَأَنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ أَتَيْتُكُمْ بِكُلِّ دِينٍ رَاسِدٍ ﴿١٢٧﴾ وَأَتَيْتُكُمْ بِكُلِّ صَنَاعٍ لَمَكٍ مَحْدُونٍ ﴿١٢٨﴾ وَإِذَا بَطَلْتُمْ بِطَنَتُمْ جِبَارِينَ ﴿١٢٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٠﴾

١٢٢ - وإن ربك هو العزيز الرحيم .

١٢٣ - كذبت قبية عاد رسوهم هودا عليه السلام ، وهذا كانوا مكذبين لجميع الرسل ، لاتخاذ دعوتهم في أصولها وغايتها .

١٢٤ - إذ قال لهم أخوهم هود : ألا تتقون الله فتخلصوا له العبادة ١٢ .

١٢٥ - إني مرسل من الله لهدايتكم إلى الرشاد ، حفيظ على رسالة الله ، أبلفها اليكم كما أمرني ربي .

١٢٦ - فامثلوا أمر الله ، وخافوا عقوبته ، وأطيعوا ما أمركم به من عند الله .

١٢٧ - وما أطلب منكم على نصحي وارشادي أي نوع من أنواع الأجر ، ما جزائي إلا على خالق العالمين .

١٢٨ - أنشيدون بكل مكان مرتفع من الأرض بناء شامخا تضاهون به ، وتجمعون فيه لعبثوا وتفسدوا . يريد سبحانه تنبيههم إلى ما ينفعهم ، وتوبيخهم على ترك الإيمان وعمل الصالحات .

١٢٩ - وتتخذون قصورا مشيدة ، منيعة ، وحياضا للياه ، مؤملين المخلود في هذه الدنيا كأنكم لا تموتون .

١٣٠ - وإذا أخذتم أخذ العقوبة أسرفتم في البنى جبارين ، تقتلون وتضربون غاضبين بلا رأفة .

١٣١ - فخافوا الله في البطش ، وامثلوا أمري فيما أذعركم إليه ، فإنه أنفع لكم وأبقى .

١٣٢ - واحذروا غضب الله الذي يسط اليكم يد انعامه ، بالذي تعلمونه بين أيديكم من ألوان عطائه .

١٣٣ - عدد ما أمعهم به من ايل وافر وغنم ، وبنين أقوياء ، ليحفظوا لهم الأنعام ، ويعينوهم على تكاليف

الحياة .

وَجَنَّتْ وَعَيُونٌ ﴿١٣٤﴾ إِنْ أَخَافُ عَلَيْكَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ
الرَّوْعِطِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَعْلَسْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَبَتْ ثُمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ صَلِّحُوا وَلَا تَنْتَقُونَا ﴿١٤٢﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ

١٣٤ - ويساتين مشعرات، وعيون تجري بالماء الذي تحتاجون إليه .

١٣٥ - إني أخاف أن ينزل الله بكم عذابا شديدا في الدنيا، ويدخلكم في الآخرة نار جهنم ، بسبب طغيانكم
وانعاصم الله عليكم .

١٣٦ - قالوا استغفانا به : سواء لدينا بالفت في وعظنا وانذارنا أم لم تكن من الواعظين .

١٣٧ - ما هذا الذي جئنا به الا كذب الأولين وأباطيلهم ، اعتادوا تلقين مثله ، فلا يرجع عما نحن فيه .

١٣٨ - وما نحن بمعذبين على ما يصدر منا من عمل .

١٣٩ - فاستمروا على تكذيبه ، فعاجلهم الله بالهلاك ، ان في ذلك الذي أنزله الله بعاد جزاء تكذيبهم لحجة
تدل على كمال قدرة الله ، وما كان أكثر الذين تتلو عليهم نبأ عاد مؤمنين .

١٤٠ - وان ربك هو القاهر للجبارين ، الرحيم بالمؤمنين .

١٤١ - كذبت قبيلة ثمود صالحا في رسالته ودعوته لهم إلى توحيد الله ، وهذا كذبوا جميع المرسلين ، لانهما
رسالاتهم في أصولها .

١٤٢ - اذكر لقومك - أيها الرسول - وقت أن قال ثمود أخوهم صالح في النسب والوطن : ألا تحششون الله
فتفردوه بالعبادة ؟!

١٤٣ - اني مرسل من الله اليكم بما فيه خيركم وسعادتكم ، حفظ على هذه الرسالة كما تلقيتها عن الله .

١٤٤ - فاحذروا عقوبة الله ، واستثلوا ما أدعوكم إليه من أوامره .

إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أُنْزِلَ كُنُوزٌ فِي مَآلِهِنَّاءِ آمِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَغِيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَحْلٍ
 طَلْعُهَا مَغِيصٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُونَا قَدْرِهِنَّ ﴿١٤٩﴾ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطْمَعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تَطْمَعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾
 الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ
 بِغَايَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ هَٰذَا شَرِبَ وَلَٰكُزْ شَرِبَ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَسْؤُوهَا بِسُوءِ
 مَا أَخَذَتْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَمَعَرُوهَا فَاصْبِرُوا نَعْلِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخْلَصَ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ

١٤٥ - وما أطلب منكم أى أجر على نصحي لكم وارشادى ، ما أجرى الا على مالك العالمين ..

١٤٦ - أنكر عليهم اعتقادهم البقاء فيهم فيه من النعيم ، أنين من العذاب والزوال والموت .

١٤٧ - فى حدائق مشرات ، وعين تجري بالماء الفرات .

١٤٨ - وزروع ياتصت ، ونخل ثمرها الذى يظهر منها لين تضيق .

١٤٩ - وتتخذون من الجبال يونا عاليات ، حاذقين تشطين فها تصنعن .

١٥٠ - فخافوا عقوبة الله ، لعدم شكرهم له على نعمه ، واقبلوا نصحي واعملوا به .

١٥١ - ولا تطمعوا أمر الذين أسرفوا على أنفسهم بالشرك واتباع الهوى والشهوات .

١٥٢ - الذين يعيشون فى أرض الله فسادا ، ولا يقومون فيها بإصلاح به تسعد البلاد .

١٥٣ - قالوا ما أنت إلا من الذين سحروا سحرا شديدا حتى غلب على عقولهم ، وفي هذا الرد عنف وسفاهة .

١٥٤ - ما أنت الا فرد مماثل لنا فى البشرية فكيف تتميز علينا بالتوبة والرسالة ؟ فإن كنت صادقا فى دعواك فأنت بمسجزة تدل على ثبوت رسالتك .

١٥٥ - قال لهم صالح - حيثما أعطاه الله الناقة معجزة له - : هذه ناقة الله أخرجهما لكم آية ، لها نصيب من الماء فى يوم فلا تشربوا فيه ، ولكم نصيب منه فى يوم أخر فلا تشرب فيه .

١٥٦ - ولا تلحقوا بها أنى ، فيهلككم عذاب عظيم .

١٥٧ - فذبحوا الناقة مخالفين ما اتفقوا عليه مع صالح ، فحق عليهم العذاب ، فأصبحوا على ما فعلوا نادمين .

أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِدٌ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذَّكَرَ مِنْ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَنْ لَدُنَّهِ يَنْلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لَعَلَيْكُمْ مِنَ الْغَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ

١٥٨ - فأهلكهم عذاب الله الذي توعدهم به صالح . ولم يدفع الندم عنهم عقاب جرمهم ، ان في ذكر قصتهم دلالة على قدرة الله على اهلاك الكافرين والنجاة المؤمنين ، وما كان أكثر قومك مؤمنين .

١٥٩ - وان خالقك هو القادر على اهلاك الجاحدين المتفضل بالنجاة المتقين .

١٦٠ - كذبت قوم لوط - حين دعوهم إلى توحيد الله وترك الشرك - جميع المرسلين .

١٦١ - اذكر لقومك أيها الرسول إذ قال لوط لقومه - وهو أخوهم وصهرهم - : ألا تخافون عذاب الله ؟

١٦٢ - اني مرسل لكم من الله بالدين الحق ، أمين على تبليغ هذا الدين .

١٦٣ - فاحذروا عذاب الله ، وامتنلوا أمرى في ما أدعوكم إليه .

١٦٤ - وما أطلب منكم أجرا على ما أدعوكم إليه من الهدى والرشاد ، ما جزاى الا على مالك الصالحين

ومريضهم .

١٦٥ - قال لوط : أستمعون بوطء الذكور دون الاناث ؟ يريد بذلك أن ينكر ما دأبوا عليه من ارتكاب هذه الفاحشة النكراه^(١) .

١٦٦ - وتتركون ما خلقه الله لتناعكم من أزواجكم المحالئل ، بل أنتم قوم متجاوزون الحد في الظلم بارتكاب جميع المااصى .

١٦٧ - قالوا غاضبين لانكاره ونشتمه عليهم بسبب تلك الرذيلة : لئن لم تترك توبيخنا لتكونن من المنفيين من بلادنا على أسوأ حال .

١٦٨ - قال لوط : انى لعليكم هذا من اليخضين ، فلا أتترك انكاره والتشنيع عليه .

(١) «أتأتون الذكور من المااليه» اللواط : أصلا هو جريعة فسق بشعة تنفزز منها الأسباع وتشر منها الطباع وتنزل بالآدمية إلى الحيض ، وتردى - أو شاعت - إلى تعطيل سنة الزواج وهي سنة طبيعية يتوقف عليها التناسل والتكاثر وعناية الأرض . وينتقل باللواط ما ينتقل بالزنا من الأمراض كالزهري والسلان والفرخة الرخوة وأمراض الجلد كالجلرب في الجلد ، ويحدث بالشرج علامات منها ضعف العضلة الحاصرة حتى أنها قد تفقد السيطرة على عملية التبرز ، فيحدث عن غير إرادة ومنها ترقق بالشرج وزواله

يَحْيَىٰ وَآهْلِي عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآجِرِينَ ﴿١٧٢﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٩﴾

١٦٩ - ونادى ربه : أن ينقذه وأهله عما يعمل هؤلاء الجاهلون ، حينما بش من استجابتهم له .

١٧٠ - فاستجاب الله دعاءه ، ونجاه ومن اتبع دعوته ، بإخراجهم جميعا من بيوتهم وقت نزول العذاب
بالمكذبين .

١٧١ - إلا امرأته العجوز بقيت ولم تخرج معه ، فهلكت ، لكفرها وخيانتها ، بمولاتها للفاسقين .

١٧٢ - ثم أهلك الله الكفرة الفجرة أشد هلاك وأفظه .

١٧٣ - وأنزل الله على شذاذ القوم حجارة من السماء ، فأهلكهم ، وكان مطرا هائلا في كثرته ونوعه ، فساء
مطر المنذرين مطرهم ، إذ نزل بأشد أنواع الهلاك .

١٧٤ - ان في ذلك العقاب الذي نزل بالقوم ، لحجة تدل على تمام قدرة الله ، وما كان أكثر قومك مصدقين
بدعوتك .

١٧٥ - وإن ربك هو الغالب على كل شيء المتصف بالرحمة الكاملة فيما قب اللذين ، وشيب المؤمنين .

١٧٦ - هذه قصة شعيب مع اصحاب الأيكة ، وهي غيضة تنبت ناعم الشجر بقرب مدين ، نزل بها جماعة
من الناس وأقاموا بها ، فبعث الله اليهم شعبيا كما بعث إلى مدين ، فكذبوه في دعوته ، وهذا كانوا منكبين لجميع
الرسالات .

١٧٧ - اذكر - يا محمد - لقومك وقت قول شعيب لأصحاب الأيكة : ألا تخافوا الله فتؤمنوا به ؟ ! فيأبوا
بتكذيبه .

١٧٨ - اني هاديكم وارشدكم مرسل من رب العالمين ، أمين على توصيل رسالته اليكم

١٧٩ - فاجتنبوا عقوبة الله ، وأطيعوا بأتباع أوامر الله وتقليص أنفسكم من الآم ..

١٨٠ - وما أطلب منكم على ارشادي وتعليمي أي أجر . ما جزائي الكامل في مقابلة عملي إلا على رب
العالمين .

« الأنبياء حوله ، فيغير ويشبه الفصح شكلا . والفرج مله بالكرويات الأخرى التي قد تستل إلى عصر الجاني فتحدث فيه التهابات في
مجرى البرق ، وقد يصحح المعنى عليه مختنا إذا لازمت هذه العبارة من صفه ، وقد يظهر على المكس أكثر رطوبة ليطش النفس عنه .
وقد نهي الله - سبحانه - عن هذه البرقية في كثير من الآيات وبين في بعضها حكمة من حكم هذا التحريم ، فقال : « أتأتون الذكران من
المالئح . وتزنيون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عاينون » .

* أُولَئِكَ الْكَافِرُونَ لَا يَتَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزُورُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحَيَلَةَ الْأُولَى ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نُنْطَلِقُ لَكِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّ أَعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَلَئِنَّهُ

١٨١ - أمرهم شعيب بإعطاء الكيل وافيًا، حيث كان يسبح بينهم بحس الكيل والميزان، ونقص حقوق الناس بالتطفيف والمخسران.

١٨٢ - وزوروا بين الناس بالميزان السوى، حتى يأخذوا حقهم بالعدل المستقيم.

١٨٣ - ولا تنقصوا الناس شيئًا من حقوقهم، ولا تعموا في الأرض مفسدين، بالقتل وقطع الطريق وارتكاب الموبقات وإطاعة الهوى.

١٨٤ - واحذروا عقوبة الله الذي خلقكم، وخلق الأمم القوية العاتية المنتظمة.

١٨٥ - قالوا: ما أنت إلا واحد من الذين أصابهم السحر أصابة شديدة، فذهب بمقولهم.

١٨٦ - وما أنت إلا واحد منا مساو لنا في البشرية، فكيف تميز علينا بالرسالة؟! ونحن نعتقد أنك من الراسخين في الكذب.

١٨٧ - فأسقط علينا قطع عذاب من السماء إن كنت من الصادقين في الرسالة... وهذا اقتراح تحته كل ألوان الإنكار.

١٨٨ - قال شعيب: ربي بالغ العلم بما تعملونه من المعاصي وبما تستحقونه من العذاب. ينزل عليكم في وقته المقدر له، وهذا منه متى التوفيق لله وغابته التهديد لهم..

١٨٩ - فاستمروا على تكذيبه، فسلط الله عليهم الحر الشديد، فكانوا يفرزون منه إلى غير محي، إلى أن أظلمت سحابة من الشمس فاجتمعوا تحتها، فأسقطها الله عليهم نارا فأهلكهم جميعا في يوم شديد الهول.

١٩٠ - إن فينا نزل بأصحاب الأيكة من العقوبة - جزاء قردهم - لدليل على كمال قدرة الله، وما كان أكثر عومك مصدقين.

١٩١ - وإن ربك هو المتفرد بالقوة والغلبة. المنعم بالرحمات على المؤمنين.

لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلٰى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَلَهُتَوَلَّى زُبُرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ وَلَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْضَةٌ وَهُمْ لَا يَسْعَوْنَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

١٩٢ - وان هذا القرآن الذى ذكرت فيه هذه القصص الصادقة منزل من خالق الصالحين ومالك أمرهم وبريهم ، فغيره صادق ، وحكمه نافذ إلى يوم القيامة .

١٩٣ - نزل به الروح الأمين ، جبريل عليه السلام .

١٩٤ - على قلبك متمكنا من حفظه وفهمه ، مستقرا في قلبك استقرار ما لا ينسى ، لتنذرهم بما تضمنته من العقوبات للمخالفين .

١٩٥ - نزل به جبريل عليك بلغة عربية ، واضحة المعنى ، ظاهرة الدلالة فيما يحتاجون إليه في اصلاح شؤون دينهم ودنياهم .

١٩٦ - وان ذكر القرآن والأخبار عنه بأنه من عند الله نزل على محمد - ﷺ - ثابت في كتب الأنبياء السابقين .

١٩٧ - أكفر هؤلاء المماندون بالقرآن ، وعندهم حجة تدل على صدق محمد - ﷺ - وهى علم علماء بنى اسرائيل بالقرآن كما جاء في كتبهم ١١ .

١٩٨ - ولو نزلنا القرآن على بعض من الأعجميين ، بقدر على التكلم بالعربية ولا يفصح بها ، فلا ينوهم اتهامه باختراعه .

١٩٩ - فقرأه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادة لكفروا به ، وانتحلوا لجهودهم عنرا .

٢٠٠ - أدخلنا التكذيب في قلوب اليهودين ، وقرئناه فيها ، مثل تقريره في قلوب من هم على صفتهم .

٢٠١ - فلا سبيل إلى أن يتفهموا عما هم عليه من جهوده ، حتى يعاينوا العذاب الشديد الذى وعدوا به .

٢٠٢ - فينزل بهم العذاب فجأة من غير توقع ، وهم لا يشعرون بقدومه .

٢٠٣ - فيقولون عند نزول العذاب : « هل نحن منظرون » تحسرا على ما فاتهم الايمان وطلبا للامهال ، ولكن لا يجابون .

أَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا هَأَنُورُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرٌ وَمَا نَحْنُ بِظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنْ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاثَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّكُمْ مَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ أَلَدَىٰ

٢٠٤ - قال تعالى أغر كفار مكة امهالي ، فيستعجلون نزول العذاب ١٢ يريد سبحانه تسفيه عقولهم بسبب استعجالهم العذاب أثر تكرار انذارهم وتحذيرهم .

٢٠٥ - أفكرت فقلت أن متعناهم بالحياة سنين طويلة مع طيب العيش ؟

٢٠٦ - ثم نزل بهم العذاب الموعود .

٢٠٧ - ما يدفع عنهم قمتهم بطول العمر وطيب العيش من عذاب الله شيئاً ، فعذاب الله واقع عاجلاً أو أجلاً ولا خير في نعم ببقية عذاب .

٢٠٨ - وسنتنا في الأمم جميعاً أننا لم نزل هلاكاً بأمة إلا بعد أن نرسل إليها رسلاً ينذرونهم إزماً للحجة .

٢٠٩ - تذكرة وعبرة ، وما كان شأننا الظلم فنضرب أمة قبل أن نهت إليها رسولا

٢١٠ - نفي القرآن ما قاله كفار مكة من أن نحمد نابعا من الجن ، يلي القرآن إليه فقال : وما نزلت الشياطين بهذا القرآن .

٢١١ - وما يميز لهم أن ينزلوا به ، وما يستطيعون ذلك .

٢١٢ - انهم عن سماح القرآن الذي ينزل به الوحي على محمد - ﷺ - لهجويون .

٢١٣ - فترجه إلى الله مستمرا على اخلاصك له في العبادة ولا تخم بفساد زعم المشركين وسوء مسلكهم . ودعوة الرسول إلى هذا اللون من الاخلاص دعوة لأفراد أمته جميعا .

٢١٤ - وخوف بالهذاب على الشرك والمعاصي الأقرب فالأقرب من عشيرتك .

٢١٥ - وألن جانبك لمن أجاب دعوتك بالإيمان .

٢١٦ - فلن عصوك ولم يتبعوك قترأ منهم ومن أعاليهم : من الشرك وسائر المعاصي .

٢١٧ - وفوض أمرك إلى القوى القادر على قهر أعدائك بعزته ، وعلى نصرتك ونصرة كل مخلص في عمله برحمته .

بِرَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلِبُكَ فِي السَّجْدِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ عَلَىٰ مَا تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسِعِلْمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

٢١٨ - الذى يراك حين تقوم الى التهجّد وأعمال الخير .

٢١٩ - ويرى تصرفك فيما بين المصلين ، بالقيام والقعود والركوع والسجود ، حين تؤمهم فى الصلاة .

٢٢٠ - انه سبحانه هو السميع لدعائك وذكرك ، العليم بنيتك وعملك . وكأنه سبحانه يقول له : هون على نفسك مشاق العبادة ، فأنت تعمل بما رأى وسمع منا .

٢٢١ - قال المشركون : ان الشياطين تلى السمع على محمد ، فرد القرآن عليهم : هل أخبركم على أى الأفراد تنزل الشياطين ، وتلقى الوسوس ؟!

٢٢٢ - تنزل على كل مرتكب لأقبح أنواع الكذب وأشنع الآثام ، وهم الكهنة الفجرة الذين بين طباعهم وطباع الشياطين نجاس ووقاق .

٢٢٣ - يلقون أسماعهم إلى الشياطين ، فيتلقون منهم ظنوننا ، وأكثرهم كاذبون ، حيث يزيدون فى القول على ما تلقىه الشياطين .

٢٢٤ - قال الكفار : ان القرآن شعر ، ومحمد شاعر ، فأبطل الله هذا بادبات أن القرآن ملء بالحكم والأحكام ، فأسلوبه ينافى أسلوب الشعر الذى يقوم على الباطل والكذب ، وبين أن حال محمد - ﷺ - بنافى حال الشعراء ، فهو ينطق بالحكمة ، وهم ينطقون بالزور ، وهذا حال أغلب الشعراء .

٢٢٥ - ألم تر أنهم فى كل واد من أودية القول يمينون على وجوههم ، فلا يمتدنون إلى الحق ؟

٢٢٦ - وأنهم يقولون بألسنتهم ما لا يلتزمونه فى عملهم .

٢٢٧ - لكن الذين اهتدوا بهدى الله وعملوا الصالحات حتى تمكنت فيهم ملكات فاضلة ، وذكروا الله كثيراً حتى تمكنت خشية من قلوبهم . هؤلاء يميلون الشعر كالدواء بصيب الداء ، ويتصرفون لدينهم وإقامة الحق إذا جور على الحق ، وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وهجاء الرسول أى مرجع من مراجع الشر والهلاك يرجعون إليه .

سُورَةُ الْفَاكِكَةِ وَأَنشَاءُهَا ثَلَاثٌ وَتَسْتَجِزُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُعِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

سورة الفلك مكية ، وعدد آياتها ثلاث وتسعون آية .

وقد ابتدأت بالحروف الصوتية ، تنبيها لمؤلة القرآن الذي يجانس كلام العرب ، ومع ذلك أعجزهم ، وهي فوق ذلك تنبيه لمن يتغافل عن الاستماع . وجاءت بعد ذلك بقصة موسى ، وذكر بعض معجزاته عليه السلام ، وقصة داود عليه السلام وورائته لوالده سليمان الملك . وحشر الجن والانس والطير له ، وفهمه عليه السلام لكلام الحيوان ، وشكره هذه النعمة ، ثم غيبة المهدي ، وبجئته بقصة بلقيس ، وعبادتها وقومها للشمس ، وارسال سليمان عليه السلام إليها كتابا ، وردها عليه بهدية بعد استشارتها قومها ، وانحسار عرشها عن طريق من عنده علم من الكتاب ، ودخولها قصر سليمان الذي أحشها ، فأعلنت طاعتها وإيمانها به .

وقد ذكرت قصة صالح مع قومه ، وقصة لوط عليه السلام وقومه ، ونجاته وأهله واهلاك الفاسقين . ونهيت السورة الكريمة إلى ما في خلق السموات والأرض من دلائل على قدرته ووعدانيته .

وأشارت إلى مقام القرآن الكريم في الدعوة ، واعراض المشركين عنه مع كمال اعجازه وذكرته ما سيكون من خروج دابة تكلم الناس أنهم كانوا بآياتنا لا يوقنون . ثم وجهت الأنظار إلى الكون ، وكيف فزع كل من فيه عند النفع للبهت والانشور . ونهيت إلى حال الأرض وأن جبالها تمرر السحاب . ورحمت ما يتبعه الرسول في دعوته ، وجوب أن يحمده الله سبحانه .

١ - طس - حرفان صوتيان ابتدأ بهما السورة الكريمة تنبيها إلى سر الاعجاز في القرآن مع الإشارة إلى أنه من جنس ما يتكلمون ولتنبيه الأذهان للاستماع إليه .

تلك آيات المنزل مفردة تنلونه ، وهو كتاب مبين لما جاء به .

٢ - وهو هاد للمؤمنين إلى طريق الخير والفوز في الدنيا والآخرة ، ومبشر لهم بحسن المال .

الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ① إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ②
 أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ③ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ
 عَلِيمٍ ④ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ قَبْسٍ لَعَلَّكُمْ
 تَصْطَلُونَ ⑤ فَلَمَّا جَاءَهُ نَادَى أَنْ يُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْهَا وَسَبَّحَنَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ⑥ يَمْشُونَ
 اللَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑦ وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُعِيبٌ يَمْشُونَ
 لَا يَخْفَى لِي لَأَيِّخَافَ لَدَى الْمَرْسَلُونَ ⑧ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ ⑨ وَأَدْخِلْ

٣ - الذين يؤدون الصلاة في خشوع مستوفية الأركان، ويعطون الزكاة في أوقاتها، وهم يوقنون بالحياة الآخرة، وما يكون فيها من ثواب وعقاب.

٤ - ان الذين لا يؤمنون باليوم الآخر، زيناهم أعمالهم بخلق الشهوة فيهم، فهم يتردون في ضلالهم.

٥ - أولئك الذين لهم العذاب السيئ، وهم في الآخرة أشد الناس خسرانا.

٦ - وإنك أيها النبي لتلقى القرآن الذي ينزل عليك من لدن من لا يداني في حكمته، وقد أحاط بكل شيء علما.

٧ - اذكر حين قال موسى لزوجه ومن معه وهو عائد إلى مصر: اني أبصرت نارا، سأتيكم منها بخبر عن الطريق، أو أتيكم بشعلة مضيئة نارا مقبوسة، لعلكم تستدفئون بها من البرد.

٨ - فلما وصل إليها نادى: أن يورك من في مكان النار ومن حوها. وهم الملائكة وموسى. ونزه الله رب العالمين عن كل ما لا يليق به.

٩ - يا موسى اني أنا الله المستحق للعبادة وحده، الغالب على كل شيء، الذي يضع كل أمر في موضعه.

١٠ - وفي سبيل أن تؤدي دعوتك ألق عصاك، فلما ألغها ورأها تهاز كأنها حية خفيفة سريعة، أعرض عنها راجعا إلى الوراء، ولم يعد إليها بعد أن أدبر عنها، فطمأنه الله تعالى بقوله: لا يخف اني لا يخاف عندى المرسلون حين أخطأهم^(١).

١١ - لكن من عمل شيئا غير مآذون له فيه، ثم بدل حسنا بعد هفوة، فإن كثير المغفرة عظيم الرحمة..

(١) ذكرت قصة موسى أكثر من مرة في القرآن، وفي بعضها يختلف ما سيذكر في غيره، ولكل جزء مناسبة، ففي هذا الجسر، إزالة استغراب أن يرعى إلى النبي ﷺ.

بَذَلَ فِي جَبِيكَ تَحْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي نَسَجِ أَيَّتَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَلْسِقِينَ ﴿١٧﴾
 فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَتُنَا بِمِصْرَةَ قَالُوا هَذَا بَحْرُ مِائِينَ ﴿١٨﴾ وَجَحْدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُبًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ
 كَيْفَ كَانَ عَذَابَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ سُلَيْمَنَ عَلِيًّا وَقَالَ لَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ
 مِمَّنْ جَبَدَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَبْنَائِيَا النَّاسَ عَلَيْنَا مَنَطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
 إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿٢١﴾ وَحِشِرَ سُلَيْمَنُ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٢٢﴾
 حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ مَلَكَةٌ يَبْنَائِيَا انْمُلُوا ادْخُلُوا مَسْكَنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
 لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٣﴾ فَنَبَسَ بِسَاحِكٍ مِنْ قَوْمِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ

١٧ - وأدخل يدك في فتحة ثوبك تخرج بيضاء من غير برص، في جملة نسيج معجزات^(١)، مرسلًا إلى فرعون وقومه، انهم كانوا قوما خارجين عن أمر الله كافرين.

١٨ - فلما جاءت هذه المعجزات واضحة ظاهرة قالوا: هذا سحر واضح بين.

١٩ - وكذبوا بها منكرين لدلائلها على صدق الرسالة، وقد وقع اليقين في قلوبهم، ولكنهم لم يذعنوا لاستعلاهم بالباطل وطمعانيهم، فانظر أيها النبي كيف كانت عاقبة الذين دأبوا على الفساد، فكفروا بالمعجزات وهي واضحة؟
 ٢٠ - هذا طيفان فرعون بسبب ملكه، فانظر إلى السلطان العادل، سلطان الحكم وسلطان الثبوت في داود وابنه سليمان عليها السلام، لقد آتيناها عليا كبيرا بالسرعة ودراية الأحكام، فأقاما العدل وحيدا الله الذي منحها فضلا على كثير من عباده الصادقين المذنبين للحق.

٢١ - وقد آل الملك والحكم من داود إلى سليمان ابنه، وقال: يا أيها الناس علمنا لفسة الطير، وأوتينا كثيرا مما يحتاج إليه في سلطانتنا، أن هذه النعم هي الفضل الواضح الذي خصنا الله به^(٢).

٢٢ - ولجميع سليمان جنوده من الجن والانس والطير في صعيد واحد، فهم يجيئون أولهم على آخرهم حتى يكونوا جيشا منتظا خاضعا.

٢٣ - حتى إذا بلغوا وادي النمل قالت ملكة: يا أيها النمل ادخلوا مخافتكم، لكيلا يتيكم جنود سليمان وهم لا يشعرون بوجودكم^(٣).

(١) تلك النسيج هي: ثياب البحر والظفران - والجراد - والقمل - والفضفوخ - والدم - والذهب - والفضة - وإخراج اليد بيضاء من غير سوء.

(٢) «ورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطلق الطير وأوتينا من كل شيء، إن هذا هو الفضل المبين»: سليمان عليه السلام عن ابن داود، وهو تيم رماله منه، عاش من حوالي سنة ٩٧٤ إلى ٩٢٧ ق. م. أنصحه الله تعالى بمعرفة لغة الطير. وقد دلت الأبحاث الحديثة على أن لكل جماعة من الطير طريقة خاصة يتفاهم بها أفراد منها البعض، ومنها الصوت، ومنها الإشارة.

(٣) «حتى إذا أتوا على واد النمل قالت ملكة يا أيها النمل ادخلوا مسكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون»: ينضح من هذه الآية التذرية أن النمل يعيش في جماعات، أي أن له جمعا وأن له خصائص البنية والمنزل... وقد عرف بعض النمل منذ القدم خصائص عدة تشهد بأن له جمعا منتظا له نظام دقيق في الحكم وأنه على قدر كبير من الذكاء والتعلم وقوة الذاكرة وبسبب القليل والتأثير، والجهل الذي لا يعرف الكلل ولا التلاشي، كما عرف حنة بنت الحلي لما تقوم به من أعمال، ورأى ذلك أن جمعت النمل هو الرجوعيون للخرافات الحلية بعد الإنسان الذي يقوم بدفع موته، وتحرس جماعات الحفلة على الانقضاء في

صَلَحًا تَرْضَهُ وَأَدِخِلْنِي رَحْمَتَكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَقَدَّرَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى أَشْهَدَهُ أَمْ كَانَ مِنْ
الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَا عَذِيبَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْجَعُهُ أَوْ لِيَايُنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَكَتَّ غَيْرَ عَبِيدٍ فَقَالَ
أَحْطُ بِمَا لَمْ أَحِطُ بِهِ ۖ وَجِئْتُكَ مِنْ سَلَمٍ بَلِيغٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَحْكُمُهُمْ وَأَوْثِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَمْتَدُونُ ﴿٢٤﴾ أَفَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُحْفَوْنَ وَمَا

١٩ - فتقسم سليمان ضاحكا من قول هذه القلة الحريصة على مصالحها، وأحس بنصحة الله تعالى عليه وقال :
يا خالي الهني أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي وعلى والدي، ووفقني لأن أعمل الأعمال الصالحة التي ترضاه،
وأدخلني برحمتك السابعة من عبيدك الذين ترضى أفعالهم .
٢٠ - وتعرف جنوده من الطير فلم يجد المهدد، فتصجب وقال : مالي لا أرى المهدد ؟ أهو يبتنا ولم يقع عليه
نظري، أم هو غائب عنا ليس يبتنا ؟
٢١ - والله لأزلن به عذابا شديدا يردعه، أو لأذجنه إن كان الذنب عظيما، إلا أن يأتيه بحجة بينة تبرر عيابه
عني .

٢٢ - وكان المهدد قد مكث في مكان غير بعيد زمانا غير مديد، ثم جاء إليه سليمان يقول له : قد أحطت علما
بما لم يكن عندك علم به، وجئتكم من سبأ بخبر ذي شأن عظيم وهو مستيقن به^(١) .
٢٣ - إني وجدت في أهل سبأ امرأة تحكمهم، وأوثقت من كل شيء من أسباب الدنيا، ولها سرير كبير بدل على
عظمة ملكها وقوة سلطاتها .

٢٤ - وجئتها هي وقومها يعبدون الشمس ولا يعبدون الله، وحسن لهم الشيطان أفعالهم فظنوها حسنة وهي
السوء، ففسرهم بذلك عن سبيل الحق، فهم لا يمتدنون .

صعيد وأسد من حين إلى آخر، ولها خصص أياما معينة لإقامة سوق لجميع نيه جامعات لبيع السلع والصلوات، وهذه الجماعات حين تقع تصاحب أطراف
الحديث بإعلام بالغ وسائل بعضها البعض أسئلة تتصل بشئونها . . ومن مظاهر مجتمعها للتقارب ناهيا بشروعات جامعة مثل إقامة الطرق الطويلة، في إزادة
ومنازلة، وتبرير العجوة، ولا تتكلم هذه الجماعات بالصلب تبارا بل تواسله لئلا في اللبالب القصة ولكنها تترجم مستعصما في اللبالب المصلحة، وأضاحه هذا المجتمع
في جمع المفراد النهائية وحلها وإفريقيا والمحافظة عليها طرق غريبة في نزعها، فإلا لم تستطع إلا حل ما جمعه في فيها كقولها لكبر حجمه حركة بأرجلها الخفيفة
ورفعه بأرجلها، ومن عاداتها أن تقسم المجدور وتلقى بعض الحبوب قبل كثرها حتى لا تعود إلى الإزبات مرة أخرى، ويجزوه البذور الكبيرة لكي يسهل
عليها إدخالها في مسرعتها، وإذا ما أبلت بمل الطير أخرجها إلى المراء والشمس كتيب .

(١) فكث غير بعيد فقال أحطت يا لم خط به وجئتكم من سبأ بتيأ يتن، إني وجدت امرأة تحكمهم وأوثقت من كل شيء ولها عرش عظيم . وجئتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أفعالهم فقصم عن السبيل فهم لا يمتدنون : هذه هي الآيات الخاصة بملك سبأ، وسبأ هي إحدى
ملكه بلاد العرب الجنوبية المسماة بآمن المعرفة في العالم القديم وبالبرية الحديثة وتشتهر هذه النسبة الأخيرة إلى قدم إبن وثرانها، فلقد كان لها حضارة
واقية منذ آلاف السنين قبل الميلاد، قامت على الزراعة . وذلك حسب أبحاثها، وملامحة ما فيها، وكذلك على التجارة لتوسطها بين الهند والهندسة والعصر
والعلم والفران، ولما إن السدود المتشعبة غرن البلاد وتصريفها وأنهرها سد ما به، وانظر سيل الهرم، الآية ١٦ من سورة سبأ، والذين للصحة والقصود
والجبال القلعة حين كان في أمانيها تشهد إلى اليوم بما كانت تستع به هذه البلاد من تقدم أبحاثها وفرا .

وإن التفرش التي خلقها حكمهم ومن بين تلك التفرش مجسدة من القزبان التي تلتفت شفتين للكمة المصارية وهيها عديم لتدل كل اللامعة على مبلغ
ما وصلوا إليه من حضارة زاهرة، وملكه سبأ التي كانت في أرجل أرضها على أيام سليمان - عليه السلام - . حوال القرن العاشر قبل الميلاد، كان الحكم نيبا -
شأنها شأن ملكة حكم نيبا - ملكا وراثيا يرثه الأبناء من الآباء، ومن كان كانت تحكمها على أيام سليمان - عليه السلام - ملكة اختطف للمزخون في أمها، ويطبق
عليها العرب بالقبس . . يهاونوا شيخ الملكة الأثرياف كنبطى شوري ها وانظر الآيات من ١٨ - ٢٣ . من سورة المل، وإم بيت الطريق إلى ملكة سبأ كانت
دقة فتح بل ملكة تجارة وقرافل، ولا نجد للعرب أو للفتح ذكرا في آثارها إلا قليلا، ولما فإن مهمة جيوشها كانت حفظ البلاد وحمايتها وسراة الدفائل في
الغالب . . وكان السبيون وكثير من يمدون الشمس على امر ما ورد في الآية الترفيق رقم ٢٤ من هذه السورة . . والشمس وما علم الحكم، وكثيرا يمدون لها
الفران ويجزونها البذور في حياكلها .

تَطْلُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾
 أَذْهَبَ بِكَ نَحْنُ هَذَا فَاقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِلَيَّ الْقِيَ
 إِلَى كَيْتَبٍ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأُتُوْا مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾
 قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْوَنُ فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ فَاطِمَةً أَمْرًا حَتَّى تَتَّهَدُونَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأُولَا بَأْسًا
 شَدِيدًا وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا
 أَذْلًا وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ
 أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ لِّمَنْ أَتَيْنَاهُ خَيْرٌ مِّمَّا أَتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ

٢٥ - الا يسجدوا لله تعالى، وهو الذى يخرج الخبوة فى السموات والأرض، ويسلم ما تسرون
 وما تظهرون ؟

- ٢٦ - الله لا معبود بحق سواه، صاحب السلطان المطلق العظيم على كل ما فى الوجود.
- ٢٧ - قال سليمان مخاطبا المهدي: ستحرى خبرك هذا، أصدقت فيه أم كنت من الكاذبين ؟
- ٢٨ - انذب بكتفى هذا فأوصله إليها وإلى قومها، ثم تنح عنهم متواريا فى مكان قريب، لتظهر فيها يرجع به
 بعضهم إلى بعض ويرددونه من قول.
- ٢٩ - وصل الكتاب إليها فجمعت أشرف قومها، ونوى شوراهما، وقالت: يا أيها الملأ أئني قد وصل إلى
 كتاب عظيم الشأن.
- ٣٠ - ثم تلت الكتاب عليهم، أنه مفتتح باسم الله ذى الجلال والانعام، الذى يفيض برحمته دائما على خلقه.
- ٣١ - لا تتكبروا على، وأتوئ متقادين خاضعين.
- ٣٢ - قالت لمجلس شوراها: يبنوا لى الصواب فى هذا الأمر الخطير الذى عرض لى، فإني لا أبت فى أمر
 حتى يكون يحضركم.
- ٣٣ - قالوا مطمئنين لها: نحن أصحاب قوة بدنية وأهل نجدة وشجاعة، لا نخاف الحرب، فانظري فى الأمر
 الذى تأمرينا به، فانا مطيعون.
- ٣٤ - قالت مرتبة مسالة: ان الملوك إذا دخلوا مدينة عظيمة يبيوشهم أفسدوها، فانهبوا عمرانها، وأبادوا
 الحرث والنسل، وأسلمهم كذلك دائما.
- ٣٥ - رافى ايثارا للسلم والعاقبة مرسله إلى سليمان وقومه هدية، ومنتظرة ما يرجع به الرسل، بقبول الهدية
 أم بردها.
- ٣٦ - وصل الرسل إلى سيدنا سليمان بالهدية، فقال لهم شاعرا بأنهم الله تعالى عليه، مخاطبا لها ولقومها فى
 مواجهة رسلها: أتمطوئنى مالا ؟ فأعطانى الله من النبوة والملك والنعمة أعظم مما أتاكم، بل أنتم بهديتكم
 وكثرة أموالكم تفرحون لا مثلى، لأنكم لا تعلمون الا ما يتلق بالدينيا.

لَا جَبَلٌ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَبْنَائِبَا الْمَلَأُوا أَيْكُرَ بَابَتَيْنِي بِعَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفِيتَ مِنَ الْجِنِّ أَنَا وَأَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقْعَدِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي رَبِّي لِيُطَوِّقَ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَنْتَبِهِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَنْتَبِهُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مَنْ قَبْلُهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ

٣٧ - وقال مخاطب المتكلم باسمهم : ارجع أيها الرسول الهم ، فوالله ثنائيسهم مجنود لا طاقة لهم بمقاومتها بمقابلتها ، ولنخرجهم من سبأ فاقدي العز ، وهم مستعبدون

٣٨ - اتجه سليمان إلى الاستعانة بن سخرهم الله له من الانس والجن ، ليفاجئها بأمر غريب ، فقال : أيكم يأتي بعرضها العظيم قبل أن يأتوني خاضعين منقادين ؟

٣٩ - قال مارد من الجن : أنا أتيك به . وأنت في مجلسك هذا قبل أن تقوم منه ، وإني لقادر ، أمين في قولي وفعل .

٤٠ - قال الذي آناه الله قوة روحية وعلماً من الكتاب : أنا أتيك بهذا العرش قبل أن تحرك أجنحتك ، وقد نفذ ما قال . فلما رأى سليمان العرش ثابتاً عنده غير مضطرب قال : هذا من فضل الله الذي خلقني وأمّنني بحجيره ليختبرني أشكر هذه النعمة أم لا أؤذي حقها ، ومن شكر الله فأنما يحيط عن نفسه عبه الواجب ، ومن يترك الشكر على النعمة فإن ربي غني عن الشكر ، كريم بالانعام .

٤١ - قال سليمان لحاشيته : أخفوا عنها العرش يبعث التنير في مظاهره ، لئلا ، أنعرفه مهتدي إليه أم لا تعرفه فلا تهدي إليه ؟

٤٢ - فلما أقبلت ، وجهت نظرها إلى عرشها ، فقيل لها : أهذا مثل عرشك ؟ فقالت لكالم التشابه : كأنه هو . وقال سليمان ومن معه : أوتينا العلم بالله وبقدرته وبوصحة ما جاء من عنده مثل علمها وكنا قوماً منقادين لله مخلصين العباد له .

٤٣ - وصرفها عن عبادة الله ما كانت تعبد من آلهة غير الله تعالى من شمس ونحوها ، إنها كانت من قوم كافرين .

قَوَّارِيرٌ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ نَمُودُ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَلْقَومُ لِمَ تَسْتَعِجِلُونَ بِالْأَيِّتِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيعُوا نَايِكَ وَيَمْنُ مَعَكُمْ ۖ قَالَ عَلَيْكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ نِسَاءٌ يَهْجُرْنَ هَذِهِ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصَلُّونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَ لِوَلِيِّهِ مَاتَ بَدْنَا مَلَكَ أَهْلَهُ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ ۖ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ۖ إِنَّا فِي ذَلِكَ

٤٤ - قيل لها من بعد ذلك : ادخل قصر سليمان ، وكان صحنه من زجاج تحته ماء يسبح فيه السمك ، فكشفت عن سائتها ، تحسب ما تمر فيه ماء فتنها سليمان إلى أن الصحن أملى مكن من زجاج ، فراعها ذلك النظر المادى ، وعلمت أن ملكها لا يساوى شيئاً بجوار ملك سليمان النبي ، فقالت : رب انى ظلمت نفسى باغترارى بملكى وكفرى . وأذعنت فى صعبة سليمان مؤمنة بالله تعالى خالق العالمين ومربيهم والقائم عليهم .

٤٥ - ولقد بعثنا إلى نمود أخاهم صالحاً ، بأن وحدوا الله ، فسارعوا إلى الاختصام والاختلاف ، وصاروا فريقين ، أحدهما مؤمن والآخر كافر .

٤٦ - قال صالح ناصحاً لهم : يا قوم لم تستعجلون بالمذاب الذى توعدون قبل التوبة ، فلا تطلبون المغفرة من ربكم وتؤمنون به رجاء أن ترحموا ؟

٤٧ - وقالوا : تشامتنا بك أنت ومن معك وأصابنا القحط ، قال : أسباب الخير والشر الذى نزل بكم انما كان من عند الله . بل أنتم قوم تحضرون بالسراء والضراء ، لعلكم تؤمنون .

٤٨ - وكان زعماء الشر فيهم نسة ، يفسدون بأرائهم ودعائهم فى الأرض ، وليس من شأنهم عمل الصالح .

٤٩ - قال أولئك المشركون بعضهم لبعض : تبادلوا القسم بالله لتفنين عليه هو وأهله وتقتلهم ، ثم تقول لولى دمه : ما شهدنا هلاكه ولا هلاك أهله ، وأنا لصادقون فيما ذكرنا .

٥٠ - دبروا الفتك بصالح وأهله ، والله من ورائهم قد دبر النجاة لئيه وأهله والهلاك لهم وهم لا يشعرون بتدبير الله .

٥١ - فانظر أيها النبي إلى عاقبة تدبيرهم وتديبرنا لنبينا ، أنا أهلكتهم وقومهم أجمعين .

لَا يَاقَوْمُ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَعْبَدُوا الَّذِينَ أَسْمَأُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ لَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفِتْنَةَ وَأَنْتُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَهَيْسَرُ لَنَا تَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ * كَأَنَّ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَرْجُوا أَنَّ لَوْ ط مِنْ قَرَيْتُكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْظُرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَعْبَدُوا أَهْلَهُمْ إِلَّا أَمْرًا هُمْ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَيْرِ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ۚ اللَّهُ خَبِيرٌ أَمَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمِنْ خَلْقِ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا

٥٢ - فانظر إلى آثارهم تجد بيوتهم ساطعة متهمة ، بسبب ظلمهم وكفرهم وارادتهم الشر لنبيهم ، ان فيا فعل بشمود لاية لقوم يعلمون قدرتنا فيمتعون .

٥٣ - وأعجبنا الفريق المؤمن بصلح من هذا الملاك وكانوا يتقون ترك أوامره .

٥٤ - واذكر أيها النبي لوطا وخبره مع قومه الفاسقين الشاذين ، إذ قال لهم : أتأتون هذا الذنب البالغ أقصى درجات الفحش والشذوذ ، وأنتم تبصرون وتنظرون الشر الذي استمرأتموه ؟

٥٥ - أيسوغ في نظر العقل والفطرة أن تأتوا الرجال بشهواتكم وتتركوا النساء ؟ بل أنتم قوم قد أصابكم الحق والجهل المطبق حتى صرتم لا تميزون بين الحبيث والطيب .

٥٦ - فما كان رد قومه عليه حين نهامهم إلا قولهم : أخرجوا لوطا وأتباعه من هذه القرية ، لأنهم ينتزهون عن مشاركتنا فيا نفعل .

٥٧ - فخلصناه هو وأهله من العذاب الذي سيقع بالقوم إلا امرأته ، قدر الله أن تكون من الباقيين حتى تهلك بالعذاب مع الكافرين .

٥٨ - وأمطرنا على هؤلاء المفسدين مطر عذاب وثقمة ، فكان مطرا سيبا مهلكا لمن أنذروا بالعذاب الأليم ولم يذعنوا .

٥٩ - قل - أيها الرسول - : إني أهدى الله وأنى عليه وحده ، واسأل الله سلاما ونحية لعباده الذين اختارهم لأداء رسالته ، وقل - أيها الرسول - للمشركين : هل توحيد الله خير لمن آمن أم عبادة الأصنام التي أشركتم بها وهي لا تملك ضرا ولا نفعا ؟

بِهِ حَدَاقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۖ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْمِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمِنْ جَعَلَ
الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلْقَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوْبِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۖ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۖ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا
مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمِنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمِنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ
تَعْلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمِنْ يَسْخَرُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَمِنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ قُلْ
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ

— ٥٥ —

٦٠ - بل اسألهم - أيها الرسول - عن خلق السموات والأرض وما فيها ، وأنزل لأجلكم من السماء ميثا
نافعا ، فأثبت به بسليتين ذات حسن وهب . ما أمكن لكم أن تنبتوا شجرها الفتلف الأنواع والألوان والثمار ! هذا
التناسق في الخلق يثبت أن ليس مع الله إله ، ولكن الكفار قوم يعدلون عن الحق والايان ويحولون للباطل والشرك .

٦١ - بل اسألهم - أيها الرسول - عن مهد الأرض للقامة فيها والاستقرار عليها ، وخلق وسطها أنهارا ،
وخلق عليها جبالا تمنعها من الميل ، وجعل بين الماء العذب والماء المالح فاصلا يمنع امتزاج أحدهما بالآخر ! ! ليس
هناك إله مع الله فهو الخالق وحده ، لكن أكثر الناس لا ينتفعون بالعلم الحق على وجهه وكأنهم لا يطمون .

٦٢ - بل اسألهم - أيها الرسول - عن يجيب المضطر - في دعائه - إذا أحوجته الشدة فليجأ إلى الله في
ضراعة وخشوع ، ويدفع عن الانسان ما يعثره من مكروه ، ويجعلكم خلفاء لمن سيقمكم في الأرض ! ! ليس هناك
إله مع الله المانع لهذه النعم ، ولكنكم أيها الكافرون قلما تنظرون .

٦٣ - بل اسألهم أيها الرسول - عن يرشدكم إلى السير في ظلام الليل برا وبحرا ، وعن يبعث الرياح
مبشرة بطل هو رحمة من الله ! ! أهناك إله مع الله تعالى يصنع ذلك ! ! تزه الله سبحانه عن أن يكون له شريك .

٦٤ - بل اسألهم أيها الرسول عن ينشئ الخلق ابتداء ، ثم يوجد بعد فناءه كما كان ، ومن الذي ينزل لكم
الرزق من السماء ويخرجها من الأرض ، ليس هناك إله مع الله يفعل ذلك . قل أيها الرسول موبخا لهم ومنكرا
عليهم : ان كان لكم إله سوى الله فاقبموا لنا حجة على ذلك ان كنتم تزعمون أنكم صادقين ، ولن يتأتى لكم
ذلك .

أَبَانُ يَسْتَعُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَوْدًا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَبْنَاءُ لَمْخَرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ
 الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ
 فِي ضَلَالٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ
 لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
 رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمِمَّنْ غَابَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِنَافٍ

٦٥ - قل أيها الرسول : ان من نفرد بفعل هذا كله قد نفرد سبحانه يعلم ما في السموات والأرض من أمور
 الغيب ، وهو الله وحده ، وما يعلم الناس أى وقت يبعثون فيه من قبورهم للحساب والجزاء .

٦٦ - تلاحق عليهم في الآخرة في جهل بها إلى شك فيها ، وهم في عماية عن إدراك الحق في أى شيء من
 أمرها لأن الغواية أقسدت إدراكهم .

٦٧ - وقال الكافرون منكرين للبعث : أنذا صرنا ترابا وبليت أجسامنا وأجسام آبائنا السابقين هل نعاد
 ونخرج إلى الحياة من جديد ؟؟

٦٨ - لقد وعدنا محمد بهذا البعث كما وعد الرسل السابقون آباءنا ، ولو كان حقا لحصل ، وليس هذا إلا من
 أكاذيب السابقين .

٦٩ - قل لهم أيها الرسول - تجولوا في الدنيا وانظروا آثار ما حل بالمكذبين من عذاب الله لعلكم تتحذرون
 بهذا ، وتخشون ما وراؤه من عذاب الآخرة .

٧٠ - لا تحزن - أيها الرسول - على الكافرين الذين لم يتبعوك ، فانما عليك البلاغ ، ولا يكن في صدرك حرج
 من مكربهم وكيدهم ، فإن الله ناصركم عليهم .

٧١ - ويبالغ الكافرون في التكذيب ، فيستعجلون العذاب قائلين : متى يحين موعد العذاب الذي هددقونا به ،
 ان كنتم صادقين في أن العذاب نازل بالمكذبين ؟؟

٧٢ - قل - أيها الرسول - : لله أن يكون قد لحق بكم وقرب منكم بعض ما تستعجلونه من العذاب .

٧٣ - وإن الله ربك - أيها الرسول - لصاحب انعام واحسان على الناس كافة ، ومن رحمته تأخير العقوبة
 على المكذبين ، ولكن أكثر الناس لا يدركون فضل الله ولا يشكروه .

٧٤ - وإن الله ربك - أيها الرسول - لطيف بكل ما يسيرون وما يعلنون من الأقوال والأفعال النكرة ، ومحاسنهم
 عليها .

مُتَيْنِ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَحْتَفِلُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّمَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِذْ ذَرِكُمْ بَقِضُ إِلَهُكُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْقَوْمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِبَدِيءَ الْعُمَى عَن ضَلَاتِّهِنَّ إِن تَسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمِعُونَ ﴿٨١﴾ * وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا

٧٥ - وما من خافية غائبة منها صرفت وضوت في السموات أو في الأرض إلا علمها الله وأحصاها في كتاب حق عنده .

٧٦ - ان هذا الكتاب الذي أنزل على محمد بين لبي اسرائيل حقيقة ما جاء في التوراة من عقائد وأحكام وقصص ، ويردهم إلى الصواب فيما اختلفوا فيه .

٧٧ - وان هذا الكتاب هداية من الضلال ورحمة من العذاب لجميع من آمن به .

٧٨ - ان ربك - أيها الرسول - يفصل بين الناس جميعا يوم القيامة بعدله . وهو الغالب فلا يرد قضاؤه ، العليم فلا ينسب لديه حق بباطل .

٧٩ - ففرض أمرك - أيها الرسول - إلى الله ، وثابر بدعوتك وانقنا بنصره ، لأنك على الحق الواضح . ولا يضرك اعراض الكافرين عنك .

٨٠ - انك - أيها الرسول - لا تستطيع هدايتهم ، فانهم كاللوق في عدم الوعي ، كالصمم في فقدان أداة السمع ، فليسوا مستطيعين لسإع دعوتك فناديهم في الاعراض عنك .

٨١ - ولست بمستطيع أن تهدي إلى الحق من عمت أبصارهم وبصائرهم ، ولا يمكنك أن تسمع إلا من يقبل على الايمان بأياتنا ، فهم مطيعون مستجيبون .

٨٢ - وإذا قرب أن يتحقق وعد الله بقيام الساعة ، وأن يقع العذاب على الكافرين ، أخرج الله للناس دابة من الأرض تقول لهم من جملة ما تقول : أن الكفار كانوا يمجزأتنا كلها وباليوم الآخر لا يؤمنون ، وقد حقق الآن ما كانوا به يكذبون .. وهاهو ذا هول الساعة وما وراها (١) .

(١) هنا تفسر الآية بظهور أنفاتها . وهناك تفسيران أخران لمعناها الآية : « أولها أن للراد من الدابة كل ما يدب من الأناس أو غيرها ، وتعمل هنا على الأناس ، ومجهتها قبل القيامة . والمعنى أنه إذا وقع القول عليهم وحسب العذاب جلدتهم جرح عظمى من المؤمنين تدب إليهم . وبلا السهل والري وتزول أركان الكفر . وتهدم بنياته . » ثانيا « أن تكون كلمة الدابة يراد بها الأثرار الذين هم في الجهل بمنزلة الدواب ، كما قال الأصمغاني في مفراته ، والمعنى أنه عندما يقرب يوم القيامة يكثر الشر والفساد ، وتكون القيامة التي كذب بها الكافرون ، ويكون هنا هو القول ، وهو يلسان الخيال لا بالفعال ، كالرأي الذي سبق .

فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ وَقَالَ أَكْذَبْتُمْ بِعَايَتِي وَلَمْ تَحِطُوا بِهَا عَلَيَّا مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَعَّ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنْزَارًا فِيهِ وَالنَّهَارَ مَبِيتًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّهٍ ذَانِبِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ كَمَرٍ مَّرْمَرٍ السَّحَابُ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُعْجِزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

٨٣ - واذكر - أيها الرسول - يوم تجمع من كل أمة طائفة من المكذبين بأياتنا ، وهم الزعماة اللبثيون . فهم يساقون في مقعدة أهمهم إلى الحساب والجزاء .

٨٤ - وحينا يقفون بين يدي الله للحساب يقول - سبحانه - لهم تباكيتا ونعتيضا : قد كذبت بكل آياتي وأنكرتموها دون تدبير ولا فهم ، بل ماذا كنتم تعملون وأنتم لم تحفظوا عينا ؟

٨٥ - وحل بهم العقاب بسبب ظلمهم أنفسهم بالكفر ، فهم عاجزون عن الدفاع والاعتذار .

٨٦ - لقد شاهدوا أن الله جعل الليل ليرجعوا فيه ، وجعل النهار مضيا ، ليصرفوا فيه ويسعوا على معايشهم ، ان في ذلك دلالات واضحة على الوهية الله ووحدايته لقوم يتدبرونها فيؤمنون .

٨٧ - واذكر - أيها الرسول - يوم ينفخ اسرافيل في البوق بإذن الله ، فيرتعب من في السموات ومن في الأرض من هول النفخة ، إلا من طمأنه الله وأعفاه من الفزع ، وكل المخلوقات بأنون إلى ربهم صاغرين .

٨٨ - وترى - أيها الرسول - الجبال تظنها ثابتة لا تتحرك ، ولكنها في واقع الأمر تتحرك بسرعة كالسحاب ، وهذا من صنع الله الذي خلق كل شيء وأبدعه . انه سبحانه كامل العلم بما يفعل الناس من طاعة ومعصية ، ويجازيهم عليه^(١) .

٨٩ - كل من أتى بالحسنة في الدنيا وهي الايمان والاخلاص في الطاعة فله في الآخرة الثواب الأعظم من أجل ما تقدم . وأصحاب هذه الحسنات آمنون من الخوف والفزع يوم القيامة .

٩٠ - وكل من أتى في الدنيا بالسئية - وهي الشرك والمعصية - ومات على ذلك فجزاء هذا الفريق أن يكسب الله على وجوههم في النار يوم القيامة ويقال لهم حينئذ - توبخا - . انكم لا تعجزون اليوم الا بسبب شرككم ومعصيتكم .

(١) « ترى الجبال تحسبها جامدة وهي كمرمر السحاب ، صنع الله الذي أتقن كل شيء » . إنه خير ما تظنون » : تقرر هذه الآية الكريمة أن جميع الأجسام التي تخضع لجاذبية الأرض مثل الجبال والبحار والغلاف الجوي ... إلخ تشترك مع الأرض في دورتها اليومية حول محورها ودورتها السنوية حول الشمس ، وبذلك يصيب نصف وجه الأرض في ظلام داس لمدة ستة أشهر والنصف الآخر في نهار الحار والبرق السهوية ، لكن هذه الدورة لا تترك فهي مثل حركة السحب في الجو يراها الناظرون بجيوشهم ولكن لا يسمعون صوتها أو =

إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أُعْبَدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾
وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ لَقَدْ أَعْتَدْتُ لَهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا وَمَنْ ضَلَّ عَنْهُ فَأَنْتَ عَنَّا أُنْأَمِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرَتُكُمْ ؕ إِنِّي أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٩٣﴾

٩١ - قل - أيها الرسول - للناس : ما أمرت أن أعبد أحدا إلا الله رب مكة الذي كرمها ، فجعلها حرمًا
امنا ، لا يسفك فيها دم ، ولا يصاد صيدها ، ولا يقطع شجرها .. وله سبحانه كل ما في الكون خلقا وملكا وأمرت أن
أكون من المخاضمين لله .

٩٢ - وأمرت أن أواظب على تلاوة القرآن عبادة وتديرا ودعوة إلى ما فيه ، فمن اهتدى وأمن به واتبعتك
فإنما خير ذلك وجزاؤه لنفسه لا لك ، ومن ضل عن الحق ولم يتبنيك فقل : إنما أنا رسول ، أنذر وأبلغ .

٩٣ - وقل - أيها الرسول - : الحمد لله على نعمة النبوة والهداية : سيكشف الله لكم في الدنيا عن آثار
قدرته ، وفي الآخرة عن صدق ما أعجزكم به فتعرفوها معرفة حق ، وليس الله بما جز عن حسابكم ولا بغافل عن
أعمالكم

«يلسونها وتبين هذه الآية الكريمة أن الله عز وجل : خلق الكون والقوانين التي تحكمه وهو قادر على أن يجعل الأرض ساكنة لا تتدور حول
محورها أو يجعل فترة دوراتها حول محورها تساوي فترة دوراتها حول الشمس ، وبذلك يصبح نصف وجه الأرض في ظلام داس لمدة ستة
أشهر والنصف الآخر في نهار ساطع الضوء مما يؤدي إلى اختلال التوازن الحراري على الأرض كلها ، وفي هذا فناء الأحياء التي عليها ،
والله - سبحانه وتعالى - هو الذي وضع هذا النظام الحكيم رحمة ورأفة بعباده .

وبالمرم من أن « أريستارخوس » ، الفلكي السكندري ٣٦٠ - ٢٣٠ ق . م . كتب في موضوع دوران الأرض حول نفسها ، فإن هذه
الكتابات العلمية القديمة لم تصل إلى الغرب وقت محمد ﷺ لو قبله . بل أن أول من أشار إلى هذه المعلومات منهم هو البيروني عام ألف
للميلاد ، بعد حركة الترجمة في الدولة العباسية ، فإن إيراد هذه الحقائق العلمية على لسان النبي - التي لم تكن قد وصلت إلى عله - دليل
على أنها موحى بها من عند الله .

(۲۸) سُوْرَةُ الصَّحٰفِ كَيْفَ
وَاَيُّهَا اَمَّا اِنْ وَنَدَانُوْنَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ۖ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١٠﴾ تَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا هُوَ يُقَرِّئُهُمْ لِئَازِمُوا ۖ وَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا نُفِخَ فِي سُنْبُورٍ نَّهَبُوا ۚ لَسَاءَ لِمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ وَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا نُفِخَ فِي سُنْبُورٍ نَّهَبُوا ۚ لَسَاءَ لِمُكَذِّبِينَ ﴿١٢﴾ وَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا نُفِخَ فِي سُنْبُورٍ نَّهَبُوا ۚ لَسَاءَ لِمُكَذِّبِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا نُفِخَ فِي سُنْبُورٍ نَّهَبُوا ۚ لَسَاءَ لِمُكَذِّبِينَ ﴿١٤﴾ وَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا نُفِخَ فِي سُنْبُورٍ نَّهَبُوا ۚ لَسَاءَ لِمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا نُفِخَ فِي سُنْبُورٍ نَّهَبُوا ۚ لَسَاءَ لِمُكَذِّبِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا نُفِخَ فِي سُنْبُورٍ نَّهَبُوا ۚ لَسَاءَ لِمُكَذِّبِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا نُفِخَ فِي سُنْبُورٍ نَّهَبُوا ۚ لَسَاءَ لِمُكَذِّبِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا نُفِخَ فِي سُنْبُورٍ نَّهَبُوا ۚ لَسَاءَ لِمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ وَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا نُفِخَ فِي سُنْبُورٍ نَّهَبُوا ۚ لَسَاءَ لِمُكَذِّبِينَ ﴿٢٠﴾

سورة القصص الثامنة والعشرون في ترتيب السور بالمصحف ، وهي من السور المكية ، وعدد الآيات فيها ثمان وثمانون .

وقد اشتملت على تفصيل لما ذكر قبلها اجالا ، من شأن موسى عليه السلام ، منذ ولد في عهد فرعون ، وكان فرعون يقتل الأبناء من بني اسرائيل خوف ظهور نبي يقضى على سلطانه .

ثم ما كان من تربية موسى في بيت فرعون ، إلى أن خرج من مصر فاراً بنفسه إلى مدين بالشام ، وعاد بزوجته بنت شمعون عليه السلام .

ثم ما كان من مناجاة الله لموسى أثناء عودته ، واختياره للرسالة ، وما حدث من شأن فرعون وسحرته مع موسى ، إلى أن أغرق الله فرعون وجنده ، ولجى موسى ومن معه من بنى إسرائيل ، ثم ما كان من بنى إسرائيل مع موسى وأخيه هارون ، وما يتصل بهذا من أنباء المكذبين كقارون ومن سبقه من الكافرين . ولهذا البيان الشامل سميت السورة بسورة القصص .

١ - طسم حروف صوتية سبقت لبيان أن القرآن المعجز من هذه الحروف التي يتألف منها حديثكم ، ولتنبيه السامعين .

٢ - هذه الآيات التي نوحيا إليك - أيها الرسول - آيات القرآن المبين الواضح ، المظهر للحق من الباطل ، وللحلال من الحرام ، والوعد بالثواب ، والوعيد بالعقاب .

٢ - نقص عليك بعض أخبار موسى وفرعون بالصدق، ليعتبر بما فيه المؤمنون.

٤ - ان قرعون تعاطف من نفسه ، وجاوز الحد في ظلمه ، واستكبر في أرض مصر ، وصير أهلها قرقا ، يصطلي بعضهم وبسخر بعضها ، ويستضعف منهم بني اسرائيل ، فيذبح الذكور من أولادهم ويستبيح الاناث ، انه كان من المفسدين في الطفيان والافساد .

٥ - وأراد الله أن يتفضل على الذين استضعفهم فرعون في الأرض ، وأن يجعلهم هداة إلى الخير ، ويورثهم ملك الأرض والسلطان .

وَعَسَىٰ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمْنًا وَجُنُودُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِحُدُودٍ ⑥ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيْهِ فَإِذَا خَشِيَ عَلَيْهِ فُلْكَانِي فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي ⑦ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ⑧ قَالَتْ لَهُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ⑨ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمْنًا وَجُنُودُهُمَا كَانُوا خَاطِلِينَ ⑩ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي ⑪ وَلَئِكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ يَخْلُصَهُ وَلَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ⑫ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَتَرَا ⑬ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ⑭ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ⑮ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيْهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ⑯ * وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ

٦ - ونشيتهم في الأرض ويتخذون فيها مكانا ، وثبت لفرعون ووزيره هامان وجندهما ما كانوا يحشونه ، من ذهاب ملكهم على يد مولود من بني اسرائيل .

٧ - وألم الله أم موسى - حينما خشيت عليه أن يذبحه فرعون كما يذبح أبناء بني اسرائيل - أن ترضعه مطمئنة عليه من قتل فرعون ، فإذا خشيت أن يعرف أمره وضعت في صندوق وألقته في النيل غير خائفة ولا محزونة ، فقد تكفل لها ها بحفظه ورده إليها ، وأن يرسله إلى بني اسرائيل .

٨ - فأخذ آل فرعون ، ليتحقق ما قدره الله بأن يكون موسى رسولا معاديا لهم ويشيرا لحزنتهم بنقد دينهم والظمن على ظلمهم ، ان فرعون وهامان وأعوانها كانوا الذين سرفعين في الطغيان والفساد .

٩ - وقالت امرأة فرعون حين رأتها لزوجها : هذا الطفل مبعث السرور لي ولك . نستطيعه ولا نقتله رجاء أن تنتفع به في تدبير شأننا أو تنبتاه ، وهم لا يشعرون بما قدر الله في شأنه .

١٠ - وصار فؤادها خاليا من العقل لادهاها من الجزع لوقوع ولدا في يد فرعون ، انها كادت تظهر أمره بأنه ولدا ، لولا أن ثبت الله قلبها بالصبر لأعلنت أنه ولدا شفقة عليه ، ولكن في ضمن المؤمنين المظنين .

١١ - وقالت أمه لأخته : تتبعي أثره لتعرفي خبره ، فرأته عن بعد وهي تتجنب ظهور أمرها وفرعون وآله لا يدرون أنها أخته .



عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكَرٍّ وَهَمٍّ لَمْ يَنْصَحُوا^{١٢} فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ^{١٣} وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَحْزِي الْمُحْسِنِينَ^{١٤} وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ^{١٥} قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ^{١٦} قَالَ رَبِّ إِنِّي مَلَأْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَقَفَر لَهُ^{١٧} إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ^{١٨} قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَى فَلَانٍ أَكُونُ لَهُمْ رَحِيمَةً أَمْ يُنْصَرِفُونَ^{١٩} فَاصْبِرْ فِي الْمَدِينَةِ حَتَّى يَأْتِيَكَ بِهَا الَّذِي اسْتَنْصَرْتَهُ

١٢ - ومنع الله الطفل موسى أن يرضع ثديا لمرضع قبل أن يرشدوا إلى أمه . فاعثر آل فرعون ، وأهمهم ذلك . فقالت لهم أخته : ألا أرشدكم إلى أسرة تكفله وتحمده بالرضاع والتربية ، وهم له حافظون ؟

١٣ - فقبلوا ارشادها ، وردده الله إلى أمه كي تطيب نفسها ، وتفرح بعودته إليها ، ولا تحزن بفراقه . ولتزداد علما بأن وعد الله برده لها حاصل لا يتخلف ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون عودة موسى إلى أمه لحفاؤه عليهم .

١٤ - ولما بلغ موسى رشده واكمل نضجه أعطاه الله الحكمة والعلم . ومثل ذلك الاحسان الذي أحسنا به إلى موسى وأمه نكافئه المحسنين على احسانهم .

١٥ - ودخل موسى مصر في وقت غفل فيه أهلها ، فوجد فيها رجلين يقتتلان : أحدهما من بني اسرائيل ، والآخر من قوم فرعون . فاستعان به الاسرائيل على خصمه فأعانه موسى ، وضرب الخصم بقبضة يده فقتله من غير قصد . ثم أسف موسى ، وقال : ان إقدامي على هذا من عمل الشيطان ، ان الشيطان لمدو ظاهر العداوة واضح الضلال .

١٦ - قال موسى متضرعا إلى الله في ندم : يارب إني أسأت إلى نفسي بما فعلت ، فاغفر لي فلفتي . فأجاب الله دعوته وغفر له ، ان الله هو العظيم المغفرة الواسع الرحمة .

١٧ - قال موسى متضرعا : يارب بحق انعامك على بالحكمة والعلم وفق للخير والصواب ، فإذا وفقني فلان أكون عوناً للكافرين .



بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِي مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالْبَرِّيِّ هُوَ وَعْدُوهُمَا قَالَ يَمْوَسِيَّ
أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ
الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسِيَّ إِنَّ الْأَمْلَاءَ بِأَعْمَرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُونَكَ فَأَخْرَجَ
إِلَى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ
مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ
وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾

١٨ - فأصبح موسى في المدينة - مصر - فزعا ، يتوقع أن يصيبه الأذى من القوم بسبب قتله المصري ، فوجد
الاسرائيل الذي طلب منه النصرة بالأمس يستغيث به مرة ثانية على مصري آخر ، فنهزه موسى قاتل له : انك
لشديد الغواية ظاهر الضلال ، حيث عدت لثل ما فعلت بالأمس ودعوتني مرة ثانية لنصرتك .

١٩ - فلما هم موسى بالبطش بالمصري الذي هو عدو لها ، بسبب هذه العداوة . قال - وقد ظن أن موسى
سيقته - : أتريد أن تقتلني كما قتلت شخصا آخر بالأمس ، ما تريد إلا أن تكون طاغية في الأرض ، وما تريد أن
تكون من دعاة الإصلاح والهدى .

٢٠ - وجاء رجل مؤمن من آل فرعون من أقصى المدينة حيناً انتشر بأقواله قتل موسى للمصري ، يحذر موسى أن
القوم ينشاورون لفنك ويقول له : اخرج من المدينة فراراً من القتل ، إني لك من الناصحين .

٢١ - فخرج موسى من المدينة خائفاً يتوقع أن يتعرض له أعداؤه بالأذى ، ضارعا إلى الله أن ينجيه من ظلم
الكافرين .

٢٢ - ولما توجه ناحية مدين قرية شعيب - لما فيها من الأمن - تضرع إلى الله أن يهديه طريق الهدى والنجاة .

٢٣ - ولما وصل ماء آل مدين الذي يسقون منه وجد على جانب البئر جماعة كثيرة من أناس مختلفين يسقون
مواسيهم ، ووجد في مكان أسفل من مكانهم امرأتين تدفنان غلهمها بعيداً عن الماء ، فقال لهما موسى : لم تبتعدان
عن الماء . فأجابتا : لا نستطيع الزحام ، ولا نسقي حتى يسقي الرعاة ، وأبونا شيخ طاعن لا يستطيع الرعي
ولا السقي .

فَقَعَّ لَمَّا تَوَلَّى إِلَى الْإِثْلَاقِ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاوُ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَبَاطُيَ اسْتَعِجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعَارَ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجْجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ * فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا أَلَمَلَى عَلَيْكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَلْطَانٍ الْأَوْدِيِّ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى آتَاكَ اللَّهُ

٢٤ - فخطوع موسى وسق لها ، ثم ركن إلى ظل شجرة يستريح من المجهود ، وهو يقول في ضراعة : يارب إلى فقير لما تسوفه إلى من خير ورزق .

٢٥ - فجاءت إحدى الفاتنتين - مرسله من قبل أبيها بعد أن علم بأمر موسى معها - تسير إلى موسى في حياء ، قالت : ان أبي يدعوك ليجزيك أجر سقيك لنا ، فلما ذهب إليه وقص عليه قصة خسرويه من مصر قال والد الفاتنتين : لا تخف ، نجوت من القوم الظالمين ، إذ لا سلطان لفرعون علينا .

٢٦ - قالت إحدى الفاتنتين : يا أبت اتخذه أجيرا لرعى الغنم والقيام على شأنا ، انه خير من تستأجره لقوته وأمانته .

٢٧ - قال له شعيب عليه السلام : اني أريد أن أزوجه واحدة من ابنتي هاتين على أن يكون مهرها أن تعمل عندنا ثمانى سنوات ، فإن أتممت عشرا فمن عندك تطوعا ، وما أريد أن الزيك بأطول الأجلين ، وستجدني أن شاء الله من الصالحين المحسنين للمعاملة الوفيين بالمعهد .

٢٨ - قال موسى : ذلك الذى عاهدتنى عليه قائم بيني وبينك ، أى مدة من المديتين أقضيسيا في العمل أكون وفيتك عهدك فلا أطالب بزيادة عليا ، والله شاهد على ما نقول .

٢٩ - فلما أتم موسى المدة المشروطة ، وأصبح زوجا لبنت الذى آواه ، وعاد بها إلى مصر أبصر في طريقه من ناحية جبل الطور نارا ، فقال لمن معه : امكثوا هنا ، اني رأيت نارا استأست بها في هذه الظلمة ، سأذهب إليها لأتيكم من عندها بخبر عن الطريق أوجهفوة منها لعلكم تستدقون بها .

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِنْ أَتَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدِرًّا وَلَ رِيْعَاقٌ يَمْوِسُ أَقْبَلَ وَلَا تَحْجَفُ
 إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ
 فَذَلِكَ بَرْهَنانِ مِنْ رَبِّكَ إِنَّكَ فِرْعَوْنٌ وَمَلَكُوتُهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
 فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٤﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ
 يُكَذِّبُونِ ﴿٣٥﴾ قَالَ سَنُنَدُّ عَصَاكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ بِأَيْنَتِنَا إِنَّمَا مِمَّنْ اتَّبَعَكَ
 الْفَلْسِيقُونَ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا حِرٌّ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا

٣٠ - فلما جاء موسى إلى النار التي أبصرها سمع من ناحية الجانب الأيمن له من الشجرة النابتة في البقعة المباركة بجانب الجبل نداء علويًا يقول له : يا موسى ، أنا أنا الله الذي لا يستحق العبادة سواه ، خالق العالمين وحاميهم وحافظهم ومربيهم .

٣١ - ونودي : أن ألقى عصاك ، فالتفتها فقلها الله نعمانا ، فلما أبصرها موسى تتحرك كأنها حية في سحها خاف وفر فزعا ولم يرجع . فقيل له : يا موسى أقبل على النداء وعد إلى مكانك ولا تحف . انك في عداد الأمنين من كل مكروه .

٣٢ - وأدخل يدك في طوق ثوبك تخرج شديدة البياض من غير عيب ولا مرض . واضمم يدك إلى جانبك في ثبات من الخوف ، ولا تنزع من رؤية العصا حية ومن رؤية اليد بيضاء . فهاتان المعجزتان من الله ، تواجههما فرعون وقومه حينًا يقابلون رسالتك بالتكذيب خارجون عن طاعة الله .

٣٣ - قال موسى - متخوفا وطالبا العون - : يا رب ، اني قتل منهم نفسا فأخاف أن يقتلوني به قصاصا .

٣٤ - وأخي هارون هو أفصح مني لسانا ، فأرسله معي عونًا في التبليغ ، لأنني أخاف أن يكذبون .

٣٥ - قال الله - استجابة لدعائه - : سننوك بهارون ، ونجعل لك سلطانا وتأييدا بالمعجزات فلا يستطيعون الاعتداء عليك ، وانك ومن اتبعكاه واهتدى بكما القابلون المنتصرون على هؤلاء الكافرين .



الْأُولَى ۝ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا جَاءَ بِالْمُذْكَرِ مِنْ عِنْدِهِ ۖ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ النَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَائِكَةُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي الْفَيْفَ عَلَى الْإِطِينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَعْتَهُ مِنَ الْكَذِبِينَ ۝ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي النَّارِ ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۝ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ ۝ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةُ

٣٦ - فلما واجههم موسى بدعوته مؤيدة بالمعجزات الواضحة أنكروا ما شاهدوا ، وقالوا : ما هذا إلا سحر نفثه على الله ، ولم نسمع بهذا الذي تدعيه فيمن سبقنا من آبائنا الأولين .

٣٧ - وقال موسى - ردا على فرعون وقومه - : ربي يعلم اني جئت بهذه الآيات البالة على الحق والهدى من عنده ، فهو شاهد لى على ذلك ان كذبتمونى ، ويعلم أن العاقبة الحميدة لنا ولأهل الحق ، انه لا ينفوز بالحير الكافرون .

٣٨ - وقال فرعون - عندما عجز عن مهاجمة موسى ، تقاديا في طغيانه - : ياأيها الملأ ، ليس لى علم بوجود إله لكم غيرى ، وأمر وزيره هامان أن يصنع له الآجر ويشيد له صرحا شاهقا عاليا ليصعد عليه ، وينظر إلى الإله الذى يدعو إليه موسى ، ويؤكد فرعون مع ذلك أن موسى من الكاذبين فى ظنه .

٣٩ - وظل فرعون وجنوده مستكبرين فى أرض مصر بالباطل ، وظنوا أنهم لن يبعثوا فى الآخرة للحساب والميزان .

٤٠ - فانزعنا فرعون من سلطانه ، واستندرجناه هو وجنوده إلى الهى ، وأغرقتاهم فيه نابذين لهم سبب ظلمهم . فتدبر يا محمد ، وحذر قومك كيف كانت نهاية الظالمين فى دنياهم ؟ وانك لنصور عليهم .

٤١ - قال تعالى : وجعلناهم دعاة يدعون إلى الكفر الذى يؤدى إلى النار ، ويوم القيامة لا يجلبون من نصرهم ويخرجهم من هذا العذاب .



وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بِصَاحِبِ النَّاسِ وَهْدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَالِثًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَأْ أَتَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِزِّنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ

٤٢ - وجعلناهم في هذه الدنيا مطرودين من رحمتنا ، ويوم القيامة هم من المهلكين . وما حكى في الآيتين بشأنهم دليل غضب الله .

٤٣ - ولقد أنزل الله التوراة على موسى بعد أن أهلك المكذبين من الأمم السابقة لتكون نورا للقلوب ، لأنها كانت مظلمة لا تعرف حقا وارشادا ، لأنهم كانوا يتخبطون في الضلال ، وطريقا لنيل الرحمة لمن عمل بها ، ليعتظروا بما فيها فيسارعوا إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي .

٤٤ - وما كنت يا محمد حاضرا مع موسى في المكان الغربي من الجبل ، حين عهد الله إليه بأمر الرسالة ، ولم تكن معاصرا لموسى ولا شاهدا لتبليغه للرسالة ، فكيف يكذب قومك برسالتك وأنت تتلو عليهم آيات السابقين ؟

٤٥ - ولكنا خلقنا أما كثيرة في أجيال طال عليها الزمن فنسوا ما أخذهم عليهم من العهد ، ولم تكن - أيها الرسول - مقيا في مدين حتى تحفر أهل مكة بأنبيائهم ، ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها من طريق الوحي .

٤٦ - وما كنت - أيها الرسول - حاضرا في جانب الطور حين نادى الله موسى واصطفاه لرسالته ، ولكن الله أعلمك بهذا من طريق الوحي رحمة بك وبأمتك ، لتبليغه قوما لم يأتيهم رسول من قبلك لعلهم يتذكرون .

٤٧ - ولولا أن الكفار حين تصيبهم عقوبة بسبب كفرهم يعتنقون ويحتجون قائلين : ربنا لم ترسل إلينا رسولا نؤمن به ونذعن لعجزائهم وتكون من المؤمنين ، ما كانت رسالات الرسل .

مَا أَوْفَى مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَعْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَذِبٍ لَّكُنَّا قُلُ
قَالُوا وَيَكْتَسِبُ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا
يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيَ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٩﴾
* وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمْ إِلَهُهُمْ إِذْ كُفِّرُوا ۖ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾
وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ
مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ

٤٨ - فلما جاء رسول الله محمد بالقرآن من عند الله قال الكفار: لبيته أعطى مثل ما أعطى موسى من معجرات حسية وكتاب نزل جملة واحدة كالنوراة، وقد كفروا من قبل موسى وأبانه كما كفروا اليوم بمحمد وكتابه.. وقالوا: نحن بكل منها كافرون، فالجعود هو الذي أدى إلى الكفر بالمعجزات.

٤٩ - قل لهم: - أيها الرسول - إذا لم تؤمنوا بالنوراة والقرآن فهاتوا كتابا من عند الله أحسن منها هداية أو متلها أتبعه معكم، ان كنتم صادقين في زعمكم أن ما جئنا به سحر.

٥٠ - فإن لم يستجيبوا دعاءك إلى الاتيان بالكتاب الأهدى، فاعلم أنهم قد ألزموا ولم يبق لهم حجة، وأنهم بذلك يتبعون أهواءهم، ولا أحد أكثر ضلالا ممن اتبع هواه في الدين بغير هدى من الله، ان الله لا يوفق من ظلم نفسه باتباع الباطل دون أن ينشد حقا.

٥١ - ولقد أنزل الله القرآن عليهم متواصلا، بعضه اثر بعض حسب مقتضيه الحكمة، ومتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا، ليتدبروا ويؤمنوا بما فيه.

٥٢ - الذين أنزلنا لهم التوراة والانجيل من قبل نزول القرآن، وآمنوا بها، وصمدوا بما فيها عن محمد وكتابه، هم بمحمد وكتابه يؤمنون.

٥٣ - وإذا بقرأ القرآن على هؤلاء قالوا - مسارعين إلى اعلان الايمان -: آمنا به لأنه الحق من ربنا ونحن عرفنا محمدا وكتابه قبل نزوله، فاسلامنا سابق على تلاوته.

٥٤ - أولئك الذين آمنوا بالقرآن وما أنزل من قبله يطون ثوابهم مضاعفا، بصبرهم على ما لحقهم من الأذى في سبيل الايمان، ويؤثرون العمل الصالح، ويقابلون السيئة بالغو والاحسان، ويفقهون في سبيل الخير مما منحهم الله من مال.

وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكِنْ أَعْمَلَكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكَ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهْدَى مَعَكَ تَنخُطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ تَرْمِكُنَّ لَمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِيبُ إِلَيْهِ عَمَرْتُ كُلِّي وَرِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَرَّاهِلُكَ مِنْ قَرِيبٍ بَطَرْتُ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٨﴾ وَكَأَنَّهُ الْوَرِثَيْنِ ﴿٥٩﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا أَوْفَيْتُمْ

٥٥ - وإذا سمعوا الباطل من الجاهلين انصرفوا عنه ترفعا، وقالوا: لنا أعلنا الحق لا نجد عنها، ولكم أهلكم الباطلة ووزرها عليكم، ونحن نترككم وشأنكم لأننا لا نريد صحبة الجاهلين.

٥٦ - انك - أي الرسول - شديد الحرص على هداية قومك، ولكنك لا تستطيع أن تدخل في الاسلام كل من تحب، ولكن الله يهدي للايمان من علم فهم قبول الهداية واختيارها، وهو الذي يعلم علما ليس فوقه علم من سيمغل في صفوف المهتدين.

٥٧ - وقال مشركو مكة للرسول - ﷺ - معذرين عن بقائهم على دينهم: ان انبعناك على دينك أغرجنا العرب من بلدنا وغلبونا على سلطاننا. وهم كاذبون فيما يتدرون به، فقد ثبت الله أقدامهم ببلدهم، وجعله حراما بأمنون فيه - وهم كفرة - من الاغارة والقتل، وتحمل إليه الغارات والمخبرات المتنوعة الكثيرة رزقا يسوقه الله اليهم من كل جهة، فكيف يستقيم أن ينلهم الأمن ويعرضهم للتخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت الايمان محمد؟ ولكن أكثرهم لا يعلمون الحق، ولو علموا لما خافوا التخطف.

٥٨ - لم يعتبر هؤلاء بمصاير الأمم السابقة، فقد أهلك قرى الذين اغتروا بنعمة الله ثم كفروا بها وبالله، وهذه ديارهم خاوية لا تصلح للسكن بعدهم إلا فترات عابرة للمازير بها، ولم يبق لها مالك بعدهم إلا الله ذو الجلال والاكرام.

٥٩ - وما كان من حكمة الله تعالى - وهو ربك الذي خلقك واصطفاك - أن يهلك المدن العظيمة الا بعد أن يرسل إلى أهلها رسولا بالمعجزات الباهرة يتلو عليهم الكتاب المنزل، وبين لهم شرائعهم ثم يؤمنوا، وما كنا مهلكي المدن العظيمة إلا وأهلها مستمرين على الظلم والاعتداء.

مِنْ شَيْءٍ فَتَنَّا الْحَيَّةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا^{٦٠} وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى^{٦١} أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٢ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٣ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٤ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٥ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٦ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٧ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٨ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٩ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٧٠ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٧١ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٧٢ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٧٣ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٧٤ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٧٥ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٧٦ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٧٧ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٧٨ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٧٩ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٨٠ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٨١ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٨٢ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٨٣ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٨٤ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٨٥ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٨٦ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٨٧ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٨٨ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٨٩ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٩٠ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٩١ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٩٢ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٩٣ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٩٤ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٩٥ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٩٦ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٩٧ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٩٨ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٩٩ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٠٠

٦٠ - وكل شيء رزقتموه من أعراض الدنيا وزينتها فهو متاع مجسود إلى أمد قريب، فلا يصرفكم عن الإيمان والعمل الصالح، فإن ما عند الله في الآخرة من الثواب والتعظيم المحال أن تنفد وأدم من ذلك كله، فلماذا لا تعملون عقولكم بدل أهوائكم؟!

٦١ - لا يستوى من آمن وعمل صالحاً فاستحق وعد الله، الوعد الحسن بالتواب والجنة. فهو مدرك كما وعده الله، ومن كفر وعمل سيئاً وفاته متاع الحياة وزخرفها، ثم هو يوم القيامة من المحضرين للحساب، المالكين في العذاب.

٦٢ - واذكر - أيها الرسول - يوم يقف هؤلاء بين يدي الله للحساب، فيناديهم سبحانه نداءً توبيخاً: أين الآلهة الذين زعمتموهم شركاء، لينافقوا عنكم أوليشفوا فيكم؟!

٦٣ - قال قادة الكفر من الذين حق عليهم غضب الله ووعيده: يا ربنا، هؤلاء الذين دعوناهم إلى الشرك وزينا لهم الضلال أغويناهم، لأنهم اختاروا الكفر وتقبلوه كما اخترناه نحن وتقبلناه، تبارنا إليك منهم اليوم وما اختاروه في الدنيا من الكفر، لم يبدونا نحن، بل عبدوا أهوائهم وأطاعوا شهواتهم.

٦٤ - وأمر المشركون من جانب الله أمر توبيخ، بدعوة الآلهة التي أشركوها مع الله لتخلصهم من عذابه كما زعموا، فخصعوا في ذلة ودعوم في حيرة، فلم يظفروا منهم بجواب، وشاهدوا العذاب المد لهم حاضراً، وغنوا لو أنهم كانوا في دنياهم مؤمنين مهتدين لما حاق بهم ذلك العذاب.

٦٥ - واذكر - أيها الرسول - كذلك يوم ينادي المشركون من جانب الله تعالى نداءً توبيخاً، فيقال لهم: بأي شيء أجبتم رسل الذين أرسلتهم لدعوتكم إلى الإيمان قبلتكم الرسالة؟

فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بَضِيءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ لَبِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

٦٦ - فصارت الأخبار غائبة عنهم لا يتدون إليها ، كأنهم في عسى ، ولم يرجع بعضهم إلى بعض في ذلك لتساوهم في العجز عن الاجابة .

٦٧ - هذا شأن المشركين ، فأما من تاب من الشرك ، وأمن إيمانا صادقا وعمل الصالحات ، فهو يرجو أن يكون عند الله من الفائزين برضوان الله وبالنعم الدائم المستمر .

٦٨ - وربك يخلق ما يشاء بقدرته ، ويختار بحكمته من يشاء للرسالة والطاعة على مقتضى علمه باستعدادهم لذلك ، ولم يكن في مقدور المخلوق ولا من حقه أن يختاروا على الله ما يشاؤون من أديان باطلة وألوهة زائفة ، تنزه الله - تعالى شأنه - عن الشركاء .

٦٩ - وربك - أي الرسول - محيط علمه بما تحفيه صدور المشركين من عداوتهم لك ، وما يعلنون بألسنتهم من الطامع فيك والاعتراض على اختيارك للرسالة .

٧٠ - وربك - أي الرسول - هو الله الحق المختص بالألوهية ، المستحق - وحده - للحمد من عباده في الدنيا على انعامه وهدايته ، وفي الآخرة على عدله ومثوبته . وهو وحده صاحب الحكم والفصل بين عباده ، وإليه المرجع والمصير .

٧١ - قل - أي الرسول - : أخبروني أيها الناس ، ان جعل الله عليكم الليل متابعا دون نهار إلى يوم القيامة ، فهل لكم إله سوى الله يأتىكم بنهار مضى تقومون فيه بمعاشكم وتشتون دنياكم ؟ ليس لكم ذلك ، فلماذا لا تسمعون صراح تدبر واعتبار ؟

٧٢ - قل - أي الرسول - للناس : ان جعل الله عليكم النهار متابعا دون الليل إلى يوم القيامة ، فهل لكم إله سوى الله يأتىكم بليل تستريحون فيه من عمل النهار ؟ ليس لكم ذلك ، فلماذا لا تبصرون آيات الله فتؤمنوا وتهتدوا ؟

٧٣ - ومن رحمة الله بخلقهم أن خلق لهم الليل والنهار وجعلها متعاقبين ، ليستريحوا في الليل ، وليسعوا على رزقهم ومتابعهم في النهار ، وليدركوا فضل الله عليهم فيشكروه (١) .

(١) قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتىكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتىكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمة جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تتذكرون ، لانه في أن خلق الأرض على صورتها الحالية ومركزها بالنسبة إلى الشمس ودورانها حول نفسها كل يوم مرة وحول الشمس في كل سنة شمسية مرة ، لانه في أن هذا مظهر من مظاهر قدرة الله وسكته ورحمته . والآية الكريمة تنبه الناس إلى حقيقة يجب أن يوصوها وهي أنه - تعالى لو خلق الأرض بحيث يكون ليها دالا ، أو بحيث يكون نهارها دالا ، فليس هناك إله غيره يستطيع أن ينعم عليهم بالنهار والليل المتعاقبين .

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَتَزَعَّمْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعِلُوا
 أَنْ أَلْحَقَ اللَّهُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ * إِنْ تَقْرُوا كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبِعَى عَلَيْهِمْ وَأَذَانَهُ
 مِنْ أَلْكَنُوزٍ مَا إِنْ مَفَاحِهِمْ لَتُنَوِّا بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾
 وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبِغِ
 الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ
 أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَكُنْزُ جَعْلًا وَلَا يَسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى

٧٤ - واذكر كذلك - أيها الرسول - يوم ينادى للمشركين من جانب الله تعالى نداء توبيخ ، فيقال لهم : أين
 الشركاء الذين زعمتموهم آلهة يصرونكم أو شفعاء يشفون لكم ؟

٧٥ - وأخرجنا يوم القيامة من كل أمة شهيدا هو نبيها . يشهد عليها بأن منها في الدنيا فتنفسول حينئذ
 للمخالفين منهم : ما هي حجتكم فيما كنتم عليه من الشرك والمصيبة ؟ فيجيبون عن الجواب ، ويصلون حينئذ أن
 الحق لله بداية ونهاية ، وغاب عنهم غيبة الشهة الضائع ما كانوا يفترون على الله .

٧٦ - ذكرت السورة قصة قارون ، وأنه كان من قوم موسى ، فتكبر عليهم غرورا بنفسه وماله ، وقد أعطاه
 الله كنوزا زاهرة بالأموال ، بلغت مغانبها من الكثرة بحيث ينقل حملها على الجماعة الأقوياء من الرجال ، وحين
 أغتر بنعمة الله عليه وكفر بها نصحه قومه قائلين له : لا تفخر بمالك ، ولا يفتنك الفرح به عن شكر الله ، أن الله
 لا يرضى عن المفرورين المفتونين ، والعبرة في هذه القصة أن الكافرين بعمد - ﷺ - قد اغتروا بأموالهم ، فبين
 القرآن أن أموالهم بجانب مال قارون ليس شيئا مذكورا .

٧٧ - واجعل نصيبا مما أعطى لك الله من التقى والخير في سبيل الله والعمل للدار الآخرة ، ولا تمتنع نفسك
 نصيبا من التمتع بالحلال في الدنيا ، وأحسن إلى عباد الله مثلما أحسن الله إليك بنعمته ، ولا تفسد في الأرض
 متجاوزا حدود الله ، أن الله سبحانه لا يرضى عن المفسدين لسوء أعمالهم .

٧٨ - فلم يستجب قارون لنصح قومه ، ونسى فضل الله عليه ، وتجاهل أن الله قد أهلك قبله كثيرا كثيرا
 أكثر منه قدرة على كسب المال وخبرة بوجوه استناره ، والمجرمون لا يسألون عن ذنوبهم لعلهم تصال بها ،
 فيدخلون النار بشير حساب والماسألون سؤال توبيخ .

== وذلك أن الأرض لو كانت تدور حول محورها وحول الشمس في فترة واحدة مقدارها ٣٦٥ يوما تقريبا ، لحدثت تغيرات جوفية منها
 استمرار الزلازل في نصفها واستمرار الغياض في نصفها الآخر تقريبا ، وهذا نزع الحرارة في النصف المضاد ارتفاعا لا يطاق ، ويتجمد
 النصف المظلم ، ويصير التضامن غير صالحين للحياة ، أما نظام الأرض فإنه يكتسب تماثلا الليل والنهار فينشأ السكن في الليل
 والسي في النهار ، وينتج الجو الصالح لحياة الإنسان والحيوان والنبات ، وهذا فضل من الله على عباده يستحق الإقرار بقدرة ودام
 شكره .

قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّتْ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُورُونَ ۖ لَهُمْ لَذْوَحٌ عَظِيمٌ ﴿٧٩﴾
وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَذُّ قَوَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ
وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانُوا لَهُمْ فِتْنَةً يَنْصُرُونَ ۖ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ
تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَذِّبُ اللَّهُ بِبُطْهِ الرِّزْقِ لِمَن بَشَاءَ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَيَقْدِرُ لَوْ أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا
خَسَفٌ بَنَّا وَيَسْكَأُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
وَلَا فَسَادًا ۖ وَالْعَنَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا
السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي قَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَّادُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۖ قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ

٧٩ - لم يعبأ قارون بنصح قومه، وخرج عليهم في زينته، فاعتر به الذين يبيجون متاع الحياة الدنيا، وتقنوا أن يكون لهم مثل ما أعطى قارون من المال والحظ العظيم في الحياة.

٨٠ - أما الذين رزقهم الله العلم النافع فلم يفتنهم ذلك، وتوجهوا بالنصح للمؤمنين قائلين لهم: لا تمنوا هذا ولا تنصرفوا عن الدين، فإن ما عند الله من ثواب ونعيم أزكى لمن آمن به وعمل صالحا، وتلك نصيحة حقة لا يتقبلها إلا من يباهدون أنفسهم ويصيرون على الطاعة.

٨١ - فخسف الله به الأرض فابتلته هو وداره بما فيها من أموال وزينة، فلم يكن له أنصار ينصونه من عذاب الله، ولم يكن يستطيع أن ينتصر لنفسه!

٨٢ - وصار الذين تمنا منذ وقت قريب منزلته من الدنيا يرددون عبارات التحسر والندم بعد أن فكروا فيما أصابه! ويقولون: إن الله يوسع الرزق على من يشاء من عباده المؤمنين وغير المؤمنين، ويضيق على من يشاء منهم، ويقولون شاكرين: لولا أن الله أحسن البنا بالهداية إلى الإيمان والعصمة من الزلل لامتحننا بإجابة ماقتنائه، ولعل بنا مثل ما فعل بقارون، إن الكافرين بنعمة الله لا يفلحون بالنجاة من عذابه!

٨٣ - تلك الدار التي سمعت خبرها - أيها الرسول - وبلغك وصفها - وهي الجنة - تخص بها المؤمنين الطائعين الذين لا يطلبون العلية والتسلط في الدنيا، ولا ينصرفون إلى الفساد بالمعاصي، والمأقية الحميدة إنما هي للذين تمتلئ قلوبهم خشية من الله فيصلحون ما يرضيه!

٨٤ - الذي يأتي بالحسنة - وهي الإيمان والعمل الصالح - له ثواب مضاعف بسببها، والذي يأتي بالسيسة - وهي الكفر والمعصية - فلا يجزي إلا بمثل ما عمل من سوء.

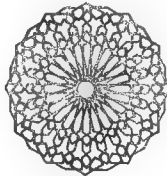
بِالْمُؤَدَّى وَمَنِ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ
ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَنْذَعُ لَكَ رَبُّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا لَهَا أَنْتَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

٨٥ - ان الله الذي أنزل القرآن ، وغرض عليك تبليغه واتمسك به لراذك إلى موعد - لا محالة منه - وهو يوم
القيامة ليفصل بينك وبين مكذبيك ، قل - أيها الرسول - للكافرين : ربي هو الذي يعلم علما ليس فوقه علم من
منحه الهداية والرشاد ، وبين هو واقع في الضلال الذي يدركه كل عاقل سليم الإدراك !

٨٦ - وما كنت - أيها الرسول - تأمل وتنتظر أن ينزل عليك القرآن ، ولكن الله أنزله عليك من عنده رحمة
بك وبأمتك ، فاذكر هذه النعمة ، وتأثر على تبليغها ، ولا تكن أنت ولا من اتبعك عوناً للكافرين على ما يريدون .

٨٧ - ولا يصرفك الكافرون عن تبليغ آيات الله والعمل بها ، بعد أن نزل بها الوحي عليك من الله
وأصبحت رسالتك ، وتأثر على الدعوة إلى دين الله ، ولا تكن أنت ولا من اتبعك من أنصار المشركين باعائتهم
على ما يريدون .

٨٨ - ولا تعبد من دون الله الها سواه ، إذ ليس هناك إله يعبد بحسب غيره ، كل ما عدا الله هالك وفان ،
والخالد الخالق هو الله الذي له القضاء النافذ في الدنيا والآخرة ، وإليه لا محالة مصير الخلق أجمعين !





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلَمْ ۙ اَحْسِبِ النَّاسَ اَنْ يُمِرُّوْا اَنْ يَقُوْلُوْا اٰمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُوْنَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ

هذه السورة مكية ، وعدد آياتها ٦٩ ، والآيات من ١ إلى ١١ مدنية ، وقد ابتدأت السورة ببيان أنه لا بد من أن يعتبر إيمان المؤمنين بالشهادتين ، والجهاد لصيانة دولة الحق والإيمان ، وقد أوصى الإنسان بأبويه مع الأمر بالجهاد ، حتى يجمع بين الاحسان والجهاد ، وبين أصناف الناس بالنسبة للإيمان ، وأن منهم من يقول آمنا بلسانه ولم يذعن قلبه ، ثم أشار إلى نوح وجهاده في قومه ، وكذلك أشار إلى قصة إبراهيم في دعوته ، وبين وجه العيرة للنبي ﷺ ، ثم بين جواب قوم إبراهيم ، وأشار إلى لوط وقصة قومه ، وانزال رسل الله من الملائكة لاهلاكهم ، ونجاة أهله إلا امرأته ، ثم أشار سبحانه إلى قصة شعيب مع مدين ، وإلى هود وعاد ، وإلى صالح وفهود ، وإلى غرور قارون وفرعون وهامان وعاقبة أمورهم ، وبين سبحانه أن عبادة المشركين للأوثان تقوم على حجة هي أضعف من بيت العنكبوت قوة ، وأن هذه الأمثال لا يدركها إلا الذين يعملون بحسبهم ، وأمر الله نبيه بعد ذلك بالآييمادل أهل الكتاب إلا بالحسنى وأشار سبحانه إلى أمية النبي ﷺ وأنها تدل على رسالته . وقد أشار سبحانه إلى تعنت المشركين في طلبهم معجزات حسية سيكفرون بها ، كما كفر بها قوم موسى وغيرهم ، وأشار إلى استعجالهم العذاب ، وقد بين لهم ما يستقبلهم منه ، وذكر سبحانه جزاء المؤمنين والكافرين يوم القيامة . ووجه الأنظار بعد ذلك إلى الكون ونعم الله تعالى فيه ، ثم ذكر قيمة الحياة الدنيا بجوار الآخرة . وحال المشركين في ضعفهم ولجوتهم إلى الله حين يخافون ، وفي قوتهم وإشراكهم به حين يأمنون ، ثم بين نعمته عليهم في البيت الحرام وكفرهم بها ، ثم بين فضل المجاهدين .

١ - الم : حروف صوتية سبقت لبيان أن القرآن المعجز مؤلف من هذه الحروف التي يحسنون نطقها ، ولتنبيه السامعين ولقت أنظارهم إلى الحق .

٢ - أظن الناس أنهم يتركون شأنهم لتطهيم بالشهادتين دون أن يعتبروا بما يتبين به حقيقة إيمانهم من الحسن والتكاليف ؟ لا . بل لا بد من امتحانهم بذلك .

فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٠﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَوَضَعْنَا لِلْإِنْسَانِ يُولَئِهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكَ فَانْتَظِرْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٤٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَابٍ إِلَهُ وَلَيْتَ

٣ - ولقد اختبر الله الأمم السابقة بالتكاليف وألوان النعم والمحن . ليظهر ما سبق في علمه القديم ، ويتميز الصادقون في إيمانهم من الكاذبين .

٤ - أظن الذين يشركون بالله ويصوتونه أن يسبقونا في فرارهم من عذاب الله وعقابه !؟ بش حكمهم هذا .

٥ - من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ورجو ثواب الله ويخاف عقابه فإيمانه حق . وليبادر إلى العمل الصالح ، فإن اليوم الموعود أت لا محالة ، والله صميع لأقوال العباد عليم بأفعالهم ، وسيجزى كلا بما يستحق .

٦ - ومن جاهد في سبيل إعلاء كلمة الله ، وجاهد نفسه بالصبر على الطاعة ، فإن ثواب جهاده لنفسه ، وأن الله سبحانه لغني عن طاعة العالمين .

٧ - والذين اتصفوا بالإيمان وعملوا الصالحات لنذهب عنهم سيئاتهم ، ونغفر لهم ، ونجزهم أولى جزاء على أعمالهم الصالحة .

٨ - وأمر الله الإنسان أن يبالغ في الاحسان إلى والديه وطاعتهما . وإن هلكا على الشرك بالله - وهو ما لا يقره علم ولا عقل - فلا تطعهما ، وإلى الله مرجع الخلق كافة فينتهم بما عملوا في الدنيا ويجزيهم به .

٩ - والذين صدقوا بالله ورسالاته وعملوا الصالحات لنذهبهم الله في الصالحين ، ينالون جزاءهم ويأنسون

٣٨

جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لِيقُولُوا إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٥﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَمَلْنَاهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ

١٠ - ومن الناس من يقول بلسانه : أمنا ، فلذا أصابه أنى في سبيل الله جزع وفتن عن دينه ، ولم يفكر في عذاب الله يوم القيامة ، فكانه جعل ابداء الناس كعذاب الله في الآخرة . . إذا نصر الله المؤمنين على عدوهم فغنموا. منهم جاء هؤلاء المتظاهرون بالايان ، وقالوا للمسلمين : انا كنا معكم في الايمان ، فاعطونا نصيبا من الغنيمة لا ينبغي أن يظن هؤلاء أن أمرهم خاف على الله فأنه أعلم بما في صدور الناس من نفاق وإيمان .

١١ - ول يظهر الله للناس سابق علمه ، فيميز بين المؤمنين والمنافقين ، ويمجازي كلا بما عمل .

١٢ - وكان زعماء الشرك يقولون للذين دخلوا في الاسلام مخلصين : كونوا كما كنتم على ديننا ، واتبعوا ما نحن عليه ، وإذا كان هناك بحث وحساب فحشونه فنحن نحمل عنكم أثامكم . لن نحمل نفس وزر نفس أخرى ، ان الكافرين لكاذبون في وعدهم .

١٣ - وسوف يحمل الكفار أوزار أنفسهم الثقيلة ، ويحملون معها مثل أوزار من أضلواهم وصرفوهم عن الحق ، وسيحاسبون حقا يوم القيامة على ما كانوا يخلقون في الدنيا من الأكاذيب ، ويذبون بها .

١٤ - ولقد بعث الله نوحا إلى قومه يدعوهم إلى التوحيد ، فكث يدعوهم تسعة وخمسين سنة وهم لا يستجيبون له ، فأغرقهم الله بالطوفان وهم ظالمون لأنفسهم بالكفر .

١٥ - وحقق الله وعده لنوح ، فأجابه والمؤمنين الذين ركبوا معه السفينة ، وجعل قصتهم عبرة لمن بعدهم .



ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَفِتْنًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ
 تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ
 أَنْشَأَهُ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ
 الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ
 فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَآبِئْتِ اللَّهُ وَلِقَائِهِ ۚ

١٦ - واذكر - أيها الرسول - قصة إبراهيم حين دعا قومه الى توحيد الله وطاقته ، ونهيهم الى أن الايمان خير لهم من الكفر ان كانوا من ذوى العلم والعقل .

١٧ - وقال لهم : أنتم لا تعبدون من دون الله الا تماثيل وأصناما تصنعونها بأيديكم ، وتفتلقون الكذب فتسمونها آلهة . وأن هذه الأوثان التي تعبدونها من دون الله لا تنفع ولا تضر ولا تستطيع لكم رزقا ، فاطفئوا الرزق من الله وحده ، وخصوه بالعبادة والشكر له على نعمه ، فإليه مصيركم أجمعين فيجازيكم على أعمالكم .

١٨ - وان تستمروا على تكذيبى فلن تضرونى ، فقد أبلغتكم أن الرسل قبل كذبتم أهمهم وما ضرهم ، وانما ضرروا أنفسهم اذ أهلكتهم الله بسبب تكذيبهم . فليس على الرسول إلا أن يبلغ في وضوح رسالته الى قومه .

١٩ - قد رأوا وعلما أن الله يبدئ الخلق ثم يعيده ، فكيف ينكرون البعث في اليوم الآخر للحساب والمجازاة ؟ إن الاعادة على الله أسهل .

٢٠ - قل - أيها الرسول - هؤلاء المكذبين : امشوا في الأرض ، وتأملوا فيها أنشأ الله فيها من مختلف الكائنات ، وانظروا إلى آثار من كان فيها قبلكم بعد أن ماتوا وخلت منهم ديارهم ، واعلموا أن الله بقدرته سيبدى كل ذلك في الآخرة بالبعث وهو الانشاء الآخر ، وكذلك شأنكم ان الله سبحانه تام القدرة على كل شيء ^(١) .

٢١ - يعذب الله من يشاء بعد النشأة الآخرة وهم المنكرون لها ، ويرحم من يشاء وهم المؤمنون المقرون بها ، وإليه وحده مرجع الخلق جميعا للحساب والمجازاة .

٢٢ - ولستم - أيها المكذبين - بضالين لقدرة الله ، سواء أكنتم في الأرض أم في السماء ، بل هى محيطية بكم ، وليس لكم ولى يمتكم من الله ولا نصير يدفع عنكم عقابه .

(١) « قل سيرا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير » : تحت هذه الآية الكريمة الباحثين على السهر في الأرض ليكتشفوا عن كيفية بدء خلق الأنبياء من حيوان ونبات وجماد ، فإن آثار الخليقة الأولى منطبعة بين طبقات الأرض وعلى ظهورها وهى لذلك سجل حافل بتاريخ الخليقة منذ بنيتها حتى الآن .

أُولَئِكَ يَسْأَلُ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ لَمَّا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ - إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَلَمَّحَهُ
 اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَوْدَّةَ بَيْنِكُمْ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَيْكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ
 نَاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ * فَظَنَّ لَوْ لَوْطُ قَالَ إِنِّي مَهْجُورٌ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَمَّا فِي الْآخِرَةِ لَمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾

٢٣ - والذين كفروا بدلائل الله على وحدانيته ، وكذبوا برسله وكتبه ، وأنكروا البعث والحساب . هؤلاء ليس لهم مطعم في رحمة الله وهؤلاء لهم عذاب شديد مؤلم .

٢٤ - لم يكن جواب قوم ابراهيم له - حين أمرهم بعبادة الله وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان - إلا الامعان في الكفر ، وقول بعضهم لبعض : اقتلوه أو حرقوه ، فألقوه في النار ، فيجعلها الله يردها وسلاما عليه ، وأنجاه منها ، ان في احباط كيدهم وأنجاهته منها وعدم تأييدها فيه لدلائل واضحة لقوم يصدقون بتوحيد الله وقدرته .

٢٥ - وقال ابراهيم لقومه : لم تعبدوا إلا آلهة باطلة لعبادتها ، ولم ينكر بضعكم على بعض ابتغاء لمودة آلهة ارتضىتموها في حياتكم الدنيا ، ثم يتبدل الحال يوم القيامة ، فينبأ القادة من الاتباع ، وبلعن الاتباع الفساد ، ومصيركم جميعا النار ، وليس لكم ناصر ينصركم من دخولها .

٢٦ - وكان أول من أجاب دعوة ابراهيم الى الحق لوط فصدق وكان موحدا من قبل ، وقال ابراهيم مطيعا لأمر الله : إني مهاجر الى الجهة التي أمرني ربى بالمهجرة اليها والقيام بالدعوة الى الله فيها . وهو العزيز الذي يمنعي من أعدائي ، الحكيم الذي لا يأمرني الا بما هو خير .

٢٧ - ومن الله على ابراهيم بأسعاه ولله ويعقوب حفيده ، وكرمه بأن جعل النبوات في ذريته ، وأنزل عليهم الكتب السماوية ، وجزاها الله أحسن الجزاء في الدنيا ، وهو في الآخرة من خيار الصالحين .

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّا نَأْتِيكُم بِالْقُرْبَىٰ ۖ إِنَّا نَأْتِيكُم بِآيَاتٍ مِّن مَّا سَبَقَ لَكُم فِيهَا مِنْ أَشْيَارٍ ۚ لَنَأْتِيَنَّكَ الرِّجَالُ
وَنَقَطَعُونَ السَّبِيلَ ۚ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ۚ لَقَدْ كَانَ جَوَابُ قَوْمِهِ ۖ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ
قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۖ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا
لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ ۖ إِلَّا أَمْرًا تُرَاهُ ۚ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٣١﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ ۖ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ ۖ إِلَّا أَمْرًا تُكَلِّمُ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ

٢٨ - واذكر - أيها الرسول - إذ أرسلنا لوطا الى قومه، فدعاهم الى توحيد الله وطاعته، وأنكر عليهم العمل
الفاحش الذي كانوا يفعلونه ولم يسبقهم الى فعله أحد من خلق الله.

٢٩ - ان ما فعلونه منكر مهلك. فانكم تفعلون الفاحشة بالرجال، وتقطعون سبيل النسل، فيكون المال
الفناء. وترتكبون في مجتمعاتكم المنكرات دين خوف من الله ولا حياة فيها بينكم. فلم يستمع له قومه، ولم يكن لهم
جواب غير السخرية به، وطلبوا منه أن يجعل بعذاب الله الذي يهدمهم به إن كان صادقا فيما يقول.

٣٠ - فاستعان لوط عليهم باله، وطلب أن ينصره على قومه المفسدين في الأرض.

٣١ - وحين جاءت ملائكة الله الى ابراهيم عليه السلام مبشرين، قالوا: ان أمرهم باهلاك أهل هذه القرية،
بسبب افسادهم وظلمهم أنفسهم بالشرك وارتكاب الفاحشة.

٣٢ - قال ابراهيم عليه السلام للملائكة: ان في القرية لوطا، وكيف تهاكونهم وهو فيهم، فأجابته الملائكة:
بأنهم يعلمون من فيها، وأنهم ينجون لوطا وأهله من العذاب، إلا أمرته فانها في المالكين لكفرها وإساءتها.

٣٣ - ولما ذهب الملائكة المرسلون الى لوط وأهم حزن لحضونه عليهم من عدوان قومه، وعجزت حيلته فيما
يتعلق بمحبتهم. فطمأنوه وقالوا له: لا تحزن عدوان قومك علينا، ولا تحزن من أجلنا، فقد أتينا لاهلاك أهل هذه
القرية، وستنجيك واهلك، ولكم امرأتك لكفرها ستكون مع المالكين.

رِجْرًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ رَزَقْنَاهَا آيَةً يَبِينَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَئِنْ مَدِينَهُمْ
شُعْبًا فَقَالَ بَلْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجِعُوا الْيَوْمَ الْأَمْرَ وَلَا تَعْبُدُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخْلَتْنَهُمُ
الرَّجَّةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنْبِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادَا وَنَحَدُوا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ^ط وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُصْتَعِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَفَرَّوْنَ وَفِرْعَوْنُ وَهَمْلُنُ^ط وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ
فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخْلَدْنَا بِذُنُوبِهِمْ^ط فَنُفِثْنَا مِنْ أَرْضِنَا عَلَيْهِ حَامِسًا وَمِنْهُمْ مَنْ
أَخْلَدَهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا^ك وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ

٣٤ - وقالت الملائكة : اتنا مرسلون لتنفيذ أمر الله بانزال العذاب من السماء على سكان هذه القرية ، بسبب فسقهم وكفرهم .

٣٥ - ولقد أهلك الله هذه القرية ، وترك منها آثارا ظاهرة ، لتكون دليلا على ما فعله الله بهم وعبرة لمن يتدبر .

٣٦ - وأرسل الله الى اهل مدين رسولا منهم وهو شعيب ، دعاهم الى توحيد الله وعبادته والخوف من اليوم الآخر وفعل ما يرجون به ثواب الله فيه . وتهاهم عن السعي في الأرض بالفساد .

٣٧ - فكذبوه وعصوه ، فأهلكهم الله بزلزال شديد دمر عليهم مساكنهم ، ففدوا فيها صرعى مبتلين .

٣٨ - واذكر - أيها الرسول - مصارع عاد وحمود إذ أهلكناهم ، وقد بقيت من مساكنهم آثار ظاهرة ترونها ، وكان هذا الملاك بسبب ما زين لهم الشيطان من أعمالهم الباطلة فاتبعوه ، فصرفهم عن طريق الحق الذي كانوا يسرفون بواسطة الرسل .

٣٩ - واذكر - أيها الرسول - هؤلاء المغترين بأموالهم وسلطانهم مصرع قارون وفرعون وهامان وما جرى عليهم من سنة الله بهلاك المكذبين ، وقد بعث الله اليهم موسى بالمعجزات الظاهرة الدالة على صدقه ، فكذبوه وأبوا أن يستجيبوا له استكبارا ، وما كانوا غاليين لقدرة الله بالانفلات من عقابه .

يَظُنُّونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَزْلَىٰ أُولَٰئِكَ كَثَلُ الْعَنْكَبُوتِ أَخْلَصَتْ بَيْتًا وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتَ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَكَانَ الْأَمَثَلُ نُفُوسِهِمْ لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَقَّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتَقُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ * وَلَا تَجِدُوا أُمَّةً أَحْسَنَ إِلَّا الَّذِينَ غَلَبُوا مِنْهُمْ

٤٠ - فكل أمة من هذه الأمم المكذبة يرسلها أهلكها الله بسبب كفرها وما ارتكبت من المصيبة ، فيبض هذه الأمم أهلكه الله بالريح النافسة التي حصيتهم بالهجرة ، وبعضهم هلك بالصيحة المدوية المهلكة ، وبعضهم خسف الله به الأرض ، وبعضهم أغرقه الله في البـ . ولم يكن هذا العذاب ظلماً من الله لهم ، بل كان بسبب كفرهم وارتكابهم الذنوب .

٤١ - شأن المبطلين الموالين لغير الله في الضعف والوهن والاعتدال على غير معتد كشأن العنكبوت في الخناصا بيتاً تختص به ، وبيتها أوهى البيوت وأبعد عن الصلاحية للاحتباء ، ولو كان هؤلاء المبطلون أهل علم ونفطة لما علوا ذلك^(١) .

٤٢ - إن الله سبحانه محيط علماً بطلان عبادة الآلهة ، وهو سبحانه عالماً على كل شيء الحكيم في تدبيره وتشريعهم .

٤٣ - وهذه العبر والأمثال يذكرها الله للناس للظة والاعتبار ، وما ينير بها الألقاء الذين يتدبرون .

٤٤ - وبجانب ما ذكر الله من القصص والأمثال والآيات آية أوضح ، هي خلق السموات والأرض بالقدرة والحكمة ، والتدبير الكامل لصالح الناس ، وفي هذا دلائل صالحة لمن يؤمنون بالحق .

٤٥ - اقرأ أيها النبي كتاب الله ، ولا تلتفت إليهم ، وأد الصلاة على وجهها ، لأن الصلاة مع الاخلاص من شأنها أن تصرف من يقيمها عن الذنوب الكبيرة وكل ما ينكره الشرع . ولتتوسل الله ومراقبته في الصلاة وغيرها أكبر أثراً وأعظم ثواباً . والله يعلم ما تفعلون من الخير والشر فيجازيكم عليه .

(١) « مثل الذين اتفقوا من دين الله أولياء كمثل العنكبوت انقلبت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبست العنكبوت لو كانوا يعلمون » : يبيت العنكبوت التي تنبئها لسكانها . وللنبي على فريضة دقيقة الصنع لأنها مكتوبة من خطوط على درجة عظيمة من الرقة تنسوق رقة الحرير ، وهذا مما يجعل نسجها أخف بيت يتخذ أي حيوان مأوى له .

وَقُولُوا ءَمَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكَ وَاللَّهُ وَحْدَهُ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحِطُّ بِسَمِيعِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُسْلِمُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَجْعَلْهُمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كُنْ مِنْكُمْ نَذِيرٌ وَبَيِّنْكُمْ شَيْدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ

٤٦ - ولا تجادلوا مخالفيكم من اليهود والنصارى إلا بالطريقة التي هي أهدأ والين وأدعى الى القبول. إلا الذين جاوزوا حد الاعتدال في الجدل فلا حرج في مقابلتهم بالشدة ، وقولوا لمن يجادلونهم : صدقنا بما أنزل الله إلينا من القرآن وما أنزل اليكم من التوراة والانجيل ، ومعبودنا ومعبودكم واحد ، ونحن له - وحده - منقادون .

٤٧ - وكما أنزلنا الكتب على من قبلك من الرسل أنزلنا اليك القرآن ، فالذين آتيناهم الكتاب قبل القرآن فتدبروه واعتدوا به يؤمنون بهذا القرآن . ومن هؤلاء الصرب من يؤمن به وما ينكر آياتنا - بعد ظهورها وزوال الشبهة عنها - إلا المصرون على الكفر .

٤٨ - وما كنت تقرأ كتابا من الكتب قبل القرآن ، ولا كنت تكتب بيمينك ، ولو كنت ممن يقرأ ويكتب للسك أهل الباطل في أنه من عند الله .

٤٩ - ليس هذا الكتاب موضع ارتياب ، بل هو آيات واضحات محفوظة في صدور الذين آتاهم الله العلم ، وما ينكر آياتنا - بعد العلم بها - إلا الظالمون للحق ولأنفسهم .

٥٠ - وقال الكفار في جدالهم ولجاجهم : هلا أنزل عليه معجزات حسية كالتي نزلت على الرسل من قبل . قل لهم : إنما المعجزات كلها من عند الله ، يفرها حين يشاء ، وإنما أنا مكلف بالانذار الواضح ، لا الإتيان بما تفرحون .

٥١ - أبقرحون هذه الآيات ولا يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يقرأ عليهم - وهو الآية الخالصة على مر الزمن - إن في إنزال هذا الكتاب عليك لرحمة بهم وبالأجيال من بعدهم ، وتذكرة دافعة لقوم شأنهم أن يؤمنوا إذا وضعت لهم سبل الهداية .

ءَامِنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَاسْتَعِجْ لَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْضَةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ وَاسْتَعِجْ لَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَتَسَاءَلُ الْعَذَابُ مِنَ قَوْمِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَتَعَادَى الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى الَّذِينَ لَا يَشْعُرُونَ رِيسَةً فَلِلَّذِينَ فَاعِدُونَ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُخْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ ذَآئِقَةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِلَّا تَذَكَّرُوا وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَٰيِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ

٥٢ - قل : حسي وحسبكم أن يكون الله شاهدا على أفي قد بلغتكم ما أرسلت به اليكم ، فهو مطلع على أسمى وامركم ، لا يخفى عليه شئ في السموات والأرض . والذين عبدوا غير الله وكفروا بالله فلم يخلصوه بالعبادة ، أولئك هم الذين اشتروا الكفر بالإيمان فأصلابهم الحشران المين .

٥٣ - وينحدك الكافرون أن تعجل لهم العذاب الذي حذرته منه ، ولولا أجل معلوم قضت به حكمتنا لعجلنا لهم العذاب الذي استعجلوه ، وأقسم ليأتينهم فجأة وهم لا يشعرون .

٥٤ - يطلبون اليك تعجيل العذاب وهو واقع بهم لا محالة . وإن جهنم لتحيط - يقينا - بالكافرين .

٥٥ - يوم يفرهم العذاب من أعلامهم دون أسفلهم . ويقول الملك الموكل بهمانيهم : ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من السيئات .

٥٦ - يا عبادي الذين صدقوا في ورسولي : إن أرضي واسعة لمن أراد أن يفر عن مواطن الشرك . ففروا إلى مخلصين إلى العبادة .

٥٧ - كل نفس ستذوق طعم الموت - لا محالة - ثم اليها تعودون فتجزون بما قدمتم من خير وشر

٥٨ ، ٥٩ - والذين صدقوا بالله وكتبه ورسله ، وعملوا الأعمال الصالحة ، نقسم : لنزولهم من دار النعيم غرفات تجري من تحتها الأنهار ، لا ينقطع عنهم نعيمها ، نعم هذا الجزاء أجراً للعاملين الصابرين على كل ما يصيبهم في سبيل الله من فراق الأوطان والأهل والأموال . المتعدين على الله - وحده - في جميع أحوالهم .

٦٠ - وكثير من الدواب التي تعيش معكم في الأرض لا تستطيع - لضغفها - أن تحمل رزقها وتنقله ، لتأكله أو تدخره . الله جيبى لها أسباب رزقها وحياتها ، ويحيى لكم أسباب رزقكم وحياتكم . وهو المحيط بكل ما خلق سمعا وعلما .

الْأَسْمَانِ وَالْأَرْضِ وَحَرَّ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ تَزَلَّ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَجَابَ بِهِ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هِيَ إِلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ لَا تَلْمُزُوهَا ۖ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِّلْحَيَوانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَا اللَّهُ مَخْلُصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيُكْفَرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَعْتَمِرُوا ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ أَنَّ أَجْلُنَا جَزَاءُ مِمَّا نَقْطَعُ النَّاسَ

٦١ - وأقسم ان سألت المشركين : من أوجد السموات والأرض ، وذلّل الشمس والقمر وأخضعها لمناقع الناس ؟ ليقولن : خلقهن الله ، ولا يذكرون أحدا سواه ، فكيف اذن يصرفون عن توحيد الله - تعالى - مع اقرارهم بهذا كله ؟

٦٢ - الله يوسع على من يشاء في الرزق ويضيق على من يشاء حسبما يقتضيه علمه بالمصالح فإن الله أحاط بكل شيء علما .

٦٣ - وأقسم ان سألتهم : من نزل من السماء ماء ، فجعل منه حياة الأرض بالنبات بعد جديها ؟ ليقولن : الله . قل الحمد لله على اعترافهم بالحق ، بل اكفرهم لا يفهمون مايقعون فيه من تناقض .

٦٤ - وليست هذه الحياة الدنيا الا متاعا محدود الوقت ، يلهو به الغافلون كما يلهو الصبيان ويلعبون وقتا ما ثم ينفضون . وإن الدار الآخرة هي دار الحياة الحقيقية الكاملة الدائمة ، وهذه حقائق ثابتة يدركها هؤلاء لو كان من شأنهم الادراك الصحيح .

٦٥ - هم على ما وصفوا به من الشرك ، فإذا ركبوا السفن في البحر وادركهم شيء من أهواله توجهوا الى الله مخْلِصين له الدعاء أن يكشف عنهم الضر ، فلما نجاهم الى البر سارعوا بالعودة الى الإشراك .

٦٦ - لينكروا ما أعطيتهم من النعم ، ولينفقوا بما يرضى هواهم في هذه الحياة ، فسوف يعلمون عاقبة الكفر حين يشاهدون العذاب الأليم .

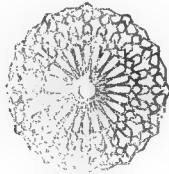


مِنْ حَوْطِهِمْ أَقْبَالَ بَطْلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِرِيعَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

٦٧ أعمى كفار مكة عن نعم الله التي أسفيها عليهم ، ولم يروا أننا جعلنا بلدهم مصونا لا ينهب ولا يسلب ، مقدسا لا يسي أهله ولا يقع فيه قتل ، ويسلب الناس ويسبون من حوهم ؟ أعموا عن هذه النعم فما لا أصل له يصدقون ، ويمجد ويكل ما جاء به يكذبون ؟

٦٨ - وليس هناك أحد أشد ظلما ممن نسب الى الله ما لم بشره ، أركب بالدين الحق حين يلفسه ، إن في جهنم لماوى هؤلاء الظالمين الكافرين .

٦٩ - والذين بذلوا جهدهم ، واهتملوا المشقة في سبيل نصره ديننا ، لنزيدهم هداية الى الخير والحق ، وإن الله لمع الذين يحسنون أعمالهم ، يحبهم وينصرهم . والله أعلم .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلَمْ غَلَبَتِ الرُّومُ ۝ فِيْ اَدْنٰى الْاَرْضِ وَهُمْ مِنْۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُوْنَ ۝ فِيْ بَضعِ سِنِيْنَ ۝ اَللّٰهُ اَكْبَرُ

بدأت السورة بذكر هزيمة الروم، ووعد الله للمؤمنين أن ينصرهم على الفرس، ودعت إلى التفكير في خلق الله، والسير في الأرض، ليمروا عاقبة الكافرين الذين عمروا الأرض أكثر مما عمرها قريش، وعرضت لحال الناس يوم القيامة، ونوهت بتسبيح المؤمنين لله وعبادتهم إياه في الفداة والعنى والظهرة والأصيل، ونهيت إلى دلائل وحدانية الله بتعاقب الليل والنهار واختلاف الألسنة ومظاهر الكون في السموات والأرض، وضربت الأمثال التي تدل على بطلان الشرك، وذكرت الناس يخلق الله لهم ونعمه عليهم، وقوت دعائم الأسرة وأواصر المجتمع، وعينت بالشرع، فحرمت الربا، وشرعت الزكاة، وحثت على البر بالأقربين.

ثم امتن الله - سبحانه - على عباده - ودعاهم إلى التدين والطاعة، ووجه أنظارهم إلى ما في الكون من عجائب تدل على مبلغ القوة والقدرة، وبين أطوار الانسان إلى أن يبلغ أرذل العمر.

وأشارت الآيات الأخيرة إلى يوم القيامة وكفر المشركين به، وختمت السورة بالنصح للمسلمين - ﷺ - أن يثبت في الحق، ويصبر على ما يلقى، فإن وعد الله آت لا محالة.

١ - بدأت السورة بهذه الآية لبيان أن القرآن مؤلف من هذه الحروف التي ينطق بها العرب في سهولة ووضوح، ولكن المنكرين له عجزوا عن الاتيان بمثله، وهي - كذلك - تنبه الناس إلى الاستماع والانصات، وتحملهم على التصديق برسالة محمد ﷺ.

٢، ٣ - غلبت فارس الروم في أقرب الأرض من العرب، وهي أطراف الشام، وهم بعد انهزامهم سيفلبون فارس.

تطبيق المبرام على الآيات من ١ - ٦ :

في هذه الآيات الشريفة إشارة إلى حدثين: كان أولهما قد وقع بالفعل، وأما الثاني فلم يكن قد وقع بعد، وهو اخبار عن الغيب، (وحدد لوقوعه بضع سنين لما بين الثلاث والربع).

وتفصيل الحدث الأول أن الفرس والبيزنطيين قد استحكوا في معركة في بلاد الشام على أيام خسرو أبرويز أو خسرو الثالث عامل الفرس المعروف عند العرب بكسرى. وبعث أكليدس الصغير الإمبراطور الروماني المعروف عند العرب بقرقل، في عام ٦١٤ استولى الفرس

مِنْ قَبْلِ مَنْ بَعْدَ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ يَنْصَرُ اللَّهُ بِنَصْرٍ مِنْ نِسَاءٍ وَهُوَ أَعَزُّ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ يَعْلَمُونَ ظُهُورَ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٤﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا لِحَقٍّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَلَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا نَاسٍ بَلَاغٍ رِجْهٍ لَكُمْ يَحْكُمُونَ ﴿٥﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنِةَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ لَئِنْ كَانُوا اللَّهُ

٤ . ٥ - قيل أن تحضى تسع سنوات - وكان المشركون قد فرحوا بانتصار فارس ، وقالوا للمسلمين : ستغلبكم كما غلبت فارس الروم التي هي من أهل الكتاب - قد حقق الله وعده ، فانتصر الروم على فارس في الأجل الذي سماه ، فكان ذلك آية بينة على صدق محمد - ﷺ - في دعواه وصحة ما جاء به ، الله الأمر والتفاهد من قبل كل شئ ، ومن بعد كل شئ ، ويوم ينتصر الروم على فارس يفرح المؤمنون بنصر الله الذي يؤيد من يشاء ، وهو الغالب على أعدائه ، الرحيم بأوليائه .

٦ - وعد الله المؤمنين وعدا صادقا ، لا يخلف الله وعده ، ولكن الجاحدين ليس من شأنهم العلم بالأمر على وجهها .

٧ - يعلمون شئون ووسائل عمرانها والتنع بزخارفها ، وهم عن التزود للآخرة مسرفون في الجهل والغفلة .

٨ - أطمس على أعينهم وقلوبهم ولم يتفكروا في أمر أنفسهم ليعرفوا مصيرهم ؟ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما من كواكب وغيرها الا مقرونة بالجد ، مصحوبة ومحدودة بوقت تنتهي عنده ، وإن كثيرا من الناس يلقاه الله وقبام الساعة لجاحدين .

== على أنطاكية أكبر المدن في الأقاليم الشرقية للإمبراطورية الرومانية . ثم على دمشق ، وحاصروا مدينة بيت المقدس إلى أن سقطت في أيديهم وارتدوها ونهبوا السكان وأخذوا يهجمهم . وقد مر الحريق كيسة القيامة واستولى المشركون على الصليب وقلوبهم على عاصمتهم . وقد جازعت نفوس المسيحيين هذه الكارثة المروعة ولما كانت هذه الهزيمة يمت سرور للمشركين من أهل مكة وسبب خائبتهم بالمسلمين لأن الروم أهل كتاب كأصحاب محمد - ﷺ - والفرس ليسوا أصحاب كتاب كالشركيين ، أنزل الله جل جلاله على محمد هذه الآيات البينات ليشرحهم بنصرة أهل الكتاب وفرجتهم ، وهزيمة للشركيين وسوء حاليتهم في فترة من الزمن حصدوا يضيغ سنين .
ونفصيل الحدث الثاني أن هزتل قيصر الروم الذي متى جيشه بالمزاية لم يفقد الأمل في النصر ولذا أخذ يعد نفسه لمحركة بحسو عار مزيعته ، حتى إذا كان العام ٦٢٢ الميلادي « أي العام لمجسرى الأول » أرغم الفرس على خوض معركة على أرض أرمينيا وكان النصر حليف الروم ، وهذا النصر فلقية انتصارات الروم على الفرس . . وهكذا انتصر أهل الكتاب على المشركين فتمتحت بشرى القرآن . .
وقد حدث ثالث بينهم من سياق هذه الآيات الشريفة كانت يمت فرح المسلمين وهو انتصارهم على مشركي قريش في غزوة بدر التي وقعت في يوم الجمعة ١٧ رمضان من العام الثاني لمجسرى أى سنة ٦٢٤ ميلادية .

لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عِصْيَانَ الَّذِينَ أُسْتُؤُوا السَّوْءَ أَنْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا
بِهَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾
وَلَا يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ ﴿١٤﴾
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ
الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ نَسُحْنُ اللَّهُ حِينَ نُمُوتُ وَحِينَ نَتَّبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِشَاءً وَحِينَ يُظَاهَرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي

٩ - أزيروا وطهم ولم يسيروا في أرجاء الأرض ليشاهدوا كيف كانت نهاية الذين كفروا من قبلهم ؟ كانوا
أشد من هؤلاء الكافرين الماضين قوة ، وقابوا وجه الأرض ، ليستخرجوا ما فيها من مياه ومعادن وزروع ،
وعمرروا الأرض أكثر مما عمرها هؤلاء ، وجامعهم رسل الله بالمعجزات الواضحات فكفروا ، فأخذهم الله ، لأنه
ما كان ليجزيم ، من غير ذنب ولا ليأخذهم قبل تذكيرهم وامهلم ، ولكن كان هؤلاء لا يظلمون الا أنفسهم .

١٠ - ثم كانت نهاية الذين ارتكبوا أشد الوان الاسامة أن يجدوا آيات الله ، وكانوا يحقرن من شأنها .

١١ - الله - سبحانه وتعالى - ينشئ خلق الناس ابتداء ، ثم يعيد خلقهم بعد موتهم ، ثم اليه - وحده - يعودون
لله حساب والجزاء .

١٢ - ويوم تأتي القيامة ييأس الكافرون من الدفاع عن أنفسهم .

١٣ - ولم يوجد لهم من الذين عبدوهم مع الله شفعاء ، وكانوا في الدنيا يسيبهم كافرون .

١٤ - ويوم تقوم الساعة - يوم اذ تقوم - ينهب كل فريق الى مصيره الأبدى .

١٥ - فأما الذين آمنوا ، وقرنوا ايمانهم بالأعمال الصالحة ، فهم في جنة ذات أشجار وأزهار ، يسرون وينعمون .

١٦ - وأما الذين كفروا ، وأنكروا آياتنا ولقاء البعث والحساب . . فأولئك في العذاب مقيمين لا يغيثون عنه .

١٧ - فغزوا الله عما لا يليق ببجلاله وكأله ، واعبدوه حين تدخلون في المساء وحين تدخلون في الصباح .

١٨ - والله وحده هو الحقيق بالحمد والثناء والشكر من أهل السموات والأرض فاحمدوه واعبدوه في العشي ،
وحين تدخلون في الظهيرة .

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ ۚ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ۝
 وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝
 وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ السَّيْفَ وَالرَّيْبَ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 لَا يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يُسْمِعُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً
 مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ۝ وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهْرٍ قَنْتَرُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ

١٩ - يخرج الكائن الحسى من ثرى لا حياة فيه، ويخرج النوى الذى لا حياة فيه من الكائن الحسى، ويحيى الأرض بالنبات بعد يسها، ومثل هذا الاخراج يخرجكم الله من قبوركم.

٢٠ - ومن الدلائل على كمال قدرته أن خلق أصلكم من تراب لا حياة فيه، ثم أنتم بشر تنتفرون في الأرض، للسعى في تحصيل ما به يقاؤكم.

٢١ - ومن دلائل رحمته ان خلق لكم - أي الرجال - زوجات من جنسكم لتألفوهن، وجعل بينكم وبينهن مودة وتراحما. ان في ذلك لدلائل لقوم يفكرون في صنع الله تعالى.

٢٢ - ومن الدلائل على كمال قدرته وحكته خلق السموات والأرض على هذا النظام البديع، واختلاف ألسنتكم في اللغات واللهجات، وتباين الوانكم في السواد والبياض وغيرها. ان في ذلك لدلائل ينتفع بها أهل العلم والفهم.

٢٣ - ومن آياته الدالة على كمال قدرته أن هيا لكم أسباب الراحة بتمامكم، ويسر لكم طلب الرزق ليلا ونهارا من فضله الواسع. ان في ذلك لدلائل لقوم ينتفعون بما يسمعون.

٢٤ - ومن آياته انه يريكم البرق من خلال السحب، تشعروا بالخوف من الصواعق وتطمعوا في المطر أن يزل من الساء، لتجبا به الأرض بعد أن ييسر. ان في ذلك لدلالات لقوم يتدبرون الأمور فيفهمونها على وجهها.

٢٥ - ومن الدلائل على كمال قدرته وحكته وسعته رحمته أن تقوم السماء والأرض بأمر الله على ما ترون من احكام صنع دقة تدبير، ثم إذا دعاكم للبعث تخرجون من القبور مسرعين مستجيبين لدعائه.

٢٦ - لله - سبحانه - كل من في السموات والأرض خلقا وملكاً وخضوعاً، كلهم لله متقانون.

ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَهُمْ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقْتِكُمْ فَإِن مَّ نَّ سَوَاءٌ تَحَاوَنُهُمْ تَعَفَّيْكَرْ ۚ أَنفُسُكُمْ كَذَٰلِكَ نَقِصُّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِي مَن أَضَلَّ اللَّهُ ۚ وَمَا هُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِعِلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَعُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شُعَبًا ۚ كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَشَيْئِهِمْ فِرْحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَانَهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آذَيْنَاهُمْ

﴿٣٣﴾

٢٧ - والله - سبحانه - الذى يبدأ الخلق على غير مثال ، ثم يعيده بعد الموت ، واعادته أهون عليه من ابتدائه بالنظر الى مقاييسكم واعتقادكم أن إعادة النشأ أسهل من ابتدائه . والله الوصف السابق العجيب الشأن فى القدرة الكاملة والحكمة التامة فى السموات والأرض ، وهو الغالب فى ملكه ، الحكيم فى فعله وتقديره .

٢٨ - بين الله لكم مثلاً متزعزعا من أنفسكم - وقد ضربه الله عز وجل لمن جعل له شريكا من خلقه - هل لكم من عبيدكم شركاء فيما ملكناكم من الأموال وغيرها ؟ فأنتم وهم مستونون فيها ، تحافون هؤلاء العبيد ، فلا تصرفون فى شئ مما تملكون دون أذنهم ، كما يخاف الأحرار بعضهم بعضا ، فإذا كنتم لا تعقلون هذا ولا تفعلونه ، فكيف تفعلون بعض مملوكات الله شركاء له ؟! مثل هذا التفصيل نبين الآيات لقوم يتدبرون فى ضرب الأمثال .

٢٩ - بل اتبع الذين كفروا أهواءهم دون علم بماقبة كفرهم ، فلا أحد يهدي من أضل الله ، وليس من يشفع لهم ويدفع عنهم عذابه .

٣٠ - فسد وجهك ، وانتهج الى الدين بعيدا عن ضلالتهم ، والزم خلقه الله الذى خلق الناس عليها ، وهى انهم قابلون للتوحيد ، غير منكربين له ، وما ينبغي أن تغير هذه الخلقة ، ذلك الخلق على التوحيد هو الدين المستقيم ، ولكن المشركين لا يعلمون حقيقة ذلك .

٣١ - كونوا راجعين الى الله وافعلوا ما أمركم به ، واتركوا ما نهاكم عنه ، وحافظوا على الصلاة ، ولا تكونوا من الذين عبدوا مع الله غيره .

٣٢ - من الذين فرقوا دينهم فاختلفوا فيه ، وصاروا فرقا .. كل فرقة تتسابع من تتبعه ، كل فريق منهم بما عندهم مسرودون ، يظنون أنهم على الحق .

٣٣ - وإذا أصاب الناس ضرر - من مرض أو شدة - التجأوا الى الله ، ودعوه راجعين الى الله ، طالبين كشف الشدة عنهم ، ثم إذا آذاهم الله خلاصا من الشدة ومنعهم من فضله ، سارع فريق منهم بربهم يشركون .

فَتَمَتُّوا قَسَوفَ قَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهَؤُلَاءِ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ مِمَّا قَلَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْتَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَتِ ذَا الْقُرْنَيْنِ حَقُّهُ وَالْمَسْكِينُ وَآيَنَ
السَّبِيلِ ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٩﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّيَرْبُوَافَ أَمْوَالِ النَّاسِ
فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْمَعُونَ ﴿٤٠﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ
رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُكُمْ يُخَيِّرُكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِّنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾

٣٤ - لتكن عاقبة أمرهم أن يكفروا بما آتاهم الله من النعم، فتمتوا - أيها المجاهدون - كما تشاهدون، فسوف تعرفون عاقبتكم.

٣٥ - أنزلهم في ضلالهم ولم ينسفه أحلامهم، بل أنزلنا عليهم برهانا، فهو يشهد بالذي كانوا يشركونه مع الله.

٣٦ - وإذا أذقنا الناس نعمة فرحوا بما فرجنا بيطرهم، وإن تصيبهم شدة بسبب ما اقترفوا من ذنوب يسارع اليهم اليأس من الرحمن.

٣٧ - أجهلوا ما يوصل إلى الإيمان، ولم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيق على من يشاء، بحسب ما تقتضيه حكمته؟ إن في ذلك لدلائل واضحة لقوم يعقدون بالحق.

٣٨ - وإذا كان الله - تعالى - هو الذي يسطر الرزق ويقدره، فأعطى القريب حقه من البر والصلة، والمحتاج والمنقطع به الطريق حقه من الزكاة والصدقة، ذلك خير للذين يريدون رضا الله ويطلبون نوابه، وأولئك هم الفائزون بالنعم المقيم.

٣٩ - وما أعطيت أكلة الربا من مال ليزيد لكم في أموالهم فلا يذكروا عند الله ولا يبارك فيه، وما أعطيت من صدقة تنفق بها وجه الله - بدين رياء ولا طمع في مكافأة - فأولئك هم أصحاب الأضغاف من المسنات.

٤٠ - الله - سبحانه - الذي أوجدكم، ثم أعطاكم ما تعيشون به، ثم يمتك، ثم يمتك من قبوركم، هل هناك من الشركاء الذين تزعمونهم فتعبدونهم من دون الله من يفعل من الخلق والرزق والامانة والاحياء شيئا من تلك الأفعال، تنزه الله تعالى عما يشركون به.

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٦﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٧﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
 الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿٤٨﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا
 فَلَا نَفْسٍ بِهِ يَسْعَى ﴿٤٩﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾
 وَمَنْ آيَنِيهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مِشْرَكًا وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٥١﴾ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا فَاتَّبَعُوا أَمْرًا
 أَوْفَىٰ

٤٦ - ظهر الحرق والقطع والآفات وكساد التجارة والفرق ، بسبب ما فعله الناس من جرائم وأثام ، ليعاقب الله الناس في الدنيا ببعض أعمالهم لعلهم يرجعون عن المأصبي .

٤٧ - قل - يا أيها النبي - للمشركين : سيروا في نواحي الأرض ، فانظروا كيف كانت نهاية الذين مضوا قبلكم ، فسترون أن الله أهلكهم وغرب ديارهم ، لأن أكثرهم كانوا مشركين مثلكم .

٤٨ - فسد وجهك للذين الكامل الاستقامة ، من قبل أن يأتي يوم لا يستطيع أحد أن يرد من الله ، يومئذ يفرق الناس ويختلف حالهم .

٤٩ - من كفر بالله فعليه وبال كفره ، ومن آمن وعمل صالحاً فلأنفسهم - وحدها - يسون طريق النعيم للمقيم .

٥٠ - لأن الله يجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات على ما قدموا ، ويزيد جزاءهم تفضلاً منه ، لأنه يحبهم ، ويبيض الذين كفروا به وأكثروا نعمة .

٥١ - ومن الدلائل على قدرة الله ورحمته أنه يبعث الرياح مِشْرَكًا بالمطر الذي يكون لكم ريا وسقيا ، وليبكم من فيض احسانه المنافع التي تنشأت من المطر ، ولتجري السفن في الماء بأمر الله وقدرته ، ولتظليوا الرزق من فضله بالتجارة واستغلال ما في البر والبحر ، ولتشكروا لله نعمة بطاعتكم له وعبادتكم إياه .

ضَعِفَ قُوَّةٌ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِبْهَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُقَسِّمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَتَوْا آلَ عِيسَىٰ وَالْإِبْرَاهِيمَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا يَوْمَ الْبَيْتِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَيْتِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ جَنَّتُمْ بِهَٰدِي لِقَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطَّلِعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾

٥٤ - الله الذي خلقكم من نطفة ، فنشأتم ضعافا ، ثم جعل لكم من بعد هذا الضعف قوة ، بنموكم وبلوغكم حد الرشد ، ثم جعل لكم من بعد هذه القوة ضعف الشيخوخة والشيخ ، يخلق ما يشاء ، وهو العليم بتدبير خلقه ، القدير على إيجاد ما يشاء .

٥٥ - ويوم تقوم الساعة يحلف الكافرون أنهم ما لبثوا في الدنيا أو في قبورهم غير ساعة ، ومثل ذلك الصرف كانت تصرفهم الشياطين في الدنيا عن الحق إلى الباطل .

٥٦ - وقال الذين اتاهم الله العلم من الأنبياء والملائكة والمؤمنين : لقد لبثتم في حكم الله وقضائه إلى يوم البعث ، فهذا يوم البعث الذي أنكرتموه ، ولكنكم كنتم في الدنيا لا تعلمون أنه حق ، لجهالتكم واعراضكم .

٥٧ - فيومئذ يبعث الناس ، لا ينفع الذين كفروا اعتذارهم عن انكارهم وتكذيبهم لرسولهم ، ولا يطلب منهم أحد أن يفعلوا ما يرضى الله ، لو أنهم عنده وطردهم من رحمة .

٥٨ - ولقد بينا لهؤلاء الناس في هذا القرآن كل مثل يرشدهم إلى طريق الهدى ، ولئن أتيتهم بآية معجزة ليقولن الذين كفروا - من فرط عنادهم وقسوة قلوبهم - : ما أنت وأتباعك الا مبطلون في دعواكم .

٥٩ - ومثل ذلك الطبع على قلوب هؤلاء الذين لا يعلمون التوحيد من الجاهلين .

٦٠ - فاصبر - أي النبي - على أذىهم ، ان وعد الله بنصره على أعدائك وإظهار الإسلام على كل دين حق لا يتخلف أبدا ، ولا يحملك على القلق وعدم الصبر الذين لا يؤمنون بالله ورسوله .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَدِّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

بدأت السورة الكريمة بالحديث عن الكتاب وما فيه من هدى ورحمة، ووصفت المحسنين بالطاعة لله والإيمان بالآخرة والحصول على الفلاح، وعقبت ذلك بذكر المضلين المستكبرين، وبشرت المؤمنين بحسن جزائهم في دار النعيم. ولفتت الأنظار إلى الآيات الكونية التي تدل على قدرة الله تعالى ووحدانيته، وتحدثت الكفار بأن الله الذي أشركوأ به خلق ما لا يقدر عليه أحد سواء. وانتقلت إلى وصايا لقمان لابنه، وما اندمج فيها من وصية الإنسان بوالديه، وعرضت لما صخره الله للإنسان، وما أسبغته عليه من النعم الطاهرة والباطنة.

وتحدثت عن مجادلون في الله بغير علم، ويعتدون عن ضلالهم باتباع ما كان عليه آبائهم، ونوهت بشأن من يسلم وجهه إلى الله وهو محسن، ونصحت للرسول بالأيمنة كفر من كفر، فرجعه إلى الله وفصلت كثيرا من مظاهر القدرة والعظمة والرحمة.

وذكرت أن المشركين إذا سئلوا عنها يعترفون بمخلق الله لها، وهم يستمدون من فضل الله، ويلجأون إليه في أزماتهم، ويعذرون بالشكر ثم يخلفون.

وأمرت السورة بتقوى الله والخشية من الحساب والجزاء، وحذرت من الفرور وطاعة الشيطان، وختمت بما استأنف الله بعلمه، وأهم ما تناولته السورة ثلاثة أغراض:

الأول: تيسير المحسنين بنعيمهم، وإنذار الكافرين بمناهم.

الثاني: عرض الآيات الكونية وما فيها من المظاهر التي تشهد بقدرة الله ووحدانيته ومبلغ عظمته ورحمته.

الثالث: الرصايا العظيمة التي عنيت بسلامة العقيدة، والمحافظة على الطاعة وحسن الخلق.

١- هذه حروف ابتدأ الله بها بعض السور، ليشير بها إلى اعجاز القرآن للزلف من حروف كالمحروف التي يؤلف منها العرب كلامهم، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله، ولينبه إلى الاسطع والإنصات، وكان المشركون قد اتفقوا على أن يلقوا فيه ولا يسمعوا.

٢- هذه الآيات العظيمة آيات القرآن المشتمل على الحكمة والصواب.

٣- هذه الآيات هداية كاملة ورحمة شاملة لمن يحسنون العمل.

الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦﴾
وَإِذَا تَنَادَى عَلَيْهِ هَآئِنَتَا وَلَوْ مُسْتَكْبِرًا كَانَتْ لَرِيسْمَعَهَا كَانَتْ أَذْنِيهِ وَقَرَأَ فَبِشْرِهِ بَعْدَآبِ الْإِيمِ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوًى أَنْ يَحْمَدَ بِكَرْبَتٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾

٤ - هم الذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه ، ويعطون الزكاة لمستحقها ، وهم بالحياة الآخرة يؤمنون أقوى الإيمان .

٥ - أولئك المؤمنون المحسنون في أفعالهم متمكنون من الهدى الذي جاءهم من ربهم ، وأولئك هم - دون غيرهم - الفائزون حقا .

٦ - ومن الناس من يشتري باطل الحديث ويقصه على الناس ، ليصدحهم عن الإسلام والقرآن جهلا منه بما عليه من اثم ، ويتخذ دين الله ووجبه سخرية . . الذين يفعلون ذلك لهم عذاب بينهم وبنيهم .

٧ - وإذا تنادى على هذا الضال آيات الله البينات أعرض عنها متكبرا ، وحاله في ذلك حال من لم يسمع ، كأن في أذنيه صمما ، فأنذره بأن الله أعد له عذابا شديدا للإيلاء .

٨ - ان الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الطيبة الصالحة لهم جنات النعيم .

٩ - يبقون فيها على وجه الخلود ، وعدمهم الله وعدا لا يتخلف ، والله الغالب على كل شيء ، الحكيم في أقواله وأفعاله .

١٠ - خلق الله السموات من غير عمد مرئية لكم ، وجعل في الأرض جبلا نوابت ، لئلا تضطرب بكم ، وتشر فيها من كل الحيوانات التي تدب وتتحرك ، وأنزلنا من السماء ماء ، فأنبتنا به في الأرض من كل صنف حسن كثير المنافع (١) .

١١ - هذا مخلوق الله أمامكم ، فأروني ماذا خلق الذين يهملونهم آهة من دونه ، حتى يكونوا شركاء له ؟ بل الظالمون - بإشراكهم - في ضلال واضح .

(١) راجع الصليق الطلي على الآية ٢ من سورة الرعد .

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَلَا تَمُوتْ بِشُكْرِهِ نَفْسَهُ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ جَبِيدٌ ۝
وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝
حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَتْا عَنْ وَهْنٍ وَفَضَّلَهُ فِي عَمَلَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَى الْعَصِيرِ ۝ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ
بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ لَمْ يَلَمْ يَمْزُجْكُمْ
فَأَنْتُمْ كَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَبْنِي لَهَا إِنْ تَكَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ تَرْدٍ فَتَكُنْ فِي سَعَةِ أَوْ فِي السَّعَةِ

١٢ - ولقد أعطينا لقمان الحكم والعلم والإصابة في القول . وقلنا له : اشكر الله على ما أعطاك من النعم .
ومن يشكر فلنما يتنهي الخير لنفسه ، ومن كفر النعم ولم يشكرها فإن الله غير محتاج إلى شكره ، وهو مستحق
للحمد وإن لم يحمد أحد .

١٣ - واذكر إذ قال لابنه وهو يعظه : يا بني ، لا تشرك بالله أحدا ، إن الشرك بالله لظلم عظيم يسرى بين
المستحق وغير المستحق^(١) .

١٤ - وأمرنا الإنسان أن ير والديه ، ويعمل أمه أوفر نصيبا ، حملته بتزايد ضمتها ، ويعظم شيئا فشيئا ،
ينظمه في عَمَلَيْنِ ، ووصينا أن اشكر الله ولوالديك ، إليه المرجع للحساب والمجازاة .

١٥ - وإن حملك والداك - يجهد - على أن تشرك بالله ما لا تعلم أنه يستحق العبادة فلا تطعها ، وصاحبها في
الدنيا بالبر والصلة والإحسان . واتبع طريق من رجع إلى بالتوحيد والإخلاص ، ثم إلى مرجعكم جميعا ، فأخبركم
بما كنتم تعملون من خير وشر ، لاجازيتكم عليه .

(١) عرف العرب بهذا الاسم شخصين أحدهما : لقمان بن عاد وكانوا يظهرين قدره في النبالة والرياسة والعلم والفضيلة والعبادة
وكثيرا ما ذكروا وشربوا به الأبطال كما تبين من المراجع العربية الكثيرة .

أما الآخر : فهو لقمان الحكيم الذي اشتهر بحكمه وأمثاله وحيت سورة في القرآن الكريم باسمه ، وقد كانت حكمه شائعة بين العرب . ولقد
ذكر ابن هشام أن سويد بن الصامت قدم مكة وكان شريفا في قومه ، فعدله رسول الله - ﷺ - إلى الإسلام . فقال سويد : ففضل الذي
ملك مثل الذي مضى . فقال له الرسول : وما الذي ملك ؟ قال بجملة لقمان . فقال الرسول : اعرضها علي . فعرضها عليه ، فقال : إن هذا
الكلام حسن والذي مضى أفضل منه قرآن أنزل الله على هو هدى ونور ، وتلا عليه رسول الله القرآن ودعا إلى الإسلام .

وكذلك ذكر الإمام مالك في الموطأ كثيرا من حكم لقمان . وذكرت بعض كتب التفسير والأدب أروانا من هذه الحكم .
ثم جمعت أمثال قصصية بعد ذلك في كتاب اسمه أمثال لقمان . ولكن ضعف أسلوبها وكثرة أغلاطها النحوية والصرفية وعدم ورود كتاب
هذا الاسم في كتب العرب القديمة يؤكد أنه موضوع في عصر متأخر .

والأراء مضطربة في حقيقة لقمان الحكيم : فهو تروى من أهل أيلة أو جيش أو لسود من مردان مصر ، أو عبري وجهود الذين ذكروا
بمعين على أنه لم يكن نبيا ، وقليل منهم ذهبوا إلى أنه كان نبيا . والذي نستطيع استنباطه مما ذكروه أنه لم يكن عربيا ، لأنهم متفقين على
هذا . وأنه كان رجلا حكما ولم يكن نبيا . وأنه أدخل على العرب حكمة جديدة تداولوها فيها بعد كما تبين من كثير من المراجع .

أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَنْبَغِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصِرَّ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقِصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ
الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءً فِي السَّنَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا
بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ * وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ

١٦ - يا بني : ان الحسنه أو السيئه للإنسان ان تكن - مثلا - في الصفر كعبه المردل ، فتكن في أخفى مكان ،
كقلب صخرة أو في السموات أو في الأرض يظهرها الله ويحاسب عليها ، ان الله لطيف لا يخفى عليه دقائق
الأشياء ، خبير يعلم حقائق الأشياء كلها .

١٧ - يا بني : حافظ على الصلاة ، وأمر بكل حسن ، وانه عن كل قبيح ، واحتمل ما أصابك من الشدائد ،
ان ما أوصى الله به هو من الأمور التي ينبغي الحرص عليها والتمسك بها .

١٨ - ولا تمل خدك للناس تكبرا ، ولا تمش في الأرض ممجبا بنفسك ، ان الله لا يحب كل مختال فعدد مناقبه .

١٩ - وتوسط في مشيك بين السرعة والبطء ، واخفض من صوتك ، لأن أفعج ما يستنكر من الأصوات هو
صوت الحمير ، أوله زفير مما يكره ، وآخره شهيق مما يستقبح .

٢٠ - قد رأيتم أن الله ذلل لكم ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم وغيرها ، وما في الأرض من
الأنهار والثمار والدواب ، واتم عليكم نعمه ظاهرة لكم ومستورة عنكم ، ومن الناس من يجادل في ذات الله وصفاته
بلا دليل ولا رشاد مأثور عن نبي ولا وحى بضئ طريق الحق .

٢١ - وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله من الحق والهدى قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا . أتيتهم
ولو كان الشيطان يدعوهم إلى ضلال يدخلهم عذاب السعير .

إِلَى اللَّهِ وَهُوَ خَيْرٌ مِمَّنْ قَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۖ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ مَعَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَقْضُكُم بِهِ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرِ يَدْفَعُ مِنْ بَيْنِهِ سَبْعَ بَحْرٍ مَّا تَغَدَّتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقْنَا وَلَا يَبْعَثُكَ إِلَّا تَنْفُسُ وَاحِدَةٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتَعْرِى السَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ

٢٢ - ومن يتجه إلى الله بقلبه ووجهه، ويفرض إليه جميع أموره، وهو محسن في عمله فقد تعلق بأقوى الأسباب التي توصله إلى رضا الله، وإليه - سبحانه - مصير الأمور كلها.

٢٣ - ومن لم يضل ذاته ونفسه خالصة لله فلا يحزنك جحوده واعراضه، إيلنا وحدنا - مرجع هؤلاء يوم القيامة، فنمرض عليهم أفعالهم، لأننا نحيط علما بدخائل النفوس فكيف بظواهر الأفعال.

٢٤ - نختمهم زمنا قليلا في دنياهم، ثم نلجئهم إلى عذاب شديد لا يحتمل.

٢٥ - وأقسم لك - أيها النبي - ان سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن: هو الله، قل: الحمد لله الذي أوجد من دلائل وحدانيته ما يهدم ما هم عليه من إشراك غيره معه في العبادة. ولكن أكثرهم لا يعلمون أنهم بإقرارهم هذا قد أقاموا الحججة على أنفسهم بفساد عقيدتهم.

٢٦ - لله ما في السموات والأرض خلقا واقتدارا وتديرا، فكيف يتركون عبادته؟ وإن الله - سبحانه - هو الغني عن خلقه وعن عبادتهم له، الممجد بذاته، الجدير بالثناء عليه من عباده.

٢٧ - ولو تحولت كل أشجار الأرض أقلاما، وصارت مياه البحار الكثيرة مدادا تكتب به كلمات الله لفتيت الأقلام، ونفذ المداد قبل أن تنفذ كلمات الله. لأن الله عزيز لا يعجزه شيء، حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء، فلا تنفذ كلماته وحكمته.

٢٨ - ما خلقكم ابتداء ولا يشكم بعد الموت أمام قدرة الله ألا يخلق نفس واحدة أو يبعثها. ان الله سميع لقول المشركين: لا يبعث. يصير بأفعالهم فيجازيهم عليها.

يَجْرِي لَكَ أَجَلٌ مُّسَمًّى وَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ
وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ يَنْصَبُ اللَّهُ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَافِلَةٌ دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ قَلْبُكُمْ لَهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَهُمْ
مُقْصِدٌ وَمَا يَجِدُ إِلَّا كُلَّ خَلْقٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَاللَّهُ عِنْدَهُ
وَلَا مَوْلُودُ هُوَ جَارٍ عَنِ اللَّيْلِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْفُرُودُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ

٢٩ - ألم تنتظر - أيها المكلف - نظر اعتبار أن الله ينقص من زمن الليل بقدر ما يزيد من النهار، وينقص من
زمن النهار بقدر ما يزيد من زمن الليل، وذلك الشمس والقمر لمصالحكم وأخضعهما لنظام بديع، فيجسرى كل منها
في فلك معين لا يبعد عنه، ويستمر كذلك إلى يوم القيامة، وأنه - سبحانه - خير بكل ما تعملون وبمازيكم عليه.

٣٠ - ذلك المذكور من عجائب صنع الله وقدرته، بسبب أن صانعه هو الاله الثابت الالوهية، المجدير -
وحده - بالعبادة، وأن الآلهة التي تعبدونها من دونه باطلة الالوهية، وأن الله - وحده - هو العلي الشأن، الكبير
السلطان.

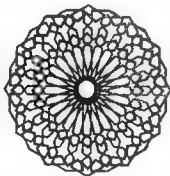
٣١ - ألم تنتظر - أيها الإنسان - إلى الفلك تجرى في البحر برحمة الله حاملة على ظهرها ما ينفعكم، ليظهر لكم
بذلك بعض عجائب صنعه، ودلائل قدرته، ان في ذلك آيات لكل صبار على بلائه، شكور لنعمائه.

٣٢ - هؤلاء المجاهدون بالله إذا ركبوا في السفن، واضطرب بهم البحر، وارتفعت أمواجه حتى بدت كأنها
تطلبهم، وظنوا أنهم غارقون - لا محالة - ولجأوا إلى الله، يدعونه في اخلاص وخضوع أن ينجيهم، فلما نجاهم إلى
البر كان منهم قليل تذكر عهده، واعتدل في عمله، ومنهم، كثير نسي فضل ربه، وظل على جصوده به، ولا ينكر
فضل ربه عليه واحسانه إليه الاكل انسان شديد الغدر، مسرف في الكفر بريه.

٣٣ - يا أيها الناس - افعلوا ما أمركم ربكم به، واتركوا ما نهاكم عنه، واحذروا عذابه يوم القيامة، يوم
لا ينفى والد فيه عن ولده شيئاً، ولا مولود هو مفض عن والده شيئاً، ان هذا اليوم وعد الله به، ووعدته حق
لا يتخلف، فلا تلهيكم زخارف الدنيا وزينتها عن الاستعداد له، ولا تحفدعنكم وساوس الشيطان، فتصرفكم عن
الله وطاعته.

عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ
 أَرْضٍ تَمُوتُ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

٣٤- ان الله يثبت عنده علم الساعة ، فلا يعلمها أحد سواه ، وينزل المطر في موعده الذي ضربه له ، ويعلم ما في الأرحام من ذكورة وأنوثة وقام ونقصان . وما تعلم نفس بارة أرفاجرة ما تكسبه في غدها من خير أو شر ، وما تعلم نفس ببقعة الأرض التي فيها ينقضي أجلها ، لأن الله تام العلم والخبرة لكل شيء ، ولا يظهر على غيبه أحدا .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَللّٰهُمَّ تَنْزِيْلُ الْكِتٰبِ لَا رَيْبَ فِيْهِ مِنْ رَبِّ اَعْلٰمِيْنَ ۝ اَمْ يَقُوْلُوْنَ افْتَرٰهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ يُنْذِرُ قَوْمًا مَّا اَتَتْهُمْ مِنْ نَّذِيْرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُوْنَ ۝ اَللّٰهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِيْ سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُوْنِهِ مِنْ وِیٍّ وَلَا شَفِیْعٍ اَفَلَا تَتَذَكَّرُوْنَ ۝ يَدْبُرُ الْاَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ

نزلت بعد سورة المؤمنون، وتضمنت الحديث عن تنزيل الكتاب وبهمة الرسول - عليه الصلاة والسلام - وخلق السموات والأرض، وشأنه - تعالى - في التدبير، وأطوار خلق الإنسان، ومقالة منكرى البعث والرد عليهم، وحال المجرمين يوم الحساب، وموقف المؤمنين عند التذكير بالآيات، وبيان الجزاء للمؤمنين والفساسقين، وانزال التوراة على موسى - عليه الصلاة والسلام - ومعاملة الله - تعالى - لبني اسرائيل، وتوجيه كفار مكة إلى الاعتبار بهلاك من سبقهم، ولفت أنظارهم، ليؤمنوا بالبعث، وسفرتهم من يوم الفتح، والرد عليهم.

وأهم أهداف هذه السورة: لفت الأنظار إلى الآيات الكونية، والحديث عن البعث، والرد على منكره، وتوجيه الكفار إلى الاعتبار بهلاك من سبقهم.

١ - ألم: حروف صيغ منها القرآن، كما صيغ منها كلامكم، فإذا عجزتم عن الإتيان بمثله كان عجزكم دليلاً على أنه من عند الله، ولم يقله بشر.

٢ - تنزيل القرآن من الله رب العالمين ومدير أمورهم، لاشك في كونه مغزلاً منه.

٣ - بل يقولون: اختلقه محمد، ونسبه لله، ما كان لهم أن يقولوا هذا، بل هو الحق للنزل عليك من ربك، لتخوف به قوماً لم يأتهم من رسول من قبلك، ترجو بذلك الإنذار هدايتهم وأذاعتهم للحق.

٤ - الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش استواء يليق به، ما لكم من دين الله ناصر ينصركم، ولا شفيع يشفع لكم، أتتأيدون في الكفر والعناد فلا تتعظون بمواعظ الله؟

إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ
مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾
وَقَالُوا أَوَآدَا صَلَافًا فِي الْأَرْضِ أَوَلَمْ يَلْقَاوْا نَارًا خَالِقًا جَدِيدًا ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَلَكُ الْمَوْتِ
الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ إِلَهُ رَبِّكُمْ ثُمَّ إِلَهُ رَبِّكُمْ تَرْجِعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَارَ كِسْفٍ رِيحِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا
فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ

٥ - يدبر شؤون الخلق من السماء إلى الأرض ، ثم يصدد إليه أمرها في يوم مقدر بألف سنة من سفي الدنيا التي تعدونها .

٦ - ذلك الموصوف بالخلق والاستواء والتدبير عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه ، القالب أمره ، الواسع الرحمة .

٧ - الذي أتقن كل شيء خلقه ، بحسب ما تقتضيه حكمته ، وبدأ خلق الإنسان الأول من طين .

٨ - ثم جعل ذريته - بعد ذلك - متخلقة من ماء قليل ضعيف لا يؤبه له في العادة (١) .

٩ - ثم قومه ووضع فيه من سره الذي اختص به ، وجعل لكم السمع والأبصار والعقول لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا ، ما تشكرون إلا شكرا قليلا .

١٠ - وقال المتكبرون للبهت ، أنذا صرنا نراها مختلطة بقراب الأرض لا يتميز عنه . اتنا لنعود في خلق جديد ، انهم لا يتكبرون البهت - وحده - بل هم بجميع ما يكون في الآخرة مكذبن .

١١ - قل : يتوفاكم ملك الموت الموكل بقبض أرواحكم عند انتهاء آجالكم ، ثم إلى الله - وحده - تعودون .

١٢ - ولو أتيت لك أن ترى المجرمين في موقف الحساب لرأيت عجبا ، إذ المجرمون المستكبرون منكسرو الرؤوس خزيا من ربهم . يقولون في ذلة : ربنا أبصرنا ما كنا نتصامى عنه ، وصمتا ما كنا نتصامى عنه ، فأرجعنا إلى الدنيا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمله ، اتنا موقنون - الآن بالحق الذي جاء به رسلك .

(١) في هذه الآية الكريمة « من ماء مهين » المهيون من الرجال : الضعيف . والمهين : القليل . وقوله تعالى : من ماء مهين . أى من ماء قليل ضعيف . وبالله قوله تعالى : « أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين » . وهين الإبل يهينها مهنا مهنة حليا . فلا مانع من أن تفسر كلمة مهين في الآية بأنه ماء متصب أو دافق أو مقنوط أو قليل .

مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكَ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ

— ﴿٢١﴾ —

١٣ - ولو شئنا لأعطينا كل نفس هداها ، ولكن سبق القول مني : لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ، لعلنا أن أكثرهم سيختارون الضلالة دين الهدى .

١٤ - فثقروا العذاب بما غفلتم عن لقاء يومكم هذا ، انا تركناكم في العذاب كالنسيين ، وذاقوا العذاب الدائم الذي لا انقطاع له ، بسبب كفركم وبما صيكم .

١٥ - اما يصدق بآياتنا الذين انا وعظوا بها وقصوا لله ساجدين ، ونزهوا ربهم عن كل نقص ، مثنيين عليه بكل كمال ، وهم لا يستكبرون عن الاتقياء لهذه الآيات .

١٦ - تتنهي جنوبيهم عن مضاجعها ، يدعون ربهم خوفا من سخطه ، طمعا في رحمته ومن المال الذي رزقناهم به ينفقون في وجوه الخير .

١٧ - فلا تعلم نفس مقدار ما أعد الله وأخفاه هؤلاء من النعيم العظيم ، الذي تقر به عيونهم ، جزاء بما كانوا يكسبون من الطاعة والأعمال .

١٨ - أيستوى الناس في جزائهم وقد اختلفوا في أعمالهم ؟ فمن كان مؤمنا بالله كمن كان كافرا به ، عاصيا له ؟ لا يستوون ؟ .

١٩ - أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى التي فيها مساكنهم ، كرامة لهم بما كانوا يعملون .

٢٠ - واما الذين خرجوا عن طاعة الله بكفرهم فقامهم الذي أعد لهم النار ، كلما حاولوا الخروج منها أعيدوا فيها ، وقيل لهم : ذوقوا عذاب النار الذي كنتم في الدنيا تصررون على التكذيب به .

٢١ - ونقسم : لنذيقنهم في الدنيا عذاب الخذلان قبل أن يصلوا إلى العذاب الأكبر ، وهو الخلود في النار ، لعل المذنبين بالعذاب الأدنى يتوبون عن الكفر .

مُنْتَفِعُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرَّةٍ مِنْ لِقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ إِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِعَاقِبَتِنَا يَرْقُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُرْهُهُنَّ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْقَارُونَ ۚ يَمْشُونَ فِي مَسْجِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ لَهُمْ مُنْظَرُوتَهُمْ ﴿٣٠﴾

٢٢ - ولا أحد أشد ظلماً للحق ولنفسه من انسان ذكر بآيات الله وحججه البينات ثم انصرف عن الايمان بها مع وضوحها ، اننا من كل مجرم نستقيم .

٢٣ - ولقد آتينا موسى التوراة ، فلا تكن في شك من لقاء موسى للكتاب . وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هاديا لبني اسرائيل .

٢٤ - وجعلنا من بني اسرائيل امة في الدين ، يقومون ببداية الناس ، استجابة لأمرنا حين صبروا على العمل بما في التوراة ، وكانوا بآياتنا يصدقون أقوى التصديق .

٢٥ - ان ربك هو - وحده - يقضي بين الأنبياء وأممهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون .
٢٦ - أترك الله المكذبين لرسولهم ، ولم يبين لهم أنه أهلك كثيرا من الأمم التي سبقتهم ، وهم يرون بديارهم ، ويمشون في مساكنهم ؟ ان في ذلك لفظات تبهرهم بالحق ، أصموا فلا يسمعون هذه اللفظات .

٢٧ - أعصوا ولم يروا أنا نجري المطر والأنهار إلى الأرض التي قطع نباتها ، فنخرج به زراعا تأكل منه أنعامهم ، ويأكلون فيه وجره ؟ أعصوا فلا يسمعون دلائل قدرة الله على احياء الموتى .

٢٨ - ويسؤل المشركون لك وللمؤمنين : في أى وقت يفتح الله عليكم بالنصر ؟ أخبرونا بوعده ان كنتم صادقين .

٢٩ - قل لهم : يوم القضاء والفصل إذا حل بكم لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ، ولا هم يهلون لحسنة عن العذاب الذي يستحقونه .

٣٠ - وإذا كان هذا الاستهزاء دأبهم فأعرض عنهم ، وانتظر صدق ما وعدك ربك فيهم انهم ينتظرون الغلبة عليكم .

(٣٣) سُورَةُ الْأَحْزَابِ مَكِّيَّةٌ وَأَمَّا آيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَصِصَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ



بدأت بثناء رسول الله - ﷺ - أن يتق الله ويتوكل عليه . وانتقلت إلى الحديث عن الأعداء ، ونفت أنهم أبناء لمن يتباهى ، وذكرت ما أوجب الله لرسوله من الهبة والطاعة ، وأوجب له أمهات المؤمنين من الاحترام والتوقير ، وعرضت لما أخذته الله على النبيين من العهد في تبليغ الرسالات ، وفصلت غزوة الأحزاب وما كان فيها من خوف واضطراب ، وما تم للمؤمنين من نصر تحقق به وعد الله ، وعينت بذكر الآداب التي ينبغي لنساء النبي - ﷺ - أن يسلكنها ويأخذن أنفسهن بها ، وعادت إلى الحديث عن المتنين ، وهدمت ما كان مصروفا في الجاهلية من حرمة الزواج بحليلة الدعي على من تباه ، ونوهت بشأن الرسول - ﷺ - وأنتت عليه بما هو أهله ، وأوصت بالمتعة والسراح الجميل لمن طلقت قبل الدخول ، وخصت الرسول - ﷺ - بأنها أباحت له أن يدخل بين وهبت نفسها له ، وصرحت بأنه لا يحل له النساء بعد النزع ، ثم بينت السورة الكريمة ما يجب على المؤمنين مراعاته في دخولهم بيوت النبي للطعام ، وفي انصرافهم عقبه ، وفي سؤلهم أزواجه من وراء حجاب ، وطالبت أمهات المؤمنين بأن يدين عليهن من جلايبهن ، وتحدثت عن الساعة وأحوال القيامة ، ونصحت بالتقوى والقول السديد ، وختمت بالحديث عن فرائض الله التي جعلها الإنسان ولم تخلق حملها السموات والأرض والجبال .

ومن ثم بينت أن أهم أهدافها : الحديث عن الأعداء ، وهم العادة التي سادت من تحريم حلالهم على من تبنيهم ، واستئان الله - تعالى - على المؤمنين بتحقيق ما وعدهم من النصر والغلبة على المشركين ، وتفصيل ما شرعه الله للمؤمنين في دخول بيوت النبي وتحريم أزواجه عليهم ، وتحديد الآداب الخاصة بأمهات المؤمنين .

١ - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ : استمر على ما أنت عليه من تقوى الله . ولا تقبل رأيا من الكافرين والمنافقين ، ان الله محيط علما بكل شيء ، حكيم في أقواله وأفعاله .

٢ - وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ : ان الله الذي يوحى إليك خير بدقائق ما تعمل أنت وعمل الكافرين والمنافقين .

٣ - وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ : وكفى بالله حافظا موكولا إليه كل أمر .

فِي جَوْفِهِ، وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ④ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ أَرَادْتُمْ ابْنَاءَهُمْ فَلَا يُؤْتِكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَايُكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ⑤ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولَٰئِ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَّائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ⑥ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخْلَاْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ⑦ لَيْسَ لِلصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ⑧ يٰ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّا تَرَوُهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ⑨

٤ - ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه وما جعل زوجة أحدكم حين يقول لها : أنت علي كظهر أمي أما له ، وما جعل الأولاد الذين تنبئهم أبناء لكم يأخذون حكم الأبناء من النسب . ذلكم - أي جعلكم الادعاء أبناء - قول يصد من أفواهكم لا حقيقة له . فلا حكم يقرب عليه ، والله بقول الأمر الثابت الحقيق ، ويرشدكم إليه ، وهو - وحده سبحانه - يهدي الناس إلى طريق الصواب .

٥ - انسبوا هؤلاء الأولاد لأبائهم الحقيقيين ، هو أعدل عند الله ، فإن لم تعلموا آبائهم المتنسبين بحق إليهم فهم اخوانكم في الدين ونصراؤكم ، ولا اثم عليكم حين نسبتموهم إلى غير آبائهم خطأ ، ولكن الاثم فيما تقصده قلوبكم بعد أن تبين لكم الأمر . والله يفر لكم خطاكم ، ويقبل توبة متعمدكم .

٦ - النبي محمد أحق ولاية بالمؤمنين ، وأرحم بهم من أنفسهم ، فعليه أن يحميهم ويعلوهم ، وأزواجه أمهاتهم في التوقير وحرمة الزواج بهن بعده . وذوو القربايات أول من المؤمنين والمهاجرين بأن يتوارثوا فيما بينهم فرضا في القرآن . لكن يجوز أن تقدموا إلى من واليتهم في الدين من غير الأقارب معروفا ، فتعطفوا - برا وعطفنا عليه - أو توصوا له بحجزة من مالكم . كان ذلك التوارث بالأرحام في الكتاب مقرا لا يقيده تبديل .

٧ - واذكر حين أخذنا من النبيين السابقين ميثاقهم - بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم - ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم عهدا عظيم الشأن .

٨ - ليسأل الله يوم القيامة الأنبياء عما قالوه لقومهم ، وأعد للكافرين بالرسول عذابا أليما .

٩ - يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله وفضله عليكم ، حين جاءتكم الأحزاب يوم الحندق فأرسلنا عليهم ريحا عاصفة باردة وملكناكم لئلا تروها ، نشرت الرعب في قلوبهم ، وكان الله بصيرا بأعمالكم وصدق نياتكم ، فتول الدفاع عنكم .

إِذْ جَاءَ وَكُرْمٍ مِّنْ قَوْعِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاقَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ
الْفُتُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتِ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَّخِذِ الْيَهُودُ لَكُمْ قَارِعًا
وَيَسْتَعِذُّونَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ
مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَSِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللهُ مِن قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ
الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْكُوكًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَّنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِّنَ اللهِ إِن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ

١٠ - حين جاءوكم من أعلى الوادي ومن أسفله، وحين مالت الأبصار عن مستوى نظرها، وارتفعت القلوب
إلى منتهى الحلقوم فزعوا واضطربا، وأنتم في ذلك الوقت المصيب تذهب بكم الفتنون في وعد الله كل منقلب (١).

١١ - في ذلك الوقت امتحن المؤمنون بالصبر على الإيمان، واضطربوا بالخوف اضطرابا شديدا.

١٢ - واذكر ما حدث من المنافقين ومرضى القلوب بالريب، حين يقولون: ما وعدنا الله ورسوله الا وعدا
باطلا قصد به التفرير بنا.

١٣ - واذكر حين قالت طائفة من المنافقين وضعاف العزائم: يا أهل المدينة، لا وجه لبقائكم هنا في معركة
خاسرة، فارجعوا إلى منازلكم، ويستأذن فريق منهم الرسول في الرجوع إلى المدينة، ويقولون: ان بيوتنا غير
محصنة، ولابد لنا من الرجوع لحراستها، وما كانت بيوتهم معرضة كما يقولون، وما يريدون الا الفرار من المعركة
بهذا العذر الكاذب.

١٤ - ولو دخلت الأحزاب عليهم المدينة من كل جوانبها، ثم طلب منهم أن يعلنوا رجوعهم عن الإسلام
ويقاتلوا المسلمين لاستجابوا لما طلب منهم، وما انتظروا في ذلك الا وقتا قصيرا

١٥ - ولقد كان هؤلاء الفارون من ميدان القتال عاهدوا الله من قبل هذه الفسوة أن يشبثوا في القتال مع
الرسول ولا يفروا. وكان عهد الله مسئولا من صاحبه، يجب عليه الوفاء به.

١٦ - قل لهم: لن ينفعكم الحرب ان هربتم من الموت أو القتل، وقد حضر أجلكم، وإذا لم يحضر ويقيم لا
تقتضون في الدنيا الا مدة أعماركم، وهي قليلة.

(١) ليس المراد بهذا التصير أن الأعداء جاءوا من كل مكان، وإذا رجعا إلى تفصيلات الواقعة تبين أن اللراد بالذين جاءوا من
فوق المسلمين غطفان ومن تابعها من سكان نجد، لأنهم جاءوا من أعلى الجزيرة شرقا، وتبين لنا أن الذين جاءوا من أسفل المؤمنين
فريق لأنهم قدموا من أسفل الجزيرة غربا.

دُونَ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْرُوفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشَقَّ عَلَيْكُمْ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشَقَّ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَا يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَرَّ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوِائِهِمْ بِأَدُونِ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ

١٧ - قل هؤلاء المتدبين : من ذا الذي يغيركم من الله ان أراد بكم شرا ، او يمنع الخير عنكم ان أراد بكم رحمة ؟ ولا يغيرون لهم من دون الله مجيئا ولا مفيدا .

١٨ - ان الله يعلم المشيطين منكم والذين يقولون لاخوانهم : انضموا بنا ، ولا يأتون شدة الحرب الا اتيانا قليلا .

١٩ - حرصاء عليكم في الظاهر حيث لا خوف ، فاذا جاء الخوف من قبل العدو أو من قبل الرسول - ﷺ - رأيتهم ينظرون اليك ، تدور أعينهم حائرة ، كحال المضي عليه من سكرات الموت ، فاذا ذهب الخوف بالغوا في تمكيد وشمككم بألسنة قاطعة ، بخلاف بكل خير . أولئك لم يؤمنوا بقلوبهم وان اعنوا اسلامهم فأبطل الله اعمالهم بإظهارهم الكفر ، وكان ذلك الاحباط أمرا هينا على الله (١) .

٢٠ - يظن هؤلاء المنافقون أن جيوش الكفار المتحيزة لا تزال مكانها محاصرة المدينة ، وإن يأت الأحزاب كوة أخرى يمتن الجبناء ان لو كانوا يعيشون مع الاعراب في البوادي ينسقطون اخباركم ، ولو ظل هؤلاء في معسكرهم ولم يفروا ولتعم الجيوشان ماقاتلوا معكم الا قليلا لرأياهم والسمعة .

٢١ - لقد كان لكم في رسول الله قدوة حسنة ، لمن كان يرجو رحمة الله ونعم اليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا في الخوف والرجاء والشدة والرخاء .

٢٢ - ولما رأى المؤمنون الأحزاب المشركين قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله من قبل ، فقد وعدنا بالتشدد ثم النصر ، وصدق الله ورسوله ، وما زانتم هذه التشدد الا قوة ايمان بالله وحسن تسليم لقضائه .

(١) تشير هذه الآية إلى حقيقة علمية لم يكن سبيلها معلوما عند نزول القرآن الكريم ، وهي دوران مظلة المعين عند اقتراب الموت وعند الخوف . ومن أسباب ذلك أن شدة الخوف تنعش الوعي فيبطل الإدراك فتدخل المراكز العصبية اللاواعية في منطقة مهام المخ فيصير الحافظ شيئا بجالة الذي يمشي عليه من الموت ، إذ تدور مظلة وتنسج حافته وتثبت على اتساعها حتى يموت .

عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَتَلُوا حَبْرًا مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا يَدُلُّوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴿٢٥﴾ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٦﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيَسِيمٍ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٧﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُمُوا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٨﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ فِتْنًا لِيَمْتَحُنَ أَسْرَاحَكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٩﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن بَلَغَتْ مِنْكُمْ بَقِيَّةُ حَيَاتٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَدَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ

٢٣ - من هؤلاء المؤمنين رجال عاهدوا الله على الثبات في القتال مع الرسول ، ففروا بما عاهدوا ، فنهى من نال شرف الاستنهاد ، ومنهم من بقى حيا ينتظر أن ينال هذا الشرف ، وما بدلوا عهد الله الذي قطعوه على أنفسهم ، ولا غيروا شيئا منه .

٢٤ - ليجزى الله المؤمنين الصادقين بصديقهم في إيمانهم ووفائهم بهم ، ويعذب المنافقين - ان شاء - أو يوفق المستعد منهم الى التوبة ، ان الله كان غفورا بقبول التوبة ، رحما بالعفو عن المصيبة .

٢٥ - ورد الله الكفار المتحيزين على الرسول ممثلة قلوبهم بالغيظ ، لم ينالوا خيرا من نصر أو غنمة ، وكفى الله المؤمنين شفقة قتالهم بما سلبه عليهم من الريح والملائكة ، وكان الله قويا على تنفيذ ما يريد ، عزيزا لا يغلبه غالب .

٢٦ - وأنزل الله الذين عاونوا الأحزاب من أهل الكتاب ، وهم يهود بنى قريظة - من قلاعهم التي ينحسرون بها ، وألقى في قلوبهم الرعب ، فريقتا تقتلون - وهم الرجال - وتأسران فريقتا آخر وهو النساء والذراري .

٢٧ - وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأها أقدامكم من قبل ، وكان الله - سبحانه - قديرا على تنفيذ كل شيء يريد .

٢٨ - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ : قل لأزواجك - ناصحا لمن - : ان كنتم تردين الحياة الدنيا ومنتعيا ، فأقبلن أدفع اليكن ما يحلفن وحشة الطلاق ، فيكونن متعة لكن ، وأطلقكن طلاقا لا إساءة منه .

٢٩ - وان كنتم تؤمنن حب الله ورسوله ونعيم الدار الآخرة ، وترضين بما آتاكم فيه من خشونة عيش ، فان الله أعد لأمثالكن من الحسنات في أعاليهن أجرا لا يقدر قدره .

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ شَيْئًا وَلَهُ وَرَسُولُهُ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُفُتْهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ وَأَعْدَدْنَا لَكُمْ رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣٠﴾ يٰٓيَسَاۤءَ النَّبِيِّ لَسَنَ كَأَحَدٍ مِّنْ نِّسَاءٍ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ قُلُوبَكُمْ وَلَا تَقُولْنَ بِأَلْسِنَتِكُنَّ فِي قُلُوبِكُمْ وَارْجِعْنَ إِلَىٰ مَا تُبَيِّنُ مِنَ الدِّينِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ وَقَدْ فِي بَيْوتِكُنَّ لَكُنُوزٌ لَّا تَدْرِكُونَ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۚ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٢﴾ وَأَذْكُرْنَ مَا يُبَيِّنُ فِي بَيْوتِكُنَّ مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٣﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُحْسِنَاتِ وَالْمُتَّقِينَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

٣٠ - يانساء النبي : من يفعل منكم خطبة ظاهرة في قبيها يضم الى عذابها عذابان ، حتى تكون ثلاثة بالقياس الى عذاب غيرها ، وكان ذلك التضعيف على الله هينا .

٣١ - ومن يد منكم على الخسوع لله ورسوله ، وتعمل صالحا يطعها الله أجراها مرتين ، وأعدنا لها في الآخرة رزقا جليل القدر .

٣٢ - يانساء النبي : لسنن في الفضل والشرف كأحد من النساء ، ان أردن التقوى فلا تتحدثن بكلام فيه طراوة وتكرار ، فيقطع فيكن من في قلبه فساد ، وليكن قولكن قولا متعارفا غير متكلف .

٣٣ - والزمن بيوتكن ، لا تخرجن الا لما حجة شرع الله الخروج لقضاها ، ولا تظهرن بحاسنكن وزينتن للرجال اذا خرجتن ، كما كانت تفعل أهل الجاهلية الأولى ، وأدين الصلاة كاملة ، وأعطين الزكاة ، وامتنلن أمر الله ورسوله ، انما يريد الله بكل ما يأمركن به وينهاكن عنه الشرف والكرامة ، لينهب عنكم الاتم والمصيبة - يا أهل بيت النبي - ويطهركم تطهيرا لا يخالطه شبهة .

٣٤ - واحفظن ما يقرأ في بيوتكن من آيات القرآن التي أنزلها الله ، وما ينطق به رسول الله من الحكم السديد . ان الله كان عالما بفواضل الانبياء وحقايقها ، فاحذرن مخالفتها ومصيبة رسوله .



وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَمْسَسْهُمْ آتُ اللَّهِ عَظِيمًا ۖ ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ۖ ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِيَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۖ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۖ ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ۖ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۖ ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْمِلُونَ

٣٥ - ان المتقين من الرجال والنساء ، والمصدقين بالله ورسوله والمصدقات . والقائمين بالطاعة والقائعات ، والصادقين في أقوالهم وأعمالهم ونياتهم والصادقات ، والصابرين على تحمل المشاق في سبيل الله والصابرات والمتواضعين لله والمتواضعات ، والمتصدقين من مالهم على المحتاجين والمتصدقات ، والصائمين الفرض والنفل والصالئات ، والمحافظين فروجهن عما لا يحل والمحافظات ، والذاكرين الله كثيرا بقلوبهم وألسنتهم والذاكرات ، أعد الله لهم غفرانا لذنوبهم ونوابا عظيما على أعمالهم .

٣٦ - وبما سأل المؤمنين والمومنات إذا حكم الله ورسوله في أمر من الأمور أن يكون له خيار فيه بعد أن حكم الله ورسوله ، ومن يخالف ما حكم به الله ورسوله فقد بعد عن طريق الصواب بهذا ظاهرا .

٣٧ - واذكر إذ تقول لزيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه بهداية الاسلام ، وأنعمت عليه بالتربية والعق ، أمسك عليك زوجك - زينب بنت جحش - واتق الله فيها ، واصبر على معاشرتها ، وتحقق في نفسك ما الله مظهره من انه سيطلقها وانك ستزوجها ، وتخاف ان يعيرك الناس . والله هو الجدير بان تحافه ولو كان في ذلك مشقة عليك . فلما قضى زيد منها حاجته وطلقها فخلصا من ضيق الحياة معها زوجناهما ، لتكون قدرة في ابطال هذه السادة المردولة ، ولا يتخرج المسلمون بعد ذلك من التزوج بزوجات من كانوا يتبنونهم بعد طلاقهن . وكان أمر الله الذي يريد به واقعا لا محالة .

٣٨ - ما كان على النبي من اثم في عمل أمره الله به ، سن الله سنته مع الانبياء من قبل الا يحظر عليهم ما أباح لهم ووسع عليهم ، وكان أمر الله قضاء مقتضيا وحكما مبنوتا .

وَلَا يَحْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَبِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَيَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ دَعَوْهُمْ أَذُنُهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ

٣٩ - الذين يلبغون الى الناس رسالات الله كما أنزلها، ويخافونه ولا يخافون أحدا سواه، وكفى أن يكون الله هو الرقيب الحاسب.

٤٠ - ما كان محمد أباً أحد من رجالكم حتى يحرم عليه الزواج من مطلقته، ولكن رسول الله وخاتم النبيين، عليه ان يؤدى رسالته كما أمره ربه من غير خشية أحد، وكان الله بكل شيء محيطا علمه.

٤١، ٤٢ - يا أيها الذين آمنوا: اتنوا على الله بضروب الثناء وأكثروا من ذلك، ونزهوه عن كل مالا يليق به أول النهار وآخره.

٤٣ - وهو الذى يتعهدكم برحمته ولطفه، وملائكته تطلب المغفرة والهداية لكم، ليخرجكم الله بذلك من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان والطاعة، وكان الله بالمؤمنين عظيم الرحمة.

٤٤ - تحييتهم من الله يوم يلقونه أمن وسلام لهم، وهياً لهم عمل اعمالهم أجرا سخيا يشعروهم بفضل.

٤٥ - يا أيها النبي: انا بعثناك الى الناس برسالة الاسلام، تشهد بالحق، وتشير المؤمنين بما يكون لهم من خير ونواب، وتنذر الكافرين بسوء المصير.

٤٦ - وداعيا للحق الى الله بأمره، وسراجا يهدي بنوره الحاضرين في ظلمات الشرك.

٤٧ - ويشير المؤمنين بأن لهم مزيدا كبيرا من الخير في الدنيا والآخرة.

٤٨ - ولا تطع الكافرين والمنافقين، ولا تمتبأ بأذهام، واجعل الله وكيلك يدفع عنك ضرهم وشهم وحسبك الله وكيفا يكفيك ويغنيك.

ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُمْ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِنْهُمْ مَسْرُوحٌ سَرَّاحًا جَبِيلًا ۝
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ
عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا
لِلنَّسْرِ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِجَلَا يُكَونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ * تَرَى مِنْ نِسَاءِ مِنْهُمْ وَتَقْوَى
إِلَيْكَ مِنْ نِسَاءٍ ۖ وَمِنْ أَبْتَغَيْتَ يَمِينَ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَذَقْنَا أَنْ تَقْرَأَهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَرَضِينَ
بِمَا ءَاتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۝ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ
بَيْنَ مَنْ أَزْوَاجَ وَلَوْ عَجِبْتَ مِنْهُمْ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَرَقِيبًا ۝ يٰ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

٤٩ - يا أيها الذين آمنوا إذا عقدتم على المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تدخلوا بهن ، فليس لكم عليهن
عدة تستوفون عندها ، فأعطوهن شيئا من المال جيرا لحاظرهن ، واخرجهن من بيوتكم من غير اضرار بهن .

٥٠ - يا أيها النبي : أنا أبغنا لك أزواجك الالاق أعطيتهن مهسورهن ، وأبغنا لك ماملكك يمينك من الاماء
مما أنعم الله به عليك ، وأحللنا لك التزوج من بنات عمك وبنات عمتك وبنات خالك وبنات خالاتك الالاق
هاجرن معك ، وأحللنا لك امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها لك بلا مهر ، وأنت تريد نكاحها وترغب فيها ، خلصت لك
هذه الطية من دين المؤمنين فلا تحل لهم ، قد علمنا ما فرضناه على المؤمنين في أزواجهم واماتهم من أحكام .
وما رخصنا لك فيه دوتهم ، لتلا يكون عليك ضيق فيما شرعناه لك . وكان الله غفورا لذنوب عباده ، رحما بالتوسعة
عليهم .

٥١ - تؤخر من نساء منهن في القسم ، وتذوق اليك من نساء ، ومن طلب من آخرت قسمها فلا مؤاخفة
عليك ، ذلك التفويض الى مشيئتك أقرب الى سرورهن وبعد الحزن عنهن ، ويرضين كلهن بما آتيتهن ، والله يعلم
ما في قلوبكم من السخط أو الرضا بما شرع ، وكان الله عليا بما في الصدور ، حليلا لا يعاجل بالعقوبة .

٥٢ - لا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تطلقن لتستبدل بهن من النساء من نساء ، ولو أعجبك حسنهن ،
ولكن الله أحل لك ماملكك يدك من الاماء ، وكان الله مطلعا على كل شيء ، حافظا له .

لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا ظَالِمًا كَتَبْنَا

٥٧- ان الذين يؤمنون الله ورسوله يتحدوها والتحريض على الكفر بها طردهم الله في الدنيا والآخرة من رحمته، واعد لهم عذابا ينزل كبرياءهم.

٥١- والذين يؤمنن المؤمنين والمؤمنات بقرول أو فعل من غير ذنب فعليه ، فقد تصلوا وزر كنهم عليهم ، وأتوا ذنبا ظاهرا القيم .

٥٩- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ جَلَابِيبُهُنَّ وَذَلِكَ الْبَلَاءُ عَلَى هَذَا الْحَالِ أَوَّلِي وَأَقْبَى بَأْنِ يَعْزِفْنَ فَلَا يَتَرَضْنَ لَهُنَّ بِأَدْنَى، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا لِمَنْ أَقْلَمَ عَنْ ذُنُوبِهِ.

٦٠- أقسم: ان لم يكف المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمشيعون للاخبار الكاذبة في المدينة لنسطقنك عليهم، ثم لا يكون لهم بقاء بجوارك فيها الا زمنا قليلا.

٦٦ - مستحقين للعنة والطرْد، أيًا وجدوا أخذوا وقتلوا تقبلا.

٦٢ - سن الله - تعالى - من قبل فيمن نافقوا الانبياء والمرسلين ، وتمردوا ، أن يقتلوا أبنا وجدوا ، ولن تجد لسنة الله تبديرا .

٦٣ - يسألك الناس عن وقت قيام الساعة، قل هؤلاء : ان علم وقتها عند الله - وحده - وما يدريك لعل وقت قيامها يكون قريبا .

٦٤- ان الله طرد الكافرين من رحته، وأعد لهم ناراً شديدة العقاب.

٦٥- لا يخرجون منها أبدا، لا يصيبون لهم من يتكفل بجبايتهم، ولا من يدفعها عنهم

أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَعْطَيْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِنَا مِنِ الْعَذَابِ وَالْعَنَتِمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوُا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمِن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

- ٦٦ - يوم تتقلب وجوههم في النار من حال الى حال ، يقولون - ناديين - : يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول .
- ٦٧ - وقالوا : ربنا انا اتبعنا رؤساءنا وكبراءنا في الكفر بك وبرسولك ، فأبعدونا عن الطريق المستقيم .
- ٦٨ - ربنا اجعل عذابهم مضاعفا ، واطردهم من رحمتك طردا كبيرا بمقدار الفهم وجرمهم .
- ٦٩ - يا أيها الذين آمنوا لا تزدوا التي بأي نوع من الاذى . كالذين آذوا موسى . من قومه ، فبرأه الله مما نسبوه اليه ، وكان موسى عند الله سيذا جاءه .
- ٧٠ - يا أيها الذين آمنوا خافوا عقاب الله اذا عصيتموه ، وقولوا قولا مستقيما لا اعوجاج فيه .
- ٧١ - يوفقكم للعمل الصالح ويح ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد نال الفوز العظيم ، بالنجاة من العقاب والحصول على الثواب .
- ٧٢ - انا عرضنا التكليف على السموات والارض والجبال فأبين حملا ، وخفن منها ، وحملها الانسان ، انه كان شديد الظلم لنفسه ، جهولا بما يطبق حملة .
- ٧٣ - ليُعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويقبل الله توبة المؤمنين والمؤمنات ، والله كثير المغفرة واسع الرحمة . .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَنِيُّ ۝ يَعْلَمُ

افتتحت هذه السورة باستحقاق الله - وحده - التناء والمدح على ما أنعم به على عباده فكل ما في السموات والأرض له - سبحانه - خلقا وملكا. وتحكي السورة قصة الكافرين في الساعة، واستبعادهم للبث، ورميهم الرسول بالكذب والجنون، ويردهم - سبحانه - إلى دلائل قدرته، ويخوفهم من أن يزل بهم مثل ما نزل بأشياهم، فيخسف بهم الأرض، أو يسقط عليهم قطعا من السماء، ويذكرهم بفعله مع أوليائه، فقد ألان الحديد لداود، ومكن سليمان وسخر له الجن، يعملون له ما يشاء من محارِبٍ وقَتِيلٍ، وداود وسليمان قد شكرا النعمة، وقليل من عباد الله الشكور، واتبع ذلك بما أنعم الله على سبأ من نعم لم يشكروها، فكان لهم جنتان عن يمين وشمال، فكانت قراهم متقاربة، يسرون إليها آمنين، فأبطرهم النعمة، وطلبوا بعد الاسفار، فجاءهم الله بما يجازي به المجاهدين لنعمه، وهم قد حققوا ظن إبليس واتبعوه، وما كان له عليهم من سلطان، وإنما هو فتنة يميز المؤمن بالآخرة عن هو في شك منها. ثم أخذت السورة تصف من جعلهم آفة بالعجز، وتذكر أن كل نفس مسئولة عن جرمها، وتثبت عموم رسالة الرسول، وتنقل استبطاء المشركين ليوم الوعيد، وله وقت معلوم.

وتحكي السورة قول الكافرين في القرآن ومحاوره المستكبرين والضعفاء، وتضع حدا للفساخر بالاموال والاولاد، وإنما لا تقرب إلى الله إلا بقدر ما توجه إليه من نفع عام، فهي ملكه، وهو يسيطر الرزق لمن يشاء ويقدر، وتعرض صورا للمشركين، فقد قالوا في رسولهم: أنه يريد أن يصدهم عما يعبد آباؤهم، وقالوا فيما نزل عليه من آيات: افك مفرى وسحر مبين. وما أتوا كتابا من قبل، وما أرسل إليهم قبلك من رسول، وقد أرسلنا إلى من قبلهم من علموا قوتهم وعزتهم وأخبارهم، فلما لم يستجيبوا أخذناهم بالعذاب. ويؤمر الرسول - ﷺ - أن يوضح مهمتهم معهم، وإنما التذكير دين الاجساء، ويؤمرين بالنظر في أصحابهم، فإيه جنين، ولا هو طالب لئال، ودعوته للناس إلى الحق يوسى من الله - تعالى - ليتحقق لهم الامن، فإذا جاءت الساعة وفزعوا ولا همرب أخذوا من مكان قريب، وقالوا عند ذلك: آمنا. وإني لهم الايمان وقد كفروا من قبل، وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأمنابهم، انهم نجما كانوا في شك من أمر الدين موقع في الريبة.

١ - التناء كله حق لله - وحده - الذي له ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا وتديرا، وله - وحده - التناء في الآخرة للملكه الشامل، وهو الحكيم الذي لا يخطئ، الخير الذي لا يغب عنه سر.

مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ① وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمٌ ۚ الْغَيْبُ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ② لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ③ وَالَّذِينَ سَعَوْا بِإِبْنَتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَبِّكَ أَلِيمٌ ④ وَرَبِّي الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَوَعْدِي لَكَ مِصْرَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑤ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَحْنُ عَلَىٰ رَجُلٍ بِبَيْتِكُمْ إِنْ أَمْرُنَا قَدْ كُلٌّ مُنْزَقٌ لِنَاكِزَ لِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ⑥

٢ - يعلم كل ما يدخل في أجزاء الأرض كالماء والكتوز والدخان وأجزاء الموق، وكل ما يخرج منها كالحيوان والنبات والمعادن ومياه الآبار والمين، ويعلم ما ينزل من السماء كاللآلئ والكب التي يتلفسها الأنبياء والمطر والصواعق وما يصعد فيها ويرى إليها كاللآلئ وأعمال العباد والأرواح، وهو الكثير الرحمة العظيم المغفرة.

٣ - وقال الذين كفروا: لا تأتينا الساعة الموعودة للبهت والتشور. قل لهم - أيها الرسول - : ستأتكم، وربي لتأتينكم، عالم الغيب لا يغيب عن علمه قدر ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من الذرة ولا أكبر منها إلا مسطور في كتاب تام البيان^(١).

٤ - ليثبت الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لأنفسهم وللناس، أولئك المؤمنون العاملون لهم من الله مغفرة تحو ذنوبهم ورزق واسع لامن فيه.

٥ - والذين أجهدوا أنفسهم في محاربة القرآن، مغالين أمر الله في نصر رسوله، أولئك لهم عذاب من أسوأ العذاب المؤلم.

٦ - ويعلم الذين من الله عليهم بالعلم أن القرآن الذي أنزل إليك من ربك - بما فيه من عقائد وهداية - هو الحق الذي لا مرية فيه وهو الذي يهدي إلى طريق الله القالب على كل شيء، المستحق لكل ثناء.

٧ - وقال الكفار بعضهم لبعض - استهزاء بخير البعث - : هل ندلكم على رجل يحمدكم أنكم إذا تم وقرئت أجسامكم كل نفرق أنكم تيتبون في خلق جديد؟ ١٤

(١) الذرة في اللغة العربية: شيء صغير جدا كصغار الحل أو دقيقة الفيل. ومثقال الذرة، مثله: وزن الذرة وتفيد الآية وجود ما هو أصغر من الذرة، ويجوز بالذكر أن العلم الحديث أثبت انقسام الذرة إلى أصغر منها وهي مكوناتها المصروفة بالنواة والكهرباء. وهذا لا يتفق علميا إلا في القرن العشرين الميلادي.

أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جُنَّةٌ بَلَى الَّذِينَ لَا يَوْمُنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَقَلَّمُوا بِرُؤُوسِهِمْ
مَآبِينَ أُنْيَسِهِمْ وَمَا خَلَقَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُخَفِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ
إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ عِدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ * وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنْجِبَالِ أُورِى مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَنَّا لَهُ
الْحَكِيمُ ﴿١٠﴾ إِنْ أَعْمَلَ سَبِيحَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَاسْلُمْنَ الرِّيحَ
غُدُوها شَرْ ورواحها شَرْ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَرْغُ مِنْهُمْ
عَن أَمْرِنَا نُنْذِقْهُ مِّنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحْرِبٍ وَتَنْثِيلٍ وَجَنَّانٍ كَاجْوَافٍ وَقُدُورٍ
رَّاسِبَاتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ فَلَبَّ قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دُهِمَهُمْ عَلَىٰ

٨ - اختلق هذا الرجل على الله كذبا فيما نسبته اليه من احياء الموتى ، أم به جنون فهو يتكلم بما لا يدري ؟
ليس الامر كما زعموا بل الحقيقة ان الذين لا يؤمنون بالآخرة واقعون في العذاب والضلال البعيد عن الحق .

٩ - اعموا فلم ينظروا الى ما بين ايديهم وما وراهم من السماء والارض . ليعلموا قدرتنا على فعل ما نشاء ؟
ان نشأ نخفف بهم الارض خسفناها بهم ، أو ان نشأ نسقط عليهم قطعا من السماء نسحقهم بها أسقطناها ، ان
فما ذكرنا لدليلا لكل عيد راجع الى ربه في كل أمره .

١٠ - والله : لقد أعطينا داود منا فضلا باعطائه الحكمة والكتاب ، وقلنا : يا ابيال رددى معه التسبيح اذا
سبح ، وسخرنا له الطير ترجع تقديس الله ، وصيرنا له الحديد ليتمكن من شمله كما يشاء^(١) .

١١ - اوحينا اليه أن اعمل دروعا واسعة تحمى من بأس الاعداء ، وأحكم نسجها بتداخل حلقاتها ، وقلنا له
ولآله : اعملوا ما يعود عليكم وعلى غيركم بالخير والصلاح ، انى بكل ما تعملون بصير لا يغيث عنى شئ منه .

١٢ - وسخرنا لسلطان الريح ، جبرها في أول النهار يعدل السير العادي شهرا ، وجبرها في آخر النهار يعدل
السير شهرا . واسلنا له معدن النحاس يجري غزيرا مستمرا ، وسخرنا له من الجن من يعمل امامه بتسخير ربه ،
ومن ينصرف من الجن عن أمرنا لهم بطاعة سليمان نذقه من عذاب النار المستمرة .

١٣ - يعملون له ما يريد من مساجد للعبادة وصور مجسمة وقصاع كبيرة كالاخواز واوان للطبخ ثابتات على
قواعدها لمسطحها . وقلنا لآل داود : اعملوا عملا تشكرون به الله شكرا ، وقليل من عبادى من يذكر نعمى فيكثر
شكرى .

(١) داود عليه السلام - أحد أنبياء بني إسرائيل ولوهم . عاش في الفترة التي بين سنة ١٠١٠ و ٩٧٠ ق.م .

مَوْتَهُ إِلَّا دَابَّةَ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْهُمَا. فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ آيَاتُنَ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلًّا مِنْ رِزْقِ رَبِّكَ وَاشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ
 طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ الْأَكْأِطِ فَاصْطَبُوا
 وَثْنَيْنِ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
 الْقَرْيَةِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةٍ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ
 أَصْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَفَرَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ ﴿١٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢٠﴾
 وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ مُلْكِ إِنَّمَا لِنَعْلَمَ

١٤ - جلجا حكمتا على سبلان بالموت مادل الجن على موته الا دابة الارض تأكل منهن عساه وهو منكى عليها .
 فلما سقط علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما مكثوا في العذاب الناق للجن لهم .

١٥ - اقسام : قد كان لأهل سبأ في مسكنهم بالين آية دالة على قدرتنا . حديثتان يحسان ببلدهم عن يمين
 وشمال . قيل لهم : كلوا من رزق ربكم واشكروا نعمه بصرها في وجوهها . بلدكم بلدة طيبة ذات ظل وغار .
 وربكم كثير المغفرة لمن شكره .

١٦ - فأعرضوا عن شكر النعمة ويطروا معيشتهم . فأطلقنا عليهم السيل الجارف الذي اعقب تصدع
 السدود . فأهلك البساتين . وبدلناهم بجنتين الثمرتين جنتين ذوات غمر مر . وشجر لا يثمر . وثمن من نيق قليل
 لا غناه فيه (١) .

١٧ - ذلك الجزاء جزيناهم ب كفرهم النعمة وعدم شكرها . وهل تعاقب هذا العقاب الا شديد الكفر بالله
 وبأنفاله ١٢

١٨ - وجعلنا بين مسكنهم بالين وبين القرى المباركة قرى متقاربة يظهر بعضها لبعض . وجعلنا نسبة بعضها
 الى بعض على مقدار معين من السير لا مشقة منه . وقتلنا لهم : سيرا فيها ليلال وأياما متمتعين بالامن .

١٩ - فقالوا - بطرا بنعمة الراحة والامن - ربنا : باعد بين أصفارنا . فلا تصادف قرى عامرة في طريقنا الى
 مقاصدنا . فباعد الله بين أصفارهم . وظلموا أنفسهم بطغيانهم . فصرناهم أحاديث للناس . وفرقناهم كل فريق
 ان فيما وقع لهم لظلمات لكل صبار على البلاء . شكور على العطاء .

٢٠ - ولقد حقق إبليس ظنه عليهم . فاتبعوه الا فريقا قليلا من المؤمنين .

(١) سيل العرم أو سد مأرب . هو أعظم سدر بالين . وقد استطاع هذا أن يحرق مساحة قدرها ثلاثة ميل مربع كانت جرداء قاحلة
 فأصبحت بعد تدبير المياه غياضا وسباتين . وآية ذلك هاتان الجنتان . وقد اختلفت اقوال المُرّخين فيمن بناء . كذلك تحدث الأقوال في
 أسباب تهمة .

مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِنْ هَوْمَئِهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِقْدَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُرْهُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تَسْأَلُونَنِي عَنْ أَجْرِي وَإِنِّي سَأَلْتُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَهَقَمْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ

٢١ - وماكان لابلس عليهم من قوة يحضهم بها ، ولكن الله امتحنهم ليطهر من يصدق بالآخرة عن هومها في شك . وربك - أيها النبي - على كل شيء رقيب قائم على كل أمر .

٢٢ - قل - أيها النبي - للمشركين : ادعوا الذين ادعيت باطلا انهم شركاء من دون الله ليجلوا لكم نفعنا أو يدفعوا عنكم ضرا ، هم لا يجيبونكم ، لانهم لا يملكون مقدار ذرة في السموات ولا في الارض ، وليس لهم فيها شركة مع الله في خلق أو ملك ، وليس لله من هؤلاء الشركاء المزعومين من يعينه على تدبير شئون خلقه .

٢٣ - ولانتم الشفاعة عند الله الا للمستأهلين لمقام الشفاعة ، حتى اذا كشف الفزع عن قلوبهم بالاذن لهم في الشفاعة ، قال بعضهم لبعض - مستبشرين - : ماذا قال ربكم ؟ فيجيبون بأنه قال القول الحق باذنه في الشفاعة لمن ارتضى ، وهو - وحده - صاحب العلو والكبرياء ، ويأذن ويمنع من يشاء كما يشاء .

٢٤ - قل - أيها النبي - للمشركين : من يأتيكم برزقكم من السموات والأرض ؟ قل لهم - حين لا يجيبون عنادا - : الله وحده هو الذي يرزقكم منها ، واننا معشر المؤمنين أو اياكم معشر المشركين لعل أحد الامرين من الهدى أو الضلال الواضح .

٢٥ - قل لهم - أيها النبي - : لاسألون عا أذنتي ولا تسأل عن أفعالكم .

٢٦ - قل لهم : يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يقضى بيننا بالحق ، وهو - سبحانه - المحاكم في كل أمر ، العليم بحقيقة ما كان منا ومنكم .

٢٧ - قل لهم : أروني الذين الحقتم بالله في استحقاق العبادة ، تزعمون شركتهم له ، ليس له شريك ، بل هو الله الغالب على كل شيء ، الحكيم في تدبيره وتصريفه .

إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ تَأْمُرَنَا بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضِعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنَحْنُ صَدَدْنَكُمْ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَبَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجِزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَنُفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾

٢٨ - وما أرسلناك - يا محمد - إلا للناس جميعا ، بشيرا للمؤمنين بالخير ، ونذيرا للكافرين بالشر ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون صدقك وعموم رسالتك .

٢٩ - ويقول الكافرون - استبعادا لليوم الموعود للجزاء - متى هذا الوعد فتدخل النار وتدخلون الجنة أن كنتم صادقين في وعدكم به ؟

٣٠ - قل لهم أيها النبي : لكم ميعاد يوم عظيم ، لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون .

٣١ - وقال الذين كفروا : لن تصدق بهذا القرآن ولا بالكذب التي تقدمت عليه فيها تأمر به وتدعو إليه . ولو ترى - يا من تحمك الروية - وقت وقف الظالمين عند خالقهم ومالك أمرهم لرأيت العجيب في موقفهم ، حين يرد بعضهم إلى بعض القول ، يقول المستضعفون للمستعطين عليهم : لولا أنتم - بتسلطكم علينا - لكنا مؤمنين .

٣٢ - قال المستكبرون للمستضعفين - متكررين قولهم - : نحن صدناكم عن الهدى بعد مجيئه لكم !؟ نصدكم عنه ، بل كنتم مؤثرين الضلالة على الهدى .

٣٣ - وقال المستضعفون للمستكبرين : بل تدبركم ووسوستكم لنا في الليل والنهار أوقفتنا في التهلكة ، حين كنتم تطالبون منا أن نكفر بالله ، ونجعل له شركاء ، وأسرى الفريقان الحسرة لما رأوا العذاب واقعا بهم ، فعلموا أن لا فائدة من اظهار هذه الحسرة ، وجعلنا الاغلال في أعناق الذين لم يؤمنوا ، هل يستحق هؤلاء الاجزاء ما كانوا يعملون ؟

٣٤ - وما أرسلنا في قرية من رسول يدعهم إلى الحق إلا قال المتفرون من أهلها : انا بما جنم به مكذبين .

٣٥ - وقالوا - متباهين - : نحن أكثر أموالا وأولادا ، وما نحن بمعذبين في الآخرة .

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِإِلَٰهِي تُقَرَّبُكُمْ عَلَدْنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْبُخْبِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَابِنَا مُعْتَبِرِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءُ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا نَسَخَ عَلَيْهِمْ ءَايَتَنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَبْسُدَ كَرِّ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ

٣٦ - قل لهم - أيها النبي - : ان خالق يوسع الرزق لمن يشاء من العاصين والطغيان ويضيق على من يشاء ، وليس ذلك دليل رضاه أوسخطه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

٣٧ - وليست أموالكم وأولادكم بالمرية التي تقرّبكم عندنا قربة ، لكن من ثبت له الايمان وعمل صالحا فأولئك لهم التواب المضاعف بما عملوا ، وهم في أعالي الجنات آمنون .

٣٨ - والذين يسعون في معارضة آياتنا - محاولين ابطالها وتمجيز أنبيائنا عن تبليغها - أولئك في العذاب محضرون لا يفلتون .

٣٩ - قل - أيها النبي - : ان ربّي يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيق عليه ، وما أنفقتم من شيء فهو يعوضه ، وهو - سبحانه - خير الرازقين .

٤٠ - واذكر - أيها النبي - يوم يحشرهم الله جميعا ، ثم يقول - سبحانه - للملائكة أمام من كانوا يعبدونهم : اهتولاء خصوكم بالعبادة دوني ؟

٤١ - قالت الملائكة : نزهك - نزهك - عن أن يكون لك شريك - أنت الذي نواله من دونهم ، وهم واهون في زعمهم أنهم كانوا يعبدوننا ، بل كانوا خاضعين لتأثير الشياطين الذين زينوا لهم الشرك . أكثرهم بهم مصدقون .

٤٢ - فيوم الحشر لا يملك بعضهم لبعض نفع ولا دفع ضرر ، ونقول للظالمين أنفسهم : ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها في الدنيا تكذبون .

كَفَرُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا عَرْمِيٌّ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا يُلْفَوْنَ مَعَهُ مَاءً آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ * قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيَكَ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَقُرْدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَتَرَىٰ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهَوَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَيْدٍ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّلُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُرْحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنِّي سَمِيعٌ

①

٤٣ - وإذا تتلى على الكفار آياتنا واضحات الدلالة على الحق قال الكافرون : ما هذا الا رجل يريد أن يمتنمك عما كان يعبد آباؤكم ، وقالوا : ما هذا القرآن الا كذب مختلق ، وقال الذين كفروا للقرآن لما جاءهم : ما هذا الا سحر واضح .

٤٤ - وما أنزل الله على العرب من كتب مماوية يدرسونها ، وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير يحسبهم عاقبة جعودهم .

٤٥ - وكذب الذين مسبقوا من الأمم أنبياءهم ، وما بلغ مشركو قومك عشر ما أتينا هؤلاء السابقين من قوة وتكين ، فكذبوا رسلي ، فكيف كان انكارى عليهم بمتابى لهم ؟

٤٦ - قل لهم : لما أكرمكم بمضلة واحدة هي : أن تقوموا - مخلصين لله بعبدين عن التقليد - في البعث بإخلاص لله ، ومتفرقين اثنين اثنين يتعاونان في التأمل ، وواحدا واحدا ينظر بعقل وانصاف ، ثم تتفكروا في أمر صاحبكم - محمد - الذي عاشروا وعرفتم سلامة عقله . ما به من جنون حين تصدى لهذا الأمر ، ان هو الا نذير لكم بعذاب شديد مقبل أمالكم .

٤٧ - قل للكفار : أى شيء من أجر طلبته منكم على تبليغ الرسالة فهو لكم ، ما أجرى الذى أنتظروه الا على الله ، وهو على كل شيء رقيب مطلع .

٤٨ - قل لهم : ان ربى يرسل بالحق في وجه الباطل فيمحقه ، وهو علام الغيوب لا يخفى عليه سر .

٤٩ - قل لهم : ظهر الإسلام ، وما يستحق الباطل وسيلة تدفع الحق . وما يعيد وسائله السابقة .

قَرِيبٌ ۝ وَلَوْ رَكَّبْنَا لِدِفْعِهِمْ قُوتًا وَلِأَخْذِهِمْ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ ءَ وَأَنْتَ لَظَنٌّ ۝ أَلَنْتَوَسَّوْا مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ ءَ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْعَنِينِ ۝ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ۝

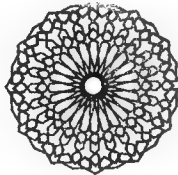
٥٠ - قل لهم : ان المحرقت عن الحق فلما ضر ذلك عائد على نفسى ، وان اهديت فيارشد ربي ، انه مبيع لقولى وقولكم ، قريب منى ومنكم .

٥١ - ولو ترى - أيها المبصر - حين فزع الكفار عند ظهور الحق فلا مهرب لهم ، وأخذوا إلى النار من مكان قريب .

٥٢ - وقالوا - عندما شاهدوا العذاب - : أمنا بالحق ، وكيف يكون لهم تناول الإيمان بسهولة من مكان بعيد عن الدنيا التى انقضت وقتها ؟

٥٣ - وقد كفروا بالحق من قبل هذا اليوم ، ويرجعون بالظن الباطل من مكان بعيد عن الصواب .

٥٤ - وحيل بينهم وبين ما يشتهون من إيمان ينفعهم . كما فعل بأشياءهم من قبل عندما آمنوا بعد فوات الوقت ، لأنهم - جميعا - كانوا فى شك من الحق موقع فى التهمة .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ جَاعِلِ الْمَلٰٓئِكَةِ رُسُلًا اُولٰٓئِىْ اُجْنَعَةً مِّنْهُ وَتِلْكَ وَرُبُّعٌ يُّرِيدُ فِي الْخَلْقِ

❦

افتتحت هذه السورة بالتناء على الله خالق السموات والأرض على غير مثال، جاعل الملائكة رسلا إلى عباده ذوى أجنحة عديدة، ما يرسله للناس من فضل لا أحد ينهه، وما يسكه لا أحد يرسله، يدعو الناس إلى ذكر النعمة، إذ لا خالق معه يندم بالرزق ولا إله معه يصرفون إليه. وكذب القوم دعوتك، فلك فيمن سبق من الرسل عبرة، ولك فيما وعدنا من رحمة إلنا ما يسليك وواجب على الناس ألا تفرهم الدنيا بزخارفها، ولا يفرهم الشيطان وأمره مقصور على دعوة متابعيه إلى التهلكة، ومن تابهه قاده إلى النار، ولا يستوى من زين له الشيطان سوء عمله ومن تركه، وإذا كان شأن الناس ذلك فلا تأسف على عدم إيمانهم، فن أرسل السحاب وأعيا به الموات، يحسى الأموات للحساب والجزاء، ومن أراد النعمة اعترز بالله، ومن اعتر بغيره أذله، وأعمال العباد تصعد إليه، فيقبل عمل المؤمنين ويحبط عمل الكافرين. ودليل قدرته على البعث والنشور أنه خلق الناس من تراب ثم من نطفة ثم جعلهم أزواجا، وما تحمل من أنثى ولا تضع ألا بعلمه، خلق العنب والملح، ومن كل تحصل الارزاق، وأدخل الليل في النهار وأدخل النهار في الليل، وسخر الشمس والقمر، كل يجري إلى أجل مسمى، هذا القادر هو الإله الحق. والذين يدعون من دونه لا يملكون، وإذا دعوا لا يسمعون، وإذا سمعوا لا يستجيبون، ويوم القيامة يكفرون بشرك من أشركهم مع الله، وهو عادل يحمل كل نفس عملها، ويوجه الرسل أن يقصدوا بدعواتهم من يخشون الله، ووظيفة الرسول اتنذر قومه، وما من أمة إلا خلا فيها نذير.

وتعود السورة إلى دلائل القدرة، فالأمة تخرج به الثمرات المختلفة، والجبال طرائق يضي وحرر وسود، والناس والدواب مختلف ألوانهم، كل ذلك يحمل على الخشعية منه، ومن يتل كتاب الله الذى أروته من اصطفاه يدخل الجنة يمتع بما فيها، ومن كفر يدخل النار لا يقضى عليه فيها ولا يخفف عنه من عذابها، يطلب الرجعة إلى الدنيا ليصلح من عمله، وقد أمهل وقتا يتذكر فيه من تذكر، وجعلهم النذير. وهو - سبحانه - جعلكم خلافت الأرض، ويسمك السموات والأرض أن تزولا. وقد أقسم المعاندون: لأن جاهدكم نذير ليكونن أهدى ممن سبقوهم، فلما جاءهم استكبروا، فحاق بهم مكرهم، وما قدروا الله حق قدره، ولو يؤاخذ الله أهل الأرض بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة، ولكن يؤخرهم إلى أجل، فلذا جاء فإن الله كان بهباده بصيرا.

مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ② يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْ تَقُولُوا ③ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ④ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ اللَّهُ الْغُرُورُ ⑤ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخَذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑥ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ⑦ أَفَنْ زَيْنَ لَهُ سُوَةٌ عَلَيْهِ قُوَّةٌ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ⑧

١ - التناء الجميل حق لله - وحده - موجد السموات والأرض على غير مثال سبق، جاعل الملائكة رسلا إلى خلقه ذوى أجنحة مختلفة العدد، اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا. يزيد في الحاق ما يشاء أن يزيد، لا يعجزه شيء، ان الله على كل شيء عظيم القدرة.

٢ - ما يرسل الله للناس رحمة - أى رحمة كانت مطرا أو نعمة أو أمنا أو حكمة - فلا أحد يجبسها عنهم، وما يجبس من ذلك فلا أحد يستطيع أن يطلقه من بعده، وهو الغالب الذى لا يفلب، الحكيم الذى لا يخطئ.

٣ - يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بشكرها وتأدية حقها، وأقروا بما يقع في نفوسكم أنه لا خالق غير الله يرزقكم من السماء بما ترسله والأرض بما تحسره مما به حياتكم. لا اله الا هو يرزق عباده، فكيف تصرفون عن توحيد خالقكم ورازقكم إلى الشرك في عبادته ١١

٤ - وان يكذبك كفار قومك فيما يجتهد به من الهدى فاصبر عليهم، فقد كذبت رسل من قبلك فاصبروا على ما كذبوا حتى انتصروا، وإلى الله - وحده - ترجع الأمور كلها.

٥ - يا أيها الناس: ان وعد الله - باليمين والجزاء والنصر - حق، فلا تخدعنكم الدنيا عن الآخرة، ولا يخدعنكم الشيطان عن اتباع الرسل، فيمنكنم بالمفخرة مع الإصرار على المعصية.

٦ - ان الشيطان لكم عدو قديم فلا تتخذوه، بوعده، فاتخذوه عدوا، اما يدعو متابعيه ليكونوا من أصحاب النار المشتعلة لا يدعوهم لغيرها.

٧ - الذين كفروا بالله ورسله لهم عذاب شديد، والذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الصالحات لهم عند الله مغفرة لذنوبهم وأجر كبير على أعمالهم.

٨ - أقفدوا التمييز، فن زين له الشيطان عمله السوء فرآه حسنا كمن اهتدى يهدى الله فرأى الحسن حسنا والسوء سيئا! فإن الله يضل من يشاء من ارتضوا سبيل الضلال سبيلا، ويهدي من يشاء من اختاروا سبيل الهداية سبيلا. فلا تهلك نفسك حزنا على الضالين وحسرة عليهم، ان الله محيط علمه بما يصنعون من شر، فيجزئهم به.

وَالَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُفِيرُ سَحَابًا فَمُسَقَتْهُ إِلَيْكَ بِلَدٍ مِيتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾
 مَنْ كَانَ يَرْيدُ الْعِزَّةَ فَفِي الْعِزَّةِ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ
 السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُورِثُ ۖ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
 وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ ۖ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ
 عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۖ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذَبٌ فَرَاتٌ سَابِغٌ شَرْابُهُ ۖ وَهَٰذَا مَلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمَنْ كُلِّي تَأْكُلُنَ
 لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لِتَنْتَقُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

﴿٩﴾

٩ - والله - وحده - هو الذي أرسل الرياح فتتحرك سحبها تراكم من أجخرة الماء ، فسقط السحاب إلى بلد مجهد ، فأحيينا به أرضه بالنبات بعد موتها ، مثل اخراجنا النبات من الأرض نخسج الموق من القبور يوم القيامة^(١) .

١٠ - من كان يريد الشرف والقوة فليطلبها بطاعة الله ، فإن له القوة كلها ، إليه يعلو الكلم الطيب ، ويرفع الله العمل الصالح فيقبله ، والذين يديرون للمؤمنين المكيدات التي تسوهم لهم عذاب شديد ، وتديبرهم فاسد ، لا يحقق غرضاً ولا ينتج شيئاً .

١١ - والله أوجدكم من تراب ، اذ خلق أباكم آدم منه ، ثم خلقكم من نطفة هي الماء الذي يصب في الأرحام ، وهي أيضاً من أغذية تنخرج من التراب ، ثم جعلكم ذكراً وإناثاً ، وما تحمل من أنثى ولا تضع حملها إلا يعلمه تعالى ، وما يعد في عمر أحد ولا ينقص من عمره إلا مسجل في كتاب ، ان ذلك على الله سهل هين .

١٢ - وما يستوى البحران في علمنا وتقديرنا وإن اختلفا في بعض منافعها ، هذا ماؤه عذب يقطع العطش لشدة علونه وحلاوته وسهولة تناوله ، وهذا ملح شديد الملوحة . ومن كل منها تأكلون لها طرياً مما تصيدون من الأسماك ، وتستخرجون من الماء الملح ما تتخذونه زينة كاللؤلؤ والمرجان . وترى - أيها المشاهد - السفن تجري فيه شاقة الماء بسرعتها ، لتطيروا شيئاً من فضل الله بالتجارة . ولعلكم تشكرون لربكم هذه النعم^(٢) .

(١) يرجع إلى التطبيق العلي على الآية ٥٧ من سورة الأعراف .

(٢) ومن آيات الله التي دعا الناس إلى تعقلها ومن عليهم بها جريان الفلك وظهورها في البحر حسب سنة التي سنّها في الطبيعة وهو ما بينه قانون الأقسام الطافية ، وينبغي أن بعض الملح تستخرج من البحر للتحل وقد يستبد بعض الناس أن تكون المياه العذبة تصدوا للتحل أيضاً ولكن العلم والواقع أثبتا غير ذلك أما اللؤلؤ فإنه كما يستخرج من أنواع معينة من البحر يستخرج أيضاً من أنواع معينة أخرى صدفات الأنهار . فوجد الأهل في المياه العذبة في إنجلترا واسكتلندا وويلز وتشيكوسلوفاكيا واليابان . إلخ بالإضافة إلى مصائد اللؤلؤ البحرية المشهورة . ويدخل في ذلك ما تحمله المياه العذبة من المدن العالية الصلابة كاللاس التي يستخرج من رواسب الأنهار الجافة المعروفة بالبرقة . ويوجد الباقوت كذلك في الرواسب البحرية في موجوك بالقرب من ياندلاس في بورما العليا ، أما في مسيام وفي سيلان فيوجد الباقوت غالباً في الرواسب البحرية . ومن الأحجار شبه الكريمة التي تستعمل في الزينة حجر التوباز . ويوجد في الرواسب البحرية في مواقع كثيرة وممتدة في البرازيل وفي روسيا (الأورال وسيبيريا) وهو فلورسبيلكات الأنثيم وطلب أن يكون أصغر أو بنياً .

الزيركون CIRCOM حجر كريم جذاب تغارب خواصه من خواص اللامس وسطم أنواعه الكريمة تستخرج من الرواسب البحرية .

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ لِّأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا
لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ ﴿١٤﴾ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٥﴾ * يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٦﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٧﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٨﴾ وَلَا تَزِرُ
وِزْرَةً وِزْرًا أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِلْهٍ لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا نُنذِرُ الْبَلَّ الْبَاحِثُونَ
رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَلِلَّهِ الْإِمْلَاقُ كُلُّهُ ۖ وَمَا يَدْرِي أَلِغَنِيَ
رَبِّهِمْ أَمْ لِي أَشْرَافٌ ۚ

١٣ - يدخل الليل في النهار ويدخل النهار في الليل ، بطول ساعات أحدها وقصرها في الآخر . حسب
أوضاع محكمة مدى الأعوام والدهور ، وسخر الشمس والقمر لخدمتكم ، كل منهما يجري إلى أجل معين ينتهي إليه .
ذلك العظيم الشأن هو الله مدير أموركم ، له الملك وحده ، والذين تدعون من غيره آلهة تعبدونها ما يكونون من لافقة
نواة ، فكيف يستأهلون العبادة ؟ (١٩) .

١٤ - ان تدعوا الذين تعبدونهم من دون الله لا يسمعو دعامكم ، ولو سمعوا دعاءكم ما أجابوا شيئاً
ما تطلبون ، ويوم القيامة ينكرون اشراككم لهم مع الله ، ولا يغيركم هذا الخبر من أحوال الآخرة مثل علم به علماً
دقيقاً .

١٥ - يأياها الناس : أنتم المحتاجون إلى الله في كل شيء ، والله هو الغني - وحده - عن كل خلقه ، المستحق
للحمد على كل حال .

١٦ - ان يشأ الله أهلككم أو يخلق جديد ترضاه حكمته .

١٧ - وما هلاككم والإتيان بغيركم مجتمع على الله .

١٨ - ولا تحمل نفس مذنبية أثم نفس أخرى ، وان تدع نفس مثقلة بالذنوب شخصاً ليحمل عنها ، لا يحمل
هذا الشخص من ذنوبها شيئاً ، ولو كان ذا قرابة بها ، لاشتغال كل بنفسه ، ولا يحزنك - أيها النبي - عناد قومك ،
لما ينفع تحذيرك الذين يخافون ربهم في خلواتهم ، وأقاموا الصلاة على وجهها ، ومن تطهر من دنس الذنوب
فإنما يظهر نفسه ، وإلى الله المرجع في النهاية ، فيحاسب كل بما يستحق (٢١) .

(١) تشير الآية الكريمة إلى أن للشمس أجلاً تنتهي بعده وقد تكون هذه هي النهاية على ما قال به علماء الفلك من أن الشمس تحترق
وتوقد النار وهو مادة الهيدروجين فتتحول إلى هيليوم وقد يكون أجل الشمس بكارثة كونية .
(٢) يراجع التلخيص على الآية ٧ من سورة الزمر : ولا تزر وازرة وزر أخرى .

وَالْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ وَلَا أَظْلُمْتُ وَلَا نُورٌ ﴿٢١﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢٢﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿٢٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٥﴾ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٦﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿٢٧﴾ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٨﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ ﴿٢٩﴾ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٣١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَنًا ﴿٣٢﴾ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَعَرَاءِبٌ سُودٌ ﴿٣٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ

⑤

١٩ ، ٢٠ ، ٢١ - وما يستوى الذي لا يتعدى الى الحق لجهله ، والذي يسلك طريق الهداية لعمه ، ولا الباطل والحق ، ولا الظل ولا الريح الحارة .

٢٢ - ولا يستوى الاحياء بقبول الإيمان ولا الاموات الذين عطلت حواسهم وأغلقت قلوبهم عن سماع الحق ، ان الله يهدي من يشاء الى سماع الحق سماع قبول ، وما أنت - أي النبي - بسماع أصوات القلوب بالعناد والكفر ، كما أنك لا تسمع الموتى في القبور .

٢٣ - ما عليك الا أن تبلغ وتنذر .

٢٤ - انا أرسلناك - أي النبي - للناس جميعا بالدين الحق ، مبشرا من آمن به بالجنة ، ومنفرا من كفر به بعباد النار ، وما من أمة من الأمم الماضية الا جاءها من قبل الله من يحذرها عقابه .

٢٥ - وان يكذبك قومك في ذلك فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم ، وقد جاءهم بالمعجزات الواضحات وبالصحف الربانية وبالكتاب المنير لطريق النجاة في الدنيا والآخرة .

٢٦ - ثم أخذت الذين كفروا أخذا شديدا ، فانظر كيف كان انكارى لمعلمهم ورضي عليهم ؟

٢٧ - ألم تر - أي العاقل - أن الله أنزل من السماء ماء فأخرج به ثمرات مختلفا ألوانها ، منها الأحمر والأصفر والحلو والمر والطيب والخبيث ، ومن الجبال جبال ذؤود طرائق وخطوط بيض وحمر مختلفة بالثندة والضعف وجبال لذؤوب من يرجع اليه^(١) .

(١) ليس الإعجاز العلمي في هذه الآية الكريمة هو التبره فقط بل للجبال من ألوان مختلفة ترجع إلى اختلاف المواد التي تتألف منها صخورها من حديد يميل اللون السائد أحمر أو منجنيز أو فحم يميل أسود أو نحاس يميل أخضر وغير ذلك ، ولكن الإعجاز هو الربط بين إشراج ثمرات مختلفات الألوان بربو شجرها ماء واحد وخلق جبال حمر وبيض وسود ويرجع أصلها إلى مادة واحدة متجانسة التركيب أصل معينها من باطن الأرض . ويسمى علم الجيولوجيا بالصهارة والجبال ، وهذه الصهارة الواحدة عندما تنبت في أماكن مختلفة من الأرض وعلى أعناق مختلفة من السطح يمتزج تركيبها الاختلاف فتتصلب أنماط الأرض في كل أو جبال مختلفات اللدنة والألوان . وهكذا فسنة الله واحدة لأن الأصل واحد والقروح مختلفة متباينة وفي هذا تنوع وفائدة لبني الإنسان .

مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ يَبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣١﴾ جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٢﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ

﴿٣٠﴾

٢٨ - ومن الناس والدواب والابل والبرق والغنم يختلف ألوانه كذلك ، في الشكل والحجم واللون . وما يتدبر هذا الصنع العجيب ويحصى صانعه الا العلماء الذين يدركون أسرار صنعه ، ان الله غالب يخشاه المؤمنون ، غفور كثير المحو لذنوب من يرجع اليه^(١) .

٢٩ - ان الذين يتلون كتاب الله ، متدبرين فيه عاملين به ، وأقاموا الصلاة على وجهها الصحيح ، وأنفقوا بعض ما رزقهم الله سرا وجهرا ، يرجون بذلك تجارة مع الله لن تكسد .

٣٠ - ليؤتيهم رهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، بما يرى من حسناتهم ويحس من سيئاتهم ، انه غفور كثير المحو للذنوب ، شكور كثير الشكر للطاعات .

٣١ - والذي أوحينا اليك من القرآن هو الحق الذي لا محسبة فيه ، أنزلناه مصدقا لما تقدم من الكتب المنزلة على الرسل قبلك ، لاتفق أسوأها ، ان الله عبيده واسع الخيرة والبهير .

٣٢ - ثم جعلنا هذا الكتاب ميراثا للذين اخترناهم من عبادنا ، فهم ظالم لنفسه بفضلة سيئاته على حسناته ، ومنهم مقتصد لم يسرف في السيئات ولم يكثر من الحسنات ، ومنهم سابق غيره بفعل الخبرات بتيسير الله ، ذلك السبق بالمعيرات هو الفوز الكبير من الله .

٣٣ - جزاؤهم في الآخرة جنتات اقامة يدخلونها ، يتزينون فيها بأساور من ذهب ولؤلؤا ، وثيابهم في الجنة حرير .

٣٤ - وقالوا وقد دخلوها : التناء الجميل لله الذي أذهب عنا ما يحزننا ، ان ربنا لكثير المغفرة كثير الشكر .

(١) بعد استعراض تباين الفرات والجبال والناس والدواب والأنعام ، وقد يشار إلى أن وراء هذا التباين لم يترك الا الحلال جميعها وحدة في الأصل : فالفرات من ماء واحد ، والجبال من صهارة واحدة ، وكذلك اختلاف الألوان والناس والدواب والأنعام لا يظهر في النطق التي تنشأ منها ، ولو قصصت بالظاهر القوة فيها في مظهرها لا تتغير إلى شيء مما نكتة من أوجه الاختلاف وإنها هي دقائق وأسرار مختصرا في داخلها (جنتها أو موزيلتها) وربما كان هنا إشارة أيضا إلى أن الخصائص الروائية الكافية في جرائم النبات والحير والانس تحافظ على نظريتها ولا تتغير حقيقتها بالبيئة أو الغذاء .

واسم الناس بحسبة الله هم العلماء الذين عرفوا أسرار اختلاف هذه الموجودات .

أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَنُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا كَذَابَ الظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمُ كِتَابًا فَمَن عَلَىٰ يَبْتِغِي مِنْهُ بَلْ إِن يَبْدُ الْظَالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَانَا لَإِنْ أُنْسِكُمَا مِن أَحَدٍ

٣٥- الذي أنزلنا دار النعيم المقيم من فضله لا يمسينا فيها نصب، ولا يمسينا فيها اعياء.

٣٦- والذين كفروا جزأوهم المد لهم نار جهنم يدخلونها، لا يقضى عليهم الله بالموت فيموتوا، ولا يخفف عنهم شيء من عذابها فيستريحوا. كذلك نجزي به كل مباد في الكفر مصر عليه.

٣٧- وهم يستغيثون فيها قائلين: ربنا أخرجنا من النار نعمل صالحا غير العمل الذي كنا نعمله في الدنيا، فيقول لهم، ألم نمنحكم من العمل ونطل أعماركم زمنا يتمكن فيه من التدبر من يتدبر، وجاءكم الرسول يحذركم من هذا العذاب؟ فذوقوا في جهنم جزاء ظلمكم، فليس للظالمين من ناصر وبعين.

٣٨- ان الله مطلع على كل غائب في السموات والأرض، لا ينبغي عن علمه شيء، ولو أجايبكم وأعادكم الى الدنيا لعدتم إلى ما نهاكم عنه، انه - تعالى - عليم بغفایا الصدور من الزعات والميول.

٣٩- الله هو الذي جعل بعضهم يخلف بعضا في تعمير الأرض وتتميرها، وهو حقيق بالشكر لا بالكفر، فن كفر بالله فعليه وزر كفره، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا بغضا وغيضا، ولا يزيد الكافرين الا خسرانا.

٤٠- قل- أياها التي للمشركين: أخبروني: ألبصرتم حال شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله؟! أخبروني: أي جزء خلقوا من الأرض؟! بل ألهم شركة مع الله في خلق السموات؟! لم نعطهم كتابا بالشركة فهم على حجة منه، بل ما يبد الظالمون بعضهم بعضا بشفاعة الآلهة التي يشركونها مع الله الا باطلا وزخرفا لا يجدع إلا ضعاف العقول.

مِنْ بَعْدِهِ^{٤١} إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غُفُورًا^{٤٢} وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَعْيُنِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيْسَ كَوْنُ أَعْدَى مِنْ أَحَدٍ
 الْأُمَمِ قَلْبًا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نَفُورًا^{٤٣} اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ^{٤٤}
 فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سَنَّتِ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَحْمِلَ لِسَنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَحْمِلَ لِسَنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا^{٤٥} أَوَلَمْ يَسِيرُوا
 فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنِيبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ
 فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا قَدِيرًا^{٤٦} وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظُهُرِهِمْ
 دَابَّةً وَلَكِنْ يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى^{٤٧} فإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِبِعَادِهِ بَصِيرًا^{٤٨}

٤١ - ان الله هو الذي يمنع اختلال نظام السموات والأرض ، ويحفظها بقدرته من الزوال ولئن قدر لها الزوال ما استطاع أحد أن يحفظها بعد الله ، انه كان حلما لا يعجل بمقوبة المذللين غفور راجع إلى (١) .

٤٢ - وأقسم الكافرون بالله غاية اجتهدهم في تأكيد بينهم : لئن جاءهم رسول ينذرهم ليكون أكثر هداية من احدى الأمم التي كذبت رسلها ، فلما جاءهم رسول منهم ينذرهم ما زادهم بإنذاره ونصحه الا نفورا عن الحق .

٤٣ - نفروا استكبارا في الأرض وأنفة من الخضوع للرسول والدين الذي جاء به ، ومكروا مكر السيئ - وهو الشيطان الذي قادهم إلى الانصراف عن الدين ومحاربة الرسول - ولا يحيط ضرر المكر السيئ الا بمن دبروه ، فهل ينتظرون الا ما جرت به سنة الله في الذين سبقوهم ؟ فلن تجد لطريقة الله في معاملة الأمم تغييرا يطمع هؤلاء الماكرين في وضع لم يكن لمن سبقوهم ، ولن تجد لسنة الله تحويلا عن اتقائها .

٤٤ - أقصدوا وأنكروا وعبدوا الله للمشركين ، ولم يسيروا في الأرض فينتظروا بأعينهم آثار الهلاك الذي أنزل على من قبلهم عقابا لتكذيبهم الرسل ؟ وكان من قبلهم من الأمم أشد منهم قوة ، فلم تخمهم قوتهم من عذاب الله ، وما كان ليُعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض ، انه واسع العلم عظيم القدرة .

٤٥ - ولو يعاقب الله الناس في الدنيا لعم الفساق ، وما ترك على ظهر الأرض دابة ، لصدور الذنوب منهم جميعا ، ولكن يؤخر عقابهم إلى زمن معين هو يوم القيامة ، فإذا جاء أجلهم المضروب لهم فسيجازم بكل دقة ، لأنه كان بأعمال عباده بصيرا ، لا يخفى عليه شيء منها . والله أعلم .

(١) تقرر هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى وحده خالق السموات والأرض ، يسكنها من الزوال ، فالأجرام السماوية القريبة والبعيدة منا تظهر على القبة السايوية مناسكة وطبقا لنظام يدع خلقه الله سبحانه وتعالى وهو ما أردعه إياها من جاذبية فلا تحيد عنه على مر الزمن والأجيال ويحفظها من الاختلال في التوازن ، وله سبحانه وتعالى هذه القدرة وليست لأحد سواه .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ

افتتحت هذه السورة بحرفين من الحروف التي تتكون منها الكلمات العربية، وأتبعته بالقسم بالقرآن على أن محمداً - ﷺ - من المرسلين، وأنه على طريق معتدل رحمه القرآن المنزل عليه من العزيز الرحيم، لينذر به قوما ما أنذر آباؤهم من قبل. وأخذت السورة تصور الجاحدين الذين لا ينتصون بالإنذار، وتبين أن الإنذار إنما يبيد من الله لقبول الذكر وخشي الرحمن، وأن الله يبيت الموتى ويحيى أعمال العباد. وتسوق السورة مثلاً لكفار مكة يكشف عن الصراع بين الداعين إلى الله وبين المكذبين، مبينة عاقبة الفريقتين. ثم أخذت تعرض من أدلة القدرة الموجبة للإيمان والحرف من وعيد الله الذي سيفاجئهم يوم تجزى كل نفس ما عملت. فأصحاب الجنة يتمتعون، وهم ما يشتهون، وأصحاب النار يطردون، وهم في قبضة القدرة، تحتم أفواههم، وتنطق جوارحهم، ولوشاء الله لغير صورهم، فهو الذي يدل من طال عمره في الدنيا بالقوة ضعفاً وبالعقل خرفاً. وهو الذي عصم نبيه من الخيال والخيال، فما علمه الشعر، وما تنبى له تلك الصناعة التي يجم أصحابها في كل واد. ما جاءه إلا بالذكر الواضح وليد المنطق لا وليد الخيال. وتحض السورة تذكراً بفضل الله على عباده، وأنه سخر لهم الأنعام يملكونها ويركوبونها، ومع هذه النعم المسخرة لمصالحهم يتخذون الأنداد العاجزة، وتحتم السورة بلفت الإنسان إلى خلقه من نطفة، فإذا هو خصيم بين الخصومة، ومن له النشأة الأولى، ومن يخرج من الشجر الأخضر ناراً، ومن خلق السموات والأرض قادر على أن يحصى العظام وهي رميم. وأمره بقبول الشيء: كن فيكون، تنزه مالك كل شيء وإليه ترجعون.

١ - يس: حرفان بدئت بهما السورة على طريقة القرآن في بدء بعض السور بالحروف المقطعة.

٢ - أقسم بالقرآن المشتمل على الحكمة والعلم النافع.

٣ - اتك يا محمد لمن الذين بعثهم الله إلى الناس بالهدى ودين الحق.

٤ - على طريق معتدل، هو دين الإسلام.

الرَّحِيمِ ٥ لَنُنَزِّلَ قَوْمًا أَأَنذَرَهُمْ أَبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعَامِهِمْ فَرْغًا لِّقَوْمٍ أَغْلَظَ مِنْهُ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ٨ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ ١١ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةِ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١٢ إِنَّا نَحْنُ غَنِيٌّ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٣ وَتَكْتُمُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ١٤ وَكُلُّ مَن فِي أَحْصَيْنَاهُ فِي أِمْلٍ مِّمَّنْ ١٥ وَاصْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْعَابِ الْقَرِيعَةِ ١٦ إِذْ جَاءَ الْمُرْسَلُونَ ١٧ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ١٨ قَالُوا مَا أَنْتُمْ

٥ - تنزيل القوى الغالب على كل شيء، الذي لا يستطيع أحد أن يمنعه عما يريد، الرحيم بعباده، إذ أرسل إليهم من يرشدهم إلى طريق النجاة.

٦ - لننزل قوما لم ينذر أبائهم الأقربون من قبل، فهم ساهون عما يجب عليهم نحو الله ونحو أنفسهم ونحو الناس.

٧ - لقد سبق في علمنا أن أكثرهم لا يختارون الإيمان، فطابق واقعهم ما علمناه عنهم، فلن يكون منهم الإيمان.

٨ - إنا جعلنا المصريين على الكفر كمن وضعت في أعناقهم السلاسل، فهي تصل إلى أذقانتهم، وتشدد أيديهم برؤسهم وترفعها مع غض أبصارهم، فلا يستطيعون أن يحركوا الرموس ليردوا.

٩ - وجعلنا من حرموا النظر في الآيات والذلائل كمن حبسوا بين سدين ففطيت أعينهم فهم لا يرون ما أمامهم وما خلفهم.

١٠ - وسواء عليهم تحذيرك لهم وعدم تحذيرك، فهم لا يؤمنون.

١١ - إنا نبيد تحذيرك من تتبع القرآن ويضاف الرحمن، وإن كان لا يراه، فبشر هؤلاء بصفو من الله عن سيئاتهم، وجزاء حسن على أعمالهم.

١٢ - إنا نحن نحى الموتى، ونسجل ما قدموا في الدنيا من أعمال وما أبقوا فيها من آثار بعد موتهم، وكل شيء أثبتناه في كتاب واضح.

١٣ - واذكر - أيها النبي - لقومك: قصة أهل القرية^(١) فلما كفتهم، إذ ذهب إليهم المرسلون لهدايتهم.

١٤ - أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما، فقويتهما بثالث، فقال هؤلاء الثلاثة: إنا إليكم مرسلون.

(١) ذكر المفسرون أنها أنطاكية.

-65-

١٦- قال المرسلون: ربنا الذي بعثنا إليكم يعلم اناَ إليكم لمرسلون.

١٨ - قال أهل القرية : اننا نثامنا بكم . ونقسم : ان لم تكفوا عن دعوتكم لزمينكم بالحجارة ، وليصينكم منا عذاب شديد الام .

١٩- قال المرسلون: شؤمكم معكم بكفركم، أنن وعظم بما فيه سعادتكم تتشاموا منا وتهذبونا بالعذاب الاليم !؟ لكن أنتم قوم متجاوزون الحق والعدل .

٢٠ - وأقبل من أبعد مكان بالمدينة رجل يسرع نحو أهل المدينة : قال : يا قوم ، اتبعوا المرسلين من الله اليكم .

٢٦ - اتبعوا الذين لا يطلبون منكم أجرا على نصيحتكم وإرشادكم ، وهم مهتدون ينتفعون بصلحتكم في سلك طريق الخير والفلاح .

٢٧- وأى شيء يمنعني أن أعبد الله خلقني وإليه - لا إلى غيره - ترجعون ١٢

۲۳۔ اَتَّخِذْ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَا تَفِيضُ شَفَاعَتَهُمْ شَيْئًا اِنْ ارَادَنِیَ اللَّهُ بِسُوءٍ ۚ وَلَا يَخْلُصُنِیْ مِنْهُ اَنْزَلَ ۱۹

٢٤- انى- اذ اتخذ من دونه آلهة- لى ضلال مين .

٢٥- اِنِ صَدَقْتُ بِرَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَتَوَلَّى أَمْرَكُمْ، فَاَسْمِعُوا لِي وَأَطِيعُوا.

يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ * وَمَا أَزَلَّنَا عَنْ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا تَكَا مَثْرَلِينَ ﴿٣٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَحْشُرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ
إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا هَلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ وَإِنْ كُلُّ لُحْمًا
بِجَمِيعِ لَدَيْنَا مَحْضَرُونَ ﴿٤٢﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي آمَنَّا بِهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَنَهُ بِأَكْلُونِ ﴿٤٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا
جَنَّتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٤٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٤٥﴾
سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ

٢٦، ٢٧ - قيل له - جزاء على إيمانه ودعوته إلى الله - : ادخل الجنة قال - وهو في ظل النعم والكرامة - :
بأيت قومي يعلمون بفقران ربي واكرامه لي ، ليؤمنوا كما أنت .

٢٨ - وما أهلكناهم بجنود أزلناها من السماء ، وما كان من سنتنا في إهلاك الأمم أن نزل جنودا .

٢٩ - ما كان هلاكهم الا بصيحة واحدة أرسلناها عليهم ، فإذا هم ميتون كالنار المحاطة ا

٣٠ - يا خسارتهم التي تستحق التحسر عليهم ، ما نعت إليهم برسول الا كانوا منه يسخرون .

٣١ - ألم يستبجروا بالأمم الكثيرة الخالية التي أهلكناها ، انهم لا يعودون كرة أخرى إلى حياتهم الدنيا ا

٣٢ - وما كل من الأمم السابقة واللاحقة الا بمجموعين لدينا ، مقهورون على المحضور إلينا .

٣٣ - ودليل لهم على قدرتنا على البعث والنشور الأرض الجديدة أحييناها بالماء ، وأخرجنا منها حبا ، فنه
ياكلون .

٣٤ ، ٣٥ - وأنشأنا فيها حدائق وبساتين من نخيل وأعناب ، وشققنا فيها من عيون الماء ما يروى شجرها
ويخرج ثمرها ، ليأكلوا منه ، وما هو من صنع أيديهم ، أفلا يؤمنون حق الله عليهم في ذلك بالإيمان والتناء عليه ؟

٣٦ - تزيها لله الذي خلق الأنبياء كلها على سنة الذكورة والأنوثة ، من النبات ومن الأنفس ومما لا يعلم
الناس (١)

(١) الحرف « من » في هذه الآية للبيان . أي أن الله تعالى جعل الذكر والإناث في خلقها كلها ، سواء في ذلك النباتات
والحيوانات والبشر وما لا يحيطه أفئس من الأحياء غير المنظورة .

تَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ مَّا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهْرِ ﴿٤٠﴾ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤١﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْهُورِ ﴿٤٢﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٤﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٥﴾

٣٧ - وآية لهم على وجود الله وقدرته الليل نزع عنه النهار الساتر له ، فإذا الناس داخلون في الظلام الممتلئ عليهم من كل جانب .

٣٨ - والشمس تسير لمستقر لها ، قدره الله زمانا ومكانا ، ذلك تدبير الغالب بقدرته ، المحيط علما بكل شيء .

٣٩ - والقمر جعلناه بتدبير منا منازل ، اذ يبدو أول الشهر ضئيلا ، ثم يزداد ليلة بعد ليلة ، إلى أن يكتمل بدرا ، ثم يأخذ في التناقص كذلك . حتى يعود في مرآه كأصل الضئود من الرطب إذا قدم فقدق والمخى واصفر .

٤٠ - لا الشمس يتأني لها أن تخرج على نوايسها فتطرح القمر وتدخل في مداره ، ولا الليل يتأني له أن يظلم النهار ويحول دون مجيئه ، بل هما متعاقبان . وكل من الشمس والقمر وغيرها يسبح في فلك لا يخرج عنه (١) .

٤١ - وآية أخرى لهم أننا حملنا بني الإنسان في السفن المملوءة بهم وبامتعتهم وأرزاقهم .

٤٢ - وخلقنا لهم من مثل الفلك ما يركبونه كذلك .

٤٣ - وإن نرد أغرقهم بما كسبوا نغرقهم ، فليس لهم مفيت ، ولا هم ينجون من الملاك .

٤٤ - لكننا لا نغرقهم رحمة منا بهم ، ولقمتهم إلى أجل مقدر .

(١) أن هذه الآيات الكريمة تبين معان وحقائق علمية لم يتعرف عليها العلماء إلا في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي . والشمس هي إحدى نجوم السماء ، وهي كسائر النجوم بطا حركتها الذاتية ، ولكنها تتميز عن النجوم الأخرى لقربها من الأرض وبأنها مجموعة من الكواكب والأقمار المذنبت والكويكبات تتبعها دائما وتحض لقوة جاذبيتها حيث تجلبها من حوالها في مدارات متتابعة يضاوية الشكل ، وجميع أفراد هذه المجموعة تنقل مع الشمس خلال حركتها الذاتية . وبالحلاصة أن الشمس والأرض والقمر وسائر الكواكب والأجرام تجري في الفضاء بسرعة محدودة وفي اتجاه محدد ويلاحظ أن الشمس ومجموعتها والنجوم القريبة منها تقع في داخل سديم عظيم محدد في السماء يسمى بسديم الجرة ، وقد تبين من الدراسات الحديثة أن سائر أجزاء السديم تدور حول المركز بسرعة تتناسب وعكس بعدها عن المركز . كما اتضح أيضا أن الشمس والأرض وكواكبها والنجوم القريبة منها تدور بسرعة ، وفي اتجاه محدد ، تبلغ هذه السرعة حوالي ٧٠٠ كيلومتر في الثانية ، ويتم دورتها حول المركز في مدى حوالى ٢٠٠ مليون سنة ضوئية .

وصفوة القول أن الآية الكريمة التي تنص على أن الشمس تجري لمستقر لها لم يتعرف على معالها العلماء إلا في أوائل هذا القرن ولا يمكن أن تدرك الشمس القمر ، لأن كلاً منهما يجري في أفلاك متوازية فيستحيل أن تتقابل كما يستحيل أن يسبق الليل النهار حيث يتطلب ذلك أن تدور الأرض حول محورها من الشرق إلى الغرب بدلا من اتجاهها الحالي مع الغرب نحو الشرق . والقمر خلال دورته حول الأرض ودورة الأرض حول الشمس يمر بمجموعات من النجوم تسمى بمنازل القمر . وفي الربع الأول والأخير من الشهر يظهر القمر شكله كالمرجوان القديم . أي يصير كالسياسة إذا نمت ويست وأعويت .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَلْوِيْلَنَا مِنْ بَشَرِنَا مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾

٤٥ - وإذا قيل لهم : خافوا مثل ما جرى للامم الماضية بتكذيبهم ، وخافوا عذاب الآخرة الذي تتعرضون له بإصراركم على الكفر - رجاء أن يرحمكم ربكم إذا انقيتموه - أعرضوا .

٤٦ - وما تجبهم من حجة من حجج ربهم ، دالة على وحدانية الله وقدرته الا كانوا عنها منصرفين .

٤٧ - وإذا قيل لهم أنفقوا على الفقراء مما رزقكم الله ، قال الكافرون للمؤمنين : أنطعم من لو أراد الله اطعامه ، فنعانده بهذا مشيئة الله ، ما أنتم - أيها الداعون إلى الإنفاق - الا في عصى واضح عن الحق .

٤٨ - ويقولون للمؤمنين - استهزاء بهم - : متى يقع هذا الذي وعدتمونا به ، ان كنتم صادقين فيها وعدم ؟ !

٤٩ - ما ينتظرون الا صوتاً واحداً يقضى عليهم بهتة ، وهم يتنازعون في شؤون الدنيا ، غافلين عن الآخرة .

٥٠ - فلا يستطيعون - لسرعة ما نزل بهم - أن يوصوا بشيء ، ولا أن يرجعوا إلى أهلهم .

٥١ - ونفخ في الصور نفخة البعث ، فإذا بالأموات يخرجون من قبورهم مسرعين للقاء الله . والصور والنفخ فيه مما استأثر الله بعلمه .

٥٢ - قال المبعوثون من القبور : يا هول ما ينتظرنا ، من أيقظنا من نومنا ؟ ! ومحضهم جواب سؤالهم : هذا يوم البعث الذي وعد الرحمن به عباده ، وصدق المرسلون فيما أخبروا عنه .

٥٣ - ما كانت دعوتهم إلى الخروج الا تداء واحداً ، فإذا هم مجتمعون لدينا ، محضرون لحسابنا .

فَالْيَوْمَ لَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَهْبَبَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ
فَنَكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾
سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَاعْتَرَفُوا بِإِثْمِ الْمَجْرُمُونَ ﴿٥٩﴾ * أَلَمْ يَعِدْ إِلَيْكَ يَلْبَنِي ءَادَمُ
أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُكَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلُّ مِنْكَ
جِيلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ هَلَلِمْ جَهَنَّمَ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلَّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَنبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ
نَسَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَسَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا

٥٤ - ففي هذا اليوم لا تنقص نفس أجرة شيء مما عملته ، ولا تلقون الا الجزاء ما كنتم تعملون من خير أو شر .

٥٥ - ان أصحاب الجنة في هذا اليوم مشغولون بما هم فيه من نعيم ، معجبون به فرحون .

٥٦ - هم وأزواجهم في ظلال سابقة ، على السرر المزينة متكئون .

٥٧ - لهم في الجنة فاكهة من كل أنواعها ، ولهم فيها كل ما يطلبون .

٥٨ - يقال لهم : سلام قولا صادرا من رب رحيم .

٥٩ - ويقال للمجرمين في هذا اليوم : اعترفوا عن المؤمنين .

٦٠ - ألم أوصيكم - يا بني آدم - ألا تطيعوا الشيطان طاعة المعبود ، انه لكم عدو بين العداوة ١٢

٦١ - وأن أفردوني بالعبادة ، فافردي يا طريق عظيم في استقامته .

٦٢ - ولقد أغرى الشيطان منكم خلقا كثيرا . أغفلتم عن ذلك ، فلم تكونوا تعلمون حين أطعتموه ١٢

٦٣ - يقال لهم : هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا ، جزاء كفركم .

٦٤ - ادخلوها ، وقاسوا حرها في هذا اليوم بكفركم .

٦٥ - اليوم نطفي على أفواههم فلا تنطق ، وتكلمنا أيديهم ، وتنطق أرجلهم شهادة عليهم بما كانوا يعملون .

٦٦ - ولو نساء عليهم في الدنيا لأعيناهم فتسابقوا الى الطريق المسلوك لهم فما استطاعوا رؤيته ، فكيف يبصرونه وقد أعيناهم ١

اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نَعِمْرُهُ نُنَكِّسُهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْيِيَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا عَلَّمَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا سَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا مَنَافِعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَنَهُمْ يَنْصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ

٦٧ - ولو نشاء تغيير صرهم لغيرناهم الى صور قبيحة ، على ما لهم من قوة ومزلة ، فإنا استطاعوا مضيا الى الأمام ، ولا هم يرجعون الى الوراء ، لأننا أبطالنا قواهم .

٦٨ - ومن نطل عمره نرده من القسوة الى الضعف ، أفلا يعقلون قدرتنا على ذلك ، ليملوا أن الدنيا دار فناء وأن الآخرة هي دار البقاء ؟ (١) .

٦٩ - وما علمنا رسولنا الشعر ، وما يصح - لمكانته ومزله - أن يكون شاعرا . ما القرآن المغزل الا عظة وكتاب مهلوى واضح ، فلا مناسبة بينه وبين الشعر .

٧٠ - ليخوف من كان حى القلب مستتر العقل ، وتجب كلمة العذاب على الجاهدين به ، المنكرين لهديه .

٧١ - أعصى الكافرون ولم يروا أننا خلقناهم مما صنعت قدرتنا انعاما (٢) فهم مالكون لها ، يتصرفون فيها كما يشاءون ؟

٧٢ - وأخضعناها لهم ، فثنا ما يركبون ، ومنها ما يأكلون .

٧٣ - ولم فيها ما ينتفعون به من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها وعظامها ، ومشارب من ألبانها ، أينسون هذه النعم فلا يشكرون المنعم بها ؟

٧٤ - واتخذ المشركون من دونه الله آلهة يبدونها ، رجاء أن تنصرهم .

٧٥ - لا يستطيع الآلهة نصرهم إن أراد الله بهم سوءا ، لأنها لا تنفع ولا تضر ، وهم لأنهم العاجزة جند معدون لخدمتهم ودفع السوء عنهم .

(١) ومن نطل عمره نرده الى عكس ما كان عليه من القوة فيصبح ضعيفا ، وذلك لأن حياة الإنسان تأخذ ثلاث مراحل ، ثم ونضج وضور النضج المشورى في الكل والكبد والعدة الدرقية والبنكرياس ، وهذا له أثر في إضعاف الجسم كله . تبدأ كذلك الشرايين في التصلب والضمور وبذلك يقل الدم النازح إلى جميع أعضاء الجسم فيزيد ضعفا على ضعف ومن أسباب الشيخوخة زيادة قوى الدم على قوى البناء في الجسم Metabolism وذلك أن خلايا الجسم كلها في تنهر مستمر وكذلك خلايا الدم ما عدا خلايا المخ والنخاع فإنها لا تتغير مدى الحياة ، فإذا كانت نسبة تجديد الخلايا كنسبة هلاكها لا تظهر الأعراض ، أما إذا زادت نسبة هلاك الخلايا على تجديدها في أى عضو ظهر ضهور هذا الضور . وعلى ذلك فكلما تقدم السن تضاعفت نسبة التجدد وزادت نسبة الانحلال الجارى وظهر الضهور العام . وتختلف نسبة التجدد والضهور باختلاف نوح الأنسجة ، فالظاهر منها كال بشرة الكاسية للجسم والأغشية المبطنة للفتوات الهضمية وقنوات الصفد تنصر بنسبة أكبر كلما تقدمت السن بالإنسان ، وهذا هو السبب المباهر لأعراض الشيخوخة .

(٢) الإبل والغنم والبر.

وَمَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَبَسَى خَلْقُهُ قَالَ مَنْ يَجْعَلُ عَلِيمٌ وَيَمْسِي ﴿٧٨﴾ قُلْ يُجِيبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْلَهُمْ بَنًى وَهُوَ وَاعِلٌ ثَمَرِهِ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كُلُّ شَيْءٍ ذَلِيلٌ لِوَلِيِّهِ تَرْجِعُونَ ﴿٨٣﴾

— — — — —

- ٧٦ - فلا يمزك قولهم في الله بالالحاد وفيك بالكذب ، انا نعلم ما يغفون وما يعلنون ، فنجازهم عليه .
- ٧٧ - أوجد الانسان وجود الله وقدرته . ولم ير أنا خلقناه - بعد الصدم - من نطفة مهينة ١١ فإذا هو شديد الخصومة بين لما ، ملعن عنها .
- ٧٨ - رساق لنا هذا الخصيم المبين مثلا ينكر به قدرتنا على احياء العظام بعد أن تبلى ، ونسى خلقنا اياه بعد أن لم يكن ، قال منكرا مستعبدا قدرتنا على ذلك : من يجيبى العظام وهي رميم ١٢
- ٧٩ - قل - يا صمد - : يجيبها الذى أنشأها أول مرة ، ففى استطاعة من بدأ أن يعيد ، وهو عظيم العلم بكل ما خلق ، فلا يعجزه جمع الأجزاء بعد تفرقها .
- ٨٠ - الذى خلق لكم من الشجر الأخضر - بعد جفافه - وبسه - نارا (١) .
- ٨١ - أفقدوا عقولهم ولم يطموا أن الذى خلق السموات والأرض - مع عظم حجمها - قادر على إعادة خلق الناس مع صغرهم وضمف شأنهم ١٢ بلى - أى هو القادر - وهو الكثير الخلق ، المحيط علمه بكل شئ .
- ٨٢ - لما شأنه فى الخلق إذا أراد ايجاد شئ أن يقول له : كن . فيكون ويوجد فى الحال .
- ٨٣ - فتعزها للذى بقدرته ملك كل شئ - خلقا وتديبرا وتصرفا - عما لا يليق بذاته - تعالى - واليه وحده تعودون ، فيحاسبكم على أفعالكم .

(١) ان طاقة الشمس تنتقل إلى جسم النبات بعملية التمثيل الضوئى . إذ تنص خلاياه الخضرية على المادة الخضراء فى النبات « الكلوروفيل » تانى أكسيد الكربون من الجو . ويتفاعل هذا الغاز مع الماء الذى يتصه النبات تنتج المواد « الكربوهيدراتية » بتأثير الطاقة المستمدة من ضوء الشمس ومن ثم يتكون الخشب الذى يتركب أساسيا من مركبات كيميائية محتوية على الكربون و« الهيدروجين » والأكسجين . ومن هذا الخشب يتكون الفحم التالى المستعمل فى الوقود . إذ بإحراق هذا الفحم تنطلق الطاقة المدخرة فيه وينتج عنها فى الطبهى والنفط والبتنة والآبارة وتسخين الماء وفى كثير من الأغراض . وما النعم للجبرى الخشبى إلا نباتات وأشجار تنشأ وتنت على النشور السابق وكبرت بفضل عملية التمثيل الضوئى أو الكلوروفيل ثم دفنت بطريقة ما وتحورت بالتحلل الجزئى بعد مضي ملايين السنين إلى الفحم الذى تموت تأثير لمل المواد الجيولوجية كالمراة أو الضغط وغيرها . يجب أن يلاحظ أن لفظ الإخضرار فى الآية ووصف الشجر بهذا اللون لم يكن عفوا ، إنما هو إشارة إلى مادة الكلوروفيل الأخضر اللازمة لعمل غاز تانى أكسيد الكربون .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَافُ صَفًا ① فَأَرْجَرَتْ زَيْرًا ② قَالَتِ لَيْتَ ذِكْرًا ③ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ④ رَبُّ السَّمَوَاتِ

بدأت هذه السورة بالقسم بطوائف من خلق الله لها صفة الصف والزرجر والثلاثة على أن الله واحد، والآيات شاهدة بذلك، فهو رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق، الذي زين السماء الدنيا بالكواكب، وجعلها محفوظة من مارد خارج عن طاعة الله. وبعد تقرير عقيدة التوحيد أتيت ذلك بتقرير عقيدة البيت، وحددت المرتابين فيه بأنه سيفاجئهم وهم ينظرون، وسأقت أدلة إمكانية وسهولة وقوعه، وهم يوم يرونه يقولون: هذا يوم الدين، ويقال لهم: هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون. ويحشر الظالمون وما كانوا يعبدون، ويسألون ويتعاجزون، ويصل بعضهم بعضاً ثم ما أصابه، وهم جميعاً في العذاب مشتركون، فقد استكبروا عن توحيد الله، ورموا رسولهم بالحبال والجنون، مع أنه جاءهم بالحق، وصلى المرسلين فيما جاءوا به عن الله. والمؤمنون المخلصون يتعجبون بأنواع النعم، ويتذكرون نعم الله، ويطلعون على قرآن السوء فيروثهم في سواء الجحيم، فيحمدون الله نعمة عصمتهم ومحبتهم من دعوتهم. وبعد ذلك أخذت السورة تصف منازل الظالمين ومنازل المؤمنين. وأتت ذلك بسرده أخبار المرسلين تسلياً لرسول الله وعظة لقومه الجاهدين. وبعد قصص تعددت وقائمه واختلفت أزماته وأشخاصه - بين فيه منزلة الرسالة والمرسلين - نفضت السورة مزاعم المشركين من أن الله البنات ولهم البنين، وأنه جعل الملائكة إناثاً، وأن بينه وبين الجنة نسباً. تنزه الله عما يصفون، وعباده هم المنصورون، وجنده هم الفالسيون، وعذابه يسمى صباح المنذرين، وختمت السورة بتعزيب رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

١ - أقسم بطوائف من خلق، تصطف بنفسها صفًا محكمًا في مقام البهوية والالتقياد.

٢ - فالذاتات للمتجاوز حدوده متنا شديداً. يبقى النظام ويحفظ الأكوان.

٣ - فالنبايات للآيات، يذكرون الله ذكراً بالتسبيح والتحميد.

٤ - أن الحكم المستوجب للمباداة لواحد، لا شريك له في ذات أو فعل أو صفة.

وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ④ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ⑤ وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ
مَّارِدٍ ⑥ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْعَلَاءِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ⑦ دُحُورًا وَمَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ⑧ إِلَّا مَنْ
خِطَفَ انْقِطَاعَةً فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ⑨ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ

٥ - هو - وحده - خالق السموات والأرض وما بينهما، ومدير الأمر، ومالك المشرق لكل ماله مشرق^(١).

٦ - إنا حسنا السماء القريبة من أهل الأرض بزيانة هي الكواكب المشرقة المختلفة الأحجام والأوضاع في محيط الكون في رأى العين.

٧ - وحفظناها حفظاً محكماً من كل شيطان عات متعذر.

٨ - لا يمكن عتاة الشياطين من التسمع إلى ما يجري في عالم الملائكة، ويرمون من كل بما يدفعهم.

٩ - يطردون طرداً عنيفاً عن الوصول إلى تسمع أخبار السماء، ولهم عذاب شديد دائم في الآخرة.

١٠ - إلا من اختلس الكلمة من أخبار السماء، فإتنا تبعه بشعلة من النار تنقب الجوى بضوئها فتعرقه.

(١) الله خالق السموات السبع وما بينهما من مختلف الأجرام السابوية وكواكبها.. وهو القيم المهيم كذلك على مواضع شروق الشمس وشروق سائر النجوم، فهو الذى يظهرها كل يوم في موضع في الأفق يختلف عن الموضع الذى أظهرها منه في اليوم السابق، وذلك بما منه في النظام الشمس من قوتين حين تتغير الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق كل يوم مرة ويجرى في خلفها الأهلجي حول الشمس في الوقت نفسه.

وتبدو الشمس والنجوم لسكان الأرض كل يوم بدوران الأرض حول محورها مشرقة في مواضع مختلفة، وكلما غبرت الأرض موضعها في رحلتها على القبة السابوية يمت مشرقة من مواضع مختلفة، فإذا رصدت الشمس بانتظام ابتداء من أواخر مارس أى في الاعتدال الربيعي « ومن نصف الكرة الشمالي » فإنها ترى وهي تشرق في نقطة في الشرق على الأفق، وكلما مر يوم رآها الراصد تشرق في نقطة أقرب إلى الشمال. وفي أواخر يونيو ترى مشرقة في مكان هو نهاية انحرافها من الشمال ثم تبدو الشمس بعد ذلك وهي تغفل راجعة متجهة نفس التغيرات حتى أواخر سبتمبر (عند الاعتدال الخريفي) حيث ترى مشرقة من المكان الذى أشرقت منه عند الاعتدال الربيعي، ثم تبدو بعد ذلك مستمرة في الحركة نحو الجنوب حيث ترى مشرقة في أقرب نقطة إلى الجنوب في أواخر ديسمبر، ثم تأخذ في الرجوع طاهرياً نحو الشمال حيث تكمل دورتها في الاعتدال الربيعي التالي، ويستغرق ذلك كله ٣٦٥ يوماً وربع يوم، ويلاحظ أن النجوم ترى كذلك مشرقة في مواضع مختلفة في الأفق الشرقى أثناء رحلة الأرض إلى القبة السابوية خاصة نجوم الأبراج الاثني عشر التي تنقل الشمس فيها على مدار السنة.

لَا يَزِيدُ ۖ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۚ وَإِذَا دُرُّوا لَا يَذْكُرُونَ ۚ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۚ وَقَالُوا
 إِنَّ هَذَا إِلَّا كَيْدٌ مِمَّنْ ۚ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أُنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۚ أَوَءَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۚ قُلْ نَعَمْ
 وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۚ فَلَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۚ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ ۚ هَذَا
 يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۚ * أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۚ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۚ وَقَفَّوهُمْ ۚ إِنَّهُمْ مَسْكُوتُونَ ۚ مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ ۚ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ

١١ - فاستغبر - أيها النبي - المنكرين للبعث والمستعبدين لحصوله : أهم أصعب خلقا أم من خلقنا من السموات والأرض والكواكب وغير ذلك ؟

إنا خلقناهم من طين لاصق بعضه ببعض ، فلم يستعبدوا عبادتهم ؟

١٢ - بل عجبت - أيها النبي - من إنكارهم للبعث مع قيام الأدلة على قدرة الله - وهم يسخرون من تعجبك وتغيرك له .

١٣ - وإذا وجهوا بأدلة قدرة الله على البعث لا يلتفتون ولا ينتفعون بدلائلها .

١٤ - وإذا رأوا برهانا على قدرة الله دعابعضهم بعضا إلى المبالغة في الاستهزاء به .

١٥ - وقال الكافرون في الآيات الدالة على القدرة : ما هذا الذي نراه إلا سحر واضح .

١٦ - أيذا متنا وصرنا ترابا وعظاما أئنا نخرجون من قبورنا أحياء ؟

١٧ - أحياء وبعث أباؤنا الأولون الذين ماتوا قبلنا فبادوا وهلكوا ؟

١٨ - قل - أيها النبي - لهم : نعم ستبعثون جميعا وأنتم أدلاء صاغرون .

١٩ - فالما البعثة صحيحة واحدة فإذا هم أحياء ينظرون ما كانوا يوعدون .

٢٠ - وقال المشركون - ياهلاكنا ... هنا يوم الحساب والجزاء على الأعمال .

٢١ - فيجاءون : هذا يوم القضاء والفصل في الأعمال الذي كنتم به في الدنيا تكذبون .

٢٢ ، ٢٣ - اجمعوا - يا ملأئكي - الظالمين أنفسهم بالكفر وأزواجهم الكافرات وأنهم التي كانوا يعبدونها من دون الله من الأوثان والأنداد ، فمرفوهم طريق النار ليسلكوها .

٢٤ - واحبسوهم في هذا الموقف ، انهم مسئولون عن عقابهم وأعمالهم .

٢٥ - مالك - أيها المشركون - لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تتناصرون في الدنيا ؟

مُسْتَسْلِمُونَ ٢٦ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٧ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ٢٨ قَالُوا بَلْ لَمْ
تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ٣٠ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا
لَذَاقُونَ ٣١ فَأَعْرَضْنَا عَنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ٣٢ فَأَنَّهُمْ يَمِيزُونَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ٣٣ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ
بِالْمُجْرِمِينَ ٣٤ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَرُكُمُ الْهَيْئَةَ لِشَاعِرٍ
مُجْتَوِينَ ٣٦ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ٣٧ إِنَّكُمْ لَذَاقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمَ ٣٨ وَمَا حِزَّوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ

٢٦ - لا يتناصرون في هذا اليوم، بل هم متقادون مستسلمون لأمر الله.

٢٧ - وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون، ويسأل بعضهم بعضاً عن مصيرهم السيئ.

٢٨ - قال الضعفاء للذين استكبروا: انكم كنتم تأتوننا عن الناحية التي نظن فيها الخير واليمن، لتصرفونا عن الحق إلى الضلال.

٢٩ - قال المستكبرون: لم نصرفكم، بل أنتم أبيتم الإيمان وأعرضتم عنه باختياركم.

٣٠ - وما كان لنا من تسلط عليكم، نسلبكم به اختياركم، بل كنتم قوماً خارجين على الحق.

٣١ - فحق علينا كلمة ربنا: انا لذائقون العذاب يوم القيامة.

٣٢ - فدعوناكم إلى الفی والضلال فاستجبتم لدعوتنا، إن شأنا التحايل لدعوة الناس إلى ما نحن عليه من الضلال، فلا لوم علينا.

٣٣ - فإن الأتباع والمتبعين يوم القيامة في العذاب مشتركون.

٣٤ - إن مثل ذلك العذاب تفعل بالذين أجروا في حق الله بالشرك وفعل الماصي.

٣٥ - إن هؤلاء كانوا إذا قيل لهم: لا إله إلا الله يأبون الإقرار بذلك تكبراً واستعظاماً.

٣٦ - ويقولون: أنتم ترك عبادة آلهتنا لقول شاعر متخيل مستور العقل ؟

٣٧ - بل جامهم رسولهم بالتوحيد الذي دعا إليه جميع الرسل، وصدق بذلك دعوة المرسلين.

٣٨ - انكم - أيها المشركون - لذائقون العذاب الشديد في الآخرة.

تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَرَهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتٍ
النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيضَاءُ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ
وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَوْنَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَأُنْكَ لَمِنَ الْمُصْذِقِينَ ﴿٥٢﴾ أَوْ دَامِنَا

٣٩ - وما تلقون من جزاء في الآخرة إلا جزاء عملكم في الدنيا .

٤٠ - إلا عباد الله المخلصين ، فإنهم لا يذوقون العذاب ، لأنهم أهل إيمان وطاعة .

٤١ - هؤلاء المخلصون لهم في الآخرة رزق معلوم عند الله .

٤٢ - فوكره متوترة ، وهم مرفهون معظمون .

٤٣ - في جنات النعيم .

٤٤ - يجلسون فيها على سرر يقابل بعضهم بعضا .

٤٥ - يطوف عليهم ولدان باتاء فيه شراب من منافع جارية لا تنقطع .

٤٦ - بيضاء عند مزجها ، شهية للشاربين .

٤٧ - ليس فيها غائلة الصداع تأخذهم على غرة ، ولا هم بشرها يذهب وعيم شيئا فشيئا .

٤٨ - وعند هؤلاء المخلصين في الجنة حوريات طيبين على العفاف ، قد قصرن أبصارهن على أزواجهن ، فلا يتطلعن لشهوة خالة ، تجل العين حسانتها .

٤٩ - كان قاصرات الطرف بيض النعام ، المصون بأجنحة ، فلم تمسه الأيدي ، ولم يصبه الفيار .

٥٠ - فأقبل بعض هؤلاء المخلصين على بعض يتساءلون عن أحوالهم . وكيف كانوا في الدنيا ؟

٥١ - قال قائل منهم عند ذلك : اني كان لي صاحب من المشركين ، يجادلني في الدين وما جاء به القرآن الكريم .

٥٢ - يقول : أتنتك لمن الذين يصدقون بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء ؟

وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظَامًا أَوْنَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطْلَعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ
تَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَتَرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَأَنْتُمْ بِمِيزَتَيْنِ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوَظَنَّا
الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِيُنْثِلَ هَذَا فَلَيعْمَلَ الْعَلِمُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ
خَيْرٌ زَلًّا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّا شَجَرَةَ تَجْرُجٍ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾
طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَأَنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا قَائِلُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ لُتُوبًا مِنْ

٥٣ - أبعد أن نفخ ونصير تراباً وعظاماً نحيها مرة أخرى، لتعاسب ويجازى على ما قدمنا من عمل ١٢

٥٤ - قال المؤمن لجلسائه: هل أنتم يا أهل الجنة مطلعون على أهل النار، فأرى قريبي؟

٥٥ - ودار يصيره نحو النار، فرأى صاحبة القديم في وسطها، يظن بنارها.

٥٦ - قال حينئذ رآه: تالله إن كنت في الدنيا لتهلكي لو أظطعت في كفرك وعصيانك.

٥٧ - ولولا نعمة ربي جهادته وتوقيفه لي إلى الإيمان بالله والبهت لكنت مثلك من المحضرين في العذاب.

٥٨، ٥٩ - أنحن مخلدون منعمون في الجنة، فلا نموت أبداً غير موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعذنين بعد دخولنا الجنة ؟؟

٦٠ - إن هذا الذي أعطانا الله من الكرامة في الجنة هو الفوز العظيم، والنجاة الكبرى مما كنا نحذره في الدنيا من عقاب الله.

٦١ - لئيل مثل ما حظي به المؤمنون من الكرامة في الآخرة، فليعمل في الدنيا الصالحون، ليدركوا ما أدركوا.

٦٢ - أذلك الرزق المعلوم المدد لاهل الجنة خير أم شجرة الزقوم المدة لأهل النار؟

٦٣ - إنا جعلنا هذه الشجرة مهنة وعذاباً في الآخرة للمشركين.

٦٤ - إنها شجرة في وسط الجحيم، غثيت من النار ومنها خلقت.

٦٥ - فمرها قببح للنظر، كرهه الصورة، تنفر منه العين كأنه رموس الشياطين التي لم يرها الناس، ولكن وقع في وهمهم شفاعتها وقيح منظرها.

٦٦ - فأنهم لآكلون من هذه الشجرة فالتون من طلعها بطونهم، إذا لا يبيدون غيرها ما يأكلون.

جَمِيرٌ ٦٥ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ٦٦ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ٦٧ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ
يَهْرَعُونَ ٦٨ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ٦٩ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ٧٠ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُنْذِرِينَ ٧١ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ٧٢ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ فَلْتَعِمَّ الْعُجْبُونَ ٧٣ وَجِئْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنْ
الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ٧٤ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ٧٥ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ٧٦ سَلِّمْ عَلَىٰ نُوحٍ فِي
الْعَالَمِينَ ٧٧ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٧٨ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ٧٩ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ٨٠

٦٧ - ثم ان هؤلاء المشركين على ما يأكلون من الزقوم لخلطوا مزاجا من ماء حار يشوى وجوههم، وتقطع
منه أوعاؤهم.

٦٨ - ثم ان مصيرهم إلى النار، فهم في عذاب دائم، إذ يوقى بهم من النار إلى شجرة الزقوم، فيأكلون ثم
يسقون، ثم يرجع بهم إلى محلهم من الجحيم.

٦٩ ، ٧٠ - انهم وجدوا آبائهم ضالين، فهم يسرعون الخطى على آثارهم، ويستعملون السير في طريقهم،
مقلدين لا متبصرين، كأنهم يزعجون ويحثون على الاسراع إلى متابعة الآباء من غير تدبر ولا تعقل.

٧١ - ولقد ضل عن قصد السبيل وطريق الايمان قبل مشركى مكة أكثر الامم الخالية من قبلهم.

٧٢ - ولقد أرسلنا في هذه الامم الخالية رسلاً ينذروهم ويحذرونهم عذاب الله فكذبوهم.

٧٣ - فانظر - يامن يتأق منك النظر - كيف كان مآل الذين أنذرتهم رسلهم ؟ لقد أهلكوا، فصاروا عبرة
للناس.

٧٤ - لكن هناك مؤمنون استخلصهم الله لعبادته، ليتألو فضل كرامته، ففازوا بثوابه، ونجوا من عذابه.

٧٥ - ولقد نادانا نوح حين يس من قومه فلنعم الجيبين، كنا له إذ استجبنا دعاءه، فأهلكنا قومه بالطوفان.

٧٦ - وجئنا نوحا ومن آمن معه من الفرق والطوفان.

٧٧ - وجعلنا ذرية نوح هم الباقين في الأرض بعد هلاك قومه.

٧٨ - وتركنا ذكرا جيلًا على نوح في الآخرين من الأمم الى يوم القيامة.

٧٩ - تحية سلام وأمن لنوح في الملائكة والتقلين جميعا.

٨٠ - إنا مثل هذا الجزاء نجزي من أحسن، فجاهد لاعلاء كلمتنا، وتحصل الأذى في سبيلنا.

٨١ - انه من عبادنا الذين آمنوا بنا، ووفوا بعهودنا، وأدوا رسالتنا.

٨٢ - ثم أغرقنا الآخرين من كفار قومه.

* وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَبِكُلِّ عِبَادَةِ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ قُلْ عَنْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرْنَا نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ قَوْلَ أَعْتَتِهِ مُدِيرِينَ ﴿٨٩﴾ قَرَأَ لَنَا الْكِتَابَ فَقَالَ آلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩٠﴾ مَا كُنْتُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩١﴾ قَرَأَ عَلَيْهِمْ صُرًى بِالْحَمِينَ ﴿٩٢﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزُفُونَ ﴿٩٣﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْمِلُونَ ﴿٩٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾

٨٣ - وان من على طريقته وسنته في الدعوة الى التوحيد والايان بالله لابراهيم .

٨٤ - إذ أقبل على ربه بقلب نقي من الشرك ، مخلصا له العبادة .

٨٥ - إذ انكر على أبيه وقومه ما هم عليه من عبادة الأصنام بقوله : ما هذه الأوثان التي تعبدونها ؟ .

٨٦ - أترى كيف كذبا فاضحا بما تصنعون ، إذ تعبدون غير الله ، وتريدون هذا الافك بلا مسوغ الا الاختياركم

له .

٨٧ - ما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لكونه خالقا للعالمين ، إذا لا يقيمونه وقد أشرركم معه في العبادة غيره ؟ .

٨٨ - فنظر نظرة في النجوم ، ليستدل بها على خالق الكون ، فوجدها متغيرة متعولة .

٨٩ - فقرر أنه يخلص على نفسه الضلال وسقم الاعتقاد .

٩٠ - فأنصرف عنه قومه ، معرضين عن قوله .

٩١ - قال الى اصنامهم مسرعا متخفيا ، وعرض عليها من الطعام الذي وضعه أمامها . ليصيبوا من بركتها في

زعمهم ، فقال في سخرية واستهزاء : ألا تأكلون ؟ .

٩٢ - ما لكم عجزتم عن الكلام بالايحباب أو السلب ؟ .

٩٣ - قال عليهم ضربا باليد اليمنى - لأنها أقوى الباطشتين - فعضلها .

٩٤ - فأسرعوا الى ابراهيم - وبعد أن تبين لهم أن ماحدث لأهلهم من التكسير كان بفضله - يعاقبونه على

ما ارتكب في شأن أهلهم .

٩٥ - قال ابراهيم مريحا لهم : أتعبدون ما سويتم بأيديكم من احجار ؟ . فأين ذهب عقولكم ؟ .

٩٦ - والله خلقكم وخلق ما تصنعون بأيديكم من الأوثان ، فهو المستحق - وحده - للعبادة .

قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَلِينِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٠٢﴾ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمِرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٤﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَكْلِمِٰهُمُ ﴿١٠٥﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَّاكُ كَتَجْرَى الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوَ الْبَلَاءِ الْأَمِينُ ﴿١٠٧﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٩﴾

٩٧ - قال عباد الأصنام لبعض - لما فرغتم الحجة ، ولجأوا الى القوة ، فعزموا على احراقه - : ابنوا له بنيانا ، واملأوه نارا متاجعة ، وألقوه في وسطها .

٩٨ - فأرادوا بهذا أن يزلوا به الأذى ، فأنجاه الله من النار بعد أن ألقى فيها ، وعلا شأنه بما كان له من كرامة ، وجعلهم الله هم الأسفلين .

٩٩ - وقال ابراهيم - : لا يش من إيمانهم - : اتي مهاجر الى المكان الذي أمرني ربي بالمسير اليه ، سيدني ربي الى القر الأمين والبلد الطيب .

١٠٠ - رب هب لي ذرية من الصالحين ، تقوم على الدعوة اليك من بعدي .

١٠١ - فبشرته الملائكة بأبن يتعلم بالقول والحلم .

١٠٢ - وولد وشب ، فلما بلغ معه مبلغ السعي في مطالب الحياة اختبر ابراهيم فيه برؤية رآها . قال ابراهيم : يا بني اني أرى في المنام وهما من الله يطلب مني ذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ قال الابن الصالح : يا أبت أنجز أمر ربك ، ستجدني من الصابرين ان شاء الله .

١٠٣ - فلما استسلم الوالد والمولود لقضاء الله ، ودفعه ابراهيم على الرمل المجتمع ، وأسقطه على شفه ، فوقع جبينه على الأرض ، وهتياً لذبحه .

١٠٤ - ١٠٥ - وعلم الله صدق ابراهيم وابنه في الاختبار ، وناداه الله - نداء الخليل - : يا ابراهيم ، قد استجبت مطعنا لوعي الرؤيا ، ولم تردد في الامتثال ، فحسبك هذا ، انا نخفف عنك اختبارنا جزاء إحسانك ، كما نجزى المحسنين على إحسانهم .

١٠٦ - إن هذا الابتلاء الذي ابتلينا به ابراهيم وابنه هو الابتلاء الذي ابان جواهر إيمانها وقيمتها في رب العالمين .

١٠٧ - وفدينا بذبح عظيم القدر ، لكونه بأمر الله تعالى .

١٠٨ - وتركنا له الثناء على السنة من جاء بعده .

سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۖ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَبَشَرْنَاهُ إِبْرَاهِيمَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ عِصَىٰ هَارُونَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ وَطَارَ لِنَفْسِهِ مَبِينٌ ۝ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ۖ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ وَزَكَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنْ إِلَاسَ لِمَنْ أَلْمَسْتَهُ ۖ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۝ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ الْمُرْسَلِينَ ۝

١٠٩ - تحية أمن وسلام على ابراهيم .

١١٠ - مثل ذلك الجزاء الدافع للبلاء نجزي المحسنين في امتثال أوامر الله .

١١١ - إن ابراهيم من عبادنا المذنبين للحق .

١١٢ - وبشرته الملائكة بأمرنا - بأنه سيرزق ابنه اسحق على ياس وعقم من امرأته ، وأنه سيكون نبيا من الصالحين .

١١٣ - ومنحناه وابنه البركة والخير في الدنيا والآخرة ، ومن ذريتهما حسن نفسه بالايان والطاعة ، وظام لها بين الضلال بكفره ومعضيته .

١١٤ - ولقد أنعمنا على موسى وهارون بالنبوة والنعم الجسام .

١١٥ - وجعلناهما وقومهما من الكرب الشديد الذي كان يزيله بهم فرعون وقومه .

١١٦ - ونصرناهم على اعدائهم ، فكانوا هم الغالبين .

١١٧ - وآتيناه موسى وهارون الكتاب الواضح المبين للاحكام الدين ، وهي التوراة .

١١٨ - وأرشدناهما الى الطريق المعتدل .

١١٩ - وأيقنا ثناء حسنا عليهما في الآخرين الذين جاموا من بعدهم .

١٢٠ - تحية أمن وسلام على موسى وهارون .

١٢١ - إن مثل الجزاء الذي جازينا به موسى وهارون نجزي كل المحسنين .

١٢٢ - انهما من عبادنا المذنبين للحق .

١٢٣ - وإن إلياس لمن الذين أرسلناهم لهداية أقوامهم .

١٢٤ - إذ قال إلياس لقومه - كانوا يعبدون صنما لهم - : أنستمرون على غيكم ، فلا تغافون الله بأنفسه عذابه ؟ .

١٢٥ - أتعبدون الصنم المسمى بعلا ، وتركون عبادة الله الذي خلق العالم فأحسن خلقه ؟ .

ءَابَايُكُ الْأُولَيْنَ ۖ فَكَذَّبُوهُ فَأَتْنَهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝ إِيَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ وَتَرَكَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝
 سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ۝ إِنَّا كَذَّالِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ
 لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَلَبِينَ ۝ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ۝
 وَإِنَّا لَنَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ۝ وَيَا لَيْلٍ أَفَلَا تَعْلَمُونَ ۝ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ أَبَقَ إِلَى
 الْفَالِكِ الْمَشْحُونِ ۝ فَسَامَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۝ فَأَلْقَمَهُ الْخُوتَ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ

.....

- ١٣٦ - الله خلقكم وحفظكم أنتم وآبائكم الأولون، فهو الحقيق بالعبادة .
 ١٣٧ - فكذبوه، فبماؤهم أن يحضروا إلى النار يوم القيامة .
 ١٣٨ - إيا عباد الله الذين أخلصوا في إيمانهم، فهؤلاء هم الفائزون .
 ١٣٩ - وجعلنا له ذكرا حسنا على السنة من جاموا من بعده .
 ١٤٠ - سلام على آل ياسين، أو عليه وعلى آله بتفليبه عليهم .
 ١٤١ - إن مثل الجزاء الذي جازينا به آل ياسين نجزي كل محسن على إحسانه .
 ١٤٢ - إن الياس من عبادنا المؤمنين .
 ١٣٣ - وإن لوطا لمن المرسلين الذين أرسلناهم لتبليغ رسالتنا إلى الناس .
 ١٣٤ - لقد نجينا به وأهله جميعا، مما حل بقومه من العذاب .
 ١٣٥ - إلا امرأة المعجوز، فقد هلكت مع المالكين .
 ١٣٦ - ثم أهلكنا من سوى لوط ومن آمن به .
 ١٣٧، ١٣٨ - وانكم يا أهل مكة تهرن على ديار قوم لوط في سفركم إلى الشام صباها ومساء، أفقدتم
 عقولكم فلا تعلمون ما حل بهم جزاء تكذيبهم ؟
 ١٣٩ - وإن يونس لمن الذين أرسلناهم لتبليغ رسالتنا إلى الناس .
 ١٤٠، ١٤١ - إذ هجر قومه من غير أمر به، ونهب إلى سفينة مملوءة فركب فيها، فتعرضت السفينة لأمر
 يطلب الاقتراع لإخراج أحد ركبائها عن موطنها، فخرجت القرعة على يونس، فكان من المغلوبين بالقرعة، فألقى
 في البحر على حسب عرفهم في ذلك الحين .
 ١٤٢ - فابتلعه حوت وهو مستحق للعلامة، جزاء هروبه من الدعوة إلى الحق والصبر على المآلئين .

الْمُسْحِينُ ۖ لَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَّا يَوْمٌ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٣﴾ * فَنبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٤﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٥﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٦﴾ فَعَامِنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ بِهِ حِينٌ ﴿١٤٧﴾ فَأَسْتَفْتِمُ الزَّبَّانَ
الْبَنَاتِ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٨﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْسَانًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٤٩﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكَهٍ لِّقَوْلٍ ﴿١٥٠﴾ وَلَدَّ اللَّهُ
وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٥١﴾ أَصْطَقَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٢﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٣﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٤﴾ أَمْ لَكُمْ
سُلْطَانٌ مِّثْلُ ۚ فَأَتُوا بِكُتُبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٥﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ

١٤٣، ١٤٤ - فلولا أن يونس كان من المزمعين لله، المواطنين على ذكره، لامت في بطن الحوت، وما خرج منه الى يوم البعث.

١٤٥ - فطرحناه في الفضاء الواسع من الأرض، لا يواريه شيء من شجر أو بناء، وهو عليل بما كان فيه^(١).

١٤٦ - وأنبتنا عليه شجرة لا تقوم على ساق ففطنه ووقته غوائل الجور.

١٤٧ - حتى إذا صاح بما أصابه، أرسلناه الى عدد كبير يقول من رآه: انهم مائة ألف أو يزيدون.

١٤٨ - فاستجابوا لدعوته، فبسطنا عليهم نعمتنا الى وقت معلوم.

١٤٩ - فاستفت قومك - أيها النبي -: أخالقك البنات دونهم، وهم البنون دونه؟

١٥٠ - بل أخلقنا الملائكة انا وأهم معانين خلقهم، فتلقوا بما شاهدوه؟

١٥١، ١٥٢ - تنبه - أيها السامع - لحديثهم، انهم من كلهم ليقولون: ولد الله، وهو المنز عن والديه، والولدية، وانهم لكاذبون في هذا القول بشهادة الأدلة على وحدانية.

١٥٣ - اختار لنفسه البنات المكروهة في زعمكم على البنين المهيوبين منكم، وهو الخالق للبنات والبنين؟

١٥٤ - ماذا أصابكم حين حكمت بلا دليل، كيف تحكمون بذلك مع وضوح بطلانه؟

١٥٥ - أنسيتم دلائل القدرة والتنزيه فلا تتذكرون حتى وقعتم في الضلال؟

١٥٦ - بل ألكم قوة دليل بين تستدلون به على ما تدعون؟

١٥٧ - فأتوا بمجئكم - إن كان لكم حجة في كتاب سماوي - إن كنتم صادقين فيما تقولون وتحكمون.

(١) ما حدث لبني يونس عليه السلام معجزة وليس في طبيعة الأشياء ما يمنع حدوث ابتلاع حوت رجلا وبقاءه حيا في جوفه بعض الوقت، وهناك احتمالان - أحدهما: أن يكون الحوت من غير ذوات الأسنان من المراكولات الضخام مثل المراكول العادي الذي يرثد البحر الأبيض المتوسط وقد يبلغ طوله نحو عشرين مترا فيق يونس في فم المراكول بين صفائح الباليين المتعدية من سقفه إلى أن لفظه في العراء لأن حلوق هذه الميائن تضيق كثيرا مع ابتلاع رجل.

الثاني: أن يكون الحوت من ذوات الأسنان مثل حوت الصير الذي يبلغ طوله نحو عشرين مترا أيضا. وأن هذا الحوت شوهد مرارا في البحر الأبيض المتوسط. ويكفي أن يتبع في الباعة حيوانات ضخاما قد يتجاوز طولها ثلاثة أمتار.

لَمْ حَضَرُونَ ۝ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاعِلِينَ ۝ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ۝ وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّاقُونَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِخُونَ ۝ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُنَّ ۝ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ فَكْفَرُوا بِهِ ۝ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْعَرُسِلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۝ وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ۝ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ۝

١٥٨ - تمادوا في اعتقادهم وجعلوا بين الله وبين الجنة المستورين عنهم قرابة ، ولقد علمت الجنة إن الكفار يضررون إلى الله ، ليتالوا جزاءهم المحتوم .

١٥٩ - تنزيها لله - تعالى - عما يذكره المفقرون من صفات العجز والنقص .

١٦٠ - لكن عباد الله المخلصين برآء مما يصفه الكافرون .

١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ - فأنكم - أيها الكفار - وما تعبدون من دُون الله ، ما أنتم على ما تعبدون من دونه بمضلين أحداً بأغوائكم ، إلا من سبق في عمله - تعالى - أنه من أهل الجحيم وسيصل نارها .

١٦٤ - وقالت الملائكة - متحيزين لموقف العبودية - ما أحد منا إلا له مقام في المصرفة والعبادة معلوم لا يتعداه .

١٦٥ - وإنا نحن الصافون أنفسنا في مواقف العبودية دافعا .

١٦٦ - وإنا نحن المزهون لله - تعالى - عما لا يليق به في كل حال .

١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ - وإن كان كفار مكة قبل بعثة الرسول ليقولون : لو أن عندنا كتابا من جنس كتب الأولين ، كالنوراة والإنجيل - لكنا عباد الله المخلصين له العبادة .

١٧٠ - ونجاهم الكتاب فكفروا به ، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم .

١٧١ ، ١٧٢ - أقسم : لقد سبق قضائنا لعبادنا المرسلين ، أن النصر والعاقبة لهم على الكافرين .

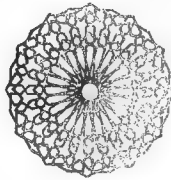
١٧٣ - وأن أتباعنا وأنصارنا لهم الغلبة - وجهم - على المخالفين .

١٧٤ - فأعرض عنهم وانتظر إلى وقت مؤجل ، فإنا سنجعل لك العاقبة والنصر والظفر .

١٧٥ - وانظروهم وارتنب ماذا يحمل بهم من العذاب والتكاليف مخالفتك وتكذيبك ، فسوف يصابون الهزيمة بصفتهم ، ويرون نصر الله للمؤمنين .

أَقْعِدَانَا يَسْتَعْمِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

- ١٧٦ - أسلبوا عقولهم فيمذابنا يستعملون؟ ..
 ١٧٧ - فإذا نزل العذاب بفنائهم الواسع فساء صباح المنذرين بالعذاب .
 ١٧٨ - وأعرض عنهم إلى حين يتبى إليه أمرهم .
 ١٧٩ - وأبصر ما يستقبلهم ويستقبلك ، فسوف يرون ما به يستعملون .
 ١٨٠ - تنزهها لله خالقك وخالق القوة والعلية عما ينعتونه به من المفتريات .
 ١٨١ - وسلام على الأصفياء المرسلين .
 ١٨٢ - والثناء لله - وحده - خالق العالمين ، والقائم على الخلق أجمعين .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝ كَرِهْنَاكَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا
وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝ وَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنِيرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۝ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ

هذه السورة هي الثامنة والثلاثون من سور القرآن الكريم، وهي مكية وآياتها ثمان وثمانون آية.

وقد صورت لنا لونا من عناد المشركين لدعوة النبي - ﷺ - وحسدكم على ما كرمه الله به من شرف الرسالة ونزول القرآن، فرت عليهم ما تعلقوا به من أوهام باطلة، وبينت أن الذي حملهم على بحاربة الدعوة ما هم فيه من أنفة كاذبة وجب للمخالفة والشقاق، وأنه لو نزل بهم عذاب الله لما كان موقفهم من الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - هذا الموقف. ثم ضرب الله الأمثال بالأمم السابقة، ليكون ذلك زجرا لهم عن العناد واللجاج، وتثبيتا لرسوله - ﷺ - على ابلاغ الدعوة مها يلاق في مسيلها من عنت المشركين ومكرهم، وليشكر الله على ما بلى عليه من نعم، كما فعل اخوانه من الأنبياء والمرسلين. وعقب هذا بذكر ما أعد الله للمتقين من حسن المآب، وما أعد للطاغين من شر المآل. ثم ذكرهم بما كان بين أبيهم آدم - عليه السلام - وعدوه ابليس، ليعلموا أن ما يدعهم إليه من التكبر عن اتباع الحق خلق من أخلاقه، وأن هذا الاستكبار كان سببا لطرده من رحمة الله.

وختمت السورة بتحديد مهمة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - وهو ابلاغ الدعوة وأنه لا يسألهم عليها من أجر، وليس هو المتكلف لها من تلقاء نفسه، وما القرآن إلا ذكر للعالمين، وليعلمن صدق أنبائه بعد حين.

١ - ص: حرف بدئت به السورة على طريقة القرآن في بدء بعض السور بالحروف المقطعة، أقسم بالقرآن ذى الشرف والشأن العظيم أنه الحق لا ريب فيه.

٢ - بل الذين كفروا في استكبار عن اتباع الحق ومعاندة لأهله.

٣ - كثيرا ما أهلكتنا قبلهم من أمة مكذبة، فاستفتاوا حين جاءهم المذاب، وليس الوقت وقت خلاص منه.

٤ - وعجب هؤلاء أن جاءهم رسول بشر مثلهم، وقال الجاحدون لرسالته: هذا بومه شديد الكذب.

إِلَهُهَا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ ۚ ① وَأَتْلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا بِأَصِيرُوا عَلَى الْهَيْكَلِ ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۚ ② مَا مَعَنَا بِهَذَا فِي آيَةِ الْآخِرَةِ ۖ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْلَقُ ۚ ③ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ۖ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي ۖ بَلْ لَمَّا يَبْذُوقُوا عَذَابِ ④ أَمْ عَنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ⑤ أَمْ لَهُمْ مَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَفَعُوا فِي الْأَسْبَابِ ⑥ جُنْدٌ مَا هَٰئِلٌ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ⑦ كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوِجٌ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ⑧ وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَحْصِ لِقَبِ ⑨ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ⑩ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ ۖ حَقَّ عِقَابِ ⑪ وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا مِنْ قُوفٍ ⑫ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا فَعِنَّا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ⑬ أَصِيرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ⑭ إِنَّهُ أَوَّابٌ ⑮ إِنَّا نَحْنُ الْغَالِبُ

٥ - أجمل الآلهة المتعددة ألها واحدا ١١ ان هذا الأمر بالغ غاية العجب .

٦ - واندفع الكبراء منهم يوصى بعضهم بعضا : ان سيروا على طريقتكم ، واثبتوا على عبادة آلهتكم ، ان هذا لأمر جسيم يراد بنا .

٧ - ما سمعنا بهذا التوحيد في دين آبائنا الذين أدركناهم . ما هذا إلا كذب مصنوع .

٨ - أخص محمد من بيننا بشرف نزول القرآن عليه ١٢ ليس الحق في شيء مما زعموا بل هم من القرآن في حيرة وتقطيع بل انهم لم يتحيدوا ويتخطوا إلا لأمرهم لم يذوقوا عذابي بعد وانهم لذائقوه .

٩ - بل نسأل هؤلاء الحاسدين لك : أعنتهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ، حتى ينضويروا للنوبة من تهوى أنفسهم ١٢

١٠ - بل نسألكم : ألمم ملك السموات والأرض وما بينها ١٢ اذن فليترجسوا في المراق إلى المنزلة التي يتعكون فيها بما يشاؤون ، ان استطاعوا .

١١ - جند حقير هنالك مهزوم - لا محالة - كما هزم أمثالهم من المتحيزين على الأنبياء ؟

١٢ ، ١٣ - كذبت قبل هؤلاء قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأبنية العظيمة الراسخة كالجبال ، وقوم لوط وقوم شعيب - أصحاب الشجر الكثير الملتف - أولئك الذين تحزبوا على رسلهم كما تحزب قومك .

١٤ - ما أحد من كل هؤلاء إلا كذب رسوله ، فقل لهم عفاي .

١٥ - وما ينتظر هؤلاء المتحيزين على الرسل الا صيحة واحدة لا تحتاج إلى تكرار .

١٦ - وقال الكافرون مستهزئين : ربنا عجل لنا نصيبنا من العذاب قبل يوم الجزاء .

١٧ - اصبر - يا محمد - على ما يقوله فيك المشركون ، واذكر عبدنا داود ذا القوة في الدين والدنيا ، انه كان رجاعا إلى الله في جميع أحواله .

مَعَهُ يُسَيِّجَنَّ بِالْعَنِيِّ وَالْإِثْرَاقِ ① وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهْرٍ أَوَّابٌ ② وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَمْنَاهُ الْحِجَاةَ
وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ③ * وَهَلْ أَتَتْكَ نَبُوءَاتُ الْخَصَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ④ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ
قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ يَفْنَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُسْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ⑤
إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْمَةً وَهُوَ نَعْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ⑥ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
يُسُوءُكَ تَعْجِثُكَ إِلَى نَعَامِيهِ ⑦ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيْبَنِي بِعَصْمِهِمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَثَلَيْثٌ مَا هُمْ ⑧ وَعَلَى دَاوُدَ أَلَمَّا فَتَنَّهُ فَأَسْتَفَرَّ بِهِ وَنَوَّرَا كَمَا وَأَنَابَ ⑨ فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ
وَإِنْ لَمْ عِنْدَنَا لُزْلٌ وَحُسْنٌ مَقَابٍ ⑩ يَلْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ

١٨ - انا ذللتنا الجبال معه ، يستغل ما فيها من منافع ، ومن يزهني الله - تعالى - عن كل نقص في آخر النهار وأوله .

١٩ - وذللتنا له الطير بمجموعة من كل صنف وكل مكان ، كل من الجبال والطير رجاعة لمشيئة داود ، يصرفها كيف شاء للخير العام .

٢٠ - وقويتنا ملكه ، وأتيناه النبوة ، وتميز الحق من الباطل .

٢١ - وهل جاءك - يا محمد - خبر الخصوم الذين جاءوا داود من سوار المحراب وهو محمل العبادة ، لا من بابه .

٢٢ - إذ دخلوا على داود فخاف منهم واضطرب . قالوا : لا تخف ، نحن متخاصمان ، ظلم بعضنا بعضا ، فاحكم بيننا بالعدل ولا تتجاوز ، وأرشدنا إلى الطريقة المثلى .

٢٣ - قال أحد الخصمين : ان هذا أخى له تسع وتسعون نعمة ، ولى نعمة واحدة ، فقال : اجعلنى كافلقها كما أكفل ما تحت يدى ، وغلبنى فى المفاطبة .

٢٤ - قال داود قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر : لقد ظلمك بطلب ضم نعتك إلى نعامه ، وان كثيرا من المتخالطين ليجور بعضهم على بعض : إلا من استقر الايمان فى قلوبهم ، وكان عمل الصالحات من دأبهم ، وهم قلة نادرة ، وعرف داود أن الأمر ما هو إلا امتحان منا له ، فطلب من الله المغفرة ، والحنن راکما لله ، ورجع إليه خاشعا .

٢٥ - ففقرنا له تعجله فى الحكم ، وان له عندنا لقرى وحسن مرجع .

كُرميه جسداً ثم أناب ٣٤. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْلُغُنِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ٣٥. فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ٣٦. وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بَنَاءُ وَغَوَاصُ ٣٧. وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ٣٨. هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٩. وَإِن لَّهِ عِنْدَنَا لُزْزَتٌ وَحَسَنٌ مَّحَافٍ ٤٠. وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ٤١. أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ٤٢. وَوَهَبْنَا لَهُ إِهْلَكَ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ٤٣. وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ ۖ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ ۖ لَهُ أَوَّابٌ ٤٤. وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَمَا خَلَقْ

٣٤ - ولقد امتعنا سليمان حتى لا يفتر بأية الملك ، فألقيناه جسداً على كرميه لا يستطيع تدبير الأمور ، ففتبه إلى هذا الامتحان فرجع إلى الله - تعالى - وأناب .

٣٥ - دعا سليمان ربه - منيباً إليه - رب اغفر لي ما بدر مني ، وهب لي ملكاً لا يليق لأحد من بعدي ، انك أنت الوهاب الكثير العطاء .

٣٦ - فذللنا له الريح ، تجري حسب مشيئته رغبة هينة ، حيث قصد وأراد .

٣٧ - وذللنا له كل بناء وغواص في أعماق البحار من الشياطين التمردين .

٣٨ - وآخرين من هؤلاء الشياطين قرن بعضهم ببعض في الأغلال والسلاسل ، ليكف فسادهم عن الآخرين .

٣٩ - وأوحى إليه أن هذا الذي أنعمنا به عليك عطائونا ، فاعط من شئت وأحرم من شئت ، فلا حساب عليك في الاعطاء أو المنع .

٤٠ - إن لسليمان عندنا لقربة عظيمة وحسن مرجع ومآل .

٤١ - واذكر - يا محمد - عبدنا أيوب إذ دعا ربه أني أصابني الشيطان بالصب والالم .

٤٢ - فاستجبنا له وناديناه : أن اضرب برجليك الأرض ، فثمت ماء بارد تقتسل منه وتشرب ، فيزول ما بك من نصب وعذاب .

٤٣ - وجعلنا شله بأهله الذين تفرقوا عنه أيام محنته ، وزدنا عليهم مثلهم ، وفعلنا ذلك رحمة منا له وعظة لأولي العقول ، ليحزنوا أن عاقبة الصبر الفرج .

٤٤ - كان أيوب قد حلف أن يضرب أحداً من أهله عداً من الصبي ، فعلم الله بينه بأن يأخذ حزمته فيها الصدد الذي حلف أن يضربه به ، فيضرب بالحزمته من حلف على ضربه ، فيبر بينه بأقل ألم ، وقد من الله عليه بهذه النعم ، لأن الله وجد صابراً على بلائه ، فاستحق بذلك الثناء ، فنعم الموصوف بالعبادة هو لأنه رجاع إلى الله في كل الأمور .

وَيَعْقُوبُ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرِ ٤٥ إِنَّا أَخَصَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرِ الدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ
 الْأَخْيَارِ ٤٧ وَأَذْكُرُ إِتِمَاعِيكَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكَأَنَّا لَمِنَ الْأَخْيَارِ ٤٨ هَذَا ذِكْرُ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ
 مَقَابِ ٤٩ جَنَّاتٍ عِدْنٍ مُمْتِنَةٍ لَهُمْ فِيهَا الْأَنْبُوبُ ٥٠ مُتَكِبِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَكَهْمٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ٥١
 * وَعِنْدَهُمْ قُلُوبُ الْأَرْبَابِ ٥٢ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ٥٣ إِنَّ هَذَا لَرْزَقُنَا مَا لَهُ مِنْ
 نَفَادٍ ٥٤ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَقَابٍ ٥٥ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ إِلَيْهَا ٥٦ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَبِيمٌ
 وَغَسَّاقٌ ٥٧ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ٥٨ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ لَهُمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ٥٩

٤٥ - واذكر عبدنا إبراهيم واسحاق ويعقوب أولى القوة في الدين والدنيا والبصائر النيرة .

٤٦ - انا خصصناهم بصفة ذكرهم الدار الآخرة وذكرونها ويذكرون بها .

٤٧ - وإني عندي من المختارين الأخيار .

٤٨ - واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكلهم من الأخيار .

٤٩ - هذا الذي قصصناه عليك نبأ بعض المرسلين تذكير لك ولقومك . وإن للمتقين النصريين من عسبان
 الله - تعالى - حسن مرجع ومآل .

٥٠ - أعد لهم جنات عدن مفتحة لهم أبوابها ، لا يصلحهم عنها صاعد .

٥١ - يجلسون فيها متكبين على الأرائك والسرر شأن المتقين ، ويتمتعون فيها بطلب فاكهة كثيرة وشراب
 كثير .

٥٢ - وعندهم في الجنة من نسوة قصرن أبصارهن على أزواجهن ، فلا ينظرن إلى غيرهم ، وهن مستويات
 السن معهم ، ليكون ذلك أدعى إلى الوفاق .

٥٣ - هذا التمتع هو الذي توعدونه ليوم القيامة .

٥٤ - ان هذا لسطاؤنا ما له من نهاية .

٥٥ - هذا التمتع جزاء المتقين . وإن للطاغين المتمردين على أنبيائهم لشر مآل ومنقلب .

٥٦ - وهو جهنم ، يدخلونها ويقاسون حرها ، ويؤس القرائس هي .

٥٧ - هذا ماء بلغ الناية في الحرارة وصديد أهل جهنم ، يؤمرن أن يذوقوه .

٥٨ - وعذاب آخر مثل هذا العذاب أنواع مزوجة .

٥٩ - ويقال للطاغين - وهم رؤساء المشركين - : هذا جمع كثير داخلون النار معكم في زحمة وشدة ، وهم
 اتباعكم . فيقول هؤلاء الرؤساء : لا مرحبا بهم ، إنهم داخلون النار مقاسون حرها .

قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمَرْجَأٌ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدِمْتُمُوهُ لَنَا فَيَسَّ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا
ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعْلَهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَلَمْخُذْنَاهُمْ بِخُرُوبٍ أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ
الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَافُ أَهْلَ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ
لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا آيَاتُ أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ
إِنِّي خَالِقُ بَشَرٍ مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ

٦٠ - قال الأتياع : بل أنتم أحق بهذا الدعاء الذي دعوتهم به علينا ، لأنكم الذين قدمتم لنا هذا العذاب
بإغرائكم لنا ودعوتنا إلى الكفر ، فكفرتنا بسبيكم ، فبش الدار والمستقر جهنم .

٦١ - قال الأتياع : ربنا ، من تسبب لنا في هذا العذاب فزده عذابا مضاعفا في النار .

٦٢ - وقال أهل النار : ما لنا لا نرى رجالا كنا نعلمهم في الدنيا من الأشرار الأراذل الذين لا خير فيهم ؟
وهم قراء المسلمين .

٦٣ - كيف اتخذناهم في الدنيا هزوا ولم يدخلوا النار معنا ، أم اتهم دخلوها وزاغت عنهم أبصارنا فلم
نرهم ؟

٦٤ - ان ذلك الذي ذكرناه من حديث أهل النار حق لا بد أن يقع ، وهو تخافهم ونزاع أهل النار بعضهم مع
بعض .

٦٥ - قل للمشركين - يا محمد - : إنما أنا مخوف من عذاب الله ، وما من معبود بحق إلا الله الواحد الذي
لا شريك له ، القهار الذي يطلب كل ذي سلطان .

٦٦ - رب السموات والأرض وما بينهما ، العزيز الذي لا يطلب ، الغفار المتجاوز عن ذنوب من آمن به .

٦٧ ، ٦٨ - قل لهم - يا محمد - : هذا الذي أنذرتكم به خير عظيم أنتم عنه معرضون لا تفكرون فيه .

٦٩ - ما كان لي من علم بأخبار الملأ الأعلى وقت اختصاصهم في شأن آدم ، لأنني لم أسلك العلم الطريق
المتعارف بين الناس من قراءة الكتب أو التلق عن المعلمين ، وطريق علمي هو الوحي .

٧٠ - ما يوحى إلى إلا لأنني رسول أبلغكم رسالة ربي بأبين عبارة .

٧١ - أذكر لهم حين قال ربك للملائكة : اني خالق بشرا - وهو آدم عليه السلام - من طين .

٧٢ - فإذا أتممت خلقه ونفخت فيه سر الحياة - وهو الروح - فخرجوا له ساجدين سجود تعظيم وتحية ،
لا سجود عبادة .

كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٢﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُا بَيْتِي مَعَكُمْ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَتَمُ كُنْتُ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٥﴾ قَالَ فَاتَّخِذْ مِنْهَا فِرْعَاسًا رَجِيمًا ﴿٧٦﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٧﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَمْعُونُ ﴿٧٨﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٧٩﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨٠﴾ قَالَ فَيَمِزُكَ لَآغِرِيهِمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨١﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٢﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٣﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٤﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَتَعْلَمَنَّ نَجَاهُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٧﴾

٧٢ ، ٧٣ - فاستل الملائكة كلهم أجمعون ، وخروا له ساجدين ، إلا إبليس لم يسجد ، وتعاظم وتكبر ، وكان بهذا التكبر من الكافرين .

٧٥ - قال الله تعالى : يا إبليس ، ما منعك من السجود لما خلقتك بنفسى بلا واسطة ؟ أنتكبر مع أنك غير كبير ، أم أنت فى حقيقة نفسك من المتفوقين ؟

٧٦ - قال إبليس : أنا خير من آدم ، لأنك خلقتنى من نار وخلقته من طين ، فكيف أسجد له ؟

٧٧ - قال الله تعالى لابليس - جزاء له على تكبره عن أمر ربه - : فإخرج من جماعة الملائكة الأعلى ، فإنك مطرود من رحمتى .

٧٨ - وأن عليك أبعدى لك عن كل خير إلى يوم الجزاء ، فتجزى على كفرى بى وتكبرك على .

٧٩ - قال إبليس : رب أهلهى ولا تفتنى إلى يوم البعث .

٨٠ ، ٨١ - قال الله تعالى : فإنك من المؤجلين المهلهل إلى يوم الوقت المعلوم لنا ، وهو نهاية الدنيا .

٨٢ ، ٨٣ - قال إبليس : فبعضتك وجلالك لأغوين البشر أجمعين ، إلا عبادك الذين أخلصتهم لطاعتك ، فلا سلطان لى عليهم .

٨٤ ، ٨٥ - قال الله تعالى : الحق عيى وقسمى ، ولا أقول إلا الحق ، لأملأن جهنم من جنسك من الشياطين وعن تبعك من ذرية آدم أجمعين ، لا فرق عندى بين تابع ومتبوع .

٨٦ - قل لأمتك - يا محمد - ما أسألكم على ما أمرت بتبليغه إليكم من القرآن والوحى أجرا ، وما أنا من الذين يتحلون بإبليس فيهم حتى أدعى النبوة .

٨٧ - ما القرآن إلا تذكير وعظة للعالمين جميعا .

٨٨ - ولتعلنن - أيا المكذبون به - صدق ما اشتمل عليه من وعد ووعد وأخبار عن أمور مستقبلة وآيات كونية بعد وقت قريب .

(٣٩) سُورَةُ الزُّمَرِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأْنَا بِحُسْنِ خَاتَمِهَا

هذه السورة مكية، قيل إلا ثلاث آيات منها هي الآيات ٥٢، ٥٣، ٥٤، وآياتها ٧٥ آية. افتتحت هذه السورة بالتنويه بشأن القرآن، ثم بالدعوة إلى اخلاص العبادة لله - وحده - والرد على من قال: إن الله ولدا، ثم عرضت الآيات قدرة الله - تعالى - في خلق السموات والأرض وخلق الإنسان، وأن الناس إن يكفروا به فهو غنى عنهم، وإن يشكروا يرثه لهم ولا يرضى لهم الكفر، كما عرضت لخلق من أخلاق الإنسان في موضعين: أنه إذا مسه الضر دعا ربه وأناب إليه، وإذا أنعم عليه نسي ما كان يدعو إليه من قبل.

ثم عقلت مقارنة بين من يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وبين المتبردين عليه، وما أعد هؤلاء وأولئك من الجزاء يوم القيامة، ثم ذكرهم بنعمة الله عليهم بإزالة الماء، وأنه يحيى به الأرض بعد موتها، ونبت به النبات الذي يأخذ أطوارا متصددة، وفي ذلك ذكرى لأول الألياب.

وتعود السورة للحديث عن القرآن وتأثيره على الذين يحشون ربه، وأن الله قد ضرب فيه الأمثلة لمهلهم يتذكرون، قرأنا غير ذي عوج لهمم يتقون، ثم قارنت السورة بين العبد المشرك والعبد المخلص لله، وأنها لا يستويان، وأن الموت هو مال الجميع، ثم عند ربه يختصمون.

ثم بينت مآل من كذب على الله وكذب بالصدق، ومآل الصادقين في أقوالهم، المصدقين ما أنزل إليهم، وأن هؤلاء المشركين لو سألتهم: من خلق السموات والأرض؟ ليقولن: الله. ولكنهم - مع ذلك - يعبدون من لا يدفعون عنهم ضرا إن أرادهم الله بضر، ولا يسكون رحمة إن أراد الله بهم رحمة، ثم تقرر هذه السورة أن هذا الكتاب أنزل بالحق، فمن اهتدى فليَنفُسْه، ومن ضل فليَنفُسْه على نفسه، وأن الرسول - ﷺ - ليس عليهم بوكيل.

ثم تعود إلى تذكرهم بالموت والبعث، وأن الشركاء الذين اتَّخَذُوهُمْ من دون الله لا يملكون لهم شيئا، حتى الشفاعة، فإن الله الشفاعة جيعا.

ولما كثر الكلام عما أعد للصلاة والمسرئين من العذاب الأليم - وربما كان هذا مما يبعث في قلوبهم اليأس من رحمة الله - فتح لهم باب الأمل في رحمة « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا »، أنه هو الظهور الرحيم « ودعاهم إلى التوبة إليه قبل أن يأتيهم العذاب بقية وهم لا يشعرون: « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ». والذين اتَّقُوا لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون. وختمت السورة بالحديث عن اليوم الآخر من مبدئه يوم ينفخ في الصور فمصق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله. إلى أن يأخذ كل ذي حق حقه، فيساق أهل النار إليها، كما يساق أهل الجنة إليها، ويقولون فيها: الحمد لله الذي صدقنا وعده وقضى بين الجميع بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاغْبِضْ إِلَهُ الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سَجَلًا ۚ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفْلُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً ۖ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَخْرُجُ مِنْهُ نَهْرٌ يَسْفِكُ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَهُوَ الْغَايَةُ فِي الْقَهْرِ ۚ

١ - تنزيل القرآن من الله الذي لا يظليه أحد على مراده، الحكيم في فعله وتشريعه.

٢ - إنا أنزلناه إليك - يا محمد - القرآن أمراً بالحق، فاعبد الله مخلصاً له - وحده - العبادة.

٣ - ألا لله - وحده - الدين البريء من كل شائبة، والمشركون الذين اتخذوا من دونه نساء يشعرون بهن؛ ما يعبد هؤلاء لأنهم خالقون، إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله - تقرباً - بشفاعتهم لنا عنده، أن الله يحكم بين هؤلاء المشركين وبين المؤمنين الموحدين فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الشرك والتوحيد، أن الله لا يوفق لأدراك الحق من شأنه الكذب والامعان فيه.

٤ - لو أراد الله أن يتخذ ولداً - كما قالت النصارى في المسيح والمشركون في الملائكة - لاختار الولد من خلقه كما يشاء هو، لا كما تشاهدون أنتم، تنزه الله عن أن يكون له ولد، هو الله الذي لا مثيل له، القهار الذي بلغ الغاية في القهر.

٥ - خلق السموات والأرض مثلياً بالحق والصواب على ناموس ثابت، يلف الليل على النهار ويلف النهار على الليل على صورة الكرة، وذلك الشمس والقمر لأرادته ومصلحة عباده، كل منهما يسير في فلكه إلى وقت محدد عنده... وهو يوم القيامة، ألا هو - دون غيره - الغالب على كل شيء، فلا يخرج شيء عن إرادته، الذي بلغ الغاية في الضعف عن المذنبين من عباده^(١).

(١) تشير هذه الآية الكريمة إلى أن الأرض كروية تدور حول نفسها لأن مادة التكوين منها لف الشيء على الشيء على مسيل التتابع، ولو كانت الأرض غير كروية «مسطحة مثلاً» لجم الليل أو طلع النهار على جميع أجزائها دفعة واحدة.

مِنْ بَعْدِ خَلْقِي فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَآَنَ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۚ وَإِنْ تَسْكُرُوا بِرِضَىٰ لَكُمْ وَلَا تَزِدُّوا عُثْرًا ۖ ثُمَّ إِنَّكُمْ رَيْبٌ مَّرْجِعٌ فَأُنِيبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ۖ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ ۖ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ۚ وَجَعَلَ اللَّهُ أَتَادًا لِّبُضْلٍ عَنِ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۚ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ آمَنَ هُوَ قَوْلُهُ ۖ إِنَّا نَآءُ الْبَلِّ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ

٦ - خلقكم - أي الناس - من نفس واحدة هو آدم أبو البشر، وخلق من هذه النفس زوجته حواء، وأنزل لصلحكم ثمانية أنواع من الأسماء ذكرًا وأنثى: وهي الأبل والبقر والضأن والماعز، يخلقكم في بطون أمهاتكم بطورا من بعد طور في ظلمات ثلاث: هي ظلمة البطن والرحم والمشيمة، ذلكم المنعم بهذه النعم الله مريبكم ومالك أمركم، له - لا لغيره - الملك المخلص، لا معبود بحق إلا هو، فكيف يعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره (١)!

٧ - ان تكفروا بنعمة - أي الناس - فإن الله غني عن إيمانكم وشكركم، ولا يحجب لعباده الكفر، لما فيه من ضرهم، وان تشكروا على نعمه يرض هذا الشكر لكم، ولا تحمل نفس آفة ثم نفس أخرى، ثم إلى ربكم مآلكم فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، إنه عليم بما تكنه قلوبكم التي في الصدور (٢).

٨ - وإذا أصاب الإنسان مكروه - من مكاره الدنيا - دعا ربه راجعا إليه بعد أن كان معرضا عنه، ثم إذا أعطاه ربه نعمة عظيمة نسي الضر الذي كان يدعو ربه إلى إزالته وكشفه من قبل أن ين عليه بهذه النعمة، وجعل الله شركاء متساوين معه في العبادة، فعل هذا الإنسان ذلك ليضل نفسه وغيره عن طريق الله - قل - يا محمد - لمن هذه صفته متوعدا: تمتع بكفرتك بنعم الله عليك زمنا قليلا، انك من أهل النار.

(١) تنشأ البويضة في أحد مبيضى المرأة، حتى إذا اكتمل نضجها انطلقت منه فيلقنها أحد بويى فالوب، ثم تحشى في قناة فالوب في طريقها إلى الرحم فلا تنصل إلا بعد بضعة أيام قد يغير لها في أثناءها أن يخصبها الحيوان المنوى من الرجل فتبدأ نوا مراحل تطورها المبكرة، وفي الرحم ينشأ الجنين بقية مدة الحمل حيث يكون لنفسه فيها غلافين «السلى» Charlon ويسمى جزءه من تكوين المشيمة والرجل Amnion الذى يحيط بالجنين احاطة مباشرة.

وقد اختلفت الآراء في تحديد الطلمات الثلاث في الآية الكريمة فمن ذلك أنها:

١ - البطن، الرحم، والمشيمة (ويقصد بها ما يلف الجنين بصفة عامة).

٢ - الرحم والسلى والرجل.

٣ - البطن والظهر والرحم.

٤ - المبيض وقناة فالوب والرحم.

والظاهر أن الرأي الأخير هو الأرجح لأنها ثلاث متفرقات في أماكن مختلفة، أما الآراء الأخرى فإنها تشير في الواقع إلى ظلمة واحدة في مكان واحد تحيط به طبقات متحدة، ولعل الخالق العظيم قد أودع في كتابه إلى هذه الحقيقة العلمية في زمن لم يكن الناس قد اكتشفوا فيه بويضة الثدييات وسلوكها ذلك في أجسام الآلات بعيدا عن العين.

(٢) هذا من القرآن الكريم صريح في مبدأ شخصية العقوبة مثل ما ورد في سورة يوسف من قوله تعالى: «قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده، إنا إننا نأطاولن» وهذا من القرآن الكريم تأصيل للمبدأ المذكور وهو المبدأ الذى لم يستقر في نفسه القضاة إلا في الصور الحديثة.

وَرَجُوا رَحْمَةً رَّبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ٩ قُلْ يَاعِبَادِ
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ
بِفَئْرِ حَسَابٍ ١٠ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ١٢
قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٣ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ١٤ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ
دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ١٥ هُمْ
مِنْ قَوْمِهِمْ ظُلَمٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَسْعَادُ يُعْبَادُ فَاتَّقُونِ ١٦ وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا

٩ - أمن هو خائض لله أثناء الليل يقضيه ساجدا وقائما ، يخشى الآخرة ويرجو رحمة ربه ، كمن يدعو ربه في
الضراء وينسأ في السراء ١٠ قل لهم - يا محمد - : هل يستوى الذين يعلمون حقوق الله فيوجدونه ، والذين
لا يعلمون ، لاهاهم النظر في الأدلة ١١ انما يتعظ أصحاب العقول السليمة .

١٠ - قل - أيها النبي - مبلغا عن ربك يا عبادي الذين آمنوا بي ، اتقوا وقاية من غضب ربكم ، فإن لمن
أحسن العمل عاقبة حسنة ، في الدنيا بالتأييد ، وفي الآخرة بالجنة . ولا تقيموا في ذل ، فأرض الله واسعة ،
واصبروا على مفارقة الأوطان والأحباب ، إنما يوفى الله الصابرين أجرهم مضاعفا ، لا يدخل تحت حساب
الخاصين .

١١ - قل : اني أمرت أن ، بـد الله مخلصا له عبادي من كل شرك ورياء .

١٢ - وأمرت منه تعالى - أمرا مؤكدا - أن أكون أول المتقادين لأوامره .

١٣ - قل : اني أخشى ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم الهول .

١٤ - قل لهم يا محمد - : الله وحده - أعبد ، مبرئا عبادي من الشرك والرياء ، فلذا عرفت طريقي ولم
تطمئن فاعبدوا ما شئتم من دونه . قل لهم : ان الخاسرين - كل الخسران - هم الذين أضاعوا أنفسهم بضلالم ،
وأهملهم باضلالهم يوم القيامة . ألا ذلك الضياع هو الخسران الكامل الواضح .

١٦ - هؤلاء الخاسرين من فوفهم طبقات متراكمة من النار ومن تحته مثلها ، ذلك التصوير للمذاب يخوف
الله به عباده ، يا عباد ؛ فآخشوا بأمرى .

الطَّغُوتُ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ
 أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْوَلِيُّ الْأَلْبَابُ ﴿١٨﴾ أَفَنَحْنُ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْفَذُ مِنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾
 لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مِّثْلُهَا تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ
 الْوَعْدَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ
 يَهِيجُ فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يُجْمَلُ جُمْلًا ۖ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَدَرْجَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَنُفِخَ فِي صُورٍ لِّئَلَّا يَقُولُوا لَوْلَا سُلُومُ
 هَٰؤُلَاءِ نُفُوزٌ مِّنْ رَبِّهِمْ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ
 الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشُرُ عَنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ لَكَ ذِكْرُ اللَّهِ

١٧، ١٨ - والذين اجتنبوا الأصنام والشياطين أن يتقربوا إليها، ورجعوا إلى الله في كل أمورهم، لهم
 البشارة العظيمة في جميع المواطن، فيشر - يا محمد - عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون الأحسن والأهدى إلى
 الحق، أولئك - دون غيرهم - الذين يوفقههم الله إلى الهدى، وأولئك هم - دون غيرهم - أصحاب العقول النيرة.

١٩ - أمثل التصرف في ملكي، فن وجدت عليه كلمة العذاب تستطيع أن تمنعه ؟ ! ألك هذه القوة، فأنت
 تنفذ من في النار بعد أن وجدت لهم ؟

٢٠ - لكن الذين خافوا ربهم لهم أعالي الجنة وقصورها، مبنية بعضها فوق بعض، تجري من تحتها الأنهار،
 وعدا من الله، والله لا يخلف وعده.

٢١ - أم تر - أيها المخاطب - أن الله أنزل من السماء ماء، فأجراه في ينابيع وعيون في الأرض، ثم يخرج به
 زرعاً مختلفاً أشكاله، ثم يبس بعد نضارته فقرأه مصفراً، ثم يجمله فتاتاً متكرساً، أن في ذلك التنقل من حال إلى
 حال لتذكير لأولي العقول النيرة (١).

٢٢ - أكل الناس سواء، فن شرح الله صدره للإسلام بقبول تماثيله، فهو على بصيرة من ربه، كمن أعرض
 عن النظر في آياته ؟ ! فعذاب شديد للذين قست قلوبهم عن ذكر الله، أولئك القاسية قلوبهم في الحراف عن
 الحق واضح.

(١) دورة المياه في الطبيعة من السماء إلى الأرض حيث تسلك فيها عينات تعرف قبل أواسط القرن الثامن، حيث أن الفكرة التي
 كانت سائدة قبل ذلك كانت تقول: إن ماء العين والأنهار ينضرب من باطن الأرض أتياً إليه من حفر وأبار في تيمان البحار.

ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ۖ ۝٣٩ أَلَمْ يَتَّبِعْنِي يُوجِهِيهِ سُبُوهُ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝٤٠ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٤١ فَاذْقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٤٢ وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٤٣ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٤٤ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٥ إِنَّكَ مِيتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ۝٤٦ ثُمَّ إِنَّا نَكِّرُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكَ مَحْضَمُونَ ۝٤٧

٢٣ - الله نزل أحسن الحديث كتابا تشابهت معانيه وألفاظه في بلوغ الغاية في الاعجاز والاحكام ، تردد فيه المواعظ والأحكام ، كما يكرر في التلاوة ، تنقبض عند تلاوته وجماع وعيكه جلود الذين يحسانون رسمه ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك الكتاب الذي اشتمل على هذه الصفات نور الله يهدي به من يشاء ، فيوفقه إلى الايمان به ، ومن يضلله الله - لعلمه أنه سيرض عن الحق - فليس له من مرشد ينقله من الضلال .

٢٤ - أكل الناس متساوون ، فمن يتق يوجهه العذاب السوء الشديد يوم القيامة بعد أن تفل بداءه ، كمن يأتي أما يوم القيامة ؟ وقيل للظالمين : ذوقوا وبال عملكم .

٢٥ - كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين فجاءهم العذاب من حيث لا يتوقعون .

٢٦ - فأذاقهم الله الصغار في الحياة الدنيا ، أقسم : لعذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا ، لو كانوا من أهل العلم والنظر .

٢٧ - ولقد بينا للناس في هذا القرآن من كل مثل يذكرهم بالحق ، رجاء أن يتذكروا ويتعظوا .

٢٨ - أنزلنا قرآنًا عربيًا بلسانهم ، لا لاختلال فيه ، رجاء أن يتقوا ويخشوا ربهم .

٢٩ - ضرب الله مثلا للمشرك رجلا مملوكا لشركاء متنازعين فيه ، وضرب مثلا للموحد رجلا خالص الملكية لواحد ، هل يستويان مثلا ؟ لا يستويان . الحمد لله على اقامة المحبة على الناس ، لكن أكثر الناس لا يعلمون الحق .

٣٠ ؛ ٣١ - انك - يا محمد ، وإني جميعا ميتون . ثم انكم بعد الموت والبعث عند الله يخاضعون بعضهم بعضا .

* قَدْ أَفْلَحَ مَن كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ وَكَلَبَ بِالْصِدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَالٍ ﴿٣٦﴾ وَلَٰمَن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرُّهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِلَىٰ عِلْدٍ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّضِئٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۚ قَدْ أَهْتَدَىٰ

٣٢ - فليس أحد أشد ظلماً من نسب إلى الله ما ليس له ، وأنكر الحق حين جاءه على لسان الرسل من غير تفكير ولا تدبر ، أليس في جهنم مستقر للكافرين المفسدين حتى يمحطوا على الله ؟ !

٣٣ - والذي جاء بالحق وصدق به إذ جاءه ، أولئك هم المتقون لا غيرهم .

٣٤ - هؤلاء المتقين عند ربهم ما يحبون ، ذلك الفضل جزاءه كل محسن في عقيدته وعمله .

٣٥ - أكرم الله المتقين بما أكرمهم به ، ليضرب لهم أسوأ عملهم ، ويوفهم أجورهم بأحسن ما عملوا في الدنيا .

٣٦ - الله - وحده - كاف عباده كل ما يحتمهم ، ويخففهم - يا محمد - كفار قريش بأهنتهم التي يدعونها من دون الله ، وذلك من ضلالهم ، ومن يضل الله - لعلمه أنه يختار الضلالة على الهدى - فاله من مرشد يرشده .

٣٧ - ومن يرشده الله إلى الحق ويوقفه إليه - لعلمه أنه يختار الهدى على الضلالة - فاله من مضل ينحرف به عن سبيل الرشاد ، أليس الله ينجع الجناب ، ذي انتقام شديد ، فيحفظ أوليائه من أعدائه ؟ !

٣٨ - وأقسم : لأن سألت - يا محمد هؤلاء المشركين - من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن : الله هو الذي خلقهن . قل لهم - يا محمد - : أعقلمت فرأيتم الشركاء الذين تدعونهم من دون الله ، ان شَاءَ الله ضرى هل هن مزيلات عنى ضره ، أو شاء له من مانتات عنى رحمة ؟ ! قل لهم - يا محمد - : الذى يكفى فى كل شىء وحده ، عليه - لا على غيره - يعتمد المتوكلون المفوضون كل شىء إليه .

٣٩ ، ٤٠ - قل لهم - متوعداً - : يا قوم ائتوا على طريقتكم من الكفر والتكذيب انى ثابت على عمل

فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَلَمَّا يَضِلَّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝ اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ أَمْ الْاِئْتِمَادُ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُغَاةٌ قُلْ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لِأَيْمِلُكَونَ شَيْعًا وَلَا يَعْثُبُونَ ۝ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَمَزَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ قُلْ أَللَّهُمْ فَلِمَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ۝

ما أمرني به ربي ، فسوف تدركون من منا الذي يأتيه عذاب يذله ، ويزل عليه عذاب دائم لا يتكشف عنه ١٩
٤٦ - انا أنزلنا عليك - أيها النبي - القرآن الكريم لجميع الناس مشتملا على الحق الثابت . فمن استرشد به فضع ذلك لنفسه ، ومن ضل عن طريقه فالحق يرجع وبال ضلاله على نفسه وما أنت - يا محمد - بـوكل يهدايتهم ، فإليك إلا البلاغ ، وقد بلغت .

٤٧ - الله يقبض الأرواح حين موتها ، ويقبض الأرواح التي لم تمت حين نومها ، فيمسك التي قضى عليها الموت لا يردّها إلى بدنها ، ويرسل الأخرى التي لم يحن أجلها عند اللحظة إلى أجل محدد عنده . إن في ذلك لآدلة واضحة لقوم يتدبرون .

٤٨ - بل اتقوا الشرك من دون الله شفعاء يتفرون بهم إليه . قل لهم - يا محمد - : أظلم هذا ولو كان هؤلاء الشفعاء لا يملكون شيئا ولا يعقلون ؟

٤٩ - قل لهم - يا محمد - الله وحده الشفاعة كلها ، فلا ينالها أحد إلا برضاه ، له - وحده - ملك السموات والأرض ، ثم إليه - وحده - ترجعون فيعاسيكم على أفعالكم .

٥٠ - وإذا ذكر الله - وحده - دون أن تذكر ألهتهم انتفضت ونفرت قلوب الذين لا يؤمنون بالهياة الآخرة ، وإذا ذكرت ألهتهم التي يعبدونها من دون الله سارعوا إلى الفرار والاستئثار .

٥١ - قل يا محمد - متوجها إلى مولاك : يا الله يا خالق السموات والأرض على غير مثال ، يا عالم السر والعلن ، أنت - وحدك - تفصل بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون من أمور الدنيا والآخرة ، فاحكم بيني وبين هؤلاء المشركين .

٥٢ - ولو أن الذين ظلموا أنفسهم بالشرك كل ما في الأرض جميعا وضعفه معه تقدموه اقتداء لأنفسهم من سوء العذاب الذي أعد لهم يوم القيامة ، وظهر لهم من الله ما لم يحيطوا على بالهم من العذاب .

وَبِذَا لَهُمْ سَبْعَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا سَسَّ الْإِنْسَانُ ضُرَّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا
 حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ لَمَّا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَبْعَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ
 سَبْعَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوْ لَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
 لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ * قُلْ بِعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
 جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَتَّبِعُوا آلَ رَبِّكُمْ وَاسْلُوْا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾
 وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ

----- ٥٩ -----

- ٤٨ - وظهر لهم في هذا اليوم سوء عملهم، وأحاط بهم من العذاب ما كانوا يستهزئون به في الدنيا.
- ٤٩ - فإذا أصاب الإنسان ضرر نادانا متضرعا، ثم إذا أعطيناه - تفضلا منا - نعمة قال هذا الإنسان: ما أوتيت هذه النعم الا لعلم مني بوجوده كسبه، وفات هذا الإنسان أن الأمر ليس كما قال، بل هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه اختبار له ليعين له الطالع من العاصي، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنها اختبار وفتنة.
- ٥٠ - قد قال هذه المقالة الذين من قبل هؤلاء المشركين، فما دفع عنهم العذاب ما اكتسبوه من مال ومتاع.
- ٥١ - فأصاب الكفار السابقين جزاء سيئات عملهم، والظالمين من هؤلاء المخاطبين سيصيبهم جزاء سيئات عملهم، وما هؤلاء بفتنتين من عقاب.
- ٥٢ - أيقول هؤلاء ما قالوا ولم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويعطيه بقدر لمن يشاء على مقتضى حكته: ان في هذا لعبرا لقوم يؤمنون.
- ٥٣ - قل - يا محمد - بلغان عن ربك: يا عبادي الذين أكثروا على أنفسهم من المعاصي، لا تيأسوا من رحمة الله، ان الله يتجاوز عن الذنوب جميعا، انه هو - وحده - العظيم في مغفرته ورحمته.
- ٥٤ - وارجعوا - أي المسرفون على أنفسهم - إلى مالك أكرم ومربيكم، وانقادوا له من قبل أن يجيئكم العذاب ثم لا ينصركم أحد من الله ويدفع عنكم عذابه.
- ٥٥ - واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم - وهو القرآن الكريم - من قبل أن يجيئكم العذاب فجأة وعلى غير استعداد، وأنتم لا تعلمون بجيئه.

نَفْسٍ يَحْسَرَنَّ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِيرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلْ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ أَقِيمَ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجْهُهُم مُسْوَدٌّ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجَّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَقْبِرُوا اللَّهَ تَأْمُرُونِ أَعْبُدْ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ

٥٦ - ارجعوا إلى ربكم، وأسلموا له، واتبعوا تعاليمه، لتلا تقول نفس مذنبية حينما ترى العذاب : يا أسقى على ما فرطت في جنب طاعة الله وحقه، والى كنت في الدنيا لمن المستهزئين بدينه.

٥٧ - أو تقول تلك النفس المذنبية - متحملة للضرر - : لو أن الله وفقني للهدى لكنت في الدنيا من الذين وقوا أنفسهم من عذاب الله بالإيمان والعمل الصالح.

٥٨ - أو تقول تلك النفس المذنبية - حين تشاهد العذاب - : ليت لي رجعة إلى الدنيا، فأكون فيها ممن يحسنون العقيدة والعمل.

٥٩ - بل - أيها النادم - قد جاءتك تعاليم على لسان الرسل، فكذبت بها وتعاليت عن اتباعها، وكنت في دنياك من التائبين على الكفر.

٦٠ - ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله - فتنسبوا إليه ما ليس له - وجهرهم مسودة من الحزن والكآبة، ان في جهنم مفرا للمتكبرين المتعاليين عن الحق.

٦١ - وينجي الله الذين جعلوا لهم وقاية من عذاب الله، بما سبق في علمه من فوزهم، لاختيارهم الهدى على الضلال، لا يصيبهم في هذا اليوم السوء، ولا هم يحزنون على فوت نعم كانوا يؤملونه.

٦٢ - الله خالق كل شيء - وهو وحده - على كل شيء وكيل، ينول أمره بقتضى حكمته.

٦٣ - لله وحده تصاريف أمور السموات والأرض، فلا يتصرف فيهن سواء الكافرون بمصالح الله وبراهينه هم - وحدهم - المخاضرون أتم خسران.

٦٤ - قل - يا محمد - : أقبعد وضوح الآيات على وجوب توحيد الله بالعبادة تأمروني أن أخضع غيره بالعبادة أيها الجاهلون !؟

لَنْ أَشْرَكَ لِحَبْلِ عَمَلِكُ وَلَنْ كُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَاشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَاعِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَيْسَ لَكُم مِّنْكُمْ بَتُلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُم وَيُنَادِيكُمْ لِقَاءَ يُومِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَفَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا

٦٥ - وأقسم : لقد أوحى إليك - يا محمد - وإلى الرسل من قبلك : لن أشركت بالله شيئاً - ما - ليظلم الله عملك ، وتكونون من القوم الخاسرين أتم خسران .

٦٦ - لا تعبد - أيها الرسول - إلا ما يطلبوه منك ، بل عبد الله - وحده - وكن من القوم الشاكرين له على

٦٧ - وما عظم المشركون الله حق عظمته ، وما عرفوه حق معرفته إذ أشركوا معه غيره ، ودعوا الرسول - ﷺ - إلى الشرك به ، والأرض جميعها مخلوكة له يوم القيامة ، والسموات قد طويت - كما تطوى الثياب - بيمينه ، تنزه الله عن كل نقص ، وتعالى علواً كبيراً عما يشركونه من دونه .

٦٨ - وسينفخ - حتماً - في الصور ^(١) ، فيموت من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله أن يؤخرهم - إلى وقت آخر ، ثم نفع فيه أخرى فإذا الجميع قائمون من قبورهم ، ينتظرون ما يفعل بهم .

٦٩ - وأضامت الأرض - يومئذ - بنور خالقها ومالكها ، وأعد الكتاب الذي سجلت فيه أعمالهم ، وأحضر الأنبياء والعدل ليشهدوا على الخلق ، وفصل بين الخلق بالعدل ، وهم لا يظلمون بنقص نواب أو زيادة عقاب .

٧٠ - وأعطيت كل نفس جزاء عملها ، والله أعلم بقتلهم .

٧١ - وحث الكافرون على السير - بعنف - إلى جهنم جماعات . جماعات ، حتى إذا بلغوها فتحت أبوابها ، وقال لهم حراسها - مريجين - : ألم يأتكم سفراء عن الله من نوعكم ، يقرؤون عليكم آيات ربكم ، ويخوفونكم لقاء يومكم هذا ؟ قال الكافرون مفرين : بل جاءتنا الرسل ، ولكن وجبت كلمة العذاب على الكافرين ، لا اختيارهم الكفر على الإيمان .

(١) الصور لغة : الجوق ، والصور الذي حدثنا عنه القرآن من عالم النيب ، لا عدى كبه وحقيقته .

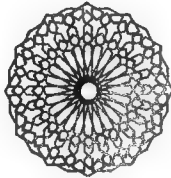
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ قَدْ نَسِيَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءََهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَرَى الْمَلَكُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

٧٢ - قيل لهم : ادخلوا أبواب جهنم مقدرًا لكم فيها الخلود فنبئت جهنم مستقرا للمتعالين عن قبول الحق .

٧٣ - وحث المتقين على السير - مكرمين إلى الجنة جماعات جماعات ، حتى إذا بلغوها ، وقد فتحت أبوابها ، قال لهم حفظتها : أمان عظيم عليكم ، طيبتم في الدنيا من دنس المصاعب ، وطيبتم في الآخرة - نفسا - بما نلتهم من النعيم ، فادخلوها مقدرًا لكم الخلود ، فإن لكم من النعيم مالا يحيط على بال .

٧٤ - وقال المتقون : التناهد - وحده - الذي حقق لنا ما وعدنا به على لسان رسله وملكتنا أرض الجنة نزل منها حيث نشاء ، فنعم أجر العاملين المستعين الجنة .

٧٥ - وترى - أيًا الرائي - الملائكة محيطين بالعرش ، يزهون الله عن كل نقص ، تزيينا مقترنا بحمد خالقهم ومربيهم ، وفصل بين جميع الخلائق بالعدل ، ونطق الكون كله قائلًا : الحمد لله رب الخلائق كلها .





سُورَةُ الْغَافِرِ

حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكَتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ ۝ مَا يَجِدُلُوا فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُكُ تَقْلِبُهُمْ فِي الْإِلْدَادِ ۝

افتتحت هذه السورة - كما افتتحت سور كثيرة - بحرفين من حروف الهجاء، وابتدئت بالتثنية بشأن القرآن المنزل من العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول، ثم دعت إلى التوحيد وعدم الاغترار بما قد يكون عليه الكافرون من سلطان، ودعتهم إلى أن يذكروا ما أُلهم قبلهم.

وتحدثت السورة - بعد ذلك - عن حلة العرش وتبسيمهم ودعائهم، وصورت حال الكافرين وما هم فيه من غضب الله. وتحدثت السورة - في أكثر من موضع - عن آيات الله وقدرته في أنفسهم وما يحيط بهم من السموات والأرض، وما أفاض عليهم من نعمه، كما دعاهم الله - في أكثر من آية - إلى توحيده بالعبادة «فادعوا الله مخلصين له الدين» «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم» «ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو». كما اشتملت السورة - في بعض آياتها - على التذكير باليوم الآخر «وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين» وتحدثت السورة عن شيء من قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون وقومه. ولاسيما مؤمن آل فرعون، وختمت السورة بدعوة الناس إلى أن يسيروا في الأرض لينظروا ما حل بالأمم قبلهم، وكيف كان عاقبة غرورهم بما عندهم من العلم، فلما حل بهم عذاب الله قالوا: آمنا بالله - وحده - وكفرنا بما أشركنا به، ولكنهم آمنوا بعد فوات الاوان «فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا» وتلك سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وعند نزول العذاب خسر هنالك الكافرون.

١ - ج، م: حرفان من حروف الهجاء بدئت بها السورة - على طريقة القرآن في بعض السور - للإشارة إلى أن القرآن من جنس كلامهم، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله.

٢، ٣ - تنزيل القرآن من الله القوى الغالب، المحيط علمه بكل شيء، وقابل التوبة من التائبين، شديد العقاب، صاحب الإتمام، لا معبود بحق ألا هو، إليه - وحده - المرجع والمآل.

٤ - ما يمارى في آيات الله الدالة على الا الذين كفروا، فلا يحدك تنقلهم في البلاد بتيسير الله شئونهم مع كفرهم.

كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِسْرَافِيلَ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذَهُ ۖ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفِيهِمُ السَّيِّغَاتُ وَمَنْ فِي السَّيِّغَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَادَعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَكُفُّوا عَنْهُمْ قَالُوا رَبَّنَا أُنزِلْ

٥ - كذبت قبل هؤلاء المشركين قوم نوح والمجتمعون على معاداة الرسل من بعد قومه، وحرصت على إيقاع الشر برسولهم ليأخذوه بالباطل، وقاتروا في الباطل الذي لا حقيقة له، ليزيلوا بحمدهم الحق الثابت، فأخذتهم بالعذاب المستأصل، فانظر كيف كان عقابي لهم !!

٦ - وكما حقت كلمة العذاب على الأمم التي كذبت أنبياءها، حقت كلمة ربك على الكافرين بك - يا محمد - لأنهم أصحاب النار، لا خيارهم الكفر على الإيمان.

٧ - الذين يحملون العرش من الملائكة، والحيطون به، يثرون مالك أمرهم ويريهم عن كل نقص تنزهنا مقترنا بالثناء عليه، ويؤمنون به ويطلبون المفسرة للمؤمنين قائلين: ربنا وسعت رحمتك كل شيء، وأحاط علمك بكل شيء، فاصنع عن سيئات الذين رجوا إليك واتبعوا طريقك، وجنهم عذاب الجحيم.

٨ - ويقول هؤلاء الملائكة: ربنا وأدخل المؤمنين جنات الإقامة التي وعدتهم بها على لسان رسلك، وأدخل معهم الصالحين من الآباء والأزواج والنرية، انك أنت - وحدك - الغالب الذي لا يقلب، الحكيم الذي لا يخطئ.

٩ - ويقولون في دعائهم: جنب المؤمنين جزاء سيئاتهم، ومن جنبته جزاء سيئاته يوم الجزاء فقد رحمتهم بفضلك، والوقاية من جزاء السيئات هو الظفر البالغ العظم.

١٠ - ان الذين كفروا يتنادون: لكرهة الله وبفضه لكم أكبر من كراهتكم أنفسكم التي أوردتكم موارد العذاب، حين كنتم تدعون إلى الإيمان مرة بعد مرة فتسارعون إلى الكفر.

اَلَّذِيْنَ رَاٰ حَيَاتِنَا اَلَّتَيْنِ فَاَعْرَفَنَا بِذُنُوبِنَا قَهْلَ اِلَىٰ مُخْرُجٍ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذٰلِكُمْ يَآئِدُكُمْ اِذَا دُعِيَ اللّٰهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلَٰن يَسْرَكَ بِهِ تَوَلَّيْتُمْ ﴿١٢﴾ فَالْحَكْرَ لََّ الْعِلْمُ الْكَبِيْرُ ﴿١٣﴾ هُوَ الَّذِيْ يَرْيِكُمْ اَيَّ يَدٍ يَّأْتِيْهِ وَيَنْزِلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَسْتَكْزِرُ اِلَّا مَن يَنْبِغُ ﴿١٤﴾ فَادْعُوا اللّٰهَ مُخْلِصِيْنَ لَّهٗ الدِّيْنَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ ﴿١٥﴾ رَفِيعَ الدَّرَجٰتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوْحَ مِّنْ اَمْرِهِ عَلٰى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٦﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُوْنَ لَا يَخُوْنَ عَلٰى اللّٰهِ مِنْهُمْ مِّنْ شَيْءٍ لِّمَنَ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ۖ اللّٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٧﴾ الْيَوْمَ يُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ اِنَّ اللّٰهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ ﴿١٨﴾ وَاَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ اِذِ الْقُلُوْبُ لَدٰى الْحَنَارِ كَظٰطِيْمٍ ۖ مَا لِلظَّالِمِيْنَ مِنْ حِمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٩﴾ يَعْلَمُ حَآيَةَ الْاَعْيٰنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُوْرُ ﴿٢٠﴾ وَاللّٰهُ يَقْضِي الْخَبْرَ وَالَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ

١١ - قال الكافرون : ربنا أمتنا موتين : موة من حياتنا الدنيا ، وموة من حياتنا في البرزخ (١) ، وأحييتنا مرتين : مرة هى حياتنا الدنيا ، ومرة أخرى بالبعث من القبور ، فهل إلى خروجنا من العذاب من طريق .

١٢ - ذلكم العذاب الذى أنتم فيه ، لأن شأنكم في الدنيا إذا دعى الله - وحده - كفرتم وإن يشرك به غيره تؤمنوا ، وإذا كان هذا شأنكم فقد استحققتكم جزاء شرككم ، فالحكم لله العلى الكبير الذى يجازى من كفر بما يستحقه .

١٣ - الله الذى يريكم دلائل قدرته ، فينزل لمصالحكم من السماء ماء يكون سبب رزقكم وما يتصل بهذا إلا من يرجع إلى التفكير في آيات الله .

١٤ - فاعبدوا الله مخلصين له العبادة ، ولو أبغض الكافرون عبادتكم وإخلاصكم .

١٥ ، ١٦ - الله عالى المقامات ، صاحب العرش ، ينزل الوحي من قضائه وأمره على من اصطفاه من عباده ، ليخوف الناس عاقبة مخالفة المرسلين يوم التقاء الخلق أجمعين : يوم الحساب الذى يظهر فيه الناس واضحين ، لا يخفى على الله من أمرهم شيء ، يتسامعون نداء ربهيا : لمن الملك اليوم ؟ وجوابا حاسما : لله الواحد المتفرد بالحكم بين عباده ، البالغ القهر لهم .

١٧ - اليوم تجزى كل نفس بما فعلت ، لا ظلم اليوم ينقص أجر أو زيادة عقاب ، إن الله سريع حسابه فلا يتأخر عن وقته .

١٨ - وخوفهم - يا محمد - يوم القيامة القريبة ، حين تكون القلوب عند المناجر من شدة الخوف ، تمتلئين غيظا لا يستطيعون التعبير عنه ، ليس للظالمين أنفسهم بالكفر قريب ولا شفيع يطاع في أمرهم .

١٩ - وهو - سبحانه - يعلم النظرة الحائلة للعين ، وما تخفيه الصدور من المكتونات .

(١) وقد يدل على حياة البرزخ - التى هى حياة خاصة لا تعلم كلها - ما ذكره الله تعالى في قوله عن آل فرعون « النار يمرسون عليها غدوا وعشيا ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » وقوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ، بل أسياء عند ربهم يبرزون » .

دُونَهُ لَا يَقْضُونَ بَشَيْءًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارًا فِي الْأَرْضِ فَاحْذَرُهُمْ إِنَّهُمْ يُدَبِّرُونَ مَا كَانَ مِنْ اللَّهِ
مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُم قَوْمٌ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَوْمِهِمْ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنَِّّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُثْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَبُّهُمُ لِمَنْ مِّنَ آلِ

٢٠ - والله يحكم بالعدل، والشركاء الذين يدعونهم من دون الله لا يمكنون بشيء لموجهم، إن الله - وحده -
والهيب بكل ما يسمع ويصير.

٢١ - أقعد المشركون ولم يسيروا في الأرض، فغيروا كيف كان حال الأمم الذين كانوا من قبلهم ١؟ كانوا
هم - أشد منهم قدرة وأناراً في الأرض، فاستأصلهم الله بذنوبهم وليس لهم من الله حافظ يعظفهم من عقابه.

٢٢ - ذلك العذاب الذي نزل بهم، لأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالأدلة الواضحات فجحدوها، فمجدل الله
بذانيهم للمستأصل، أنه ذو قوة عظيمة، بالغ الشدة في العذاب.

٢٣، ٢٤ - أقسم : لقد أرسلنا موسى بمعجزاتنا وبرهان ذي سلطان واضح إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا :
هو ساحر بما جاء من المعجزات، مبالغ في الكذب لدعواه أنه رسول من ربه.

٢٥ - فلما أتاهم موسى بالحق من عندنا قال فرعون ومن معه لاتباعهم : اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واتركوا
نساءهم أحياء، وليس مكر الكافرين إلا ذلها في متاعه وضياح.

٢٦ - وقال فرعون : دعوني أقتل موسى وليدع ربه لينقذه مني، إلى أخشى أن يغير دينكم - يا قوم - أو أن
يشيح في الأرض الفتن.

٢٧ - وقال موسى لفرعون وقومه : اني تحصنت بما لك أرى الذي رباني، ومالك أمركم ومريكم بنعمه
واحسانه، من كل متفطر متعال لا يؤمن بيوم الحساب.

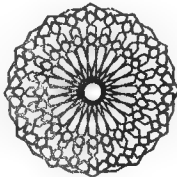
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِعْنَتَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾ يَقُومُ لَكُمْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَصْعَدُنَا مِنْ بَنِي اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنَ يَقُومُ إِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قُورِمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمَ لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقُومُ إِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ

٢٨ - وقال رجل مؤمن من أهل فرعون يخفي إيمانه - مخاطباً قومه - : أتقتلون رجلاً بالقتل لأنه يقول : محبوبى الله ، وقد جاءكم بالآدلة الواضحات من مالك أمركم ومريكم ، وإن يكن كاذباً في دعواه فعليه - وحده - وبال كذبه ، وإن يكن صادقاً ينزل بكم بعض الذى يخوفكم به من العذاب ، إن الله لا يوفق إلى طريق النجاة من هو مجاوز الحد مبالغ في الكذب .

٢٩ - يا قومى : لكم الملك اليوم عالين في أرض مصر دون غيركم . فمن ينقذنا من عذاب الله إن جئنا ؟ قال فرعون : ما أظهر لكم من الرأى إلا الذى أعتقد ، وما أرشدكم بهذا الرأى إلا طريق الهداية .

٣٠ ، ٣١ - وقال الرجل الذى آمن من آل فرعون : يا قوم انى أخشى عليكم يوماً مثل يوم الاقوام المتحزبين على رسلهم ، مثل عادة قوم نوح وعاد وثمود والاقوام الذين من بعدهم ، وما الله يشاء ظلاً لعباده .

٣٢ ، ٣٣ - يا قوم : انى أخاف عليكم يوم تصابح الخلق بعضهم على بعض ، يوم تفرون مدبرين ، ليس لكم من الله من مانع ، ومن يضلله الله - لعلبه أنه يختار الضلالة على الهدى - فما له من مرشد يهديه .



مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَلَازِمٌ فِي شَكٍّ مَّا جَاءَهُمْ بِهِ حَقٌّ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي أَيَاتِ اللَّهِ بَغِيرَ مُلْكِنَ أَنْتَهُمْ كَبُرَ مَقْعَدُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْلِكُنِ ابْنِي لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعْ إِلَيَّ إِنَّهُ مُوسَى وَلِي لَأُظَنَّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُومُونَ أَهَذَا سَبِيلُ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقُومُ إِنَّمَا هِيَ الْخَيْرَةُ الَّتِي مَنَعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ * وَيَقُومُ مَا لِي أَدْعُوكَ إِلَى النُّجُودِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِ الْغَفْلَةِ ﴿٤٢﴾ إِنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ

٣٤ - أقسم : لقد أتاكم يوسف من قبل موسى بالآيات الواضحات ، فإزلف في شك مما أتاكم به ، حتى إذا مات قلتم : لن يرسل الله من بعد يوسف رسولاً ، مثل هذا الإضلال الشنيع يضل الله من هو بجاور الحد ، كثير الشك والارتباب .

٣٥ - الذين يجادلون في آيات الله بغير برهان جامعهم ، كبر كرها وسخطا عند الله وعند المؤمنين ما انطبعوا عليه من الجدل ، مثل هذا الحتم يحتم الله على كل قلب متعال على الحق ، متسلط على الناس .

٣٦ ، ٣٧ - وقال فرعون : يا هامان ابن لي بناءً عالياً رجاء أن أبلغ السالك .. مسالك السموات فأرى إله موسى ، واتى لظنه كاذبا في دعوى الرسالة ، ومثل هذا التزيم الباطل زين لفرعون سوء عمله حتى رآه حسناً ، ومنع عن سبيل الحق لاختياره سبيل الضلالة ، وليس مكر فرعون إلا في خسار عظيم .

٣٨ - وقال الذي آمن من قوم فرعون : يا قوم اقتلوا بي أرشدكم طريق الصلاح .

٣٩ - يا قوم : ما هذه الحياة الدنيا الا كمتاع الراكب يفتى بسرعة ، وإن الدار الآخرة هي - وحدها - دار الاستقرار .

٤٠ - من عمل سيئة في الدنيا فلا يجازى عليها في الآخرة الا مثلاً ، ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها رزقاً غير مقدر بحساب الحسنين .

٤١ ، ٤٢ - يا قوم : أي شيء لي ، أدعوكم إلى أسباب النجاة وتدعوني إلى النار ؟ تدعوني إلى الكفر بالله وأشارك من لا علم له به ، وأنا إدعوكم إلى القوى الذي لا يقبل ، الكثير للمغفرة للذنوب .

وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَكُونُ مِمَّنْ أَمَرْتُ لَكُمْ وَأَقُولُ لَكُمْ وَأَقُولُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾
فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا كُفِّرُوا وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ
تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يُحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا قَهَلْ أَنْتُمْ مُقْتَنُونَ عَنَّا نَصِيحًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَرَ بَيْنَ
الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ
تَدْعُنَا إِلَى الْبَيْتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاتُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْلَمَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ

٤٣ - لا محالة أن الاله الذي تدعونني إلى عبادته ليس له دعوة يستجيبها في الدنيا ولا في الآخرة ، وأن مرجعنا إلى الله ، وأن المجاوزين الحدود هم أهل النار لا المؤمنين المعتدلين .

٤٤ - فستعلمون صدق ما قلته لكم ، وأكل أمرى إلى الله ، إن الله محيط بصره بالعباد فيجازهم على أعمالهم .

٤٥ ، ٤٦ - فرق الله مؤمن آل فرعون شذائذ مكرمهم وأحاط بأل فرعون العذاب السوء ، النار يدخلونها صباحا ومساء ، هذا في الدنيا وهم في الدنيا وهم في عالم البرزخ ، ويوم القيامة يقول الله تعالى : ادخلوا قوم فرعون أشد أنواع العذاب .

٤٧ - واذكر لهم - يا محمد - حين يتخاصم أهل النار فيها ، فيقول الضعفاء - وهم الاتباع - للمستكبرين - وهم الرؤساء - : انا كنا لكم في الدنيا تبعاً ، فهل أنتم حاملون عنا جزءاً من عذاب النار ؟ .

٤٨ - قال المستكبرون : اننا كلنا فيها نحن وأنتم ، إن الله فصل بالحق بين العباد ، فكل منا ما قضاه عليه من العذاب .

٤٩ - وقال الذين في النار من الضعفاء والكبراء لحفظة جهنم - متوسلين إليهم - ادعوا أهلكم يخفف عنا يوماً من العذاب تستروح فيه .

٥٠ - قال خزنة جهنم لهم - مويحيى - : ألم تنتهبوا إلى ما نزل بكم وكانت تحييتكم الرسائل بالراهمين الواضحات ؟ قال أهل جهنم :

بل جاءتنا الرسائل فكذبناها . قال الخزنة : فإذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم ، وما دعاء الجاحدين إلا في ضياع .

٥١ - انا لننصر رسلنا والمؤمنين في الحياة الدنيا بالانتقام من أعدائهم وإقامة المحجة عليهم ، وفي يوم القيامة يوم يقوم الشهود يشهدون للرسول بالتبليغ ، ويشهدون على الكفرة بالكذب .

سُوءَ الدَّارِ ⑤ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدًى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ⑥ هُدًى وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ⑦ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ⑧ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ⑨ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ⑩ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مِمَّا تَدْعُونَ ⑪ إِنْ السَّاعَةُ لَأَتِيَةٌ لَا رَيبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ⑫ وَقَالَ رَبُّكَ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ⑬ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُوْ فَضْلٍ عَلَى

٥٢ - يوم لا ينفع الظالمين اعتذارهم عما فرط منهم في الدنيا، ولم الطرد من الرحمة، ولم سوء الدار.
٥٣، ٥٤ - أقسم لقد آتينا موسى ما يمتد به إلى الحق، وأورثنا بني إسرائيل التوراة هادية ومذكرة لأصحاب العقول السليمة.

٥٥ - إذا عرفت ما قصصناه عليك فاصبر - يا محمد - على ما ينالك من أنى، إن وعد الله بنصر المؤمنين حق لا يتخلف، وأطلب المغفرة من ربك لما قد بعد ذنبا بالنسبة إليك، ونزه ربك عن النقائص تنزهاً مقترناً بالثناء عليه أواخر النهار وأوائله.

٥٦ - إن الذين يارون في دلائل الله بغير حجة جاءتهم منه - تعالى - ليس في صدورهم إلا تعال عن اتباع الحق، وليس تعاليمهم يؤصلهم إلى غايتهم. فاطلب الحفظ من الله، انه هو المحيط بسمه وبصره وكل شيء.

٥٧ - أقسم: خلق السموات والأرض أعظم من خلق الناس، لكن أكثر الناس سلبوا العلم، فلم يؤمنوا بالبعث مع اقترانهم بأنه خالق السموات والأرض.

٥٨ - وما يستوى الأعشى عن الحق والبصير العارف به، ولا يستوى المحسنون الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمسيء في عقيدته وعمله، قليلاً - أى قليل - تذكرون أيها الناس.

٥٩ - إن القيامة لأتية لا شك فيها، ولكن أكثر الناس لا يصدقون.

٦٠ - وقال خالقكم ومالك أمركم: أسألوني أعطكم، إن الذين يتماطلون عن دعائى سيدخلون جهنم أدلاء صاغرين.

النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَكَرَ اللَّهُ رَبُّكَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنَ يُؤَفَّكَونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤَفَّكُ الَّذِينَ كَانُوا يُعَٰبِتُونَ اللَّهَ بِمُحَدِّثِينَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُم فَآَحَسَنُ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴿٦٤﴾ ذَكَرَ اللَّهُ رَبُّكَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ * قُلْ إِنِّي نَبِيٌّ أَن أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخَرِّجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِيَکُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَّنْ يَمُوتُ مِن قَبْلٍ وَلَنَبْلُغُوا

٦١ - الله - وحده - الذى جعل لكم الليل لتهادوا فيه وتسترهبوا من العمل ، والنهار مضى لتصلوا فيه ، ان الله لصاحب فضل عظيم على الناس ، ولكن أكثرهم لا يشكروه على نعمه .

٦٢ - ذلكم المنعم بهذه النعم الجليلة الله مالك أمرکم ، خالق كل شيء ، لا معبود بحق إلا هو فالى أى جهة تصفون عن عبادته إلى عبادة غيره ؟

٦٣ - مثل هذا الانصراف عن الحق إلى الباطل انصرف الذين كانوا من قبلکم ينكرون آیات الله ويعبدونها .

٦٤ - الله - وحده - الذى جعل لكم الأرض مستقرة صالحة لحياتکم عليها ، والسماء بناء محکم الترابط ، وقدر خلقکم فأبدع صورکم ، وجعلکم فى أحسن تقويم ، ورزقکم من المباحات ما يلدکم ، ذلك المنعم بهذه النعم الله ربکم ، فتعالى الله مالك العوالم كلها وبربهم .

٦٥ - هو المنفرد بالحياة الدائمة ، لا معبود بحق إلا هو ، فتوجهوا بالدعاء إليه مخلصين له العبادة . التناء كله حق ثابت لله رب المخلوق جميعا .

٦٦ - قل - أيا الرسول - : إني نبيت عن عبادة الآلهة التى تعبدونها من دون الله . حين جفادى المصبح من ربي ، وأمرت أن أنقاد فى كل أمورى لله رب العوالم كلها .



أَجْلَامُكُمْ وَلَكُمْ تَعْلُونَ ﴿٧٠﴾ هُوَ الَّذِي يُخَوِّعُ وَيَكْتُمُ فَاِذَا فَعَّصَ امْرَءًا قَالَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٧١﴾ اَلَّذِي يَنْهَى الْمَرْءَ عَنِ اٰتِىَاتِ اٰلِهٖ اَنۡ يُّصْرَفُوۡنَ ﴿٧٢﴾ الَّذِيۡنَ كَذَّبُوۡا بِالْكِتٰبِ وَاِذَاۤ اُرْسِلَۤا بِهٖ رُسُلُنَا فَمَوْفٍ يَعْلَمُوۡنَ ﴿٧٣﴾ اِذَاۤ اَلْعُلُلُ فِيۡ اَعْنَاقِهِمۡ وَالسَّلٰسِلُ يُسْحَبُوۡنَ ﴿٧٤﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُوۡنَ ﴿٧٥﴾ ثُمَّ يَخْلَوۡنَ فِيۡهَا مِنْۢ مَّا كُنْتُمْ تُشْرِكُوۡنَ ﴿٧٦﴾ مِنْ دُوۡنِ اَللّٰهِ قَالُوۡا ضَلُّوۡا عَنَّا بَلۡ لَّزَكُنۡنَا دَعْوَا مِنْ قَبْلُ شَيْعًا كَذٰلِكَ يُضِلُّ اَللّٰهُ الْكَافِرِيۡنَ ﴿٧٧﴾ ذٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُوۡنَ فِي الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَاِذَا كُنْتُمْ تُفْرَحُوۡنَ اَدْخَلُوۡا اَبْوَابَ جَهَنَّمَ خٰلِدِيۡنَ فِيۡهَا فَيَسَّ مَوۡىِ الْمُتَكَبِّرِيۡنَ ﴿٧٨﴾ فَاَصْبِرْ اِنَّ وَعْدَ اَللّٰهِ حَقٌّ فَلَمَّا يُرْسَنَۤا بَعْضَ الَّذِيۡ نَعِدُهُمْ

٦٧ - الله - وحده - الذى خلقكم - يا بنى آدم - من تراب ، ثم حول من هذا التراب نطفة ، ثم حول هذه النطفة إلى قطعة دم جامدة ، ثم يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً ، ثم يد في أجالكم لتبلغوا سن الكمال في القوة والعقل ، ثم يطيل أعماركم لتكونوا شيوخاً ، ومنكم من يتوفى قبل سن الشباب أو الشيخوخة ، وخلقكم الله على هذا الخط لتبلغوا وقتاً مسمى عنده وهو يوم البعث ، ولكي تغفلوا ما في هذا التنقل في الأطوار من حكم وعبر (١) .

٦٨ - الله الذى يحيى ويميت ، فإذا أراد إيراد أمر إلى الوجود فلما يقول له : كن ، فيكون حينئذ مخلق .

٦٩ - ألم تنظر إلى الذين يجادلون في آيات الله الواضحة ، كيف يصرفون عن النظر فيها ويصرفون على ما هم فيه من ضلال .

٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ - الذين كذبوا بالقرآن وبما أرسلنا به رسلنا - جميعاً - من الوحي ، فسوف يعلمون عاقبة تكذيبهم حين تكون الأغلال والسلاسل في أعناقهم ، يجرّون بها في الماء الذى بلغ الغاية في الحرارة ، ثم بعد ذلك يلقون في النار يصفطون حرها ، ثم يقال لهم - توبيخاً وتبكيتاً - : أين مصوداتكم التى كنتم تميدونها من دون الله ؟ قال الكافرون : غايروا عنا ، بل الحق أننا لم نكن نعبد من قبل في الدنيا شيئاً يعتد به ، مثل هذا الإضلال الشنيع يضلل الله الكافرين عن سبيل الحق لعلهم أنهم يؤثرون الضلالة على الهدى .

٧٥ ، ٧٦ - يقال للكافرين : ذلكم العذاب يسبب ما كنتم في الدنيا تفرحون في الأرض بغير ما يستحق الفرح ، ويسبب توسعكم في الفرح بما يصيب أنبياء الله وأوليائه من أذى ، ادخلوا أبواب جهنم مقدرًا لكم فيها المخلود ، فيس مسقراً المتكبرين جهنم .

(١) « هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة .. الخ » .

التعليق على النطفة والعلق والصفحة الآيات ٧ ، ٨ ، ٩ السجدة ١٢ ، ١٣ ، ١٤ المؤمن ، ٦٧ غافر ٥ الحج .

النطفة في اللغة : تطلق على مكان منها متى الرجل .

وبالرجوع إلى الآية الكريمة (ألم يك نطفة من ماء نبي) تبين أن المقصود بالنطفة جزء خاص من هذا المني . وقد كشف العلم عن المقصود بهذا الجزء وهو الحيوان المنوي الذى يحصل السائل المنوي وهذا الحيوان هو الذى يلقح بويضة الأنثى .

أَوْ تَوَفِّيكَ ۖ إِنَّا بِرِجْوَكَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِّنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصِصْ عَلَيْكَ ۚ وَمَا كَانَ لِرُّسُلٍ أَن يَأْتِيَ بِعَلِيَّةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَفُتِحَ يَاسْرَتِي ۚ وَخَصِرُ مَنَاكَ الْمُطْلُونِ ۝ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝ وَيُرِيدُكَ آيَاتِهِ ۚ فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ۝ أَقْلَمُ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ قَسَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ

٧٧ - فاصبر - يا محمد - ان وعد الله لك - بعذاب أعدائك - حتى لا ريب فيه ، وسيأتيهم هذا العذاب اما في حياتك أو حين يرجعون إلينا ، فإن ترك بعض ما خوفناهم من العذاب في حياتك فذاك ، وان تمك قبل ذلك فالينا يرجعون ، فتحاسبهم على ما كانوا يفعلون .

٧٨ - وأقسم : لقد أرسنا رسلا كثيرين من قبلك ، منهم من أوردنا أخبارهم عليك ومنهم من لم نرد عليك أخبارهم . وما كان لرسول منهم أن يأتي بمسحرة إلا بحسنة الله وإرادته ، لا من تلقاء نفسه ولا باقتراح قومه ، فإذا جاء أمر الله بالعذاب في الدنيا أو الآخرة قضى بينهم بالعدل ، وغرر في ذلك الوقت أهل الباطل .

٧٩ - الله الذي ذلل لكم الإبل ، لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها .

٨٠ - ولكم فيها منافع كثيرة غير الركوب والأكل ، ولتبلغوا عليها حاجة تهتمون بها في أنفسكم ، كجسر الأثقال وحملها ونحو ذلك . وعلى الإبل التي هي نوع من الأنعام ، وعلى الفلك تحملون أنتم وأمتعتكم .

٨١ - ويريدكم الله دلائل قدرته فأخبروني أي دليل منها تنكرون ، وهي من الواضح بحيث لا ينكرها من له أدنى عقل ؟

٨٢ - أقصدوا فلم يسيروا في الأرض فبهروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الهلاك والتدمير ؟ كان من قبلهم أكثر منهم عددا وأشد منهم قوة وأثارا في الأرض ، فادفع عنهم عذاب الله ما كسبوه من مال أو قوة أو سلطان

العلقة : من معانيها في اللغة الدم الجاهد أو السائل أو الذي اشتدت حرته . . والمراد بها علما خلايا الجنين التي تلتق بجدار الرحم بعد طرد تلقح الحيوان للثدي للبريضة وصيرورتها خلية واحدة تنقسم إلى عدة خلايا وتتكاثر وتتحرك نحو جدار الرحم وتنتب وتشتبط بحده زيقا من الدم عليها .

الضفة : هي الجنين في طور من أطوار تكويره . يلو العلقه بعد التصاقها بجدار الرحم واستدارتها بغير انتظام واسطائها بأغشية . حيث تبق الضفة كذلك بضعة أسابيع حتى يبدأ تكوين العظام . واللضفة تحتوي على خلايا مختلفة وهي التي يتكون منها الجنين ، وعلى خلايا غير علقية وهي التي تحيط بالجزيء الخلق ووظيفتها رعايته وإمداده بالغذاء .

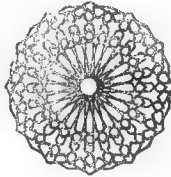
العظام : أثبت علم الأجنة أخيرا أن مراكز تكوين العظام تظهر في الطبقة المتوسطة من خلايا اللضفة العلقية في مرحلة مسابقة تيز الخلايا الضفلية .

مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرْنَا لَكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

٨٣ - فعين جاءت هذه الأمم رسُلهم بالسرائع والمعجزات الواضحات فرحت هذه الأمم بما عندهم من علوم الدنيا، واستهزءوا بعلم المرسلين، ففزل بهم العذاب الذي أخبرهم به المرسلون وكانوا به يستهزئون.

٨٤ - فلما رأَت هذه الأمم شدة عذابنا قالوا: صدقنا بالله - وحده - وأنكرنا الآلهة التي كنا بسببها مشركين.

٨٥ - فلم يكن ينفعهم إيمانهم حين رأوا شدة عذابنا، سن الله سنة قد سبقت في عبادته ألا يقبل الإيمان حين نزول العذاب، وخسر وقت نزول العذاب الكافرون.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كَتَبَ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝

افتتحت هذه السورة بحرفين من حروف المعجم على طريقة القرآن الكريم في كثير من السور، وقد نوهت هذه السورة في كثير من آياتها بشأن القرآن الكريم وما اشتمل عليه من بشارة وإنذار، وبينت موقف المشركين منه، من الإعراض عنه ومحاربة دعوته، وموقف الرسول منهم من الثبات على دعوته وقوله لهم: «إنا أنا بشر مثلكم يوحى إلينا إلهاكم إله واحد، فاستقيموا إليه واستغفروه» وتأخذ السورة في تذكير المشركين بآيات قدرة الله - تعالى - في خلق السموات والأرض ثم تحذوهم بما وقع لأقرب الأمم إلى ديارهم عاد وثمود، وتذكرهم باليوم الآخر يوم يشهد عليهم جميعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون، وما يكون بينهم وبين أعضائهم من المصادلة يومئذ، وما يدعو به الاتباع يوم القيامة: «ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلها تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين». وكما هي سنة الله في هذا الكتاب أنه إذا تحدث عن الكافرين تحدث عن المؤمنين، فقد تحدثت السورة عن الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا، وما أعد لهم من نعم مقب، وعقدت المقارنة بين الخير والشر: «ولا تسترى الحسنة ولا السيئة».

ثم تنتقل السور فتلقت الأنظار إلى آيات قدرة الله - تعالى - الدالة على إمكان البعث وإحياء الموتى. ثم تعود مرة أخرى - إلى تشديد التذكير على العرفين لآيات الله وأنهم لا يخفون على الله، وأن هذا الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وأن رسالة محمد ليست بدعا من الرسالات.

وتقرر السورة خلقا من أخلاق الإنسان أنه إذا أنعم الله عليه أعرض عن الحق، وإذا صبه الشر فذو دعاء عريض.

وغثمت السورة بتقرير أمرين هما أهم ما اشتملت عليه من الأغراض، أولها: التنويه بالقرآن الكريم وما اشتمل عليه من الحق الذي لا ريب فيه: «سنرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق». ولانيها: أن ما عليه الكافرون ما هو إلا شك في البعث حملهم على الكفر والضلال: «ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم، ألا إنه بكل شيء محيط».

١ - حرفان من حروف المعجم افتتحت بهما السورة - كمادة القرآن في افتتاح كثير من السور - لإثارة الانتباه والتدليل على اعجاز القرآن.

٢ - هذا الكتاب تنزيل بديع من النعم بجلال النعم ودقاتها.

٣ - كتاب ميزت آياته لفظا ومقاطع، ومعنى يتميزه بين الحق والباطل، والبشارة والإنذار، وتهذيب النفوس، وضرب الأمثال، وبيان الأحكام، وهو مقروء باللسان المرى مسيرا فهمه لقرم بطون.

بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ رَفِقَةً أَتَأْنِيْنَا وَقُرْآنًا مِّبْنًا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُهُمْ كُنُوزًا ﴿٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ۗ وَرَبِّ لَلْمُشْرِكِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٥﴾ * قُلْ أَنْتُمْ تُتْلَكُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَأَنَّ لَكُمْ فِي هَٰذَا مَا تَدْرِكُونَ ۚ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُجُومًا مِّنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِيْ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ ثُمَّ أَسْرَجْنَا لَكَ السَّمَاءَ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَتَبَايَعُ طَرَفًا

٤ - مبشرا المؤمنين العاملين بما أعد لهم من نعم ، وخوفا المكذبين بما أعد لهم من عذاب أليم ، فانصرف عنه أكثرهم ، فلم ينتظروا به ، كأنهم لم يسمعوا .

٥ - وقال الكافرون للرسول - ﷺ : قلوبنا في أغشية متكافئة مما تدعوننا إليه من توحيد الله ، وفي آذاننا صمم فلا نسمع ما تدعوننا إليه ، ومن بيننا وبينك حجاب يمنع يمننا من قبول ما جئت به ، فاعمل ما شئت إننا عاملون ما شئنا .

٦ ، ٧ - قل لهم - أيها الرسول - : ما أنا إلا بشر مثلكم يوحى إلى من الله إنما ميعودكم الحق إلى واحد ، فاسلكوا إليه الطريق الصحيح ، واطلبوا منه المغفرة لذنوبكم ، وعذاب شديد للمشركين الذين لا يؤدون الزكاة إلى مستحقها ، وهم بالحياة الآخرة - دين غيرهم - جاحدون .

٨ - إن المؤمنين الذين عملوا الصالحات لهم جزاء حسن غير مقطوع .

٩ - قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين : عجايب لكم ، تكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين ، وأنتم - مع هذا - تجعلون له شركاء متساوين معه ، ذلك الخالق للأرض مالك العوالم كلها وربيهم ^(١) .

١٠ - وجعل في الأرض جيالا ثابته من فوقها للتلاقي بكم ، وأكثر فيها الخير وقدر فيها أرزاق أهلها ، حسباً تقتضيه حكمته ، في أربعة أيام ، وأنتم - مع هذا - تجعلون له شركاء ، وقدر كل شيء - لا نفس فيه ولا زيادة ، هذا التفصيل في خلق الأرض وما عليها بيان للسائلين .

(١) ذكر اليوم والأيام في سورة أخرى ، فكل سورة للمع الآية (٤٧) قال تعالى : « وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » وفي سورة السجدة الآية (٥) قال تعالى : « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يصرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » وفي سورة المارج الآية (٤) قال تعالى : « تخرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » .

التعليق العلمي : وساعت الزمن التي يستغرقها الناس مرتبطة بالأرض ودورانها حول محورها وحول الشمس . فلذا ما غادر أحد الأرض إلى جرم سماوي انخلقت هذه الوحدات طولا أو قصرا . والآيات الكريمة تشير إلى هذه الحقيقة العلمية وإلى أن الزمن نسبي . ولا شك في أن هناك سنوات فلكية تنسب يمكن التفرقة بينها ، فالسنة الشمسية على الأرض بحسب مقدار الزمن الذي تقطع فيه الأرض دورة كاملة حول الشمس في نحو ٣٦٥ يوما شمسية على حين أن السيارات القريبة من الشمس مثل عطارد يقطع دورته حول الشمس في ٨٨ يوما ، وعلى حين أن بلوتو وهو أبعد الكواكب السيارة في الشمس وأبطرها يتم دورته حولها في ٢٤٠ سنة من سنواتنا

أَوْ كَرَّمًا^{١١} قَالَتَا أَتَيْنَا طَارِعِينَ^{١٢} فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَلَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا^{١٣} وَرَبَّنَا
السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوعٍ وَحَفَظًا^{١٤} ذَلِكَ تَقْدِيرَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ^{١٥} فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَذَرْتُمْ كُرْسِيَّ صَلَافَةِ
مِثْلِ صَلَافَةِ عَادَ وَثَمُودَ^{١٦} إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ
شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ^{١٧} فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ
أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِعَيْنِنَا لَمَّا جَعَلْنَاهُمْ^{١٨} قَارِئِينَ
عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدْفِقَهُمْ عَذَابُ الْغَزْزِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَثَرٌ^{١٩}
وَهُمْ لَا يَتَصَرَّوْنَ^{٢٠} وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخْلَقْنَاهُمْ صَلَافَةَ الْعَذَابِ الْمُمُونِ

١١ - ثم تملت قدرته بخلق السماء وهي على هيئة دخان فوجدت ، وخلقته للسماوات والأرض - على وفق
أرادته - حين عليه بمنزلة ما يقال للشئ : احضر - راضيا أو كارهيا - فيطيع .

١٢ - وأنتم خلق السماوات سبعا في يومين آخرين ، وأوجد في كل سماء ما أعدت له واقتضته حكمته ، وزين
السماء القريبة من الأرض بالنجوم المنيرة كالصايغ ، للهداية من استغاث الشياطين لأخبار الملأ الأعلى ، ذلك المخلق
المتفنن تدبير العزيز الذي لا يخطئ ، المحيط علمه بكل شئ .

١٣ - فلئن أعرض المشركون عن الإيمان بعد وضوح دلائله فقل لهم - أيها الرسول - : خوفكم عذابا شديدا
الواقع كالصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود .

١٤ - أنت عادا وثمود الصاعقة حين أتتهم رسلهم من جميع الجهات ، فلم يدعوا طريقا لإرشادهم إلا سلكوه .
وقالوا لهم : لا تعبدوا إلا الله . قالوا : لو أراد الله إرسال رسول لأنزل إلينا ملائكة ، فإنما بما أُرسلتم به من التوحيد
وغيره جاحدين .

١٥ - فأما عاد فتعالوا في الأرض بغير حق لهم في هذا التعال ، وقالوا - مغترين بأنفسهم - : من أشد منا
قوة ؟ عجباً لهم . يقولون ذلك ولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ١٦ وكانوا بآياتنا ينجرون .

١٦ - فأرسلنا عليهم ريحا ذات صوت شديد في أيام مشؤمات لنذيقهم عذاب الهوان في الحياة الدنيا ،
وأقسم : لعذاب الآخرة أشد خزيا ، وهم لا يتصرون ناصر يومئذ .

يَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجِّنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ اَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ جُلِدْنَا بِمَا كُنَّا نَعْمَلُ لَمْ نَجِدْ لَكُمْ شَهِيدًا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعْتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا فُلْنَاهُمْ نَسْوَءَ فَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا مِنْ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ * وَقَبَضْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُ فَزَيَّنَّا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾

١٧ - وأما نوح فبينما لهم طريق الخير وطريق الشر ، فاختاروا الضلالة على الهدى فأسأبتهم ساعة أحرقتهم في مذلة وهوان ، بسبب ما كسبوا من ذنوب .

١٨ - ونجينا من هذا العذاب الذين آمنوا وكانوا يتقون الله ويخشون عذابه .

١٩ - واذكر لهم - أيها النبي - يوم يحشر أعداء الله إلى النار ، فيجسى أولهم على آخرهم ، لئلا يرام الحجة عليهم بين جميعهم .

٢٠ - حتى إذا ما جامدوا النار وسئلوا عما ارتكبوا من الآثام في الدنيا ، فأنكروا شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا .

٢١ - وقال أعداء الله لجلودهم : لم تشهدتم علينا ؟ قالوا : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ، وهو خلقكم أول مرة من العدم ، وإليه - وحده - ترجعون بعد البعث فيحاسيبكم على ما قدمتم من عمل .

٢٢ - وما كان باستطاعتكم أن تحفروا أعمالكم القبيحة عن جوارحكم مخافة أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم ، ولكن كنتم تظنون أن الله لا يعلم كثيرا من أعمالكم ، بسبب ابتائنا في الخفاء .

٢٣ - وذلك الظن الفاسد الذي ظننتموه بربكم أهلككم ، فأصبحت - يوم القيامة - من الخاسرين أتم خسران .

٢٤ - فإن يكظموه آلهم فالتار مصيرهم ومستقرهم الدائم ، وإن يطلبوا رضاه الله عليهم فاهم ييجأين إلى طلبهم .

٢٥ - وهبأنا لهم قراءه فاسدين - في الدنيا - فحسبوا لهم ما بين أيديهم من أمور الآخرة - فأغروهم بأنه لا بعث ولا حساب - وما خلفهم من أمور الدنيا ليستمتعوا بها ، ونبئت عليهم كلمة العذاب مع أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس ممن كانوا على شاكلتهم ، لاختيارهم الضلالة على الهدى ، ان هؤلاء - جميعا - كانوا من الخاسرين أتم خسران .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْآخِرَةِ جِزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ آذَيْنَا مِنَ الْإِنسِ لِيَجْعَلَ لَهُمَا خِطَابًا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا نَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْبِشُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِالْكِرَامَةِ مِنَ الَّذِينَ أُذِنَتْ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَكِنْ فِيهَا مَا تَشْتَبِهُونَ لَكِنْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزُولُ مِنْ غُفُورٍ رَجِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا

٢٦ - وقال الكفار بعضهم لبعض: لا تصنعوا هذا القرآن، وأتوا باللغو الباطل عند تلاوته فلا يستمع لثلاوته أحد ولا ينتفع به، رجاء أن تغلبوا بهذا الكلام.

٢٧ - فنقسم: لنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا على فعلهم - ولا سيما محاربتهم القرآن - ولنجزينهم أسوأ جزاء على أعمالهم.

٢٨ - ذلك الذي ذكر من العذاب جزاء حق لأعداء الله، النار ممد لهم فيها دار الخلود، جزاء جحودهم المستمر بأيات الله وحججه.

٢٩ - وقال الكافرون - وهم في النار - : ربنا أرنا القرينين الذين أوقعتنا في الضلال من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا، ليكونا من الأسفلين مكانة ومكانا.

٣٠ - إن الذين قالوا: ربنا الله اقراروا بوحدانيته، ثم استفاموا على شريعته، نزل عليهم الملائكة مرة بعد مرة، قائلين: ألا تغفوا من شر ينزل لكم، ولا تحزنوا على خير يفتونكم، وأنشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها على لسان الأنبياء والمرسلين.

٣١، ٣٢ - وتقول لهم الملائكة: نحن نصرأؤكم في الحياة الدنيا بالتأييد وفي الآخرة بالشفاعة والتكريم، ولكم في الآخرة ما تشتهي أنفسكم من الملاذ والطيبات ولكم فيها ما تمنون أكراما ونجاة من رب واسع المغفرة والرحمة.

٣٣ - لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى توحيد الله وطاقته، وعمل - مع ذلك - عملاً صالحاً، وقال - اعترافاً بحقيقته - : إلى من التقادين لأوامر الله.

٣٤ - ولا تستوي الحسنة ولا السيئة القبيحة، ادفع الإساءة - إن جاءتك من عدو - بالحسنة التي هي أحسن منها، فتكون العاقبة العاجلة إن الذي بينك وبينه عدواة كأنه ناصر مظلوم.

ذُو حِطَّةٍ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ
الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَقَالَيْنَ عِنْدَ رَبِّكَ بُسْحُورٌ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْعَمُونَ ﴿٣٨﴾ *
وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ
الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِي يُلْعَدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْقُقُونَ عَلَيْنَا أَقْنِ يَلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ
مَنْ يَأْتِي بِنَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِي كَفَرُوا بِالَّذِي كَرَّمَا جَاءَهُمْ
وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَرَبِيٌّ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ

٣٥ - وما يرزق هذه المخلصة - وهي دفع السيئة بالحسنة - إلا الذين عندهم خلق الصبر ، وما يرزقها
إلا ذو نصيب عظيم من خصال الخير وكمال النفس .

٣٦ - وإن يرسوس لك الشيطان ليصرفك عما أمرت به - أيها المصائب - فتعصن بالله منه ، إن الله هو
المحيط همه وعلمه بكل شيء فيجزيك منه .

٣٧ - ومن دلائل قدرته - تعالى - الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا القمر ، لأنها من
آياته ، واسجدوا لله - وحده - الذي خلق الشمس والقمر والليل والنهار إن كنتم حقا تعبدونه وحده .

٣٨ - فإن تعظم المشركون عن امتثال أمرك فلا تأسف ، فالذين عند ربك في حضرة قدمه - وهم الملائكة -
يأذونه عن كل نقص في كل وقت بالليل والنهار ، مخلصين له ، وهم لا يعلمون من تسيبته ،

٣٩ - ومن دلائل قدرته - تعالى أنك ترى - يا من يستطيع أن يرى - الأرض يابسة فإذا أنزلنا عليها الماء
تحركت بالنبات وانتفضت وزادت ، إن الذي أحيا الأرض بعد موتها لخليق أن يحيي الموتى من الحيوان ، إنه على
كل شيء تام القدرة (١) .

٤٠ - إن الذين يظنون عن الصراط السوى في شأن آياتنا ، ويزيفون عنها تكديبا لها ، لا يفيج عنا أمرهم
وما يقصدون ، وسنجازيم بما يستحقون ، أفن يرمى في النار خير أم من يأتي مطمئنا يوم القيامة إلى نجاة من كل
سوء ؟ قل لهم متوعدا : اعملوا ما أردتم ، إن الله محيط بصره بكل شيء ، فيجازي كلا بعمله .

٤١ ، ٤٢ - إن الذين جحدوا بالقرآن ذى الشأن حين جاءهم - من غير تدبر - سيكون لهم من العذاب
ما لا يدخل تحت تصور أحد ، جحدوه وإنه لكتاب عز نظيره ، يفلب كل من عارضه ، لا يأتيه الباطل الذى
لا أصل له من أية ناحية من نواحيه ، نزل متابعا من الله منزله عن العيب ، محمود كثير الحمد يا أسدى من نعم .

(١) تبين الآية أن عناصر التربة وبركاتها البية عندما يزل عليها ماء المطر تنوب فيه ، فيسهل وصولها إلى بذور النباتات وجذورها ،
حيث تتحول إلى خلايا وأنسجة وأعضاء حية ، وبذلك تنمو حية ، ويزيد حجمها بما يخللها ويملؤها من نبات .

لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَنُورٌ مُنِيرٌ وَذُوعِقَابٍ أَلِيمٌ ٤٣ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَعِجِبِي ۖ وَعَرِجِي ۖ قُلْ هُوَ الَّذِي ءَاتَيْنَا هُدًى وَشَفَاءً ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُبَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ٤٤ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۖ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ٤٥ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ٤٦ * إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمَ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ تَمَرِّكَتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُبْدِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءُى قَالُوا ءَآذَنَّاكَ مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ٤٧ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنَّوْا أَنَّهُم مِّن مَّحْجَرٍ ٤٨ لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَاِ الْغَايِبِ ۚ وَإِن مِّنْهُ الشَّرُّ فَيَبْهَرُونَ

٤٣ - لا يقال لك - يا محمد - من أعدائك إلا ما قيل للرسول من قبلك من أعدائهم من شتم وتكذيب ، إن خالفك ومريبك لنور مغفرة عظيمة وذو عقاب بالغ الألم ، فيفخر لمن تاب منهم ويتنم لك بمن أصر على عناده .

٤٤ - ولو جعلنا القرآن عجمياً - كما اقترح بعض المنتهين - لقالوا متكرين : هلا بينت آياته بلسان نفقهه . أكتاب أعجمي ومخاطب به عربى ؟ قل لهم - أيها الرسول - هو كما نزل للمؤمنين - دون غيرهم - هدى وشفاء للمؤمنين ، ينقذهم من المعرة ، ويشفيهم من الشكوك . والذين لا يؤمنون به كأن في أذانهم - من الاعراض - صمًا ، وهو عليهم عمى ، لأنهم لا يرون منه إلا ما يبتغون به الفتنة ، أولئك الكافرون كمن يدعون إلى الإيمان به من مكان بعيد ، لا يسمعون فيه دعاءه .

٤٥ - أقسم : لقد آتينا موسى التوراة فاختلف فيها قومه ، ولولا قضاء سبق من ربك - يا محمد - أن يؤخر عذاب المكذبين بك إلى أجل يحد عنده لفصل بينك وبينهم باستئصال المكذبين ، وإن كفار قومك لفي شك من القرآن موجب للقلق والاضطراب .

٤٦ - من عمل عملاً صالحاً فأجره لنفسه ، ومن أساء في عمله فإجره على نفسه ، وليس ربك بظلام لعبيده ، فيعاقب أحداً بذنب غيره .

٤٧ - إلى الله - وحده - يرجع علم قيام الساعة ، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها ، وما تحمل من أنثى ولا تضع حملها إلا كان هذا مقدراً بعلمه ، واذكر يوم ينادى الله المشركين - توبيخاً لهم - : أين شركائ الذين كنتم تدعونهم من دوى ؟ قالوا مضنونين : نعلمك - يا الله - ليس منا من يشهد أن لك شريكاً .

٤٨ - وغاب عنهم ما كانوا يعبدونه من قبل من الشركاء ، وأيقنوا أنه لا مهرب لهم .

قَنُوطٌ ۝ وَلَئِنْ أَدْنَيْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مِمَّا سَبَتْ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ
إِلَى رَبِّي لَأَنِّي فِي عِندِهِ لَتَحْسُنُ فَلَنَنْتِفِئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَإِذَا
أَنعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَغْرَضَ وَفًا بِجَانِبِهِ ۚ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذَلُّوا دَعَاوَهُمْ عَرِضٌ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ
عِندِ اللَّهِ تَكْرُمٌ كَفَرْتُمْ بِهِ ۚ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى
يَبْيَنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ
أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطٌ ۝

٤٩ - لا يمل الإنسان من دعاء ربه بالحير الديوى ، فإذا أصابه الشر فهو ذو بأس شديد من الحسير ، ذو
قنوط بالغ من أن يستجيب الله دعاه .

٥٠ - ونقسم : إن أدنأنا الإنسان نعمة - تفضلا منا - من بعد ضر شديد أصابه ليقولن : هذا الذى نلتته من
النعم حق ثابت لى ، وما أظن القيامة آتية ، وأقسم : إن فرض ورجعت إلى ربى أن لى عنده للعاقبة البالغة الحسن ،
ونقسم نحن ، لنجزيين الذين كفروا - يوم القيامة - بعملهم ، ولنذيقنهم من عذاب شديد متراكبا بعضه فوق بعض .

٥١ - وإذا أنعمنا على الإنسان تولى عن شكرنا ، وبعد بجانبه عن ديننا ، وإذا مسه الشر فهو ذو دعاء كثير .

٥٢ - قل لهم - يا محمد : أخبرونى إن كان هذا القرآن من عند الله ثم جعدهم به ، فمن أبعد عن الصواب
من هو فى خلاف بعيد عن الحق ؟

٥٣ - قريبا نرى هؤلاء المتكرين دلائلنا على صدقك فى أقطار السموات والأرض وفى أنفسهم حتى يظهر لهم
أن ما جئت به هو الحق دون غيره ، آنكروا إظهارنا لهم الآيات أول يكف بربك أنه مطلع على كل شئ ١٤

٥٤ - ألا إن هؤلاء الكفار فى شك عظيم من لقاء ربهم لاستبعادهم البعث ، ألا إن الله بكل شئ محيط بعلمه
وقدرته .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمّ ١ عسق ٢ كَذَلِكَ يُرْسِى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

هذه السورة مكية، وعدد آياتها ثلاث وخمسون، وصحبت الشورى لإرشادها للمؤمنين إلى السير في تصريف أمور مجتمعهم على أساس الشورى، أحقاقا للحق، وتفسيرا للعدل، وقد اشتملت على كثير من مسائل الدين وأدلة العقائد.

وقد افتتحت بالتنبؤ بشأن القرآن بأنه وحى من عند الله، وردت طعن الكافرين، وحرمت على تسليّة الرسول - ﷺ - وانتقلت بعد ذلك إلى تقرير قدرة الله الذى أنزله وعظم سلطانه، وكفر بعض الناس مع وضوح الأدلة على أنه من عند الله، ببيان اختلافهم في أدراك الحق، وبعده أكدت قدرته - تعالى - على كل شيء، ثم أتهمت وحلة الشرائع، وأفادت إلى من كفر به مع ذلك، كما أشارت إلى إرشاد الكتب السماوية إلى الحق، وقد نددت السورة بشرك المشركين واختلافهم في الحق ظلمًا، واستعجال المكذبين بالقيامه استهزاء، وأرشدت إلى ما يجب أتباعه في دعوة الناس إلى الدين، كما بينت عظم لطف الله بهجاده، وحذرت السورة من الانهماك في طلب الدنيا فحسب، وبينت سوء حال الجاحدين وحسن حال المؤمنين في الآخرة، ونددت بادعاء المكذبين على رسول الله - ﷺ - افتراء - القرآن، مع عجزهم عن الإتيان بأقصر مسورة من مثله، ثم أبانت قبول الله توبة المؤمنين، والحكمة في توزيع الرزق بين الناس بتقدير محكم، فلم يكونوا - جميعا - أغنياء خشية بنهبهم، ولم يكونوا فقراء خشية هلاكهم، بل وسع لبعض وضيق على آخرين.

وأوضحت عظم بركات الفيت، ودلائل قدرة الله في هذا الوجود، وأن مصائب الدنيا بسبب المصاعى، ثم كرر - سبحانه - بأسلوب آخر حال المؤمنين والمكذبين في الآخرة، وما يكون عليه المكذبين من ذل، ودعت إلى القيادة بإجابة دعوة الله من قبل أن تنتهى الحياة فرصة العمل، كما غنت السورة بتسليّة رسول الله - ﷺ - وبينت قدرته - سبحانه - على هبة الإنان لمن يشاء، والذكور لفرق آخر، والجمع بينها لثالث، وحرمان فريق رابع منها، ثم ذكرت طرق خطاب الله - تعالى - لأتباعه، وغنت ببيان الطريق الحق المستقيم الذى يجب أتباعه.

١ - ٢ - حم عسق: افتتحت هذه السورة بهذه الحروف الصوتية على طريقة القرآن الكريم في افتتاح كثير من السور يمثل هذه الحروف.

٣ - مثل ما في هذه السورة من المعاني يوحى إليك وإلى المرسلين من قبلك الله الصاب بجهده، الذى يضع كل شيء موضعه، على وفق الحكمة في أفعاله وتبديره.

وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ أَعْلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ نَكَادُ السَّمَوَاتِ يَتَّقَطْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ خَبِطَ
عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا
وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ
يَدْخُلُ مِنْ بَيْنِهِمُ الْفَاسِقُونَ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُصِيرُ ﴿٨﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ قَالَ هُوَ
الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ فَحُكِّمُوا إِلَى اللَّهِ ۚ ذَلِكُمُ اللَّهُ
رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمِنَ الْأَنْعَامِ

٤ - الله - وحده - ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا وتديرا، وهو المنزهد بطو الشان وعظم
السلطان.

٥ - نكاد السموات - مع عظمهن وتماسكن أن يتشقن من فوقهن، خشية من الله، وتأثرا بظمته وجلاله،
والملائكة يزهون الله عما لا يليق به، متنين عليه بما هو أهله، ويسألون الله المغفرة لأهل الأرض، وبنيه - سبحانه -
إلى أن الله هو - وحده - صاحب المغفرة الشاملة والرحمة الواسعة.

٦ - والذين اتخذوا من دونه آله نصرأه، الله رقيب عليهم فما يفعلون، وما أنت مفوض إليك أمر الرقابة
عليهم.

٧ - ومثل ذلك الإيحاء البين أوحينا إليك قرآنا عربيا لا لبس فيه، لتنذر أهل مكة ومن حوفا من العرب،
وتنذر الناس عذاب يوم يجمع الله فيه الخلائق للحساب، لا رب في مجيئه، الناس فيه فريقان: فريق في الجنة،
وفريق في السعير.

٨ - ولو شاء الله أن يجمع الناس في الدنيا على طريقة واحدة لجمعهم، ولكن يدخل من يشاء في رحمته،
لعلهم أنهم سيختارون الهدى على الضلالة، والظالمون أنفسهم بالكفر ليس لهم من دونه ولي يتكفل بمحبتهم،
ولا يصير يتقنهم من عذاب الله.

٩ - هؤلاء الظالمون لم يتخذوا الله وليا، بل اتخذوا غير أولياء، وليس لهم ذلك، فآله - وحده - الولي بحق
إن أرادوا وليا، وهو يحیی الموتى للحساب، وهو المسيطر بقدرته على كل شيء.

١٠ - والذي اختلفتم فيه من الإيمان والكفر فالحكم الفصل فيه مفوض إلى الله، وقد بينته. ذلكم الحكم
فما اختلفتم فيه الله مالك أمري، عليه اعتمدت في أموري، وإليه - وحده - أرجع مستتردا.

أَزْوَاجًا يَدْخُرُ فِيهِ لَيْسَ بِمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ * شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَن يَقُولُوا الَّذِينَ وَلَا تَتَقَرَّبُوا فِيهِ كِبَرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ
إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْعِلُ إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَقَرَّبُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
بِغِيَابِهِمْ ۖ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَّا أَجْلَلُ مِمَّا سَمِعُ لَقِضِي بَيْنَهُمْ ۖ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُفْرَ مِن
بَعْدِهِمْ لَنَنصُرَنَّكُم مِّنْهُ مَرَّةً ۖ فَلِذَلِكَ قَادَعُ ۖ وَاسْتَقَمَ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا
أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ ۖ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ فِي اللَّهِ مَن بَعْدَ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ جُحُودُهُمْ دَاحِضَةٌ

١١ - مبدع السموات والأرض، خلق لكم من جنسكم أزواجاً ذكوراً وإناثاً، وخلق من الأنعام من جنسها أزواجاً كذلك، يتركبكم بهذا التدبير الحكيم، ليس كذاة شيء، فليس له شيء يزوجه، وهو المدرك - ادراكاً كاملاً - لجميع المسوعات والمرثيات بلا تأثر حاسة.

١٢ - له مقادير السموات والأرض حفظاً وتديراً، يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيقه على من يشاء، إنه - تعالى - محيط علمه بكل شيء.

١٣ - شرع لكم من العقائد ما عهد به إلى نوح، والذي أوحيناه إليك، وما عهدنا به إلى إبراهيم وموسى وعيسى، أن تبتوا دعائم الدين - بامتثال ما جاء به - ولا تختطفوا في شأنه، شق على المشركين ما تدعوهم إليه من إقامة دعائم الدين، الله يصطفى لرسالته من يشاء، ويوفق للإيمان وإقامة الدين من يترك العناد ويقبل عليه.

١٤ - وما اختلف أتباع الرسل السابقين في الدين إلا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته. عداوة وحسداً فما بينهم، ولولا وعد سابق من الله بتأجيل العذاب إلى يوم القيامة لأهلكوا، وأن الذين وروثوا الكتاب من أسلافهم وأدركوا عهدك لى شك من كتبتهم موقع في الريب، حيث لم يستجيبوا لدعوتك.

١٥ - فلأجل وحدة الدين وعدم التفرق فيه فادعهم إلى إقامة الدين، وتأثر على تلك الدعوة كما أمرك الله، ولا تسائر أهواء المشركين، قل: أمنت بجميع الكتب التي أنزلها الله على رسله، وأمرني الله بإقامة العدل بينكم، وقل لهم: الله خالفنا وخالفكم، لنا أفعالنا لا لكم، ولكم أفعالكم لا لنا، لا احتجاج بيننا وبينكم لوضوح الحق. الله يجمع بيننا للفضل بالعدل، وإليه - وحده - المرجع والمآل.

عند ربهم وعلوهم غضب وشم عذاب شديد ﴿١٦﴾ الله الذى أنزل الكتاب بالحق والبيان وما يدريك
 لعل الساعة قريب ﴿١٧﴾ يستحيل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق
 ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد ﴿١٨﴾ الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو الغنى
 العزيز ﴿١٩﴾ من كان يريد حرث الآخرة زد له في حرمه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤمه منها وما له
 في الآخرة من نصيب ﴿٢٠﴾ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى
 بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم ﴿٢١﴾ ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا
 وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ﴿٢٢﴾ ذلك الذى
 يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن

١٦ - والذين يجادلون في دين الله من بعدما استجاب الناس لدعوته الواضحة ، حجة هؤلاء المرتابين باطلة
 عند ربهم ، وعلوهم غضب شديد بكفرهم ، ولهم عذاب أليم ينتظروهم .

١٧ - الله الذى أنزل كتاب محمد وما قبله من كتب المرسلين مشتملة على الحق والعدل ، وما يعلمك لعل
 وقت الساعة قريب وأنت لا تدري .

١٨ - يستحيل بجهل الساعه - استهزاء - الذين لا يصدقون بها ، والذين صدقوا بها خائفون من وقوعها
 فلا يستحيلونها ، ويعلمون أنها الحق الثابت الذى لا ريب فيه ، وينبه - سبحانه - إلى أن الذين يجادلون في وقوعها
 لفي ضلال بعيد عن الحق .

١٩ - الله عظيم البر بجميع عباده ، يرزق من يشاء كما يشاء ، وهو الفاعل على كل شئ ، الذى لا يغلب .

٢٠ - من كان يريد بعمله ثواب الآخرة نضاعف له أجره ، ومن كان يريد بأعماله متاع الدنيا - نحسب -
 نعطه ما قسم له فيها ، وليس له في الآخرة نصيب من الثواب .

٢١ - بل ألم ألق شرعوا لهم من الدين ما لم يأمر به الله ؟ لم يكن ذلك ، ولولا عدة سابقة بتأخر الفصل
 إلى يوم القيامة لقضى بين الكافرين والمؤمنين في الدنيا ، وإن الظالمين أنفسهم بالكفر لهم عذاب شديد الإيلام .

٢٢ - ترى في القيامة - أيها القاطب - الذين ظلموا أنفسهم بالشرك خائفين عقاب شركهم وهو نازل بهم -
 لا محالة - وترى الذين آمنوا وعملوا الصالحات محضين في أطيب بقاع الجنة ، لهم ما يتمنون من النعيم عند ربهم ،
 ذلك الجزاء العظيم هو الفضل الكبير الذى تتعلق به الآمال .

يَقْتَرِفُ حَسَنَةً تَزِدُّهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَلَنْ
يَسْمَى اللَّهُ بِخُبْرِهِ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمَسُّ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخْلِقُ الْخَلْقَ بِكَلِمَتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ
الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ * وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ
لَبَحَّوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقُدْرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِى يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ
بَعْدِ مَا قَنَطُرُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا
مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ آيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ

٢٣ - ذلك الفضل الكبير هو الذى يشر الله به عباده المؤمنين الطائعين، قل - أيها الرسول - لا أطلب
منكم على تبليغ الرسالة أجرا إلا أن تحبوا الله ورسوله في تفریکم إليه - سبحانه - بعمل الصالحات، ومن يكتسب
طاعة يضاعف الله له جزاءها، إن الله واسع المغفرة للمذنبين، شكور لعباده طيحات أعمالهم.

٢٤ - بل أيقول الكفار: اختلق محمد الكذب على الله ١٢ فإن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على أذامهم،
واتهامك بالإفتراف على الله، ويزيل الله الشرك ويغذله، ويثبت الإسلام ويظهره بالوحي الذى أنزله على رسوله -
ﷺ - إنه - سبحانه - محيط بخفايا قلوبكم جميعا ..

٢٥ - والله - وحده - الذى يقبل التوبة من أهل طاعته بالتجاوز عما تابوا منه، ويصفح - تفضلا ورحمة -
عن السيئات دون الشرك، ويعلم ما تفعلون من خير أو شر.

٢٦ - ويحبب الله المؤمنين إلى ما طلبوا، ويزيدهم خيرا على مطلوبهم، والكافرون لهم عذاب بالغ غاية
الشدّة والإيلام.

٢٧ - ولو وسع الله الرزق لجميع عباده - كما يتخون - لظفروا في الأرض وظلموا، ولكن الله يوسع الرزق
لمن يشاء، ويضيقه على من يشاء، حسبما اقتضته حكمته، إن الله محيط علما بما خفى وظهر من أمور عباده، فيقدر
بحكمته لكل ما يصلح شأنه.

٢٨ - والله - وحده - هو الذى ينزل المطر الذى يفيئهم من الجهد من بعد اليأس واشتداد القحط، ورحمة
بعباده، وينشر بركات المطر في النبات والثمار والحيوان والسهل والجبل، وهو - وحده - الذى يتولى تدبير أمور
عباده، للعصود على انعامه وجميع أنصاله.

٢٩ - ومن دلائل قدرة الله على خلق ما يشاء خلق السموات والأرض على هذا النظام الحكيم، وخلق
ما فرق ونشر فيها من النوايا المرتبة وغيرها، والله الذى ثبت قدرته بإبداع ما تقدم قدير على جمع المكلفين في
الوقت الذى يشاء بينهم فيه للجزاء.

كثير ٣٠ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٣١ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ٣٢ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ٣٣ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ٣٤ أَوْ يُوقِنُ أَنَّ مَا كُتِبَ لَهُ يَافِقُ عَنْ كَثِيرٍ ٣٥ وَيَعْلَمَ أَنَّ الَّذِينَ يُجْلِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مُجِيسٍ ٣٦ لَقَدْ أَوْفَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَفُتِنَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٣٧ وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ بَيْنَ الْأَيْمَنِ وَالْغَوَّاسِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ٣٨ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا

٣٠ - وأي مصيبة أصابتكم مما تكرهونه بسبب معاصيكم، وما عفا عنه في الدنيا أو أخذ عليه فيها فإله أكرم من أن يعاقب به في الآخرة، وهذا تنزه عن الظلم واتصف بالرحمة الواسعة.

٣١ - ولستم بقادريين على أن تعجزوا الله عن انزال المصائب في الدنيا عقابا على معاصيكم وإن هربتم في الأرض كل مهرب، وليس لكم من دون الله من يتولاكم بالرحمة عند نزول البلاء، ولا من ينصرم بدفعه عنكم.

٣٢ - ومن دلائل قدرة الله السفن الجارية في البحر، كالجبال الشاهقة في عظمتها.

٣٣ - إن يشأ الله يسكن الريح فتنزل السفن نوابت على ظهر الماء لا تجري بهم إلى مقاصدهم، إن في سرها ووقوفها بأمر الله لدلائل واضحة على قدرة الله، يستريح بها المؤمنون الصابرون في الضراء، الشاكرون في السراء.

٣٤ - أو يهلكهم بذنوب ركابها بإرسال الرياح العاصفة، وإن يشأ يعف عن كثير، فلا يصابتهم بإسكان الريح، أو بإرسالها عاصفة مفرقة.

٣٥ - الله - سبحانه - فعل ذلك ليعتبر المؤمنون، ويعلم الذين يردون آياته بالباطل أنهم في قبضته، ما لهم مهرب من عذاب الله.

٣٦ - لا تفقروا بمتاع الدنيا، فكل ما أعطيتموه - أيها الناس - من المال والبنين وسواها فهو متاع لكم في الحياة الدنيا، وما أعد الله من نعم الجنة خير وأدمر للذين آمنوا، وعلى خالفهم ومريم - وحده - يمتدنون.

٣٧ - والذين يبتعدون عن ارتكاب كبائر ما نهى الله عنه، وكل ما زاد قبضه من الذنوب، وإذا ما استغفروا بالإسامة إليهم في دنياهم، هم - وحدهم - يبادرون بالصفح حتى كان ذلك علاجنا نافعاً.



لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَرْدٍ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مَرَدٌ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٤٤﴾ وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَنْظُرُونَ مِنْ تَحْتِهَا يَخَفُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَبِيرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ

٣٨ - والذين أجابوا دعوة خالقهم ويربهم ، فأنابوا به ، وحافظوا على صلواتهم ، وكان شأنهم التشاور في أمورهم لإقامة العدل في مجتمعهم ، دون أن يستبد بهم فرد أو قلة من الناس ، وما أنعم الله به عليهم بفقون في وجوه الخير .

٣٩ - والذين إذا اعتدى عليهم ظالم هم ينتصرون لأنفسهم بمقاومة عدوانه .

٤٠ - وجزاء المصء اسماء مماثلة تقريراً للعدل ، فمن عفا عن أساءه عند القدرة ، وأصلح ما بينه وبين خصمه تقريراً للود ، فتوابه على الله الذى لا يعلم بقدرة سواء ، إن الله لا يرحم المعتدين على حقوق الناس بمجاوزة شريعة الله .

٤١ - وإن الذين يعاقبون المعتدين يثل ما اعتدوا به فلا مؤاخفة عليهم ولا لوم .

٤٢ - إنما اللوم والمؤاخفة على المعتدين الذين يظلمون الناس ويتكبرون في الأرض ويفسدون فيها بغير الحق ، أولئك لهم . عذاب شديد الإيلام .

٤٣ - أقسم : لمن صبر على الظلم وتجاوز عن ظالمه ، ولم ينتصر لنفسه حيث لا يكون العفو تمكينا للفساد في الأرض ، إن ذلك لمن الأمور التى ينبغى أن يوجبها العاقل على نفسه .

٤٤ - ومن ضل طريق الهدى - لسوء اختياره - فليس له ناصر سوى الله يديه أو يمنعه من العذاب ، وترى في القيامة - أيها المخاطب - الظالمين حين يشاهدون عذاب الآخرة يسألون رجم أى وسيلة يرجعون بها إلى الدنيا ، كى يعملوا صالحاً غير الذى كانوا يعملون .

٤٥ - وترى الظالمين - كذلك - يعرضون على النار متضائلين بسبب الذل لما لحقهم من الهول ، يسارقون النظر إلى النار خوفاً من مكابرها ، ويقول المؤمنون - حينئذ - : إن الخاسرين حقاً هم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، وخسروا أزواجهم وأولادهم وأقاربهم بما حيل بينهم ، ونبه الله إلى أن الظالمين في عذاب دائم .

مِّنْ أُولَئِكَ يَنْصَرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَكٍ يُؤْمِدُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِظًا أَنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَعُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّهَا وَإِنْ نَصَبْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ قَدَّمْتِ
أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَشَاءً
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الْدُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
* وَمَا كَانَ يَبْشُرُ أَنْ يَكُنَّهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيَ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِلَاذِنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ
عَلَى حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَنَا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنَّ

٤٦ - وما كان لهم نصراء مما عبدوهم من دون الله ومن أطاعوا في معصيته ينقلونهم من عذاب الله ، ومن ضل طريق الحق - لسوء اختياره - فليس له أى طريق ينجيه من سوء المصير .

٤٧ - سارعوا - أيها الناس - إلى إجابة ما دعاكم إليه رسول خالقكم ومربيكم من الإيمان والطاعة ، من قبل أن تنتهي الحياة فرصة للعمل ، وبأنى يوم الحساب الذى لا يردده الله بعد أن قضى به ، ليس لكم - يومئذ - أى ملاذ يجمعكم من العذاب ولا تجهلون أى منكر لما حل بكم .

٤٨ - فإن أعرض المشركون عن إجابته - أيها الرسول - فلا تحزن - فلست رقيباً عليهم فيما يفعلون ، إنما كلفت البلاغ ، وقد بينت ، وإن شأن الناس إذا متحناهم من لدنا سمة بطروا لأجلها ، وإن نصيهم معصية بسبب معاصيهم فإنهم يشون النعمة ، ويحزنون لنزول البلاء كفرةً وجموداً .

٤٩ - لله - وحده - ملك السموات والأرض خلقاً وتديراً وتصرفاً ، يخلق ما يشاء خلقه ، يهب لمن يشاء الإنثاء من الذرية ، ويهب من يشاء الذكور دون الإنثاء .

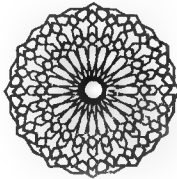
٥٠ - ويتفضل - سبحانه - على من يشاء بالجمع بين الذكور والإنثاء ، ويحصل من يشاء لا ولد له ، إن الله محيط علمه بكل شيء ، قدير على فعل كل ما يريد .

٥١ - وما صبح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا وحياً بالالقاء في القلب الهاماً أو مناماً أو بإسحاح الكلام الإلهي دون أن يرى السامع من يكلمه ، أو بإرسال ملك يرى صورته ، ويسمع صوته ، ليوحى بإذن الله ما يشاء ، إن الله قاهر فلا يمانع ، بالغ الحكمة في تصرفاته وتديبره .

جَعَلَنَّهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ لَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي
لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

٥٢ - ومثل ما أوحينا إلى الرسل قبلك أوحينا إليك - أيها الرسول - هذا القرآن حياة للقلوب بأمرنا ، ما كنت
تعرف قبل الإيحاء إليك ما هو القرآن ، ولا تعرف ما شرائع الإيمان ، ولكن جعلنا القرآن نوراً عظيماً يرشد به من
اختار الهدى ، وإنك لتدعو بهذا القرآن إلى طريق مستقيم .

٥٣ - طريق دين الله الذي له - وحده - ما في السموات وما في الأرض خلقاً وتديراً وتصرفاً . وينبه -
سبحانه - إلى أنه - وحده - ترجع إليه جميع الأمور .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمّ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ② إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ③ وَإِنَّا فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَشَبَاحٌ لِّمَنْ أَعْيُنُهُ عَمَّا أَصْبَحُ ④ لَعَلَّكُمْ تَكْفُرُونَ ⑤ وَكَرَّرْنَا أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ⑥

افتتحت بحرفين من حروف الهجاء ، واتبع ذلك بذكر القرآن وبيان منزلته عند الله ، ثم أخذت السورة تبين موقف المستهزئين بالرسالات من رسلهم ، وسافت أدلة كثيرة موجبة للإيمان بالله - وحده - ومع تلك الهجج نسبوا إليه الاتداد ، وجعلوا له البنات ولم البنين ، وحيثما فقدوا الهجة تسكوا بتقليد آبائهم .

ثم تحدت عن قصة إبراهيم وأعتبها باستعظام كفار مكة نزول القرآن على محمد دين عظيم من عظماء القريتين ، كأنهم يسمعون فضل الله ، والله قد قسم بينهم معيشتهم في الدنيا لمعجزهم عن ذلك . ثم قررت السورة أنه لولا كراهة أن يكفر الناس جميعاً لأعطى الكافر كل ما في الدنيا من متاع وزخرف وزينة . كما يبت أن من يعرض عن الحق يسلط الله عليه شيطاناً يقوده إلى الهلاك . ثم تعرض السورة قصة موسى وفرعون ، وفرعون يملكه ، وما نزل بفرعون وقومه من انتقام الله ، واتبعت ذلك بذكر ابن مريم ، وإنه عبد متعصم عليه من الله ، دعا إلى الصراط المستقيم . وبعد تخويف من عذاب يوم القيامة ، للظالمين ، وبشارة للمؤمنين بالجنة التي لهم فيها ما تقر به أعينهم ، نظم السورة بموعظ ملك الله ، وعجز من أشركوهم معه ، فأعرض عنهم - يا محمد - وقل : سلام ، فسوف يعلمون .

١ - حم : افتتحت هذه السورة ببعض الحروف الصوتية على طريقة القرآن الكريم في افتتاح كثير من السور بمثل هذه الحروف .

٢ - أقسم - سبحانه بالقرآن الموضع لما اشتمل عليه من العقائد والأحكام .

٣ - إنا صيرنا الكتاب قرآناً عربياً ، لكي تستطيعوا ادراك إعجازه وتدبر معانيه .

٤ - وإن هذا القرآن الثابت في اللوح المحفوظ عندنا ، لرفيع القدر ، وعظيم النظم ، في أعلى طبقات البلاغة .

٥ - انتهلكم فنمنع إنزال القرآن إليكم اعراضاً عنكم ، لاسرافكم على أنفسكم في الكفر ، لا يكون ذلك ، لاتقضاء الحكم الزامكم الهجة .

٦ - وأرسلنا كثيراً من الأنبياء في الأمم السابقة ، فليس عجيباً إرسال رسول إليكم .

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَسَدًا مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْزَلْنَاهُ بِهِ بَلَدًا مَبْنًى كَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لَيْسُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ قُمْحٌ وَلَا ذُرٌّ وَأَنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا سَأَلْتَهُمْ عَلَيْهِ وَقُولُوا مَبْجُنَ الَّذِي يَخْرِجُنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٤﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٥﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّا لِلْإِنْسَانِ لَكَفُورٌ مِّينٌ ﴿١٦﴾ أَمْ أَخَذْنَا مِمَّا بَخَلُّوا رَبَّنَا

٧ - وما يبيسهم من رسول يذكرهم بالحق الا استمزائم به .

٨ - فأهلكنا المكذبين السابقين ، وقد كانوا أقدم من كفار مكة قوة ومنعة ، فلا يفتر هؤلاء بسطوتهم ، وسلف في القرآن من قصص الأولين العجيب ما جعلهم عبرة للغيرهم ، فاعتبروا أيها المكذبين .

٩ - وأسم إن سألت الكافرين - أيها الرسول - عن خلق السموات والأرض ؟ ليقولن - جواباً لذلك - : خلقهن الله ، المتصف في واقع الأمر بالعرضة والطم الهبط .

١٠ - الذي جعل لكم الأرض مكاناً مهداً ، لتستطيعوا الإقامة فيها واستغلالها ، وجعل لأجلكم فيها طرقاً تسلكونها في أسفاركم كي تصلوا إلى غاياتكم .

١١ - والذي نزل من السماء ماء بقدر الحاجة ، فأحيينا به بلدة مجدبة لا نبات فيها ، مثل ذلك الإحياء تبعثون من قبوركم للجزاء ، فكيف تنكرونه ؟

١٢ - والذي خلق أصناف الفلوات كلها ، وسخر لكم من السفن والابل ما تركبونه في أسفاركم لتتضاء حوائجكم .

١٣ - كي تستقروا فوق ظهورها ، ثم تذكروا نعمة خالقكم ومربيكم في تسخيرها لكم عند الاستقرار عليها ، وتقولوا - استظاناً لتذليلها العجيب ، واعترافاً بالسج عن ضبطها والتسلط عليها - : سبحانه الذي ذلل لنا هذا ، وما كنا لتذليلها مطيعين .

١٤ - وإننا إلى خالقنا لراجعين بعد هذه الحياة ، ليعاسب كل على ما قدمت يداه .

١٥ - وجعل للمشركين لله - سبحانه - بحس خلقه ولداً ظنوه جزءاً منه ، ان الإنسان يعمل هذا المبالغ في فكره ، واضح في جعوده .

وَأَصْنَعُكُمْ بِالْبَينِ ۝١٦ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِمَا ضَرَبَ الرَّحْمَنُ مَثَلًا عَلَّ وَجْهَهُ مَسْوُودًا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝١٧
أَوْ مَنْ يَنْشُؤُا فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخَصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝١٨ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنَّمَا أَشْهَدُوا
خَلْقَهُمْ سَتُكَبِّ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۝١٩ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠ أَمْ أَنُنذِرُهُمْ كُتُبًا مِنْ قَبْلِهِ فَهَمْ بِهِ مُنْتَسِكُونَ ۝٢١ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أَمْرٍ
وَلَمَّا نَعَىٰ ءَانِدَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝٢٢ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا
ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أَمْرٍ وَلَمَّا نَعَىٰ ءَانِدَهُمْ مُقْتَدُونَ ۝٢٣ * قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ

— — — — —

- ١٦ - بل أتزعمون أنه اتفد لنفسه من خلقه البتات وأنركم بالذكور؟ ! إن هذا لأمر عجيب حقاً .
- ١٧ - نسبوا إليه ذلك ، والحال أنه إذا بشر أحدهم بولادة اني له صار وجهه مسووداً غيظاً ، وهو مله كآبة وحزناً لسوء ما بشر به .
- ١٨ - أبغثرون ويجعلون ولداً لله من شأنه النشأة في الزينة ، وهو في الجبال وإقامة الحجة عاجز لتصور بيانه ! إن هذا لعجيب .
- ١٩ - وسما الملائكة المخلوقين للرحمن إناثاً ، أروا خلقهم رؤية مشاهدة حتى يحكموا بذلك ! لم يروه ، منسجل عليهم هذا الافتراء ، ويحاسبون عليه يوم القيامة .
- ٢٠ - وقال المشركون : لو شاء الرحمن عدم عبادتنا لهؤلاء الشركاء ما عبدناهم ، زاعمين أنه راض عن عبادتهم هؤلاء الشركاء ، ليس لديهم بما قالوا أى علم يستندون إليه ، وما هم إلا واهون ، يقولون قولاً غير مستند إلى دليل .
- ٢١ - بل أعطيناهم كتاباً من قبل القرآن يؤيد افتراءهم ، فهم به حلقفون أشد التلق ؟ ! لم نزل عليهم ذلك ، فلا حجة لهم من النقل .
- ٢٢ - بل قال المشركون - حين فقدوا كل حجة - : إنا وجدنا آباءنا على دين ، وإنا على آثارهم سائررون .
- ٢٣ - ومثل الحال الذى عليه هؤلاء حال الأمم السابقة ، ما أرسلنا من قبلك في قرية رسلاً إلا قال المتنصرون فيها - وهم الذين أبطرتهم النعمة - : إنا وجدنا آباءنا على دين ، وإنا على آثارهم سائررون ، فالتقليد ضلال قديم .

قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَاتَّقِنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرَكُنَّ كَانَ عَقِبَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَلَهُمْ سِتْرَتَيْنِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا بَشَرٌ أُنَازِلُنَا بِهِ كُفِرُوا ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا تَزَلِ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْشَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ لَحَنُ قَسْمَانِ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَوَعْدَانَا بِبَعْضِهِمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَِزًّا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا

٢٤ - قال النذير: اتبعوا آباءكم ولو جئتمكم بما هو أدخل في الهداية مما وجدتم عليه آباءكم ؟ قالوا - مجيبين لرسلهم يكفرونهم بالدين - : إنا بما أُرسلتم به جاحدون .

٢٥ - لعاقبنا المكذبين لرسلهم عقاباً شديداً في الدنيا ، فانظر - أيها التأمل - كيف صار مآل المكذبين لكم مثلاً عجبياً وعظة بالغة ؟

٢٦ - واذكر - يا محمد - للمكذبين قصة إبراهيم ، إذ قال لأبيه وقومه : انني برىء من عبادة أئتمكم الباطلة .

٢٧ - لكنني أعبد الله الذي خلقتني ، لأنه الذي سيرشدني إلى طريق الحق .

٢٨ - وصبرها - بإعلانيها لهم - كلمة باقية في ذريته - هي كلمة التوحيد - لعلهم يرجعون إليها ، فيؤمنون بها .

٢٩ - لم يحقق المشركون رجاء إبراهيم ، ولم أعجل لهم العقوبة ، بل تمتع الحاضرين - لك - يا محمد - وامتعت آباءهم من قبل بأنواع التمتع ، حتى نزل القرآن داعياً إلى الحق وجاهم رسول مبين يدعوهم إليه .

٣٠ - وحين نزل القرآن يرشدهم إلى التوحيد ضموا إلى شركهم تسميته سحراً وقولياً - استهزاء به - وأصروا على كفرهم .

٣١ - وقال المشركون ، استخفافاً بمحمد ، واستعظاماً أن ينزل عليه القرآن : هلا نزل القرآن الذي يزعم أنه روى الله على رجل عظيم من مكة أو الطائف ؟

٣٢ - ليس بأيدي المشركين مفاتيح الرسالة ، حتى يحصلوها في أصحاب الجاه ، نحن تولينا تدبير معيشتهم لنعجزهم عن ذلك ، ونفضلنا بعضهم على بعض في الرزق والجاه ، ليتخذ بعضهم من بعض أعواناً يسخروهم في قضاء حوائجهم ، حتى يساندوا في طلب العيش وتنظيم الحياة ، والنبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير من أكبر مقامات الدنيا .

لِمَنْ يَسْتَغْفِرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُبَيِّنَهُمْ سَفَافَيْنِ فَضِيَّةً وَمَعْرُجَ عَلَيْهِمَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِيُبَيِّنَهُمْ أَرْبَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهِمَا
يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُتْرَةً وَإِنْ كُلِّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ عَنْ
ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَوَلَّهُ قَرِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾
حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسُ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ
أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّهْمَ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا
نَدَّيْنِ بِكَ فَلَمَّا مَتَّعْنَاهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ تَرَىٰ نَبْكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُ فَلَمَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكَ بِالَّذِي

٣٣ - ولولا كراهة أن يكفر الناس جميعاً إذا رأوا الكفار في سعة من الرزق لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن
سقفاً ومساعد يرفقن عليهما من الفضة ، فهران الدنيا عليهما .

٣٤ ، ٣٥ - ولجعلنا لبيوتهم أبواباً وسرراً من فضة يتعمون بها ويتكثرون عليها ، ولجعلنا لهم زينة من كل شيء ،
وما كل ذلك المتاع الذي وصفناه لك الا متاعاً فانياً مقصوراً على الحياة الدنيا ، ونواب الآخرة عند خالقك
ومربيك معد للذين اتقوا الشرك ، واجتنبوا الموبقات .

٣٦ - ومن يتعاضى عن القرآن الذى أنزله الرحمن ذكرى للعالمين ، تتع له شيطاناً يتسلط عليه ، فهو معه -
دائماً - بضله ويغويه .

٣٧ - وإن شياطين المتعاضين عن القرآن ينجسونه عن الطريق الذى يدعو إليه الرحمن ، ويحسب المتعاضون
أنهم - باتباع قرنائهم - على الهدى .

٣٨ - حتى إذا جاء من تعالى عن القرآن إلى الله يوم القيامة ، ورأى عاقبة تصاميه ، قال لقريته - نادماً :
يا ليت بيني وبينك بعد المشرق عن المغرب ، فبئس صاحب كنت لى ، حتى أوقعتنى فى الهلوة .

٣٩ - ويقال لهم حينئذ - توبيخاً - : لن يخفف العذاب عنكم اليوم - إذا ظلمتم أنفسكم بالكفر - اشتراك
شياطينكم معكم فيه ، لأن كلا يماضى من العذاب ما ينقله .

٤٠ - أنفرد على هداية من بالفوا فى الضلال ، أفأنت تسمع الصهم عن الحق ، والعلمى عن الاعتبار ، ومن
كان فى علم الله أنه يموت على الضلال لا يستطيع ذلك ، لأنهم استقروا فى الكفر ، فلم ينتفعوا بما يسمعون
ويروونه .

٤١ - فإن قبضناك قبل أن نريك عذابهم ، ونشئ بذلك صدورك وصدور قوم مؤمنين فانا مستنقمت منهم -
لا بحالة - فى الدنيا والآخرة .

٤٢ - أو أردت أن نريك العذاب الذى وعدناهم قبل وفاتك أربناك ، لأننا مسيطرون عليهم بقدرتنا وقهرنا .

أَوْحَىٰ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَدَرَسَكُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَقَلَ مَن أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مَن رَّسَلْنَا أَجْعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا هَذَا السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ ۖ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ۖ قَالَ يَبْقُومُ الْآلِيسُ لِي مَلِكٌ مِّصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا

﴿٥٢﴾

٤٣ - إذا كان أحد هذين الأمرين واقعاً - لا محالة - فكن مستمكاً بالقرآن الذي أوحينا إليك ، واثبت على العمل به ، لأنك على طريق الحق القويم .

٤٤ - وإن هذا القرآن لشرف عظيم لك - يا محمد - ولأمتك ، لئزوله عليك بلفة العرب ، وسوف تسألون يوم القيامة عن القيام بحقه وشكر نعمته .

٤٥ - وانظر في شرايع من أرسلنا من قبلك من رسلنا ، أجاءت فيها دعوة الناس إلى عبادة غير الله ! لم يجيء ذلك ، فالعابدين لله لا غير الله ، متوغلون في الضلال بعبادتهم .

٤٦ - ولقد أرسلنا موسى بالمعجزات الدالة على صدقه إلى فرعون وقومه ، فقال : إني رسول خالق العالمين ومربيهم إليكم ، فطالبه بالمعجزات .

٤٧ - فلما جاسم بالمعجزات المؤيدة لرسالته قابله فور مجيئها بالضحك منها - سخريه واستهزاء - دون تأمل فيها .

٤٨ - وكل معجزة من المعجزات التي تواترت عليهم - لوضوح دلالتها على صدق الرسول ، واستقلالها بإفادة هذا المراد على أم الوجوه ، وكماها في نفسها - إذا نظر إليها قيل : هي أكبر من قريبتها وصاحبها . وحيناً أصروا على الطغيان أصبناهم بأنواع البلايا ، ليرجعوا عن غيهم .

٤٩ - وقالوا - مستغيثين بموسى حيناً عنهم البلا - : يا أيها الساحر - ادع لنا ربك متوسلاً بمعهده عندك أن يكشف عنا العذاب ، إنا - إذا كشف - لمهتدون .

٥٠ - فلما كشف الله عنهم المصائب بدعاء موسى فاجأوه بنقض عهدهم بالإيمان .

٥١ - ونادى فرعون في قومه - معنأً قوته وتسلطه - : آليس لي - لا لغيري - ملك مصر ، وهذه الأنهار التي تتشاهدونها تجري من تحتي قصري ١١ أعينتم عن مشاهدة ذلك ، فلا تعقلون ما تلبيه المشاهدة من قوتي وضعف موسى ١٢ وأراد ببدائه تنبيههم على طاعته .

الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَسْكَدُ يَبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلٰٓئِكَةُ مُقَرَّرِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَبَّاءُ اسْفُونَا اِنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ جَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ * وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ۖ أَهَٰؤُلَاءِ خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَاضِيُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۖ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَا مِنْكَ مَلٰٓئِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْفَوْنَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَعِلَّ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ

٥٢ - قال فرعون - مهالفة في الطغيان : بل أنا خير من هذا الذي هو ضعيف ذليل ، ولا يكاد يبين دعواه بلسان فصيح .

٥٣ - وقال أيضاً - محرضاً على تكذيب موسى - : فهل ألقى عليه ربه أسورة من ذهب ليلقى إليه بمقابله الأمور ، أو إعانة بملأكة يؤيدونه إن كان صادقاً في دعواه الرسالة ؟ .

٥٤ - فاستفز فرعون قومه بالقول ، وأثر فيهم هذا التهميش ، فأطاعوه في ضلاله ، إنهم كانوا قوماً خارجين عن دين الله القويم .

٥٥ - فلما أغضبونا أشد الغضب - بإفراطهم في الفساد - انتقمنا منهم بإفراقهم أجمعين .

٥٦ - فجعلنا فرعون وقومه قدوة للكافرين بدمهم في استحقاق مثل عقابهم ، وحدثاً عجيب الشأن يعتبر به جميع الناس .

٥٧ - ولما ضرب الله عيسى ابن مريم مثلاً ، في كونه كآدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، فهدى عبد مخلق ، منعم عليه بالنبوة ، لا تصح عبادته من دون الله . إذا قومك من وصفه المضروب يعرضون ولا يهينون .

٥٨ - وقال الكافرون : ألقنا خير أم عيسى ؟ ! فإذا كان هو في النار فلنكن نحن وأهنتنا معه . ما ضرب الكفار هذا المثل لك إلا للجدل والغلبة في القول لا لطلب الحق ، بل هم قوم شداد في الخصومة يعمنون فيها .

٥٩ - ما عيسى إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة ، وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل - لخلقهم بدون أب - لبني إسرائيل ، يستدلون به على كمال قدرتنا .

٦٠ - ولو نشاء جعلنا منكم مملأكة يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم ، لتعرفوا أن الملائكة خاضعون لتصرف قدرة الله ، فنأين لهم استحقاق الألوهية ؟ !

يَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ وَلَئِنْ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَوْمِ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۝ يَلْعَبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِمَا يَأْتِينَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا

٦٦ - وأن عيسى يصدونه بدين أب، وإبراهيم الأكمة والأبرص لدليل على قيام الساعة، فلا تشكك فيها، واتبعوا هداى ورسولى. هذا الذى أدعوكم اليه طريق مستقيم موصل الى النجاة.

٦٧ - ولا ينمكم الشيطان عن اتباع طريق المستقيم، انه لكم عدو ظاهر العداوة.

٦٨ - وحينا أرسل عيسى الى بنى اسرائيل بالمعجزات الواضحات والآيات البينات قال لهم - قد جئتكم بشريعة حكيمة تدعوكم الى الوحيد، وجئتكم لابين لكم بعض الذى تخفون فيه من أمر الدين لتجتمعوا على الحق، فآخشوا عذاب الله وأطيعوا فيما أدعوكم اليه.

٦٩ - ان الله - وحده - هو خالق وغالبكم، فاعبدوه دون سواه، وحافظوا على شريعته، هذا الذى أدعوكم اليه طريق مستقيم موصل الى النجاة.

٧٠ - فاختلف الأحزاب من بين النصارى بعد عيسى فرقاً في أمره، فهلاك للذين ظلموا بما قالوه في عيسى مما كفروا به من عذاب شديد الإيلام يوم القيامة.

٧١ - ما ينتظر الكافرون شيئاً بعد اعراضهم عن الايمان الا اتيان الساعة بغتة، وهم غافلون عنها.

٧٢ - الأعداء الذين جمعهم الباطل في الدنيا يكون بعضهم عدواً يوم اتيان الساعة بغتة، وتنقطع كل محبة إلا محبة الذين خافوا - وهم في الدنيا - عذاب الله، واجتمعوا فيها على طاعته.

٧٣ - ينادى الله المتقين - ترفعاً لهم - يا عبادى، لا تخافوا اليوم عذاباً، ولا أنتم تحزنون، فقد أمنت العذاب، وضمن الله لكم الثواب.

٧٤ - الذين صدقوا بآيات الله وأطاعوه، وكانوا له متقدين.

٧٥ - يقال لهم يوم القيامة تشريفاً: ادخلوا الجنة أنتم مع أزواجكم، تسرون فيها سروراً عظيماً، يظهر أثره على وجوهكم.

مَا تَسْتَبِيهِ الْأَنْفُسُ ذَلِيلًا الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ بِهَتَمٍ خِلْدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَفْتَرِ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسَوْنَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَنَنْتُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ كَذِبُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرُسَهُمْ وَنَحْشُرُهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ

٧١ - وبعد دخولهم الجنة يطاف عليهم بأوان من ذهب وأكواب كذلك، وفيها ألوان الأطعمة وأنواع الأشربة، ولهم في الجنة كل ما تشتهيبه الأنفس وتغريه الأعين، ويقال لهم - أكبالاً للسرور - : انتم في هذا النعيم خالدون .

٧٢ - ويقال - أقاماً للنعمة - : تلك هي الجنة التي ظفرتم بها بسبب ما قمتم في الدنيا من عمل الصالحات .

٧٣ - لكم فيها فاكهة كثيرة الأنواع واللواذير، تتمتعون بالأكل منها .

٧٤ - ان الذين أبرموا بالكفر في عذاب جهنم خالدون دائمون .

٧٥ - لا يخفف العذاب عن هؤلاء المجرمين ولا يسكن، وهم فيه يائسون من النجاة .

٧٦ - وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بهذا العذاب، ولكن كانوا هم الذين ظلموا أنفسهم باختيارهم الضلالة على الهدى .

٧٧ - ونادى المجرمون - حين يسوا من تخفيف العذاب الشديد - مالكاً خازن النار قائلي له : سل ربك أن يبتنا لنستريح من أهوال جهنم، قال لهم مالك : انكم مقيدون في العذاب دائماً .

٧٨ - قال تعالى - رؤاً عليهم - : لقد جاءكم رسولنا - يا أهل مكة - بالدين الحق، فأمن به قليل، وأعرض عنه أكثركم . وهم لهذا الحق كارهون .

٧٩ - بل أحكم مشركو مكة أمرهم على تكذيب الرسول والتأمر على قتله، فإنا يحكمون أمراً في مجازاتهم وأظهارك عليهم .

٨٠ - بل أيسب هؤلاء المشركون أنا لا نسمع حديث أنفسهم بتدبير الكيد، وما يتكلمون به فيما بينهم من تكذيب الحق ١٢ بل نسمعها، والمحافظة من الملائكة عنهم يكتبون ذلك .

٨١ - قل للمشركين : ان صح بالبرهان أن للرحمن ولداً فأنا أول المابدين لهذا الولد، لكنه لم يصح بالهجة أن ولداً للرحمن، لما يقترب عليه من عجز القوى وفقر الفنى، وهو - سبحانه - المنزه عن النقص التصف بالحال .

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ قَدَرَهُمْ يُخَوِّضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّا هَنَّا قَوْمٌ لَا يَوْمُوتُ ﴿٨٨﴾ فَأَصْمَحْ عَنْهُمْ وَفَلِّ سَلْمٌ ﴿٨٩﴾ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٠﴾

٨٢ - نزحاً لخالق السموات والأرض خالق العرش العظيم عما يصفه به المشركون ، مما لا يليق بألوهيته .

٨٣ - فدعهم ينفسوا في أباطيلهم ويلعبوا في دنياهم - بترك العبادة - غير ملتفت اليهم ، حتى يجسى يوم القيامة الذي وعدوا به ، لتجزى كل نفس بما كسبت .

٨٤ - وهو الذي يعبد في السماء بحق ، ويعبد في الأرض بحق ، وهو - وحده - ذو الاحكام البالغ في أفعاله وتدبيره ، المحيط علمه بما كان وما يكون .

٨٥ - وتعالى وتعظم الذي له - وحده - كمال التصرف في السموات والأرض وفيها بينها من مخلوقات الجسو المشاهدة وغيرها ، وله تدبير الأمر في ذلك وعنده - وحده - علم وقت القيامة ، وإليه - وحده - ترجعون في الآخرة للحساب .

٨٦ - ولا يملك ألتهم الذين يعبدونهم من غير الله الشفاعة لمن عبدوهم ، لكن من تشهد بالتوحيد - وهم يعتقدون أن الله رهم حقاً - هم الذين يشفعون فيمن يشاء الله من المؤمنين .

٨٧ - ولئن سألت - أي الرسول - هؤلاء المشركين عن خلقهم ، فيقولون : خلقهن الله ، فكيف يصرفون عن عبادته تعالى الى عبادة غيره مع اقراءهم بأنه خالقهم ؟ ان هذا لعجيب .

٨٨ - أقسم بقول محمد - ﷺ - مستغنياً داعياً : « يارب » ان هؤلاء المعاندين قوم لا ينتظر منهم ايمان .

٨٩ - فأعرض - أي الرسول - عنهم - لنسبة عنادهم - ودعهم . وقل لهم : شأنى متارككم بسلامتكم منى رسالتى منكم ، فسوف يعلمون أن عاقبة عنادهم الحشران للبين .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمّ ❶ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ❷ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ❸ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ❹ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ ❺ حَكِيمٍ ❻ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ❼ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ❽ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ❾ رَبِّ السَّمَوَاتِ

ابتدأت السورة بالحديث عن القرآن ، وأنه أنزل من عند الله في ليلة القدر المباركة للانذار والتوحيد ، وأنه الحق . كما تحدثت عن البعث ، وأنه لا ريب فيه . وتناقشت جميع المتكررين له ، وردت على المشركين ، وقارنت بين مشركي مكة واسلافهم قوم فرعون ، وتعرضت لما حل بهم من انتقام الله ، ثم أكدت أن يوم القيامة هو موعد فرق الكفر والضلال جميعاً ، وتحدثت عن جزاء الضالين في هذا اليوم وجزاء المهتدين ، وانتهت بالحديث عن القرآن ، كما بدت به ، وبتهديد المكذبين بأمره - ﷺ - بانتظار ما يحل بهم من البلاء والمصائب .

١ - حم : ابتدأت هذه السورة ببعض الحروف الصوتية على طريقة القرآن الكريم في افتتاح كثير من السور بطل هذه الحروف .

٢ - أقسم الله بالقرآن الكائن عن الدين الحق ، الموضح للناس ما يصلح دنياهم وآخرتهم ، علماً برفعة قدره .

٣ - اتنا ابتدأنا انزال القرآن في ليلة وفيرة الخير ، كثيرة البركات ، لأن من شأنا الانذار بارسال الرسل وانزال الكتب .

٤ - في هذه الليلة المباركة يفصل ويبين كل أمر محكم ، والقرآن رأس الحكمة ، والفصل بين الحق والباطل ، ولذا كان انزاله فيها .

٥ - أعني هذا الأمر أمراً عظيماً صادراً من عندنا كما اقتضاه تديرتنا ، لأن من شأنا ارسال الرسل بالكتب لتبليغ العباد .

٦ - لأجل رحمة ربك بعباده أرسل رسله للناس يبلغونهم هديه ، لأنه - وحده - السميع لكل مسموع ، الحيط علماً بكل معلوم .

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَاذْكُرْبِهِمْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الْدَارُ كَرْرًا وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذِاؤُا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ إِلَٰئِيَ لَكَ رَسُولٌ

٧ - هو خالق السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين بالحق ، مذعنين له ، مؤمنين بأنه المزل للقرآن رحمة وهداية .

٨ - لا إله يستحق العبادة سواه ، هو - وحده - يحيى ويميت ، وهو - وحده - خالقكم ومخالق آباءكم الأولين .

٩ - بل الكفار في شك من هذا الحق ، يتبعون أهواءهم ، وذلك شأن اللاميين اللاعين ، لا شأن أهل العلم واليقين .

١٠ - فانتظر - أيها الرسول - حينما ينزل بهم النقط - فبصايير بالهزال وضعف البصر ، فيرى الرجل بين السماء والأرض دخاناً واضحاً ؛ بحيث يسمع طاءه ولا يراه !

١١ - يحيط هذا الدخان بالكاذبين الذين أصابهم الجذب ؛ فيقولون لشدة الهول : هذا عذاب شديد للإيلام .

١٢ - كما يقولون استغاثة بالله : أننا متوكلين ان تكشف عنا عذاب الجوع والحرقان .

١٣ - كيف ينظ هؤلاء ، ويوفون بما وعدوا من الايمان عند كشف العذاب ، وقد جاءهم رسول واضح الرسالة بالمعجزات الدالة على صدقه ، وذلك اعظم موجبات الانعطاف ؟ ؟

١٤ - ثم اعرضوا عن التصديق بالرسول المؤيد بالمعجزات الواضحة ؛ وقالوا - كذبا وافتراء - : تارة يعلمه البشر ، وقالوا تارة أخرى : اختلط عقله .

١٥ - فرد الله عليهم : انا سرفع عنكم العذاب زمن الدنيا ، وهو قليل ، وانكم عائدون - لا محالة - الى ما كنتم عليه .

١٦ - اذكر - أيها الرسول - يوم نأخذهم الأخذة الكبرى بعنف وقوة ، انا - بهذا الأخذ - منتقمون منهم .

١٧ - ولقد امتحنا قبل كفار مكة قوم فرعون بالدعوة الى الايمان ، وجاءهم موسى رسول كريم على الله . فكفروا به عناداً ؛ وكذلك شأن هؤلاء المشركين .

أَمِينَ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنَّ أَنْتُمْ بِأَنْتُمْ بِإِسْطَلْنِ شَيْنٍ ﴿١٩﴾ وَلَئِنْ عُدْتُمْ يَدَيَّ وَرَبِّكَ أَنْ تَرْجُمُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْتَزَلُونَ ﴿٢١﴾ فَعَدَا رَبُّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَمَرَ بَعْدَى لَيْلًا أَنْتُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُفْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَرَّ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعَمِيرٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ مَكْرِبٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَنِكَهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ قَابَكْتَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ جِئْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنْ

١٨ - قال لهم الرسول الكريم: أنذروا إلى عباد الله ما هو واجب عليكم من قبول دعوتي، لأني لكم رسول مختص بكم، آمين على رسالتي.

١٩ - ولا تكبروا على الله بتكذيب رسوله، لأني أنيكم بمسجزة واضحة تبين صفك نبوتي ورسالتي.

٢٠ - وإنني اعتصمت بمطالتي من أن تتسكروا من قتل رجلاً.

٢١ - وإن لم تصدقوا بي فكونوا بمنزلة مني، ولا تؤذوني.

٢٢ - فعدا موسى ربه - شاكياً قومه حين يس من إيمانهم - بأن هؤلاء قوم تنهى أمرهم في الكفر، فافعل بهم ما يستحقون.

٢٣ - فسر بالمؤمنين ليلاً في خفية، حتى لا يدركونكم، لأن فرعون وجنوده سيجنونكم إذا علموا، للايقاع بكم.

٢٤ - وأترك البحر ساكناً على هيئته بعد ضربه بالعصا، ليدخله المنكرون، فاتهم مفروقون لا محالة.

٢٥ - تركوا بعد اغراقهم كثيراً من الجنات الناضرة والعين المجارية.

٢٦ - والزروع المتنوعة، والمنازل المستنة.

٢٧ - وعيشة مرفهة نظرة كانوا فيها متمتعين.

٢٨ - مثل ذلك العقاب يعاقب الله من خالف أمره، وخرج على طاعته، ويحصل ما كان فيها من النعم إلى قوم آخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين.

٢٩ - فما حزنتم عليهم السماء والأرض عندما أخذهم العذاب. هو ان شأهم، ولم ينظروا لتوبة، ولم يهلوا لتدارك تقصيرهم احتقاراً لهم.

٣٠ - ولقد لجئنا الله بنى إسرائيل من العذاب المذل لهم.

الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اخْتَرْتَنَّهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآءَاتَيْنَهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّمَا مَوَدَّتْنَا الْأَوَّلَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعْشِرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتَوْا بِعَابِثَةٍ إِنَّا كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا لِلْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّمُرُوتِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأُنْثَىٰ ﴿٤٤﴾ كَأَلْمُحْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِنَّكُم مِّنْ أَهْلِكُمْ

٣١ - مجاهم من فرعون، ان فرعون كان مستتباً على قومه، مسرفاً في الشر والطغيان.

٣٢ - أقسم: لقد اخترنا بني اسرائيل على علم منا بأحقيتهم بالاختيار على عالمي زمانهم، فبعثنا فيهم أنبياء كثيرين مع علمنا بمجاهمهم.

٣٣ - وآتاهم الله على يد موسى من الدلائل ما فيه اختبار ظاهر لهم.

٣٤، ٣٥ - ان هؤلاء المكذبين بالبعث ليقولون: ما الموت الا مودتنا الأولى وما نحن بعدها بمبعوثين.

٣٦ - ويقولون لرسول الله والمؤمنين: ان كنتم صادقين في دعاؤكم أن ربكم يحیی الموتي للحساب في الآخرة فعملوا لنا أحياء من مات من آبائنا، يسؤالكم ربكم ذلك.

٣٧ - أكفار مكة خير في القوة والمنعة والسلطان وسائر أمور الدنيا أم قوم تبع ومن سيقهم ؟ ليس مشركو قومك - يا محمد - أقوى منهم، وقد أهلكناهم في الدنيا بكفرهم واجرامهم، فليعتبروا بهم.

٣٨ - وما خلق الله السموات والأرض وما بينها دون حكمة.

٣٩ - ما خلقناها الا خلقاً منوطاً بالحكمة، على نظام ثابت يدل على وجود الله ووحدانيته وقدرته، ولكن أكثر هؤلاء في غفلة عما به، لا يطمعون هذه الدلالة.

٤٠ - ان يوم الحكم بين الحق والباطل وقت موعدهم أجمعين.

٤١ - يوم لا يدفع أي قريب عن أي قريب، ولا أي حليف عن أي حليف شيئاً قليلاً من العذاب، ولا هم ينصرون عند الله بأنفسهم.

٤٢ - لكن الذين رحمهم الله من المؤمنين يصفو الله عنهم، ويأذن لهم بالشفاععة، انه الغالب على كل شيء، الرحيم بعباده المؤمنين.

٤٣، ٤٤ - ان شجرة الزقوم المروقة بقيق منظرها وخبث طعمها وريحها طعام الفاجر كثير الآثام.

٤٥، ٤٦ - طعامها كسائل المعدن الذي صهرته الحرارة، يغلي في البطن كغلي الماء الذي بلغ النهاية في غليانه.

سَوَاءَ الْجَحِيمِ ٥٧ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ٥٨ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ٥٩ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ٦٠ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَلِّ أَمِينٍ ٦١ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٦٢ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ٦٣ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ٦٤ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَكَهٍ ءَامِنِينَ ٦٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٦٦ فَضَلَّ مِنْ رَيْكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٦٧ فَلَمَّا يَسِرْنَهُ يُسَانِكُ لَعَلَّهُمْ يَسْتَكْثِرُونَ ٦٨ فَأَرْتَبَ لَهُمُ مَرَّتَيْنِ ٦٩

٤٧ - خذوا يا زانية جهنم - هذا الفاجر الأليم ، فقوده بعنف وغلظة إلى وسط جهنم .

٤٨ - ثم صبوا فوق رأسه الماء الشديد الحرارة ، زيادة في تعذيبه وإيلاجه .

٤٩ - يقال له - استهزاء وتهكما به - ذق العذاب الشديد انك أنت العزيز في قومك ، الكريم في حسيك .

٥٠ - ان هذا العذاب الذي لستموه حقيقة واقعة هو ما كنتم تخاصمون بشأنه في الدنيا ، وتشكون في وقوعه .

٥١ - ان الذين وقوا أنفسهم من المعاصي بالتزام طاعة الله في مكان عظيم ، يأمنون فيه على أنفسهم .

٥٢ - في جنات يتعمون فيها ، وعيون من الماء تجري من تحتها ، اكراما لهم باعظام نعمهم .

٥٣ - يلبسون مارق وما غلظ من الحرير زيادة في زينتهم ، متقابلين في مجالسهم ، لبتهم لهم الأنس .

٥٤ - ومع هذا الجزاء زوجناهم في الجنة بحور عين ، يحار فيهن الطرف لفرط حسنهن وجمالهن وسعة عيونهن .

٥٥ - يطلبين في الجنة كل فاكهة يشتهونها ، آمنين من النقص والزوال والحرمان .

٥٦ - لا يذوقون في الجنة الموت بعد الموت الأولى التي ذاقوها في الدنيا عند انتضاء أجالهم ، وحفظهم ربه من عذاب النار .

٥٧ - حفظوا من العذاب فضلا واحسانا من خالقك ، ذلك الحفظ من العذاب ودخول الجنة هو غاية الفوز العظيم .

٥٨ - فلما سهلنا عليك التران وتبليغه منزلا بلفتك ولغتهم كي يتخطوا ، فيؤمنوا به ويعملوا بما فيه .

٥٩ - فانتظر ما يميل جم ، انهم منتظرون ما يميل بك ويدعوتك من الدوائر .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ح - ١ نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ١ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ٢
وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٣ وَأَخْتَلَفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ سَمَاءٍ مِنْ

...

افتتحت هذه السورة بمحرفين من حروف الهجاء ، وأتبعته ذلك ببيان أن تنزيل القرآن ، من الله العزيز الحكيم ، ثم عرضت أدلة كونية وعقلية لايتأت عقيدة الايمان والدعوة إلى اعتناقه كما تضمنت الدعاء على المكذبين للآيات ، ثم أخذت تعدد نعم الله وفضله على عباده ، وطلبت من المؤمنين أن ينفقوا للمعسرين ، فالله - وحده - هو الذي يميز كل نفس بما كسبت ، وبعد ذلك تحدثت السورة عما تفضل الله به على بني اسرائيل من نعم كثيرة وما وقع بينهم من اختلاف سيقض الله فيه يوم القيامة . ثم أخذت تفرق بين من اتبعوا الحق ومن اتبعوا الهوى فأنكروا البعث وردوا آيات القدرة بظلمهم أحياء آياتهم ، والله هو الحيى والميت . له ملك كل شيء ، ويوم يحشر الميطلون تدعى كل نفس إلى كتابها ، ويفوز المؤمنون ويؤنب المستكبرون ، وتعود السورة إلى الحديث عن انكارهم الساعة وتكذيبهم بالآيات الدالة عليها ، وعن نسيان الله إياهم كما نسوا هذا اليوم ، وبيان أن مأواهم النار باستنزائهم بآيات الله وغرورهم بالدنيا ، وختمت السورة بالثناء على خالق السموات والأرض ، صاحب الكبرياء فيها ، العزيز الحكيم .

١ - حم : حرفان من الحروف الصوتية ابتدأت بها هذه السورة على طريقة القرآن في افتتاح بعض سورته
بمثل هذه الحروف للإشارة إلى عجز المشركين عن الاتيان بمثله مع أنه مؤلف من الحروف التي يستعملونها في كلامهم .

٢ - تنزيل القرآن من الله القوى المنيع ، الحكيم في تدبيره وصنعه .

٣ - ان في خلق السموات والأرض من بديع صنع الله لدلالات قوية على ألوهيته ووحدانيته ، يؤمن بها المصدقون بالله بفطرتهم السليمة .

٤ - وفي خلق الله لكم - أيها الناس - على ما أنتم عليه من حسن الصورة وبديع الصنع ، وما يفرق وينشر من الدواب على اختلاف الصور والمنافع لدلالات قوية واضحة لقوم يستيقنون بأموهم بالتدبير والتفكير .

رَزَقَ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَصَرِيفَ الرِّيحِ ؕ آيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ تِلْكَ ؕ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزِلُهَا عَلَيْكَ
بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ ؕ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿١٨﴾ بِسْمِ اللَّهِ تَنْزِيلُ
عَلَيْهِ ثُمَّ يَصْرُ مَسْتَكْبِرًا كَانَ لَرَّاسْمِهَا قَبْشَرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٩﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ؕ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٢٠﴾ مَنْ رَأَى مِنْهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَوْلِيَاءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢١﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِءَايَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجَزٍ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾
* اللَّهُ الَّذِي يَصْرِفُ الْبَحْرَ لِيَجْزِيَ الْفُلُوكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ ۖ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ وَتَحَرَّرَ

٥ - وفي اختلاف الليل والنهار في الطول والقصر والنور والظلام مع تماثلها على نظام ثابت، وفيما أنزل الله من السماء من مطر فأحيا به الأرض بالآيات بعد موتها بالجذب، وتصريف الرياح إلى جهات متعددة مع اختلافها برودة وحرارة وقوة وضعفاً وعلامات واضحة على كمال قدرة الله لقوم فكروا بقوله فخلص يقينهم.

٦ - تلك آيات الله الكونية التي أقامها الله للناس، نقرأها عليك في القرآن على لسان جبريل مستمثلة على الحق، فإذا لم يؤمنوا بها فبأي حديث بعد حديث الله - وهو القرآن - وآياته يصدقون.

٧ - هلاك شديد لكل من افترى على الله اتبع الأكاذيب ولن كثرت آثامه بذلك.

٨ - يسمع هذا المفترى آيات الله تتلى عليه ناطقة بالحق، ثم يصر على الكفر متكبراً عن الإيمان، شأنه شأن من لم يسمع الآيات، فيشره إليها النهي - تنكها - بعذاب أليم لا صراره على عمل ما يوصل إليه.

٩ - وإذا علم هذا العنيد أى شيء من آيات الله جعل آيات الله كلها مادة لسخرته واستنزائه، أولئك الأفاكون الآثمون لهم عذاب مذل لكبريائهم.

١٠ - من درأهم جهنم تنتظرهم، ولا يدفع عنهم ما كسبوا في الدنيا شيئاً من عذابها، ولا الآخرة التي أنذرها من دون الله نصرته تدفع شيئاً من عذابها، ولهم عذاب عظيم في هوله وشدهته.

١١ - هذا القرآن دليل كامل على الحق من عند الله، والذين جحدوا ما اشتمل عليه من حجج خالفهم ومريبهم لهم عذاب من أشد أنواع العذاب.

١٢ - الله - وحده هو الذي دلال لكم البحر لتسير السفن فيه بإذنه وقدرته حاملة لكم ولحاجاتكم، ولتظليوا من فضل الله من خيرات البحر باستفادة علم وتجارة وجهاد وهداية وصيد واستخراج آنية، ولعلكم تشكرون نعمه بإخلاص الدين لله.

لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَن أَسَاءَ فَعَلِمَ أَنَّهُ يَكْسِبُ لَهَا رِبَكًا تَرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمُ الْبَيْتَ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْدَ بُيُوتِهِمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ أَن يُضِلُّوكَ عَنِ اللَّهِ شَيْعًا إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصَرِي لِلنَّاسِ وَهَدَى رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ

١٣ - وذلل لكم جميع ما في السموات من نجوم مضيئة وكواكب، وكل ما في الأرض من زرع وضرع وخصب وماء ونار وهواء وصعراء جميعا منه - تعالى - ليوفر لكم منافع الحياة . ان فيا ذكر من نعم آيات دالة على قدرته لقوم يتدبرون الآيات .

١٤ - قل - أي الرسول - للذين صدقوا بالله واتبعوك : يصفحوا عن الأيذاء الذي يصيبهم من الذين لا يتوقعون أيام الله التي يجزي فيها أقواما بالخير وأقواما بالشر حسبا كانوا .

١٥ - من عمل صالحا فلنفسه الأجر والثواب ، ومن أساء عمله فعل نفسه وزر عمله ، ثم إلى خالفكم ترجعون للجزاء .

١٦ - أقسم : لقد أعطينا بني اسرائيل التوراة والحكم بما فيها والنبوة المهمة من قبل الله ، ورزقناهم من الحيات المتنوعة وفضلناهم بكثير من النعم على الخلق أجمعين .

١٧ - وأعطيناهم دلائل واضحة من أمر دينهم فاقع بينهم اختلاف الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الدين وأحكامه عداوة وحسدا فيا بينهم ، ان ربك يفصل بين المتقين يوم القيامة في الأمر الذي كانوا فيه يختلفون .

١٨ - ثم جعلناك - يا محمد - بعد اختلاف أهل الكتاب مبسوئا على منهاج واضح من أمر الدين الذي شرعناه لك ولن قبلك من رسالتنا فاتبع شريعتك الحقمة ، التابعة بالمعجج والدلائل ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون طريق الحق .

١٩ - ان المظلمين الطامعين في اتباعك لهم لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا ان اتبعهم ، وان المتجاوزين لحدود الله بعضهم أنصار على الباطل ، والله ناصر الذين يخشونه فلا يتألم ظلم الظالمين .

٢٠ - هذا القرآن المنزل عليك دلائل للناس تبصرهم بالدين الحق ، وهدى يرشدكم إلى مسالك الخير ، ونعمة لقوم يستيقنون بثواب الله وعقابه .

أَجْرُوهَا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مِنْهُمْ وَمِمَّا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٦﴾
وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ
إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاةً فَن يَبْصُرُ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَكَيْفَ مَا يُمِيتُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حِجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَشْيَاءُ بَابِئِنَّا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٠﴾
قُلِ اللَّهُ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَحْيِيكُمْ ثُمَّ يَجْعَلُكُمْ فِي جَمْعِكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْفَيْصَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ وَلِلَّهِ
مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِثُ يُخَسِّرُ الْمُطْلُونَ ﴿٣٢﴾ وَرَأَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَانِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ

٢٦ - بل حسب الذين اكتسبوا ما يسوء من الكفر والمعاصي أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات من الأعمال، فسوى بين الفريقين في الحياة ونسوى بين الفريقين في المات، بس ما يقضون إذا أحسوا أنهم كالأموات.

٢٢ - وخلق الله السموات والأرض متلبسا بالحكمة والنظام، لتظهر دلائل ألوهيته وقدرته، ولتجزى كل نفس بما كسبت من خير أو شر، وهم لا يتقصون شيئا من جزائهم.

٢٣ - أنظرت فرأيت أيها الرسول من اتخذ هواه معبودا له فخضع له وأطاعه، وضل عن سبيل الحق على علم منه بهذا السبيل، وأغلق سمعه فلا يقبل وعظا وقلبه فلا يتفقد حقا، وجعل على بصره غطاء فلا يبصر عبة. فمن يهديه من بعد اعراض الله عنه، أتركه النظر فلا تذكره؟.

٢٤ - وقال المنكرون للبعث: ما الحياة الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها، نجا ونموت، وليس وراء ذلك حياة بعد الموت، وما يهلكنا الا مرور الزمان. وما يقولون ذلك عن علم ويقين، ولكن عن ظن وتخمين.

٢٥ - وإذا قرئت عليهم آيات الله واضحات الدلالة على قدرته على البعث ما كان حجتهن الا مقاتلهم - فرارا من الحق -: أحيوا أبائنا إن كنتم صادقين في دعوى وقوع البعث.

٢٦ - قل لهم - يا محمد - الله يُمِيتكم في الدنيا من عدم ثم يُمِيتكم فيها عند انقضاء آجالكم، ثم يجمعكم في يوم القيامة، لا شك في هذا الجمع، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث، لاعراضهم عن التأمل في الدلائل، والقادر على ذلك قادر على الاتيان بأبائكم.

٢٧ - والله - وحده - ملك السموات والأرض خلقا وملكا وتديرا، وحين تقوم الساعة - يوم قيامها - يخسر الذين اتبعوا الباطل.

إِلَى كَتَبِهَا الْيَوْمَ يُحْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَبُنَا عَلَيْكُمْ وَالْحَقُّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْبِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَاتِي تُلْقِ عَلَيْكُمْ فَاتَسْكَبُ مِنْهُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ وَاعْبُدُوا لِلَّهِ حَقَّ الْعِبَادَةِ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَنْتَظِرُوا الْيَوْمَ إِنَّا ظَنُّوا أَنَّا ظَنَّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ سَبِّحُوا لِلَّهِ مَا تَدْرُونَ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَدْرُونَ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٥٦﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٥٨﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُمْ لَذَّتِ الْمَنَافِعُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿٦٠﴾

٢٨ - وترى يوم تقوم الساعة - أيها المخاطب - أهل كل دين جالسين على الركب من هول الموقف متعجزين لاجابة النداء ، كل أمة تدعى إلى سجل أعمالها ويقال لهم : اليوم تستوفون جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا .

٢٩ - ويقال لهم : هذا كتابنا الذى سجلنا فيه أعمالكم وأخذقوه بأيديكم ينطق عليكم بما عملتم شهادة صدق ، انا كنا نستكتب للملائكة لتعاسبكم على ما فرط منكم .

٣٠ - فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في جنته ، ذلك الجزاء هو الفوز البين الراض .

٣١ - وأما الذين كفروا بالله ورسله فيقال لهم - توبيخا - : ألم تأتكم رسل ، ألم تكن آيات تلى عليكم ، فضاليم عن قبول الحق ، وكنتم قوما كافرين ؟ .

٣٢ - وإذا قال لكم رسول الله - أيها المنكرون للبعث - : ان وعد الله بالجزاء حق ثابت ، والساعة لا شك في مجيئها ، قلتم : ما تعلم ، أى شيء الساعة وما حقيقتها ؟ ما نحن إلا نظن بمجيء الساعة ظنا ، وما نحن بموقنين أنها آتية .

٣٣ - وظهر هؤلاء الكفار قبائح أعمالهم ، ونزل بهم جزاء استهزائهم بآيات الله .

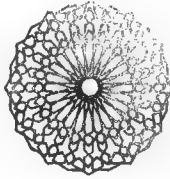
٣٤ - وقيل هؤلاء المشركين - توبيخا - : اليوم نترككم في العذاب كما تركتم الاستعداد للقاء ربكم في هذا اليوم بالطاعة والعمل الصالح ، ومقرم النار ، وليس لكم من ناصرين ينقذونكم من عذابها .

يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَبِاللهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

٣٥ - ذلك المذاب الذي نزل بكم بسبب كفركم واستهزائكم بآيات الله ، وخدعتكم الحياة الدنيا بزخرفها ،
فاليوم لا يستطيع أحد اخراج هؤلاء من النار ، ولا هم يطلب منهم أن يرضوا بهم بالاعتذار .

٣٦ - قلله - وحده - التناء ، خالق السموات والأرض وخالق جميع الخلق ، فإن هذه الربوبية العامة توجب
الحمد على كل نعمة .

٣٧ - وله - وحده سبحانه - العظمة والسلطان في السموات والأرض ، وهو العزيز الذي لا يفلح ، ذو الحكمة
الذي لا يعطيه في أحكامه .
والله أعلم .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُرْضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْفِوِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ

تحدثت هذه السورة الكريمة عن انزال القرآن من عند الله ، وجوب الايمان به وبمحمد ﷺ ، والتصديق بالقيامة ، وعنت بالنتيجه إلى الاعتبار بما أصاب السابقين الذين عصوا الله ورسله ، ودعت إلى العناية ببر الوالدين ورعاية حقوقها ، وعرضت لقصة نفر من الجن استمعوا إلى القرآن الكريم وتواصوا بالانصاف له ، فوجدوه مصدقا لما جاء به الرسل قبل محمد ﷺ ، عدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فآمنوا به ، ودعوا قومهم إلى ذلك ، وأنهت الحديث بدعوة النبي - ﷺ - إلى الصبر على تكذيب قومه والتأسي في ذلك بما احتمله أولو العزم من الرسل قبله .

١ - افتتحت هذه السورة ببعض الحروف على طريقة القرآن الكريم في افتتاح طائفة من سوره بالحروف .

٢ - تنزيل القرآن من عند الله الغالب على كل شيء ، ذى الحكمة في كل ما يفعل .

٣ - ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا على نوايس ثابتة ، لغايات تقتضيها الحكمة ، وإلى أمد معين تفنى بعده ، والذين جحدوا جهنم الحقيقة معرضون عما أنذروا به من خلق جديد يوم يبعث الناس للجزاء .

٤ - قل للذين يدعون غير الله : أخبروني عن حال ما تدعون من دون الله ؟ أعلموني : أى شيء خلقوا من الأرض أم لهم مشاركة في السموات ؟ إيتوني بكتاب من عند الله أو أتر من علم الأولين تستندون إليه في دعواكم ان كنتم صادقين .

٥ - ومن أكثر ضلالا ممن يدعو من دون الله معبودات لا تستجيب له ما بقيت الدنيا ؟ ! وهم مع ذلك غافلون عن دعائهم ، غير شاعرين به .

النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ ءَابَاؤُنَا بِبَنَاتِنَا قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهَٰنَّ لِمَا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْعِلُونَ ۚ فِيهِ كَتَبَ كُفِّي بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدَعَا مِنَ الرَّسْلِ وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكْرُ ۚ إِنِ اتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ ۚ فَقَالُوا ۖ اسْتَكَرَّ بِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ۚ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا أَفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَبَيْنَ قَبْلِهِ ۚ كَتَبَ مُوَسَّىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرِيبٍ لِّنَذِرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَبَشْرَىٰ

٦ - وإذا جمع الناس للحساب يوم القيامة كان هؤلاء المعبودون أعداء لمن عبدوهم، يتبرون منهم، ويكذبونهم فيما زعموا من استحقاقهم لعبادتهم.

٧ - وإذا تنادى على المشركين آباؤنا واضحات لكفرهم وعنادهم - عن تلك الآيات - دون تأمل: هذا سحر ظاهر.

٨ - بل أيقول هؤلاء الكافرون: اختلق محمد القرآن وأضافه إلى الله؟ قل ردا عليهم: إن افتريته عاجلني الله يعقوبته، فلا تستطيعون أن تدفعوا عني من عذابه شيئا. هو - وحده - أعلم بما تخوضون فيه من الظلم في آياته، كفى به شهيدا لي بالصدق وشهيدا عليكم بالكذب، وهو - وحده - واسع المغفرة لمن تاب، عظيم الرحمة، يجهل العصاة ليتداركوا.

٩ - قل لهم: ما كنت أول رسول من عند الله فتتكرروا رسالتى، ولست أعلم ما يفعل الله بى ولا بكم، ما أنفع أيا أقول أو أفعل إلا الذى يوحىه الله إلى، وما أنا إلا منذر بين الإنذار.

١٠ - قل: أخبروني إن كان القرآن من عند الله وكفرت به، وشهد شاهد من بنى إسرائيل على نزول مثله من عند الله، فآمن - واستكبرتم، ألا تكونون حينئذ أضل الناس وأظلمهم لأنفسهم؟! إن الله لا يوفق إلى الهدى من ظلم نفسه واستكبر عن الحق.

١١ - وقال الذين كفروا فى شأن الذين آمنوا استهزاء بهم واستعلاء عليهم: لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء إلى الايمان به، فإننا نحن أصحاب السيادة والعقول الراجحة! وحسين لم يبتدوا به يطعن فيه فيقولون: هذا كذب قديم من أساطير الأولين.

لِ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَعُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِينَ كَانُوا يُوْعَدُونَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَتِ لَكُمْ مَا تَدْعَانِي أَنْ أُتْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَمَا يَسْتَفِثَانِ اللَّهَ وَبِكَ ءَامِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطُورُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّهِمْ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾ لِكُلِّ دَرَجَةٍ

١٢ - ومن قبل القرآن أنزل الله التوراة بقوة ورحمة للعالمين بها ، وهذا القرآن الذي يكذبونه مصدق لما قبله من الكتب ، أنزله الله بلسان عربي ليكون انذارا متجددا للذين ظلموا ، ويشرى للذين استقاموا على الطريقة .

١٣ - ان الذين قالوا : ربنا الله وحده ، ثم أحسنوا العمل ، فلا خوف عليهم من نزول مكره ولا هم يحزنون لقوات مطلوب .

١٤ - أولئك الموصوفون بالتوحيد والاستقامة هم المختصون بدخول الجنة خالدين فيها ، أعطاهم الله ذلك جزاء بما كانوا يعملون من الصالحات .

١٥ - ووصينا الانسان بوالديه أن يحسن اليها احسانا عظيما ، حملته أمه حلا ذامسا ، ووضعه وضعا ذامسا ، ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهرا قاست فيها صنوف الآلام ، حتى إذا بلغ كمال قوته وعقله ، وبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، قال : رب اهبني شكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ، وألمني أن أعمل عملا صالحا ترضاه ، واجعل الصلاح ساريا في ذريتي ، اني تبت إليك من كل ذنب ، وإني من الذين أسلموا أنفسهم إليك^(١) .

١٦ - أولئك الموصوفون بتلك الحماد هم الذين تتقبل عنهم أعمالهم الحسنة ، وتغفر عن سيئاتهم في عداد أصحاب الجنة ، محققين لهم وعد الصديق الذي كانوا يوعدون به في الدنيا .

١٧ - والذي قال لوالديه حين دعواه إلى الايمان بالبعث ، متنصرا منها ومتنكرا عليها : أف لكما . أتدعاني بالهروج من القبر وقد مضت الأيام من قبل ولم يمت من القبور أحد ؟ وأبواه يستغيثان الله استعطافا لجرمه ، ويقولان له حنا على الايمان : هلكت ان لم تؤمن ، ان وعد الله بالبعث حق ، فيقول لسانا في التكذيب : ما هذا الذي تقولانه الا خرافات سطروها الأولون .

١٨ - أولئك القتاتلون ذلك هم الذين حق عليهم وقوع العذاب . في عداد أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس ، لأنهم كانوا خاسرين .

(١) أنزل مدة الحمل ستة أشهر لقرته تعالى : « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » وقوله تعالى : « وفصاله في عامين » وقوله تعالى : « والوالدان يرضعن أولاهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » فيسقط مدة الفصال عن مدة الحمل والفصال يبقى للحمل ستة أشهر . وهذا يتفق مع ما ثبت علميا من أن الطفل إذا ولد لسته أشهر فإنه قابل للحياة .

بِمَا عَمِلُوا وَلِيُوقِيَهُمْ أَعْظَمَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أُنْهِبَتْهُمْ طَبَعُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ * وَأَذْكُرْ أَخَا عَادَ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذِيرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلَاقِكَ عَنْ هَاهُنَا فَأَتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُمْ قَوْمًا يَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَبَّ رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُعْطَرِفٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِئُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكَنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

١٩ - ولكل من المسلمين والكفار منازل ملاقة لما عملوا ، ليطهر عدل الله فيهم ، وليوفيهم جزاء أعمالهم ، وهم لا يظلمون ، لاستحقاقهم ما يجزون به .

٢٠ - ويوم يوقف الذين كفروا على النار يقال لهم : أنهبتم نفسيكم من الطيبات في حياتكم الدنيا ، واستمتعتم بها ، فالיום تجزون عذاب الهوان بما كنتم عليه في الدنيا من الاستكبار في الأرض بغير الحق ، والخروج عن طاعة الله .

٢١ - واذكر هودا أخا عاد إذ حذر قومه المقيمين بالأحقاف - وقد مضت الرسل قبله وبعدة يمثل إنذاره - قائلاً لهم : لا تعبدوا إلا الله ، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم الهول^(١) .

٢٢ - قال قوم هود إنكاراً عليه : أجئنا لتصرفنا عن عبادة آلهتنا ؟ فأتينا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين في هذا الوعيد .

٢٣ - قال هود : إنما أبلغكم عند الله وحده ، وأنا أبلغكم الذي أرسلت به ، ولكني أراكم قوماً تجهلون ما تبث به الرسل .

٢٤ ، ٢٥ - فأتاهم العذاب في صورة سحب ، فلما رأوه تمتد في الأفق ، متوجها نحو أوديتهم ، قالوا فرحين : هذا سحب يأتينا بالمطر والخير . فقيل لهم : بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب شديد الألم ، تهلك كل شيء بأمر خالقها ، دمرتم فأصبحوا لا يرى من آثارها إلا مساكنتهم . كذلك الجزاء نجزي كل من ارتكب مثل جرمهم .

(١) وكانت منازل هذه القبيلة بالأحقاف ، وموقع الأحقاف مختلف فيه : وبعض المؤرخين يذكرون أنه بين اليمن وعان إلى حضرموت والشعر : أي في الجنوب الشرقي من جزيرة العرب . وبعض الثقات في الزمن القريب يرون أنه شرق العقبة ممتدين على كتابات نبطية عثروا عليها في خرابث معبد كشفوا عنه في جبل ارم ، ووجدوا في جوانب الجبل آثاراً جاعلية تدعى : فرجوا أن هذا المكان هو موضع ارم التي ذكرها القرآن الكريم ، ثم خرجت قبل الإسلام ولم يبق منها حياً ظهر إلا عين ماء كان التجار وأصحاب القوافل يتركون عليها في طريقهم إلى الشام .

وَلَقَدْ مَكَنَّا لَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكَ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْعِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْعِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حولَكُم مِّنَ الْقَرْيِ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِن دُونِ اللَّهِ قَرَّبَنَا إِلَهُمَ بَلْ صَلُّوا عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٣٨﴾ وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٣٩﴾ قَالُوا يَنْقُضُنَا إِنَّا صَمِعْنَا كَتَبْنَا نُزِّلَ مِن مُّوْسَىٰ مَوْحٍ مَّصْدُوقًا لِّمَن بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٠﴾ يَنْقُومُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَاعْمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿٤١﴾ وَمَنْ أَجِيبَ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ

٢٦ - ولقد مكنا عدا فإلم فكنكم فيه من السمّة والقوة يا أهل مكة ، وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ، لو شاءوا الانتفاع بها ، لما نفهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم شيئاً قليلاً ، لأنهم كانوا يكذبون بآيات الله ، فحال ذلك بينهم وبين انتفاعهم بما أوتوا ، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون .

٢٧ - ولقد أهلكنا القرى التي كانت حولكم يا أهل مكة ، وبيننا لهم الدلائل بأساليب متنوعة ، لعلهم يرجعون عن الكفر ، فلم يرجعوا .

٢٨ - فهلا منهم من الهلك الذين الخفوه من دون الله آلهة متقربين بهم إليه تعالى ١١ بل غابت هذه الآلهة عنهم وهم أخرج ما كانوا إلى النصرة ، وذلك الذي حل بهم من خذلان آلهتهم لم وضلّاهم عنهم هو عاقبة كذبهم وافترانهم .

٢٩ - وإذكر يا محمد - إذ وجهنا اليك جماعة من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروا تلاوته قال بعضهم لبعض : انصتوا ، فلما تمت تلاوته رجعوا مسرعين إلى قومهم ، محذرين من الكفر ، داعين إلى الإيمان .

٣٠ - قالوا : يا قومنا انا سمعنا كتاباً عظيم الشأن ، أنزل من بعد موسى ، مصدقاً لما تقدمه من الكتب الآلهية ، يرشد إلى الحق في الاعتقاد ، وإلى شريعة قوية في العمل .

٣١ - يا قومنا : أجيبوا داعي الله الذي يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وصدقوا بالله ، يفسر لكم ما سلف من ذنوبكم ، ويخففكم من عذاب شديد الآثم .

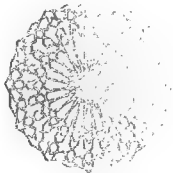
لَهُمْ مِنْ دُونِهِ أُولِيَاءَ ۖ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ لِيَحْيِيَهُنَّ يُقْلِدُهُ عَلَىٰ أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ ۚ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۖ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَؤُا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۚ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَوْمَ مَا يُوْعَدُونَ لَرَيْبُهُمْ ۖ إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ ۚ فَهَلْ يَبْلُغُ فَهَلْ يَبْلُغُ
إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

٣٢ - ومن لا يجب داعي الله فليس يستطيع أن يمجز الله عن أخذه وإن هرب في الأرض كل مهرب، وليس له من دون الله نصراء يمنونه من عذابه. أولئك الذين يعرضون عن اجابة الداعي إلى الله في حجة وبعد واضح عن الحق.

٣٣ - أغفلوا ولم يعلموا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يمجز عن خلقهم قادر على احياء الموتى ؟ بل هو قادر على ذلك، لأنه - تعالى - على كل شيء تام القدرة.

٣٤ - ويوم يوقف الذين كفروا على النار يقال لهم تقرعوا : أليس هذا العذاب بالأمر الحسق المطابق لما أنذركم في الدنيا ؟ قالوا : بلى وربنا، هو الحق. قال : فذوقوا ألوان العذاب الشديد باصراركم على الكفر والتكذيب.

٣٥ - فاصبر - يا محمد - على الكافرين كما صبر أصحاب القصة والنبات من الرسل في الشدائد، ولا تستعجل لهم العذاب، فهو واقع بهم - لا محالة - وإن طال الأمد. كأنهم يوم يشاهدون هولهم يحسبون مدة لبثهم قبله ساعة من نهار. هذا الذى وعظمت به كاف في الموعظة، فلن يهلك بمذاب الله الا الخارجون عن طاعته.



(٤٧) سُورَةُ الْحَجِّ وَالزُّمَرِ
وَأَنبِئَ الْهَاشِرَاتِ وَتِلْكَ الْأَنْبِئَاتُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَلَمَّا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْتَمْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الرِّبَاطَ فَلَمَّا مَتَّ بَعْدَ وَاِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ

بينت هذه السورة في بدايتها أن الله أبطل أعمال الكافرين باتباعهم الباطل ، وكفر عن المؤمنين سيئاتهم باتباعهم الحق . كما بينت باطناب وجوب الدفاع عن الحق ، وأن جزاء ذلك في الآخرة دخول الجنة ، وحرست المؤمنين على نصر دين الله والقتال في سبيله . وأوضح أن المبطلين إذا تولوا عن الإيمان أفسدوا في الأرض وقطعوا أرحامهم ، وحذرت من المنافقين أن يكونوا بين المؤمنين حتى لا يستمعوا لتبليغهم . وهددت المنافقين بهتك أسرارهم لآظهار رسول الله على أحقادهم . ونهت المؤمنين أن يضغفوا عن قتال الكافرين ، وهم الأعلون والله معهم ولن يترهم أعاهم . ثم ختمت بالدعوة إلى الاتفاق في سبيل الله ، وبيان أن من يبخل بذلك فلن يبخل على نفسه ، وبأن الاعراض عن اتباع الحق يكون سببا في هلاك المعرضين والاتيان بقوم آخرين خير منهم .

- ١ - الذين كفروا بالله ورسوله ، وصدوا عنهم عن الدخول في الاسلام ، أبطل الله كل ما عملوه .
- ٢ - والذين آمنوا وعملوا الصالحات وصدقوا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم ، محاه عنهم سيئاتهم . وأصلح حالهم في الدين والدنيا .
- ٣ - ذلك بأن الذين كفروا سلكوا طريق الباطل ، وأن الذين آمنوا اتبعوا طريق الحق من ربهم - مثل ذلك البيان الواضح بين الله للناس أحوالهم ليتبروا .



يَسَاءَ اللَّهُ لَا تَنْصَرُّ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُؤُوا بِعُصْمٍ بَعْضُ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُبْطِلَ أَعْمَالَهُمْ ①
 سَيَبْقَى وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ② وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ③ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصَرُوا اللَّهُ يَنصُرْكُمْ
 وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ④ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَا هُمْ وَأَصْلُ أَعْمَالِهِمْ ⑤ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْكُمَ
 أَعْمَالَهُمْ ⑥ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَلَكِنَّ يَفِرِينَ أَمْتَلُهَا ⑦ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ⑧ إِنْ اللَّهُ يُدْخِلُ
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ
 الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ⑨ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا

٤ ، ٥ ، ٦ - فإذا لقيتم الذين كفروا في الحرب فاضربوا رقابهم ، حتى إذا أضغطوهم بكثرة القتل فيهم
 فأحكوا قيد الأسارى ، فلما أن تموا بعد انتهاء المعركة منا باطلاهم دين عوض ، وأما أن تفسدهم بالمال
 أو بالأسرى من المسلمين ، فتلقومهم بالعوض . وليكن هذا شأنكم مع الكافرين ، حتى تضع الحرب أوقالها وتنتهي ،
 حكم الله فيهم ذلك ولو شاء الله لانتصر منهم بغير قتال ، ولكن ليختبر المؤمنين بالكافرين شرع الجهاد ، والذين
 قتلوا في سبيل الله فلن يبطل أفعالهم ① ، سيدهم ويصلح قلوبهم ، ويدخلهم الجنة عرفها لهم .

٧ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا : ان تنصروا دين الله بنصركم على عدوكم ، ويوطد أركم .

٨ - والذين كفروا فأتقاهم الله وأبطل أفعالهم .

٩ - أمرهم ذلك بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله من القرآن والتكاليف ، فأبطل أفعالهم .

١٠ - أقعدوا عن طلب ما بعظمهم ، فلم يسيروا في الأرض فينظروا في أي حال كان عاقبة الذين كذبوا
 الرسل من قبلهم ، أوقع الله عليهم الملائكة في كل ما ينقصهم من نفس ومال وولد ، وللكافرين بالله ويرسلوه
 أمثال هذه العاقبة .

١١ - ذلك الجزاء من نصر المؤمنين وقهر الكافرين بأن الله مولى الذين آمنوا وناصرهم ، وأن الكافرين
 لا مولى لهم ينصرهم ويمنع هلاكهم .

١٢ - ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات عظيمة تجري من تحتها الأنهار ، والذين كفروا
 يمتنعون في الدنيا قليلا ، ويأكلون كما تأكل الأنعام ، غافلين عن التفكير في الصاقية ، لا هم لهم سوى شهواتهم ،
 والنار في الآخرة مأوى لهم .

(١) عنت الرقاب في هذه الآية الكريمة لأن ضرباً ألحق وسيلة للاجهاز السريع على الضروب بغير تمذيب له ولا تخيل به ، إذا نه
 من النابت علمياً أن الرقبة حلقة الاتصال بين الرأس وسائر الجسد ، فإذا قطع الجهاز العصبي شلت جميع وظائف الجسم الرئيسية ، وإذا
 قطعت الشرايين والأوردة توقف الدم عن تغذية المخ ، وإذا قطعت الممرات الهوائية وقف التنفس وفي جميع هذه الحالات تنتهي الحياة
 سريعاً .

نَاصِرَهُمْ ❶ أَفَن كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كُنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ ❷ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي
وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ نَعِيمٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ
مِنْ عَسَلٍ مُصْقًى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ❸ كُنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَاءَهُمْ ❹ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ
الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ❺ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ❻
فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً طَرَدَتْهُمْ أَفَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ❷ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ

١٣ - وكثير من أهل القرى السابقين هم أشد قوة من أهل قرينك - مكة - التي أخرجك أهلها يا محمد .
أهلكتهم بأنواع العذاب ، فلا ناصر لهم بينهم منا .

١٤ - أيسرى الفريقان في الجزاء ؟ أفن كان منها على معرفة بينة بخالفه ومريبه فأطاعه ، كمن زين له سوء
عمله ، واتبعوا فيما يأبون وينكرون أهواءهم الباطلة .

١٥ - صفة الجنة التي وعد الله بها المتقين : فيها أنهار من ماء غير متغير ، وأنهار من لبن لم يفسد طعمه ، وأنهار
من حمرة لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصق مما يطالعه . ولهم فيها أنواع من كل الثمرات ، ومغفرة عظيمة من
ربهم . أصفى جنة هؤلاء كصفة جزاء من هو خالد في النار ، وسقوا ماء مفرطاً في الحرارة ، ففقط أمعاءهم (١) .

١٦ - ومن الكفار فريق يستمعون إليك - يا محمد - غير مؤمنين بك ولا منتفعين بقولك ، حتى إذا انصرفوا من
مجلسك قالوا استهزاء للذين أُوتوا العلم : أي قول قال محمد الآن ؟ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم بالكفر ،
فانصرفوا عن الخير منقادين لشهواتهم .

١٧ - والذين اهتدوا إلى طريق الحق زادهم الله هدى ، وأعطاهم تقواهم التي يتقون بها النار .

١٨ - لم ينتظ المكنون بأحوال السابقين . فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم فجأة ؟ فقد ظهرت علاماتها
ولم يتنبهوا بمجيئها ، فن أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة بغتة ؟

(١) توجه الآية الكريمة الأظفار إلى أن الماء الأسن الراكد للتغير ماء ضار . وقد قررت الآية الكريمة ذلك قبل كشف المناظر
الكبرى - ميكسكوب - بقرن عدة ، حيث تبين أن الماء الراكد للتغير مستودع للآيين البكتريا الضارة وغيرها من الطفيليات التي تصيب
الناس والأمعاء بالمرض شق .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِقَبْلِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظَرُ الْغَنِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ هُمُ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنْ أُمَّ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالًا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّاهُمْ وَآمَنَ بِهِمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ

١٩ - فأنبت على العلم بأنه لا معبود بحق إلا الله ، واستغفر الله لذنبك ولذنب المؤمنين والمؤمنات ، والله يعلم كل منصرف لكم وكل إقامة .

٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ - ويقول الذين آمنوا : هل أنزلت سورة تدعونا إلى القتال ؟ ! فإذا نزلت سورة لا تحتمل غير وجوبه ، وذكر فيها القتال مأمورا به ، رأيت الذين في قلوبهم نفاق ينظرون إليك نظر الغني عليه من الموت ، خوفا منه وكراهية له ، فأحق بهم طاعة الله وقول بقره الشرع ، فإذا جد الأمر ولزمهم القتال ، فلو صدقوا الله في الإيمان والطاعة لكان خيرا لهم من النفاق ، فهل يتوقع منكم - أيها المنافقون - أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا صلاتكم بأقاربكم ؟ !

٢٣ - أولئك الذين أبدهم الله عن رحمته ، فأصمهم عن سماع الحق ، وأعمى أبصارهم عن رؤية طريق الهدى .

٢٤ - أعموا فلا يتفهمون هدى القرآن ؟ ! بل على قلوبهم ما يحجبها عن تديره .

٢٥ - ان الذين ارتدوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والضلال من بعد ما ظهر لهم طريق الهداية . الشيطان زين لهم ذلك ، ومد لهم في الآمال الكاذبة .

سَنُطِيعُكَ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ
وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَبَعُوا مَا أَمْنَحَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَلَحِظُوا أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَشْقَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَمَعَاتِهِمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ
الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّعِيفِينَ وَيَبْلُغُوا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنْ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ
أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾ * يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ

٢٦ ، ٢٧ - ذلك الارتداد بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله : سنطيعكم في بعض الأمر ، والله يعلم أسرار
هؤلاء المنافقين . ذلك لحلم في حياتهم ، ففى أى حال يكونون إذا توفيتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم اذلالاً
لم ؟

٢٨ - ذلك التوفى الرهيب على تلك الحالة بأنهم اتبعوا الباطل الذى أغضب الله . وكرهوا الحق الذى
يرضاه ، فأبطل كل ما عملوه .

٢٩ - بل أظن هؤلاء الذين فى قلوبهم نفاق أن لن يظهر الله أحقادهم لرسوله وللمؤمنين ١٢

٣٠ - ولو نشاء لدلناك عليهم ، فلعرقتهم بعلامات نسمهم بها ، وأقسم : لتعرفتم من أسلوب قولهم ، والله يعلم
حقيقة أفعالكم جميعاً .

٣١ - وأقسم : لنماتكم معاملة الغتير ، حتى نعلم المجاهدين منكم والصائرين فى البأساء والضراء ، ونبلو
أخباركم من طاعتكم وعصيانكم فى الجهاد وغيره .

٣٢ - ان الذين كفروا وصدوا عن طريق الله ، وخالفوا الرسول فى عناد واصرار ، من بعد ما ظهر لهم
الهدى ، لن يضرروا الله شيئاً ، وسيبطل كل ما عملوه .

٣٣ - يا أيها الذين آمنوا : أطيعوا الله فإأمركم به ، وأطيعوا الرسول فإدعائكم إليه ، ولا تضيعوا أعمالكم .

٣٤ - ان الذين كفروا وصدوا عن الدخول فى الاسلام ، ثم ماتوا وهم كفار ، فلن يغفر الله لهم .

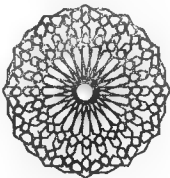
الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهِ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرُكَرَ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَبَهِلَةٌ وَلَهُوَ إِنْ تَزْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ فِيمَا تَحِبُّونَ فَبِخْشِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْرَجَ أَصْفَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَئَانَتْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَلْيَأْكُلْ بِبَخْلٍ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴿٣٨﴾ وَإِنْ تَتُوبُوا يُبَدِّلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٩﴾

٣٥ - فلا تضطربوا لأعدائكم إذا لقيتموهم ، ولا تدعهم إلى المسألة خوفا منهم ، وأنتم الأعلىون الغالبون بقوة الإيمان ، والله معكم بنصره ، ولن ينقصكم ثواب أعمالكم .

٣٦ ، ٣٧ - إنما الحياة الدنيا باطل وغرور ، وإن تؤمنوا وتركوا الماضي ، وتفضلوا الخير ، يحطكم الله ثواب ذلك ، ولا يسألكم أموالكم ، إن يسألكم أياها فبإلحاح في طلبها تبخلوا بها ، ويظهر أحقادكم لحبكم لها .

٣٨ - هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله الذي شرعه ، فمنكم من يبخل بهذا الانفاق ومن يبخل لما يضر إلا نفسه . والله - وحده - الغني ، وأنتم الفقراء المحتاجون إليه .

وإن تعرضوا عن طاعة الله يستبدل مكانكم قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم في الاعراض عن طاعته .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُمْسِكْ بِعَمَتِهِ عَلَيْكَ وَيَبِيدِكَ سِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيُنْصِرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِيدُوا دَأْوًا وَعِلْمًا مَعَ

حدثت في افتتاحيتها عن الفتح المبين ، الذي يسره الله لرسوله ، وعن آثاره العظيمة في انتشار الاسلام ، واعزاز المسلمين ، وعن تثبيت الله قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً ، وعن عذاب المنافقين والمشركين ، بنشكهم في نصر الله لرسوله ، وعن ارسال محمد - ﷺ - شاهداً ومبشراً ، ليتحقق الايمان بالله . وانتقلت بعد ذلك إلى حديث بيعة أهل الصدق والوفاء لرسوله ، وبينت كذب اعتذار المتخلفين عن الخروج مع الرسول ، وأنهم تخلفوا لأنهم أن لا ينصروه ، وعرضت لطيفهم الخروج معه للفتاح .

ثم بينت أنهم سيدعون إلى قتال قوم ذوى بأس وقوة ، وأنه لا اثم في التخلف عن القتال لمنذر صحيح ، كما أوضحت عظم الخيبر الذي وعد الله به من رضى عنهم في بيعة الرضوان ، وتكلمت عن قرار الكافرين وهزيمتهم إذا ما قاتلوا المؤمنين ، وشرحت حكمة الله في كف الكافرين عن المؤمنين ، والمؤمنين عن الكافرين يوم فتح مكة ، وأنهت الحديث ببيان أن الله صدق رسوله رؤياه دخول المسجد الحرام ، وأن محمداً والذين آمنوا معه غلاظ على الكفار ، متراحون فيما بينهم ، وبيان ما يعرف به المؤمنين ، وصفتهم في التوراة وصفتهم في الانجيل ، ووعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات بالغفرة الواسعة والأجر العظيم .

١ ، ٢ ، ٣ - إنا فتحنالك - يا محمد - فتحاً عظيماً مبيناً بانتصار الحق على الباطل . ليغفر لك الله ما تقدم مما بعد لئلا مقامك ذنباً ، وما تأخر منه ، ويكمل نعمته عليك بانتشار دعوتك . ويشتك على طريق الله المستقيم ، وينصرك الله على أعداء رسالتك نصراً قوياً غالباً .

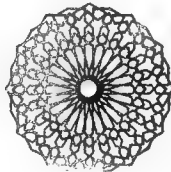
لِيُدْخِلَهُنَّ الْجَنَّاتِ ۖ وَفِيهَا جَنَّاتٌ مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ يُكْفَرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ قُرْزًا عَظِيمًا ۚ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ ۚ وَالْمُنَافِقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ ۚ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا دَائِرَةُ السُّوءِ ۚ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۚ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۚ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۚ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

٤ - هو الذي أنزل الطمانينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا بها يقينا مع يقينهم ، والله - وحده - جنود السموات والأرض ، يدبر أمرها كما يشاء ، وكان الله محيطا علمه بكل شيء ، ذا حكمة بالغة في تدبير كل شأن .

٥ ، ٦ - ليدخل الله المؤمنين والمؤمنات بالله ورسوله جنات تجري من تحتها الأنهار ، دالين فيها ، يحو عنهم سيئاتهم وكان ذلك الجزاء عند الله فوزا بالغا غاية المظم . وليلذب المنافقين والمنافقات ، والمشركين مع الله غيرهم والمشركات ، الظالمين بالله فلنا فاسدا ، وهو أنه لا ينصر رسوله ، عليهم وحدهم دائرة السوء ، لا يفلتون منها ، وغضب الله عليهم وطردهم من رحمته وفيما لعنهم جهنم وساءت نهاية لهم .

٧ - والله جنود السموات والأرض ، يدبر أمرها بحكمته كما يشاء ، وكان الله غالبا على كل شيء ، ذا حكمة بالغة في تدبير كل شأن .

٨ - إنا أرسلناك - يا محمد - شاهدا على أمتك وعلى من قبلها من الأمم ، ومبشرا للتقنين بحسن الثواب ، ونذيرا للعصاة بسوء العذاب .



وَأَصِيلًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَلَمْ يَصْكُثْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ
وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ جِزَاءٌ عَظِيمًا ۝ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا
وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسْتِم مَالِيْس فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْعًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ
أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ
أَبَدًا وَذِينَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بِرُءَا ۝ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ۝ وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ۝ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَفَاحٍ لِنَأْخُذْهُمَا قَرُونَا بِهِمْ كَرَّ يَرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ

٩ - تؤمنوا - ايها المرسل اليكم - بالله ورسوله ، وتنصروا الله بنصر دينه ، وتظلموه مع الإجلال والإكبار ،
وتنزهوه عما لا يليق به غدوة وعشيا .

١٠ - إن الذين يماهدونك - على بذل الطاقة لنصرتك - إنما يماهدون الله ، قوة الله معك فوق قوتهم ، فمن
نقض عهده بعد ميثاقه ، فلا يعود ضرر ذلك الا على نفسه ، ومن وفى بالمهد الذي عاهد عليه الله - بإتمام بيعته -
فسبح عليه الله ثوابا بالغا غاية العظم .

١١ - سيقول لك من خلفهم النفاق من سكان البادية - إذا رجعت من مفرك - : شغلنا عن الخروج معك
أموالنا وأهلونا ، فاستغفر لنا . يقولون بالستهم غير ما في قلوبهم قل ردا عليهم : فمن يملك لكم من الله شيئا يدفع
عنكم قضاءه ، إن أراد بكم ما يضركم ، أو أراد بكم ما ينفعكم ١٢ بل كان الله بكل ما تعملون محيطا .

١٢ - بل ظننتم أن لن يرجع الرسول والمؤمنون من غزوهم إلى أهلهم أبدا ، فتنقضتم ، وزين ذلك الظن في
قلوبكم ، وظننتم الظن الفاسد في كل شئوئكم ، وكنتم في علم الله قوما هالكين ، مستحقين لسخطه وعقابه .

١٣ - ومن لم يؤمن بالله ورسوله ، فإننا هبنا للكاشرين نارا موقدة ذات لهب .

١٤ - والله - وحده - ملك السموات والأرض يديره تدبير قادر حكيم ، يضر الذنوب لمن يشاء ، ويعذب
بحسبته من يشاء ، وكان الله عظيم المغفرة واسع الرحمة .

١٥ - سيقول هؤلاء الذين خلفهم التفاق عن الخروج منك من مكان البداية : إذا انطلقنا إلى مقام ، وعذرك الله بما نتأخذه ، دعونا نتبعكم إليها يريون بذلك تغير وعد الله بملك الغنائم لمن خرج مع الرسول إلى المدينة ، قل لهم - يا محمد - لن يتبعونا . مثل ذلك الحكم بعدم اتباعهم حكم الله من قبل ذلك بملك الغنائم لمن خرج إلى الفرز مع رسوله ، فيقولون : لم يأمركم الله بذلك . بل تحسدوننا أن نتشارككم ، بل كان هؤلاء - يا قالوا - لا يسمعون من تشريع الله إلا فيها قليلا .

١٦ - قل للمتخلفين عن الخروج من أهل البادية: مستعدون إلى قتال قوم قوى شدة قوية في الحرب، فإن تستجيروا لهذه الدعوة بعظم الله التهمة في الدنيا، والثواب في الآخرة، وإن تعرضوا عنها كما عرضتم من قبل، يعذبكم الله عذابا بالمرء الأم.

١٧ - ليس على الأعمى إثم في التخلف عن قتال الكفار، ولا على الأخرج إثم، ولا على المريض إثم كذلك، حيث لا يستطيعون، ومن يطع الله ورسوله في كل أمر ونهى يدخله جنات فسيحات تجري من تحتها الأنهار، ومن عرض عن طاعة الله ورسوله بعذبه عذابا بالأمثال.

١٨، ١٩ - لقد رضى الله عن المؤمنين حين يملكونك تحت الشجرة ، فسلم ما في قلوبهم من
الاخلاص والوفاء لرسالتك ، فأزل الطمأنينة عليهم وأعطاهم بصدقهم في البيت واتمام الصلح عزا عاجلا . وبماهم
كثيرة وعلمهم الله بها ياغنونها ، وكان الله غالبا على كل شيء ذا حكمة بالغة في كل ما قضاه .

مَغَامٍ كَثِيرَةٍ تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ٢٠) وَاتَّخَذُوا لَكُمْ حُدُودًا عَلَيْهَا قَدْ أَصَاحَ اللَّهُ بِهَا ٢١) وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ٢٢) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَذْهَبُ لَمْ يَجِدُوا عَلَيْكُمْ يُحَدِّثُونَ عَلَيْكُمْ لَوْلَا وَلَا نَصِيرًا ٢٣) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٢٤) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ٢٥) وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٢٦) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدَنَى مَعَكُوا أَنْ يَبْلُغَ مِنْكُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَ تَعْلَمُونَهُمْ أَنْ تَطْغَوْهُمْ فَوْضَيْكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بِغَيْرِ غِلٍّ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٧) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ

٢٠ ، ٢١ - وعدكم الله مغام كثيرة تأخذونها في الوقت المفسر لها ، فعجل لكم هذه ، وهو ما وعدكم به من الغنائم ، ومنع أذى الناس عنكم ، وتكون آية للمؤمنين على صفق وعد الله لهم ، ويهديكم طريقا مستقيما ، بطاعته واتباع رسوله ، ومغام أخرى لم تقدروا عليها قد حفظها الله لكم فأظفركم بها ، وكان الله على كل شيء تام القدرة .

٢٢ - ولو قاتلكم الذين كفروا من أهل مكة ، ولم يقدروا معكم صلحا ، لفروا منهزمين رجا منكم ، ثم لا يجدون أى دلى يلى أمرهم ، ولا أى نصير ينصرهم .

٢٣ - سن الله سنة قد مضت من قبل في خلقه ، أن تكون العاقبة لرسله وللمؤمنين ، ولن يجد لسنة الله تغييرا .

٢٤ - وهو الله - وحده - الذى منع أيدى الكفار من إيهائكم وأيديكم من قتالهم بوسط مكة ، من بعد أن أقدركم عليهم ، وكان الله بكل ما تعملون بصيرا .

٢٥ ، ٢٦ - أهل مكة هم الذين كفروا ومنعوك من دخول المسجد الحرام ومنعوا الهدى الذى سقتموه محبوسا معكم على التقرب به من بلوغ مكانه الذى ينصرف فيه . ولولا كراهة أن تصيبوا رجلا مؤمنا ونساء مؤمنات بين الكفار بمكة ، لم تعلموهم ، فتقتلوهم بنير علم بهم ، فيلحقكم من أجل قتلهم عار وخزي ، لسلطانكم عليهم . . كان الكف ليدخل الله في حفظه من كان بينهم من المؤمنين ، ومن أسلم من الكافرين . لو تميز المؤمنين لعاقبنا الذين أصرروا على الكفر منهم عقابا بالغ الأثم ، حين جعل الذين كفروا في قلوبهم الأنفة الأنفة المجاهلية فأنزل الله طمانينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وألزمهم كلمة الوقاية من الشرك والعذاب ، وكانوا أحق بها وأهلها لها ، وكان الله محيطا علمه بكل شيء .

الْحَمِيَّةَ حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٧﴾ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّبِّيَّ بِالْحَقِّ لِتَدْخُلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا لَعَمَلٍ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحَا قَرِيبًا ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٩﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رِحَمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكُوعًا وَجِدًا يَتَفَوَّنُ فَضِيلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَكَازَرُوهُ فَاسْتَأْظَفَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ يُحْجَبُ الْزَّرْعُ لِیَنْفِظَ يَوْمَ الْكُفَّارِ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾

٢٧ - لقد صدق الله ورسوله رؤياه دخول المسجد الحرام بتحققها . أقسم : لتدخلن المسجد الحرام - إن شاء الله - آمنين عدوكم ، بين محلق رأسه ومقصر ، وغير خاتفين : فلم سبحانه الخير الذي لم تلموه في تأخير دخول المسجد الحرام ، فجعل من قبل دخولكم فتحا قريبا .

٢٨ - هو الله الذي أرسل رسوله بالإرشاد الواضح ودين الإسلام لطيله على الأديان كلها ، وكفى بالله شهيدا على ذلك .

٢٩ - محمد رسول الله وأصحابه الذين معه أشداء أقوياء على الكفار . مترحمون ، متعاطفون فيما بينهم تبصرهم راكعين ساجدين كثيرا ، يطوبون بذلك نوابيا عظيما من الله ورضوانا عظيما ، علامتهم خضوع ظاهر في وجوههم من أثر الصلاة كثيرا ، ذلك هو وصفهم العظيم في التوراة . وصفتهم في الإنجيل كصفة زرع أخرج أول ما ينشئ عنه ، فأزره ، فنحلو من الدقة إلى الغلظ ، فاستقام على أصوله ، يعجب الزراع بقوته ، وكان المؤمنون كذلك ، ليفظ الله بقوتهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة تحو جميع ذنوبهم ، ونوابا بالغا غاية العظم .



(٤٩) سورة الحجرات مكية
وَأَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا لَا تُقِمُوْا بَيْنَ يَدَيِ اللّٰهِ وَرُسُلِهِۦ وَاَتَقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ﴿١٠﴾ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا لَا تَرْفَعُوْا اَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوْا لَهُۥ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ اَنْ تَحْبَطَ اَعْمَالُكُمْ وَاَنْتُمْ لَا تَشْعُرُوْنَ ﴿١١﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ يَضْحَكُوْنَ اَصْوَاتُهُمْ حِنْدَ رُسُوْلٍ اَللّٰهُ اَوْلٰئِكَ الَّذِيْنَ اَمْتَحَنَ اللّٰهُ قُلُوْبَهُمْ لِلنَّفْوٰى هُمْ مَفْزَعٌ وَّاجِرٌ حَظِيْمٌ ﴿١٢﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ يَتَادُوْنَكَ مِنْ وَّرَآءِ الْحُجُرٰتِ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ اَنْتُمْ صَبَرْتُمْ حَتّٰى

افتتحت بهمى المؤمنین عن الحكم بشئ قبل أن يأمر به الله ورسوله، وعن رفع أصواتهم فوق صوت النبي - ﷺ - وأنت على الذين يخفون أصواتهم في حضرته، وتدنت بمن يترك الأدب فينادونه - ﷺ - من وراء حجراته. ثم أمرت المؤمنین، بالثبوت من أشبار الفاسقين وضعاف الإيمان، وأمرت الولاة بما يفعلونه عند تقاتل فریقین من المؤمنین، ونهت المؤمنین عن استهزاء بعضهم ببعض، وتعيب بعضهم بعضاً، وعن ظن السوء بأهل الخير، وعن تتبع بعضهم، ونهت الأعراب عن ادعاء الإيمان قبل أن يستقر في قلوبهم ثم أبانت من هم المؤمنون الصادقین، وختمت الحديث بالنهى عن اللن على رسول الله بالإسلام، وبيّنت أن المنة لله عليهم بهدایتهم إلى الإيمان، إن كانوا صادقين في دعواهم.

١ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا: لَا تَقْصُوا أَمْرًا فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا، دُونَ أَنْ يَأْمُرَ بِهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَاجْعَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَقَايَةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِمِثَالِ شَرِيعَتِهِ إِنَّ اللَّهَ تَامَ السَّمَّ لِكُلِّ مَا تَقُولُونَ، مُحِيطٌ عَلَيْهِ بِكُلِّ شَيْءٍ.

٢ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ إِذَا تَكَلَّمْتُمْ وَتَكَلَّمْتُمْ، وَلَا تَسَاءَلُوا أَهْوَاتَكُمْ بِصَوْتِهِ، كَمَا يَخَاطَبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، كِرَاهَةً أَنْ يُبْطِلَ أَعْمَالَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ بِإِبْطَالِهَا.

٣ - إن الذين يفضون أصواتهم في مجلس رسول الله ، أجلا له ، أولئك - وحدهم - هم الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى ، فليس لغيرها مكان فيها ، لهم مضرة واسعة لذنوبهم وثواب بالغ غاية العظم .

٤ - إن الذين ينادونك من وراء حجراتك أكثرهم لا يعقلون ما ينهى لقمالك من التوقير والإجلال.

تُخْرِجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ⑤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِ فَقُصِّصُوا عَلَى مَا قُلْتُمْ تَلْمِيزِينَ ⑥ وَاعْلَمُوا أَن فَيْكْرَ رَسُولِ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَنُ وَزَيْنُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ⑦ فَضَلَّامِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةُ اللَّهِ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ⑧ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَأْتِيَ إِلَى اللَّهِ أَمْرًا فَإِن قَامَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⑨ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْرِيكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ⑩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا

٥ - ولو أن هؤلاء صبروا - تأدبا بملك - حتى تفقد الخروج إليهم ، لكان ذلك خيرا لهم في دينهم ، والله عظيم المغفرة ذو رحمة واسعة .

٦ - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم أى خارج عن حدود شريعة الله بأى خير ، فتبينوا من صدقه ، كرامة أن تصيبوا أى قوم بأذى - جاهلين حالهم - فتصبروا على ما فعلتم معهم - بعد ظهور برادتهم - متقين دائما على وقوعه ، متعينين أنه لم يقع منكم .

٧ . ٨ - واعلموا - أيها المؤمنون - أن فيكم رسول الله ، فأقدروه حتى قدره ، وأصدقوه ، لو يطيع ضماف الإيمان منكم ، في كثير من الأمور ، لوقعت في المشقة والمهلك ، ولكن الله حبيب في الكاملين منكم الإيمان ، وزينه في قلوبكم ، فتصبروا عن تزوين مالا ينبغي ، وبغض اليكم جمود نعم الله ، والخروج عن حدود شريعته ، وهتافه أوامره ، أولئك هم - رحدهم - الذين عرفوا طريق الهدى وابتغوا عليه ، تفضلا كريما ، واناما عظمى من الله عليهم ، والله يحيط علمه بكل شيء ، ذو حكمة بالغة في تدبير كل شأن .

٩ - وإن طائفتان من المؤمنين تقاتلا فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما ، فإن تعدت إحداهما على الأخرى ، ورفضت الصلح معها ، فقاتلوا التي تعدى ، إلى أن ترجع إلى حكم الله ، فإن رجعت فأصلحوا بينهما بالإتصاف ، وأعدلوا بين الناس جميعا في كل الشئون ، إن الله يحب العادلين .

١٠ - إنما المؤمنون بالله ورسوله اخوة ، جمع الإيمان بين قلوبهم ، فأصلحوا بين أنفسكم رعاية لإخوة الإيمان ، واجعلوا لأنفسكم وقاية من عذاب الله باستئثار أمره واجتناب نهيه ، راجين أن يرحمكم الله بتقواكم .

مَيْهَمٌ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءِ عَمَلِكُمْ أَن يَبْكَرَ بَعْدَ يَوْمِ الْحَرِّ ۚ وَلَا تَلْبَسُوا أَلْبَسَكُمْ وَلَا تَلْبَسُوا أَلْبَسَكُمْ بِئْسَ
 الْإِيمَانُ الَّذِي بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ لَّيَبْ فَلَوْلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْنَبُوا كَثِيرًا
 مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
 فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُ شُعوبًا
 وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ * قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلُوبُكُمْ لََّا تَزِيدُكُمْ
 وَلََّا تَعْلَمُونَ أَسَلَّيْنَا وَلََّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لََّا يَلْسَنَكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْعًا
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لََّا يَرْتَابُوا وَجْهَهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأُنْفُسِهِمْ

١١ - يا أيها الذين آمنوا: لا يسخر رجال منكم من رجال آخرين، عسى أن يكونوا عند الله خيرا من
 الساعرين. ولا يسخر نساء مؤمنات من نساء مؤمنات، عسى أن يكن عند الله خيرا من الساعرات. ولا يعيب
 بعضكم بعضا، ولا يدع الواحد أخاه بما يستكره من الألقاب، بش الذكر للمؤمنين أن يذكروا بالفسوق بعد
 اتصافهم بالإيمان، ومن لم يرجع عما نهى عنه فأولئك هم - وعدمهم - الظالمون أنفسهم وغيرهم.

١٢ - يا أيها الذين آمنوا: ابتعدوا عن كثير من ظن السوء بأهل الخير. إن بعض الظن إثم يستوجب العقوبة،
 ولا تبصروا عورات المسلمين، ولا تذكر بعضكم بعضا بما يكره في غيبته، يجب أحدهم أن يأكل لحم أخيه ميتا، فقد
 كرهتموه ١٢ فأكروها الغيبة فإنها عاثلة له، وقوا أنفسكم عذاب الله بامتنال ما أمر، واجتناب ما نهى. إن الله
 عظيم في قبول توبة التائبين. ذرعة واسعة بالعالمين.

١٣ - يا أيها الناس: إنا خلقناكم متساوين من أصل واحد هو آدم وحواء، وصيرناكم بالتكاثر جموعا عظيمة
 وقبائل متعددة، ليتم التعارف والتعاون بينكم، إن أرفضكم مغزلة عند الله في الدنيا والآخرة انقاسم له، إن الله
 محيط علمه بكل شيء، خير لا تحفل عليه دقائق كل شأن.

١٤ - قالت الأعراب بألسنتهم: أمنا، قل لهم - يا محمد -: لم تؤمنوا، لأن قلوبكم لم تصدق ما نطقتم به،
 ولكن قولوا: اعتدنا ظاهرا لرسالتك، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم بعد، وإن تطيعوا الله ورسوله صديقين
 لا ينقصكم من نواب أفعالكم أى شيء، إن الله عظيم المغفرة للعباد، ذرعة واسعة بكل شيء.

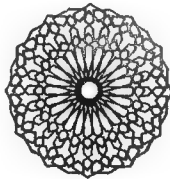
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِلَّا مَعَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْتَ
هَدَيْتُهُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

١٥ - إنما المؤمنون - حقاً - هم الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يقع في قلوبهم شك فيما آمنوا به ، وجاهدوا
بأموالهم وأنفسهم في طريق طاعة الله ، أولئك هم - وحدهم - الذين صدقوا في إيمانهم .

١٦ - قل لهم - يا محمد - تكتنينا لقولهم آمنا : أنصبرون الله بتصديق قلوبكم ، والله وحده يعلم كل ما في
السموات ، وكل ما في الأرض ، والله محيط علمه بكل شيء ١٩

١٧ - يصدقون إسلامهم بما هم عليكم - يا محمد - تستوجب شكره لهم ، قل : لا تفتنوا على إسلامكم ، فخير
لكم ، بل الله - وحده - يمين عليكم بهديته إليكم إلى الإيمان ، إن كنتم صادقين في دعواكم .

١٨ - إن الله يعلم كل ما استتر في السموات والأرض ، والله محيط الرؤية بكل ما تعملون .



(٥٠) سُورَةُ قَدْ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأَنَا بِهَا جِبْرِيلُ وَأَزْجَىٰ مِنْهُنَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١ بَلْ عَجَّبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا نَجْوَىٰ عَجِيبٌ ٢ أَوَدَّاعُنَا
وَكَا تَرَابًا ٣ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ٤ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَزِيقٌ ٥ بَلْ كَذَّبُوا
بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هُمْ فِي أَمْرٍ مُرِيعٍ ٦ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ

تحدثت في بدايتها عن إثبات رسالة محمد - ﷺ - وعن انكار الكفار أن يجيء رسول منهم ، واستبعداهم
البعث بعد أن يصيروا ترابا ، وعرضت للأدلة الكونية الدالة على أن الله لا يعجزه أن يبعث الناس بعد موتهم وهو
الذي خلقهم أولا ويعلم ما توسوس به نفوسهم ، وأحصى أعيانهم وأقوالهم في كتاب دقيق الحفظ ، وأبانت أن محاولة
الكفار في يوم القيامة التنصل من الكفر الذي كان في الدنيا بالقائه النجاة على فرأيتهم من الشياطين لا تجد لهم
نفعاً . إذ يتنهي الجدال بينهم بالقائه جميعا في النار . في حين يتفضل الله على المؤمنين بالنعيم الدائم في الجنة ، ثم
نهت السورة حديثها بأمره - ﷺ - بالصر على أذى الكافرين الذين لم يمتدروا بصير الكاذبين من الأمم قبلهم ،
وتوجيهه - ﷺ - إلى الثبات على عبادة الله ، وتأكيد أمر البعث ، وتسليته - ﷺ - بأنه مذكر للمؤمنين ، وليس
بمسيطر على الكافرين .

٢ ، ١ - ق : حرف من حروف الهجاء افتتحت السورة به على طريقة القرآن الكريم في افتتاح بعض السور
ببعض هذه الحروف للتدريج وتنبيه الأذنان ، أقسم بالقرآن ذي الكرامة والمجد والشرف : إنا أرسلناك - يا محمد -
لتنذر الناس به فلم يؤمن أهل مكة ، بل عجبوا أن جاءهم رسول من جنسهم ينذرهم بالبعث ، فقال الكافرون :
هذا شيء متكرر عجيب .

٣ - أبعد أن تموت ونصير ترابا نرجع ؟ ذلك البعث بعد الموت رجوع بعيد الوقوع .

٤ - قد علمنا ما تأخذ الأرض من أجسامهم بعد الموت ، وعندنا كتاب دقيق الإحصاء والحفظ .

٥ - لم يتدبروا ما جاءهم به الرسول ، بل كذبوا به من فورهم دون تدبر وتفكر ، فهم في شأن مضطرب

لا يستقرون على حال .

فُرُوجُ ① وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَهِيجٍ ② تَبَصَّرَةٌ وَدَّ كَرْنٍ لِكُلِّ عَبدٍ مُبِينٍ ③ وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ④ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ⑤ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ أَنْخْرِجُ ⑥ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَبُ الرِّسِّ وَنَمُودُ ⑦ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطَ ⑧ وَأَصْحَبُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُيُوسُفَ ⑨ كُلٌّ كَذَّبَ الرِّسْلَ لِحَقِّ وَعِيدِ ⑩ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ⑪ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعْلَمُ مَا تُوَسُّوهُ بِهِ نَفْسُهُ وَيَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ⑫ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ⑬

- ٦ - أغفلوا فلم ينظروا إلى السماء مرفوعة فوقهم بغير عمد ، كيف أحكمتنا بناحها وزينناها بالكواكب ، وليس فيها أى شقوق تعاب بها (١) .
- ٧ - والأرض بسطناها وأرسلنا فيها جبالا ثوابت ضاربة في أعماقها ، وأنبتنا فيها من كل صنف يبتهج به من النبات ، يسر الناظرين (٢) .
- ٨ - جعلنا ذلك تبصيرا وتذكيرا لكل عبد راجع إلى ربه ، يفكر في دلائل قدرته .
- ٩ - وزلزلنا من السماء ماء كثير المحر والبركات ، فأنبتنا به جنت ذات أنشجار وأزهار وقمار ، وأخرجنا به حب الزرع الذى يحصد .
- ١٠ - والنخل ذاهبات إلى السماء طولا ، لها طلع متراكم بعضها فوق بعض ، لكثرة ما فيه من مادة الفرج .
- ١١ - أنبتنا رزقا للعباد ، وأحيينا بالماء أرضا جف نباتها ، كذلك خروج الموتى من القبور حين يبعثون .
- ١٢ ، ١٣ ، ١٤ - كذبت بالرسل قبل هؤلاء أمم كثيرة . قوم نوح ، والقوم المعروفون بأصحاب الرس ، وفود ، وعاد ، وفرعون وقوم لوط والقوم المعروفون بأصحاب الأيكة ، وقوم تبع . كل من هؤلاء كذب رسوله ، فعن تخليم ما وعدتهم به من الهلاك .
- ١٥ - أعطيت إرادتنا أو عوقت قدرتنا ، فمسجونا عن الخلق الأول ، فلا نستطيع إعادتهم إلا لم نجسز باعترافهم ، بل هم في ريب وشبهة من خلق جديد بعد الموت .
- ١٦ - أقسم : لقد خلقنا الإنسان ، ونعلم ما نخبئه به نفسه ، ونحن - حملنا بأحواله كلها - أقرب إليه من عرق الوريد ، الذى هو أقرب شئ منه .
- ١٧ - إذ يتلقى الملتقيان ، أحدهما عن اليمين قعيد ، والآخر عن الشمال قعيد ، لتسجيل أعماله .

(١) السماء كل مايطول وتوسع فيه أجرام مختلفة ، منها النجوم والكواكب . وذلك بنظم دقيق ، وتتأق تام ، كما أنها تحفظ بأوضاعها طبقا لقوانين الجاذبية فلا يصحها خلل .

(٢) القشرة الأرضية مرتفعة في مواضع معينة هي الجبال ، وتنخفض في مواضع أخرى هي تيمان الهبوطات ، وتكثر أنشغال هذه الأجزاء بعضها مع بعض . ومن قدرة الله وحكمته أن أوجد هذا التوازن ، وجعله ثابتا عن طريق انسياب المواد الأرضية الكثيرة للقشرة الرقيقة تحت الطبقات السطحية ، وذلك من الأفل إلى المكان الأفل فلا .

مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ حَسِيدٌ ۝ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ ۝ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ
هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ ۝ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ
غَفَارٍ عَنَيْدٍ ۝ مُنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَذِرٌ مُرِيدٌ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۝
* قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْفَيْنَاهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ
بِالْوَعْدِ ۝ مَا يُبْدِلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ

١٨ - ما يتكلم به من قول الا لديه ملك حافظ مهيا لكتابة قوله .

١٩ - وجاءت غشية الموت بالحق ، الذي لا مرية فيه ، ذلك الامر الحق ما كنت تهرب منه .

٢٠ - ونفخ في الصور نفخة البعث ، ذلك النفخ يوم وقوع العذاب الذي توعدكم به .

٢١ - وجاءت كل نفس برة أو فاجرة معها من يسوقها إلى المخر . ومن يشهد بعملها .

٢٢ - لم يقال - تقريرا للمكذب : لقد كنت في الدنيا في غفلة تامة من هذا الذي تقاسيه ، فأزلنا عنك
الحجاب الذي يغطي عنك أمور الآخرة ، فبصرك اليوم نافذ قوى .

٢٣ - وقال شيطانه الذي كان متبعضا له في الدنيا : هذا الكافر الذي عندي مهيا لجهم باضلال .

٢٤ ، ٢٥ - يقال للملوكين : ألقيا في جهنم كل مبالغ في الكفر ، مبالغ في الضاد ، وترك الاتقياء للحق ، مبالغ
في المنع لكل خير ، ظالم متجاوز للحق ، فذاك في الله تعالى ونجا أنزله .

٢٦ - الذي اتفق مع الله إلها آخر يصد . فألقياه في العذاب البالغ غاية الشدة .

٢٧ - قال الشيطان وما تقول الكافر : ربنا ما أطفئناه ، ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق ، فأعنته عليه
بأغوائ .

٢٨ - قال تعالى للكافرين وقرنائهم : لا تختصموا عندي في موقف الحساب والجزاء ، وقد قدمت إليكم في
الدنيا وعيدا على الكفر في رسالتي إليكم ، فلم تؤمنوا .

٢٩ - ما يغير القول الذي عندي وعيدي بإدخال الكافرين النار ، ولست بظلام للعبيد فلا أعاقب عبدا بغير
ذنوب .

مِنْ مَرِيدٍ ۝ وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِمُتَعِفِينَ غَيْرَ يَعِيدِ ۝ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ مَنْ خَشِيَ
الْزَّحْنَ وَالْقَيْبَ وَجَاءَ قَلْبَ مَنِيْبٍ ۝ أَذْخَلُوهَا سِلْكِي ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ ۝ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا
مَرِيدٌ ۝ وَكَرَّاهِلُكَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ۝ إِنْ فِي ذَلِكَ
لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَمَا يَسْتَنَّ مِنَ لُغُوبٍ ۝ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۝

٣٠ - يوم نقول لهم قريعاً للكافرين : هل امتلأت ، ونقول جهنم غضباً عليهم : هل من زيادة استزيد بها من هؤلاء الظالمين ؟

٣١ - وأدبنا الجنة مزينة للذين اتقوا ربهم - بامثال أمره واجتناب نهيه - مكاناً غير بعيد منهم .

٣٢ - هذا الثواب الذي توعدون به لكل رجاء الى الله ، شديد الحفظ لشرعيته .

٣٣ - من خاف عقاب من وسعت رحمة كل شيء ، وهو غائب عنه لم يره ، وجاء في الآخرة بقلب راجع اليه تعالى .

٣٤ - يقال تكريماً لهم : ادخلوا الجنة آمنين ، ذلك اليوم الذي دخلتم فيه الجنة هو يوم البقاء الذي لا انتهاء له .

٣٥ - هؤلاء المتقين كل ما يشاؤون في الجنة ، وعندنا مزيد من النعم بما لا يحيط على قلب بشر .

٣٦ - وكثيراً أهلكتنا من قبل هؤلاء المكذبين من أهل القرون الماضية ، هم أشد من هؤلاء قوة وتسليطاً ، فطوفوا في البلاد وأمنوا في البحث والطلب ، هل كان لهم مهرب من الملاك ؟

٣٧ - إن لها فعل بالأمم الماضية لمعة لمن كان له قلب يدرك الحقائق ، أو أصفى إلى الهداية وهو حاضراً بفطنته .

٣٨ - أقسم : لقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما من الخلق في ستة أيام ، وما أصابنا أي إعياء (١) .

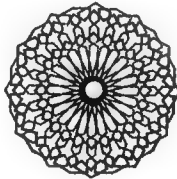
٣٩ ، ٤٠ - إذا تبين ذلك ، فاصبر أيها الرسول على ما يقول هؤلاء المكذبين من الزور والبهتان في شأن رسالتك ، ونزه خالقك ومريك عن كل نقص ، حامداً له وقت الفجر ، ووقت العصر ، لمعلم العبادة فيها ، ونزاهه في بعض الليل وأعقاب الصلاة .

(١) راجع في شأن معنى الأيام التطبيق العلمي على الآيات من رقم ٩ - ١٢ من سورة فصلت .

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودَ ٤١ وَأَسْمَعَ يَوْمَ يَنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ٤٢ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ٤٣ إِنَّا نَحْنُ نَحْيِ وَيُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ٤٤ يَوْمَ نَسْفُقُ الْأَرْضَ عَنْهُمْ مِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ٤٥ لَحْنٌ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ ٤٦

٤١ ، ٤٢ - واستمع لما أخبرك به من حديث القيامة لمظم شأنه ، يوم ينادى الملك المنادى من مكان قريب من يناديهم ، يوم يسمعون الصيغة الثانية بالحق الذي هو البعث . ذلك اليوم هو يوم الخروج من القبور .
٤٣ - انا - نحن - وحدنا - نحى الخلاق ونميتهم في الدنيا ، وإلينا - وحدنا - الرجوع في الآخرة .
٤٤ - يوم تنشق الأرض عنهم فيخرجون منها مسرعين إلى المشرق ... ذلك الأمر العظيم حشرهم ويسير علينا وحدنا .

٤٥ - نحن أعلم بكل ما يقولون من الأكاذيب في شأن رسالتك وما أنت عليهم بمسلط مجبرهم على ما تريد ، وإنما أنت منفر فذكر بالقرآن المؤمن الذي يخاف عقابي ، فتنبه الذكرى .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ۝ فَالْقَلَمِ لَيْتَ وَقُرْآنًا ۝ فَالْجَنِّ لَيْتَ بِسَرًّا ۝ قَالَتْ فَذَرْنِي أَمْرًا ۝ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ۝ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَقَّعُوا ۝ وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُوبِ ۝ إِنَّا كُنَّا قَوْلًا مُخْتَلِفٍ ۝ يُؤْفَكُ عَنْهُ ۝ مَنْ أَوَّكَا ۝ قُلْ أَنْظِرُوهُمْ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ ۝ يَوْمَ هُمْ عَلَى

بدأت السورة بالقسم على صدق البعث ووقوع الجزاء ، ثم أوردت بقسم آخر على اضطراب المنكرين فما يقولونه عن رسول الله وعن القرآن الكريم ، ثم انتقلت الى إنذار المنكرين بسوء ما لهم في الآخرة ، وإلى تصوير ما أعد للمتقين فيها جزاء ما قدموا من أعمال صالحة في الدنيا . ثم نهت إلى تأمل آيات الله في الكون وفي الأنفس ، وما أودع فيها من عجائب الصنع ولطائف الخلق .

وتحدثت عن قصة إبراهيم مع الملائكة ، ثم عرضت لأحوال بعض الأمم ، وما أصابهم من الهلاك بتكذيبهم لأنبيائهم ، ثم أشارت بأجمال إلى بعض الآيات الكونية ، وحثت على الرجوع إلى الله ، وإفراده بالعبادة التي هي الغاية من خلق الجن والانس ، وختمت بانذار من كذبوا رسول الله - ﷺ - بعذاب مثل العذاب الذي أصاب الأمم قبلهم .

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ - أقسم بالرياح الثورات للسحاب ، تدفعها دفعا ، فالهجمات منها تنسلا عظيما من الماء ، فالجاريات به ميسرا يستغفر الله ، فالنسيمات رزقا يسوقه الله الى من يشاء .

٥ ، ٦ - ان الذي توعده من البعث وغيره لحقق الوقوع ، وان الجزاء على أعمالكم لحاصل لا محالة .

٧ ، ٨ - أقسم بالسما ذات الطرائق العسكرة : انكم إذ تقولون - ما تقولون لي قول مضطرب .

٩ - ينصرف عن الايمان بذلك الوعد الصادق والجزاء الواقع من صرف عنه ، لا يثاره هواه على عقله .

١٠ ، ١١ - هلك الكذابون القائلون في شأن القيامة بالظن والتخمين ، الذين هم مغمورون في الجهل ، غافلون عن أدلة اليقين .

١٢ - يسألون مستهزئين مستعبدين : متى يوم الجزاء ؟

النَّارِ يُعْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فَتَنَكَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾
 ءَاطِينَ مَا أَرَاهُمْ مِنْهُمْ إِنْ هُمْ صَبَرُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الْأَسْبَلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾
 وَإِلَّا حَارُّهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْأَسْبَلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾
 وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ
 مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَلَفَ إِبْرَاهِيمَ الْمَكْرُمِ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ
 سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ صَبِيحٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْ جَسَّ

﴿٢٨﴾

١٣ - يوم هم موقوفون على النار، يصهرون بها .

١٤ - يقال لهم : ذوقوا عذابكم هذا الذي كنتم في الدنيا تستعجلون وقوعه .

١٥ - ان الذين أطاعوا الله وخالفوه ينعمون في جنات وعيون لا يحيط بها الوصف .

١٦ - متقبلين ما أعطاهم ربهم من الثواب والتكريم . انهم كانوا قبل ذلك - في الدنيا - محسنين في أداء ما طلب منهم .

١٧ ، ١٨ - كانوا ينامون قليلاً من الليل ، ويستيقظون أكثر للعبادة ، وبأواخر الليل هم يستغفرون .

١٩ - وفي أموالهم نصيب ثابت للمحتاجين ، السائلين منهم والمهمومين المتطفلين .

٢٠ - وفي الأرض دلائل واضحات موصلة إلى اليقين ، لمن سلك طريقه .

٢١ - وفي أنفسكم كذلك آيات واضحات ، أغفلتم عنها فلا تبصرون دلائلها ١٢

٢٢ - وفي السماء أمر رزقكم وتقدير ما توعدون .

٢٣ - فأقسم برب السماء والأرض : ان كل ما تتكرون من وقوع البعث والجنزاة وتضيق الكذابين واتابة المؤمنين ، ثابت مثل نطقكم الذي لا تشكون في وقوعه منكم .

٢٤ ، ٢٥ - هل علمت قصة الملائكة أضياف إبراهيم المكربين ، إذ دخلوا عليه فقالوا : سلاماً ، قال : سلام ، قوم غير معروفين .

٢٦ ، ٢٧ - فذهب إلى أهله في خفية ، فجاء بعجل صبيح ، فقربه إليهم ، فلم يأكلوا منه قال منكراً حالهم : ألا تأكلون ؟

مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَيَسِّرْهُ يَغْلِبْ عَلَيْهِ ٢٨ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ٢٩ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ٣٠ * قَالَ فَمَا خَطْبُكَ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٣١ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمِ ثَمُودَ ٣٢ لِنَرْسَلْ عَلَيْكُمْ هَجَارَةً مِنْ طِينٍ ٣٣ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ٣٤ فَأَنْتَرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٣٦ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ٣٧ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٣٨ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَلِحُوا أَوْ تُجَنَّبُوا ٣٩ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ٤٠ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ٤١

٣

٢٨ - فأحس في نفسه خوفاً منهم ، قالوا : لا تخف ، ويسره يغلب عليه .

٢٩ - فأقبلت امرأته حين سمعت البشارة ، فضربت وجهها يدها - استنباداً وتعجباً - وقالت : أنا عجوز عاقر ، فكيف ألد ؟

٣٠ - قالوا : كذلك قضى ربك ، انه هو الحكيم في كل ما يقضى ، العليم الذي لا يخفى عليه شيء .

٣١ - قال إبراهيم : فما شأنكم - بعد هذه البشارة - أيها المرسلون ؟

٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ - قالوا : إنا أرسلنا إلى قوم مغرطين في العصيان ، لنلقى عليهم هجارة من طين لا يعلم كثرة إلا الله ، معلمة مخصصة عند ربك للمجاوزين الحد في الفجور .

٣٥ ، ٣٦ - ففضينا باخراج من كان في تلك القرية من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير أهل بيت واحد من المسلمين .

٣٧ - وتركنا فيها علامة على هلاك أهلها ، ليعتبر بها الذين يخافون العذاب الأليم .

٣٨ - وفي قصة موسى عظة ، إذ أرسلناه إلى فرعون مؤيداً بإبراهيم بين .

٣٩ - فأعرض فرعون عن الإيمان بموسى معتدّاً بقوته ، وقال : هو ساحر أو مجنون .

٤٠ - فأخذناه ومن اعترض بهم ، فرميناهم في البحر ، وهو مقترف ما يلام عليه من الكفر والعدا .

٤١ - وفي قصة عاد عظة ، إذ أرسلنا عليهم الريح التي لا خير فيها .

مَا تَذُرُّ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيْسِ ۝ وَفِي مَمْدُودٍ إِذْ قَبِلَ لَهُمْ تَمَتُّعًا حَتَّىٰ حِينٍ ۝ فَفَعَتُوا عَنْ
 أَمْرِ رَبِّيهِمْ فَخَلَقْنَاهُمْ الصَّعِقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَسَارِعِينَ ۝ وَقَوْمٌ نُوْحٌ
 مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِمُونَ ۝ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ
 الْمُهَيَّدُونَ ۝ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ فَغَرَّوْا إِلَى اللَّهِ عِثًّا لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝
 وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنَّ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ
 أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوْا صَوَابَهُمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَافُونَ ۝ فَقَوْلَ عَنْهُمْ قَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ۝ وَذَكَرْنَا لِلَّذِي كَرِئ

٤٢ - ما تترك من شيء مرت عليه الا جعلته كالرئيس البالي .

٤٣ ، ٤٤ - وفي قصة نوح آية ، اذ قيل لهم : تمتعوا في داركم الى وقت معلوم ، فتجبروا ونعالموا عن الاستجابة
 لأمر ربهم ، فأهلكهم الصاعقة وهم يمايئون وقومها بهم .

٤٥ - لما تمكتوا من نهوض ، وما كانوا قادرين على الانتصار بدفع المذاب .

٤٦ - وقوم نوح أهلكناهم من قبل هؤلاء ، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله .

٤٧ ، ٤٨ - والساه أهلكناها بقوة ، وإننا لقادرين على أكثر من ذلك (١) . والأرض بسطناها ، فنعم المهيئون
 لها نحن كالمهاد .

٤٩ - ومن كل شيء خلقنا صنفين ، مزدوجين ، لعلكم تتذكرون فتؤمنوا بقدرتنا

٥٠ ، ٥١ - فسارعوا إلى طاعة الله ، ولا تجعلوا مع الله الهاً آخر ، اني لكم من الله نذير مبين عاقبة الاشرار .

٥٢ - كذلك كان شأن الأمم مع رسلهم ، ما أتى الذين من قبل قومك من رسول الا قالوا : ساحر أو مجنون .

٥٣ - أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول حتى تواردوا عليه ! بل هم قوم متجاوزون الحدود فتلاقوا في الوطن
 على الرسل .

٥٤ - فأعرض عن هؤلاء المماندين ، فما أنت بلوم على عدم استجابتهم .

(١) تشير هذه الآية الكريمة إلى معان علمية كثيرة ، منها أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون الواسع بقوة وهو على ما يشاء قدير ، ومعنى الساه في الآية كل ما علا الجرم (النجم) وأطلقه ، فكل ما حول الأجرام من كواكب ونجوم ومجموعات شمسية وبصيرات (سما) هذا الجزء المرئي من الكون منتم انتساعاً لا يدره العقل ولا يتسنى تحديده ، إذ المسافات فيه تقاس بـ بلايين السنين الضوئية والسنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء بسرعة تبلغ ٣٠٠.٠٠٠ بلايين ألف كيلو متر في الثانية . وعبرة الآية الكريمة (وانا لموسون) تشير إلى ذلك : أي إلى تلك السعة المذهلة التي عليها الكون منذ خلقه . كما أنها تشير أيضاً إلى أن التوسعة مستمرة على الزمن ، وهو ما أثبتته العلم الحديث أيضاً . وعرف بنظرية الانفجار التي أصبحت حقيقة علمية في أوائل هذا القرن ، وحاصلها أن السدم خارج المجرة التي نعيش فيها تتباعد عنا بسرعات متفاوتة بل أن الأجرام البعيدة في المجرة الواحدة تتباعد بعضها عن بعض .

تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا
يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥٩﴾ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

٥٥ - ودم على التذكير، فان الذكرى تزيد المؤمنين بصيرة وقوة يقين .

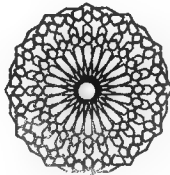
٥٦ - وما خلقت الجن والانس لشيء يعود على بالنفع، وانما خلقتهم ليعبدوا، والعبادة نفع لهم .

٥٧ - ما أريد منهم من رزق، لأني غني عن العالمين، وما أريد أن يطعموني لأني أطمع ولا أطمع .

٥٨ - ان الله - وحده - هو المتكفل برزق عباده، وهو ذو القوة، الشديد الذي لا يعجز .

٥٩ - فإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم من الأمم
الماضية، فلا يستعجلوني بإزالة العذاب قبل أوانه .

٦٠ - فهلاك للذين كفروا من يومهم الذي يوعدهونه، لما فيه من الشنائد والأهوال .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ① وَكَتَبَ مُسْطُورٌ ② فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ③ وَاللَّيْلِ الْمَعْمُورِ ④ وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ ⑤ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ⑥ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ⑦ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ⑧ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ⑨ وَكَسِيرُ الْجِبَالِ سِيرًا ⑩ قَوْلٌ يَوْمَهُدٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ⑪ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ⑫ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا ⑬

بدأت السورة بالقسم بحفصة من أعظم المخلوقات على وقوع العذاب بالمكذبين، ثم خلصت إلى الحديث عن نزوله بهم، وألوانه مهم يوم البعث والمجازة، وانتقلت إلى الحديث عن نعم المتقين وما يفتكسون به في جنات الخلد وما يتناولون من صنوف الأكرام، ثم ما تقر به أعينهم من اتباع ذريتهم بهم، ورفع درجاتهم اليهم، وأعقب ذلك أمر رسول الله - ﷺ - بالمداومة على التذكير دين مبالاة بما يقول عليه الكافرون، أو التفات لما يصفون به القرآن الكريم، مظهرة عجزهم عن أن يأتيوا بحديث مثله.

كما سفهت كثيراً من آرائهم الفاسدة اعلاتاً لفضلاهم، وسوء تقديرهم، ثم ختمت بتوجيه الخطاب إلى النبي - ﷺ - أن يتركهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصفون وأمرته أن يصبر لحكم ربه بأمرهم فان ذلك لن يضره لأنه في حفظ ربه ووعايته، كما دعت إلى تسبيح الله وتنزهه في جميع الأوقات في كل قيام يكون منه لأى غرض من الأغراض وفي الليل عند غروب النجوم.

١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦ - أقسم بجبل طور سيناء الذى كلم عليه موسى، وبكتاب منزل من عند الله مكتوب في صحف ميسرة للقراءة، وباليات الممور بالطائفين والقائمين والركع السجود، وبالسما المرفوعة بغير عمد، وبالبحر الملو.

٧، ٨ - ان عذاب ربك الذى توعد به الكافرين لنازل بهم لا محالة، ليس له من دافع يدفعه عنهم.

٩، ١٠ - يوم تضطرب السماء اضطراباً شديداً، وتنتقل الجبال من مقارها انتقالاً ظاهراً.

١١، ١٢ - فهلاك شديد في هذا اليوم للمكذبين بالحق، الذين هم في باطل يلهون.

١٣ - يوم يدعون إلى نار جهنم دفعاً عتياً.

هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تُصْبِرُوا
سِوَاكَ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا يُجِزُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ زَيْعٍ ﴿١٧﴾ فَكَيْفَ يُعَذِّبُهُمْ
رَبُّهُمْ وَوَقَّعَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُفُوا وَاتَّبِعُوا هُنَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكِبِينَ عَلَى سُرْمٍ مِصْقُوفَةٍ
وَزَوْجَتُهُمْ يَحُورِينَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّ نَايِبِينَ لَهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَمَا الْفَنَاءُ مِنْ
عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَلَاحٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْتَزِعُونَ
فِيهَا كَأْسًا لَا تَغْلِي فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلَافٌ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلَا مَكْنُونٌ ﴿٢٣﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ

١٤ - يقال لهم : هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا .

١٥ - ابقيتكم على انكاركم ، فهذا الذي تشاهدونه من النار سحر ، أم أنتم لا تبصرون ؟

١٦ - ادخلوها وذوقوا حرها ، فاصبروا على شدائدها أو لا تصبروا ، فصرحكم وعدمه سواء عليكم ،
والفارقون اليوم جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا .

١٧ - ان المتقين في جنات فسيحات ، لا يحاط بوصفها ، ونعيم عظيم كذلك .

١٨ - متنعين بما أعطاهم ربهم ، ووقاهم ربهم عذاب النار .

١٩ - يقال لهم : كلوا طعاماً هنيئاً ، واشربوا شرباً سائفاً ، جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا .

٢٠ - جالسين متكئين على أرائك مصفوفة ، وزوجاتهم نساء بيض واسعات العين حسانتها .

٢١ - والذين آمنوا واستحقوا درجات عالية ، واتبعتهم ذريتهم بإذن ، ولم يبلغوا درجات الآباء ، ألحقنا بهم
ذريتهم ، لتفر أعينهم بهم ، وما نقصناهم شيئاً من ثواب أفعالهم . ولا يجعل الآباء شيئاً من أخطاء ذرياتهم ، لأن كل
إنسان مرهون بعمله ، لا يؤخذ به غيره .

٢٢ - وزدناهم بفاخرة كثيرة ، ولحم مما يشتهون .

٢٣ - بتجاذبين في الجنة - متوادين - كأساً مليئة بالشراب ، لا يكون منهم بشرى كلام باطل ، ولا عمل
يستوجب الاتم .

٢٤ - ويطوف عليهم غلاف من معدن لخدمتهم ، كأنهم في الصفاء والبيض لؤلؤ مصون .

عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٥ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ٢٦ فَنَزَّلْنَا عَلَيْنَا الْكُتُبَ ٢٧ وَإِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ ٢٨ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ٢٩ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ٣٠ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ٣١ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ٣٢ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَنْحَلِمَهُمْ يَهْدِي أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٣٣ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ٣٤ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ٣٥ أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ أَتَّخِلُّونَ ٣٦ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ٣٧ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُهَيِّطُونَ ٣٨ أَمْ لَهُمْ سَلْمٌ يُسْتَمِعونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ

٢٥ - وأقبل بعض أهل الجنة على بعض ، يسأل كل صاحبه عن عظم ما هم فيه وسببه .

٢٦ ، ٢٧ - قالوا : إنا كنا قبل هذا النصيب بين أهلينا خائفين من عذاب الله ، فنزل الله علينا برحمته ووقانا عذاب النار .

٢٨ - إنا كنا من قبل في الدنيا نعيبه ، أنه وحده هو الحسن الواسع الرحمة .

٢٩ - قدم على ما أنت عليه من التذكير ، فأنت بما أنعم الله عليك من النبوة ورجاحة العقل بكاهن ، تخبر بالغيب دون علم ، ولا مجنون تقول ما لا تقصد .

٣٠ ، ٣١ - بل يقولون هو شاعر ، نتنظر به نزول الموت ، قل تهديداً لهم ، انتظروا فإنني معكم من المنتظرين عاقبة أمرى وأمركم .

٣٢ - بل تأمرهم عقولهم بهذا القول المتناقض ، فالكاهن والشاعر ذو فطنة وعقل ، والمجنون لا عقل له ، بل هم قوم مجاوزون الحد في التناد .

٣٣ - بل يقولون : اختلق محمد القرآن ؟ بل هم لمكابرتهم لا يؤمنون .

٣٤ - فليأتوا بحديث مثل القرآن ، إن كانوا صادقين في قولهم إن محمداً اختلقه .

٣٥ - بل أخلقوا من غير خالق ، أم هم الذين خلقوا انفسهم ، فلا يعترفون بخالق يعبدونه ؟ .

٣٦ - بل أخلقوا السموات والأرض على هذا الصنع البديع ؟ بل هم لا يوقنون بما يجب للخالق ، فلهذا يشركون به .

٣٧ - بل أعتدهم خزائن ربك يتصرفون فيها ، بل أهم القاهرون المديرون للأمور كما يشاؤون ؟ .

مَسْتَمِعُهُمْ يُسَلِّطْنِ مُبِينٍ ۝ ٣٨ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ۝ ٣٩ أَمْ سَأَلْتَهُمُ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَقْرَرٍ مُثْقَلُونَ ۝ ٤٠ أَمْ عَنْدهُمْ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝ ٤١ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ۝ ٤٢ أَمْ هُمْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ ٤٣ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مِمَّنْ قَوْمٌ ۝ ٤٤ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ۝ ٤٥ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ ٤٦ وَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ٤٧ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝ ٤٨ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ۝ ٤٩

٣٨ - بل اهلهم مرق يصعدون فيه الى السماء ، فيستمعون ما يقضى به الله ؟ فليأت مستمعهم بحجة واضحة تصدق دعواه .

٣٩ - بل الله البنات كما تزعمون ، ولكم البنون كما تحيين ؟

٤٠ - بل أنسألم شيئاً من الأجر على تبليغ الرسالة ، فهم لما يلحقهم من الفرامة مثقلون متعبون ؟ .

٤١ - بل أعندهم علم الغيب ، فهم يكتبون منه ما شاموا ؟ .

٤٢ - بل أيريدون مكرأ بك وابطالاً لرسالتك ؟ ، فالذين كفروا هم الذين يبيح بهم مكرهم .

٤٣ - أم لهم معبود غير الله ينعمهم من عذاب الله ، تنزيهاً لله عما يشركون .

٤٤ - وان يشاهدوا جزءاً من السماء ساقطاً عليهم لعنايبهم ، يقولوا عناداً : هو سحب متجمع .

٤٥ - فدعهم غير مكترث بهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يهلكون .

٤٦ - يوم لا يدفع عنهم مكرهم شيئاً من العذاب ولا هم يجدون ناصراً .

٤٧ - وان للذين ظلموا عذاباً غير العذاب الذي يهلكون به في الدنيا ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك .

٤٨ - واصبر لحكم ربك بانهالهم ، وعلى ما يلحقك من أذاهم ، فانك في حفظنا ورعايتنا ، فلن يضرك كلبهم ، وسبح بحمد ربك حين تقوم .

٤٩ - وتغير جزءاً من الليل فسيحه فيه ، وسبحه وقت ادبار النجوم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④

القسم في مستهل هذه السورة يحيل صدق الرسول - ﷺ - فيما يتحدث به من خبر الوحي ، وما يبلغه عنه ، ما ضل في شيء منه وما غوى ، وصدق الرسول - ﷺ - فيما يتحدث به عن رحلته الى السماء ، في حادث المعراج ، ما زاغ بصره وما طغى .

ثم تنتقل السورة إلى الحديث عن تهاة عقول الكافرين في عبادتهم لأصنام اصطنعوها بأيديهم ، سموها بأسماء من عندهم ، كما سمو الملائكة إناثاً بعد أن جعلوا لله البنات ، واختصوا انفسهم بالذكر .

ثم تطلب إلى الرسول - ﷺ - الاعراض عنهم ، وترك أمرهم إلى الله الذي له ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً ، والذي سيجازي المسيء بإساءته ، والمحسن بإحسانه ، وهو أعلم بجميع أطوار خلقه وأحوالهم ، متبعة ذلك بالتدبير بمن أنكر حساب كل إنسان على عمله ، كما جرت بذلك الشرائع السابقة ، وأخبرت صحف موسى وإبراهيم . وقررت الآيات كل هذه المعاني بما عرضت من صور القدرة وآيات الله في الأمم السابقة .

ثم تحتم بتوضيح أن القرآن نذير من النذر التي أنذرت بها الأمم السابقة ، ليخشوا يوم القيامة الذي قرب وقته ، وتنسى على الكافرين بالقرآن غفلتهم عن ذلك ، واستبداهم الضحك مكان بكائهم وانساظهم به ، وقد طلبت إلى المؤمنين أن يسجدوا لله الذي أنزله ويعبدونه .

١ ، ٢ - أقسم بالنجم إذا هوى للغروب : ما عدل محمد عن طريق الحق وما اعتقد باطلاً .

٣ - وما يصدر نطقه فيما يتكلم به من القرآن عن هوى نفسه .

٤ - ما القرآن الذي ينطق به إلا وحي من الله يوحيه إليه .

عَلَيْهِ سَيْدُ الْقُوَى ④ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ⑤ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ⑥ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ⑦ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ⑧ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ⑨ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ⑩ أَفَتَمَلُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ⑪ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ⑫ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ⑬ عِنْدَ جَنَّةِ الْمَأْوَى ⑭ إِذْ يَفِشَى السِّدْرَةَ مَا يَفِشَى ⑮ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ⑯ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ⑰ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ⑱ وَمَنْزِلَةَ آلِ لَئِىَ ⑲ الْأَمْثَرَى ⑳ الْكَرُّ الْكَرُّ وَلَهُ الْأُنْثَى ㉑ تِلْكَ إِذْ أَسْمَتُ ذِيكَرَى ㉒ إِنِّي هِيَ إِلَّا أُنثَى سَمِيتُوهَا

٥ - علمه هذا الوحي ملك شديد القوى :

٦ ، ٧ - ذو حصافة في عقله ورأيه ، فاستقام على صورته ، وهو بالجهة العليا من السماء المقابلة للناظر .

٨ ، ٩ - ثم قرب جبريل منه ، فزاد في القرب ، فكان دنوه قدر قوسين ، بل أدنى من ذلك .

١٠ - فأوحى جبريل إلى عبد الله ورسوله ما أوحاه ، وأنه أمر عظيم الشأن بعيد الأثر .

١١ - ما أنكر فؤاد محمد ما رآه بصره .

١٢ - أتكنبون رسول الله ، فتجادلونه على ما يراه معاينة ١٢

١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ - ولقد رأى محمد جبريل على صورته مرة أخرى ، في مكان لا يعلم علمه إلا الله ، سماه « سدره المنتهى » ، وأنبأ أن عنده جنة المأوى ، اذ يشهاها ويغطيها من فضل الله ما لا يحيط به وصف ، ما مال بصر محمد عما رآه ، وما تجاوز ما أمر يرويته .

١٨ - لقد رأى كثيراً من آيات الله وعجائبه العظمى .

١٩ ، ٢٠ - أعلمتم ذلك ففكرتم في شأن اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، التي الخلقوها ألفسة

تعبدها ١٢

٢١ - أقسمتم الأمر فجعلتم لأنفسكم الذكور ، وجعلتم لله الاناث ١٢

٢٢ - تلك - اخن قسمة جائرة ، اذ يجعلون لله ما تكرهون .

أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ۝ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى ۝ اللَّهُ الْآخِرُ وَالْأَوَّلُ ۝ * وَكَمِ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ۝ إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنْسِ ۝ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۚ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۝ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ۝ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

٢٣ - ما الأصنام الا مجرد اسماء ليس فيها شيء من معنى الألوهية . سميتوها أنتم وأبائكم بمقتضى أهوائكم الباطلة ، ما أنزل الله بها من حجة تصدق دعواكم فيها ، ما يتبعون الا الظن وما تنواه النفوس المنحرفة عن الفطرة السليمة ، ولقد جاءهم من ربهم ما فيه هدايتهم لو اتبعوه .

٢٤ ، ٢٥ - بل ليس للانسان ما تمناه ، من شفاعاة هذه الأصنام أو غير ذلك مما تستيه نفسه ، فله وحده - أمر الآخرة ، والدنيا جميعاً .

٢٦ - وكثير من الملائكة في السموات مع علو منزلهم لا تغني شفاعتهم شيئاً - ما - إلا بعد إذنه تعالى للشفيع ورضاه عن المشفوع له .

٢٧ - إن الذين لا يؤمنون بالدار الآخرة ليصفون الملائكة بالأنوثه ، فيقولون : الملائكة بنات الله ا

٢٨ - وما لهم بهذا القول من علم ، ما يتبعون فيه الا ظنهم الباطل وان الظن لا يغني من الحق شيئاً .

٢٩ - فانصرف عن هؤلاء الكافرين الذين أعرضوا عن القرآن ولم يكن همهم الا الحياة الدنيا ، جاهدين فيما يصلحها .

٣٠ - ذلك الذي يتبعونه في عقائدهم وأعمالهم منتهى ما وصلوا اليه من العلم ، ان ربك هو أعلم بمن أصر على الضلال ، وهو أعلم بمن شأنه قبول الاهتداء .



لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَفَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِنْفِ وَالْفَوَاحِشَ
 إِلَّا اللَّعْمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
 فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْثَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ
 الْغَيْبِ فَهَرَىٰ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بَآءَ فِي صُحُفٍ مُّوَسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَا تَرُدُّ وَادِرَةً وَّزْدًا أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾
 وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيرٌ سَوْفَ رَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يَجْزِيهِ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ

٣١ - الله - وحده - ما في السموات وما في الأرض خلقاً وتدبيراً . ليجزي الضالين السيئين بعملهم ، ويجزي
 المهتدين الحسنين بالثبوت الحسن .

٣٢ - الذين يجتنبون ما يكره عقابه من الذنوب وما يعظم قبضه منها ، لكن الصغائر من الذنوب يغفر الله
 عنها ، ان ربك عظيم المغفرة ، هو أعلم بأحوالكم ، اذ خلقكم من الأرض ، واذا انتم اجنة في بطون امهاتكم في
 اطواركم المختلفة ، فلا تصفوا انفسكم بالتركى تمحداً وتفاهراً . هو أعلم بمن اتقى ، فزكت نفسه حقيقة بتقواه .

٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ - اتأملت فرأيت الذى أعرض عن اتباع الحق ، واعطى شيئاً قليلاً من المال ، وقطع
 العطاء ؟! عنده علم الغيب فهو منكشف له عما يدفعه الى التولى عن الحق والبخل بالمال !! .

٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ - بل ألم يخبر بما في صحف موسى وإبراهيم الذى بلغ النجاة في الوفاء بما عاهد الله عليه : أنه
 لا تحمل نفس أثم نفس أخرى ؟!

٣٩ - وأنه ليس للانسان الاجزاء عمله .

٤٠ - وان عمله سوف يطن ، فهوى يوم القيامة تشريعاً للمحسن وتوبيخاً للمسيء .

٤١ - ثم يجزي الإنسان عن عمله الجزاء الأوفى .



الْمُنْتَهَى ٥٧ وَأَنَّهُ هُوَ أَهْلَكَ وَأَبَى ٥٨ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْبَا ٥٩ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٦٠
 مِنْ نَظْمَةٍ إِذَا تُنْخَفَى ٦١ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ٦٢ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ٦٣ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ٦٤
 وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ٦٥ وَنُوحًا ثَانِيًا ٦٦ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ٦٧ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَغْلَمَ وَأَطَى ٦٨
 وَالْمُؤْتَمِكَةَ أَهْوَى ٦٩ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ٧٠ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ٧١ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى ٧٢

----- (١) -----

٤٢ - وأن إلى ربك - لا إلى غيره - المعاد .

٤٣ - وأنه هو - وحده - بسط أسارير الوجه وقبضها ، وخلق أسباب البسط والقبض .

٤٤ - وأنه هو - وحده - سلب الحياة ووهبها .

٤٥ ، ٤٦ - وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى - من الإنسان والمحيوان من نظمة داغقة^(١) .

٤٧ - وأن عليه الأحياء بعد الاماتة .

٤٨ - وأنه هو أعطى ما يئى ، وأرضى بما يقتضى ويدخر .

٤٩ - وأنه هو رب هذا الكوكب العظيم المسمى بالشعرى^(٢) .

٥٠ ، ٥١ - وأنه أهلك عاداً الأولى قوم هود ، وأهلك ثمود قوم صالح ، فأبى عليهم .

٥٢ - وأهلك قوم نوح من قبل هلاك عاد وثمود ، انهم كانوا هم أكثر ظلماً وأشد ظلماناً من عاد وثمود .

٥٣ - والقرى المنقلبة بقوم لوط هو الذى قلبها .

٥٤ ، ٥٥ - فأحاط بها من العذاب ما أحاط ، فبأى نعمة من نعم ربك ترتابا

٥٦ - هذا القرآن نذير من جنس النذر الأولى التى أنذرت بها الأمم السابقة .

(١) المقصود بالآية الكريمة الدلالة على قدرة الله تعالى بأنه خلق الذكور والاناث جميعاً من التماس والمحيوانات من نظمة يشترك في إفرازها الذكر والأنثى ، وهى على دقة محتوياتها وصغر حجمها ينبوع الحياة ومصدر الأحياء ، وأن الإعجاز القرآنى كما ينضج في الآية الكريمة إذ تذكر أن العالم لم يكن يعلم إلى عهد قريب أن في سائل الذكر حيوانات متوية وأن في سائل الأنثى بويضات ، فإذا التقى حيوان منوي وبويضة وانجبا حدث الاخصاب والحمل ، وهذه حقيقة سبق القرآن الكريم إلى ذكرها قبل أن يكشف عنها العلم .

(٢) المراد هنا الشعرى الجمانية وهى الملع نجم في كوكبة الكلب الأكبر وألغ ما يرى من نجوم السماء ، وتشاهد جنوبي الاستواء السماوى بمقدار ١٨ درجة ، وتسمى بالنجم الكلبى وكانت تعرف بهذا الاسم منذ نحو ثلاثة آلاف سنة . وأشير إليها بـكلب في الآثار الفرعونية ، وقد ==

أَزِفَتِ الْأَزْفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَقِنْ هَذَا الْحَدِيثَ تَعَجُّبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضَحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾

٥٧ ، ٥٨ - قريت القيامة ، ليس لها من دُون الله من يكشف عن وقت وقوعها .

٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ - أتضحون كل حق فن هذا القرآن تعجبون انكارا ، وتضحكون استهزاء وسخرية ،
ولا تبكون كما يفعل الموقنون ، وأنتم لاهون متكبرون ؟

٦٢ - فاسجدوا لله الذى أنزل القرآن هدى للناس ، وأفرده بالعبادة جل جلاله .

= اختصها الله بالذكر لأن بعض العرب كانوا يعبدونها ، وكان قدام المصريين يعبدونها أيضا ، لأن ظهورها من جهة الشرق حوالى منتصف شهر يوليو قبل شروق الشمس يتفق مع زمن القيثان في مصر الوسطى أى مع أهم أحداث في العالم وهذا الحادث قد يكون أول تحديد لطول السنة في العالم كله لأن ظهور الشعرى قبيل شروق الشمس لا يحدث إلا مرة واحدة في العام ، فهذا ابتداء عام جديد .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنسَقَ الْقَمَرُ ۖ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا جِئُوا بِمِثْلِ هَٰؤُلَاءِ ۚ إِنَّهُمْ يُكْفَرُونَ بِمَا هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا وَلَئِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۖ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ ۚ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۖ

جاءت الآية الأولى من هذه السورة تنبه الأسماع إلى اقتراب القيامة، وتحذر الناس أمرها، ثم جاءت آيات بعدها توضح موقف الكفار من المعجزات، واصرارهم على التكذيب، وتطلب إلى رسول الله - ﷺ - الإعراض عنهم وإمهالهم ليوم يخرجون فيه الأجداث كلهم جراد منتشر.

وتابعت الآيات بعد ذلك، تعرض أطرافاً من أحوال الأمم السابقة مع رسلهم، والعذاب الذي حاق بهم، وبين كل قصة وأخرى تنبه الأذهان إلى أن القرآن الكريم ميسر لمن يطلب العظة والاعتبار.

منتهية إلى بيان أن كفار مكة ليسوا أقوى ولا أشد من الأمم السابقة، وأنه ليس لهم أمان من العذاب، ثم ختمت السورة بتهديد المكذبين المعاندين بمصائرهم يوم يسحبون في النار على وجوههم، ويقال لهم: ذوقوا مس جهنم التي كنتم بها تكذبون، وتطشون النقيض إلى منازلهم في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

١ - دنت القيامة وسينشق القمر لا محالة.

٢ - وإن ير الكفار معجزة عظيمة يعرضوا عن الإيمان بها، ويقولوا: هي سحر دائم متتابع!

٣ - وكذبوا الرسل واتبعوا ما تثرينه لهم أهوالهم، وكل أمر منته إلى غاية يستقر عليها.

٤ - وأقسم لقد جاء الكفار من أخبار الأمم السابقة والحقائق الكونية ما فيه كفاية لجرهم.

٥ - هذا الذي جاءهم حكمة عظيمة بالغة غايتها. فأى نفع تفيد النذر من انصرف عنها؟



فَقَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ وَكُنَّ لَهُمْ آيَاتُ أَنْبَاءٍ كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرَةٌ ⑥
 مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسَرْنَا ⑦ * كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ
 وَازْدَجَرْنَا ⑧ فَقَدَا رَبُّهُ أَيُّ مَقْلُوبٍ فَأَنْتَصَرَ ⑨ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْبِئٍ ⑩ وَبَحَرْنَا الْأَرْضَ
 عَيْنًا فَاتَّقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ⑪ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُمُرٍ ⑫ تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ
 كُفِرًا ⑬ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ⑭ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ⑮ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ⑯ كَذَبْتَ عَادَ فَكَيْفَ كَانَتْ عَذَابِي وَنُذْرٍ ⑰ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ

- ٦ - فأعرض - يا محمد - عن هؤلاء الكفار ، وانتظر يوم يدعو داعي الله إلى أمر شديد تنكروا النفوس !!
 ٧ - غاضمة أبصارهم من شدة الهول ، يخرجون من القبور كأنهم - في الكثرة والبرقة - جراد منتشر !!
 ٨ - مسرعين إلى الداع ، ينظرون إليه في ذل وخضوع ، لا يتحول بصهم عنه ، يقول الكافرون يوم القيامة :
 هذا يوم صعب شديد .
 ٩ - كذبت قبل كفار مكة قوم نوح ، فكذبوا نوحا عبدا ورسولنا ورموه بالجنون ، وحاصلها بأنواع الأذى
 والتخويف بينه وبين تبليغ الرسالة .
 ١٠ - فدعا نوح ربه إلى مطلوب من قومه ، فانتقم لى منهم .
 ١١ ، ١٢ - ففتحنا أبواب السماء بماء منصب كثير متتابع ، وشققنا الأرض عينا متفجرة بالماء . فالتقى ماء
 السماء وماء الأرض على أهلكهم الذي قدره الله تعالى .
 ١٣ ، ١٤ - وحملنا نوحا على سفينة من خشب ، وخيط من ليف تشد ألواحها ، تجري على الماء بحفظنا ،
 جزاء لنوح الذي استمر قومه على تكذيب دعوته .
 ١٥ - ولقد تركنا حادثة اغراق الكافرين والنجاة المؤمنين عظة ، فهل من متفظ !!
 ١٦ - فعل أي حال كان عذابي وإنذارى للمخالفين !!
 ١٧ - وأقسم لقد سهلنا القرآن للتذكر والانتباه ، فهل من متفظ !!
 ١٨ - كذبت عاد رسولهم هودا ، فعل أي حال كان عذابي وإنذارى للمخالفين !!

تَحْسِبُ مُسْتَمِرًّا ۝ تَزِرُ الْوَسْطَى كَانْتُمْ أَجْزَازُ لَحْلِ مُنْقَعِرٍ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ۝ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا
 آلَ فِرْعَانَ بِاللِّذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ ۝ فَقَالُوا أَإِشْرَامَنَا وَاجِدْنَا تَنْبِيهًا وَإِنَّا إِذَا لَفِي
 ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝ أَهْلِي آلِ ذِكْرٍ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ ۝ سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ مَنْ الْكُذَّابُ الْأَشْرُ ۝
 إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فَنَنَّتْ لَهُمْ فَأَرْتَفِبِهِمْ وَأَصْطَبِرَ ۝ وَنَبِيَّهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُخْتَصِرٌ ۝
 فَتَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَيْمِ

١٩ ، ٢٠ - انا سلطنا عليهم ريحا باردة مدوية في يوم شوم دائم ، نفلع الناس من أماكنهم ، وترى جسم على الأرض صرعى ، كأنهم أصول نخل منقلع من مفارسه .

٢١ - فعل أى حال كان عذابي وانذارى للمخالفين !!

٢٢ - ولقد سهلنا القرآن للمطلة والاعتبار ، فهل من متعظ !!

٢٣ - كذبت ثمود بانذارات نبيهم صالح .

٢٤ - فقالوا : أبشرا من عامتنا لا عصبية له تنبيه ؟ ، انا إذا اتبهناه لى بعد . عن الحق وجنون .

٢٥ - أتزل الوحى عليه من بيتنا وفيها من هو أحق منه ؟ بل هو كثر الكذب ، منكر النعمة .

٢٦ - سيعلمون قريبا يوم ينزل بهم العذاب ، من الكذاب المنكر للنعمة ، أم صالح رسولهم ؟

٢٧ - انا مرسلو الناقة آية لرسولنا صالح امتعنانا هم ، فانتظرهم وتبصر ما هم فاعلون ، واصبر على أذاهم حتى يأتى أمر الله .

٢٨ - ونبيهم أن الماء مقسوم بينهم وبين الناقة ، كل نصيب يحضره صاحبه في يومه .

٢٩ ، ٣٠ - فتادوا صاحبهم ، فتبها لمقر الناقة ، فمقرها . فعل أى حال كان عذابي وانذارى للمخالفين !!



الْمُحْطَرِّ ۝ وَلَقَدْ بَيَّنَّا الْقُرْآنَ لِلَّذِي كَفَّلَ مِنْ مِّمْلِكِهِ ۝ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ۝ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۝ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ ۝ وَلَقَدْ رَوْدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرَ ۝ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ۝ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرَ ۝ وَلَقَدْ بَيَّنَّا الْقُرْآنَ لِلَّذِي كَفَّلَ مِنْ مِّمْلِكِهِ ۝ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ۝ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ۝ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ

٣٩ - انا سلطنا عليهم صبيحة واحدة، فكانوا بها كشجر يابس يجمعه من يريد اقتطاع حطيره !!

٣٢ - ولقد سهلنا القرآن للغة والاعتبار، فهل من منط ؟

٣٣ - كذبت قوم لوط بانذارات رسولهم .

٣٤ ، ٣٥ - انا أرسلنا عليهم ريحا شديدة ترميهم بالمحصى ، الا آل لوط المؤمنين نجيتهم من هذا العذاب آخر الليل ، انعاما عليهم من عندنا ، كذلك الانعام العظيم نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة .

٣٦ - ولقد خوف لوط قومه أخذتنا الشديدة ، فشكوا في انذاراته تكذيبا له .

٣٧ - ولقد أرادوا منه تمكينهم من ضيفه ، فجونا أبصارهم جزاء ما أرادوا ، فقل لهم تمكنا : تخرجوا عذابى وانذارى .

٣٨ ، ٣٩ - ولقد فاجأهم فى الصباح الباكر عذاب ثابت دائم ، فقل لهم : تخرجوا عذابى وانذارى .

٤٠ - ولقد سهلنا القرآن للغة والاعتبار، فهل من منط ؟

٤١ - ولقد جاء آل فرعون الانذارات المتتابعة .

٤٢ - كذبوا بأياتنا ومعجزاتنا التى جاءت على يد رسلنا ، فأهلكناهم اهلاك قري لا يفلح ، عظيم القدرة .



بِرَأْفَةٍ فِي الزُّبُرِ ١٠ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ١١ سَيَهَرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبَرَ ١٢ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ
وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ ١٣ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ١٤ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا
مَسَّ سَقَرٍ ١٥ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ١٦ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ١٧ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ
فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ١٨ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ١٩ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُنْطَرَفٌ ٢٠ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَنَهْرٍ ٢١ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ٢٢

٤٣ - أأنتم - أيها الكفار - أقوى من أولئك الأقوام السابقين الذين أهلكوا !! بل أنكم براة من العذاب
فها نزل من الكتب السالوة !!

٤٤ - بل يقول هؤلاء الكفار : نحن جمع مؤنث ممتنع على أعدائه لا يظلم !!

٤٥ - سيغلب هذا الجمع ، ويفرون مولين الأدبار .

٤٦ - بل القيامة موعد عذابهم ، والقيامة أعظم داهية وأقى مرارة .

٤٧ - ان المجرمين من هؤلاء وأولئك في هلاك وجعيم مستعرة .

٤٨ - يوم يحبرون في النار على وجوههم يقال لهم : قاسوا آلام جهنم وحرارتها .

٤٩ - إنا خلقنا كل شيء ، خلقناه بتقدير على ما تقتضيه الحكمة .

٥٠ - وما أمرنا لشيء أردناه إلا كلمة واحدة هي أن نقول له : « كن » فيكون في سرعة الاستجابة كلمة
البصر .

٥١ - ولقد أهلكنا أشباهكم في الكفر ، فهل من متعظ !!

٥٢ - وكل شيء فعلوه في الدنيا مكتوب في الصحف ، مفيد عليهم .

٥٣ - وكل صغير وكبير من الأعمال مكتوب ، لا يقب من شيء .

٥٤ - ان المتقين في جنات عظيمة الشان ، وأنهار متعددة الأنواع .

٥٥ - في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأنيب ، عند ملك عظيم القدرة .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ عِشْبَانُ ⑤
وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانُ ⑥ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ⑦ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ⑧ وَأَقِيمُوا
الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ⑨ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ⑩ فِيهَا فَكْهَةٌ وَالتُّغْلُ ذَاتُ الْأَكَامِ ⑪

أخذت هذه السورة في تعداد آلاء الله ونعمه، بادئة بعد ذكر الرحمن بذكر اشرف نعمة: وهي تعليم القرآن الكريم، ثم سارت الآيات في عرض هذه الآلاء، في صورة توضح عظمة خالقه جل شأنه، وتبرز قدرته وسلطانه على الانس والجن في السموات والأرض.

وقد عرضت لمذاب الهرمين المكذبين في جهنم، وأفاضت في نعم المفلحين في الجنة.

وختمت السورة بتزكية الله تعالى والتناء عليه.

وقد ذكرت في السورة آية « فبأي آلاء ربكما تكذبان » إحدى وثلاثين مرة على طريقة القرآن الكريم في التكرير المستحسن الذي يقتضيه المقام. كل واحدة منها تفرع المكذبين على تكذيبهم نعم الله في الآية قبلها.

١، ٢ - الرحمن. علم الإنسان القرآن ويسره له.

٣، ٤ - أوجد الانسان، علمه الابانة عما في نفسه تميزا له عن غيره.

٥ - الشمس والقمر يريان في بروجها بحساب وتقدير لا اخلال فيه^(١).

٦ - والنبات الذي لسان له، والشجر الذي يقوم على ساق، يضمنان لله تعالى في كل ما يريد بها.

٧، ٨ - السماء خلقها مرفوعة، وشرع العدل لئلا تتجاوزوا الحد.

٩ - وأقيموا الوزن بالعدل في كل معاملتكم ولا تنقصوا الميزان.

١٠ - والأرض بسطها وبهدها للخلائق، ينتفعون بها.

١١ - في الأرض أنواع كثيرة من الفاكهة، وفيها التغل ذات الأوعية التي فيها الحن.

(١) تنص هذه الآية الكريمة على حركة الشمس والقمر تجري طبقا لنظام دقيق منذ خلقها الله تعالى ولم تنصرف على دقائق هذا النظام الدقيق إلا حديثا حوال ٣٠٠ سنة خلت، حيث تبين أن حركة الشمس الظاهرية حول الأرض وحركة القمر حول الأرض تتم في مدارات لولكية طبقا لقوانين الجاذبية وهي حسابات رياضية في غاية العمق والدقة وخصوصا في حالة القمر.

وَالْحَبْ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٩﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ لَاجٍ مِنْ نَارٍ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿٢٤﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٦﴾ يُخْرِجُ مِنْهُمَا الْمَوْءُودَ وَالْمَرْجَانَ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ رِبَكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٩﴾

١٢ - وفيها الحب ذو القصر، رزقا لكم ولأئامكم، وفيها كل نبت طيب الرائحة.

١٣ - فبأي نعمة من نعم ربكما تجهدان أيما التقلان ؟

١٤ ، ١٥ - خلق جنس الإنسان من طين يابس غير مطبوخ كالخرف ، وخلق جنس الجان من هيب خالص من نار

١٦ - فبأي نعمة من نعم ربكما تجهدان ؟

١٧ - رب مشرق الشمس في الصيف والشتاء، ورب مغربها فيها^(١).

١٨ - فبأي نعمة من نعم ربكما تجهدان ؟

١٩ ، ٢٠ - أرسل الله البحرين المذب والملح يتصارران ويأس سطوحها، بينها حاجز من قدرة الله، لا يطفى أحدهما على الآخر فيمترجان.

٢١ - فبأي نعمة من نعم ربكما تجهدان ؟

٢٢ - يخرج منها الموءود والمرجان، تتخذون منها حلية تلبسونها^(٢).

٢٣ - فبأي نعمة من نعم ربكما تجهدان ؟

(١) قد يكون المراد هناك مشرق الشمس والقمر ومغربها، ومن ثم تكون الإشارة إلى آية الليل وآية النهار، انظر أيضا التصليق العلمي على الآيات ٧٦، ٧٢، ٧٣، من سورة القصص، التي تبدأ بقوله تعالى: «قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة».

ويصح أيضا أن تكون الإشارة هنا إلى الشمس وحدها وهي عباد الحياة في هذا الكوكب الأرضي فيكون المقصود هو مشرق الشتاء ومغرب وشرق الصيف ومغرب كما ذهب كثير من المفسرين.

وترجع هذه الظاهرة إلى ميل محور دوران الأرض على مستوى مدارها حول الشمس بمقدار ٥٢٣,٥ درجة، لذلك فإن النصف الشمال من الكرة الأرضية، مثلا يميل نحو الشمس في الصيف فيطول النهار ويقتصر الليل حتى يبلغ ذلك أقصى مداه فتظهر الشمس مشرقة أو غاربة على أقصى بعد شمال من المشرق والمغرب الصادقين ثم تنقل راجعة يوما بعد يوم حتى تبلغ المشرق والمغرب الصادقين عند الاعتدال الخريفي ثم يأخذ هذا النصف في الميل عن الشمس، فيطول الليل ويقتصر النهار وتستمر الشمس في تأخرها الظاهري نحو الجنوب حتى تبلغ مدى بعدها إلى الجنوب في قمة الشتاء ثم ترتد إلى الشمال يوما بعد يوم حتى تبلغ المشرق والمغرب الصادقين في الاعتدال الربيعي، وهكذا. وبصدق عكس هذا جميعه في نصف الكرة الجنوبي، كما أن هذه الظواهر تبدو بصورة متطرفة كلما اقتربنا من أقصى الشمال أو أقصى الجنوب. ولأننا في أن هذا التدبير الحكم صالها لأحوال الأحياء على الأرض، إذ منه تحدث الفصول المناخية وما يتربط عليها من مواسم الزرع والحصاد وكافة صور التباين الموسمي في نشاط الإنسان والحيوان والنبات.

(٢) ينظر التصليق العلمي على آية ١٢ من سورة فاطر.

فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿١٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿١٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي
شَأْنٍ ﴿١٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾ سَنَفُوعُ لَكُمْ آيَةُ الْفَقْلَانِ ﴿٢١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾
يَمْشِعُ الْحَبْنَ وَالْأَبْنُسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْضُدُّوا لَا تُنْفَذُونَ إِلَّا
بِطَلْعِنِ ﴿٢٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾ رُمِلَ عَلَيْكَا شَوَاطِلٌ مِنْ نَارٍ وَخُحَّاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٢٥﴾ فَبِأَيِّ

٢٤ - وله السفن المصنوعات بأيديكم الجاريات في البحر، العظيمة كالجبال الشاهقة.

٢٥ - فبأي نعمة من نعم ربكما تهجدان ١٤

٢٦ - ٢٧ - كل من على الأرض زائل ويبقى الله صاحب العظمة والإتعام.

٢٨ - فبأي نعمة من نعم ربكما تهجدان ١٥

٢٩ - يسأل الله جميع من في السموات والأرض حاجاتهم، كل وقت هو في شأن، يمز ويذل، ويصطي ويمنع.

٣٠ - فبأي نعمة من نعم ربكما تهجدان ١٥

٣١ - سنقصد لحسابكم يوم القيامة أيها الجن والانس.

٣٢ - فبأي نعمة من نعم ربكما تهجدان ١٥

٣٣ - يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هاربين فامضوا، لا تستطيعون الخروج إلا بقوة وقهر، ولن يكون لكم ذلك^(١).

٣٤ - فبأي نعمة من نعم ربكما تهجدان ١٥

٣٥ - يصب عليكم هب من نار ونحاس مذاب، فلا تقدران على دفع هذا العذاب^(٢).

(١) ثبت حق الآن ضخامة الجهود والطاقت المطلوبة للتفاد من تلافق جانبيه الأرض، وحيث اقتضى التراجع الجزئي في زيارة الفضاء، لمدة محدودة يبدأ بالنسبة لعظم الكون بذل الكثير من المجهود العلمي الضخم في شتى الميادين الهندسية والرياضية والفنية والجيولوجية فضلا عن التكاليف المالية المادية التي اخفت في ذلك ومازالت تنفق، ويذل ذلك دلالة قاطعة على أن النفاذ المطلق من أقطار السموات والأرض التي تبلغ ملايين السنين الضوئية لانس أوجهن مستحيل.

(٢) النحاس هو فلز يصير من أول العناصر الفلزية التي عرفها الإنسان منذ قدم الزمن، ويشير بأن درجة انصهاره مرتفعة جدا حوالي ١٠٨٢ درجة مئوية فإذا صاحب هذا السائل للشهب على جسد، مثل ذلك صفا من أقسى أنواع المذاب لنا وأشدها أترا.

١٥- وَالْآءِ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ١٦- فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ١٧- فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ١٨-
 فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ١٩- فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ٢٠- يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسْمِهِمْ
 فَيُؤْخَذُ بِالنُّوَصِي وَالْأُقْدَامِ ٢١- فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ٢٢- هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ٢٣-
 يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ٢٤- فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ٢٥- وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ٢٦- فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ٢٧- ذَوَاتَا أَفْئَانٍ ٢٨- فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ٢٩- فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ٣٠- فَبِأَيِّ آلَاءِ



٣٦ - فَبِأَيِّ نعمة من نعم ربكما تجهدان ١٦

٣٧ - فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالزيت المشرق .

٣٨ - فَبِأَيِّ نعمة من نعم ربكما تجهدان ١٨

٣٩ - فيوم إذا تشق السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جن .

٤٠ - فَبِأَيِّ نعمة من نعم ربكما تجهدان ٢٠

٤١ - يعرف المجرمون من الانس والجن بعلامة يتميزون بها ، فيؤخذ بقدمهم وأقدامهم ، فيلقى بهم في جهنم .

٤٢ - فَبِأَيِّ نعمة من نعم ربكما تجهدان ٢٢

٤٣ ، ٤٤ - يقال تقريبا : هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون منكم ، يترددون بين نارها وبين ماء متناه في الحرارة .

٤٥ - فَبِأَيِّ نعمة من نعم ربكما تجهدان ٢٤

٤٦ - ولمن خاف قدر ربه جنتان عظيمتان .

٤٧ - فَبِأَيِّ نعمة من نعم ربكما تجهدان ٢٦

٤٨ - صاحبنا أغصان نضرة حسنة .

٤٩ - فَبِأَيِّ نعمة من نعم ربكما تجهدان ٢٨

٥٠ - في هاتين الجنتين عينان تجريان حيث شاءوا .

رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مَنْ كُلٌّ فَنَكِهَهُ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُنْكِكَيْنِ عَلَى فَرْشٍ
 بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فَبَيْنَ قَصْرِكَ الْأُطْرُفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ
 إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ
 تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمَنْ دُونَهُمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾
 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَمَمَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ﴿٦٦﴾

— ٥ —

٥١ - فَبِأَيِّ نعمة من نعم ربكما تجحدان ١٢

٥٢ - فِيهِمَا من كل فاكهة صنفان :

٥٣ - فَبِأَيِّ نعمة من نعم ربكما تجحدان ١٢

٥٤ - مستعدين مطمئنين على فرش بطائنها من ديباج خالص ، ولهم الجنتين قريب للمتاعول .

٥٥ - فَبِأَيِّ نعمة من نعم ربكما تجحدان ١٢

٥٦ - في الجنان زوجات حابسات أبصارهن على أزواجهن ، أبكار لم يقرهن انس قبلهم ولا جان .

٥٧ - فَبِأَيِّ نعمة من نعم ربكما تجحدان ١٢

٥٨ - كأن هؤلاء الزوجات في الحسن وصفاء اللون الياقوت والمرجان .

٥٩ - فَبِأَيِّ نعمة من نعم ربكما تجحدان ١٢

٦٠ - ما جزاء الاحسان في العمل إلا الاحسان في الثواب .

٦١ - فَبِأَيِّ نعمة من نعم ربكما تجحدان ١٢

٦٢ - ومن دون الجنتين السابقتين جنتان أخريان .

٦٣ - فَبِأَيِّ نعمة من نعم ربكما تجحدان ١٢

٦٤ - خضراوان قد اشتدت خضرتها حتى مالت إلى السواد .

٦٥ - فَبِأَيِّ نعمة من نعم ربكما تجحدان ١٢

٦٦ - فِيهِمَا عَيْنَانِ قوارتان بالمال لا تنتظمان .

فَيَا أَيُّهَا الْآوَرِيكُ تَكْذِبَانِ ﴿٧٥﴾ فِيمَا فَكَيْهٌ وَتَحَلَّ وَرَمَانٌ ﴿٧٨﴾ فَيَا أَيُّهَا الْآوَرِيكُ تَكْذِبَانِ ﴿٧٦﴾ فِيمَنْ خَبِرْتُ حَسَانَ ﴿٧٦﴾ فَيَا أَيُّهَا الْآوَرِيكُ تَكْذِبَانِ ﴿٧٦﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْغِيَامِ ﴿٧٦﴾ فَيَا أَيُّهَا الْآوَرِيكُ تَكْذِبَانِ ﴿٧٦﴾ لَمْ يَطْمَئِنَّ أَنْفُسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٤﴾ فَيَا أَيُّهَا الْآوَرِيكُ تَكْذِبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رُفُوفٍ خَضِرٍ وَعَبَقَرِي حَسَانَ ﴿٧٦﴾ فَيَا أَيُّهَا الْآوَرِيكُ تَكْذِبَانِ ﴿٧٦﴾ تَبَرَّكَ أَمْرُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

- ٦٧ - فَيَا نعمة من نعم ربكما محمدان ١؟
 ٦٨ - فَيَا فاكهة من صنوف مختلفة ونخل ورمان (١).
 ٦٩ - فَيَا نعمة من نعم ربكما محمدان ١؟
 ٧٠ - فِيمَنْ زوجات طيبات الأخلاق، مشرقات الوجوه.
 ٧١ - فَيَا نعمة من نعم ربكما محمدان ١؟
 ٧٢ - حسان العيون، مقصورات في خيامهن.
 ٧٣ - فَيَا نعمة من نعم ربكما محمدان ١؟
 ٧٤ - لم يطمئن أنس قبل أزواجهن ولا جان.
 ٧٥ - فَيَا نعمة من نعم ربكما محمدان ١؟
 ٧٦ - متكبرين على عرش ذوات أغشية خضر وطنافس حسان عجيبة الصنع.
 ٧٧ - فَيَا نعمة من نعم ربكما محمدان ١؟
 ٧٨ - تعالَى وتزده اسم ربك صاحب العظمة والانعام.

(١) قد يكون وجه تخصيص النخل والرمان هو تفضيل ثمارها على غيرها من الثمار لما أورد الله فيها من مزايا أثبت العلم وجودها فيها.

فيتناول الثمر كالأرضاء بعد أنه يحترق على نسبة مرتفعة من السكريات (٧٥٪ تقريباً) فمقطها من سكر القصب، وكذلك السكر المحول (سكر الفاكهة وسكر الفنب - الفركتوز والجلوكوز) وهو سهل الاحتراق ويستفيد الجسم منه في إنتاج طاقة عالية وسر حراري كبير. ولعل ذلك ربما كان وجه الحكمة في أمر الله للسيدة مريم بتناول الرطب كي يوضئها عما بذلته وفقدته أثناء الهضاب. هذا فضلاً عن أن الثمر يحوي أيضاً نسبة عالية من الكالسيوم والحديد والفسفور التي يحتاج إليها الجسم ومقداراً مناسباً من حمض النيكوتينيك (فيتامين الـ ٣) من مرض البلاجا (وفيتامين ١، ب) ويحتوي أيضاً على نسبة من البروتينات والدهنيات وكل هذه المكونات تجعل من البائع غذاء كاملاً. أما الرمان فيحتوي له أو عصيره على نسبة مرتفعة (إذا قيس بنسبة من الفواكه) من حمض الليبوزيك الذي يساعد عند احتراقه على تقليل أثر الحموضة في البول والدهم مما يكون سبباً في تجنب التقرص وتكوين بضع حمى الكل هذا فضلاً عن احتواء عصير الرمان على نسبة لا بأس بها من السكريات (حوالي ٢١٪) السهلة الاحتراق، والمولدة للطاقة. كما أن قشر الرمان به مادة عضوية قابضة (تينينية) تقي الأمعاء مما يصيبها من إسهال كما أن قشور سيقان أشجار الرمان تستخدم في القضاء على الفودة الشريطية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ❶ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ❷ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ❸ إِذَا رَجَعْتَ الْأَرْضَ رَجَاءً ❹ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ❺ فَكَانَتْ هَبَاً مُنْبَثًا ❻ وَكُنُتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ❼ فَأَحْصَبَ الْمَيِّمَةَ مَا أَحْصَبَ الْمَيِّمَةَ ❽

بدأت السورة بالحديث عن وقوع القيامة، والأحداث التي تصحب وقوعها، ثم أخبرت أن الخلق في ذلك اليوم ثلاثة أصناف، مقبلة ذلك بتفصيل واف عما أعد لكل صنف من نعم يلام منزله، أو عذاب يناسب كفره وعصيانته.

ثم أوضحت الآيات بعد ذلك مظاهر نعم الله تعالى، وآثار قدرته في الخلق والزرع والماء والنار، وما تقتضيه هذه الآثار الواضحة من تسبيح الله العظيم وتقديسه، وأقست الآيات على مكانة القرآن الكريم وما يستحقه من قدس ناعية على الكافرين سوء صنيعهم، من وضعهم التكذيب مكان الشكر. وعقبت ذلك بإجمال لما فصلته عن الأصناف الثلاثة وما ينتظر كل صنف من نعم أو جعهم.

وختمت السورة بتأكيد أن كل ما جاء فيها هو اليقين الصادق والحق الثابت، ورثبت على ذلك الأمر بتزوية الله تعالى وتقديسه.

١ ، ٢ ، ٣ - إذا وقعت القيامة، لا تكون نفس مكذبة بوقوعها، هي خافضة للأشقياء رافعة للسعداء.

٤ ، ٥ ، ٦ - إذا زلزلت الأرض اهتزت اهتزازاً شديداً، وفشت الجبال تفتيتاً دقيقاً، فصارت غباراً مطايراً (١).

٧ - وصرح جميعاً في هذا اليوم بأعمالكم أصنافاً ثلاثة.

(١) تقرّر هذه الآيات الكريمة مدى الأحوال التي تحمل الصالح عند قيام القيامة، ومن هذه الأحوال تلك الكوارث الكونية التي تزلزل الأرض وطيفاتها. فالأرض التي نعيش على سطحها ليست مستقرة ومتوازنة تماماً فهي تتكون من طبقات صخرية متداخلة غير منتظمة قد أزلت بعضها بالنسبة لما يحاورها وكوبت ما يسمى الفالق الجيولوجي في مناطق عديدة. هذه القوالب كانت ولا تزال المراكز العميقة للزلازل الكبرى لأنها تحت تأثير قوى الشد والجذب التي صاحبت الطبقة الأرضية عند انكسارها فإذا ما اختل توازن هذه القوى نتيجة لمراميل التأثير الإضافية الخارجية فقد يؤدي ذلك إلى انطلاق طاقة حركة كبرى تنبعث منها هزات أو زلازل أرضية قد تهيم كل ثوبه على سطح الأرض القريب من مركز الزلازل فيحدث خراب كبير.

والتفسير العلمي المذكور لا يؤثر بل ولا يهد عن الروجة الدينية، فإن الله تعالى قد يعيّل الأسباب الكونية المخلدة يجمع بعضها إلى بعض على غير ما عهدنا ليكون تفاعلها الرهيب سبباً مباشراً لتخريب الدنيا، ويكون التفسير العلمي متجارفاً مع الآيات المنيرة بالأحوال الجسماء وكل ذلك من عند الله. ويحصل عندما يأذن الله بتنفيذ قضائه في دنيانا.

وَأَحَبُّ الْمَشْعَمَةِ مَا أَحَبُّ الْمَشْعَمَةِ ١٠ وَالسَّقُونُ السَّقُونُ ١١ أَوْلَيْكَ الْمَقْرُبُونَ ١٢ فِي جَنَّتِ
النَّعِيمِ ١٣ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَلْوَانِ ١٤ وَقَلِيلٌ مِنَ الْأَحْيَرِينَ ١٥ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ١٦ مُتَكِبِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّلِينَ ١٧
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ ١٨ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِقَ ١٩ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ٢٠ لَا يُصْذَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ٢١
وَفَنَكِهِتٍ يَمَّا يَنْتَحِرُونَ ٢٢ وَلَحْمٍ طَيْرٍ يَمَّا يَسْتَوُونَ ٢٣ وَحُورٍ عِينٍ ٢٤ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ٢٥
جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٦ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ٢٧ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ٢٨ وَأَحَبُّ الْيَمِينِ

٨ ، ٩ - فأصحاب اليمين أهل الميزة السنية ما أعظم مكانتهم ، وأصحاب الشمال أهل الميزة الدنية ما أسوأ حالهم .

١٠ ، ١١ ، ١٢ - والسابقون إلى الخيرات في الدنيا هم السابقون إلى الدرجات في الآخرة ، أولئك هم المقربون عند الله ، يدخلهم رحم في جنات التعميم .

١٣ ، ١٤ - هؤلاء المقربون جماعة كثيرة من الأمم السابقة وأنبياؤهم ، وقليل من أمة محمد بالنسبة إليهم .

١٥ ، ١٦ - على سرر منسوجة بالجوهر النفيسة ، مضجعين عليها في راحة واستقرار متقابلة وجوههم زيادة في العافية .

١٧ ، ١٨ - يدور عليهم للخدمة ولدان باقون أبداً على هذا الوصف ، بأقداح وأباريق تسد من شراب الجنة ، ويكأس بمحلاة خمر من عيون جارية .

١٩ - لا يصيبهم بشرها صداد بصرفهم عنها ، ولا تذهب عقولهم .

٢٠ ، ٢١ - وفناكهة من أي نوع يخاضروته ويرونه ، ولحم طير مما ترغّب فيه نفوسهم .

٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ - ونساء ذوات عيون واسعة ، كأمثال اللؤلؤ المصون في صدفة صفاء ورونقا ، يعطون هذا الجزاء بما كانوا يعملون من الصالحات في الدنيا .

٢٥ ، ٢٦ - لا يسمعون في الجنة كلاماً لا ينفع ، ولا حديثاً يأثم سامعه ، إلا قول بعضهم لبعض : نسلم سلاماً .



مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ ٢٧ فِي سِدْرٍ مَحْضُودٍ ٢٨ وَطَلَحَ مَضْجُودٍ ٢٩ وَطَلَى مَمْدُودٍ ٣٠ وَمَا مَسْكُوبٌ ٣١
وَفَكَهَةٌ كَثِيرَةٌ ٣٢ لَأَمْقُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ٣٣ وَفَرُشٌ مَرْوُوعَةٌ ٣٤ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً ٣٥ جَعَلْنَاهُنَّ
أَبْكَارًا ٣٦ عَرَبًا أَرَبَابًا ٣٧ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ٣٨ نُّلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ٣٩ وَنُّلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ٤٠ وَأَصْحَبُ
الشِّتَالِ مَا أَصْحَبُ الشِّتَالِ ٤١ فِي مَعْمُورٍ وَمَجْمِيمٍ ٤٢ وَظِلٌّ مِّنْ مَّعْمُورٍ ٤٣ لَأَبَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ إِنَّهُمْ
كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ٤٥ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ٤٦ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِنَّا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا

٢٧ - وأصحاب اليمين لا يعلم أحد ما جزاء أصحاب اليمين .

٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ - في شجر من التين مقطوع شوكة ، وتشجر من الموز مراكب لم
بعضه فوق بعض ، وظل منبسط لا ينفب وماء منصب في أنبتهم حيث شاهده ، وفاكهة كثيرة الأنواع والأصناف
لامقوعة في وقت من الأوقات ، ولا ممنوعة عن يريدها ، وفري عالية ناعمة .

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ - أنا ابتدأنا خلق الجور الصين ابتداء ، فخلقناهم أبكارا ، محببات إلى أزواجهن ،
مقاربات في السن ، مهيئات لنعيم أصحاب اليمين .

٣٩ ، ٤٠ - أصحاب اليمين جماعة كثيرة من الأمم السابقة ، وجماعة كثيرة من أمة محمد .

٤١ - وأصحاب الشيتال لا يدرى أحد ما فيه أصحاب الشيتال من العذاب .

٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ - في ربح حارة تنفذ في المسام وتحيط بهم ، وماء متناه في الحرارة يشربونه ويصب على
رؤوسهم ، وفي ظل من دخان حار شديد السواد ، لا بارد يخفف حرارة الجو ، ولا كريم يعود عليهم بالنفس
إذا استشقوه .

٤٥ - انهم كانوا قبل هذا العذاب سرفلين في الاستمتاع بنعيم الدنيا . لاهين عن طاعة الله تعالى .

٤٦ - وكانوا يصممون دائما على الذنب العظيم الجرم . حيث أقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت .



أَوَّابًا ۖ وَأَنَا الْوَلِيُّ ۚ قُلْ إِنِّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۙ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝ ثُمَّ إِنِّي أُنَادِي الْأَكْذِبُونَ ۙ لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ۝ لَقَالُوا مِنْهَا الْبَطُونُ ۝ فَتَلَبَّوْا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝ فَتَلَبَّوْا شَرْبَ الْخَمِ ۝ هَذَا زُبُّهُمُ الَّذِي ۙ كَفَرُوا بِخَلْقِنَا ۚ فَلَوْلَا قَدْرُنَا ۙ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُفِّرُوا ۙ عَنْهُمْ مَخْلُوقَهُ ۚ أَمْ كُنْ خَلْقُهُمْ ۙ ثُمَّ قَدَرْنَا بَيْنَهُ الْمَوْتَ وَمَا كُنْ بِمُسَبِّحِينَ ۙ عَلَيَّ أَنْ تَبْدِلَ أَمْنَتَكُمْ ۚ وَتُشْكِرَ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ ۚ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۙ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كَحَّرُونَ ۙ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كَحَّرُونَ ۙ أَفَرَأَيْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ۚ أَمْ كُنْ زَرْعُونَ ۙ لَوْ سَاءَ بَعَثْنَاهُ حُكَمَا ۚ فَظَلَمْتُمْ فَتَكْهُنَ ۙ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ۙ بَلْ كُنْ مَحْرُومُونَ ۙ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۙ

٤٧ - وكانوا يقولون إنكارا للاعادة : أنبت إذا متنا ، وصار بعض أجسامنا ترابا وبعضها عظما بالية ، أننا لعاثون إلى الحياة ثانية ١ .

٤٨ - أنبت نحن وأبائنا الأفعمون الذين صاروا ترابا مطرقا ضالا في الأرض .

٤٩ ، ٥٠ - قل لهم ردا لانكارهم ، ان الأولين من الأمم والآخرين الذين أنتم من جملتهم لمجوعون إلى وقت يوم معين لا يتجاوزونه .

٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ - ثم انكم أيها المجاهدون عن سبيل الهدى ، المكنون بالبعث ، لا تكون في جهنم من شجر هو الزقوم ، فالثمن من هذا الشجر يطونكم من شدة الجوع .

٥٤ ، ٥٥ - فصاربون على ما تأكلون من هذا الشجر ماء متلها في الحرارة لا يروى ظمأ ، فصاربون بكثرة تشرب الابل الطائس التي لا تروى يشرب الماء .

٥٦ - هذا الذي ذكر من ألوان العقاب ما أعد قري لهم يوم الجزاء .

٥٧ - نحن ابتدأنا خلقكم من عدم ، فهلا تقرن بقدرتنا على اعدائكم حين يستكم ؟

٥٨ ، ٥٩ - أفرايتم ما تقذفونه في الأرحام من التطف ، أنتم تقذفونه وتستهون في أطواره حتى يصير بشرا ، أم نحن المقدرين له ؟

٦٠ ، ٦١ - نحن قضينا بينكم بالموت ، وجعلنا لموتكم وقتا معينا ، وما نحن بمفلولين على أن نبدل صوركم بغيرها ، ونشككم في خلق وصور لا تهونها .

٦٢ - ولقد أيقنت أن الله أنشأكم النشأة الأولى ، فهلا تذكرون أن من قدر عليها فهو على النشأة الأخرى أقدر .

٦٣ ، ٦٤ - أفرايتم ما يذوقونه من الحب في الأرض ؟ أنتم تنبتونه أم نحن المنبتون له وحدنا ؟

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ - لو نشاء لصيرنا هذا النبات شجرا متكسرا قبل أن يبلغ نضجه ، فلا تالون تتسبون من سوء ما أصابه قائلين : انا لالمزومون الغرم بعد جهدنا فيه ، بل نحن سيئو الحظ ، محرومون من الرزق .

ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْغَمْرِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٨﴾ لَوْ شَاءَ جَعَلْنَاهُ أَمْجَاجًا فَلَوْ لَا تَشْكُرُونَ ﴿٦٩﴾ أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧٠﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧١﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَنَهْنَاهُ لِلْمُغْوِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٣﴾ * فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ ﴿٧٤﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَطَّلَوْنَ عَظِيمٌ ﴿٧٥﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٦﴾ فِي كِتَابٍ مُكْتُومٍ ﴿٧٧﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٨﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ

٦٨ ، ٦٩ - أفرأيتم الماء العذب الذي تشربون منه ، أنتم أنزلوه من السحاب أم نحن المنزلون له ربحكم ؟^(١) .

٧٠ - لو نشاء صيرناه أمجا لا يساغ ، فهلا تشكرون الله أن جعله عجا سائجا ؟ .

٧١ ، ٧٢ - أفرأيتم النار التي توقدون ، أنتم أنبتم شجرتها وأودعتم فيها النار ، أم نحن المنشئون لها كذلك ؟ .

٧٣ - نحن جعلنا هذه النار تذكيرا لنار جهنم عند رؤيتها ، ومنفعة للنازلين بالفقر ، ينتفعون بها في طهو طعامهم وتدفئتهم .

٧٤ - قدم على التسبيح بذكر اسم ربك العظيم ، تذكرا وشكرا له على هذه النعم الجليلة .

٧٥ ، ٧٦ - فأقسم حقا بمساقط النجوم عند غروبها آخر الليل أوقات التهجيد والاستغفار وأنه لقسم - لو تفكرون في مدلوله - عظيم المخطر بعيد الأثر^(٢) .

٧٧ ، ٧٨ - انه لقرآن كثير النافع ، في اللوح المحفوظ مصون لا يطلع عليه غير المقربين من الملائكة .

٧٩ ، ٨٠ - لا يس القرآن الكريم إلا المطهرون من الأدناس والأحداث ، منزل من عند الله رب الخلق أجمعين .

(١) للزن هي السحب المطيرة ، وصلي الأقطار تتطلب توفر ظروف جوية خاصة لا يمكن أن يسيطر عليها الانسان أو يورثها صناعا مثل هبوب تيار بارد فوق آخر ساخن أو حالات عدم الاستقرار في الجو .

وقد حاول الانسان استقطار السحب العابرة صناعا إلا أن هذه المحاولات لاتزال مجرد تجارب على أن الثابت علميا أن نجاح هذه التجارب على نطاق ضيق جدا مع وجوب توفر بعض الظروف الملائكة طبييا .

(٢) تبين هاتان الأيتان مدى أهمية هذا القسم العظيم ، فان النجوم أجرام ضوئية بذاتها وأقرب النجوم إلينا وهي الشمس تبعد عنا بقدر ٥٠٠ سنة ضوئية تقريبا بينا النجم الذي يليها في القرب يبعد عنا بقدر ٤ سنوات ضوئية تقريبا . فالطاقة التي نستفيد منها من الشمس هي المقومات الأساسية للحياة ، فلو كان يبعد الشمس عن الأرض أقل أو أكثر مما هو عليه الآن فان الحياة تصبح فاسية متضررة كما أن أحجام النجوم تختلف بعضها عن بعض فبها النجوم العالقة وهم من الاتساع بحيث تشمل الأرض والشمس على بعدها . هناك مجموعات من النجوم تسمى بالناقيد ساجدة في الفضاء تفرق الهرة البنية من حين لآخر ، فليذا صادقت خلال مرورها المجموعة الشمسية واصطدمت بها فان في ذلك الهلاك والقضاء الحاقق حتى إذا ما اقترب لهم من النجوم من الشمس فان ذلك يؤدي أيضا إلى الخلل في التوازن وإلى الهلاك والقضاء .

لذلك فان آيات المبارة والقدرة تظهر في هذا الكون الذي خلقه الله سبحانه وتعالى ونظمه .

مُدْهِئُونَ ﴿٨١﴾ وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكَ أَنْتَ تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾
وَحَنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرِئِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكِيدِينَ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٢﴾ فَزُلْ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾
وَتَصْلِيَةٌ بِهِمْ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْحٌ يَقِينٌ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

٨١ - أترضون فيهذا القرآن العظيم وبقدرة أنتم متهاونون ؟

٨٢ - ولجعلون بدل شكر رزقكم أنكم تكذبونه .

٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ - فهلا إذا بلغت روح أحدكم عند الموت مجرى النفس ، وأنتم حين بلوغ الروح الحلقوم حول
المهضر تنظرون إليه ، ونحن أقرب إلى المهضر وأعلم بحاله منكم ، ولكن لا تدركون ذلك ولا تحسونه .

٨٦ ، ٨٧ - فهلا ان كنتم غير خاضعين لربوبيتنا ، تردون روح المهضر إليه ان كنتم صادقين في أنكم ذو قوة
لا تقهر .

٨٨ ، ٨٩ - فأما ان كان المهضر من السابقين المقربين فأله راحة ورحمة ورزق طيب وجنة ذات نعم .

٩٠ ، ٩١ - وأما ان كان من أصحاب اليمين فيقال له تحية وتكريما : سلام لك من أخوانك أصحاب اليمين .

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ - وأما ان كان من أصحاب الشمال المكذبين الفاسقين فله نزل وقرى أعد له من ماء حار
تلاحت حرارته ، وأحراق ينار شديدة الاثقاد .

٩٥ - ان هذا الذي ذكر في هذه السورة الكريمة هو عين اليقين الثابت الذي لا يداخله شك .

٩٦ - فمد على التسبيح يذكر اسم ربك العظيم ، تنزيها له وشكرا على آلائه .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۚ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ هُوَ الَّذِي

بدأت السورة بالاخبار بأن الله سبحانه له ونزهه عما لا يليق به كل ما في السموات والأرض متبعة ذلك بمقتضيات هذا التسبيح من ملك السموات والأرض، والاحاطة بها، والتصرف فيها، ثم أمرت بالايان بالله والاتفاق في سبيله، وبينت اختلاف درجات الاتفاق باختلاف دواعيه ومقتضياته، ثم عرضت صورة المؤمنين يوم القيامة، يسمى نورهم أمامهم ومن حولهم، وصورة المنافقين يلتبسون الانتظار من المؤمنين، ليفتسبوا من نورهم، وقد ضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب.

وانتقلت بعد ذلك تستحث المؤمنين إلى المستوع لذكر الله، وما نزل من الحق، وتبصرهم بمنازل المفسدين والمصدقات عند رسم، ومآل الكافرين المكذبين في الجحيم، وتضرب الأمثال لطوان الدنيا وما حسونه من متاع، وعظم الآخرة وما فيها من نعم وعذاب، وتطلب السبق إلى مغفرة الله، وتطمئن النفوس إلى أن ما يهيب كل نفس من خير أو شر هو في كتاب عند الله، لتذعن بالتسليم لقضاء الله، ثم تحدثت عن إرسال الرسل وتناهبهم مؤيدين بالأدلة والكتب وأسباب القرة والعمل، ليقوم الناس بالقسط، ثم ختمت الآية بدعوة المؤمنين إلى التقوى، ووعدهم بمضاعفة الرحمة، والمخطوة بالفضل الذي لا يقدر أحد على شيء منه إلا الله، لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

١ - نزه الله تعالى ما في السموات والأرض من الإنسان والحيوان والجهد، وهو الغالب الذي يصرف الأمور بما تقتضيه الحكمة.

٢ - لله ملك السموات والأرض لا نصيره، يتصرف في كل ما فيها، يفعل الاحياء والاماتة، وهو على كل شيء تام القدرة.

٣ - هو الموجود قبل كل شيء. والباقي بعد فناء كل شيء، والظاهر في كل شيء، فكل شيء له آية، والباطن فلا تتركه الأبصار، وهو بكل شيء ظاهر أو باطن تام العلم.

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٤ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٥ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٦ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ٧ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٨ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٩ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ١٠ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا

٤ - هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش بتدبير ملكه، يعلم كل ما يغيب في الأرض وما يخرج منها، وكل ما ينزل من السماء وما يصعد إليها، وهو عليم بكم، محيط بشئونكم في أى مكان كنتم، والله بما تعملون بصير، مطلع لا يخفى عليه شيء من ذلك.

٥ - لله وحده ملك السموات والأرض، وإليه تعالى ترجع أمور خلقه، وتنتهى مصائرهم.

٦ - يدخل من ساعات الليل في النهار، ويدخل من ساعات النهار في الليل، فتختلف أطوالها، وهو العليم بكنونات الصدور وما تضره القلوب.

٧ - صدقوا بالله ورسوله، وأنفقوا في سبيل الله من المال الذي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيه، فالذين آمنوا منكم بالله ورسوله، وأنفقوا مما استخلفهم فيه، لهم بذلك عند الله ثواب كبير.

٨ - وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم للإيمان بربكم ويحثكم عليه، وقد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان من قبل، إن كنتم ترمون الإيمان فقد تحقق دليله.

٩ - هو الذي ينزل على رسوله آيات واضحات من القرآن، ليخرجكم بها من الضلال إلى الهدى، وإن الله بكم لكثير الرؤفة، واسع الرحمة.



فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ
 دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَانَا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي
 يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ
 أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكَ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ
 يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ ثَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
 فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُوهُمْ آدَرُكُمْ مَعَكُمْ قَالُوا
 بَلَى وَلَكِنْ نُفِرْتُمْ أَنْفُسُكُمْ وَرَبَّيْتُمْ وَارْتَمْتُمْ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾

١٠ - وأى شيء حصل لكم في ألا تنفقوا في سبيل الله من أموالكم، والله ميراث السموات والأرض؟ يث
 كل ما فيها، ولا يبقى أحد مالكا لشيء منها، لا يستوى في الدرجة والثوبة منكم من أنفُس من قبل فتح مكة
 وقاتل، والإسلام في حاجة إلى من يسند ويقويه، أولئك المنافقون المقاتلون قبل الفتح أعْل درجة من الذين
 أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا، وكلا من الفريقين وعد الله الثوبة الحسنَى مع تفاوت درجاتهم، والله بما تعملون خبير،
 فيجازى كلا بما يستحق.

١١ - من المؤمن الذى ينفق في سبيل الله مخلصا، فيضاعف الله له ثوابه، وله فوق المضاعفة ثواب كريم
 يوم القيامة.

١٢ - يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسبق نور إيمانهم وأعمالهم الطيبة ألسنهم وعن أيمانهم يقول لهم الملائكة:
 بشراكم في هذا اليوم جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار، لا تخرجون منها أبدا، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم
 لكم لقاء أعمالكم.

١٣ - يوم يقول المنافقون والمنافقات للمؤمنين والمؤمنات: انتظرونا نصيب بعض نوركم، قيل - نوبينا
 لهم - ارجعوا إلى حيث أعطينا هذا النور فاطلبوه، فضرِب بين المؤمنين والمنافقين مجازى له باب، باطن المهاجر
 الذى يلى الجنة فيه الرحمة والنعيم، وظاهر المهاجر الذى يلى النار من جهته العقاب والمذاب.

١٤ - ينادى المنافقون المؤمنين: ألم تكن في الدنيا معكم وفق رفعتكم؟ قال المؤمنون: بل كنتم معنا
 كما تقولون، ولكنكم أهلكت أنفسكم بالفساق، وانتظرت المؤمنين الموائد المهلكة، وشككتكم في أمور الدين،
 وخذعتكم الأموال، وأنكم على خير، حتى جاء الموت وخذعكم بغو الله ومفرته الشيطان.

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُ الْنَّارِ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ * الَّذِينَ آمَنُوا أَن نَخْشَعُ قُلُوبَهُمْ لَذِكْرِ اللَّهِ وَمَا تَزَلْ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعُفُ هُمْ وَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ هُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُم وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَّةُ الدُّنْيَا لَبَّ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفْتَرُونَ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرُوا فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَثَلًا غِيثٌ أَجْبَابُ الْكُفَّارِ بَابَاةُ ثُمَّ يَرْجِعُ فِتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ

١٥ - فالיום لا يقبل منكم ما تفقدون به أنفسكم من المذاب بها أغلقت في ذلك . ولا يقبل من الكافرين المعلنين كفرهم فدية كذلك . مرجعكم جميعا النار . هي منزلكم الأولى بكم ، وبئس المصير النار .

١٦ - ألم يحسن الوقت للذين آمنوا أن ترق قلوبهم لذكر الله والقرآن الكريم ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى ، عملوا به مدة فطال عليهم الزمن ، فجمدت قلوبهم وكثير منهم خارجون عن حدود دينهم .

١٧ - أعلموا أيها المؤمنون أن الله يصلح الأرض ويبثها للأنبياء بنزول المطر بعد يسسها . قد وضعنا لكم الآيات ، وضرينا لكم الأمثال لعلكم تعقلون ما فيها . فتخشع قلوبكم لذكر الله .

١٨ - ان المتصدقين والمتصدقات وأنفقوا في سبيل الله نفقات طيبة بها نفوسهم ، يضاعف الله لهم ثواب ذلك ، ولهم فوق المضاعفة أجر كريم يوم القيامة .

١٩ - والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك هم الصديقون والشهداء منزلة وعلو مرتبة ، لهم ثواب ونور يوم القيامة ، مثل ثواب الصديقين والشهداء ونورهم ، والذين كفروا وكذبوا بآيات الله أولئك هم أصحاب النار لا يفرقونها أبدا .



حُطَلْنَا فِي الْآخِرَةِ عَذَابٍ شَدِيدٍ وَمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝ سَاقُوا
إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا
فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لَّكَلَّا نَأْسُوًا عَلَىٰ مَا فَاَنكَرُوا وَلَا يُنْفِرُوا ۚ إِنَّمَا أَنَا
وَاللَّهُ لَا يَجِبُ كُلُّ مُخْتَلِفٍ ۝ الَّذِينَ يَبْغُلُونَ ۚ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَغْلِ ۚ وَمَن يَبْغُلْ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفِيُّ
الْحَمِيدُ ۝ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۚ وَأَنزَلْنَا

٢٠ - اعلما أيا المفرورين بالدنيا اذا الحياة الدنيا لعب لا ثمرة له ، وهو يشغل الإنسان عما ينفعه ، وزينة لا تحصل شرفا ذاتيا . وتفاخر بينهم بأنساب زائلة وعظام بالية ، وتكاثر بالعد في الأموال والأولاد ، مثلها في ذلك مثل مطر أعجب الزراع نباته ، ثم بكل تضجيه ويبلغ قمامه ، فقرأ عقب ذلك مصفرا أخذا في الجفاف ، ثم يصير بعد فترة هشيا جامدا متكرسا ، لا يبقى منه ما ينفع ، وفي الآخرة عذاب شديد لمن أتر الدنيا وأغنها بغير حفيها ، ومغفرة من الله لمن أتر آخرته على دنياه . وليست الحياة الدنيا إلا متاع هو غرور لا حقيقة له لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة للآخرة .

٢١ - سارعوا في السبق إلى مغفرة من ربكم ، وإلى جنة فسبحة الأرجاء ، عرضها مثل عرض السموات والأرض . هبت للذين صدقوا بالله ورسله ، ذلك الجزاء العظيم فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، والله وحده صاحب الفضل الذي جل أن يحيط بوصفه العقول .

٢٢ - ما نزل من مصيبة في الأرض من قحط أو نقص في الثمرات أو غير ذلك ، ولا في أنفسكم من مرض أو فقر أو موت أو غير ذلك الا مكتوبة في اللوح ، مثبتة في علم الله من قبل أن توجدها في الأرض أو في الأنفس ، إن ذلك الاثبات للمصيبة والعلم بها على الله سهل ، لاحاطة علمه بكل شيء .

٢٣ - أعلمناكم بذلك لكيلا تحزنوا على ما لم تحصلوا عليه حزنا مفرطاً يجركم إلى السخط ، ولا تفرحوا فرحا مبطرا بما أعطاكم . والله لا يجب كل متكبر فخور على الناس بما عنده .

٢٤ - الذين يرضون بأموالهم عن الاتفاق في سبيل الله ، ويأمرون الناس بالبخل بتحسينه لهم ، ومن يمرض عن طاعة الله فإن الله وحده الغني عنه ، المستحق بذاته للحمد والثناء .

الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾
ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى عَائِلِهِمْ بِرُسُلِنَا وَفَقَيْنَا يُعْيَسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً
وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلًا مِمَّنْ

٢٥ - لقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب الهادية، وأزلنا معهم الكتب المتضمنة للأحكام ومواعظ الدين والميزان الذي يحق الانصاف في التعامل، ليتعامل الناس فيما بينهم بالعدل، وخلقنا الحديد فيه عذاب شديد في الحرب، ومنافع للناس في السلم، يستغلونه في التصنيع، ليتنفصوا به في مصالحهم ومعاشهم، وليعلم الله من ينصر دينه، وينصر رسله غائبا عنهم أن الله قادر بذاته، لا يفقر إلى عون أحد (١).

٢٦ - ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب الهادية، فبعض هذه الذرية سالكون طريق الهداية، وكثير منهم خارجون عن الطريق المستقيم.

٢٧ - ثم تابنا على آثار نوح وإبراهيم ومن سبقها أو عاصرها من الرسل برسلنا، رسولاً بعد رسول، وابتينا بإرسال عيسى بن مريم، وأوحينا إليه الإنجيل وأودعنا في قلوب المتبعين له شفقة شديدة ورقة وعطف، وابتدعوا زيادة في العبادة وغلوا في التدين رهبانية ما فرضناها عليهم ابتداء، لكن التزموها ابتغاء رضوان الله تعالى، فاحفظوا عليها حق المحافظة، فأعطينا الذين آمنوا بمحمد نصيبهم من الأجر والثواب، وكثير منهم مكذبون يحمدهم خارجون عن الطاعة والطريق المستقيم.

(١) الحديد أحد سبعة عناصر عرفها القدماء وهي الذهب والفضة والزنك والنحاس والرصاص والحديد والقصدير وهو أكثر الفلزات انتشاراً في الطبيعة، فيوجد أساساً في الحالة المركبة على هيئة أكاسيد وكبريتيد وكربونات وسيليكات وتوجد كذلك مقادير صغيرة من الحديد الخالص في التهب والنيازك الحديضية.

أشارت الآية إلى أن الحديد ذو بَأْسٍ شديد ومنافع للناس وليس أدل على ذلك من امتياز الحديد برسائلكه المتنوعة بمجهرات متقدمة ومتفاوتة الدرجات في مقاومة الحرارة والتصدد والبلل، وفي مرونة تقبل المناطيسية وغيرها، ولذلك كان أنسب الفلزات لصناعة أسلحة الحروب وأدواتها وأساساً لجميع الصناعات الثقيلة والخفيفة ودجلة المضاربات.

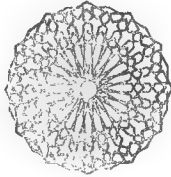
والحديد منتج جمة للكائنات الحية إذ تدخل مركبات الحديد في عملية تكوين الكلوروفيل وهو المادة الأساسية في عمليات التمثيل الضوئي التي ينشأ عنها تنفس النبات وتكوين البروتينات الحمى، وعن طريقه يدخل الحديد جسم الإنسان والحيوان.

ويدخل الحديد في تركيب بروتينات الفولة (البيلة الكروماتينية) في الخلية الحية كما أنه يوجد في سوائل الجسم مع غيره من العناصر، وهي أحد مكونات الميوجلوبين (المادة الأساسية في كرات الدم الحمراء) ويقدم بدوره في عملية الاحتراق الداخلي للأستجة والتمثيل الحيوى بها. والحديد يوجد كذلك في الكبد والطحال والكلى والعضلات والنفخ الأحمر ويحتاج الجسم إلى كمية من الحديد يجب أن يزود بها من مصادره المختلفة فإذا نقصت تعرض الإنسان لعدة أمراض أضر بها فقر الدم.

رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ
عَلَيْ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

٢٨ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خَافُوا عِقَابَ اللَّهِ ، وَابْتُوا عَلَىٰ إِيمَانِكُمْ بِرَسُولِهِ يَعْطُكُم نَصِيبًا مِّن رَّحْمَتِهِ ، وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ مَا فَرِطَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَاللَّهُ وَاسِعٌ الْغُفْرَةِ وَافِرُ الرَّحْمَةِ .

٢٩ - يَنْحَكُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ كُلَّ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ أَمْرٍ
اللَّهُ ، يَكْسِبُونَهُ لَأَنْفُسِهِمْ أَوْ يُنْحَوْنَهُ لغيرِهِمْ ، وَأَنَّ الْفَضْلَ كُلَّهُ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَاللَّهُ صَاحِبُ
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتُسْتَكْبِرُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ①
الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ أَنْتُمْ مَأْنِ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا الْآلُفُ وَلَدَنَّهُمْ وَلَهُمْ لَيَقُولُونَ مَنَّكَ
مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۖ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَوُورٌ ② وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ سَبَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ③ لَنْ يَجِدَ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتتَابِعَيْنِ

افتتحت بالسورة بالحديث عن المرأة التي ظاهر منها زوجها ، واتبع ذلك ببيان حكم الطهارة ، ونهى الله في هذه السورة في أكثر من آية على المعادين لدينه ، وحذرهم من التناجى بالآثم والمملوك ، وأرشد المؤمنين إلى أدب المناجاة بين بعضهم وبعض ، وبينهم وبين الرسول ﷺ ، كما نهي على المنافقين موالاتهم للكافرين ، ووصفهم بأنهم حزب الشيطان المخافون .

وختمت السورة بوصف جامع لما يجب أن يكون عليه المؤمنون من إثارة رضا الله ورسوله على من عداها ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، ووصفهم بأنهم حزب الله المفلحون .

١ - قد سمع الله قول المرأة التي تراجعت في شأن زوجها الذي ظاهر منها ، وتضرع إلى الله ، والله يسمع ما تراجعا به من الكلام . إن الله محيط سمعه بكل ما يسمع ، محيط بصره بكل ما يبصر ^(١)

٢ - الذين يظهرون منكم أي المؤمنون من نسائهم بتسبيهن في التحريم بأُمَّهَاتِهِمْ مَحْظُون ، ما الزوجات أمهاتهم ، ما أمهاتهم - حقاً - إلا الآلُف ولَدَنَهُمْ ، وأن المظاهرين ليقولون منكراً من القول تنفر منه الأخلاق السليمة ، وكذباً منحرفاً عن الحق ، وإن الله لطيف العفو والمغفرة عا سلف منكم .

٣ - والذين يظهرون من نسائهم ثم يرجعون لظلمهم ، فيظهر لهم خطوهم ، ويودون بقاء الزوجية ، فعلمهم عتق رقية قبل أن يتماسا ، ذلكم الذي أوجب الله - من عتق الرقية - عظة لكم توعظون به كيلا تعودوا والله بما تعملون خبير .

(١) روى أن أوس بن الصامت غصب من زوجته خوة بنت ثعلبة فقال لها : أنت على كل شيء أمي ، وكان هذا تحميراً في الجاهلية فأخبرت النبي ﷺ فقال لها : « ما أمرت في شأنك بشيء ، وما أراك إلا قد حرمت عليه » . وجعلت النبي ﷺ وراجته ، وجعلت تستشكي إلى الله تعالى ما تخاف من فرقة الزوج وشياع الولد ، فإليبت أن تزلت هذه الآية والآيات الثلاث التي بعدها .

فَلَا تَسْتَجِيبُوا بِالْإِيمَانِ وَالْعُدُوكَ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَسْتَجِيبُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالنَّفَاقِ ط وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾
 إِنَّمَا النُّجُوعُ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ
 اسْكُرُوا فَأَسْكُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقُولُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتْ ۚ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا نَبَأَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
 وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ

٩ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ : إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالذَّنْبِ وَالْإِعْتِدَاءِ وَمُخَالَفَةِ الرِّسُولِ ، وَتَنَاجَوْا
 مُتَوَاصِينَ بِالْخَيْرِ وَالتَّحَرُّزِ عَنِ الْإِثْمِ ، وَخَافُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ - لَا إِلَى غَيْرِهِ - تَسَاقُونَ بِعَدِّ بَعْثِكُمْ .

١٠ - إِنَّمَا التَّنَاجِيُّ الْمَثَرُ لِلشَّكِّ مِنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ ، لِيَدْخُلَ الْحُزْنَ عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِضَارِّهِمْ
 شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَعَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ - فليَعْتَمِدِ الْمُؤْمِنُونَ .

١١ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ : إِذَا طُلِبَ مِنْكُمْ أَنْ يُوسَعَ بِبَعْضِكُمْ فِي الْمَجَالِسِ لِبَعْضِ فَأُوسِعُوا ، يَوْسَعِ
 اللَّهُ لَكُمْ ، وَإِذَا طُلِبَ مِنْكُمْ أَنْ تَنْهَضُوا مِنْ مَجَالِسِكُمْ فَانْهَضُوا ، يَعْلَمُ اللَّهُ مَكَانَةَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطَّهِينَ ، وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
 دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ .

١٢ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ : إِذَا أُرِدْتُمْ مُنَاجَاةَ رَسُولِ اللَّهِ فَقَدِّمُوا قَبْلَ مُنَاجَاةِكُمْ صَدَقَةً ، ذَلِكَ خَيْرٌ
 لَكُمْ وَأَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُصَدِّقُونَ بِهِ فَإِنَّ اللَّهَ وَاسِعُ الْغُفْرَةِ شَامِلُ الرَّحْمَةِ .

١٣ - أَخَشِيتُمْ أَنْ تَلْزِمُوا تَقْدِيمَ صَدَقَاتٍ أَمَامَ مُنَاجَاةِكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ ، فَحَافِظُوا
 عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِعَمَلِكُمْ فَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ .

١٤ - أَلَمْ تَرَ - أَيُّهَا الرِّسُولُ - إِلَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَالُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، مَا هَؤُلَاءِ الْمَوَالُونَ مِنْكُمْ وَلَا مِنَ
 وَالِهِمْ ، وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ مَعِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ كَاذِبُونَ .

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ نُغْنِيَ عَنْهُمْ
 أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً
 فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ نَاقَةٍ ﴿١٨﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٩﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ
 فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَالِسُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢١﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَّا وَرَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٢﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ
 أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٣﴾

١٥ - أعد الله هؤلاء المنافقين عذاباً بالغ الشدة ، انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والحلف على الكذب .

١٦ - اتخذوا أيمانهم وقاية لأنفسهم من القتل ، ولأولادهم من السي ، ولأموالهم من النعمة ، فصعدوا بذلك
 عن سبيل الله ، فلهم عذاب شديد الإهانة .

١٧ - لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً ، أولئك أهل النار هم فيها خالدون .

١٨ - يوم يبعثهم الله جميعاً فيقسمون له انهم كانوا مؤمنين كما يقسمون لكم الآن ، ويظنون انهم بهتهم هذا
 على شيء من الدماء بنفعهم ، إلا انهم هم البالغون الغاية في الكذب .

١٩ - استولى عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله واستحضار عظمته ، أولئك حزب الشيطان إلا إن حزب
 الشيطان هم الذين بلغوا الغاية في الخسران .

٢٠ - إن الذين يماننون الله ورسوله أولئك في عداد الذين بلغوا الغاية في الذلة .

٢١ - قضى الله لأتصرن أنا ورسلي ، إن الله تام القوة لا يغلبه غالب .

٢٢ - لا تجد قوماً يصدقون بالله واليوم الآخر يتبادلون المودة مع من عادى الله ورسوله ، ولو كانوا آبائهم
 أو أبناءهم أو إخوانهم أو أقرابهم ، أولئك الذين لا يوالون من حاد الله ، ثبت الله في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بقوة
 منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، لا ينقطع عنهم نعيمها ، أحببهم الله وأحبوه ، أولئك
 حزب الله ، إلا إن حزب الله هم الفائزون .

(٥٩) سُورَةُ الْحَشْرِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأَهَا النَّبِيُّ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾

بدأت السورة بالاخبار بأن الله سبحانه له وزعه عما لا يليق به كل شيء في السموات والأرض ، وأنه العزيز الذي لا يقبل ، الحكيم في تصرفاته وتشريعه ، ومن آثار عزته وحكمته ما تحدثت عنه السورة من عاقبة بني النضير - وهم من يهود المدينة - وكانوا قد صالحوا النبي ﷺ بعد الهجرة على ألا يكونوا عليه ولا له ، فلما كانت هزيمة المسلمين في يوم أحد نكثوا عهدهم ، وحالفوا قريشا عليه ﷺ ، فعاصروهم في حصونهم التي ظنوا أنها تمنعهم ، فلم تمنعهم ، ثم أجلاهم عن المدينة ، ثم بينت حكم الله : وهو ما كان من الغنائم بلا حرب ولا اسراع بركوب الخيل ونحوها ، فذكرت أنه لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم . ثم تحدثت عن الانتصار وفضلهم ، وإيثارهم المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم حاجة إلى ما أتروهم به ، ولفتت النظر إلى ما كان من وعود المنافقين لبني النضير ، في قولهم لهم : لن أخرجكم لنفجرن معكم ، ولئن قوتلتم لننصرنكم ، وفضحت كذبهم وتفريدهم في ذلك .

ثم خلصت السورة إلى تذكير المؤمنين بما ينبغي أن يكونوا عليه من تقوى الله والتزود للمستقبل القريب والبعيد ، ولا يكونوا كالذين أعرضوا عن الله فأفسدهم أنفسهم .

وختمت ببيان شأن القرآن وعظيم تأثيره ، ذلك لأن الذي أنزله هو الله الذي لا إله الا هو له الأسماء الحسنى .

١ - نزه الله عما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض ، وهو الغالب الذي لا يعجزه شيء ، الحكيم في تدبيره وأفعاله .



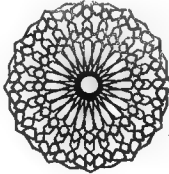
حَيْثُ لَا يَحْسِبُوا وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّهْبُ يُخْرِجُونَ بَيِّنَاتٍ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يٰٓأُولِيَ الْأَبْصَارِ ۝
 وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلََاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ۝^١ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ
 وَرُسُلَهُ وَمَنْ يَشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝^٢ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ
 اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ۝^٣ وَمَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ لَأَوْجِفَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۝^٤ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝^٥ مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ إِنَّ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
 وَلِأَهْلِ الْقُرَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَىٰ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ وَبَيْنَكُمْ وَمَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ

٢ - هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب - وهم يهود بني النضير - من ديارهم عند أول إخراج لهم من جزيرة العرب . ما ظننتم - أيها المسلمون - أن يخرجوا من ديارهم لقوتهم ، وظنوا - هم - أنهم ما نعتهم حصونهم من بأس الله ، فأخذهم الله من حيث لم يظنوا أن يؤخذوا من جهته ، وألقى في قلوبهم الفزع الشديد ، يحسبون بيوتهم بأيديهم ليتركوها خاوية ، وأيدي المؤمنين ليقتضوا على تحصنهم ، فانتظروا بما نزل بهم يا أصحاب العقول .
 ٣ - ولولا أن كتب الله عليهم الإخراج من ديارهم على هذه الصورة الكريمة لعنهم في الدنيا بما هو أشد من الإخراج ، ولهم في الآخرة - مع هذا الإخراج - عذاب النار .

٤ - ذلك الذي أصابهم في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة لأنهم عادوا الله ورسوله أشد العداة ومن عباد الله فلن يفلت من عقابه ، فإن الله شديد العقاب .

٥ - ما قطعتم - أيها المسلمون - من لحظة أوتركتوها باقية على ما كانت عليه فبأمر الله ، لا حرج عليكم فيه ، ليعز المؤمنين ، وليبين الفاسقين المنحرفين عن شرائعه .

٦ - وما آفأه الله ورده على رسوله من أموال بني النضير فأسرعت في السير إليه بجيول ولا إبل ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء من عباده بلا قتال ، والله على كل شيء تام القدرة .



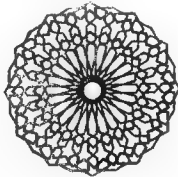
فَعُدُّوهُ وَمَا نَهَكَرْ عَنْهُ قَاتِلُوهُ ۖ وَأَتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُتْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُّونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّالِحُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُودُقِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ يَوْمَ حَصَاةٍ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُتْرِجْتُمْ

٧ - ما رده الله على رسوله من أموال أهل القرى بشرى إيجاب خيل أو ركاب فهو لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . كيلا تكون الأموال متداولة بين الأغنياء منكم خاصة ، وما جاءكم به الرسول من الأحكام فتمسكوا به ، وما نهاكم عنه فانكروه ، واجعلوا لكم وقاية من غضب الله ، إن الله شديد العقاب .

٨ - وكذلك يعطى ما رده الله على رسوله من أموال أهل القرى الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، يرجون زيادة من الله في أرزاقهم ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله بنفوسهم وأموالهم ، أولئك هم المؤمنون .

٩ - والأنصار الذين نزلوا المدينة وأقاموا بها ، وأخلصوا الإيمان من قبل نزول المهاجرين بها ، يحبون من هاجر إليهم من المسلمين ، ولا يحسون في نفوسهم شيئا مما أوقى المهاجرين من الفء ، ويقدمون المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم حاجة ، ومن يحفظ - بتوفيق الله - من يخل نفسه الشديد فأولئك هم الفائزون بكل ما يحبون .

١٠ - والمؤمنون الذين جاموا بعد المهاجرين والأنصار يقولون : ربنا اغفر لنا ذنوبنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غدا للذين آمنوا ، ربنا إنك بالغ الرأفة والرحمة .



١٧ - فكان مأل الشيطان ومن اغواء انها في النار خالدين فيها ، وذلك المخلود جزاء المعتدين المتجاوزين
سميل الحق .

تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَلْجًا مِثْبَدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

١٨ - بأهلها الذين آمنوا اجعلوا لكم وقاية من عذاب الله بالتزام طاعته ، ولتدبر كل نفس أى شيء قدمت من العمل للند ، والتزاموا تقوى الله ، ان الله خبير بما تعملون ، فيجازيكم عليه .

١٩ - ولا تكونوا - أي المؤمنون - كالذين نسوا حقوق الله ، فأنساهم أنفسهم - بما ابتلاهم من البلاء - فصاروا لا يعرفون ما ينفعها مما يضرها ، أولئك هم الخارجون عن طاعة الله .

٢٠ - لا يستوى أصحاب النار المذنبون وأصحاب الجنة النعمون ، أصحاب الجنة هم - دون غيرهم - الفائزون بكل ما يجهون .

٢١ - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل شديد لرأيت هذا الجبل - على قوته - خاضعاً متشفقاً من خشية الله ، وتلك الأمثال نعرضها للناس لعلهم يتدبرون عواقب أمورهم .

٢٢ - هو الله الذي لا معبود بحق إلا هو وحده ، عالم ما غاب وما حضر ، هو الرحمن الرحيم .

٢٣ - هو الله الذي لا إله إلا هو ، المالك لكل شيء ، على الحقيقة ، المطهر عن كل نقص ، المبرأ عما لا يليق ، ذو السلامة من النقائص ، المصدق رسله بما أيدهم به من معجزات ، الرقيب على كل شيء ، الفالب فلا يمجزه شيء ، العظيم الشأن في القوة والسلطان ، والمتعظم عما لا يليق بمجاليه وجلاله ، تنزه الله وتعالى عما يشركون . .

٢٤ - هو الله البديع للأشياء من غير مثال سابق ، الموجود لها بركة من التفات ، المصور لها على هيئتها كما أراد ، له الأسماء الحسنى ، يتزه عما لا يليق كل ما في السموات والأرض ، وهو الفالب الذي لا يمجزه شيء ، الحكيم في تدبيره وتشريره .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّي أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَرَجِمْتُمْ جَهَنَّمَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا وَمَرْضَى سُرُونِ الْيَوْمِ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ يَشْقُوْكُمْ يَكُوْنُوا

بدأت السورة بنهي المؤمنين عن موالاة المشركين أعداء الله وأعدائهم، لاصرارهم على الكفر، وإخراجهم رسول الله والمؤمنين من ديارهم بكم، وأشارت إلى أن عدواة هؤلاء كاملة للمؤمنين، لا تلبث أن تستعلن حين يلاقوهم ويتمكنون منهم.

ثم انتقلت إلى بيان الاسوة الحسنة في إبراهيم والذين معه في تبرئهم من المشركين وما يعبدون من دون الله، مطمئنين عدواتهم لهم، حتى يؤمنوا بالله وحده، موضحة أن ذلك شأن الذين يرجون لقاء الله ويخشون عقابه. ثم بينت من تجوز صلتهم من غير المسلمين ومن لا تجوز، فأما الذين لا يقاتلوننا في الدين ولا يعينون علينا فلأن لنا أن نبرهم وننقض إليهم، وأما الذين قاتلوننا في الدين، وظاهرنا على إخراجنا من ديارنا، فأولئك الذين نهى الله عن برهم والصلة بهم.

ثم بينت السورة، حكم المؤمنين اللاتي هاجرن إلى دار الإسلام، وتركن أزواجهن مشركين، وحكم المشركات اللاتي هاجر أزواجهن مسلمين وقد تركهن بدار الشرك.

واتبعت ذلك ببيان بيعة النساء، وما يابعن عليه الرسول ﷺ، ثم ختمت بما بدأت به من النهي عن موالاة الأعداء الذين غضب الله عليهم، تقييداً للحكم الذي بينته في مفتحتها، وأكده في ثنائها.

١ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ: لا تتخذوا أعدائي وأعداءكم أنصاراً تغضون إليهم بالهبة المحالصة، مع أنهم جحدوا بما جاءكم من الإيمان بالله ورسوله وكتابه، يخرجون الرسول ويخرجونكم من دياركم، لإيمانكم بالله ربكم، إن كنتم تخرجون من دياركم للجهاد في سبيل وطلب مرضى فلا تتولوا أعدائي، تلقون إليهم بالمودة سراً، وأنا أعلم بما أسرتم وما أعلنتم، ومن يتخذ عدو الله ولياً له فقد أخطأ الطريق المستقيم.

لَكَرْ أَعْدَاءَ وَيَسْطُرُوا إِلَيْكَ إِيَّاهُمْ وَآلَيْهِمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا أَنْ تَكْفُرُوا ❶ لَنْ تَنْفَعَكَ أَرْحَامُكَ وَلَا
أَوْلَادُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ❷ قَدْ كَانَتْ لَكَ أَسُوءُ حَسَنَةٍ فَرَّاهُمْ وَالَّذِينَ
مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَأْيِهِمْ نَارٍ وَأَنْتُمْ كَرِهْتُمُوهُمْ وَبِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفِّرْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَنَا الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ❸ إِنْ قَوْلُكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ رَبَّنَا عَلَىكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَ بِنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ❹ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآخِرُنَا رَبَّنَا إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ❺ لَقَدْ كَانَ لَكَ فِيهِمْ أَسُوءُ حَسَنَةٍ لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ
فَلَنْ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ❻ * عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ ❼ وَاللَّهُ
عَزَّوَجَلَّ ❽ لَا يَنْتَكِرُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَا يَقْنَنُوا فِي الدِّينِ وَلَا يُخْرِجُهُمْ مِّنْ دِينِكَ أَنْ تَبْرَهُمْ وَتَقْسُوا

٢ - إن يلقوكم ويتمكنوا منكم نظهر لكم عداوتهم ، ويدوا اليكم ايديهم وألستهم بما يسوءكم ، وتوا كفركم مثلهم .

٣ - لن تنفكم قراياتكم ولا أولادكم الذين تخزنونهم أولياء وهم عداو الله ولكم ، يوم القيامة يفصل الله بينكم ، فيجعل أعداءه في النار وأوليائه في الجنة ، والله بكل ما تعملون بصير .

٤ - قد كانت لكم قدوة حسنة تقتنون بها في ابراهيم والذين آمنوا معه ، حين قالوا لقومهم : انا يريون منكم ومن الآلهة التي تعبدونها من دون الله ، نجعدنا بكم ، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ، لا نزول أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ، لكن قول ابراهيم لأبيه : لأطلين لك المغفرة ، وما أملك من الله من شيء ، ليس مما يقتدى به ، لأن ذلك كان قبل أن يعلم أنه مصمم على عداوته لله ، فلما تبين له أنه عداو لله تبرأ منه . قولوا أيها المؤمنون : ربنا عليك اعتمدنا ، وإليك رجعتنا ، وإليك المصير في الآخرة .

٥ - ربنا لا نجعلنا مجال تكون بها فتنة للذين كفروا ، واغفر لنا ذنوبنا يا ربنا ، انك انت العزيز الذي لا يظلم ، ذو الحكمة في تصرفاته .

٦ - لقد كان لكم - أيها المؤمنون - في ابراهيم والذين معه قدوة حسنة في معادلتهم أعداء الله ، هذه القدرة لمن كان يبرو لقاء الله واليوم الآخر ومن يمرض عن هذا الاقتداء فقد ظلم نفسه ، فإن الله هو الغني عما سواه ، المستحق للحمد من كل ما عداه .

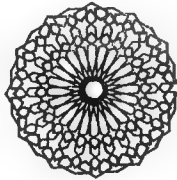
٧ - عسى أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم من الكافرين مودة بتوفيقهم للإيمان ، والله تام القدرة ، والله واسع المغفرة لمن تاب ، رحيم بعباده .

وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُمْ وَلَا يَأْتِينَ بِهِنَّ يَفْرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَلَا يَعْبِتُوكَ
 فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُمْ وَأَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُ الْكُفَّارِينَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

—•—

١٢ - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ : إذا جاءك المؤمنات يماضدنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ، ولا يسرقن ، ولا يزني ، ولا يقتلن أولادهن ، ولا يلحقن بأزواجهن من ليس من أولادهن بهتاناً وكذباً يختلفن بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يماضدنك في معروف تدعوهن إليه ، فماضدن على ذلك ، واطلب من المغفرة من الله ، ان الله عظيم المغفرة والرحمة .

١٣ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، لا تغالوا قوماً غضب الله عليهم قد يسؤوا من الآخرة وما فيها من نواب وحساب كما يس الكفار من احياء أصحاب القبور .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ③ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْنِتُونَ فِي سَبِيلِهِ صَافًى كَانَتْهُمْ بَلَى مَرُصُوسٌ ④ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُومُوا لِقَوْمِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ⑤ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعِي

افتتحت هذه السورة بالاخبار بأنه سبّح لله ما في السموات وما في الأرض ، وأنه لا يليق بالمؤمنين أن يقولوا ما لا يفعلون ، وإن الله يحب أن يكونوا بيدا واحدة ، ثم وصفت بني إسرائيل بالعدا والكفر على لسان رسولين كريمين هما موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، وبأنهم يريدون أن يطفئوا نور الله ، والله ممت نوره ، ولها وعد الله - ووعده الحق - أن يظهر هذا الدين على ما سواه ولو كره المشركون . وختمت بالحث على الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس وبعده المهادين بالمغفرة والجنة . وأخرى يجيبها المؤمنون : نصر من الله وفتح قريب ، ويحث المؤمنين أن يكونوا انصار الله كما كان الحواريين مع عيسى ابن مريم ، وبأن الله يؤيد المؤمنين بنصره وهو الغالب على كل شيء ، ذو الحكمة البالغة .

١ - نزه الله عما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض ، وهو وحده - الغالب على كل شيء ، ذو الحكمة البالغة .

٢ - يا أيها الذين آمنوا : لأى غرض تقولون بألسنتكم ما لا تصدقه أفعالكم ؟

٣ - كره الله كبرها شديداً أن تقولوا ما لا تفعلون .

٤ - إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيل إعلاء كلمته مهتسين ، كأنهم بنيان محكم .

٥ - واذكر - يا محمد - حين قال موسى لقومه : يا قومي ، لم تؤذوني وأنتم تعلمون أنى رسول الله إليكم ؟ فلما أصرروا على الانحراف عن الحق أمال الله قلوبهم عن قبول الهداية ، والله لا يهدي القوم الخارجين عن طاعته .

لَمْ يَرْسُلْ إِلَى رَسُولٍ إِلَهُ إِلَّا بِكُمْ مُصَلِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمِيشْرًا رَسُولٌ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَمَّهُ - أَحَدٌ
 فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ① وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى
 الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ② يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْكَافِرُونَ ③ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ④
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ⑤ تَقُومُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ⑥ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ
 تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ⑦ وَأَنْتُمْ يُحْيَوْنَهَا فَصَرِّمِنْ اللَّهُ

٦ - واذكر حين قال عيسى ابن مريم : يا بني إسرائيل اني رسول الله إليكم ، مصدقاً لما تقسمون من التوراة ،
 وميشراً رسول يأتي من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم الرسول المبشر به بالآيات الواضحات قالوا : هذا الذى
 جئنا به سحر بين .

٧ - ومن أشد ظمناً من اختلق على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام دين الحق والخير ، والله لا يهدى القوم
 المصيرين على الظلم .

٨ - يغفرى بنو إسرائيل الكذب على الله ، لكن يطفئوا نور دينه بأفواههم ، كمن يريد إطفاء نور الشمس
 بنفخة من فيه ، والله مكلل نوره بالتمام دينه ولو كره المجاهدون .

٩ - الله الذى أرسل رسوله محمداً بالقرآن هدى للناس وبالإسلام دين الحق ، ليعليه على كل الأديان
 ولو كره المشركون .

١٠ - يا أيها الذين آمنوا : هل أرشدكم إلى تجارة عظيمة تنجيكم من عذاب شديد الألم ؟

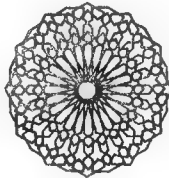
١١ - هذه التجارة هي أن تؤمنوا على الإيمان بالله ورسوله ، وتجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . ذلك
 الذى أرشدكم إليه خير لكم إن كنتم تعلمون .

١٢ - ان تؤمنوا وتجاهدوا في سبيل الله يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ومسكن
 طيبة في جنات عدن ، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم .

وَفَتَحَ قَرِيبٌ وَيَسِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِثِ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِثُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَعَامَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيْدَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

١٣ - ونعمة أخرى لكم أيها المؤمنون المجاهدين تحييتهم، هي نصر من الله وفتح قريب نقمنون خبره، وبشر المؤمنين - يا محمد - بهذا الجزء.

١٤ - يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله إذا دعاكم رسول الله أن تكونوا أنصاره، كما كان أصفياء عيسى أنصاراً له حين قال: من أنصاري إلى الله؟ فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة، فقتلنا الذين آمنوا به على عدوهم الذين كفروا، فأصبحوا بتقويتنا منتصرين غالبين.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسِيعُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَي ضَلَالِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝

..... ⑤

المتنعت هذه السورة باخباره تعالى أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض ، وقد اثنى - جل شأنه - على العرب الأميين أنه بعث فيهم رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وإن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقد نعى الله تعالى على اليهود تركهم العمل بالتوراة مع علمهم بما فيها ، وأنكر عليهم دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس ، وتعداهم أن يتنوا الموت إن كانوا صادقين . وختمت السورة بأمر المؤمنين أن يبادروا إلى صلاة الجمعة إذا سمعوا النداء ، وأن يذروا البيع ، وإذا قضيت الصلاة ينتشرون في الأرض ويبتغون من فضل الله ، وأنكر عليهم أن يشغلهم عن جماع خطبتها شاغل من تجارة أو هو ، وتكفل لهم بالرزق ، والله خير الرازقين .

١ - يسبح لله ويقره عما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض ، المالك لكل شيء المتصرف فيه بلا منازع ، المنزه تنزيهاً كاملاً عن كل نقص ، الغالب على كل شيء ، ذي الحكمة البالغة .

٢ - الله هو الذي أرسل في العرب الذين لا يعرفون الكتاب رسولاً منهم ، يقرأ عليهم آياته ويطهرهم من خباثات القناد والأخلاق ، ويعلمهم القرآن والتفقه في الدين ، وإنهم كانوا قبل بعثته لفي الحراف عن الحق شديد الوضوح .

٣ - بعثه في آخرين منهم ، ثم يبعثوا بعد وسيجيئون ، وهو - وحده - الغالب على كل شيء ، ذو الحكمة البالغة في كل أماله .

٤ - ذلك البعث فضل من الله يكرم به من يختار من عباده ، والله - وحده - صاحب الفضل العظيم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا
مِمَّ كَفَرُوا فَطُغِيَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَلِنْ يَقُولُوا

اشتملت هذه السورة على طائفة من أوصاف المنافقين ، فذكرت انهم يعلنون ايمانهم بالاستتم غير صادقين ،
وبينت انهم يعملون ايمانهم الكاذبة ، وقاية لهم من وصف الكفر الذي هم عليه ويمارسونه به ، كما بينت انهم ذوو
اجسام حسنة تعجب من رآها ، وأصحاب فصاحة يستمع اليها ، وهم مع ذلك فارغة قلوبهم من الايمان كأنهم خشب
مسندة لا حياة فيهم .

وعرضت لحالهم حين يدعون ليعتفروا لهم رسول الله مينة أنهم يستكبرون ، ويظهرون اعراضهم عن الاستجابة
متعاليين .

ثم انتقلت إلى ما زعمه المنافقون من أنهم أعزة وأن المؤمنين أذلة ، وما توعدوا به المؤمنين من إخراجهم بعد
رجوعهم إلى المدينة ، مينة أي الفريقين هو الأعز .

ووجهت في ختامها الخطاب للمؤمنين لينفقوا في سبيل الله ، مبادرين إلى ذلك قبل أن يأتي أحدهم الموت ،
فيندم ويتمنى أن لو تأخر أجله ، وإن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها .

١ - إذا جاءك المنافقون - يا محمد - قالوا بالاستتم : نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله ، والله
يشهد إن المنافقين لكاذبون في دعواهم الإيذان بك لعدم تصديقهم بقلوبهم .

٢ - جعلوا ايمانهم الكاذبة وقاية لهم من المؤاخنة ، فتحرو أنفسهم عن طريق الله المستقيم ، انهم قبيح ما كانوا
يعملون من التفاني والأيمان الكاذبة .

٣ - ذلك الذي دأبوا عليه من الظهور بغير حقيقته والحلف بالإيمان الكاذبة ، بسبب أنهم آمنوا بالاستتم ، ثم
كفروا بقلوبهم ، فغتم على قلوبهم بهذا الكفر ، فهم لا يفهمون ما ينتجهم من عذاب الله .

تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مَسْنَدٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صِدْقٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قُلْتَلَهُمْ اللَّهُ أَفَىٰ يَوْمَئِذٍ ① وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَوْا بِرُءُوسِهِمْ وَرَأَيْتُهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ② سِوَاكَ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ③ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَعُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ④ يَقُولُونَ لَن رَجَعَنَّآ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ⑤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ⑥ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ

٤ - وإذا أبصرتهم تصعيبك أجسامهم لوجاههم ، وإن يتحدثوا تسمع لقولهم لحلاوته ، وهم مع ذلك فارغة قلوبهم من الإيمان كأنهم خشب مسندة لا حياة فيهم ، يحسبون كل نازلة عليهم لشعورهم بحقيقة حالهم ، هم العدو فاحذروهم ، طردهم الله من رحمته ، كيف يصرفون عن الحق إلى ما هم عليه من النفاق !

٥ - وإذا قيل لهم : اقبلوا يستغفر لكم رسول الله ، حركوا رءوسهم استهزاء ، ورأيتهم يصرضون وهم مستكبرون عن الاعتذار !

٦ - سواء على هؤلاء النفاقين استغفارك لهم أو عدم استغفارك ، لأنهم لن يرجعوا عن نفاقهم ، فلن يغير الله لهم ، إن الله لا يهدي إلى الحق الخارجيين على أمره والإيمان به .

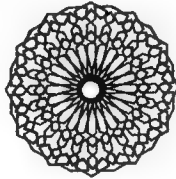
٧ - هم الذين يقولون لأهل المدينة : لا تنفقوا على من عند رسول الله من المؤمنين حتى يتفرقوا عنه ، وله خزائن السموات والأرض وما فيها من أرزاق ، يطعها من يشاء ، ولكن النفاقين لا يفهمون ذلك .

٨ - يقول النفاقون متوعدين : والله لن رجعنا إلى المدينة ليخرجن فريقنا الأعز منها فريق المؤمنين الأذل ، وله العزة ورسوله وللمؤمنين لا هؤلاء التوعديين ، ولكن النفاقين لا يعلمون .

٩ - يا أيها الذين صدقوا بالله ورسوله ، لا تشغلكم العناية بأموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وأداء ما فرضه عليكم ، ومن تشغله أمواله وأولاده عن ذلك فأولئك هم الخاسرون يوم القيامة .

أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾
وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

- ١٠ - وانفقوا - أيها المؤمنون - من الأموال التي رزقناكم ، مبادرين بذلك من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول نادماً : رب جلا أمهلني إلى وقت قصير ، فأصدق وأكن من الصالحين في عمل الصالحات .
- ١١ - ولن يهلل الله نفساً إذا حان وقت موتها ، والله تام العلم بما تعملون ، فيجازيكم عليه .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكَ فَتَضَعُكَ كَافِرًا مِنْكُمْ مُؤْمِنًا ۝ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَقِّ وَصَوَّرَكَ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ۝ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ وَاللَّهُ

افتتحت هذه السورة بالاخبار بأن كل ما في السموات وما في الأرض يزه الله عما لا يليق بجلاله، وبأن له الملك وله الحمد، وأنه على كل شيء قدير، ثم اتبع ذلك بذكر بعض الدلائل على تمام قدرته وعلمه، ثم لفت الأنظار إلى الذين كفروا من قبل هؤلاء، وعصوا رسلهم، وأنهم ذاقوا وبال أمرهم، وذلك لأنهم كانت تأتهم رسلهم بالبينات، فكفروا بهم وأعرضوا عنهم، وانتقلت السورة بعد ذلك إلى إبطال زعم الكافرين أنهم لن يعذبوا، وطلبت من الناس أن يؤمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل عليه، وحذرتهم يوم الجمع يوم يظهر غيب الناس، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم الفوز العظيم، والذين كفروا هم أصحاب النار وبئس المصير، وإن المصائب يافز الله، وأن من يؤمن بالله يهد قلبه.

وطلبت من الناس أن يطيعوا الله ورسوله فإن عرضوا فإن الرسول ليس عليه إلا البلاغ واخبرت المؤمنين أن أموالهم وأولادهم فتنة، فلا تصرفهم العناية بهم عما أمروا به ثم أمرتهم أن يتقوا الله ما استطاعوا. وختمت السورة بحضهم على الاتفاق في سبيل الخير، وأن الله شكور حلیم عالم الغيب والشهادة فيجازيهم على أموالهم، وأنه عزيز لا يقلب، حكيم لا يهت.

١ - يزه الله عما لا يليق بجلاله كل ما في السموات وما في الأرض، له الملك التام وحده وله التناء الجميل، وهو على كل شيء تام القدرة.

٢ - هو الذي تفرد بحفظكم من عدم، فنكم منكر لألوهيته، ونكم مصدق بها، والله بما تعملون بصير فيجازيكم على أعمالكم.

٣ - خلق الله السموات والأرض بالحكمة البالغة، وصوركم فأحسن صوركم، حيث جعلكم في أحسن تقويم وإلى المرجع يوم القيامة.

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَّا يَأْتِكُمْ نَبِيُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْهُدُونَنَا فَكُفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَفَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَاعْلَمُوا بِاللَّهِ رِسُولَهُ وَالنُّورَ الَّذِي أُنْزِلَتْ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكَ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

٤ - يعلم كل ما في السموات والأرض ، ويعلم ما تخفون وما تعلنون من أقوال وأفعال . والله تام العلم بمضمرات الصدور .

٥ - قد أتاكم خير الذين كفروا من قبلكم ، فتجرعوا سوء عاقبة أمرهم في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب شديد الأليم .

٦ - ذلك الذي أصابهم ويصيبهم من العذاب لأنه بسبب أنهم اتهموا برسولهم بالمحجرات الظاهرة ، فقالوا منكبين : أبشر مثلنا يرشدونا ، فأنكروا بعتهم ، وانصرفوا عن الحق . وأظهر الله غناه عن إيمانهم باهلاكهم ، والله تام الغنى عن خلقه ، مستحق للثناء والحمد على جميل نعمه .

٧ - ادعى الذين كفروا - باطلاً - أنهم لن يبعثوا بعد الموت ، قل لهم - يا محمد - ليس الأمر كما زعمتم . أقسم بربي لتبعثن بعد الموت ولتخبرن بما عملتم في الدنيا ثم تجازون عليه ، وذلك البعث والحساب والجزاء على الله سهل يسير .

٨ - فصدقوا بالله ورسوله . واهتدوا بالنور الذي أنزلناه إذ وضح لكم أن البعث آت لا ريب فيه ، والله بما يصدر منكم من عمل تام العلم .

٩ - يوم يجمعكم في يوم الجمع للأولين والآخرين ، يميزكم على أفعالكم ، ذلك يوم التغابن الذي يظهر فيه غيب الكافرين لانصرافهم عن الإيمان ، وغيب المؤمنين المقصرين لتهاونهم في تحصيل الطاعات ، ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يذهب عنه سيئاته ، ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ماكنين فيها أبداً ، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم .

النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَسْأَلُ الْمُصِيبُ ۖ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَدِدْ قَلْبَهُ ۖ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَلَكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاءُ النَّبِيُّ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ قَلْبُ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ ۝ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ ۚ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

١٠ - والذين جحدوا بالايان وكذبوا بمعجزاتنا التي آيدنا بها رسلنا ، أولئك أصحاب النار ماكنين فيها ، وساء المصير الذى صاروا إليه .

١١ - ما أصاب العبد من بلاء الا بتقدير الله ، ومن يصدق بالله يد قلبه الى الرضا بما كان ، والله بكل شيء تام العلم .

١٢ - وأطيعوا الله فما كلفكم به ، وأطيعوا الرسول فما بلغ عن ربه ، فإن اعرضتم عن هذه الطاعة فلن يضروا اعراضكم ، فلما على رسولنا ابلاغكم الرسالة بلاغا بينا .

١٣ - الله لا مبيود يبقى إلا هو وعلى الله - وحده - فليحمد المؤمنون في كل أمورهم .

١٤ - يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عداوا لكم بما يعرفونكم عن طاعة الله لتحقيق رغباتهم ، فكفونا عنهم على حذر ، وان تتجاوزوا عن سيئاتهم التي تقبل العفو وتعرضوا عنها وتسروها عليهم يغفر الله لكم ، فإن الله واسع المغفرة والرحمة .

١٥ - إنما أموالكم وأولادكم ابتلاء وامتحان ، والله عنده أجر عظيم لمن يؤثر طاعة الله .

١٦ - فابذلوا في تقوى الله جهديكم وطاقاتكم ، واسمعوا مواعظه وأطيعوا أوامره ، وأنفقوا مما رزقكم فما أمر بالانفاق فيه ، وأنفقوا خيرا لأنفسكم ، ومن يكله الله بحمل نفسه وحرصها على المال فأولئك هم الفاسقون بكل خير .

١٧ - ان تنفقوا في وجوه البر انفاقا مخلصين فيه يضاعف الله ثواب ما أنفقتم ، ويغفر لكم ما فرط من ذنوبكم ، والله عظيم الشكر والمكافأة للمحسنين ، حلیم فلا يجعل بالمعوية على من عصاء .

١٨ - هو عالم كل ماغاب وما حضر ، القوى القاهر ، الحكيم في تدبير خلقه الذى يضع كل شيء موضعه .

(٦٥) سُورَةُ الطَّلَاقِ مَكِّيَّةٌ وَأَسْكَنَاهَا اثْنَيْ عَشَرَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بَيْتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغَيْرِ حُدُودٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۝ فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ

تحدثت السورة عن بعض أحكام الطلاق، وعن العدة، وأنواعها، وأحكامها: من بقاء العتدة في مسكنها الذي طلقت فيه، ومن وجوب الاتفاق عليها، واسكانها. وفي ثنايا هذه الأحكام - كما هي سنة القرآن - وعد لمن امتثل أوامر الله، ووعد لمن تعدى حدوده، ثم أشارت إلى عاقبة المتكبرين عن امتثال أوامر الله ورسله. وختمت السورة بحث المؤمنين على تقوى الله، وتذكيرهم بنعمة إرسال رسول يتلو عليهم آيات الله، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وبقدرة العظيمة في خلق سبع سموات، ومن الأرض مثلهن.

١ - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، لا تخْرِجُوا الْمُطَلَّاتِ مِنْ مَسَاكِنِ الْبُيُوتِ الَّتِي طَلَقْتُمْ فِيهَا، وَلَا يَخْرُجْنَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغَيْرِ حُدُودٍ مُبَيَّنَةٍ، تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ، شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُجْعَلُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا، لَا تَتَوَقَّعْهُ، فَيَتَحَابَبَانِ.

٢ - فَإِذَا قَارَبْتَ الْمُطَلَّاتِ نَيْلَ عَدَّتِهِنَّ، فَارْجِعُوهُنَّ مَعَ حَسَنِ مَعَاشَرَةٍ، أَوْ فَارِقُوهُنَّ مِنْ غَيْرِ مُضَارَةٍ، وَأَشْهِدُوا عَلَى الرَّجْمَةِ وَالْمُفَارَقَةِ صَاحِبِي عَدَالَةٍ مِنْكُمْ. وَأَمَّا الشَّهَادَةُ عَلَى وَجْهِهَا خَاصَّةٌ لِلَّهِ، ذَلِكَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ كُلِّ ضَيِّقٍ.

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَقْدًا ⑤ وَاللَّيْثِي يَسِّنْ مِنَ الْمَيْحِضِ مِنْ أَسَاسِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
وَاللَّيْثِي لَا يَحِضُّ ⑥ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ⑦ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ⑧
ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ⑨ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ⑩ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ⑪ وَإِنْ كُنَّ أُولَىٰ حِمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَافْتَنُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ⑫ وَإِنْ تَلَاوَعْتُمْ فِتْنَةً لَكُمْ أَثَرٌ ⑬ لِيُنْفِقَ
ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ⑭ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكِلِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَبَّحَ جَلُّ
اللَّهِ بَعْدَ عَسْرِ يُسْرًا ⑮ وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذِبْنَهَا عَذَابًا
ثَقِيلًا ⑯ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَابُهُ أَمْرًا خُسرًا ⑰ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي
النُّعْمِ ⑱

----- ⑱ -----

٣ - ربي، له أسباب الرزق من حيث لا يحيط على باله، ومن يفوض إلى الله كل أموره فهو كافي، إن الله بالغ مراده، منفذ مشيئته، قد جعل الله لكل شيء وقتاً لا يحدوه، وتقديراً لا يجاوزه.

٤ - والمتنيدات من المطلقات الثلاث يسِّن من المبيض للكبرهن، إن لم تطلوا كيف يحدتن، فعدتن ثلاثة أشهر، واللاقي لم يحض عدتن كذلك وصواب الحمل عدتن أن يضمن حملهن، ومن يتق الله فينفذ أحكامه يسر الله له أموره.

٥ - ذلك التشريع أمر الله - لا غير - أنزله إليكم، ومن يتق الله بالمحافظة على أحكامه يح عنه خطايا، ويعظم له جزاء.

٦ - أسكنوا المتنيدات بعض أماكن سكناكم، على قدر طاقتكم، ولا تلحقوا بهن ضرراً، لتضيقوا عليهن في السكنى، وإن كن ذوات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضمن حملهن، فإن أرضعت المطلقات لكم أولادكم، فوفوهم أجورهن، وليأمر بعضكم بعضاً بما تعرف عليه من سماعة وعدم تمت، وإن أرق بعضكم بعضاً في السر بالفسح والتعت، فسيرضع للآب مرضعة أخرى، غير الأم المطلقة.

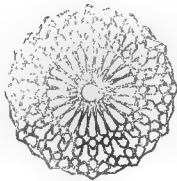
٧ - لينفق صاحب بسطة في الرزق بما بسطه الله له، ومن ضيق عليه رزقه فلينفق بما أعطاه الله، لا يكلف الله نفساً إلا ما أعطاه، سيجعل الله بعد ضيق فرجا.

٨ - وكبر من القرى التي تجهير أهلها وأعرضوا عن أمر ربه ورسله، فعاسبناها حساباً شديداً، بنقص كل ما فعلوه ومناقشتهم، وعذبناها عذاباً منكرًا فظيماً، فتجربوا مسوء مآل أمرهم، وكان عاقبة أمرهم خسراناً شديداً.

الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۖ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۝ ١١ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝ ١٢

١٠ ، ١١ - هيا الله لأهل القرى المتجهرين عذابا بالغ الشدة ، فاحذروا غضب الله يا أصحاب العقول الراجعة ، الذين انتصفوا بالإيمان ، قد أنزل الله إليكم ذا شرف ومكانة رسولا يقرأ عليكم آيات الله مبينات لكم الحق من الباطل ، ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ظلمات الضلال إلى نور الهداية ، ومن يصدق بالله ويعمل عملا صالحا يدخله جنات تجري من خلالها الأنهار ، مخلدين فيها أبدا ، قد أحسن الله للمؤمن الصالح رزقا طيبا .

١٢ - الله - وحده - الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ، يجرى امره بينهن ، لتعلموا أن الله على كل شئ تام القدرة ، وأن الله قد أحاط بكل شئ علما .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ حَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّي مَرَضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ① قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكَ
حَجَّةَ أَيْمَنِكَ وَاللَّهُ مُوَلِّكُكَ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ② وَإِذَا أَمَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلْيَا تَبَتَّ
بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلْيَا تَبَاهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَى الْعَلِيمُ
أَنْعَسِرُ ③ إِنْ تُتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ

أشارت السورة إلى أمر أغضب النبي ﷺ من بعض زوجاته . فامتنع عن بعض ما ترغب فيه النفوس
عما أحله الله له ، وحذرت زوجاته مغبة ما أقدمن عليه ، ثم انتقلت السورة إلى أمر المؤمنين أن يقوا أنفسهم وأهلهم
نارا وقودها الناس والحجارة ، وبينت أنه لا يقبل من الكافرين اعتذار يوم القيامة . ودعت المؤمنين إلى التوبة
النصوح ، والرسول ﷺ إلى جهاد الكفار والمنافقين ، والعلظة عليهم ، وختمت بضرب الأمثلة لبيان : أن صلاح
الأزواج لا يرد عذاب الله عن زوجاتهم إن كن منحرفات وإن فساد الأزواج لا يضر الزوجات إن كن صالحات
مستقيات ، فكل نفس بما كسبت رهينة .

- ١ - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَمْنَعُ نَفْسَكَ عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ؟ تريد إرضاء زوجاتك . والله بالغ في المغفرة واسع الرحمة .
- ٢ - قد شرع الله لكم تحليل أيمانكم بالتكفير عنها ، والله سيديكم ومتولى أموركم ، وهو التام العلم فيشرع
لكم ما فيه خيركم ، الحكيم فيما يشرعه لكم .
- ٣ - واذكر حين أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا ، فلما أخبرت به ، وأطلع الله نبيه على إفشائه ، أعلم بها
بعضا ، وأعرض - تكريما - عن بعض ، فلما أعلمها به . قالت : من أعلمك هذا ؟ قال : أنبأني العليم بكل شيء
الذي لا تخفى عليه خافية .

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ ① عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْذِلَهُ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ سَبَلَتْ
 مُؤْمِنَاتٍ لَقَدْ نَلَيْتَ تَبَيَّنَتْ عِدَّتِ سَبَحَتْ قَبِيْلَتٍ وَأَبْكَارًا ② يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
 نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ③
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تَحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ④ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً
 نَصُوحًا عَسَى رَبُّكَ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكَ سَيِّئَاتِكَ وَيُدْخِلَكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ ⑤ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ مِنْكُمْ وَلَا يُعْلِمُونَ ⑥

٤ - ان ترجعا إلى الله نامتين فقد فعلتا ما يوجب التوبة ، لأنه قد مالت قلوبكما عما يحبه رسول الله من حفظ سره ، وإن تتماونا عليه بما يسوءه فإن الله هو ناصره وجبريل والمصفون بالصلاح من المؤمنين والملائكة بعد نصرة الله مظاهرون له ومعينون .

٥ - عسى ربه ان يطلقن - أيها الزوجات - ان يزوجه بطلاقها منكم زوجات خاضعات لله بالطاعة ، مصداقات بقلوبهن ، خاضعات لله ، رجاعات إلى الله ، متعبدات متذللات له ، ذاهبات في طاعة الله كل منذهب ، ثيبات وأبكارا .

٦ - يا أيها الذين آمنوا : احفظوا أنفسكم وأهليكم من نار وقودها الناس والحجارة ، يقوم على أمرها وتعذيب أهلها ملائكة قساة في معاملتهم أقوياء ، يتقبلون أوامر الله ، وينفذون ما يؤمرون به ، غير متوانين .

٧ - يقال للكافرين يوم القيامة : لا تلتفتوا للمآذير اليوم ، إنما تحزنون ما كنتم تعملون في الدنيا .

٨ - يا أيها الذين آمنوا : ارجعوا إلى الله من ذنوبكم رجعة بالغة في الإخلاص ، عسى ربكم ان يمحو عنكم سيئاتكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ، يوم يرفع الله شأن النبي والذين آمنوا معه ، نور هؤلاء يسير أمامهم وهو بأيمانهم ، يقولون - تقربا إلى الله - : يا سيدنا ومالك أمرنا ، أقم لنا نورنا ، حتى نتهدي إلى الجنة ، ونجاوز عن ذنوبنا إنك على كل شيء تام القدرة .

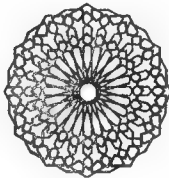
٩ - يا أيها النبي : جاهد الكفار الذين أعلنوا كفرهم والمنافقين الذين أبطنوا بما تملكه من قوة وحجة . واشتد على الفريقين في جهادك ، واستقرهم جهنم ، وبئس المآل مألم .

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَلَمَّا قَتَلَا قَتَلَهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْعًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْعَمَلِ ﴿١٢﴾

١٠ - ذكر الله حالة عجيبة تعرف بها أحوال عائلة للذين كفروا ، هي امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عصمة عبيدين من خالص عبادنا صالحين ، فخانتاهما بالتآمر عليهما واتشياء سرهما إلى قومهما ، فلم يدفع هذان العبدان الصالحان عن زوجتيهما من عذاب الله شيئا ، وقيل للزوجتين عند هلاكهما : ادخلا النار مع الداخلين .

١١ - وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، إذ قالت : رب ابن لي عندك بيتا قريبا من رحمتك بيتا في الجنة ، وأنفقني من سلطان فرعون وعمله ، المسرف في الظلم ، وأنفقني من القرم المتدين .

١٢ - وضرب الله مثلا للذين آمنوا مريم ابنة عمران ، التي حفظت فرجها ، فنفخنا فيه من روحنا ، نعملت يعيسى ، وصدقت بكلمات الله ، وهي أوامره ونواهيه وكتبه المنزل على رسله ، وكانت من عداد الموابطين على طاعة الله .



سُورَةُ الْمَلِكِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبِيَاؤها ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلَكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۚ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ ۚ فَإِذْ جِئَ الْبَصَرُ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ أَرْجِعَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا ۚ وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ

السورة مسماة بسورة الملك أخذنا من كلمة الملك التي وقعت في أول آية منها، وأهم مقاصد هذه السورة الكريمة، أنها توجه الأفكار وتلفت الأنظار إلى آثار قدرة الله الباهرة في الأنفس والآفاق، علوها وسفلها، ليكون ذلك سبيلا إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وبيان حال الكافرين الذين يلقون في جهنم، فيسمعون شهيقها، ويصلون نارها، ويمرغون بذنبيهم، ويتعسرون على مصيرهم، حين تيكثم الملائكة بصد استجابتهم للرسول فيها دعاهم إليه وأنذره بهم.

وأما من خافوا ربه، وآمنوا به، فلهم مغفرة وعفو عما فرطوا، وأجر كبير بما قدموا وبذلوا.

١ - تعالى وازدادت بركات من يملك وحده التصرف في جميع المخلوقات، وهو على كل شيء تام القدرة.

٢ - الذي خلق الموت والحياة لغاية أرادها، هي أن يختبركم أيكم أصح عملا وأخلص نية، وهو الغالب الذي لا يجهز شيء، الطوف عن القصيرين.

٣ - الذي أبدع سبع سموات متوافقة على سنة واحدة من الإتقان، ما ترى في صنع الله - الذي عمت رحمته خلقه - أي تفاوت، فأعد بصرك، هل تجد أي خلل؟

٤ - ثم أعد البصر مرة بعد مرة يرجع إليك البصر مردودا عن إصابة ما الخس من عيب، وهو متعب قليل.

الدُّنْيَا بِمَصْبُوحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ⑤ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ⑥ وَأُولَئِكَ الْمَصِيرُ ⑦ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ⑧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ⑨ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ⑩ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ⑪ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑫ فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ فَحَسْبُ الْأَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑬ إِنَّ الَّذِينَ يَحْشُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ⑭ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ

٥ - ولقد زينا السماء القريبة التي تراها العين بكواكب مضية ، وجعلناها مصادر شهب يرجم بها الشياطين ، وأعدنا لهم في الآخرة عذاب النار الموقدة (١).

٦ - وللذين لم يؤمنوا برحم عذاب جهنم ، وسامت عاقبة لهم هذه العاقبة .

٧ ، ٨ - إذا طرحوا فيها سمعوا لها صوتا منكرا ، وهي تنفل غليانا شديدا ، تكاد تنقطع وتتفرق من شدة الغضب عليهم ، كلما أُلقي فيها جماعة منهم سألهم الموكلون بها موحيين لهم : ألم يأتكم رسول يهذركم لقاء يومكم هذا ؟ !

٩ - قالوا مجيبين : قد جاءنا نذير فكذبناه ، وقلنا : ما نزل الله من شيء عليك ولا على غيرك من الرسل ما أنتم - أي المدعون للرسالة - إلا في الهراف بعيد عن الحق .

١٠ - وقالوا : لو كنا نسمع سماع من يطلب الحق أو نفكر فيما ندعى إليه ، ما كنا في عداد أصحاب السعير .

١١ - فاعترفوا بتكذيبهم وكفرهم ، فبعدا لأصحاب السعير عن رحمة الله .

١٢ - إن الذين يخافون ربهم ، وهم لا يرونه ، لهم مغفرة لذنوبهم ، وبواب عظيم على حسناتهم .

(١) السماء كل ما علانا فأقلنا ، وقال ابن سيده ، هي خضم القضاء بأف فيه من الأجرام والسهب . والصورة التي يراها سكان الأرض في الليالي الصافية هي القبة الزرقاء تزيناها النجوم والكواكب وكأنها مصابيح كما ترى الشهب تهوى مخترقة في أعالي جو الأرض . وما القبة الزرقاء إلا نتيجة لتلاق ضوء الشمس والنجوم مع دقائق الغبار العالقة في الهواء وجزئيات الهواء نفسه وتشتته بها . هذا فضلا عن الظواهر الضوئية الخاصة التي تزين السماء الدنيا مثل التنفق والفجر والأضواء البروجية وأضواء الشال أو الفجر القطبي وكلها ظواهر متباينة ترجع إلى تفاعل الضوء مع غلاف الأرض الجوي وبجلاها الفنتيلي .

أَجْعَلُوا يَدَهُ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِفٌ وَيَقْضِيْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ۚ إِنَّهُ يُكَلِّمُ مَن يَشَاءُ بِصَوْرِ ۖ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصْرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا

١٣ - وأغفوا قولكم أو أعلنوه ، فهما عند الله سواء ، لأنه عظيم الإحاطة ، عليم بغفایا الصدور .

١٤ - أليس يعلم المخالق لجميع الأشياء خلقه ، وهو العالم بدقائق الأشياء وحقائقها ؟

١٥ - هو الذي جعل لكم الأرض طيبة ميسرة ، فامشوا في جوانبها ، وكلوا من رزقه الذي يخرجكم لكم منها ، وإليه وحده الیهت للجزاء

١٦ - أأمنتم من في السماء سلطانه ، أن يقطع بكم الأرض ، فيفاجئكم أنها تضطرب اضطرابا شديدا ؟

١٧ - بل أأمنتم من في السماء سلطانه ، أن يرسل عليكم ريحا ترجمكم بالمهصاء ؟ فستعلمون حينئذ هول وعيى لكم .

١٨ - ولقد كذب الذين من قبل قومك رسولهم ، فعلى أى حال من الشدة كان إنكارى عليهم بإهلاكهم وأخذهم ؟

١٩ - أعموا ولم ينظروا إلى الطير فوقهم ، باسطلات أجنحتهم ، ويقبضن حيناً بعد حين ما يسكنهن أن يقعن إلا الرحمن ؟ إنه بكل شيء عليم خبير ، يعطيه ما يصلح عليه أمره^(١) .

(١) الصنف هو أن يسطط الطائر جناحيه دين أن يمر كها . وفي طيران الطيور آيات معجزات لم نفهم بعضها إلا بعد تقدم علوم الطيران ونظريات الحركة (اليايكا) الموائية ، ولكن أكثر ما يثير العجب هو أن يضي الطائر في الجو بينناحين ساكنين حتى يلعب عن الأبحار . وقد كشف العلم أن الطيور المسافرة تركب متن التيارات الموائية المساعدة التي تنتشأ إما من استغلال للمواد بلساقي ما أو من ارتفاع أعداد من الهواء الساخن ، فإذا ما كانت الريح مئة ظلت الأعمدة فائلة وصفت الطيور في أشكال حلزونية ، أما إذا امتدت انقلبت الأعمدة أفقيا فنصف الطيور في خطوط مستقيمة بجبة المدى .

وتتحل الطيور على مخصصات منها خفة الوزن ومثانة البناء وعلو كفاءة القلب ودورة الدم وجهاز التنفس ودقة اتزانها وانسياب أجسامها وهي خصائص أودعها فيها العلم البصير لتسقطها في الهواء حين تبط جناحيها أو تقبضها ، إلا أن الطيور الصلقة تتميز على سائر الطيور باختصار حجم عضلات صدرها مع قوة الأوتار والأربطة المتصلة بأجنحتها حتى تستطيع بسطها فترات طوال من جهد كبير .

أما الطيور صغار الأحجام ، التي تضد في طيرانها على الدغيف ، فإنها تضرب بجناحيها إلى أسفل وإلى الأمام لتوفير الدفع والرفع اللذين لطيرانها ثم تقبض أجنحتها ولكها تظل طائرة بقوة انتفاخها للمكبسة .

وهكذا يتضافر البناء التشريحي والتكويني للطيور بكافة أنواعها على طيرانها وحفظ توازنها وتوجيه أجسامها في أثناء الطيران .

فِي غُرُورٍ ۝ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي رَزَقْنَاهُ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّغَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَّنَا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلِمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ۝

- ٢٠ - بل من هذا الذي هو قوة لكم يرفع عنكم العذاب سوى الرحمن ؟ ما الكافرون إلا في غرور بما يتوهون .
- ٢١ - بل من هذا الذي يرزقكم - ما تكون به حياتكم وسعادتكم - إن حبس الله رزقه عنكم ؟ بل قاضي الكافرون في استكبارهم وشروهم عن الحق .
- ٢٢ - أنتم عكس الحال ، فمن يمشي متعرا ساقطا على وجهه أهدى في سيره وقصده ، أم من يمشي مستوي القامة على طريق لا اعوجاج فيه ؟
- ٢٣ - قل : هو الذي أوجدكم من العدم ، وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة التي هي أسباب عملكم وسعادتكم ، قليلا ما تؤمنون شكر هذه النعم لواهبها .
- ٢٤ - قل : هو الذي يشكم في الأرض ، وإليه وحده تجميعون لحسابكم وجزائكم .
- ٢٥ - ويقول المتكبرون للبعث : متى يتحقق هذا الوعد بالنشور ؟ نبتونا بزمانه إن كنتم صادقين ؟
- ٢٦ - قل يا محمد : هذا علم اخضع الله به ، وإلما أنا نذير بين الإنذار .
- ٢٧ - فلما عابوا الموعود به قريبا منهم ، علت وجوه الكافرين الكآبة والذلة ، وقيل توبيخا وإبلاها هم : هذا الذي كنتم تطالبون تمجيله .
- ٢٨ - قل : أخبروني إن أمانتي الله ومن معي من المؤمنين كما تمنون ، أو رحنا فأخر أجسالتنا وعافانا من عذابه ، فقد أعجبنا في الحالين ، فمن يمنح الكافرين من عذاب أليم استحقوه بكفرهم وغرورهم بأنهم ؟
- ٢٩ - هو الرحمن صدقتا به ولم تصدقوا وعليه - وحده - اعتمدنا ، واعتمدتم على غيره ، فستعلمون إذا نزل العذاب أي الفريقين هو في انحراف بعيد عن الحق .
- ٣٠ - قل : أخبروني إن أصبح ماؤكم ذاهبا في الأرض لا تصلون إليه بأى سبب ، فمن غير الله يأتىكم بماء طاهر متدفق يصل إليه كل من أراده ؟



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ① مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ② وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ③ وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقِي عَظِيمٌ ④ فَتَنْبِهُهُمْ وَبَيِّضْهُمْ ⑤ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ⑥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ⑦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ⑧ فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِبِينَ ⑨ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ⑩ وَلَا تَطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ

تضمنت هذه السورة الكريمة الدفاع عن رسول الله ﷺ، وبعث همة وتقوية عزيمته، ليبقى مستمسكا بالحق من غير ملالة فيه لأحد، وتشبيه ما وقع لأهل مكة من العذاب، بما وقع لأصحاب الجنة الذين جاءت قصتهم فيها، وتبشير المؤمنين بما لهم عند ربهم، وعدم التسوية بينهم وبين الكافرين، والإنكار على المكذبين فيما يدعونه لأنفسهم بغير حق، وتقويضهم بوصف حالهم في الآخرة، وتهديدهم، والنصح لرسول الله - ﷺ، بالصبر والاحتفال، وقد ختمت السورة بتمجيد القرآن الكريم.

- ١ - ن: حرف من حروف المعجم التي بدئت بعض السور بها، تحديدا للمكذبين وتنبها للمصدقين.
- ٢ - أقسم بالقلم الذي يكتب به الملائكة وغيرهم، وما يكتبونه من الخير والمنافع، ما أنت - وقد أنعم الله عليك بالنبوة - بضعيف العقل، ولا سفيه الرأي.
- ٣ - وإن لك على ما تلقاه في تبليغ الرسالة أثوابا عظيمة غير مقطوع.
- ٤ - وإنك لمستمسك بمحاسن الصفات ومحاسن الأفعال التي فطرك الله عليها.
- ٥، ٦ - فمن قريب تبصر يا محمد، ويصير الكافرون بأيكم الجنون.
- ٧ - إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بالفقلاء المهتدين إليه.
- ٨، ٩ - فلا تترك ما أنت عليه من مخالفة للمكذبين، تمنوا لو تدين لهم بعض الشيء، فهم يلسون لك طمعا في تجاوزك معهم.

مُهَيِّنٌ ۝ مَّزِيدٌ ۝ مَجِيدٌ ۝ مَنَّانٌ ۝ لَّعَلَّكُمْ تَعْبُدُونَهُ ۝ عَنِ النَّارِ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ۝ أَنْ كُنْتُمْ
ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ سَنَسِفُهُ عَلَىٰ غُرُطِهِمْ ۝ إِنَّا بَالِغُونَكُمْ
بَلَاغَنَا أَجَلَهُ ۝ إِذَا أَسْمَوْا لِحَرِّهَا مُصْبِحِينَ ۝ وَلَا يَسْتَنْوَتْ ۝ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَائِمُونَ ۝ فَأَصْبَحَتْ كَالْعَارِجِ ۝ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۝ أَنْ أَعْدُوا عَلَىٰ حَرِّكَ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ۝ فَأَنظَرُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ۝ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ۝ وَغَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ
قَدِيرِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ۝ بَلْ لَحْنٌ مَّرْمُوزٍ ۝ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَّا أَقُولَ لَكُمْ لَوْ لَا

١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ - ولا تترك ما أنت عليه من مخالفتك كل كثير الحلف ، حقير ، عياب ، مغتاب ، يقال
للحديث بين الناس على وجه الإقصاد بينهم ، شديد الصد عن الخير ، معتد ، كثير الآثام ، غليظ القلب جاف
الطبع ، ثيم معروف بالشر ، فوق ماله من تلك الصفات الذميمة .

١٤ ، ١٥ - لأنه كان صاحب مال وبنيين ، كذب بآياتنا وأعرض عنها ، إذا يتلى عليه القرآن قال : هذا
قصص الأولين وخرافاتهم .

١٦ - سنجل على أنفسه علامة لازمة ، ليكون مفتضعا بها أمام الناس .

١٧ ، ١٨ - إنا اخترنا أهل مكة بالإيمان عليهم فكفروا ، كما اخترنا أصحاب الجنة حين حلفوا ليقطنن دار
جنتهم ميكرين ، ولم يذكروا الله فيملقوا الأمر بمشيئته .

١٩ ، ٢٠ - فنزل بها بلاد شديد من ربك ليلا وهم نائمون ، فأصبحت كالليل المظلم مما أصابها .

٢١ ، ٢٢ - فنأذى بعضهم بعضا عند الصباح ، أن بكروا مقبلين على حركتهم إن كنتم مصرين على قطع
النار .

٢٣ ، ٢٤ - فاندفعوا وهم يتهايمسون متواصين ، ألا يمكن أحد منكم اليوم مسكينا من دخولها عليكم .

٢٥ - وساروا أول النهار إلى جنتهم ، على قصدهم الماء ، وهم في غاية القدرة على تنفيذه في زعمهم .

٢٦ ، ٢٧ - فلما رأوها سوادا محترقة قالوا مضطربين : إنا لضالون فاهقه بجنتنا . بل هي جنتنا ، ونحن

محرمون .

تَسْبَحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا عَلَيْهِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوْنَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا
 إِنَّا كَاظِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ
 أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾
 مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَآ تَحْيَوْنَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ
 عَلَيْنَا بَلِغْنَا لَكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَآ تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِمُ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا
 بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشَعَةً

٢٨ - قال أعدهم وأخبرهم لا لما هم : ألم أقل لكم حين تواصيتهم بجرمان المساكين : هلا تذكرن الله فتصدلوا
 عن نيتكم ١١

٢٩ - قالوا بعد أن تابوا إلى رشدهم نزه الله أن يكون قد ظلمنا بما أصابنا ، إنا كنا ظالمين لسوء قصدنا .

٣٠ ، ٣١ - فأقبل بعضهم على بعض يلوم كل منهم الآخر ، قالوا : يا هلاكنا ، إنا كنا مسرفين في ظلمنا .

٣٢ - عسى ربنا أن يعوضنا خيرا من جنتنا ، إنا إلى ربنا وعده راغبون في عفوه وتوبته .

٣٣ - مثل ذلك الذي أصاب الجنة ، يكون عذاب الذي أنزله في الدنيا بمن يستحقه ، ولعذاب الآخرة أكبر
 لو كان الناس يعلمون ذلك

٣٤ - إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم الخالص .

٣٥ ، ٣٦ - أنظلم في حكمنا فتجعل المسلمين الكافرين ؟ ماذا أصابكم ؟ كيف تحكون مثل هذا الحكم
 الجائر ١٢

٣٧ ، ٣٨ - بل أنكم كتبت من الله فيه تقرأون ؟ ان لكم فيه للذي تنخبرونه ١

٣٩ - بل أنكم عهد علينا مؤكدة بالآيمان باقية إلى يوم القيامة ، ان لكم للذي تحكون به ١٢

٤٠ - سل المشركين يا محمد : أيهم بذلك الحكم كليل ١٢

٤١ - بل أهم من يشاركونهم ويذهب منهجهم في هذا القول ؟ فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين في
 دعواهم .

أَبْصَرُهُمْ زَهَقَهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيلُونَ ﴿٤٢﴾ قَدَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ رِنْدًا الْحَدِيثُ
سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٤﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ
مُقَدَّرُونَ ﴿٤٥﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٦﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ
نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٧﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُوهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّي لَنُبَذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٨﴾ فَاجْتَبِهْ رَبُّهُ
فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ
لَمَجْنُونٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾

﴿٥٢﴾

٤٢، ٤٣ - يوم يشتد الأمر ويصعب، ويدعى الكفار إلى السجود - تعجيزاً وتوبيخاً - فلا يستطيعون، منكسرة أبصارهم، تفشاهم ذلة مرهقة، وقد كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود وهم قادرين فلا يسجدون -

٤٤ - فدعنى - يا محمد - ومن يكذب بهذا القرآن، سندينهم من العذاب درجة درجة من الجهة التي لا يطمون أن العذاب يأتي منها.

٤٥ - وأمهلهم بتأخير العذاب، إن تدبرى قوى لا يفلت منه أحد..

٤٦ - بل أنسلهم أجراً على تبليغ الرسالة، فهم من غرامة كلقتهم إياها مثقلون ؟!

٤٧ - بل أعندهم علم الغيب فهم يكتبون عنه ما يحكون به !!

٤٨ - فاصبر لإمهالك وتأخير نصرك عليهم - ولا تكن كيريس صاحب الحوت في العجلة والغضب على قومه، حين نادى ربه وهو مملوء غيظاً وغضباً، طالباً تعجيل عنايته.

٤٩ - لولا أن تداركه نعمة ربه بقبول توبته، لطرخ من بطن الحوت بالفناء، وهو معاقب بزلته.

٥٠ - فاصطفاه ربه بقبول توبته، فجعله من الصالحين.

٥١ - وإن يكاد الكافرون ليزلقلوك عن مكانك، بنظرهم إليك عداوة وبغضا حين سمعوا القرآن، ويقولون: إنك مجنون.

٥٢ - وما القرآن إلا عظة وحكمة وتذكير للعالمين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ① مَا الْحَاقَّةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ③ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِوَاعْدِ الْفَارِغَةِ ④ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا ⑤
بِالطَّاغِيَةِ ⑥ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ⑦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَكُنُفٍ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ
فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُجِيزٌ مُجْلٍ خَاوِيَةٌ ⑧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ⑨ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمِنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ

عرضت هذه السورة الكريمة لأحوال القيامة، وذكرت بما أصاب الأمم السابقة من الهلاك والأخذ الشديد حين كذبوا، وتحدثت عن النفخ في الصور، وما يصيب الأرض والجبال والسماء من التغير والزوال، وما يكون بعد ذلك من العرض للصلاب، وبشرت أصحاب الجحيم بما يلقون من جزاء كريم ونعيم مقيم، وأنذرت أصحاب الشمال والعذاب الأليم، وغتمت بالمحدث عن صفى رسول الله - ﷺ - فيما بلغه، وعن صفى القرآن الذى هو حق اليقين.

١، ٢ - القيامة الواقعة حقاً، ما القيامة الواقعة حقاً ١٢

٣ - وأى شئ أدراك حقيقتها، وصور لك هولها وشدها ١٣

٤ - كذبت ثمود وعاذ بالقيامة التى تفرع العالمين بأهوالها وشدها.

٥ - فأما ثمود فأهلكوا بالواقعة التى جاوزت الحد فى الشدة.

٦ - وأما عاد فأهلكوا بريح باردة عنيفة متمرة.

٧ - سلطها الله عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابعة لا تتقطع، فترى فى مهب الريح موتى كأنهم أصول نخيل خاوية أجوافها.

٨ - فهل ترى لهم من نفس باقية دون هلاك ١٤

يَأْتِيهِمْ فِي الْوَيْلَةِ ۖ فَهَوَّاهُ رُسُلُ رَبِّهِمْ فَاخْلَعْنَاهُمْ أَخْلَعًا ۚ رَأَيْتُمْ ۖ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ ۚ
لِنَجْلِيَنَّ لَكَ يَذَكِّرَةً وَلِقَاءَ أُولَئِكَ ۚ وَرَأَيْتُمْ ۖ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً ۚ وَجِئْنَا بِالسَّيْلِ الْأَرْضَ وَالْجِبَالَ
فَدَكَّا دَكًّا وَاحِدَةً ۚ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۚ وَالْمَلَكُ عَلَى
أَرْجَائِهِمْ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ۚ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۚ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا مِنِّي ۚ إِلَىٰ مَلَأْتُ حَسَابِي ۚ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۚ
فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۚ فَنُفِثَ فِيهَا دَائِيَةً ۚ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَمْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۚ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ

٩ - وجاء فرعون ومن قبله من الأمم التي كثرت ، والجماعة المنصرفة عن الحق والقطرة السليمة بالأفعال ذات الخطأ العظيم الفاحش .

١٠ - فصعدت كل أمة من هؤلاء رسول ربهم ، فأخضعهم بمقابله أخلة زائلة في الشدة .

١١ - إنا لما جاوز الماء حده ، وعلا فوق الجبال في حادث الطوفان ، حملناكم - بحمل أصولكم - في السفينة الجارية .

١٢ - لتجمل الواقعة التي كان فيها نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين عبرة لكم وعظة ، وتحفظها كل أذن حافظة لما تسمع .

١٣ ، ١٤ - فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، ورفقت الأرض والجبال عن موضعها ، فدكنا مرة واحدة .

١٥ ، ١٦ - فيومئذ نزلت النازلة ، وانشقت السماء بزال أحكامها ، فهي يومئذ ضعيفة بعد أن كانت محكمة قوية .

١٧ - والملائكة على جوانبها ، ويحمل عرش ربك فوق هؤلاء الملائكة يومئذ ثمانية .

١٨ - يومئذ تعرضون للصحاب ، لا يبقى منكم أي سر كنتم تكتُمونه .

١٩ - فأما من أعطى كتابه بيمينه فيقول مملأنا سروره لمن حوله : خفوا اقربوا كتابي .

٢٠ - إني أيقنت في الدنيا أني ملأت حسابي ، فأعدت نفسي لهذا اللقاء .

٢١ - فهو في عيشة يسماها الرضى .

٢٢ - في جنة رفيعة المكان والدرجات .

٢٣ - فمارها قريبة التناول .

٢٤ - كلوا واشربوا أكلا وشربا لا مكروه فيها ، ولا أذى منها ، بما قدمتم من الأعمال الصالحة في أيام الدنيا الماضية .

كَتَبُهُ بِشَاهِدٍ يَقُولُ يَلِيَّتِي لَرَأَوْتُ كِتَابِيَّةً ٢٥ وَلَا أَدْرِي مَا حِسَابِي ٢٦ يَلِيَّتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَّةُ ٢٧
مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ٢٩ خَذُوهُ فَعَلُوهُ ٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ
ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ٣٤
فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ٣٦ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخِطُوطُ ٣٧ فَلَا أُقْسِمُ
بِمَا تُبْصَرُونَ ٣٨ وَمَا تُبْصَرُونَ ٣٩ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ٤١
وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تُدْرِكُونَ ٤٢ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ٤٤
لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ٤٧ وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرٌ

٢٥، ٢٦ - وأما من أعطى كتابه بشاهده فيقول نعمنا وحسرة : يا ليتني لم أعط كتابي ، ولم أعلم ما حسابي .

٢٧ - يا ليت الومة التي منها كانت الفاصلة في أسمى ، فلم أبحث بعدها .

٢٨، ٢٩ - ما نفنى شيء ملكته في الدنيا ، ذهبت عني صحتي ، وزالت قوتي .

٣٠، ٣١، ٣٢ - يقال لحزنة جهنم : خذوه فاجمعوا يديه إلى عنقه ، ثم لا تدخلوه إلا نار الجحيم ، ثم في سلسلة بالغة الطول فاسلكوه .

٣٣، ٣٤ - أنه كان لا يصدق بالله العظيم ، ولا بحث أحدا على اطعام المسكين .

٣٥، ٣٦، ٣٧ - فليس لهذا الكافر اليوم في الجحيم قريب يدفع عنه ، وليس له طعام إلا من غسالة أهل النار التي هي دم وقبح وصدید ، لا يأكله إلا المذنبون المتصدون المصريون .

٣٨، ٣٩، ٤٠ - فلا أقسم بما تبصرون من المراتب وما لا تبصرون من عالم الغيب . إن القرآن لمن الله على لسان رسول رفيع المكانة .

٤١ - وما القرآن بقول شاعر كما تزعمون ، قليلا ما يكون منكم إيمان بأن القرآن من عند الله .

٤٢ - وما القرآن بسجع كسج الكهان الذي تمهدون ، قليلا ما يكون منكم تذكر وتأمل للفرق بينها .

٤٣ - هو تنزيل من تمهد الملأين بالخلق والقرينة .

٤٤، ٤٥، ٤٦ - ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لأخذنا منه كما يأخذ الآخذ يمين من يجهز عليه للحال ، ثم لقططنا منه نياط قلبه ، فميموت لساعته .

٤٧ - فليس منكم أحد - مها بلغت قوته - يجهز عقابنا عنه .

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

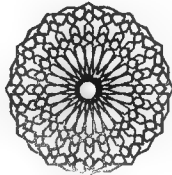
٤٨ - وأن القرآن لحظة للذين يمتلكون أوامر الله ، ويمتثلون نواهيه .

٤٩ - وأنا لنعلم أن منكم مكذبين بالقرآن .

٥٠ - وأنه لسبب في ندامة شديدة على الجاحدين به ، حين يرون عذابهم ونعيم المصدقين .

٥١ - وإن القرآن لحق ثابت لا ريب فيه .

٥٢ - فزه ربك العظيم ، ودم على ذكر اسمه .





سُورَةُ الْمَعَارِجِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ② مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ③ تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ
وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ⑤ لَّهُمْ فِيهِ رَوْقَةٌ وَفِيهِ رَوْقَةٌ ⑥
قَرِيبًا ⑦ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَمَلِ ⑧ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ⑨ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا ⑩

في هذه السورة الكريمة تهديد بيوم القيامة، وتخويف بطوله وما فيه من أهوال جسام وعذاب لا تقبل فيه غيبة بأبناء ولا صاحبة ولا أخ ولا فضيلة، بل لا يقبل فيه غيبة بأهل الأرض جميعا.

وفيها نهي على الانسان ضعفه في حال الضراء والسراء، إلا من عصمهم الله بالتقوى والعمل الصالح، فإنهم يسلمون من هذا الضعف.

وفيها كذلك انكار على الكافرين في أطاعهم الفاسدة، وختامها وصية لرسول الله - ﷺ - بتركهم في سفهمهم، ولصبرهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون.

١، ٢، ٣ - دعا داع - استعجلا على سبيل الاستهزاء - بعذاب واقع من الله للكافرين لا محالة، ليس لذلك العذاب راد يصرفه عنهم، فوقوعه من الله صاحب السموات التي هي مصدر القهر القائم والحكم النافذ.

٤ - تصعد الملائكة وجبريل إلى مهبط أمره في يوم كان طوله خمسين ألف سنة من سنى الدنيا.

٥، ٦، ٧ - فاصبر - يا محمد - على استهزائهم واستعجالهم بالعذاب صبرا لا جزع فيه ولا شكوى منه. ان الكفار يرون يوم القيامة مستحيلا لا يقع، ونراه هينا في قدرتنا غير متملر علينا.

٨، ٩، ١٠ - يوم تكون السماء كالقطن المذاب، وتكون الجبال كالصوف المصبوغ المنفوش، ولا يسأل قريب قريبه كيف حاله، لأن كل واحد منها مشغول بنفسه.



يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْقَدُونَ مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنَهُ ١١ وَصَلَاتِهِ وَأَخِيهِ ١٢ وَقَصَبَاتِهِ الَّتِي
تُقَوَّبُونَ ١٣ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ١٤ كَلَّا إِنَّا لَنَكُونُ ١٥ نَاعَةً لِّلشَّوْءِ ١٦ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ١٧
وَجَمَعَ فَأَوْعَى ١٨ * إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ٢١
إِلَّا الْمُسْلِمِينَ ٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ٢٣ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ٢٤ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ٢٥
وَالَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي نِيَمٍ ٢٦ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُتَشَفِّعُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ٢٨
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَمَا هُمْ بِغَيْرِ مَلُومِينَ ٣٠ قُلْ إِنِّي أَخَافُ
وَرَاءَ ذَلِكَ قَوَائِمَكُمْ هُمْ الْعَادُونَ ٣١ وَالَّذِينَ هُمْ لَا يُخَالِفُونَ عَنْهُمْ رِيعُونَ ٣٢ وَالَّذِينَ هُمْ يُسَهِّلُونَهُمْ

١١، ١٢، ١٣، ١٤ - يتعارفون بينهم حتى يعرف بعضهم بعضا يقينا، وهو مع ذلك لا يسأله، يود الكافر لو
يفقد نفسه من عذاب يوم القيامة بينه وزوجته وأخيه وعشيرته التي تضمه وينتمي إليها، ومن في الأرض جميعا،
ثم ينجيهم هذا الغداة.

١٥، ١٦، ١٧، ١٨ - ارتدع أيها المجرم عما تتمناه من الافتداء، ان النار لها خالص، شديدة النزاع ليدبك
ورجلك وسائر أطرافك، تتادى بالاسم من أعرض عن الحق، وترك الطاعة، وجع المال فوضعه في خزائنه، ولم
يؤد حق الله فيه.

١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢ - ان الانسان طبع على الملح، شديد الجزع والسخط إذا مسه المكروه والعسر،
شديد المنع والحرمان إذا أصابه الخير واليسر، إلا المسلمين الذين هم دائمون على صلاتهم فلا يتركونها في وقت من
الأوقات، فإن الله يصممهم ويوقفهم إلى الخير.

٢٣، ٢٤ - والذين في أموالهم حق معين مشروع لمن يسأل المعونة منهم، ولن يتشفع عن سؤلها.

٢٦، ٢٧، ٢٨ - والذين يصدقون بيوم الجزاء فيترددون له، والذين هم من عذاب ربهم خائفون فينتقونه
ولا يقعون في أسيابه، ان عذاب ربهم غير مأمن لأحد أن يقع فيه.

٢٩، ٣٠، ٣١ - والذين هم حافظون لفروجهم فلا تغلبهم شهواتها، لكن على أزواجهم واماتهم
لا يحفظونها، لأنهم غير ملومين في تركها على طبيعتها، فن طلب متاعا وراء الزوجات والاماء فأولئك هم
المتجاوزون للحلال إلى الحرام.

قَائِمُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٣﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٤﴾ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَبِئْسَ مَوْطِئِينَ ﴿٣٥﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٦﴾ أَطِيعَ كُلُّ امْرِئٍ مَنَّهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٧﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ فَلَا أَسْمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿٣٩﴾ عَلَى أَنْ تَبْلُغَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَنَرَهُمْ بِخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصَبٍ يُّفْضُونَ ﴿٤٢﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَفَعُهُمْ ذُلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٣﴾

٣٢، ٣٣، ٣٤ - والذين هم لأمانات الشرع وأمانات الصياد وما ألزموه الله وللناس حافطون غير خاشعين ولا نافقين، والذين هم بشهادتهم قائلون بالحق غير كاذبين لما يملكون، والذين هم على صلاتهم يحافظون فيؤدونها على أكمل الوجه وأفضله.

٣٥ - أصحاب هذه الصفات الصالحة في جنت مكرون من الله تعالى.
٣٦، ٣٧، ٣٨ - أي شيء ثبت للذين كفروا إلى جهنك سريعين متفنين عن بينك وشمالك جماعات ١٢ أطيع كل امرئ منهم وقد سمع وعد الله ورسوله للمؤمنين بالجنة أن يدخل جنة نعيم ١٢

٣٩ - فليرتدعوا عن طمعهم في دخولهم الجنة، انا خلقناهم من ماء مهين.
٤٠، ٤١ - فلا أنسم رب المشارق والمغرب من الأيام والكواكب والمدايات، انا لقادرون على أن نهلكهم ونأتى بين هم أطرح منهم الله، وما نحن بماجزين عن هذا التبديل^(١)

٤٢ - فأتاركهم يلحوضوا في باطنهم، ويلعبوا بدنياتهم، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فيه العذاب.
٤٣، ٤٤ - يوم يخرجون من القبور سراعاً إلى الداعي، كأنهم إلى ما كانوا قد نصبوه وعبدوه في الدنيا من دون الله يسرعون، ذليلة أبصارهم، لا يستطيعون رفضها، تفشلهم الحقدارة والمهانة ذلك اليوم كانوا يوعدون به في الدنيا وهم يكذبون.

(١) قد يكون المراد بالمشارق والمغرب أقطار ملك الله على سمته التي لا تحد كما أشير في الآية ١٣٧ من سورة الأعراف: « وأورثا القوم الذين كانوا يستحضون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ». للدلالة على أرجاء الأرض المشار إليها.
وقد يكون المراد أيضا مشارق الشمس والمغرب وكأنه التجمد والكواكب ومغاربها جميعا للدلالة أيضا على ملك الله كله. وترجع طائفة شرق الأجرام السماوية وغروبها إلى دوران الأرض حول محورها من الغرب نحو الشرق ومن ثم تبدو لنا تلك الأجرام متحركة في قبة السماء على عكس ذلك الاتجاه مشرقة على الأفق الشرقي وغاربة من الأفق الغربي، أو على الأقل دائرة من الشرق إلى الغرب حول النجم القطبي - في نصف الكرة الشمال مثلا - وإذا كان البعد القطبي للنجم أصغر من عرض مكان الراصد فالنجم لا يشرق ولا يغرب بل يرسم دائرة صغيرة وصية حول القطب الشمال، وبذلك تشير الآية كذلك إلى ساعات الليل - راجع قوله تعالى: « وعلائيات النجوم هم يبتنون ». وظاهرة الشروق والغروب إشارة إذن إلى دوران كرة الأرض، هي تمة كبرى من نسم الله على أحياء هذا الكوكب، فلولا دوران الأرض حول محورها لتعرض نصفها لضوء الشمس مدة نصف سنة وحر من الضوء تماما النصف الآخر، وهذا ما لا نستقيم معه الحياة كما نعيشها.

وإذا افترضنا عند ذكر المشارق والمغرب على تدوير الشمس وحدها دون سائر النجوم والكواكب، كانت هذه إشارة إلى التصدد الاتجاهي لمشارق الأرض ومغاربها ربما بعد يوم في كل موضع على سطح الأرض، أو حتى في لحظة من لحظات الزمان تمر على الكرة الأرضية، فالشمس في كل لحظة ظارية عند نقطة ومشرقة في نقطة أخرى تقابلها. وهذا من محكم تدوير الله وإعجاز قدرته. (انظر أيضا الصليق العلمي على الآية ٥ من سورة الصافات والآية ١٧ من سورة الرحمن).

(٧) سُورَةُ نُوحٍ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا الْمَسْكُونُ وَغَيْرُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَنْفِرُونَ مِنِّي لَكَ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا يُغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْتِرْكُمْ أَجَلَ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٤﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٥﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغُرَهُمْ إِنَّ أَتَانِهِمْ فَاسْتَفْشَوْا فِيهِمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا

فصلت هذه السورة الكريمة قصة نوح عليه السلام مع قومه، فتحدثت عن دعوته لهم جهرا، ثم سرا وجهرا، وقامت شكواه إلى الله من اعراضهم عنه وعتادهم له، وسجلت اصرارهم على عبادة الأصنام حتى استعقروا عذاب الله. ولما بش نوح عليه السلام من قبولهم الدعوة دعا عليهم بالهلاك والانتقاص، ودعا لنفسه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات بالفقران.

١ - انا أرسلنا نوحا إلى قومه وقلنا له: أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب شديد الايلام.

٢، ٣، ٤ - قال نوح: يا قوم اني لكم نذير مبين رسالة ربكم بلفظ تعرفونها، أن أطيعوا الله واخضعوا له في أداء الواجبات، وخافوه بترك المخطورات، وأطيعوا فيما أنصح لكم به، يفر الله لكم ذنوبكم ويد في أعماركم إلى أجل مسمى جعله غاية الطول في العمر، ان الموت إذا جاء لا يؤخر أبدا، لو كنتم تعلمون ما يحمل بكم من التندامة عند انتضاء أجلكم لآنتم.

٥، ٦ - قال نوح: رب اني دعوت قومي إلى الايمان ليلا ونهارا بلا فتور، فلم يزد دعائي لهم الا هروبا من طاعتك.



اسْتَجَابَا ۝ ثُمَّ اِنِّي اَعْلَنْتُ لَهُمْ وَاَسَرْتُ لَهُمْ اِسْرَارًا ۝ قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
 إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
 وَبَنَاتٍ لِّكْرَاجَتِكُمْ وَبَجَلٍ لِّكُمْ فَذُكِّرُوا لِلتَّقْوَى ۝ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ
 سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ مِرَاجًا ۝ وَاللَّهُ أُنَبِّئُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ أَجْرَاجًا ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا
 فِجَالًا ۝ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهِمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّا يَزِدُّهُم مَّالُهُمْ وَلَا خِصَارًا ۝ وَمَكُرُوا مَكْرًا

٧ - واني كلما دعوتهم إلى الايمان بك لتغفر لهم وضوا أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعا دعوي، وتنفطوا
 بياهم حتى لا يروا وجهي، وأقاموا على كفرهم، وتمططوا عن اجابتي تعظي بالقفا.

٨ - ثم انى دعوتهم إليك بصوت مرفوع، ثم انى جهرت بالدعوة في حال، وأخفيت اخفاء في حال
 أخرى، حتى أجرب كل خطة.

١٠، ١١، ١٢ - فقلت لقومي: اطلبوا مغفرة الكفر والعصيان من ربكم، انه لم يزل غفارا للذنوب من
 يرجع إليه، يرسل السماء عليكم غزيرة الدر بالمطر، ويمدكم بأموال وبنين هيا زينة الحياة الدنيا، ويجعل لكم
 سبائين تتمعون بجمالها وثمارها، ويجعل لكم أنهارا تسقون منها زرعكم ومواشيكم.

١٣، ١٤ - ما لكم لا تظنون الله حق عظمته حتى ترجو تكريمكم بالمجاهدكم من العذاب وقد خلقكم كرات
 متدرجة، نطفًا ثم علقًا ثم مضًا ثم عظامًا ولها ١٤

١٥، ١٦ - ألم تنظروا كيف خلق الله سبع سموات بعضها فوق بعض وجعل القمر في هذه السموات نورا
 يبينت منها، وجعل الشمس مصباحا يبرر أهل الدنيا في ضوئه ما يحتاجون إلى رؤيته.

١٧، ١٨ - والله أنشأكم من الأرض، فنبت نباتا عجيبا، ثم يبيدكم في الأرض بعد الموت، ويخرجكم منها
 اخراجا محققا لا محالة.

١٩، ٢٠ - والله جعل لكم الأرض مبسوطة لتذهبوا فيها طرقا واسعة:

٢١، ٢٢ - قال نوح: رب ان قومي عصوني فيما أمرتهم به من الايمان والاستغفار، واتباع الضعفاء منهم من لم
 يزه ماله وولده الا خسارنا في الآخرة، ومكر أصعاب الأموال والأولاد يتابعهم من الضعفاء مكرًا بالغ النهاية في
 العظم.

كُبَارًا ❶ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ الْمُشْكِرَ وَلَا تَذَرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوءًا وَلَا يَفُوتَ وَيَعُوقُ وَنَسْرًا ❷ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ❸ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ❹ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لِمَن مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ❺ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ❻ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَفْضِلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا جَافِرًا كَفَرًا ❼ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِرَبِّكَ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ❽

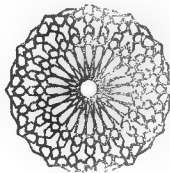
٢٣ ، ٢٤ - وقالوا لهم : لا تترك عبادة الهتكُم ، ولا تتركن ودا ولا سوعا ولا يفتوت ويعوق ونسرا ، وكانت أصناما منحوتة على صور مختلفة من الحيوان ، وقد أضل هؤلاء المتبرعون كثيرا من الناس ، ولا تزد الظالمين لأنفسهم بالكفر والعناد الا بعدا عن الحق .

٢٥ - بسبب ذنوبهم أغرقوا بالطوفان ، فأدخلوا عقب هلاكهم نارا عظيمة اللهب والاحراق فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا يدفع عنهم العذاب .

٢٦ - وقال نوح بعد يأسه من قومه : رب لا تترك على الأرض من الكافرين بك أحدا يدور في الأرض ويدب عليها .

٢٧ - انك - يارب - ان تتركهم دون اهلاك واستئصال يوقعوا عبادك في الضلال ولا يلدوا الا مائلا عن الحق شديد الكفر بك والمصيان لك .

٢٨ - رب اغفر عني وعن والدي اللذين كانا سببا في وجودي ، وعن دخل بيتي مؤمنا بك ، وعن المؤمنين والمؤمنات جميعا ، ولا تزد الكافرين إلا هلاكا .



(٧٢) سِوَرَةُ الْجِنِّ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأْنَاهُمَا بِكَانِ وَعِشْرَتِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ ① سَهَّلَ إِلَى الرَّشِدِ فَأَمَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۖ ② وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۖ ③ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۖ ④ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ ⑤ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ

أمر الله تعالى رسوله ﷺ في هذه السورة الكريمة أن يبلغ الناس ما أوحى إليه من استطاع الجن إلى قراءته، واستجابتهم لدعوته، وإخبارهم بما كان من سفهاتهم وصالحهم، وما كان من عهودهم لاستراق السمع ثم طردهم عنه الآن، وعرضت آيات السورة للمستقيمين على طريقة الاسلام والمعرضين عنه، وتحدثت عن خلوص المساجد والعبادة لله وحده، وعن دعوة الرسول إلى الله، والتفاف الجن حوله، وحديث ما لا يملكه الرسول من الأمور وما يملكه، وحذرت العاصين الله ورسوله من جهنم وخلودهم فيها.

وذكرت في ختامها أن الله يختص بعلم الغيب، ويطلع عليه من يصطفيه من خلقه ليكون رسولا ومحفظ الوحي بمحراس حتى يبلغه الناس تاما والله يعلمه كذلك.

١ ، ٢ - قل يا محمد لأنتك : أوحى الله إلي أن استمع إلى قراءات جماعة من الجن ، فقالوا لقومهم : انا سمعنا قرآنا بديما لم نسمع مثله من قبل ، يدعو إلى الهدى والصواب ، فأما بالقرآن الذي سمعناه ، ولن نشرك مع ربنا الذي خلقنا وربانا أحدا في عبادته .

٣ - وأنه تعالى قدر ربنا وعظمته ، ما لفظ زوجة ولا ولدا .

٤ - وأنه كان يقول جاهلنا على الله قولا بعيدا عن الحق والصواب .

٥ - وأنا ظننا أن لن نقول الانس والجن إلى الله ما لم يكن ويصفوه بما لا يليق به .



فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ① وَأَنْتُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ② وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتِ حَرَسًا شَدِيدًا وَنُهَبًا ③ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدِ الشَّمْسِ ④ فَنُشْتَمِعُ ⑤ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا ⑥ وَأَنَا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمْنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ⑦ وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ ⑧ وَمِنَ ذَلِكَ حَكْنَا طَرِيقَ قَدَدًا ⑨ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نَعْجِزَهُ هَرَبًا ⑩ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدْيَيْنِ ⑪ كَاثِبَيْنِ بِهِنَّ فَمِنَ يَوْمٍ يُرِيدُ فَلَاحِشًا فَبَسًا وَلَا رَهَقًا ⑫ وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ ⑬ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ⑭ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ⑮ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ⑯ وَالْوَّاسِقُونَ ⑰ عَلَى الطَّرِيقَةِ ⑱ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ⑲

٦ - وأنه كان رجال من الانس يستجيرون برجال من الجن ، فزاد رجال الانس الجن طغيانا وسفها وجرأة .

٧ - وأن الجن ظنوا كما ظنتم - معشر الانس - أن لن يبعث الله أحدا بعد الموت ، ولا رسولا من البشر .
الهم .

٨ - وأنا ظلمنا بلوغ السماء ، فوجدناها ملئت حرسا قويا من الملائكة وشهيا محرقة من جهنم .

٩ - وأنا كنا قبل اليوم نقعد من السماء مقاعد لاستراق أخبار السماء ، فن يرد الاستماع الآن يجد له شهابا مرسدا ينفض عليه فيهلكه .

١٠ - وأنا لا نعلم أعذاب أريد من في الأرض من حراسة السماء لمنع الاستماع ، أم أراد بهم ربهم خيرا وهدي ؟

١١ - وأنا منا الأبرار المتقون ومنا دون ذلك ، وهم قوم مقتصدون في الصلاح ، كنا ذوى مذاهب متفرقة .

١٢ - وأنا أبقنا أن لن نعجز الله أيثا كنا في الأرض ولن نعجزه هارين من قضائه نحو السماء .

١٣ - وأنا لما سمعنا القرآن أننا به فن يؤمن بريه فلا يحاف نقصا من حسنة ، ولا ظلم يلحقه بزيادة في سيئاته .

١٤ - وأنا منا المسلمون الموقنون بالحق ومنا الحاكمون عن طريق الهدى ، فن أسلم فأولئك قصدوا سبيل الحق مجتدين في اختياره .

١٥ - وأما الجاثرون عن طريق الاسلام فكانوا لجهم وقودا .

١٦ - وأنه لو سار الانس والجن على طريقة الاسلام ولم يجيدوا عنها ، لأسقيناهم ماء كثيرا بسم أوقات الحاجة .

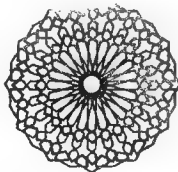
THEOREM 1. Let $\{f_n\}$ be a sequence of functions in \mathcal{H}_∞ such that

١٨ - وأوحى إلى أن المساجد لله وحده ، فلا تعبدوا مع الله أحدا .

٢٠ - قل: إنما أعبد ربي وحده ، ولا أشرك به في العبادة أحدا .

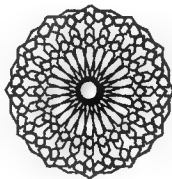
٢٢ - قل : اني لن يدفع عني عذاب الله احدٌ ان عصيته ، ولن اجد من دونه ملجأ افر اليه من عذابه .

٢٤ - حتى إذا أبصروا ما يعدونه من العذاب ، فسيقولون عند حلوله بهم من أضغاث ناصرا وأقل عدا ،
أهم أم المؤمنون ؟ .



أَمَدًا ٢٥ عَظُمَ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنْ آرَضَقَ مِنْ رَسُولٍ فَلَهُ نُيُوسُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ٢٧ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ٢٨

- ٢٥ - قل : ما أدري - أيها الكافرون - أقرب ما تتعدون من العذاب ، أم يحصل له ربي غاية بعيدة ؟
 ٢٦ ، ٢٧ - هو عالم الغيب ، فلا يطلع على غيبه أحد من خلقه ، الا رسولا ارتضاه لعلم بعض الغيب ، فإنه يدخل من بين يدي الرسول ومن خلقه حفظة من الملائكة تحول بينه وبين الوسواس .
 ٢٨ - ليعلم الله ذلك واقعا موافقا لما قدره أن الأنبياء قد أبلغوا رسالات ربهم ، وقد علم تفصيلا بما عندهم ، وعلم عدد الموجودات كلها ، لا يغيب عنه شيء منها .



سُورَةُ الْمَزْمَلِ مَكِّيَّةٌ (٧٣) وَأَنبَأْنَا عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَنَابُئُهَا الْمَزْمَلُ ① قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② نَصَفَهُ رَأَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْزَدَ عَلَيْهِ وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ ④
تَرْتِيلًا ⑤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ
سَبْعًا مَّحِيلًا ⑧ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ⑨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

في هذه السورة أمر الله رسوله بقيام قدر كبير من الليل، للصلاة وقراءة القرآن مرتلاً فيها، فقام هو وطائفة من الذين معه، ثم خفف الله عنهم في آخرها، وأمرهم بالصلاة والزكاة والصدقة والاستغفار.

وفي أنبأها أمره بالصبر على ما يقول المكذوبون، وتركهم لما أعدّه الله لهم من العذاب، وهدد الكافرين بمثل العذاب الذي وقع على فرعون ومن معه، حين عصوا رسول ربهم، وخوفهم ببعض أهوال القيامة.

١، ٢، ٣، ٤ - يا أيها المتلفف بنبأيه، قم الليل مصلياً إلا قليلاً، قم نصف الليل أو أنقص من النصف قليلاً حتى تصل إلى الثلث أو زد على النصف حتى تصل إلى الثلثين واقرأ القرآن متمهلاً مبيناً المحرووف والوقوف قراءة صلاة من أي نقصان.

٥ - أنا سنلقي عليك أيها الرسول قرآنًا مشتملاً على الأوامر والنواهي والتكاليف الشاقة.

٦ - إن العبادة التي تحدث بالليل، هي أشد رسوخاً في القلب، وأبين قولاً، وأصوب قراءة من عبادة النهار.

٧ - إن لك في النهار تقلباً في مصالحك، واشتغالا بأمور الرسالة، ففرغ نفسك ليلاً لعبادة ربك.

٨ - وأجر على لسانك ذكر اسم من تهديك بالخلق والقرية، وانقطع لعبادته من كل شيء انقطاعاً تاماً.



فَأَخَذَهُ وَكَيْلًا ٩ وَأَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْرَمَهُمْ جَهْرًا بِحِمْلًا ١٠ وَقَرَنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمِهْلَهُمْ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مِهْمًا ١٤ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبَيْلًا ١٦ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ١٧ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ١٨ كَانَ وَعْدُهُ مَقْصُورًا ١٩ إِنَّ هَلْدِهِ تَذِكْرَةٌ لِّمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ٢٠ * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلَاثِي إِلَيْلٍ وَنِصْفِهِ ٢١ وَلَثُمْتُ ٢٢ وَطَافَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ٢٣ وَاللَّهُ يَقْدِرُ الْبَلَّ وَالنَّهَارَ

٩ - هو مالك المشرق والمغرب ، لا مبيد بحق إلا هو ، فاقفذه كافيا لأمورك ، كقبلا بما وعدك .

١٠ - واصبر على ما يقولون من الأباطيل ، وجانهم بقلبك ، وخالفهم في أفعالهم ، مع الإغضاء عنهم . وترك الانتقام منهم .

١١ - واتركني والمكذبين ، أصعاب النعم ، وأمهلهم أمهالا قصير الأمد .

١٢ ، ١٣ - ان لدينا للمكذبين في الآخرة قيودا ثقالا ، ونارا محرقة ، وطعاما ينشب في الحلق لا يستساع ، وعذابا شديد الايلام لا يطاق .

١٤ - يوم تتحرك الأرض والجبال حركة شديدة ، وصارت الجبال رملا مجتمعا متناثرا ، بعد أن كانت حجارة صلبة متساكة .

١٥ ، ١٦ - انا أرسلنا اليكم يا أهل مكة محمدا ، رسولا يشهد عليكم يوم القيامة بالإجابة والامتثال ، كما أرسلنا موسى إلى فرعون رسولا ، فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا ثقيلا شديدا .

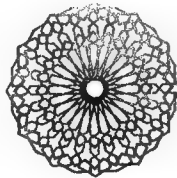
١٧ - فكيف تدفعون عنكم ان كفرتم ، عذاب يوم يحمل الشبان لهوله شيوخا ضعافا .

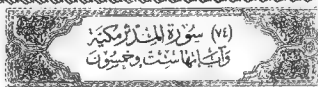
١٨ - السهاء في قوتها وعظمتها ، شبه منشق في ذلك اليوم لشدته وهوله ، كان وعد الله واقعا لا محالة .

١٩ - ان هذه الآيات الناطقة بالوعد موعظة ، فمن شاء الانتفاع بها اتقذ إلى ربه سبيلا بالتقوى والخشية .

عَلَيْكُمْ فَلَنْ تُحْصَوْهُ فَنَابَ عَلَيْكُمْ فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَءَانِثُونَ
يَهْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يُبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَءَانِثُونَ يُقْلِنُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا
وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ هُمْ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

٢٠ - ان ربك يعلم أنك تقوم بأحد ، أقل من ثلثي الليل أحياناً ، وتقوم نصفه وثلثه أخرى ، ويقوم طائفة
من أصعابك كما تقوم ، ولا يقدر على تقدير الليل والنهار وضبط ساعاتها إلا الله ، علم أنه لا يحكم احصاء كل
جزء من أجزاء الليل والنهار ، فخفف عليكم ، فاقربوا في الصلاة ما تيسر من القرآن ، علم أنه سيكون منكم
مرض ، يشق عليهم قيام الليل وآخرون ينتقلون في الأرض للتجارة والعمل ، يطلبون رزق الله ، وآخرون يجهلون
في سبيل الله لاعلاء كلمته ، فاقربوا ما تيسر من القرآن وواظبوا على فرائض الصلاة ، وأعطوا الزكاة الواجبة
عليكم ، وأقرضوا الله قرضاً حسناً ، باعطاء الفقراء نافلة فوق ما يجب لهم ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوا
نوابه عند الله هو خيراً مما خلقتكم وتركتم ، وأجل نوابا ، واستغفروا الله من فعل السيئات والتقصير في الحسنات
ان الله غفور لذنوب المؤمنين ، رحيم بهم .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُنْذِرُ ١، ثُمَّ فَأَنْذِرْ ٢، وَرَبِّكَ فَكْذِرْ ٣، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤، وَالرُّجْزَ فَاقْشِرْ ٥، وَلَا تَمْنُنْ ٦
تَسْتَكْثِرُ ٧، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٨، فَإِذَا يُنْفِخُ فِي النُّفُورِ ٩، فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ١٠، عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ ١١، ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيدًا ١٢، وَجَعَلْتَ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ١٣، وَبَيْنَ شُهُودًا ١٤، وَمَهَّدْتَ لَهُ تَهْجِيدًا ١٥

حث هذه السورة الكريمة رسول الله ﷺ على انذار قومه وتعظيمه لله تعالى وترك ما لا يصح أن يصدر منه وتحدثت عن نفع الصور وشدة العذاب على الكافرين وأمرته ﷺ أن يترك من جحد فضله عليه ثم يطعم في الزيادة بدون اعتراف ولا شكر وبينت كيف كان تفكير ذلك المباحد وانكاره للقرآن وفصلت كيف يكون عذابه في سفر التي وصفت بما يزعج ويخيف وذكرت الأنفس بما تكسب من خير أو شر وأخبرت عن حال أصحاب الإيمن وتبكيهم للمجرمين بسؤالهم عما سلكهم في سفر وختمت بالحديث عن القرآن بأنه لمن شاء أن يتذكر وأن من تذكر به هم أهل التقوى وأهل المغفرة .

١، ٢، ٣، ٤ - يَا أَيُّهَا الْمُنْذِرُ بَشَايَاهُ قَم مِنْ مَضْجَعِكَ فَحَسْرَتُ النَّاسِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا، وَخَصَّ رَبَّهُ بِالْتَعْظِيمِ، وَثِيَابَكَ فَطَهَّرَهَا بِالْمَاءِ عَنِ النَّجَاسَةِ .

٥، ٦، ٧ - وَالْعَذَابُ فَاتَرَكْ، أَيْ دَمَ عَلَى هَجَرٍ مَا يُوَصِّلُ إِلَى الْعَذَابِ، وَلَا تَعْطُ أَحَدًا سِتْرًا لِمَا تَعْطِيهِ إِيَّاهُ وَلِلرَّضَاةِ وَرَبِّكَ فَاصْبِرْ عَلَى الْأَوَامِرِ وَالنُّوَاهِي وَكُلِّ مَا فِيهِ جُهْدٌ وَشَقَّةٌ .

٨، ٩، ١٠ - فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَذَلِكَ الْوَقْتُ يَوْمَئِذٍ شَدِيدٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرِ سَهْلٍ إِنْ يَخْلُصُوا مِمَّا فِيهِ مِنْ مَنَاقِضِ الْحِسَابِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَهْوَالِ .

١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥ - اِتْرَكْنِي وَحْدِي مَعَ مَنْ خَلَقْتَهُ، فَأَنْيُكَ أَمْرُهُ، جَعَلْتَ لَهُ مَالًا مَبْسُوطًا وَاسِعًا غَيْرَ مَقْطُوعٍ، وَبَيْنَ حُضُورٍ مَعَهُ وَبَسْطَ لَهُ الْجَبَاهِ وَالرِّيَاسَةَ بِسَطَّةً تَامَةً، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَهُ فِي مَالِهِ وَبَيْنَهُ وَجَاهَهُ بِدُونِ شُكْرِ .

ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ يُزِيدَ ١٥ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ١٦ سَأَرْحَمُهُ صَعُودًا ١٧ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ٢٤ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ٢٥ سَاصِلِهِ سَقَرٌ ٢٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَاحٍ لِلْبَشَرِ ٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ٣٠ وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَنْهُمْ إِلَّا فِتْنَةً ٣١ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنِ بَسَاءَ وَيَهْدِي مَنِ بَسَاءَ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا يَهِدِي إِلَّا ذِكْرُنَا لِلْبَشَرِ ٣٢ كَلَّا وَالْقَمَرِ ٣٣ وَالْبَلَدِ ٣٤ إِذَا دْبَرَ ٣٥



١٦، ١٧ - ردعاً له عن طمعه انه كان للقرآن معانداً مكذباً سأغشيه عقبة شاقة ، لا يستطيع اقتحامها .

١٨، ١٩، ٢٠ - انه فكر في نفسه رعباً ما يقوله من الطمن في القرآن فاستحق بذلك الهلاك ، كيف هيا هذا الطمن ، ثم استحق الهلاك كيف أعد في نفسه هذا الطمن .

٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤ - ثم نظر في وجوه الناس ، ثم قطب وجهه وزاد في كلوحه ، ثم أعرض عن الحق وتعاطف أن يعترف به فقال : ما هذا الا سحر ينقل عن الأولين .

٢٥ - ما هذا الا قول الخلق تعلمه محمد وادعى أنه من عند الله .

٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠ - سأدخله جهنم ليهترق بها ، وما أدراك ما جهنم ، لا تبق لها ولا تترك عظماً الا احرقته ، مسودة لأعلى الجبلد ، عليها تسعة عشر يلون أمرها وتعذيب أهلها .

٣١ - وما جعلنا خزنة النار الا ملائكة وما جعلنا عنهم تسعة عشر الا اختباراً للذين كلوا ليعمل اليقين للذين أوتوا الكتاب بأن ما يقوله القرآن عن خزنة جهنم الما هو حق من الله تعالى ، حيث وافق ذلك كتبهم ، ويزداد الذين آمنوا بمحمد إيماناً ، ولا يشك في ذلك الذين أعطوا الكتاب والمؤمنون ، وليقول الذين في قلوبهم نفاق والكافرون . ما الذي أَرَادَ الله بهذا العدد المستغرب استغراب المثل ، يمثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الله الكافرين ويهدي المؤمنين ، وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتهم إلا هو سبحانه وتعالى ، وما سقر إلا تذكرة للبشر وتخويف لهم .

وَالصَّبْحَ إِذَا اسْفَرَ ۖ إِنَّهَا إِلاَّ حُدَى الْكَبِيرِ ۝ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۝ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِمَ ۖ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينٌ ۝ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝ فِي جَنَّتٍ يُسَاءَلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَأَلُوكَ فِي سَفَرٍ ۝ قَالُوا لَرَّكَ مِنْ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَرَّكَ نَظِيمُ الْمَسْكِينِ ۝ وَكَأَنَّهُمْ مَعَ أَهْلِ بَيْتِهِ ۝ وَكَأَنَّهُمْ كَذِبُ يَوْمِ الدِّينِ ۝ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ۝ قُلْ نَتَنَعَّمُ شَفْعَةَ الشَّقِيينَ ۝ قُلْ هُمْ عَنِ اتِّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ۝ كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ۝ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً ۝ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۝ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ ۝ فَمَنْ شَاءَ ذَكُرْهُ ۝ وَمَا يَذْكُرُونَ ۝ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۖ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۝

٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦ - ردعاً لمن يندرج بها ولم يخف، أقسم بالقرن وبالليل إذا ذهب، وبالصباح إذا أضاء وانكشف أن سفر لأعظم الدواهي الكبرى انذاراً وتوقفاً.

٣٧ - انذار للبشر لمن يشاء منكم ان يتقدم الى الخير أو يتأخر عنه.

٣٨، ٣٩ - كل نفس بما عملت مأخوذة الا المسلمين الذين فكوا رقابهم بالطاعة.

٤٠، ٤١، ٤٢ - هم في جنات لا يدرك وصفها، يسأل بعضهم بعضاً عن الهرمين وقد سألوهم عن حاتم، ما أدخلكم في سفر.

٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧ - قالوا لم نك من المصلين كما كان يصل المسلمون، ولم نك نطعم المسكين كما كان يطعم المسلمون، وكنا نندفع وننقمس في الباطل والزور مع الخاضعين فيه، وكنا نكذب بيوم الحساب والجزاء حتى أتانا الموت.

٤٨ - لما تفيتهم شفاعة الشافعين من الملائكة والنبين والصالحين.

٤٩ - لما هم عن العظة بالقرآن منصرفين.

٥٠، ٥١ - كأنهم حمر شديدة التفار فرت من مطاردتها.

٥٢ - بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً من السماء واضحة مكتوبة ثبت صدق الرسول ﷺ.

٥٣ - ردعاً لهم عما أرادوا بل هم لا يخافون الآخرة فأعرضوا عن التذكرة وتفتنوا في طلب الآيات.

٥٤، ٥٥ - حقا ان القرآن تذكرة بليغة كافية، فمن شاء أن يذكره ولا ينساه فصل.

٥٦ - وما يذكرون الا بحسبة الله هو أهل لأن يتق وأهل لأن يخفر لمن اتقاء.

(٧٥) سُبْحَانَ الْقِيَامَةِ كَبِيرَةٍ
وَلَسَانُهَا أَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ① وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ② أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ لَجَمَعَ عِظَامَهُ ③ بَلْ قَدَّرِينَ
عَلَى أَنْ لَسُوِيَ بَنَاتُهُ ④ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ⑤ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ⑥ فَإِذَا بَرَقَ

حدثت هذه السورة الكريمة عن بعث الناس وحسابهم ، وعن القيامة وأهوالها ، ثم طمأن الرسول ﷺ على جمع القرآن في صدره ، ووجهت الردع إلى من يهين العاجلة ويهين الآخرة ، وواظمت بين وجهه المؤمنين الناضرة ووجه الكافرين الباسرة ، وتحدثت كذلك عن حال المحتضر ، وما كان من تقصيره في الواجبات ، حتى كأنه يظن أن لا حساب عليه ، وختمت بالأدلة التي توجب الإيمان بالبعث .

١ ، ٢ ، ٣ - أقسم وأؤكد القسم بيوم القيامة - وهو الحق الثابت - وأقسم وأؤكد القسم بالنفس التي تلوم صاحبها على الذنب والتقصير : لتبغض بعد جمع ما تفرق من عظامكم أحسب الإنسان - بعد أن خلقناه من عدم - أن لن نجعل ما بلى وتفرق من عظامه .

٤ - بل لجمعها قادرين على نسوي ما فارق من عظام أصابعه ، فكيف بما كبر من عظام جسمه .

٥ - بل أبتكر الإنسان البعث ، يريد أن يبقى على الفجور فيما يستقبل من أيام عمره كلها ١٢ .

٦ - يسأل مستبعدا قيام الساعة : متى يكون يوم القيامة ١٢ .



الْبَصَرُ ٧. وَخَسَفَ الْقَمَرُ ٨. وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ٩. يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ١٠. كَلَّا لَا وَزَرَ ١١. إِلَ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ١٢. يُنْفِخُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣. بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ١٤. وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ١٥. لَا تَحْرِكْ يَدَيْهِ لِسَانُكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ ١٦. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ١٧. فَإِذَا قَرَأَهُ قَاتِبٌ قُرْآنَهُ ١٨. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ ١٩. كُلًّا بَلَّغْنَا بَيِّنَاتِهِ ٢٠. وَتَدْرُونَ الْآخِرَةَ ٢١. وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ٢٢. إِلَ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣. وَوَجْهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ٢٤. تَلْظُنُّ أَنْ

٧، ٨، ٩، ١٠ - فإذا تحير البصر فزعا ودهشا، ونهب ضوء القمر، وقرن بين الشمس والقمر في الطلوع من المغرب، يقول الإنسان يومئذ: أين الفرار من العذاب ١١، ١٢.

١١، ١٢ - ردعا لك - أيها الإنسان - عن طلب المفر، لا ملجأ لك، إلا إلى ربى - وحده - مستقر العباد من جنة أو نار.

١٣ - يخبر الإنسان يومئذ بما قدمه من عمل وما أخره.

١٤، ١٥ - بل الإنسان على نفسه حجة واضحة تلزمه بما فعل أو ترك، ولو طرح معاذيرها وبسطها لا يمكنه أن يتخلص منها.

١٦، ١٧ - لا تحرك بالقرآن لسانك حين الوحي لتعجل بقراءته وحفظه، إن علينا جمعه في صدرك، وإبانت قراءته في لسانك.

١٨، ١٩ - فإذا قرأه عليك رسولنا قاتب قراءته منصتها لها، ثم إن علينا بعد ذلك لك بيانه إذا أشكل عليك شيء منه.

٢٠، ٢١ - ردعا لكم عن انكار البعث وهو حق، بل انتم تحبون الدنيا ومتاعها، وتتركون الآخرة ونعيمها.

٢٢، ٢٣ - وجوه يومئذ حسنة ناعمة، إلى ربها ناظرة بدون تحديد بصفة أو وجهة أو مسافة.

٢٤، ٢٥ - ووجوه يومئذ كالحة شديدة العيوس، تتوقع أن يفعل بها ما هو في شدته داهية تقصم قفصرات الظهر.

يُفْعَلُ بِهَا فَأَقْرَرَهُ ﴿٢٦﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْقُرَاقِي ﴿٢٧﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٨﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٩﴾ وَالْتَفَتِ
السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٣٠﴾ إِنَّكَ رَبِّكَ يُؤَيِّدُ السَّاقَ ﴿٣١﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣٢﴾ وَلَكِنْ كَلَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٣﴾
ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمْكُطُ ﴿٣٤﴾ أَوَّلَ لَكَ قُلُوبُ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلًا ﴿٣٦﴾ يُحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ
سُدًى ﴿٣٧﴾ أَلَيْسَ لَكَ نُفْعَةٌ مِّن مَّنَى يَمُوتُ ﴿٣٨﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ تِلْكَ فِتْنَى ﴿٣٩﴾ لِّجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ
الَّذِينَ وَالْأُنثَى ﴿٤٠﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقُنْدَرٍ عَلَيَّ أَن يُمَيِّتِيَ الْمَوْتُ ﴿٤١﴾

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ - ردعاً لكم عن حب الدنيا التي تفارقونها إذا بلغت الروح عظام النحر، وقال
الحاضرون بعضهم لبعض: هل من راق يرقيه بما به؟ وظن المحتضر أن الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة،
وبلغت به الشدة أقصاها، والتوت إحدى الساقين على الأخرى عند نزاع الروح، إلى ربك يومئذ مساق العباد،
أما إلى الجنة وأما إلى النار.

٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ - أنكر الإنسان البعث فلا صدق بالرسول والقرآن، ولا أدى لله فرائض الصلوات، ولكن
كذب القرآن، فأعرض عن الإيمان، ثم ذهب إلى أهله يد ظهره متبغراً.

٣٤ ، ٣٥ - هلاك لك أيما المكذب فهلاك. ثم هلاك دائم لك فهلاك.

٣٦ - أحسب هذا الإنسان المنكر للبعث أن يترك مهملًا يرتفع في حياته، ثم يموت ولا يبعث فيحاسب على
عمله !!

٣٧ ، ٣٨ - ألم بك الإنسان نطفة من منى يقدر تكوينه في الرحم، ثم صار قطعة دم جامد، فخلقته الله،
نسواه في أحسن تقويم !!

٣٩ - لجعل منه الصنفين الذكر والأنثى.

٤٠ - أليس ذلك المبدع الفعال لهذه الأشياء بقادر على أن يحيي الموتي بعد جمع عظامهم !!

سُورَةُ الْإِنْسَانِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْخَدِيُّ وَتِلَاوَتُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْعًا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ
فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝ إِنَّا أَعَدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَاقًا
وَسَعِيرًا ۝ إِنَّا أَبْرَأَ يَسْرُورٍ مِّنْ كَأْسٍ كَانَ مَرْجُوهَا كُفُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفْجِيرًا ۝ يُوفُونَ بِالْأَنذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ الطَّلَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا

تضمنت هذه السورة الكلام على خلق الانسان وابلائه، واستعداده لشكر الله أو كفره، وأجلت الحديث عن جزاء الكافرين، وفصلت النعم الذي تفضل الله به على المؤمنين ثم وجهت الخطاب الى رسول الله ﷺ، وامتنعت عليه بإنزال القرآن، وأمرته بالصبر ودوام الطاعة، وأنذرت من يحزن الدنيا ويؤثرونها على الآخرة، وتحدثت عن العظة بهذه الآيات. وعلقت الانتفاع بها بحسنة الله تعالى، وجعلت رحمة الله وعذابه خاضعين لحكمه ومشيئته.

١ - قد مضى على الانسان حين من الزمان قبل أن ينفخ فيه الروح، لم يكن شيئاً يذكر باسمه، ولا يعرف ما يراد منه.

٢ - انا خلقنا الانسان من نطفة ذات عناصر شتى، مخترعين له بالتكاليف فيما بعد، فجعلناه ذا سمع وذا بصر، ليسمع الآيات ويرى الدلائل.

٣ - انا بينا له طريق الهدى: اما مؤمناً واما كافراً.

٤ - انا أعدنا للكافرين سلاسل لأرجلهم، وأغلالاً لأيديهم وأعناقهم، ونارا مولدة.

٥، ٦ - ان الصادقين في إيمانهم يشربون من خر كان ما تخرج به ماء كافور، عيناً يشرب منها عباد الله، يبرونها حيث شاموا اجراء سهلاً.

٧ - يوفون بما أوجروا على أنفسهم، ويخافون يوماً عظيماً كان ضرره البالغ فاشياً منتشراً كل الانتشار.

وَنِيْمًا وَأَسِيرًا ❶ إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ❷ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطًا ❸ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شُرَ ذَ لِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ نَصْرَهُ وَسُرُورًا ❹ وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرٍ ❺ مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْأْيِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا كُفْمًا وَلَا ذِمِيرًا ❻ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ❼ وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِغَائِيَةِ مَن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ❽ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ❾ وَسُقُوفٌ فِيهَا كَالسَّكَنِ كَانَ مَرَّاجُهُا زَنْجَبِيلًا ❿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ⓫ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ⓬ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا *

٨ - ويطعمون الطعام مع حميم له وحاجاتهم اليه فقراً عاجزاً عن الكسب، وصغيراً فقد أباه، وأمسوراً لا يملك شيئاً.

٩ - ويقولون في أنفسهم: إنما نطعمكم لطلب ثواب الله، لا نريد منكم عوضاً أو هدية، ولا نريد منكم ثناء.

١٠ - أنا نخاف من ربنا يوماً امتدت عبوس من فيه، وقطيبوا وجوههم وجباههم.

١١، ١٢ - فصاتمهم الله من شدائد ذلك اليوم، وأعطاهم بدل عبوس الفجار حسناً في وجوههم، ووجعة وروحاً في قلوبهم، وجزاهم بصبرهم جنة ملكها هن، وملبسها حرير ناعم اللبس.

١٣ - متكئين في الجنة على السرر، لا يجهدون فيها حر نفس، ولا شدة برد.

١٤ - وجنة وارفقة عليهم ظلال أشجارها، وسهل لهم أخذ ثمارها تسهيلاً.

١٥، ١٦ - ويطوف عليهم خدمهم بأوعية شراب من فضة، وبأكواب كونت قوارير شفافة، قوارير مصنوعة من فضة، قدرها الساقون تقديراً على وفاق ما يشتهي الشاربون.

١٧، ١٨ - ويسق الأبرار في الجنة خراً كان ما تخرج به ما يشبه الزنجبيل في الطعم، عيناً في الجنة تسمى - لسلامة شرايبها وسهولة مساهة وطيبه - سلسبيلاً.

١٩ - ويطوف عليهم للبهجة والسرور غلمان داثمون على حالهم، إذا أبصرتهم عند طوائفهم بخفصة ونشاط - حسبتهم لحسنهم وصفاء ألوانهم - لؤلؤاً مثنوراً حولك مضطياً.

كَبِيرًا ٢٠ عَلَيْهِمْ نِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَلَهُمُ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ٢١
 إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ٢٢ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ٢٣ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ
 رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا ٢٤ وَادْكُرْ اسمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٢٥ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا
 طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ الْعَالِمَةَ وَيَذَرُونَ وراءَهُمْ يَوْمًا نَفِيلًا ٢٧ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا
 شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمَلَهُمْ تَبْدِيلًا ٢٨ إِنَّ هَؤُلَاءِ تَدْكُرُونَ مَن شَاءَ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ سَبِيلًا ٢٩ وَمَا نَسَاءُ وَنَ الْآ
 أَن نَسَاءُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٣٠ يَدْخُلُ مَن نَسَاءَ فِي رَحْمَتِهِ وَأَطَاعُوا أَمْرًا ٣١

٢٠ - وإذا أبصرت أى مكان فى الجنة رأيت فيه نعماً عظيماً وملكاً واسعاً .

٢١ - يعلوهم نياپ من حرير رقيق خضر ، ونياب من حرير غليظ ، وجعلت حلهم التى فى أيديهم أساور من فضة ، وساقهم رهم شراباً آخر طهوراً لا رجس فيه ولا دنس .

٢٢ - ان هذا النعم أعد لكم جزاء لأعمالكم ، وكان سعيكم فى الدنيا محموداً عند الله مرضياً ومقبولاً .

٢٣ - انا - برحمتنا وحكمتنا - نزلنا عليك القرآن على وجه يسكن به فؤادك ، ويدوم به حفظك ، فلا تنساه أبداً .

٢٤ - فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرته على أعدائك ، وابتلالك بأذاهم ، ولا تطع من المشركين من هوذا اثم أو مستغرقاً فى الكفر .

٢٥ ، ٢٦ - ودم على ذكر ربك ، فصل الفجر بكرة ، والظهر والمصر أصيلاً ، ومن الليل فصل له المغرب والشاء ، وتجد زمناً طويلاً من الليل .

٢٧ - ان هؤلاء الكفرة يجنون الدنيا ويؤثرونها على الآخرة ، ويتركون خلف ظهورهم يوماً نقبلاً كربه ، شديداً هولاً ، فلم يعلموا ما ينتجهم من ذلك .

٢٨ - نحن خلقناهم وأحسننا خلقهم ، وإذا شئنا أهلكتهم وبدلنا أمتلهم من طبع الله تبدلاً .

٢٩ - ان هذه السورة عظة للعالمين ، فمن شاء اتخذ بالإيمان والتقوى الى ربه طريقاً يوصله الى مغفرة وجهته .

٣٠ - وما تزامنون شيئاً من الأتبياء الا وقت أن شاء الله ، ان الله كان علياً بأحوالكم حكماً فيما يشاء ويختار .

٣١ - يدخل من يشاء فى جنته ، فدخولها بفضل رحمة ، وأذل الظالمين هياً لهم عذاباً أليماً .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا ① فَأَلْصَقْنَتِ عَصْفًا ② وَالنَّشْرِ نَشْرًا ③ فَأَلْفَزْنَتِ فَرْقًا ④ فَأَلْمُقْبِتِ ⑤
ذِكْرًا ⑥ عُلُرًا أَوْ تُذْرًا ⑦ إِنَّمَا تَعَوَّدُونَ لَوْقِعَ ⑧ فَلِذَا النُّجُومِ طُمِعْتِ ⑨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑩
وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ⑪ وَإِذَا الرَّسُلُ أَقْنَتِ ⑫ لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِلَّتِ ⑬ لَيَوْمِ الْفَصْلِ ⑭ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الْفَصْلِ ⑮ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑯ أَلَمْ نُنَلِّكِ الْأُولَيْنِ ⑰ ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ⑱ كَذَلِكَ نَفْعَلُ

أهم ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة الكلام عن البعث والقيامة واقامة الأدلة على وقوعها ، وتهديد من يكذب بها ، وتكرير ذلك التهديد بالويل عشر مرات ، وتخويفه بما ينوق من الذلة والعذاب ، وتبشير المتقين بما يلحقونه من الرفاهة والنعم وختمها بالويل للكافرين الذي لا يؤمنون بالقرآن .

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ - اقسم بالآيات المرسلة على لسان جبريل الى محمد للسرف والحير ، فالآيات القاهرة سائر الأديان الباطلة تنسفها نسفاً ، وبآيات النافرات للحكمة والهداية في قلوب العالمين نشرأ عظيماً ، فالفارقات بين الحق والباطل فرقاً واضحاً ، فالملقيات على الناس تذكرة تنفعهم - إغذاراً لهم وانذاراً فلا تكون لهم حجة ؛ ان الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لنازل لا ريب فيه .

٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ - فاذا النجوم صحت ذواتها ، واذا السهات شقت ، واذا الجبال فتنت ونسفتها الرياح نسفاً ، واذا الرسل عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على الأمم .

١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ - لأي يوم أخرت هذه الأمور العظيمة ؟ ليوم يكون فيه الفصل بين الخسائت ، وما أعلمكم ما شأن يوم الفصل ؟ هلاك دائم يومئذ للمكذبين بما أوعدهم به الرسل .

١٦ ، ١٧ ، ١٨ - ألم نللك الأولين من الأمم المكذبة ، ثم تتبع الأولين الآخرين في الهلاك مثل ذلك الفصل بكل من أجرم وكفر بالله .

بِالْمُجْرِمِينَ ۝ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّوْهِنٍ ۝ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ إِنَّ قَلِيلًا مَّا نَعْلَمُ ۝ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۝ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا رُومًا شَمِيعَاتٍ وَأَسْفِينًا مِّمَّاءٍ فَرَاتًا ۝ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَنْطَلِقُوا لَنَا مَّا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ۝ أَنْطَلِقُوا لَنَا طَلْحَ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۝ لَا عَلِيلَ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَلَبِ ۝ إِنَّا نَرَىٰ يَسْرَرَكَ الْقَصِيرَ ۝ كَأَنَّهُ جَلَّتْ صُفْرٌ ۝ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطَفُونَ ۝ وَلَا يُؤْنَسُ هُمْ فَيَعْتَدِرُونَ ۝ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ بِمَعْنَاكَ وَالْأَوَّلِينَ ۝ فَإِنْ كَانَ لَكَ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُورٍ ۝ وَوَوَكَّاهُمْ بِمِيسْتَهُونَ ۝ كُلُّوا

١٩ - هلاك يومئذ للمكذبين يا أوعدا .

٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ - ألم تخلقكم من ماء حقير وهو النطفة ، فجعلنا هذا الماء في مقر يتمكن فيه ، فبم خلقه وتصويره مؤخرًا إلى وقت قد علمه الله ، فقد رنا على خلقه وتصويره وإخراجه ، فنعلم المقدرين الحاقون له نحن ١٩ ويل يومئذ للمكذبين بئمة الخلق والتقدير .

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ - ألم نجعل الأرض ضامة على ظهرها أحياء لا يصدون ، وفي بطنها أمواتًا لا يبصرون ، وجعلنا فيها جبالًا ثوابت عاليات ، وأحيقناكم ماء عذبًا سائفًا ١٩ هلاك يومئذ للمكذبين بهذه النعمة .

٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ - يقال للكافرين يوم الفصل : سيروا إلى النار التي كنتم بها تكذبون ، سيروا إلى حرارة دخان من جهنم يتشعب لظلمة ثلاث شعب ، لا مظل من حر ذلك اليوم ، ولا يفي ذلك الظل من حر اللهب شيئًا .

٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ - إن النار ترمي يا تطاير منها كالقصير في العظم ، كأن الشرر جمال سود تضرب إلى الصفرة ، هلاك يومئذ للمكذبين بأن هذه صفتها .

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ - هذا الذي قص عليكم أنه واقع يوم لا ينطقون بشيء ينضمهم ، ولا يكون لهم إذن في النطق ، ولا يصدر منهم اعتذار لأنه لا عذر لهم ، هلاك يومئذ للمكذبين بهذا اليوم .

٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ - هذا يوم الفاصل بين الحق والمبطل بجزء كل ما يستحقه ، جعلناكم . . يا مكذبي محمد - والأولين للمكذبين مظلوم ، فإن كان لكم حيلة في دفع هذا الضباب عنكم فاحتالوا ، فأحضرنا وتخلصوا من عذابنا ، هلاك يومئذ للمكذبين بوعيد الله .

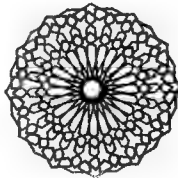
٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ - إن التقيين من عذاب الله في ظلال عظيمة ، وعيرين جارية ، وفواكه مما يستلذون ويستطيون ، مقلوا لهم تحية وتكرامًا : كلوا واشربوا أكلاً وشرباً هنيئاً بما كنتم تعملون في الدنيا من الصالحات ، أنما مثل ذلك الجزاء العظيم يحزي الحسنيين ، هلاك يومئذ للمكذبين بالجنة .

وَأَشْرُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٨﴾ كُلُوا وَامْتَزُوا
 قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ ﴿٤٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٥١﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾

٤٦ ، ٤٧ - ويقال للكافرين : كلوا وتمتعوا متاعاً ليس له بقاء ، انكم مجرمون باسراكم بالله . هلاك يومئذ
 للمكذبين بالنعم .

٤٨ ، ٤٩ - وإذا قيل لهم : صلوا لله ، واخشعوا اليه ، لا يخشعون ولا يصلون ، بل يصرون على استكبارهم .
 هلاك يومئذ للمكذبين بأوامر الله ونواهيهِ .

٥٠ - فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون ان لم يؤمنوا بالقرآن ، مع انه معجزة من السماء ؟





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ① عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ② الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ③ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ④ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ⑤ أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْنًا ⑥ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ⑦ وَخَلَقَنَّا أَزْوَاجًا ⑧ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ

قررت هذه السورة أمر البعث، وهددت المرتابين فيه، وأقامت الأدلة على إمكانه بما عرضت من مظاهر القدرة، وأكدت حصوله، وذكرت بعض علاماته، ثم ذكرت مآل الطاغين ومآل المتقين، وختمت بالإنذار والتخويف من هذا اليوم الرهيب.

- ١ - عن أي شيء يسأل هؤلاء الجاحدون بعضهم بعضاً ؟
- ٢ ، ٣ - عن الخبر العظيم، خبر البعث الذي هم موغلون في الاختلاف فيه بين منكر له وشاك فيه.
- ٤ - زجراً لهم عن هذا التساؤل سيطلعون حقيقة الحال حين يرون البعث أمراً واقعاً.
- ٥ - ثم زجراً لهم، سيطلعون ذلك عندما يحل بهم التكال.
- ٦ - ألم يروا من آيات قدرتنا أننا جعلنا الأرض مهددة للاستقرار عليها والتقلب في أنصاتها ؟
- ٧ - وجعلنا الجبال أوتاداً للأرض تثبتها^(١).
- ٨ - وخلقناكم مزدوجين ذكوراً وأنثى.

(١) يبلغ مملك الجزء الصلب من القشرة الأرضية نحو ٦٠ كيلو متراً، وتكثر فيه التجاويع فيرتفع حيث الجبال وينخفض ليكون بطون البحار وقيعان المحيطات، وهو في حالة من التوازن بسبب الضغوط الناقصة من الجبال ولا يحفل هذا التوازن إلا بصواعل التصرية، فقشرة الأرض اليابسة ترسبها الجبال كما ترسي الأوتاد الخشبية.
(يراجع التطبيق العلمي على الآية ٧ من سورة ق).

سُبَاتًا ④ وَجَعَلْنَا الْيَلَّ لِيَاسًا ⑤ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ⑥ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ⑦ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ⑧ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ⑨ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ⑩ وَجَعَلْنَا أَلْفَافًا ⑪ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ⑫ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ⑬ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ⑭ وَسُيِّرَتِ

— — — — —

- ٩ - وجعلنا نومكم راحة لكم من عناء العمل^(١).
- ١٠ - وجعلنا الليل سائراً لكم بما ينطيمكم من ظلمته.
- ١١ - وجعلنا النهار وقت سعي لكم، لتحقيق ما به تعيشون.
- ١٢ - وألقنا فوقكم سبع سموات قويات محكمات.
- ١٣ - وأنشأنا سماً مضية متوقدة^(٢).
- ١٤ - وأنزلنا من السحب التي حان أمطارها ماء قوى الانصباب^(٣).
- ١٥ - لنخرج بها الماء حياً ونبتاً غذاء للناس والحيوان.
- ١٦ - وبساتين ذات أشجار ملتفة متشابكة الأغصان.
- ١٧ - ان يوم الفصل كان ميحداً مقدراً للبهت.
- ١٨ - يوم ينفخ في الصور للبهت، فتأتون الى المحشر جماعات جماعات.
- ١٩ - وشققت السماء من كل جانب قصارت أبواباً.

(١) النوم هو توقف نشاط الجزء المدرك للواقع من المخ - أي قشرته أو هبوط ذلك النشاط هبوطاً كبيراً متفاوت الدرجات في نشاط كافة أعضاء الجسم وأنشطته بما يترتب عليه انخفاض في توليد طاقة الجسم وحرارته - ثم يأخذ الجسم أثناء النوم نصيباً من الهدوء والراحة بعد عناء المجهودات العضلية أو النفسية أو كليهما، فتخيط جميع وظائف الجسم الحيوية، ما عدا عمليات الحضم وإفراز البول من الكليتين والعرق من الجلد فإن في وقف هذه العمليات الأذى ضرراً على حياة الفرد أما التنفس مثلاً فيعطى، ويحرق أكثر عمقا ويبدو صدريا أكثر منه بطنيا، وتبطى سرعة النبض ويقل مقدار ما يدفعه من القلب من كل ضربة، ويضبط توزيع العضلات ويصغر من الصعب المحصول على الحركات العكسية وكل هذا يسبب الراحة للإنسان أثناء نومه.

(٢) المراد بالسراج الوهاج: النسيم، وذلك كما ثبت علمياً من أن درجة حرارة سطحها الملمس تبلغ ٦٠٠٠ درجة مطلقاً، أما المركز فتقرب فيه درجة الحرارة على ٣٠ مليون درجة بسبب ما تعانيه المراد فيه من الضغوط العالية، وتنشع الشمس النسب الآتية من الطافات ٩٪ أشعة فوق البنفسجية، ٤٦٪ أشعة ضوئية، ٤٥٪ أشعة حرارية، أو تحترق الحرارة، ولذلك عبرت عنها الآية الكريمة بالسراج الذي يطلق للضوء والحرارة معاً.

(٣) المطر هو المصدر الوحيد للماء المنحب على الأرض. والأصل في المطر تكاثف أبخرة المياه المتصاعدة من المحيطات والبحار وبحرها على شكل سحاب وتحويها إلى نقط من الماء أو بلورات من الثلج أو هباء ما، وتتساقط هذه المكونات عندما تزداد حجموها على هيئة مطر أو برد.

الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۚ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢٠ لِّلطَّغْيِينِ مَقَابًا ۝٢١ لَّيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝٢٢ لَا يَدْخُلُونُ فِيهَا بِرَدًّا وَلَا نُرَّابًا ۝٢٣ إِلَّا جِثْمًا وَغَسَاقًا ۝٢٤ بَرَّازًا وَمَقَابًا ۝٢٥ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٦ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۝٢٧ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۝٢٨ فَذُوقُوا فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٢٩ إِنَّ لِّلْمُتَّقِينَ مَغَازًا ۝٣٠ حُدَّاهُمُ وَأَعْنَابًا ۝٣١ وَكَوَاعِبَ أَزْرَابًا ۝٣٢ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٣ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ۝٣٤ بَرَّازًا مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ۝٣٥ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝٣٦

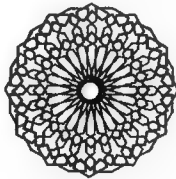
- ٢٠ - وصيرت الجبال بعد قلعها من مقارها وفتتها ، فصارت تريك صورة الجبال وهي غبار متكاف ، كالسراب يريك صورة الماء وليس ماء .
- ٢١ - ان جهنم كانت موضع رصد يترقب منه الخزنة أهلها .
- ٢٢ - للمتقين حدود الله مرجعاً ونزلاً .
- ٢٣ - ماكين فيها دهوراً متتابعة .
- ٢٤ - لا يدخلون فيها نسيا ينس عنهم حرها ، ولا شراباً يسكن عطشهم فيها .
- ٢٥ - لكن يذوقون ماء بالغا الغاية في الحرارة ، وصديداً يسيل من جلود أهلها .
- ٢٦ - جزاء موافقاً لأعمالهم السيئة .
- ٢٧ - انهم كانوا لا يتوقعون الحساب ، فيعملوا للنجاة منه .
- ٢٨ - وكذبوا بآيات الله الدالة على البعث تكذيباً شديداً .
- ٢٩ - وكل شيء ضبطناه كتابة .
- ٣٠ - فذوقوا ، فلن يكون لنا الا مزيد من عذاب شديد .
- ٣١ - ان للذين يتقون ربح نجاهة من العذاب وظفرأ بالجنة .
- ٣٢ - حدائق مشرة وأعنائاً طيبة .
- ٣٣ - وعذارى نواهد مطافات في السن .
- ٣٤ - وكأساً ممتلئة صافية .
- ٣٥ - لا يسمعون في الجنة لغواً من القول ولا كذباً .
- ٣٦ - جزاء عظيماً من ربك ، تفضلاً منه واحساناً كافياً .
- ٣٧ - رب السموات والأرض وما بينهما ، الذي وسعت رحمته كل شيء . لا يملك أحد حق مخاطبته .

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلٰٓئِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ اِلَّا مَنْ اُذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ
 فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ اِلٰى رَبِّهِ مَعَابًا ﴿٣٩﴾ اِنَّا اَنْذَرْنٰكَ عَذَابًا قَرِيْبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُوْلُ الْكَافِرُ
 يَلِيْقَنِيْ كُنْتُ تَرَابًا ﴿٤٠﴾

٣٨ - يوم يقوم جبريل والملائكة مصطفين خاشعين ، لا يتكلم أحد منهم الا من اذن له الرحمن بالكلام ،
 ونطق بالصواب .

٣٩ - ذلك اليوم الذي لا شك فيه ، فمن شاء اتخذ الى ربه مرجعاً كريماً بالايمان والعمل الصالح .

٤٠ - انا حذرناكم عذاباً قرأ وقوعه ، يوم ينظر المرء ما قدمت يده من عمل ، ويقول الكافر متمنياً
 الخلاص : ياليتني بقيت تراباً بعد الموت ، فلم أهبث ولم أحاسب .



(٧٩) سورة النازعات مكيّة وَأَنبَأْنَاهُنَّ نَارِيعُون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّشِيطَاتِ تَسَاطًا ۝ وَالسَّيْحَاتِ سَبًا ۝ فَالسَّيْقِنِ سَبًا ۝ قَالُمْدُبَرَاتِ ۝ أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝ قُلُوبٌ يَوْمِيذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۝ يَقُولُونَ أَوْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَيَاةِ ۝ أَوْذَا كُنَّا عِظَمًا مَخِرَّةً ۝ قَالُوا تِلْكَ إِذْكَرُهُ خَاسِرَةٌ ۝ فَلَمَّا جِي زَجِرَةٌ

بدئت هذه السورة بالقسم على إمكان البعث ووقوعه ، وعقبت ذلك بالحدث عن موسى وفرعون تسلياً لرسول الله ﷺ ، وذكرت الانسان بسبعه ، وأبرزت ما ينتظر الطغاة وما ينتظر المذنبين ، وختمت السورة بـسؤال المشركين عن وقت الساعة ، وبيان أن وظيفة الرسول انذار من يخشاها لا علم وقتها .

- ١ - أقسم بكل ما أودعت فيه قوة نزع الأشياء من مقارها بشدة .
- ٢ - وبكل ما أودعت فيه قوة اخراج الأشياء في خفة ولين .
- ٣ - وبكل ما أودعت فيه السرعة في تأدية وظائفه بسهولة ويسر .
- ٤ - فالسابقات التي تسبق في اداء ما وكل اليها سبقاً عظيماً .
- ٥ ، ٦ ، ٧ - فللمدبرات التي تدبر الأمور وتصرفها بما أودع فيها من خصائص ، لتقوم الساعة يوم تزلزل النفخة الأولى جميع الكائنات ، وتتبعها النفخة الثانية التي يكون معها البعث .
- ٨ - قلوب في ذلك اليوم فرجة خائفة .
- ٩ - أبصار أصحابها حزينة ذليلة .
- ١٠ - يقول هؤلاء في الدنيا منكرين للبعث : أنرد بعد الموت الى الحلقة الأولى كما كنا ؟
- ١١ - أنذا صرنا عظيماً بالية نرد ونبعث من جديد ؟
- ١٢ - قالوا - منكرين - مستهزئين - تلك الرجعة إن وقعت رجعة خاسرة ، ولنا أهل خسران .

وَحِدَةً ١٣. فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ١٤. هَلْ أَتَيْتُكَ حَدِيثُ مُوسَى ١٥. إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ١٦. أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ١٧. فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْجَى ١٨. وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْتَى ١٩. فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ٢٠. فَكَذَّبَ وَصَاحَى ٢١. ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَى ٢٢. فَحَشَرَ فَنَادَى ٢٣. فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ٢٤. فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ٢٥. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْتَى ٢٦. ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ٢٧. رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا ٢٨. وَأَغْلَشَ لَيْلَهَا وَأَنزَجَ سُحُبَهَا ٢٩. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ٣٠.

١٣، ١٤ - لاحظوا الرجعة عسيرة، فإنما هي صيحة واحدة، فإذا الموق حضور بأرض المحشر.

١٥، ١٦ - هل أتاك - يا محمد - حديث موسى، حين ناداه ربه بالوادي المطهر، المسمى «طوى».

١٧ - أذهب إلى فرعون، الذي جاوز الحد في الظلم.

١٨ - فقل هل لك ميل إلى أن تتطهر؟

١٩ - وارشدك إلى معرفة ربك، فتخشاه.

٢٠ - فأرى موسى فرعون المعجزة الكبرى.

٢١ - فكذب فرعون موسى فيما جاء به، وعصاه فيما دعاه إليه.

٢٢ - ثم تولى عنه يجتهد في معارضته.

٢٣، ٢٤ - فجمع السحرة، ودعا الناس فقال: أنا ربكم الأعلى.

٢٥ - فعذبه الله عذاب العقاب الآخرة: وهي أنا ربكم الأعلى، وعذاب العقاب الآخرة: وهي تكذيبه لموسى عليه السلام.

٢٦ - إن في ذلك الحديث لعظة لمن يخاف الله.

٢٧، ٢٨ - أخلقكم أيها المتكبرين للبعث أنبيأ أم خلق السماء ١٢ ضم أجزاءها المتفرقة بعضها إلى بعض، رفع جرمها فوقها، فجعلها مستوية لا تفاوت فيها ولا خلل.

٢٩ - وأظلم ليلها وأظهر نهارها.

٣٠ - والأرض بعد ذلك بسطها ومهدا لسكني أهلها.

أُخْرِجَ مِنْهَا مَاءًهَا وَمَرَعَهَا ① وَالْجِبَالُ أَرْسَتْهَا ② مَتَاعًا لَكُمْ وَلَا تَعْمِيَكُمْ ③ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّلَامَةُ
الْكُبْرَى ④ يَوْمَ يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ⑤ وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ بَرَى ⑥ فَأَمَّا مَنْ طَفَى ⑦
وَهُوَ آثِرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ⑧ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ⑨ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَبَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ⑩
فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ⑪ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ⑫ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ⑬ إِنَّكَ دَبَّكَ
مُنْتَهَاهَا ⑭ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنْ يُخَشِنَهَا ⑮ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَا يُلْبِثُونَ إِلَّا عَشِيَةً أَوْ صَهَبًا ⑯

٣١ - أُخْرِجَ مِنْهَا مَاءُهَا بِتَفْجِيرِ عَيْنِيهَا وَأَجْرَاهَا أَنْهَارُهَا وَنَبَاتُهَا لِبَقَاتِ بِهِ النَّاسِ وَالْعَوَابِ .

٣٢ - وَالْجِبَالُ قَبَّتْهَا .

٣٣ - مَتَاعًا لَكُمْ وَلَا تَعْمِيكُمْ .

٣٤ - فَأِذَا جَاءَتِ الطَّلَامَةُ الَّتِي تَمُتُ أَهْوَالُهَا .

٣٥ - يَوْمَ يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ مَا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ .

٣٦ - وَأَظْهَرَتِ الْجَحِيمُ أَطْهَارًا بَيْنًا ، يَرَاهَا كُلُّ ذِي بَصَرٍ وَقَعَ الْجَزَاءُ .

٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ - فَأَمَّا مَنْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ بِهَـوَِيَّاهُ ، وَاخْتَارَ لِنَفْسِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ النَّارَ الْمُتَأَجِّجَةَ فِي مَهْوَةٍ هِيَ الْمَنْزِلُ لَا غَيْرَهَا .

٤٠ ، ٤١ - وَأَمَّا مَنْ خَافَ عِظَمَةَ رَبِّهِ وَجَلَّالَهُ ، وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ ، فَإِنَّ دَارَ النِّعَمِ هِيَ الْمَنْزِلُ لَا غَيْرَهَا .

٤٢ - يَسْأَلُونَكَ - يَا مُحَمَّدُ - عَنِ السَّاعَةِ مَتَى وَقْعُهَا ؟

٤٣ - لَيْسَ عَلَيَّ الْيَقِينُ حَتَّى تَذْكُرَهَا لِي .

٤٤ - إِلَيَّ رَيْبُكَ مَتَى عَلَيَّ لَا إِلَهَ غَيْرِي .

٤٥ - إِنَّمَا وَاجِبُكَ أَنْذَارٌ مِنْ يَخَافُ لَا الْإِعْلَامُ يَوْغِيهَا .

٤٦ - كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَشَاهِدُونَهَا لَمْ يَلْبِثُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا مَقْدَارَ عَشِيَةٍ أَوْ صَهَابَةٍ .

(٨٠) سُبُوْرَةٌ يَلْمِزُ فِيهَا
وَأَيُّهَا ثَنَانُ وَارِثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَيْسَ وَتَوَكَّلْ ① أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ② وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يُرَكِّبُ ③ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ④ أَمَّا مَنْ
أَسْتَفْتَى ⑤ فَأَنْتَ لَمْ تَصْدَى ⑥ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبُ ⑦ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ⑧ وَهُوَ يَخْشَى ⑨
فَأَنْتَ عَنْهُ تُلَهَّى ⑩ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ⑪ فَمِنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ⑫ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ⑬ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ⑭

بدأت هذه السورة بعتاب النبي - ﷺ - على ما كان من اعراضه عن ابن أم مكتوم ، حين جاءه راجيا في العلم والهداية ، وقد كان النبي ﷺ مشغولا بدعوة سادة قريش ، رجاه أن يستجيبوا له ، فيسلم بإسلامهم خلق كثير . ثم ذكرت الانسان ينعم الله عليه منذ نشأته الى نشوره ، وختمت بالحديث عن يوم القيامة ، مبينة أن الناس فيه فرقان : مؤمنة مستبشرة ، وكافرة فاجرة .

- ١ - تغير وجهه كارها وأعرض .
- ٢ - لأن جاءه الأعمى يسأل عن أمر دينه .
- ٣ - وما يدريك لعل هذا الأعمى يتطهر بما يلقاه عنك .
- ٤ - أو يتطع فتشفه العظة .
- ٥ ، ٦ - أما من استفتى بثروته وقوته ، فأنت تقبل عليه ، وتهم بتبليغه دعوتك .
- ٧ - وأى شيء عليك إذا لم يتطهر بالإيمان ؟
- ٨ ، ٩ ، ١٠ - وأما من جاءك لطلب العلم والهداية ، وهو يخاف الله فأنت تتشاغل .
- ١١ - حقا ان هذه الآيات عظة .
- ١٢ - فمن شاء انتظ بالقرآن .
- ١٣ - هو في صحف مكرمة عند الله .
- ١٤ - عالية القدر والمكانة ، مزينة عن كل نقص .

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ❶ كَرَامٍ بَرَّةٍ ❷ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ❸ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ❹ مِنْ نُطْفَةٍ
خَلَقَهُ فَقَدَرُوهُ ❺ ثُمَّ أَسْبَلَ يَسْرَهُ ❻ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ❼ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ❽ كَلَّا لَمَّا يُفْضِ
مَا أَمَرَهُ ❾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ❿ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ⓫ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ⓬
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ⓭ وَعَبَا وَقَضْبًا ⓮ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ⓯ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ⓰ وَفَلَكَهًا وَآبًا ⓱

١٥ - بأيدي ملائكة جعلهم الله سفراء بينه وبين رساله .

١٦ - أخيار محسنين .

١٧ - هلاكاً للإنسان ، ما أكفره مع احسان الله اليه !!

١٨ - أما يذكر من أى شئ خلقه ؟

١٩ - من ماء مهين ، بدأ خلقه فقدره أطوارا .

٢٠ - ثم الطريق الى الايمان يسره له ، وأعلمه به .

٢١ - ثم أماته ، فكرمه بأن يقبر .

٢٢ - ثم إذا شاء أحياء بعد الموت .

٢٣ - حقا لما يقض الانسان - مع امتداد حياته في الدنيا - ما أمره الله به من الايمان والطاعة .

٢٤ - فليأمل الانسان شأن طعامه ، كيف دبرناه ويسرناه !!

٢٥ - إنا انزلنا الفيث من السماء انزالا .

٢٦ - ثم شققنا الأرض بالنبات شقا .

٢٧ - فأنبثنا فيها حبا يقات به الناس ويدخرونه .

٢٨ - وعنبا ونباتا يؤكل وطبا .

٢٩ - وزيتونا طيبا ، ونخلا مشرا .

٣٠ - وحدائق ملتفة الأغصان .

٣١ - ولغارا يتفكه بها ، وعنبا تأكله الهائم .

مَتَاعًا لَكَ وَلَا تَعْلَمُكَ ③٦ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ③٧ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ③٨ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ③٩ وَصَدِيقَتِهِ ④٠ وَيَنْبِيئِهِ ④١ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ④٢ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ④٣ ضَاكِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ④٤ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَافِرَةٌ ④٥ رَهَقَهَا قَسْرَةٌ ④٦ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ④٧

٣٢ - أُنَبِّئُكَ ذَلِكَ مَتَاعًا لَكُمْ وَلَآتَاكُمْ .

٣٣ - فَإِذَا جَاءَتِ صَبِيحَةُ الْقِيَامَةِ الَّتِي تَصْمُ الْأَذَانُ .

٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ - يَوْمَ يَرْبُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَزَوْجَتِهِ وَنَبِيِّهِ .

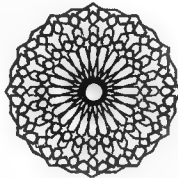
٣٧ - لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فِي هَذَا الْيَوْمِ شَأْنٌ يَسْفُلُهُ .

٣٨ ، ٣٩ - وَجُوهٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ مُضْيِئَةٌ مُشْرِقَةٌ مُسْرُورَةٌ بِنِعْمِ اللَّهِ .

٤٠ - وَوُجُوهٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ عَلَيْهَا غَيَارٌ وَكُدُورَةٌ .

٤١ - تَفْشَاهَا ظِلْمَةٌ وَسَوَادٌ .

٤٢ - أُولَئِكَ أَصْحَابُ هَذِهِ الْوُجُوهِ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ، الَّذِينَ لَا يَبَالُونَ مَا ارْتَكَبُوا مِنَ الْمَعَاصِي .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُبِلَتْ ⑧
بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑨ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑫

في هذه السورة تصوير لما يقع من أحداث عند قيام الساعة وبعثها، وعرض لمظاهر القدرة، وتأكيد لسان القرآن الكريم؛ ودفع الفرية عنه، وتنزيه للرسول عن الجنون، وتهديد للملادين في الضلال، وتوجيه إلى ما في القرآن من عبر ينتفع بها أهل الاستقامة، ورد أمر الناس لشبهة رب العالمين.

١ - إذا الشمس لفت وهي ضوؤها.

٢ - وإذا النجوم انطس نورها.

٣ - وإذا الجبال حركت من أماكنها.

٤ - وإذا من شأنه أن يحمل فقد خاصته.

٥ - وإذا الوحوش جمعت من أوكارها وأجعارها، ذلقة من شدة النزع.

٦ - وإذا البحار تأججت نارا.

٧ - وإذا الأرواح قرنت بأجسادها.

٨ - وإذا المدفونة حية سئلت - نرضية لها، وسخطا على من وأدها - بأي جريمة قتلت، ولا ذنب لها.

٩ - وإذا الصحف التي كتبت فيها أعمال أصحابها بسطت عند الحساب.

١٠ - وإذا السباه أزيلت من مكانها.

١١ - وإذا النار أوقدت أيقادا شديدا.

وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ۖ عَلَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْصَرَتْ ۖ فَلَا أُقْسِمُ بِأَخْثَسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنْهِسِ ۖ ۝
وَأَلْبِلْ إِذَا عَسَسَ ۖ ۝ وَأَصْبِحْ إِذَا تَنَفَّسَ ۖ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۖ ۝
ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۖ ۝ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ۖ ۝ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۖ ۝ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۖ ۝ وَمَا هُوَ عَلَى
الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۖ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيسٍ ۖ ۝ فَإِنَّ تَذْهِيرَ ۖ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۖ ۝ لِمَنْ
شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۖ ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۖ ۝



- ١٣ - وإذا الجنة أُنزلت وقربت .
- ١٤ - وإذا حدثت تلك الظواهر علمت كل نفس ما قدمت من خير أو شر .
- ١٥ - فأقسم تسبا مؤكدا بالنجوم التي تنقبض عند طلوعها ، فيكون ضوءها خافتا .
- ١٦ - الجارية التي تستقر وقت غروبها ، كما تستقر الطيأة في مفارقتها .
- ١٧ - وبالليل إذا خف ظلامه عند إيداره .
- ١٨ - وبالصبح إذا بدأ ضوءه وهب نسيجه .
- ١٩ - إن القرآن لقول رسول من الله كريم عليه .
- ٢٠ - صاحب قوة في أداء مهمته ، صاحب مكانة ومنزلة عند الله ذي العرش .
- ٢١ - مطاع أمين على الوحي هناك في الملأ الأعلى .
- ٢٢ - وما رسولكم الذي صاحبتموه وعرفتم رجاسة عقله بمجنون .
- ٢٣ - وأقسم ؛ لقد رأى محمد - ﷺ - جبريل بالأفق المظهر لما يرى فيه .
- ٢٤ - وما محمد على الوحي ببغيل يقصر في تبليغه وتعليمه .
- ٢٥ - وما الوحي المنزل عليه بقول شيطان مطرود من رحمة الله .
- ٢٦ - فأى طريق أهدى من هذا الطريق تسلكون ؟ ؟
- ٢٧ - ما القرآن الا تذكير وموعظة للمالعين .
- ٢٨ - لمن أراد منكم الاستقامة لتحرى الحق والصواب .
- ٢٩ - وما تشاءون شيئا الا أن يشاء الله رب العالمين ذلك .

(٨٢) سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ مَكِّيَّةٌ
وَاَيَاتُهَا سِتْعٌ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَدَتْ ② وَإِذَا الْبُحَارُ فُجِّرَتْ ③ وَإِذَا الْقُبُورُ
بُعْثِرَتْ ④ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⑥ الَّذِي خَلَقَكَ
فَسَوْفَكَ فَعَدَلُكَ ⑦ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑧ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ⑨ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩

○

عرضت هذه السورة طائفة من أهوال الساعة بأسلوب مؤذن بتحقيق الوقوع في يوم تعلم فيه كل نفس ما قدمت وما أخرت، وانتقلت الآيات الى تحذير الانسان المفلت بربه الذي خلقه فسواه فركبه في أبدع صورة وأحسن تقويم مقررة تكذيبه بيوم الدين، مؤكدة وجود ملائكة عليه حافظين كراما كاتبين، وعقبت ذلك بما يكون للابرار من نعم، وما يكون للفساد من جعيم. يصلونها يوم القيامة، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا، ويكون الأمر كله لله.

١ - إذا السماء انشقت.

٢ - وإذا الكواكب تساقطت متبعثرة.

٣ - وإذا البحار فتح بعضها في بعض يزوال الحواجز بينها.

٤ - وإذا القبور بعثرت فخرج من فيها من الموق.

٥ - علمت نفس ما أسلفت من خير وأوشر، وما أخرت من ذلك.

٦ - يا أيها الانسان: أي شئ خدعك بربك الكريم حتى تجرأت على مصيبي؟

٧ - الذي أوجدك من العدم، فخلق لك أعضاء تنفع بها، يحفظك معتدلا تناسب الخلق.

٨ - في أي صورة من الصور شامها ركبك وأوجدك عليها.

٩ - ردعا لكم، بل تكذبون بالجحاز يوم القيامة.

كِرَامًا كَثِيرِينَ ﴿١٠﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ الْآبِرَاءَ لَنِيعِمٍ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ الْفُجَارَ لَنِي جَحِيمٍ ﴿١٣﴾
يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٤﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الدِّينِ ﴿١٧﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٨﴾

١٠ ، ١١ ، ١٢ - وإن عليكم للانكة حافظين . كراما لدنيا ، مسجلين عليكم أعمالكم يعلمون الذي تفعلونه من
خير وشر .

١٣ - إن الصادقين في إيمانهم لى نعيم عظيم .

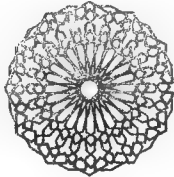
١٤ ، ١٥ - وإن الذين انتشقوا عن أمر الله لى نيران محرقة يدخلونها يوم الجزاء .

١٦ - وما هم عن جهنم بخارجين .

١٧ - وأى شئ أعلمك ما يوم الجزاء ، وأمره خارج عن درأيتك وتصورك ١٩

١٨ - ثم أى شئ أعلمك ما يوم الجزاء فى الحول والثقة ١٩

١٩ - يوم لا تملك نفس لنفس شيئا أو الضرر والأمر يومئذ لله وحده .



(٨٣) سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْهَانِثُ وَتَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَتَّخَلُّوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾
أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفَجَارِ ﴿٧﴾ لَفِي حَيْثٍ ﴿٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَحْمِيهِ ﴿٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿١٠﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ

بدأت هذه السورة بوعيد شديد لمن يأخذ لنفسه وإقيا، ويضطي غيره ناقصا، وصورت ذلك بما قامت عليه معاملات الناس في استيفاء حقوقهم من الكيل والوزن، وهدت هذا النوع بوقوع البعث والحساب، وقررت أن أعالمهم مسجلة عليهم في كتاب مرقوم، لا يكذب به الا كل معتد أنهم محجوب عن ربهم، مصيره الى جهنم.

وانتقلت الآيات الى الأبرار فطمأنتهم على أعمالهم، وذكرت نعيمهم ومماتهم، مشيرة الى نوع من النعيم فيه يتنافس المتنافسون، وصورت الآيات ما كان يفعله الكفار المجرمون مع المؤمنين حين يرونهم أوحين يرهم المؤمنين، وختمت السورة بتطمين المؤمنين الى أن يوم القيامة سينصفهم، فيكونون في النعيم، من الكفار يضحكون، على الأرائك ينظرون، فيثوب الكفار ما كانوا يفعلون.

١، ٢، ٣ - هلاك للمطففين الذين اذا أخذوا لأنفسهم الكيل من الناس بأخسونه وإقيا زائدا، وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصونهم حقهم الواجب لهم اعتداء عليهم.

٤، ٥ - ألا يخطر ببال هؤلاء المطففين أنهم سيبعثون ليوم عظيم المول.

٦ - يوم يقوم الناس لأمر رب العالمين وقضائه.

٧ - ارتدعوا عن التطفيف والغفلة عن البعث. إن ما كتب على الفجار من عملهم السيئ لفي سجين.

٨ - وما أعلمك ما يحميهِ

٩ - هو كتاب مسطور بين الكتابة.

١٠ - هلاك للمكذبين يوم إذ يكون البعث والمجزاء.

يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ١١ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ١٣
كَذَلِكَلَّا يَلْزَمُونَ ١٤ وَإِنْ كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٥ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ١٦ ثُمَّ إِنَّهُمْ
لَصَالُوا الْجَحِيمِ ١٧ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ١٨ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٩
وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ٢٠ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ٢١ بَيْنَهُدَّ الْمُقَرَّبُونَ ٢٢ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٣ عَلَى الْأَرَآئِكِ
يَنْظُرُونَ ٢٤ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ٢٥ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مِثْمَرٍ ٢٦ يَخْتَلِمُ الْمُسْكُ ٢٧ وَفِي
ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ٢٨ وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ٢٩ عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ٣٠ إِنَّ الَّذِينَ

١١ - الذين يكفون يوم الجزاء .

١٢ - وما يكذب بيوم الجزاء الا كل متجاوز الحد كبير الذنب .

١٣ - إذا تلى عليه آيات الله الناطقة بحصول الجزاء قال : اباطيل السابقين .

١٤ - ارتدع - أيما المعتدى - عن هذا القول الباطل ، بل غطى على قلوب المعتدين ما اكسبه من الكف والمعاصي .

١٥ - حقا ان المكذبن عن رحمة ربه يومئذ لمحجوبين بسبب ما اكسبه من المعاصي .

١٦ - ثم انهم لداخلون الجحيم .

١٧ - ثم يقال تبيكتنا لهم : هذا العذاب النازل بكم الذي كنتم به تكذبون في الدنيا .

١٨ - حقا ان ما يكتب من أعمال الصالحين لفي عليين .

١٩ - وما أعلمك ما عليلون ؟

٢٠ ، ٢١ - هو كتاب مسطور بين الكتابة ، يحضره ويحفظه المقربون من الملائكة .

٢٢ ، ٢٣ - إن الأبرار لفي نعيم الجنة . على الأرائك ينظرون الى ماؤلاهم الله من النعمة والكرامة .

٢٤ - تعرف في وجوههم نضرة النعيم ونضارته .

٢٥ ، ٢٦ - يسقون من شراب خالص مصون لا تزيده الصيانة الا طيبا ، وفي نيل ذلك النعيم فليتسابق المتسابقون .

٢٧ - ٢٨ - ومزاج الرحيق من ماء تسنيم في الجنة : عينا يشرب منها المقربون دون غيرهم من أهل الجنة .

أَجْرُ مَا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَصْحَحُونَ ﴿٣٨﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
 انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٤١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٤٢﴾
 قَالِیَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَصْحَحُونَ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ یَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارُ مَا كَانُوا
 یَفْعَلُونَ ﴿٤٥﴾

٢٩ - إن الذين ارتكبوا الجرم في حق الدين كانوا يضحكون استهزاء في الدنيا من الذين آمنوا .

٣٠ - وإذا مر المؤمنون بهم يميز بعضهم بعضا استهزاء .

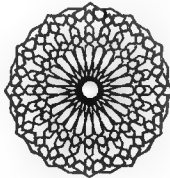
٣١ - وإذا رجع المهرمون الى أهلهم رجعوا متلذذين باستخفافهم بالمؤمنين .

٣٢ ، ٣٣ - وإذا رأوا المؤمنين قالوا : ان هؤلاء لضالون لايمانهم بمحمد . وما أرسل هؤلاء المهرمون حاكمين
 عليهم بالرشد أو الضلال ، حافظين لأعياهم .

٣٤ - فيوم الجزاء الذين آمنوا من الكفار يضحكون جزاء ما ضحكوا سخرية بهم في الدنيا .

٣٥ - على الأسرة والمكآت ينظر المؤمنون ما أولاهم الله من النعم .

٣٦ - هل جوزى الكفار في الآخرة ما كانوا يفعلون في الدنيا ؟





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُتَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُتَّتْ ⑤ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ
بِيَمِينِهِ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑨ وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ

ذكرت هذه السورة بعض أضراب الساعة ، وخضوع الأرض والسماء لتصرفه تعالى ، وأفادت أن الانسان
مسوق الى لقاء ربه ، وأن عمله مسجل عليه في كتاب سيلفاه ، فن أخذه باليمين كان حسابه يسيرا ، ومن أخذه
باليمنى استجار من لقاء العذاب واصطلى النيران ، ثم أقسم - سبحانه - بظواهر من آياته تشهد بقدرته وتدعو الى
الايان باليمنى ، ومع ذلك فالذين كفروا لا يؤمنون ولا يتدبرون القرآن ولا يخلصون لأحكامه . ثم ختمت بتهديبهم
بأن الله يعلم ما يضرهم ، وأنه أعد لهم العذاب الأليم ، كما أعد للمؤمنين الأجر الدائم الذى لا ينقطع .

١ - إذا السماء انصدعت يؤذن بزوالها .

٢ - وصمت لربها وأطاعت ، وجدير بها أن تسمع وتطيع .

٣ - وإذا الأرض زلزلت سعة بذلك جبالها وإزالة أكامها .

٤ - ورمت ما يجيرها من الموق والكوز ، وتخلت عنه .

٥ - وانفادت لربها في زيادة سمعتها واللقاء ما في جوفها وتخليها عنه وحقيق بها ذلك . إذا حدث كل ما تقدم لى
كل انسان جزاء عمله .

٦ - يأياها الانسان : انك مجد في عملك جدا يوصلك الى غايتك ، فلاق ربك بملك ، فيجازيك عليه .

٧ ، ٨ ، ٩ - فأما من أعطى كتاب عمله بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، ويرجع الى عشرته من المؤمنين
مبتهاجا .

وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۝ وَيَصَلُّ سَعِيرًا ۝ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَخُورَ ۝ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۝ فَلَا أُقِيمُ بِالشَّفَقِ ۝ وَالْبَلِّ وَمَا وَسَقَ ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۝ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ۝ قُلْ لَكُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ۝ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝

١٠ ، ١١ ، ١٢ - وأما من ألقى كتابه بشأله من وراء ظهره تحفيرا لأمره ، فسوف يصبح متمنيا هلاك نفسه ، ويدخل جهنم يفتقر بنارها .

١٣ - انه كان بين أهله في الدنيا مسرورا بما أوتيها من العمل لماتته .

١٤ - انه ظن أنه لن يرجع إلى الله فيحاسبه .

١٥ - بلى سرجع ويحاسب ، وان ربه كان به وبأعماله بصيرا .

١٦ - فأقسم قسما مؤكدا بحمرة الأفق بعد الغروب .

١٧ - والليل وما جمع لطف من ظلمته من الناس والدواب وغيرها .

١٨ ، ١٩ - والقمر إذا تكامل وتم نوره ، لتلاقن حالا بعد حال بعضها أشد من بعض من الموت والبعث وأحوال القيامة .

٢٠ - فأى شيء هؤلاء الجاحدين ينعمون من الايمان بالله والبعث بعد وضوح الدلائل على وجوبه .

٢١ - وإذا سمعوا آيات القرآن لا يسجدون ولا يحضنون .

٢٢ - بل هؤلاء - لكفرهم - يكتفون عنادا وتعاليا عن الحق .

٢٣ - والله أعلم بما يضمرن في قلوبهم .

٢٤ - فبشرهم بعذاب أليم مستنزنا بهم .

٢٥ - لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم عند الله أجر غير مقطوع عنهم ولا محسوب عليهم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ① وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ② وَشَهِيدٍ مَشْهُودٍ ③ قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ ④
النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ⑦ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ

.....

في هذه السورة تسليية وتذكير للمؤمنين ، وتهديد ووعيد للمعاندن ، بدأت بقسمه تعالى بمظاهر قدرته على أن المتعرضين لا يذاه المؤمنين سيطردين من ساحة الرحمة كما طرد من سلك سبيلهم من سيقوهم من الأمم . وأخذت السورة تقص فعل الطغاة بالمؤمنين ، وأتبع ذلك بوعيد المؤمنين وتخويف الطاغين . وأن الحق في كل العصور معرض لما رواه النازئين ، وإن القرآن الذي هو دعامة الحق - وإن كذب به القوم - فهو في منأى عن الشك ، لأنه في لوح محفوظ عند الله .

١ - أقسم بالسما ذات المنازل التي تغزها الكواكب أثناء سيرها^(١) .

٢ - وباليوم الموعد للحساب والجزاء .

٣ - ويحاضر من الخلاق في هذا اليوم وما يحضر فيه من الأحوال والمجائب .

٤ - لقد لعن الله أصحاب الشئ المستطيل في الأرض .

٥ - أصحاب النار ذات الوفود التي أضرموها لعذاب المؤمنين .

٦ - إذ هم على حافتيها قعود يشهدون عذاب المؤمنين .

٧ - وهم على الذي يفعلون بالمؤمنين - من تهديمهم - حضور .

(١) البروج هي هذه المجموعات من مواقع النجوم التي تظهر على أشكال مختلفة في السماء مقسمة إلى اثني عشر قسما تمر خلالها الأرض والكواكب في أثناء دورتها حول الشمس . ولما كان مستوى نهار القمر خلال دورته حول الأرض وهي « التي تسمى بنازل القمر » وهي أيضا مجموعة من النجوم على أشكال مختلفة فقد جمع الشاعر القديم أسماء هذه البروج الاثني عشر في هذين البيتين :

وروى الليث سنبل المسيلان
ومن السدو شرب الحبشان

حمل القدر جورة الرطبان
وروى عفرى وقوسا بجدي

إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ① الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ② وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ③
 إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَازِمُوا فَهَلْهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ④ إِنَّ
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ⑤ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ⑥ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ
 لَشَدِيدٌ ⑦ إِنَّهُمْ هُوِيْدٌ وَيُعِيدُ ⑧ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ⑨ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ⑩ فَقَالَ لِمَا
 يُرِيدُ ⑪ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ⑫ فَرَعُونَ وَكُمُودَ ⑬ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ⑭ وَاللَّهُ
 مِنْ وَرَاءِهِمْ مُحِيطٌ ⑮ بَلِ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ⑯ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ⑰

- ٨ - وما أنكرنا من المؤمنين إلا إيمانهم بالله القوى الذى يمشى عقابه ، الحميد الذى يرجى ثوابه .
 ٩ - الذى له - وحده - ملك السموات والأرض ، والله على كل شيء عما يفعله المؤمنون والكافرون شهيد يشهد ذلك ويجزى عليه .
 ١٠ - ان الذين امتنعوا المؤمنين والمؤمنات في دينهم بالأذى والتعذيب بالنار ، ثم لم يرجعوا عن ذلك ، فلهم في الآخرة عذاب جهنم ب كفرهم ، ولهم عذاب الحريق باحراقهم بالمؤمنين .
 ١١ - ان الذين جمعوا إلى الايمان بالله العمل الصالح ، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ذلك النعم الذى جوزوا به هو الفوز الكبير .
 ١٢ - ان أخذ ربك للجبارة والظلمة بالغ العاقبة في الشدة .
 ١٣ - انه وحده يبدأ الخلق ويعيدهم .
 ١٤ - وهو كثير المغفرة لمن تاب وأتاب ، كثير الغيبة لمن أحبه وأطاعه .
 ١٥ - صاحب العرش ومالكه ، العظيم في ذاته وصفاته .
 ١٦ - فقال لما يريد لا يتخلف عن قدرته مراد .
 ١٧ - هل أتاك - يا محمد - حديث الجمع الطاغية من الأمم الحالية ؟
 ١٨ - قوم فرعون وقود وما حل بهم من جزاء قاتلهم في الباطل .
 ١٩ - بل الكافرين من قومك أشد في تكذيبهم لك من تكذيب هؤلاء لرسولهم .
 ٢٠ - والله متمكن منهم ، عالم بهم .
 ٢١ - بل ما جئهم به قرآن عظيم بين الدلالة على صدقك .
 ٢٢ - في لوح محفوظ لا ترقى إليه قوة بتحريف أو تبديل .

(٨) سُورَةُ الطَّارِقِ وَكِتَابُ وَأَسْمَاءُ السَّبْعِ عَشَرَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ❶ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ❷ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ❸ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ❹ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ❺ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ❻ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ❼ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَكِيدٌ لَهُ ❽ وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ كَيْدَهُمْ بَكَيْدٍ أَشَدَّ مِنْ كَيْدِهِمْ ❾ ثُمَّ خَتَمَتِ السُّورَةَ بِطَلَبِ امْهَالِ الْكَافِرِينَ .

- ١ - أقسم بالسما والسماء والنجم الذي يظهر ليلاً .
- ٢ ، ٣ - وأى شيء أعلمك ما حقيقة هذا النجم ؟ هو الذى ينفذ ضوئه فى الظلام .
- ٤ - ما كل نفس الا عليها حافظ يرقبها ويصوى عليها أعمالها .
- ٥ - فليفكر الانسان من أى شيء خلق ؟
- ٦ - خلق الانسان من ماء متدفق .
- ٧ - يخرج هذا الماء من بين الصلب وعظام الصدر من الرجل والمرأة^(١) .

(١) الصلب هو منطقة الصدر القفوى - والترايب هي عظام الصدر .
وقد بينت الدراسات الجنينية الحديثة أن نواة الجهاز التناسل والجهاز البولي في الجنين تظهر بين الخلايا الضروفية المكونة لنظام السمود القفوى وبين الخلايا المكونة لنظام الصدر .
ونبي الكل في مكانها وتنزل الخصية إلى مكانها الطبيعي في الصفر عند الولادة . وعلى الرغم من المصادر المخصصة إلى أسفل فإن الشريان الذى يغذها بالدم طول حياتها يخرج من الأورطة بجذبه القفوى الكلى .
كما أن الصلب الذى ينقل الإحساس إليها ويساعدها على إنتاج الحيوانات المنوية وما يصاحب ذلك من سوائل متفرع من العصب الصدرى العاشر الذى يفرغ النخاع الشوكى بين الضلعين العاشر والحادى عشر .
وواضح من ذلك أن الأعضاء التناسلية وما يغذها من أعصاب وأوعية دموية تنشأ من موضع في الجسم بين الصلب والترايب « السمود القفوى » والنقص الصدرى » .

لِقَادِرٍ ۝ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝ قَالَهُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا تُلْعَبُوا ۝ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ
الْصَّدْعِ ۝ إِنَّهُمْ لَقَوْلٍ فَضْلٍ ۝ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهْلُ
الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ رُؤُوسًا ۝

٨ - ان الله الذى خلقه هكذا ابتداء لقادر على اعادة خلقه بعد موته .

٩ - يوم تمتحن الضائير ويبين بين ما طاب منها وما خث .

١٠ - لما للانسان في ذلك الوقت من قوة بنفسه يمتنع بها ، ولا ناصر ينتصر به .

١١ - أقسم بالسماوات ذات المطر الذى يعود ويكرر .

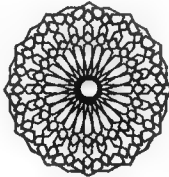
١٢ - وبالأرض ذات الانشقاق عن النبات الذى يخرج منها .

١٣ ، ١٤ - ان القرآن فاصل بين الحق والباطل ، وليس فيه شائبة اللعب والباطل .

١٥ - ان المكذبين بالقرآن يكررون في ابطال أمره مكرًا بالغ الغاية .

١٦ - وأجائزهم وأقابل كيدهم بكيد متين لا يدفعونه .

١٧ - فانظر الكافرين ، أمهلهم أمهالا قريبا حتى أمرك فبهم بأمر حاسم .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝
 لِيَجْلِبَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝ سَنَقِرْ لَكَ فَلَا تَمْنَقِ ۝ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْنَى ۝ وَيُخَوِّفُكَ

بدئت هذه السورة بتعزبه من خلق الأشياء فجعلها سواء في الاتقان ، وقدر لكل شيء ما يصلحه ، فهداه إليه ، وأنت المرعى فجعله غثاء أحوى ثم أخبرت الآيات أن الله سيقري رسوله القرآن ، فيحفظه ولا ينسى منه شيئاً إلا ما شاء الله ، وبه للبرى ، ثم أمرت الرسول أن يذكر بالقرآن ليذكر من يحصى ، ويتجنب الذكرى الأتقى الذى يصل النار الكبرى . وأكدت الآيات أن الفلاح لمن تزكى وذكر اسم ربه فصل . وختمت السورة ببيان أن ما جاء فيها ثابت في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى .

- ١ - نزه اسم ربك الأعظم عما لا يليق به .
- ٢ - الذى خلق كل شيء فجعله مستوياً الخلق فى أحكام واتساق .
- ٣ - والذى قدر لكل شيء ما يصلحه فهداه إليه .
- ٤ - والذى أخرج من الأرض ما ترعاه الدواب من صنوف النباتات .
- ٥ - فصبره بعد الحضرة يابسا مسودا .
- ٦ - سنجملك - يا محمد - قارئا بالعلم منا ، فلا تنسى ما تحفظ .
- ٧ - إلا ما شاء الله أن تنساه ، انه تعالى يعلم ما يجهر به عباده وما يخفونه من الأحوال والأفعال .



لِّلْبَاسِرِ ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْتِئ ۝ وَيَنْجِنُهَا الْأَشَقَى ۝ الَّذِي يَصِلُ
النَّارَ الْكُبْرَى ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝ وَذَكَرَ أَمْرَ رَبِّهِ ۝ فَصَلِّ ۝
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى ۝

- ٨ - ونوفقه للطريقة البالغة اليسر في كل أحواله .
- ٩ - فذكر الناس ان نفعت الذكرى، فشانها أن تنفع .
- ١٠ - سينتفع بتذكرك من يخاف الله .
- ١١ - وينجب الذكرى الأشق المصر على السواد والكفر .
- ١٢ - الذى يدخل النار الكبرى المعدة للجزاء .
- ١٣ - ثم لا يموت في النار فيستريح بالموت ، ولا يحيا حياة ميتاً بها .
- ١٤ - قد فاز من تطهر من الكفر والمعاصي .
- ١٥ - وذكر اسم خالقه بقلبه ولسانه فصلى خاشعاً معتلاً .
- ١٦ - لم تفعلوا ما يؤدى إلى الفلاح ، بل تقدمون في اهتمامكم الحياة الدنيا على الآخرة .
- ١٧ - والآخرة خير من الدنيا بصفاء نعيمها ، وأبقى بدوامه .
- ١٨ ، ١٩ - ان هذا المذكور في هذه السورة ثابت في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى فهو مما توافقنا فيه الأديان وسجلته الكتب الساهوية .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ❶ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خُشَعَةٌ ❷ طَلِيلَةٌ نَاصِبَةٌ ❸ تَعْلَى نَارًا حَامِيَةٌ ❹ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ
ءَانِيَةٍ ❺ لَيْسَ لَهمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ❻ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ❼ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِبَةٌ ❽
لَسَمُوا رَاضِيَةً ❾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ❿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَنَةٌ ❶❶ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ❶❷ فِيهَا مُرْرٌ مَرْفُوعَةٌ ❶❸

بدأت السورة بأسلوب يشوق إلى سماع الحديث عن يوم القيامة وما يكون فيه، مشيرة إلى أن الناس فيه قسبان؛ فمنهم من لا يرون فيه كرامة عند استقبالهم ويدخلون ناراً حامية، ومنهم من يستقبلونه فرحين بظهور الرحمة والرضوان المعدة لهم، ثم سألت الأدلة الواضحة على قدرته تعالى على البعث عما يشاهدونه بأعينهم ويتفحصون به في حياتهم، وبعد ذكر هذه الأدلة انتقلت إلى أمر الرسول بالتذكير لأنه مهمته الأولى بالنسبة إليهم، مبينة أنه ليس مسلطاً عليهم فيجبرهم على الإيمان، وأن من تولى وكفر بعد هذا التذكير فسوف يأخذه الله بذنبيه ويصنبه العذاب الأكبر، حين يرجع إليه بعد الموت لأن رجوعهم جميعاً إليه وحسابهم جميعاً عليه.

١ - هل أتاك يا محمد حديث القيامة التي تغشى الناس بأهلها.

٢، ٣ - وجوه يوم القيامة ذليلة، دائية العمل فيها يتصها ويشقها في النار.

٤ - تدخل ناراً شديدة الحرارة.

٥ - تسقى من عين تنامي حرها.

٦ - ليس لهم طعام إلا من نوع خيبث يعذب به أكله.

٧ - لا يؤثّر سمنا في الأجسام ولا يدفع شيئاً من جوع.

٨، ٩، ١٠ - وجوه يوم القيامة ذات نصارة لجزاء عملها الذي عملته في الدنيا، راضية في جنة مرتفعة مكاناً وقدراً.

١١، ١٢ - لا تسمع فيها كلمة ذات لغو، فيها عين جارية بالماء لا تنقطع.

١٣ - فيها سرر مرتفعة مكاناً وقدراً زيادة لهم في النعيم.

وَأَكْوَابٌ مُوْضِعَةٌ ﴿١٥﴾ وَنَارٌ مُصْئِقَةٌ ﴿١٦﴾ وَزَادَ مَبْثُوتَةٌ ﴿١٧﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٢٠﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢١﴾ قَدْ كُرِّرَ

١٤ - وأكواب حاضرة بين أيديهم.

١٥ - ووسائد صف بعضها إلى جانب بعض.

١٦ - وبسط كثيرة متفرقة في المجالس.

١٧ - أجمعون التدبر في الآيات، فلا ينظرون إلى الآيات، كيف خلقت خلقا بعدا يدل على قدرة الله ؟ (١٨).

١٨ - وإلى السماء التي يشاهدونها دائما، كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا عدد ؟

١٩ - وإلى الجبال التي يتصعدون إلى قممها، كيف أقيمت شامخة، تحسك الأرض فلا تجبل ولا تقيد ؟ (٢٠).

٢٠ - وإلى الأرض التي يتقلبون عليها، كيف بسطت ومهدت ؟

(١) في خلق الآيات معجزات دالة على قدرة الله ليثير في ذلك المتدبرين. فمن المعروف أن من صفاتها الظاهرة ما يمكنها من أن تكون سفن الصعراء محق. فالعينان ترتفعان فوق الرأس وترتدان إلى الخلف فضلا عن طيقين من الأهداب تفيانها الرمال والقصى، وكذلك للثغران والأذنان يكنتهما الشعر للعرض نفسه. فإذا ما هبت العواصف الرملية انتقل الثغران، واثنت الأذن - على صغرهما وقلة بروزهما - نحو الجسم - أما القوائم فطوال تساعد على سرعة الحركة، مع ما يتناسب ذلك من طول النقب. وأما الأقدام فتبسطة في صورة خفاف تمكن الأبل من السير فوق الرمال الناعمة، والجمل كلكل تحت صدره ووسائد قرنية على مفصائل أرجله تمكنه من الزحف فوق الأرض الخشنة الساخنة، كما أن على جانبي ذيله الطويل شعرا يسمى الأجزاء الخلفية الرقيقة من الأذى.

أما مواهب الجمل الوطنية فأبلغ وأبدع، فهو في الشتاء لا يطلب الماء، بل قد يعرض عنه شهرين متتاليين إذا كان الغذاء غضا رطبا أو أسبوعين إن كان جافا. كما أنه قد يتحمل العطش الكامل في قيط الصيف أسبوعا أو أسبوعين، فيفسد في انتهائها أكثر من ثلث وزن جسمه. فإذا ما وجد الماء تبرع منه كمية هائلة يستعيد بها وزنه المعتاد في دقائق معدودات. والجمل لا يمكن الماء في كرشه كما كان يظن. بل أنه يحفظ به في أنسجة جسمه ويقتصد في استهلاكه غاية الاقتصاد، فمن ذلك أنه لا يلهث أبدا ولا يتنفس من فمه ولا يصدر من جلده إلا أدنى العرق، وذلك لأن حرارة جسمه تكون شديدة الانخفاض في الصباح البكر، ثم تأخذ في الارتفاع التدريجي أكثر من ست درجات قبل أن تدعو الحاجة إلى تلطيفها بالرق والتبر، وعلى الرغم من كمية الماء المائلة التي ينفقها الجسم بعد العطش الطويل فإن كثافة مائه لا تتأثر إلا في الحدود ومن ثم لا ينفق العطش عليه. وقد ثبت أن دهن السنام مخزن للطاقة يخفيه غواثل الجوع، ولكنه لا يفيد كثيرا في تدبير الماء اللازم لجسمه.

وما زال العلماء يحدون في الجمل كلما يحقروا مصداقا لحسن الله تعالى لهم على النظر في خلقه المصير.

(٢) تردد في القرآن الكريم وصف الأرض بأنها مسطحة وبأنها مبسوطة، والمراد بذلك أن الأرض وإن كانت كروية الشكل تبدو للناظرين مسطحة مبسوطة، وهذا لا يخالف ما قرره العلم في شيء.

إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾

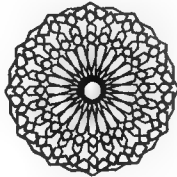
إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا جِسْمَهُمْ ﴿٢٦﴾

٢١ ، ٢٢ - فذكر بدعوتك ، إنما مهمتك التبليغ ، لست عليهم بمُصَيِّرٍ .

٢٣ ، ٢٤ - لكن من أعرض منهم وكفر ، فيُعَذِّبُهُ اللهُ العَذَابَ الْأَكْبَرَ الذي لا عذاب فوقه .

٢٥ - إنَّ إلينا رجوعهم بالموت والبعث ، لا إلى غيرنا .

٢٦ - ثم إنَّ علينا جسدنا وجسامهم .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝ وَبِالْإِشْرَاقِ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُ ۝ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّدَىٰ جِبْرِ ۝
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْإِلَادِ ۝ وَكُودَ الَّذِينَ جَابُوا
الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَعَفُوا فِي الْإِلَادِ ۝ فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝

بدأت هذه السورة بأقسام تناولت ظواهر متعددة ، توجه النظر إلى آثار القدرة على أن التنكير لله والبهت معذوبين ، كما عذب الذين كذبوا من قبل ، وأخذت السورة تقررسن الله في ابتلاء عباده بالخسر والنسر ، وأن أعطاهم وإسماكه ليس دليل رضاه أو سخطه ، وتوجه الحديث للمخطئين بأن أحوالهم تكشف عن شدة حرصهم وشحهم ، ثم تحتم - بالاشارة إلى ما يكون من ندم المفرطين وقتهم أن لو قدموا من الصالحات ما ينجيهم ، مما يعاينونه من أهوال يوم القيامة ، وإلى ما يكون من انباس النفس المطفئة التي قدمت الصالحات ولم تفرط ، ودعوتها إلى الدخول مع المكرمين من عباد الله في جنة الله .

١ - أقسم بضوء الصبح عند طارده الليل .

٢ - ولباليل عشر مفضلة عند الله .

٣ - وبالأزواج والفرد من كل شيء .

٤ - وبالليل إذا يتقضى بحركة الكون العجيبة .

٥ - هل في ذكر من الأشياء ما يراه العاقل قسما مقبلا ؟

٦ ، ٧ - ألم تعلم كيف أنزل ربك عقابه بهاد قوم هود ، أهل ارم ذات البناء الرفيع ؟

٨ - التي لم يخلق مثلها في البلاد متانة وضخامة بناء .

٩ - وألم تعلم كيف أنزل ربك عقابه بشرد قوم صالح ، الذين قطعوا الصخر من الجبال يبتون به القصور بالوادي ؟

١٠ - وألم تعلم كيف أنزل ربك عقابه بفرعون ذي الجنود الذين يبدون ملكه كما تشد الأوتاد المحيام ؟

١١ - الذين تجاوزوا الحدود في البلاد .

١٢ - فأكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم .

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۖ إِنَّ رَبَّكَ لَبَاسٌ مُدِّدٌ ۚ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۚ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۚ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ۚ وَلَا يُخْضِرُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۚ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثُ أَكْلًا لَّمًّا ۚ وَيُحْجُونَ الْأَمْوَالَ حَبًّا جَبًّا ۚ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۚ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۚ وَجِئَتْهُ يَوْمَئِذٍ بِحُجَّتٍ ۖ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ۚ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدِمْتُ لِلْحَيَاتِ ۚ

١٣ - فأنزل عليهم ربك ألوانا ملهبة من العذاب .

١٤ - ان ربك ليرقب عمل الناس ، ويحصيه عليهم ، ويجازيهم به .

١٥ - فأما الإنسان إذا ما اختبره ربه فأكرمه ، ونعمه بالمال والجاه والقوة ، فيقول مشترا بذلك : ربي فضلني لاستحقاقى لهذا .

١٦ - وأما الانسان إذا ما اختبره ربه بضيق الرزق فيقول غافلا عن الحكمة في ذلك : ربي أهانني .

١٧ - ارتدعوا ، فليس الأمر كما تقولون ، بل أنتم لا تكرمون اليتيم .

١٨ - ولا يثبت بضمكم بعضا على اطعام المساكين .

١٩ - وتأكلون المال الموروث أكلا لاما ، لا يميزون فيه بين ما يحسد وما يثم .

٢٠ - ويحبسون المال حبا كثيرا ، يلغصكم إلى الحوص على جمعه والبخل بانفاقه .

٢١ - ارتدعوا عن تلك الأفعال ، لما ينتظركم من الوعيد إذا سويت الأرض تسوية بعد تسوية .

٢٢ - وجاء ربك مجيئا يليق به سبحانه ، وجاءت الملائكة صفا صفا .

٢٣ - وجيء يومئذ بجهنم دار العذاب ، يومئذ يحدث ذلك يتذكر الانسان ما فرط فيه ، ومن أين له الذكرى الثالثة ، وقد فات أوانها ؟

٢٤ - يقول نادما : ياليتني قدمت في الدنيا أفعالا سالحة تنقني لحياقي الآخرة .

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ۖ وَلَا يُؤْتِي نَفَقَهُ أَحَدٌ ۖ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ أَرْجَىٰ إِلَىٰ
رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۖ

— — — — — ① — — — — —

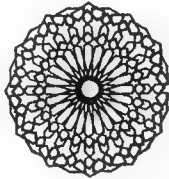
٢٥ ، ٢٦ - فيومئذ تكون هذه الأحوال ، لا يعذب أحد كعذاب الله ، ولا يقيد أحد كقيده .

٢٧ - يأتيها النفس المطمئنة بالحق .

٢٨ - ارجعى إلى رضوان ربك راضية بما أوتيت من النعم ، مرضية بما قدمت من عمل .

٢٩ - فادخلى فى زمرة عبادى الصالحين .

٣٠ - وادخلى جنتى دار النعيم المقيم .



(٩٠) سُورَةُ النَّبَلِ الْيَكِينَةِ
وَأَسْمَاءُ عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقِيمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ❶ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ❷ وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدَ ❸ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ❹
أَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيَّ أَحَدٌ ❺ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لَبَدًا ❻ أَيْحَسِبُ أَنْ لَوْ يَرَاهُ رَاحِدٌ ❼ أَلَّا يَحْمِلَ لَهُ
عَيْنَيْنِ ❽ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ❿ وَهَدَيْتُهُ النَّجْدَيْنِ ⓫ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ⓬ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ⓭

أقسم الله بالبلد الحرام، مكة، موطن محمد ﷺ الذي نشأ فيه، وأحبه ووالده وما ولد، لأن بها حفظ النوع وبقاء العمر، على أن الانسان خلق في مشقة ومكابدة متاعب، ثم بين أنه مفرّ يحسب أن قدرته لا تغلب، وأنه ذو مال كثير ينفقه ارضاء لشهوته وأهوائه، ثم عدد سبحانه ما أنعم به عليه بما يسر له سبل الهداية واقتحام العقبة، ليكون من أهل الجنة أصحاب اليمين ويفر بما يحمله من أصحاب المشأمة الذين يرمى بهم في النار وتغلق عليهم أبوابها.

- ١ - أقسم قسماً مؤكداً بمكة البلد الحرام.
- ٢ - وأنت مقيم بهذا البلد تزيد شرفاً وقدرًا.
- ٣ - ووالد وما ولد وبها حفظ النوع وبقاء العمران.
- ٤ - لقد خلقنا الانسان في مشقة وتعب منذ نشأته إلى منتهى أمره.
- ٥ - أيعظن الانسان المخلوق في هذه المشقة أن لن يقدر على اخضاعه أحد.
- ٦ - يقول أنفقت في عبادة محمد ﷺ وصده عن دعوته مالا كثيراً فجمع بعضه إلى بعض.
- ٧ - أيعظن أن أمره قد خفي فلم يطلع عليه أحد حتى من خلقه.
- ٨، ٩ - ألم تخلق له عيين ينظر بها ولساناً وشفتين ليتكلم من التلطف والابانة.
- ١٠ - وبيننا له طريق الخير والشر وهيئناه للاختيار.
- ١١ - فلا اتنع بما هيأناه له، ولا تخطئ العقبة التي تحول بينه وبين النجاة، وهي شح نفسه.
- ١٢ - وأي شئ أهلك ما اقتحام العقبة ١٤

فَكَ رَقَبَةٍ ١٣) أَوْ أُطْعِمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَى ١٤) يَتِيمًا ذَا مَقَرَةٍ ١٥) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَقَرَةٍ ١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَجْمَعَةِ ١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُعَذِّبُنَا
هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ٢٠)

١٣ - عتق النفس وتحريرها من الصودية .

١٤ - أو اطعام في يوم ذي مجاعة .

١٥ - يتيمًا ذا قرابة يواصي لرحمه وفقره .

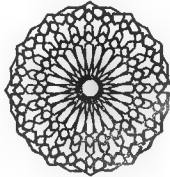
١٦ - أو مسكينًا ذا حاجة واقتدار .

١٧ - ثم كان مع ذلك من أهل الايمان الذين يتواصون بها بينهم بالصبر وبالرحمة .

١٨ - أولئك الموصوفون بهذه الصفات هم السعداء أصحاب الجين .

١٩ - والذين كفروا بما نصبتاه دليلًا على الحق من كتاب وحجة هم الأتقياء أهل الشؤم والعذاب .

٢٠ - عليهم نار مطبقة مغلقة أبولها .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَنُجْمُهَا ① وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ③ وَاللَّيْلُ إِذَا يَفَشَهَا ④ وَالسَّمَاءَ
وَمَا بَنَتْهَا ⑤ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ رَزَقَهَا ⑨ وَقَدْ حَاطَ مِنْ دَسَّهَا ⑩ كَذَبَتْ تَمُودُ بِعَفْوَنَهَا ⑪ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ⑫ فَقَالَ لَهُمْ

أقسم الله تعالى في مفتتح هذه السورة بأشياء عدة من مخلوقاته العظيمة، المنبئة عن كمال قدرته تعالى ووحدانيته، على فوز من طهر نفسه بالإيمان والطاعة، وخسران من ضيعها بالكفر والمعاصي، ثم ساق مثلا لمؤد قوم صالح وما حل بهم، ليمتد بهم كل معاند مكذب، فانهم لما كذبوا رسولهم، وعفروا الناقة، أهلكهم الله جميعا وهو لا يخاف عاقبة أهلاكهم وما أنزله بهم، لأنه لا يسأل عما يفعل، وقد أنزل بهم ما يستحقون.

- ١ - أقسم بالشمس وبنجومها وأشراقها وحرارتها.
- ٢ - وبالقمر إذا تبعها وخلفها في الإضاءة بعد غروبها.
- ٣ - والنهار إذا أظهر الشمس واضحة غير مبهوجة.
- ٤ - وبالليل إذا يفشئ الشمس، فيغطي ضوءها.
- ٥ - وبالسواء وبالقدر العظيم الذي رفعها وأحكم بنائها.
- ٦ - وبالأرض وبالقدر العظيم الذي بسطها من كل جانب، وهبها للاستقرار، وجعلها فراشا.
- ٧ - وبالنفس ومن أنشأها وعلاها، بما أودع فيها من القوى.
- ٨ - فعرنها الحسن والتقيح، ومنعها القدرة على فعل ما تريد منها.
- ٩ - قد فاز من طهر نفسه بالطاعات وعمل الخير.
- ١٠ - وقد خسر من أخى فضائلها، وأما استمدادها للخير.
- ١١، ١٢ - كذبت تمود نبيها بطغيانها وبغيها، حين نهض أشقاها مريدا عقر الناقة.

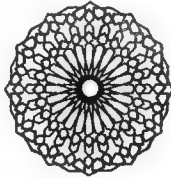
رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا ⑫ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ⑬ وَلَا يَخَافُ

عَقْبَهَا ⑭

١٣ - فقال لهم صالح رسول الله : اتركوا ناقة الله تأكل في أرض الله ، واحذروا منها الشرب في يومها .

١٤ - فكذبوا رسولهم في وعده ، فعقروها ، فدمر عليهم ربهم ديارهم بذنوبهم ، فساواها بالأرض !

١٥ - ولا يخاف تبعة هذه المقربة ، لأنها الجزاء المادل لما صنعوا .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ① وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ④ فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَى وَاتَّقَى ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ كَفَلَ وَاسْتَفْتَى ⑧ وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى ⑨ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⑪ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ⑫ وَإِنَّ

أقسم الله تعالى بأقسام ثلاثة على أن أعمال الناس مختلفة بعضها هدى وبعضها ضلال ، فن أنفق واتقى وصدق
بالحصول الجامعة للخير يسره الله لليسرى ، ومن كفل واستغنى وكذب بالحصول الجامعة للخير يسره الله لليسرى ،
ولا يغنى عنه ماله إذا وقع في العذاب ، وقد بينت الآيات بعد ذلك أن الله تكفل ببيان طرق الهدى ، تفضلا منه وأن
له أمر الهياتين الآخرة الأولى ، وقد أنذر بالنار يصلها الأثمقاء ويتجنبها الأثمقاء .

١ - أقسم بالليل حين يعم ظلامه .

٢ - والنهار إذا سطع ضوؤه .

٣ - وبالعالم الذى خلق الصنفين الذكر والأنثى من كل ما يتوالد .

٤ - ان سعيكم لفتن ، فته ما يسعد به الساعى ، ومنه ما يشقى به .

٥ ، ٦ - فأما من أنفق في سبيل الله وخاف ربه فاجتنب محارمه وابتغى بالفضيلة الحسنى ، وهى الايمان
بالله عن علم ، فسنيته للخصلة التى تؤدى إلى يسر وراحة بتوجيهه إلى طريق الخير .

٨ ، ٩ ، ١٠ - وأما من كفل بالله فلم يؤد حق الله فيه ، واستغنى به عما عند الله وكذب بالحصول الحسنى
فسنيته للخصلة التى تؤدى إلى العسر والشقاء الأبدى .

١١ - وأى فهو من العذاب يدفعه عنه ماله الذى كفل به إذا هلك ؟

١٢ - ان علينا بمقتضى حكمتنا أن نبين للخلق طريق الهدى .

لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ❶ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ❷ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ❸ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ❹
وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَ ❺ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ❻ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ❼ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ
رَبِّهِ الْأَعْلَى ❽ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ❾

١٣ - وإن لنا وحدنا لأمر التصرف في الدارين .

١٤ - فخوفتكم نارا تتوقد وتتلهب .

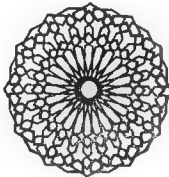
١٥ ، ١٦ - لا يدخلها على جهة الدوام الا الكافر الذي كذب بالحق وأعرض عن آيات ربه .

١٧ ، ١٨ - وسيبعد عنها البالغ في اتقاء الكفر والمعاصي ، الذي يطى ماله في وجوه اليسر يتطهر من رجس
البخل وندس الامساك .

١٩ - وليس لأحد عند هذا المنطق من نعمة أو يد يكافأ بها .

٢٠ - لكن يعطيه ابتغاء وجه ربه الأعلى .

٢١ - ولسوف ينال من ربه ما يبتغيه على أكمل الوجوه حتى يتحقق له الرضا .



(١١) سُورَةُ الضُّحَى بَيِّنَةٌ
وَأَنبَأْنَاهَا الْغُزْنَ عَشْرَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ③ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ④ وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَى ⑤ أَكْرَمَ بِكَ بِتَيِّبَاتٍ فَيَأْتِيَنَّكَ ⑥ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ⑦ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ⑧
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ⑨ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ⑩ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑪

افتتحت السورة بقسمين معبرين عن وقفي النشاط والسكون ، على أن الله ماترك رسوله ولاكرهه ومايعده له في الآخرة من منازل الرفعة خير مما يكرمه به في الأول ، ثم أقسم سبحانه على أنه سيعطى حتى يرضى ، والسوابق شواهد على اللواحق ، فقد كان يتيم فأواه ، وضالاً فأحسن هداه وفقيراً فأغناه ، ثم دعت الآيات الى اكرام اليتيم وعدم نهر السائل ، والى التحدث بنعمة الله .

- ١ - أقسم بوقت ارتفاع الشمس . والنشاط في العمل .
- ٢ - وبالليل اذا سكن وامتد ظلامه .
- ٣ - ماتركك ربك يا محمد وماكرهك .
- ٤ - ولماقبة أمرك ونهايته خير من بدايته .
- ٥ - واقسم لسوف يعطيك ربك من خيري الدنيا والآخرة حتى ترضى .
- ٦ - ألم يهدك يتيماً تحتاج الى من يرعاك فأواك بضمك الى من يحسن القيام بأمرك .
- ٧ - ووجدك حائراً لا تتقنك المعتقدات حولك فهداك الى منبع الحق .
- ٨ - ووجدك فقيراً من المال فأغناك بما أعطاك من رزق .
- ٩ ، ١٠ ، ١١ - اذا كان هذا حالنا منك ، فأما اليتيم فلا تذله ، وأما السائل فلا تردده بقسوة ، وأما بنعمة ربك فحدث شكراً لله وأظهاراً للنعمة .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ① وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ② الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ③ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ⑧

تقرر هذه السورة أن الله قد شرح صدر نبيه وجعله مهبط الأسرار والعلوم، وحط عنه ما أثقل ظهره من أعباء الدعوة، وقرن اسمه باسمه في أصل العقيدة وشعائر الدين، ثم ذكرت الآيات مسنة الله في أن يقربن اليسر بالصر، ودعت الرسول كلما فرغ من فعل خير أن يبتهد في فعل خير آخر، وإن يجعل قصده إلى ربه فهو القادر على عونه.

- ١ - قد شرحنا لك صدرك بما أودعنا فيه من الهدى والایمان.
- ٢ - وخففنا عنك ما أثقل ظهره من أعباء الدعوة بمساندتك وتيسير أمره.
- ٣ - الذي أثقل ظهره.
- ٤ - ونوهنا باسمك، فجعلناه مذكوراً على لسان كل مؤمن مقروناً باسمنا.
- ٥ - تلك بعض نعمتنا عليك، فكن على ثقة من الطافه تعالى، فإن مع الصر يسراً كثيراً يقارنه.
- ٦ - إن مع الصر يسراً كثيراً كذلك.
- ٧ - فإذا فرغت من أمر الدعوة ومقتضيات الجهاد، فاجتهد في العبادة واتصّب نفسك فيها.
- ٨ - وإلى ربك وحده فاقبّه بمساندتك وحاجتك.



(١٥) سُبُورَةُ التِّينِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأْنَاهُمَا نَارَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑥ قَدْ كَذَّبَ بَعْدُ بِالَّذِينَ ⑦ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ⑧

يقسم الله في هذه السورة بشريتين مباركتين . ومكانين طيبين على أنه خلق الانسان في أعدل صورة . مكلا بالعقل والارادة الى غير ذلك من صفات الكمال . ثم ذكرت الآيات ان الانسان لم يقسم بمقتضى خلقته ، فنزلت درجته الى أسفل سافلين . الا من آمن وعمل الصالحات فقد مد له في العطاء . ثم اتجهت السورة منكرة على من كذب بالبعث بعد ظهور أدلة قدرته وأنبأ حكمته .

١ - أقسم بالتين والزيتون وبركتهما وعظيم منفعتها .

٢ - وبالجبيل الذي كلم الله عليه موسى .

٣ - وهذا البلد مكة المعظمة . يشهد بعظمتها من زارها ، الأمن من دخلها .

٤ - لقد خلقنا جنس الانسان مقوما في أحسن ما يكون من التعديل ، متصفا بأجل ما يكون من الصفات .

٥ - ثم أنزلنا درجته الى أسفل سافلين لعدم قيامه بموجب ماخلقناه عليه .

٦ - لكن الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة ، فلهم أجر غير مقطوع عنهم ولا ممنون به عليهم .

٧ - فأى شيء يحصل لك على التكذيب بالبعث والجزاء ، بعد أن وضحت قدرتنا على ذلك .

٨ - أليس الله الذي فعل ماأنبأناك به بأحكم الحاكمين صنعا وتدييرا .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ❶ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ❷ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ❸ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ❹ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ❺ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَفُورٌ ❻ أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ❼ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ❽ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ❶ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ❷ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ❸ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ❹ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ❺ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ❻ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَنفَعَنَّ

في هذه السورة دعوة الى القراءة والتعلم ، وأن من قدر على خلق الانسان من أصل ضعيف قادر على ان يعلمه الكتابة يضبط بها العلوم ويم بها التفاهم ، ويعلمه ما لم يعلم فهو سبحانه يفيض العلم على الانسان ، وتنبه السورة الى أن التراء والقوة قد يدفعان النفوس الى مجاوزة حدود الله ، ولكن مصير الكل الى الله في النهاية ، وتوجه الحديث لكل من يصلح للخطاب منفرة الطغاة الصادين عن الخير مهدة لهم بأخلاقهم بالنواصي الى النار ، فلا تنفهم الأنصار ، وتحم السورة بدعوة المحتلين الى مخالفة الماندين المكئين والتفرب بالطاعة الى رب العالمين .

- ١ - أقرأ يا محمد ما يوحى اليك مفتتحا باسم ربك الذي له وحده القدرة على الخلق .
- ٢ - أوجد الانسان الكامل الجسم والعلم من علق لا يظهر فيه ما يدعى الى افخار .
- ٣ - امض في القراءة وربك الاكرم ، يقدر ولا يخذلك .
- ٤ - الذي علم الانسان الكتابة بالقلم ولم يكن يعلمها .
- ٥ - علم الانسان ما لم يكن يحيط به .
- ٦ - ٧ - حقا ان الانسان ليجاوز الحد ويستكبر على ربه ، من أجل أن رأى نفسه ذا غنى وفراء .
- ٨ - ان الى ربك وحده يا محمد رجوع الكل بالبحث والمجازاة .
- ٩ - ١٠ - أبصرت هذا الطاغى الذي ينهى عبدا عن الصلاة اذا صلى ١١ .
- ١٢ - ١١ - أخبرني عن حال هذا الطاغى ان كان على الهدى في نبيه ، أو أمر بالتقوى فما أمر .
- ١٣ - أخبرني عن حال هذا الناهى ان كذب بما جاء به الرسول ، وأعرض عن الايمان والعمل الطيب .
- ١٤ - أجهل أن الله يطلع على أحواله فيجازيه بها ١٥ .

بِالنَّاصِيَةِ ⑤ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ⑥ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ⑦ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ⑧ كَلَّا لَا تَطْلَعُ بَشَرٌ ⑨
وَأَقْرَبُ ⑩

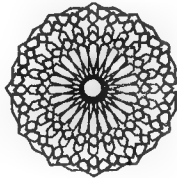
١٥ - ردعا لهذا الناهي، لأن لم يذجرعاً هو عليه، لتأخفن بناصيته الى النار بشدة .

١٦ - ناصية يطلو وجه صاحبها الكذب وأثار الخطيئة .

١٧ - فيطلب عشيرته وأهل مجلسه ليكونوا نصراء في الدنيا أو في الآخرة .

١٨ - سندعو جنودنا لينصروا محمداً ومن معه، وليذفروا هذا الناهي وأعدائه الى جهنم .

١٩ - ردعا لهذا الناهي، لا تطلعه فما هناك عنه، وهم على صلاتك وواظب على سجودك، وتقرب بذلك الى ربك .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنْزِيلُ الْمَلَكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝

في هذه السورة تنويه بشأن القرآن وشأن الليلة التي أنزل فيها ، وإخبار أنها خير من ألف شهر ، وأن الملائكة وجبريل تنزل فيها بإذن ربهم من أجل كل أمر . سلام هي من الأذى والسوء حتى طلوع فجرها .

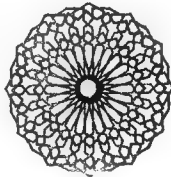
١ - انا أنزلنا القرآن في ليلة القدر والشرف .

٢ - وأي شيء أعلمك ماليلة القدر والشرف ؟ ١٩ .

٣ - ليلة القدر والشرف خير من ألف شهر ، بما اختصت به من تنزيل القرآن الكريم .

٤ - تنزل الملائكة وجبريل فيها إلى الأرض بإذن من أجل كل أمر .

٥ - أمان من الأذى والسوء هي كذلك حتى مطلع الفجر .



(٩٨) سُورَةُ الْبَيِّنَةِ مَكِّيَّةٌ

وَأَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَكْفُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ❶ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ❷ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ❸ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ❹ وَمَا أَمَرُوا إِلَّا لَعْبُدُوا اللَّهَ عَاصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ❺ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ❻ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ❼ جَزَاءُهُمْ

علم أهل الكتاب من كتبهم ، وعلم منهم مشركو مكة نعت نبى آخر الزمان ، وكان مقتضى ذلك أن يؤمنوا به إذا بعث فلما بعث فيهم رسول الله مؤيدا بالقرآن اختلفوا وأخلفوا وهدم ، وتبعت أهل الكتاب في ذلك أشد من المشركين ، وأمر هؤلاء جميعا في الآخرة أن يدخلوا في النار ، والمؤمنون أصحاب المنازل العالية في الفضل هم خير البرية ، جزاءهم الخلود في الجنة ، والرضى بما يلغوا من المطالب وأعطوا من المأرب ، هذا النعم لمن خاف ربه .

١ - لم يكن الذين كفروا بالله وبرسوله من اليهود والنصارى ، ومن المشركين منصرفين عن غفلتهم وجهلهم بالحق حتى تأتيهم الحجة القاطعة .

٢ ، ٣ - رسول مبعوث من عند الله يقرأ عليهم صحفا منزلة عن الباطل ، فيها أحكام مستقيمة ناطقة بالحس والصلواب .

٤ - وما تفرق الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى ، إلا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على أن محمدا هو رسول الله الموعود به في كتبهم .

٥ - وما كفوا بما كفوا به إلا لتكون عبادتهم لله مخلصين له الدين ، مائلين عن الباطل مستقيمين على الحق ، وأن يحافظوا على الصلاة ويؤدوا الزكاة ، وذلك دين الملة المستقيمة .

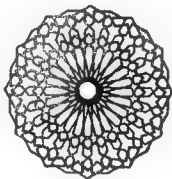
٦ - أن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم يصلونها ، لا يفرجون منها ، أولئك هم شر الخلق عقيدة وعملا .

٧ - أن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة ، أولئك هم خير الخلق عقيدة وعملا .

عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَضِعُوا عَنْهُمْ ذَلِكَ

لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

٨ - جزاؤهم في الآخرة على ما قدموا من الإيمان والأعمال الصالحة ، جنات إقامة تجري من تحتها الأنهار ماكين فيها أبدا ، قبل الله أعمالهم ، وشكروا إحسانه اليهم ذلك الجزاء لمن خاف عقاب ربه ، فأمن وعمل صالحا .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا ③ يَوْمَئِذٍ ④ تُخْبِتُ أَعْيَارَهَا ⑤ إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ هَٰذَا ⑥ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ النَّاسُ أَلْفَاتًا لِّيَرَوْا أَعْمَلَهُمْ ⑦ قَن يَّعْمَلُ ⑧ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ غَيْرًا يَرَهُ ⑨ وَمَن يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑩

آيات هذه السورة لا تعجز أحوال القيامة :

زلزال الأرض ، وخروج الكنوز والموتق منها ، وعجب الانسان وتساؤله عما فاجأه ، وانصراف الناس من قبورهم متفرقين ليلتقوا جزاهم .

١ - اذا حركت الأرض حركة شديدة ، واضطربت أقوى ما يكون من التحريك والاضطراب الذي تطيقه وتعمله .

٢ - وأخرجت الأرض ماى بطنها من الكنوز والموتق .

٣ - وقال الانسان فى دهشة وخوف ما الأرض تزلزل ، وتفرج ماى بطنها ، جاءت الساعة ؟ ! .

٤ ، ٥ - يومئذ تحدث الأرض الانسان أخبارها التى أفزعته بأن مريبه وخال واضطرب ، فسارعت الى امتثال أمره .

٦ - يومئذ ينصرف الناس من قبورهم سراعا متفرقين ، ليتبينوا حسابهم وجزاهم ،

٧ - فمن يعمل ذرة خيرا يره فى صحيفته ويلق جزاه عليه .

٨ - ومن يعمل ذرة شرا يره كذلك ، ويلق جزاه عليه ولا يظلم ريك احدا .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ①
فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ②
فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③
فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا ④
فَوْسَحْنَ بِهِ جَعًا ⑤
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥
وَأَنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لِشَيْدٌ ⑦
وَأَنَّهُ لَحُبٌّ أَلَمٌ لِّشَدِيدٍ ⑧
* أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑨
وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩
إِنَّ رَبَّهُم بِيَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪

أقسم الله تعالى في فاتحة هذه السورة بحيل الجهاد أن الإنسان لنعمة ربه لتسديد الكفران ، وأنه على ذلك في الآخرة لتسديد على نفسه بما كان منه ، وأنه لحبه المال لبخيل به حريص عليه ، وذكر في خاتمتها بالبحث وبه إلى الحساب والمجازاة .

- ١ - أقسم بحيل الجهاد للسرعات يسمع لأنفاسها صوت هو الضجيج .
- ٢ - فالخيل التي تخرج شرر النار من الأرض يوقع حوافرها وانفعاها في سيرها .
- ٣ - فالخيل التي تنير على العدو قبل طلوع الشمس .
- ٤ - فأثارت هذه الخيل في مواقع العدو غبارا كثيفا لا يشق .
- ٥ - فجعلن الغبار يتوسط جمع العدو حتى يصبه الرعب والفرع .
- ٦ - أن الإنسان لنعم ربه التي لا تحصى لتسديد الكفران .
- ٧ - وأنه على ذلك في الآخرة لتسديد على نفسه معترف بذنوبه .
- ٨ - وأنه لحبه المال وحرصه عليه لبخيل به لا يؤذى ماوجب فيه .
- ٩ ، ١٠ - أجهل عاقبة أمره فلا يعلم إذا نشر ما في القبور من أجساد ، وجمع ما في الصدور وقد سجل في صحفهم - من خير أكسبه وشر أقرضه .
- ١١ - أن مربيهم وخالقهم - بأعمالهم وجزائهم يوم البحث والحساب - خير .

(١٠) سُورَةُ الْقَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَرْبَعُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ١٠ نَارُ حَامِيَةٍ ١١

هذه السورة الكريمة بدأت بالتهويل من شأن القارعة التي تصك أسماع الناس . وذكرت بعض أحوال القارعة الخاصة بالناس وبالجهال . وعينت بالحديث عن ثقلت موازينهم يرجحان حسناتهم وعن خفت موازينهم يرجحان سيئاتهم .

- ١ - هي القيامة التي تبدأ بالنفخة الأولى ، وتنتهي بفصل القضاء بين الناس .
- ٢ - أي شيء عجيب هي في فزعائها وخطرها وفظاعتها ١٢ .
- ٣ - أي شيء أعلمك ما شأن القارعة في هولها على النفوس ١٣ .
- ٤ - هي يوم يكون الناس كالفرش المبثوث كثرة وتدافعا يمينا وشمالا ضعيفا ذليلا .
- ٥ - وتكون الجبال كالصوف الملون المنفوش في تفرق الأجزاء والتطاير في الجو هنا وهناك .
- ٦ - ٧ - فأما من ثقلت موازينه فرجحت حسناته على سيئاته ، فهو في عيشة يرضاها صاحبها تطيب نفسه بها .
- ٨ - ٩ - وأما من خفت موازينه فرجحت سيئاته على حسناته فأواه جهنم .
- ١٠ - وما أعلمك ما الهاوية ١٤ .
- ١١ - نار حامية لا تبلغ حرارتها أية نار منها سحرت وألقي فيها من وقود .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهٰكِرُ التَّكْوِيْنُ ① حَتّٰى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ ④ كَلَّا لَو تَعْلَمُوْنَ ⑤
عِلْمَ الْيَقِيْنِ ⑥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيْمَ ⑦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِيْنِ ⑧ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ النَّعِيْمَ ⑨

عابت هذه السورة من سفاهم التكائر عن أداء الواجبات ، وأنذرتهم بأنهم سوف يعلمون عاقبة تقصيرهم .
وخوفت الناس بمهابة النار وسؤلهم عما كانوا فيه من نعم .

١ - ٢ . سفلكم عن الواجبات والطاعات تهايككم بالأولاد والأهصار ، وتفاخركم بالأموال والحساب
والأنساب حتى أصابكم الموت .

٣ - حقا سوف تعلمون عاقبة سفهكم وتفرطكم .

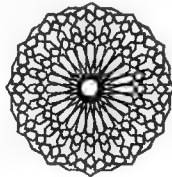
٤ - ثم حقا سوف تعلمون حقا تلك العاقبة .

٥ - حقا لو تعلمون يقينا سوء مصيركم لفزعتم من تكاثركم وتزودتم لأخرتكم .

٦ - أقسم لكم وأؤكد أنها الناس أنكم مستشهدون النار الموقدة .

٧ - ثم أقسم وأؤكد انكم ستشهدونها عيانا ويقينا .

٨ - ثم أقسم وأؤكد أنكم ستحاسبون على الوان النعم الذي اترفت فيه واستمتعتم به .



(١٣) سُوْرَةُ الْعَصْرِ بِكَيْفَةٍ
وَأَسَانِهَا ثَلَاثٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

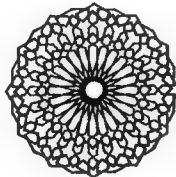
وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ ۝ إِلَّا الْدِّينَ ؕ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا
بِالصَّبْرِ ۝

في هذه السورة أقسم سبحانه بالزمان لا تطوائه على المجائب، والصبر الدالة على قدرة الله وحكمته، على أن
الإنسان لا ينفك عن نقصان في أعماله وأحواله إلا المؤمنين الذين عملوا الصالحات وأوصى بعضهم بعضاً بالتمسك
بالحق، وهو الخير كله، وتواصوا بالصبر على ما أسروا به وما نهوا عنه.

١ - أقسم بالزمان لكثرة ما انطوى عليه من عجائب وعبر.

٢ - أن كل إنسان لقي نوع من الحسران لما يطلب عليه من الأهواء والشهوات.

٣ - إلا الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات وأقاموا على الطاعات وأوصى بعضهم بعضاً بالتمسك بالحق؛
اعتقاداً وقولاً وعملاً، وأوصى بعضهم بالصبر على المشاق التي تصطر من يعتصم بالدين، فهو لا تاجسون من
الحسران، مفلحون في الدنيا والآخرة.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ❶ الَّتِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدُوا ❷ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ❸ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ❹
وَمَا أَدرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ❺ نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقِدِ ❻ إِنَّا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ❼
فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ❶

في هذه السورة وعيد شديد لمن اعتاد أن يعبئ الناس بالاشارة أو بالعبارة الذي جمع مالا كثيرا وعده افتخارا به ، يظن أن ماله يقيه في الدنيا .

وفيها تهديد عظيم هؤلاء بالقائهم في نار موقدة تحطم اجسامهم وقلوبهم ، وتطلق عليهم أبوابها ، ويوتقون فيها مع ذلك فلا يستطيعون التحرك ولا الخلاص .

١ - عذاب شديد وهلاك لمن دأبه أن يعبئ الناس بالقول أو بالاشارة أو يتكلم في أعراضهم .

٢ - الذي جمع مالا كثيرا وأحصى عده مرة بعد أخرى حبا له وتلفذا بأحصائه .

٣ - يظن أن ماله يحلده في الدنيا ويدفع عنه مايكره .

٤ - ليرتدع عن هذا الظن . والله ليطرحن لسوء عمله في النار التي تحطم كل ما يلقى فيها .

٥ - وأي ثمر أعلمك ماحقيقة هذه النار الحطمة .

٦ - نار الله المسعرة بأمره الموقدة دائما .

٧ - التي تصل القلوب وتحيط بها .

٨ ، ٩ - إنها عليهم مغلفة الأبواب وهم موقوفون فيها مشدودون الى عمد ممدودة فلا حركة لهم فيها ولا خلاص لهم منها .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ①
أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ②
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ⑤

يخبر الله رسوله ﷺ بقصة أصحاب الفيل الذين قصدوا هدم بيت الله، وبلغته إلى ماحوته القصة من عبرة دالة على عظم قدرته تعالى وانتقامه من المعتدين على حرمانه. فقد سلط الله عليهم من جنوده ماقطع أوصالهم وأذهب الباهم، ولم يبق منهم غير أثر كأنه غلاف بر ذهب له.

١ - قد علمت يا محمد علما لا يخالفه شك فعل ربك بأصحاب الفيل الذين قصدوا الاعتداء على البيت الحرام.

٢ - قد علمت ان الله قد جعل سعيهم لتخريب الكعبة في تضليل وإبطال، فخبب مسعاهم، ولم ينالوا قصدهم.

٣ - وسلط الله عليهم من جنوده طيرا أتتهم جماعات متتابعة وأحاطت بهم من كل ناحية.

٤ - تذفهم بحجارة من جهنم.

٥ - فجعلهم كورق زرع أصابه آفة فأنزلته.

تطبيق المعجزة على السورة :

تشير هذه السورة الشريفة إلى حلة أبرهة الأشرم الحبشي التي وجهها من اليمن نحو مكة لهدم الكعبة ليصرف عنها حجاج العرب، فقد ورد جيشا كبيرا مزودا ببيض الفيلة وسار به إلى الحجاز وعسكر بقرب مكة في مكان يدعى الخفس « على ثلثي فرسخ من مكة في طريق الطائف » وهناك دارت مناوشات بينه وبين العرب ولكن حملته بامت بالفشل، وذلك بسبب المناعب الكثيرة التي لاقاها من القبائل اليمنية والحجازية ولتفتي المرض في جيشه كذلك على نحو ما تشير إليه السورة الشريفة، فعاد إلى بلده بعد أن هلك معظم جيشه دون أن يحقق هدفه، وقد دخلت هذه الفترة التي تكون قد وقعت عام ٥٧٠ أو ٥٧١ ميلادية، في تقويم عرب الحجاز قبل الاسلام، وعرفت عندهم بعام الفيل وقيل : ان الرسول ولد فيه.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

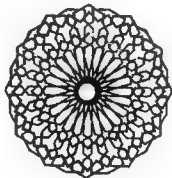
لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ① إِيَّاهُ لَفِيهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي
أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④

يقن الله في هذه السورة على قرش بيته الحرام الذي دفع عنه أعداءه ، وأسكنهم بجواره فتالوا الشرف والأمن ، ورحلوا في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام ، يتاجرون لا يتعرض لهم أحد بسوء ويتخطف الناس من حوهم وتلك نعمة توجب عليهم عبادة من أطعمهم من جوع وأمّنهم من خوف .

١ ، ٢ - أعجبوا لما التزمت رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام في اطمئنان وأمن للاتجار وابتغاء الرزق .

٣ - فليخلصوا العبادة لرب هذا البيت الذي مكّهم من هاتين الرحلتين .

٤ - الذي أطعمهم من جوع وهم يراد غير ذي زرع ، وأمّنهم من خوف والناس يتخطفون من حوهم .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۚ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۚ
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۚ الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ ۚ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ ۚ

تحدثت هذه السورة عن المكذب بالجزاء في الآخرة، فذكرت من أوصافه أنه يمين اليتيم ويزجره غلظة لئلا يدبها، وأنه لا يثبت أحده بقول أو فعل على إطعام المساكين، لأنه شحيح بماله، يميل بما في يده، ثم ذكرت فرساً شبيهاً بهذا المكذب بالجزاء، وهم الغافلون عن صلاتهم الذين لا يؤدونها كما طلبت، والذين يقومون بها صورة لا معنى، المراءون بأعمالهم، المانعون موعبتهم من المحتاجين إليها، وتوعدت هؤلاء بالويل والحلاك ليرجعوا عن غيهم.

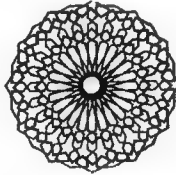
١ - أعرفت الذي يكذب بالجزاء والحساب في الآخرة ١٢

٢، ٣ - إن أردت أن تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عتفاً، ويقره ويظلمه، ولا يحث على إطعام المسكين.

٤، ٥ - فهلاك للمصلين المتصفين بهذه الصفات الذين هم عن صلاتهم غافلون غير منتفعين بها.

٦ - الذين هم يظهرون للناس أعمالهم، لينالوا الميزة في قلوبهم والثناء عليهم.

٧ - ويمنعون ممرورهم وموعبتهم عن الناس.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

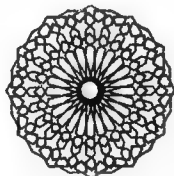
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝

أمن الله في هذه السورة على رسوله ﷺ بأعطائه الخير الكثير والتمم العظيمة في الدنيا والآخرة ، وطلب منه أن يديم الصلاة خالصة لوجهه ، وأن ينحر خيار أمواله ضحية شكرا على ما أولاه من الكرامة . ثم ختمت السورة ببشارة النبي ﷺ بقطع مبغضه وفشائه .

١- انا أوليناك الخير الكثير الدائم في الدنيا والآخرة .

٢- وإذا أعطيت ذلك فدم على الصلاة لربك خالصة له ، وانصر ذبائحك شكرا لله على ما أولاك من كرامة وخصلك من خير .

٣- ان مبغضك هو النقطع عن كل خير .



(١٠١) سُورَةُ الْكَافِرُونَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا سَبِّحُ

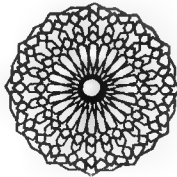
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ ❶ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ❷ وَلَا أَنْتُمْ عَبدُونَ مَا أَعْبُدُ ❸ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ❹
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❺ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ❻

﴿١﴾

في هذه السورة أمر الله رسوله ﷺ أن يقطع أطباع الكافرين في مساومتهم إياه في دعوة الحق . فهو باقٍ على عبادة الله الذي لا إله إلا هو ، وهم باقون على عبادة ألهتهم التي لا تنفع من الحق شيئاً . لهم دينهم الذي قلدوا أبائهم فيه ، وله دينه الذي ارتضاه الله له .

- ١ - قل يا محمد : يا أيها الكافرون المصرون على كفرهم .
- ٢ - لا أعبد الذي تعبدون من دين الله .
- ٣ - ولا أنتم عابدون الذي أعبد ، وهو الله وحده .
- ٤ - ولا أنا عابد مثل عبادتكم ، لأنكم مشركون .
- ٥ - ولا أنتم عابدون مثل عبادي لأنها التوحيد .
- ٦ - لكم دينكم الذي اعتنقتموه ، ولي ديني الذي ارتضاه الله لي .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۝ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝

طلبت هذه السورة من رسول الله ﷺ - إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأى الناس يدخلون في دين الله جماعات لاستقرار أمره وعلو كلمته وإكمال الله له - أن يسبح بحمد ربه ، ويزهه عما لا يليق به ، ويستغفره لنفسه وللمؤمنين لانه التواب الذى يقبل التوبة من عباده ، ويغفر عن السيئات .

١ - إذا تحقق نصر الله والفتح لك وللمؤمنين .

٢ - ورأيت الناس يدخلون في دين الله جماعات جماعات .

٣ - فاشكر ربك ، وسبح بحمده واطلب مغفرته لك ولأمتك . انه كان توابا كثير القبول لتوبة عباده .

تعليل الغيرة على سورة النصر .

تشير هذه السورة الشريفة إلى فتح مكة ، والسبب المباشر لفتح مكة هو نقض قريش لهدنة المدينة بهاجتها غزاعه . وكانت قد دخلت في عهد الهي ﷺ - ومظاہرتها بنى بكر عليها ، عند هذا رأى النبي أن ما قامت به قريش من نقض للعهد يحسم عليه فتح مكة فتشدد جيشا قويا مكونا من عشرة آلاف مقاتل ، وسار في رمضان من العام الثامن للهجرة (في ديسمبر سنة ٦٣٠ م) فأرسل رجاله يهدم القنائل إلا إذا أكرموا عليه . وقد شاء الله أن يدخل النبي وجيشه مكة من غير حرب . وهكذا استطاع أن يكسب أكبر نصر في تاريخ الدعوة الإسلامية بغير حرب وبغير إراقة دماء .

وكان لفتح مكة آثار بيضاء للدى في التاجين الدينية والسياسية ، فقد قضى على الوثنية في مغفها الأكبر بتعطيل الأصنام المتسامة بالكعبة وأزال ما بها من صور وقنائل .

وبدخل مكة حاضرة الإسلام استطاع النبي صلوات الله عليه التظلم على بقية القنائل في الحجاز ، التي غلبت عليها حجة الجاهلية مثل هوازن وقنيفة ، وكتب الله له التوفيق في إرساء دعامة دولة عربية تحت راية الإسلام

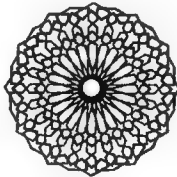
(١١) سُورَةُ الْمَسَدِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْجَمْعُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ
الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝

بدأت هذه السورة بالاخبار بهلاك أبي لهب عدو الله ورسوله ، وعدم اغناء شيء عنه من ذلك ، مالا كان
أو جاهاً أو غيرها وتوعدته في الآخرة بنار موقدة يصولها ويشوى بها وقرنت زوجته به في ذلك . واختصتها بلون
من العذاب هو ما يكثر حول عنقها من حبل يهذب به الى النار زيادة في التنكيل بها لما كانت عليه من ايداء
الرسول والامامة الى دعوته .

- ١ - هلكت يدا أبي لهب اللتان كان يؤذى بها المسلمين . وهلك معها .
- ٢ - ما دفع عنه عذاب الله ماله الذي كان له ولا جاهه الذي كسبه .
- ٣ - سيدخل نارا ذات اشتعال يهرق بها .
- ٤ - وستدخل امرأته حمالة القيمة بين الناس النار كما دخلها .
- ٥ - في عنقها حبل من ليف للتنكيل بها .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

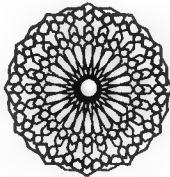
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

سئل النبي ﷺ عن ربه فأمر في هذه السورة بالإجابة بأنه الجامع لصفات الكمال الواحد الأحد المقصود على الدوام في الموائج ، الفخ عن كل ما سواه المنتزه عن الجهاسة والمبالغة لم يلد ولم يولد ولم يكن له من خلقه نظير ولا مشاكل .

١ - قل يا محمد لمن قالوا مستهزئين : صف لنا ربك : هو الله أحد لا سواه ، ولا شريك له .

٢ - الله المقصود وحده في الموائج والمطالب .

٣ ، ٤ - لم يتخذ ولدا ، ولم يولد من أب أو أم ولم يكن له أحد شبيها أو نظيرا ليس كمثلته شيء .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤

طلبت هذه السورة من النبي ﷺ أن يلجأ إلى ربه ويعتصم به من شر كل ذي شر، من مخلوقاته، ومن شر الليل إذا دخل ظلامه، لما يصيب النفوس فيه، من الوحشة، ولما يتعذر من دفع ضرره، ومن شر المفسدات الساعيات في حل ما بين الناس من روابط وصلات، ومن شر حاسد يتعمى زوال ما يسبغ الله على عباده من نعمة.

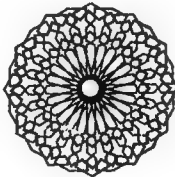
١ - قل أعتصم برب الصبح الذي ينجلي الليل عنه.

٢ - من شر كل ذي شر من المخلوقات التي لا يدفع شرها إلا ماله أمرها.

٣ - ومن شر الليل إذا اشتد ظلامه.

٤ - ومن شر من يسمي بين الناس بالانقسام.

٥ - ومن شر حاسد يتعمى زوال النعمة عن غيره.



(١١٤) سُورَةُ النَّاسِ مَكِّيَّةٌ
وَأَمَّا ثَانِيَةٌ

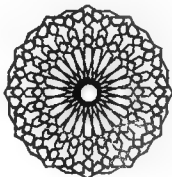
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④
الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْخَنَّاسِ ⑥ وَالنَّاسِ ⑦

بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى نَبِيهِ ﷺ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَنْ يُلْجَأَ إِلَيْهِ وَيَسْتَعِذُّ بِهِ فِي دَفْعِ شَرِّ عَظِيمٍ يَخْشَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ادْرَاكَهُ لِأَنَّهُ يَجِيئُهُمْ مِنْ جِهَةِ شَهْوَاتِهِمْ وَلَهْوَاتِهِمْ فَيُوقِعُهُمْ ذَلِكَ قِيًّا تَهْوَاهُ عَنْهُ .

ذَلِكَ هُوَ شَرُّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ مَسْتَقَرًّا عَنِ الْعَيُونِ أَوْ ظَاهِرًا لَهَا خَفِيًّا وَسُوسَتَهُ بِالْكَرِّ أَوْ الْهَدْبَةِ .

- ١ - قُلْ أَعْتَصِمْ بِرَبِّ النَّاسِ وَمُدِيرِ شُؤْنِهِمْ .
- ٢ - مَالِكِ النَّاسِ مُلْكًا تَامًا حَاكِمِينَ أَوْ مُهْكُومِينَ .
- ٣ - إِلَهِ النَّاسِ الْقَادِرِ عَلَى التَّصَرُّفِ الْكَامِلِ فِيهِمْ .
- ٤ - مَنْ شَرُّ الْوَسْوَاسِ لِلنَّاسِ الَّذِي يَجْتَنِعُ إِذَا اسْتَعْتَمَتْ عَلَيْهِ بِاللَّهِ .
- ٥ - الَّذِي يُلْقِي فِي خَفِيَّةٍ - فِي صُدُورِ النَّاسِ مَا يَصْرِفُهَا عَنْ سَبِيلِ الرِّشَادِ .
- ٦ - مِنَ الْجِنِّ وَالنَّاسِ .



فهرست المشخب في تفسير القرآن الكريم

صفحة		صفحة		صفحة	
٨٨١	سورة النازعات	٦٩٤	سورة غافر	١	سورة الفاتحة
٨٨٤	سورة عبس	٧٠٦	سورة فصلت	٢	سورة البقرة
٨٨٧	سورة التكويد	٧١٤	سورة الشورى	٧٠	سورة آل عمران
٨٨٩	سورة الانشقاق	٧٢٣	سورة الزخرف	١٠٥	سورة النساء
٨٩١	سورة اللطفين	٧٣٣	سورة الدخان	١٤٣	سورة المائدة
٨٩٤	سورة الانشقاق	٧٣٨	سورة المجاثية	١٧١	سورة الانعام
٨٩٦	سورة البروج	٧٤٤	سورة الاحقاف	٢١٤	سورة الاعراف
٨٩٨	سورة الطارق	٧٥٠	سورة محمد	٢٤١	سورة الانفال
٩٠٠	سورة الأعلى	٧٥٦	سورة الفتح	٢٤٧	سورة التوبة
٩٠٢	سورة الفاشية	٧٦٢	سورة المجرات	٢٨٤	سورة تنوره بونس
٩٠٥	سورة الفجر	٧٦٦	سورة ق	٣٠٦	سورة هود
٩٠٨	سورة البلد	٧٧١	سورة الفاريات	٣٣٠	سورة يوسف
٩١٠	سورة الشمس	٧٧٦	سورة الطور	٣٥٢	سورة الزعد
٩١٢	سورة الليل	٧٨٠	سورة النجم	٣٦٣	سورة ابراهيم
٩١٤	سورة الضحى	٧٨٦	سورة القمر	٣٧٢	سورة الحجر
٩١٥	سورة الشرح	٧٩١	سورة الرحمن	٣٨٤	سورة النحل
٩١٦	سورة التين	٧٩٧	سورة الواقعة	٤٠٩	سورة الاسراء
٩١٧	سورة العلق	٨٠٣	سورة الحديد	٤٢٦	سورة الكهف
٩١٩	سورة القدر	٨١٠	سورة المجادلة	٤٤٣	سورة مريم
٩٢٠	سورة البينة	٨١٤	سورة المشر	٤٤٥	سورة طه
٩٢٢	سورة الزلزلة	٨١٩	سورة المنتحة	٤٧٢	سورة الانبياء
٩٢٣	سورة العاديات	٨٢٣	سورة الصف	٤٨٧	سورة الحج
٩٢٤	سورة القارعة	٨٢٦	سورة الجمعة	٥٠٢	سورة المؤمنون
٩٢٥	سورة النكاثر	٨٢٨	سورة المنافقون	٥١٦	سورة النور
٩٢٦	سورة العصر	٨٣١	سورة التافين	٥٣٦	سورة الفرقان
٩٢٧	سورة الحزة	٨٣٤	سورة الطلاق	٥٤٢	سورة الشعراء
٩٢٨	سورة الليل	٨٣٧	سورة التحريم	٥٦٢	سورة النحل
٩٢٩	سورة قريش	٨٤٠	سورة الملك	٥٧٥	سورة القصص
٩٣٠	سورة الماعون	٨٤٤	سورة القلم	٥٩٠	سورة التنبكوت
٩٣١	سورة الكوثر	٨٤٨	سورة الحاقة	٦٠٢	سورة الروم
٩٣٢	سورة الكافرون	٨٥٢	سورة المعارج	٦١١	سورة لقمان
٩٣٣	سورة النصر	٨٥٥	سورة نوح	٦١٨	سورة السجدة
٩٣٤	سورة المسد	٨٥٨	سورة الجن	٦٢٢	سورة الأخراب
٩٣٥	سورة الاخلاص	٨٦٢	سورة الزمئل	٦٣٤	سورة سبا
٩٣٦	سورة الفلق	٨٦٥	سورة المذثر	٦٤٣	سورة فاطر
٩٣٧	سورة الناس	٨٦٨	سورة القيامة	٦٥١	سورة يس
		٨٧١	سورة الاسان	٦٦٠	سورة الصافات
		٨٧٤	سورة المرسلات	٦٧٤	سورة ص
		٨٧٧	سورة النبا	٦٨٢	سورة الزمر

تم محمد الله وعونه

مطبعة نفیست در

